

نوادير وقصص

من شرح نهج البلاغة

الجزء الأول

تأليف
عبد الرسول زين الدين

طريق المعرفة
العراق - النجف

مؤسسة التاريخ العربي
بيروت - لبنان



www.haydarya.com

نوادروقصص

في

شرح نهج البلاغة

حقوق الطبع محفوظة

الهيئة العامة

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م

THE ARABIC HISTORY

Publishing & Distributing

مؤسسة التاريخ العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان الجديد

بيروت - طريق المطار - خلف شولدن بلازا - هاتف ٠١/٥٤٠٠٠٠ - ٠١/٤٥٥٥٥٩ - فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص.ب. ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Air port street - Golden plaza - Tel: 01/540000 - 01/455559 - Fax: 850717 - p.o.box 7957/11

نوادروقصص

في

شرح نهج البلاغة

تأليف

عبد الرسول زين الدين

الجزء الاول



طريق المعرفة

العراق - النجف

مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

٢٠

[ملاحظة: هذا التاريخ ليس تاريخ النشر هذا الكتاب بل تاريخ النشر من نوع البلاغ
الذي اختص منه النوادر والقصص .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين المنزه عن شبهات المخلوقين الدال على خلقه بوجوده، وبفنائهم على ازليته، والصلاة على المدد المتصل بين الارض والسماء والسبب الذي به الامل والرجاء، محمد واله الاصفياء الاتقياء، منازل البركات، ومهبط الخيرات، سادات السادات وعلل الموجوات، من اول البدء حتى اخر النهايات واللعن الدائم والخزي المؤبد على اعدائهم الاسفلين حروف كتاب سجين، وظلمات الهاوية الهالكين في دركات الجحيم ابد الابدين ومن رضى بفعالهم من الاولين والآخرين إلى قيام يوم الدين وبعد:

فان المعلوم لدى جميع ارباب الادب والبلاغة والتاريخ ما للاهمية العظمى التي يتحلى بها كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي من كلام سيدنا ومولانا امير المؤمنين عليه السلام حتى اصبح الكتاب بحق مالىء الدنيا وشاغل الناس فمن شارح ومن محقق ومن مفهرس ومن ناقض واخر مدافع، حتى تجرا البعض حيث اعتمه سحب الحقد إلى ان قال انه ليس لامير المؤمنين عليه السلام فقد كبر على امثال هذا وغيره ان يكون لامير المؤمنين منقبة لايطرا الشك اليها او يدلي بها شياطينهم بعض لبعض شبهاتهم فيها (كبرت كلمة تخرج من افواههم) (والله متم نوره ولو كره الكافرون)

وعلى رغم تشكيكات المشككين بقي نهج البلاغة وبقي صاحب النهج صلوات الله عليه وعلى اولاده الطاهرين، على مر الزمان سيد السادة وابو الغر الهداة، بطل الاسلام الفاتح العظيم، وحكيم الانسانية الذي لا منازع له في الحكمة والمعرفة لانه عبد حقيقي من عبيد محمد عليه السلام، وبقي البلغاء حيثما تولوا وجهه ووجوههم شطره فهو الذي عنه تنحدر العلوم ولا ترقى اليه او هام المتوهمين (ينحدر عني عني السيل ولا يرقى الي الطير)

ولم يكن في خلد الشريف الرضي ان جمعه لهذه الكلمات سوف يحدث تلك النقلة التاريخية العظمى في مسيرة الفكر الاسلامي بل الانساني، ولو كان في خلده ذلك لاستقصى جميع كلمات امير المؤمنين عليه السلام

الا ان فيما جمع وذكر كفاية لمن عقل واراد طلب الحق والهداية والانصاف

وقد شرح النهج بشروح عديدة جدا كان من اقدمها شرح ابن ابي الحديد المعتزلي والذي يعد على راس قائمة كتب التاريخ والادب الاسلامي والذي امتاز بخصائص ومزايا عن سواه اهمها، تعرضه لشرح اهم النصوص في التراث الاسلامي وكذلك لاحتوائه على كم هائل من الحوادث التاريخية الاسلامية والنصوص الادبية والاقوال والخطب وكلمات البلغاء والادباء واييات الشعراء، فهو بحق جمع من فنون الادب والتاريخ قلما جمع غيره من الكتب التي سبقته

وان القارى لهذا الشرح ربما وجد في قراءته لذة وانتفاع لا يجدها في سواه من الكتب لانه اشبه بالروضة الممتلئة بانواع الازهار والاشجار، الا ان الكتاب لا يخلوا من استطرادات مطولة ومباحث لغوية قد تجعل القارى يسرع في تقليب صفحاته الموزعة على عشرون مجلدا وذلك بحثا عن النكت التاريخية والادبية والحوادث الطريفة

وتسهيلا للقارى الذي يبحث عن مثل هذه المميزات في شرح نهج البلاغة، وطرحا لبعض الحوادث والتعليقات المجانبة للحق التي ذكرها الشارح في كتابة قمنا بقراءة شاملة لهذا الكتاب وانتخبنا منه هذا المجلد الشامل لاغلب القصص والنوادير والاشعار والطرائف والحوادث التي وردت فيه

والتزمنا باثبات الصفحة والجزء لكل حادثة وقصة ملتقطة على طبعة محمود ابو الفضل ابراهيم لانها اشهر الطبعات المنتشرة في العالم الاسلامي حتى ينتفع القارىء لكتابنا هذا ويسهل عليه مراجعة الاصل اذا رغب في الزيادة

نامل ان يكون هذا العمل خدمة حقيقية لنهج البلاغة الكتاب الاصل وتقربا لصاحبه صلوات الله عليه ونسال الله سبحانه وتعالى ان ينفع به القراء الكرام وان يجعله في ميزان حسناتنا ويغفر لنا ما لم نستطع تلافيه من سيئاتنا ويصحح نياتنا بمنه وكرمه وفضله انه نعم المجيب والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا

عبد الرسول زين الدين

اجمال رائع في فضائل امير المؤمنين عليه السلام

قال ابن أبي الحديد : أما فضائله عليه السلام ، فإنها قد بلغت من العظم والجلاله والانتشار والاشتهار مبلغا يسمح معه التعرض لذكرها ، والتصدي لتفصيلها ، وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله ، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الاسلام في شرق الارض وغربها ، واجتهدوا بكل حيله في إطفاء نوره ، والتحريض عليه ، ووضع المعاييب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر ، وتوعدوا مادحيه ، بل حبسوهم وقتلوهم ، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيله ، أو يرفع له ذكرا ، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه ، فما زاده ذلك إلا رفعه وسموا ، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه ، وكلما كتم تضيع نشره ، وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار ان حجبت عنه عين واحدة ، أدركته عيون كثيرة ! وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة ، وتنتهى إليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وأبو عذرها ، وسابق مضمارها ، ومجلى حلبتها ، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتدى .

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الالهي ، لان شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم . ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ، ومنه ابتداء فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه ، لان كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام . وأما الاشعرية فانهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الاشعري ، وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة ، فالاشعرية ينتهون بأخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام . وأما الامامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر .

ومن العلوم : علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الاسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل، فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام، وينتهي الامر إلى علي عليه السلام. وأما مالك بن أنس، فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمه على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الاربعة. واما فقه الشيعة : فرجوعه إليه ظاهر وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا : عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام. أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة : لو لا علي لهلك عمر، وقوله : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن. وقوله : لا يفتين أحد في المسجد وعلى حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه. وقد روت العامة والخاصة قوله عليه السلام : أقضاكم علي، والقضاء هو الفقه، فهو إذا أفقهم. وروى الكل أيضاً أنه عليه السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال : فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لسته أشهر، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، وهو الذي قال في المنبرية : صار ثمنها تسعاً. وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكرا طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهية، واقتضبه ارتجالاً.

ومن العلوم : علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرع. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه. وقيل له : أين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : كنسبة قطره من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم : علم الطريقة والحقيقة، وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الاسلام، إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي، والجنيد، وسري، وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم. ويكفيك

دلالة على ذلك الخرقه التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه ﷺ.

ومن العلوم : علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الاسود الدؤلي جوامعه وأصوله، من جملتها الكلام كله ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف. ومن جملتها : تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الاعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لان القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها.

وأما الشجاعة : فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الامثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحدا إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الاولى إلى ثانية، وفي الحديث كانت ضرباته وترا، ولما دعا معاوية إلى المبارزه ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو : لقد أنصفك، فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم ! أتأمرني بمبارزه أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي ! وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه ﷺ قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ثريته :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت في الابد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وانتبه يوما معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجله على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه : يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت، فقال : لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، قال : وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب ! قال : لا جرم إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة، يطلب من يقتله بها. وجملة الامر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وباسمه ينادى في مشارق الارض ومغاربها.

وأما القوة والايدي : فبه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في (المعارف) : ما يصارع

أحدا قط إلا صرعه. وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبه من الناس ليقبلوه فلم يقبلوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة، وكان عظيما جدا، وألقاه إلى الارض. وهو الذي اقتلع الصخره العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كله عنها، وأنبط الماء من تحتها.

وأما السخاء والجود : فحاله فيه ظاهرة، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أنزل (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا). وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية، فأنزل فيه : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية). وروى عنه أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة، حتى مجلت يده، ويتصدق بالاجرة، ويشد على بطنه حجرا. وقال الشعبي وقد ذكره عليه السلام : كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله : السخاء والجود، ما قال : (لا لسائل قط. وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحض بن أبي محضن الضبي لما قال له : جئتك من عند أبخل الناس، فقال : ويحك ! كيف تقول إنه أبخل الناس، لو ملك بيتا من تبر وبيتا من تبن، لانفد تبره قبل تبنه. وهو الذي كان يكنس بيوت الاموال ويصلي فيها، وهو الذي قال : يا صفراء، ويا بيضاء، غري غيري. وهو الذي لم يخلف ميراثا، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام.

وأما الحلم والصفح : فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له، وأشدهم بغضا فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رءوس الاشهاد، وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاكم الوغد اللثيم علي بن أبي طالب وكان علي عليه السلام يقول : ما زال الزبير رجلا منا اهل البيت حتى شب عبد الله فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيرا، فصفح عنه، وقال : اذهب فلا أرينك، لم يزد على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة، وكان له عدوا، فأعرض عنه ولم يقل له شيئا. وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم، وقلدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت وقالت : هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي فلما وصلت المدينة

ألقى النساء عمائمهن، وقلن لها : إنما نحن نسوه. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيوف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر : ألا لا يتبع مول، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيز إلى عسكر الامام فهو آمن. ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبى ذراريهم، ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو وتقبل سنة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فإنه عفا والاحقاد لم تبرد، والاساءة لم تنس. ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له

اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا، سألهم علي ﷺ وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فقالوا : لا والله، ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان، فلما رأى ﷺ أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة، لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين، كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضا بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب، فقال : لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالا وحسنا، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله ﷺ !.

وأما الجهاد في سبيل الله : فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين، وهل الجهاد لاحد من الناس إلا له ! وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله ﷺ وأشدّها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر. وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الاشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للاطناب فيه، لانه من المعلومات الضرورية، كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما.

وأما الفصاحة : فهو ﷺ إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل : دون كلام

الخالق، وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى : حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلح، ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباتة : حفظت من الخطابة كنزا لا يزيد الانفاق الا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب. ولما قال محض بن أبي محض لمعاوية : جئتك من عند أعيان الناس، قال له : ويحك ! كيف يكون أعيان الناس ! فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره، ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة، ولا يبارى في البلاغة. وحسبك أنه لم يدون لاحد من فصحاء الصحابة العشر، ولا نصف العشر مما دون له، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من كتبه.

وأما سجاحة الاخلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيا، والتبسم : فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه، قال عمرو بن العاص لاهل الشام : أنه ذو دعابة شديدة. وقال علي عليه السلام في ذاك : عجبا لابن النابغة ! يزعم لاهل الشام أن في دعابة، وأني امرؤ تلعبه، أعافس وأمارس ! وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله له لما عزم على استخلافه : لله أبوك لولا دعابة فيك ! إلا أن عمر اقتصر عليها، وعمرو زاد فيها وسمحها. قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه : كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه مهابة الاسير المربوط للسياق الواقف على رأسه. وقال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشاً بشاً، ذا فكاهة، قال قيس : نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويتسم إلى أصحابه، وأراك تسر حسوا في ارتغاء، وتعيبه بذلك ! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طعام أهل الشام !. وقد بقى هذا الخلق متوارثا متنافلا في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقى الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك.

وأما الزهد في الدنيا : فهو سيد الزهاد، وبدل الابدال، وإليه تشد الرحال، وعنده تنفض الاحلاس، ما شبع من طعام قط. وكان أحسن الناس مأكلا وملبسا، قال عبد الله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد، فقدم جرابا مختوما، فوجدنا فيه خبز شعير يابس

مرضوضا، فقدم فأكل، فقلت : يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال : خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت. وكان ثوبه مرقوعا بجلد تارة، وليف أخرى، ونعلاه من ليف. وكان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمه طويلا قطعه بشفرة، ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمه له، وكان يأتدم إذا اتتدم بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الارض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من البان الابل، ولا يأكل اللحم إلا قليلا، ويقول : لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان. وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم أيدا، لا ينقض الجوع قوته، ولا يخون الاقلال مته. وهو الذي طلق الدنيا وكانت الاموال تجبى إليه من جميع بلاد الاسلام إلا من الشام، فكان يفرقها ويمزقها، ثم يقول :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

وأما العبادة : فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الاوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ! وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده. وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت !. وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام - وكان الغاية في العبادة : أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وأما قراءته القرآن واشتغاله به : فهو المنظور إليه في هذا الباب، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة، بل يقولون : تشاغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن، لانه لو كان مجموعا في حيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم. وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون

إليه، كابي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وغيرهما، لانهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمى القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفن من الفنون التى تنتهى إليه أيضاً، مثل كثير مما سبق.

وأما الرأي والتدبير : فكان من أسد الناس رأياً، وأصحهم تدبيراً، وهو الذى أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار. وهو الذى أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث. وإنما قال أعداؤه : لا رأي له، لانه كان متقيداً بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضى الدين تحريمه. وقد قال ﷺ : لو لا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوفقه، سواء أ كان مطابقاً للشرع أم لم يكن. ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لاجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب.

وأما السياسة : فإنه كان شديد السياسة، خشناً في ذات الله، لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به. وأحرق قوماً بالنار، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جرير بن عبد الله البجلي، وقطع جماعة وصلب آخرين. ومن جملة سياسته في حروبه أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان، وفي أقل القليل منها مقنع، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل ﷺ في هذه الحروب بيده وأعوانه.

فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الامام المتبع فعله، والرئيس المقتضى أثره.

وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة،

وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لاهل الملة،

وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه، مشمراً

لحربه،

وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها !

كان علي سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته،

وكان علي سيف إلب أرسلان وابنه ملكشاه صورته، كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر. وما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر به، وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه،

حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها : ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه وسموه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروي، انه سمع من السماء يوم أحد : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، قالوا : قل أن يسود فقير، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه الشيخ. وفي حديث عفيف الكندي، لما رأى النبي ﷺ يصلى في مبدأ الدعوة، ومعه غلام وامرأة، قال : فقلت للعباس أي شئ هذا ؟ قال : هذا ابن أخي، يزعم أنه رسول من الله إلى الناس، ولم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام - وهو ابن أخي أيضاً - وهذه المرأة، وهي زوجته. قال : فقلت : ما الذي تقولونه أنتم ؟ قال : ننتظر ما يفعل الشيخ - يعني أبا طالب. وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله ﷺ صغيراً، وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش، ولقي لاجله عنتاً عظيماً، وقاسى بلاء شديداً، وصبر على نصره والقيام بأمره. وجاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحى إليه ﷺ وقيل له : اخرج منها، فقد مات ناصرك. وله مع شرف هذه الابوة أن ابن عمه محمد سيد الاولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين، الذي قال له رسول الله ﷺ : (أشبهت خلقي وخلقي) فمر يحجل فرحاً. وزوجته سيدة نساء العالمين، وابنيه سيدا شباب أهل الجنة، فأباؤه آباء رسول الله، وأمهاته أمهات رسول الله، وهو مسوط بلحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أن مات عبد المطلب بين الاخوان عبد الله وأبي طالب، وأمهما واحدة، فكان منهما سيد الناس، هذا الاول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي !.

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبده، وكل من في الارض يعبد الحجر، ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير، محمد رسول الله ﷺ. ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه ﷺ أول الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ إيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلا الاقلون. وقد قال هو ﷺ : أنا الصديق الاكبر، وأنا

الفاروق الاول، أسلمت قبل إسلام الناس، وصليت قبل صلاتهم. ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق ذلك وعلمه واضحا. وإليه ذهب الواقدي، وابن جرير الطبري، وهو القول الذي رجحه ونصره صاحب كتاب (الاستيعاب).

فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجم هذا بل يزيد عليه، وبالله التوفيق^(١).

بدء ظهور الغلاة

أول من جهر بالغلو في أيام امير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن سبا قام إليه وهو يخطب، فقال له : أنت أنت ! وجعل يكررها، فقال له : ويلك ! من أنا ؟ فقال : أنت الله، فأمر بأخذه وأخذ قوم كانوا معه على رأيه. وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله، عن عمار الثقفي، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن ابيه، وعن غيره من مشيخته، أن عليا قال : (يهلك في رجلان : محب مطر يضعني غير موضعي ويمدحني بما ليس في، ومبغض مفتر يرميني بما أنا منه برئ). وقال أبو العباس : وهذا تأويل الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وآله فيه، وهو قوله : (إن فيك مثلا من عيسى بن مريم، أحبته النصرى فرفعته فوق قدره، وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه ". قال أبو العباس : وقد كان على عشر على قوم خرجوا من محبته، باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا بربهم، وجحدوا ما جاء به نبيهم، واتخذوه ربا وإلهاء، وقالوا : انت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم وتوعدهم، فاقاموا على قولهم، فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعا في رجوعهم، فأبوا، فحرقهم بالنار، وقال :

ألا ترون قد حفرت حفرا انى إذا رأيت أمرا منكرا

وقدت نارى ودعوت قنبرا

وروى أصحابنا في كتب المقالات أنه لما حرقهم صاحوا إليه الآن ظهر لنا ظهورا بينا أنك أنت الاله، لان ابن عمك الذى أرسلته قال : (لا يعذب بالنار إلا رب النار)^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٥

المغيرة بن شعبة

أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديين يفسقونه، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ﷺ عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله مقلدا سيفاً، فقيل: من هذا؟ قيل: ابن أخيك المغيرة، قال: وأنت هاهنا يا غدر! والله إنى إلى الآن ما غسلت سواتك^(١).

زيد بن ثابت و ميله إلى عثمان

أن مروان بن الحكم لما حصر عثمان الحضرمي الأخير أتى زيد بن ثابت فاستصحبه إلى عائشة ليكلمها في هذا الأمر، فمضيا إليها وهي عازمة على الحج، فكلماها في أن تقيم وتذب عنه، فأقبلت على زيد بن ثابت، فقالت: وما منعك يا بن ثابت ولك الأشاريف قد اقتطعكها عثمان، ولك كذا وكذا، وأعطاك عثمان من بيت المال عشرة آلاف دينار! قال زيد: فلم أرجع عليها حرفاً واحداً، وأشارت إلى مروان بالقيام، فقام مروان وهو يقول: حرق قيس على البلاد حتى إذا اضطرمت أجذما. فنادته عائشة وقد خرج من العتبة: يا بن الحكم، أعلى تمثل الأشعار! قد والله سمعت ما قلت، أتراني في شك من صاحبك! والذي نفسي بيده لو ددت أنه الآن في غرارة من غراري مخيط عليه، فألقيه في البحر الأخضر، قال زيد بن ثابت: فخرجنا من عندها على الياس منها. وروى أن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار، وهو يدعوهم إلى نصرة عثمان. فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حبة المازني، فقال له: وما يمنعك يا زيد أن تذب عنه؟ أعطاك عشرة آلاف دينار وحدائق من نخل لم ترث عن أبيك مثل حديقة منها^(٢).

اخلاق الرشيد

وقال أبوالبختري وهب بن وهب القاضي: كنت عند الرشيد يوماً، واستدعى ماء مبرداً بالثلج، فلم يوجد في الخزانة ثلج، فاعتذر إليه بذلك، واحضر إليه ماء غير مثلوج، فضرب وجه الغلام بالكوز، واستشاط غضباً، فقلت له: أقول يا أمير المؤمنين وأنا آمن! فقال: قل، قلت: يا أمير المؤمنين قد رايت ما كان من الغير بالأمس - يعني زوال دولة

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٧

بنى امية - والدنيا غير دائمة ولا موثوق بها، والحزم الا تعود نفسك الترفه والنعمة، بل تأكل اللين والجشيب، وتلبس الناعم والخشن، وتشرب الحار والقار. فنفحنى بيده، وقال: لا والله، لا اذهب إلى ما تذهب إليه، بل البس النعمة ما لبستني، فإذا نابت نوبة الدهر عدت إلى نصاب غير حوار^(١).

آخر يوم من شوال فلتة

أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من حيث ان كل من لم يدرك ثأره فيه فاته، لانهم كانوا إذا دخلوا في الاشهر الحرم لا يطلبون الثأر، وذو القعدة من الاشهر الحرم، فسموا ذلك اليوم فلتة لانهم إذا ادركوا فيه ثأرهم، فقد أدركوا ما كان يفوتهم. فأراد عمر أن يبعة أبي بكر تداركها بعد ان كادت تفوت^(٢).

إن الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم

في الحديث المرفوع: إن الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم. وكان الاحنف يقول أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار. وقال الشاعر:

وإني لاستبقى أمرا السوء عده لعدوه عريض من الناس
جائب أخاف كلاب الابعدين وهرشها إذا لم تجاوبها كلاب الاقارب^(٣).

لف عرقي بعرفة سيدا الناس جميعا محمد وعلي

ذكر أبو الحسن الصابي وابنه غرس النعمة محمد في تاريخهما أن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي وابنه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضي أبي الحسن التي أولها:

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمي
وإباء محلق بي عن الضيم كما زاغ طائر وحشي

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٠

أي عذر له إلى المجد إن ذل غلام في غمده المشرفي
أحمل الضيم في بلاد الاعادي وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبى ومولاه مولا ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرفة سيدا الناس جميعا محمد وعلي
وقال القادر للنقيب أبى أحمد : قل لولدك محمد : أي هو ان قد أقام عليه عندنا !
وأى ضيم لقي من جهتنا ! وأي ذل أصابه في مملكتنا ! وما الذي يعمل معه صاحب مصر
أكثر من هذا ما نظنه كان يكون لو حصل عنده الا واحدا من ابناء الطالبين بمصر فقال
النقيب ابو احمد اما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه ولا يبعد ان يكون
بعض اعدائه نحله اياه وعزاه إليه فقال القادر ان كان كذلك فلتكتب الان محضرا يتضمن
القدح في انساب ولاء مصر ويكتب محمد خطه فيه فكتب محضرا بذلك شهد فيه جميع
من حضر المجلس منهم النقيب ابو احمد وابنه المرتضى وحمل المحضر إلى الرضى
ليكتب خطه فيه حملة ابوه واخوه فامتنع من سطر خطه وقال لا اكتب واخاف دعاه
صاحب مصر وانكر الشعر وكتب خطه واقسم فيه انه ليس بشعره وانه لا يعرفه فاجبره ابوه
على ان يكتب خطه في المحضر فلم يفعل وقال اخاف دعاه المصريين وغيلتهم لى فانهم
معروفون بذلك فقال ابوه يا عجباه ا تخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ ولا تخاف من
بينك وبينه مائه ذراع وحلف الا يكلمه وكذلك المرتضى فعلا ذلك تقيه وخوفا من القادر
وتسكيننا له ولما انتهى الامر إلى القادر سكت على سوء اضمرة وبعد ذلك بايام صرفه عن
النقابة وولاها محمد بن عمر النهر سابسي .^(١)

ينظرون اليكم نظر الثور إلى جازره

قال عمر يوما لابن عباس يا عبد الله انتم اهل رسول الله وآله وبنو عمه فما تقول
منع قومكم منكم قال لا ادرى علتها والله ما اضمرنا لهم الا خيرا قال اللهم غفرا إن
قومكم كرهوا أن يجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبوا في السماء شمخا وبذخا ولعلكم
تقولون إن ابا بكر اول من اخركم اما انه لم يقصد ذلك ولكن حضر امر لم يكن بحضرته
احزم مما فعل ولو لا راى ابى بكر في لجعل لكم من الامر نصيبا ولو فعل ما هناك مع

قومكم انهم ينظرون اليكم نظر الثور إلى جازره^(١).

من ارتج عليهم أو حصروا عند الكلام

روى أبو الحسن المدائني قال : سعد ابن لعدى بن ارطاة المنبر، فلما رأى الناس حصر فقال : الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويستقيهم

وصعد روح بن حاتم المنبر، فلما رأى الناس قد رشقوه بابصارهم، وصرفوا اسماعهم نحوه، قال : نكسوا رؤوسكم، وغضوا ابصاركم، فان اول مركب صعب، فإذا يسر الله عز وجل فتح قفل تيسر ثم نزل.

وخطب مصعب بن حيان اخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر، فقال لقنوا موتاكم لا اله الا الله فقالت ام الجارية : عجل الله موتك، ألهذا دعوناك

وخطب مروان بن الحكم فحصر، فقال : اللهم انا نحمدك ونستعينك، ولا نشرك بك ولما حصر عبد الله بن عامر بن كريز على المنبر بالبصرة - وكان خطيبا - شق عليه ذلك، فقال له زياد بن ابيه، وكان خليفته ايها الامير لا تجزع، فلو اقامت على المنبر عامه من ترى اصابهم اكثر مما اصابك فلما كانت الجمعة تأخر عبد الله بن عامر وقال زياد للناس : إن الامير اليوم موعوك، فقيل لرجل من وجوه امراء القبائل : قم فاصعد المنبر، فلما صعد حصر، فقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء، وبقي ساكتا، فانزلوه، واصعدوا آخر من الوجوه، فلما استوى قائما قابل بوجهه الناس، فوقعت عينه على صلعه رجل، فقال : ايها الناس، إن هذا الاصلع قد منعنى الكلام، اللهم فالعن هذه الصلعه. فانزلوه وقالوا لوازع اليشكري : قم إلى المنبر فتكلم، فلما صعد ورأى الناس قال : ايها الناس انى كنت اليوم كارها لحضور الجمعة، ولكن امراتى حملتني على اتيانها، وانا اشهدكم انها طالت ثلاثا، فانزلوه، فقال زياد لعبد الله بن عامر : كيف رايت؟ قم الان فاخطب الناس

وقال سهل بن هارون دخل قطرب النحوي على المخلوع فقال يا امير المؤمنين كانت عدتك ارفع من جائزتك وهو يتبسم فاغتاظ الفضل بن الربيع فقلت له : إن هذا من الحصر والضعف، وليس من الجلد والقوة، اما تراه يفتل اصابعه ويرشح جبينه

ودخل معبد بن طوق العنبري على بعض الامراء، فتكلم وهو قائم فاحسن، فلما جلس تلهيع في كلامه، فقال له ما اظرفك قائما، واموقك قاعدا ! قال : اني اذا قمت جددت، واذا قعدت هزلت، فقال ما احسن ما خرجت منها.

وخطب عبد الله بن عامر مره فارتج عليه، وكان ذلك اليوم يوم الاضحى، فقال : لا اجمع عليكم عيا ولؤما : من اخذ شاة من السوق فهي له وثمنها على^(١).

المتعاقدين على قتل رسول الله ﷺ

تعاقد من قريش على قتل رسول الله ﷺ عبد الله بن شهاب الزهري وابن قمية احد بني الحارث بن فهر، وعتبة بن ابي وقاص الزهري، وأبي بن خلف الجمحي. فلما أتى خالد بن الوليد من وراء المسلمين، واختلطت الصفوف، ووضع المشركون السيف في المسلمين، رمى عتبة بن ابي وقاص رسول الله صلى عليه وسلم بأربعة أحجار، فكسر رباعيته، وشجه في وجهه حتى غاب حلق المغفر في وجنتيه، وأدمى شفثيه^(٢).

حتى نخوض إليه الباطل خوضا

خطب زياد بالبصرة الخطبة الغراء المشهورة، وقال فيها : والله لأخذن البرئ بالسقيم، والبر باللئيم، والوالد بالولد، والجار بالجار، أو تستقيم إلي قناتكم. فقام أبو بلال مرداس ابن أدية يهمس، وهو حينئذ شيخ كبير، فقال : أيها الامير، أنبأنا الله بخلاف ما قلت، وحكم بغير ما حكمت، قال سبحانه : (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، فقال زياد : يا أبا بلال، اني لم أجهل ما علمت، ولكننا لا نخلص إلى الحق منكم حتى نخوض إليه الباطل خوضا^(٣).

وأخذته الالسن من كل جانب

روى أن عثمان لما جاءه الشهود يشهدون على الوليد بشرب الخمر أو عدهم وتهدهم ويقال إنه ضرب بعض الشهود أيضاً أسواطاً، فأتوا أمير المؤمنين ﷺ، فشكوا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٤

إليه، فأتى عثمان، فقال : عطلت الحدود، وضربت قوما شهدوا على أخيك، فقلبت الحكم، وقد قال لك عمر : لا تحمل بنى أمية وآل أبي معيط على رقاب الناس ! قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن تعزله ولا توليه شيئا من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود، فإن لم يكونوا أهل ظنة ولا عداوة، أقمت على صاحبك الحد. وتكلم في مثل ذلك طلحة والزبير وعائشة، وقالوا أقوالا شديدة، وأخذته اللسن من كل جانب، فحينئذ عزله، ومكن من إقامة الحد عليه .

روى أن الشهود لما شهدوا عليه في وجهه، وأراد عثمان أن يحده ألبسه جبة خز، وأدخله بيتا، فجعل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضربه، قال له الوليد : أنشدك الله أن تقطع رحمى وتغضب أمير المؤمنين ! فلما رأى على ﷺ ذلك، أخذ السوط ودخل عليه، فجلده به. فأى عذر لعثمان في عزله وجلده بعد هذه الممانعة الطويلة، والمدافعة الشديدة! (١).

تكبيرا منكرا في شوارع الكوفة

من كلام الحجاج : يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساويئ الاخلاق ! أما والله لالحنكم لحو العصا، ولاعصبنكم عصب السلم، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل، إنى أسمع لكم تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب، ولكنه تكبير الترهيب. ألا إنها عجاجة تحتها قصف، يا بنى اللكيعة، وعبيد العصا، وأبناء الاماء ! إنما مثلى ومثلكم كما قال ابن بركة :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكى وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

والله لا تفرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الذاهب. وكانت هذه الخطبة عقيب

سماعه تكبيرا منكرا في شوارع الكوفة، فأشفق من الفتنة. (٢).

كنايات في الجماع وقرارات النساء

* لما قتل الخوارج فليل له : يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم : كلا والله،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٤٣

إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، وكلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين. قرارات النساء : كناية لطيفة عن الارحام.

* ومن الكنايات اللطيفة الجارية هذا المجرى قوله تعالى : أو لامستم النساء يعني الجماع

* وقوله تعالى : (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة).

* وقوله : (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم)، يعني الفروج.

* وقول رسول الله ﷺ للحادي : (يا أنجشة رفقا بالقوارير) يعني النساء

* من كنايات الكتاب العزيز أيضاً قوله تعالى : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها)، كنى بذلك عن مناقح النساء.

* ومنها قوله تعالى : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)، كنى عن مواقع النسل بمواقع الحرث.

* من الاخبار النبوية، قوله ﷺ في الشهادة على الزنا : (حتى تشاهد الميل في المكحلة)

* ومنها قول المرأة التي شكت إلى عائشة زوجها أنه يطمح بصره إلى غيرها : (إنى عزمت على إن أقيد الجمل)، إشارة إلى ربطه .

* ومنها قول عمر : يا رسول الله، هلكت، قال : (وأهلكك؟) قال : حولت رحلى، فقال ﷺ : (أقبل وأدبر واتق الحيضة)، ففهم ﷺ ما أراد

* ومن الاحاديث النبوية : (من كشف قناع امرأة، وجب عليه مهرها)، كنى عن الدخول بها يكشف القناع، لانه يكشف في تلك الحالة غالبا.

* ومن ذلك قوله تعالى : (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)، كنى بذلك عن الجماع والمخالطة. وقال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيج ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا

* وقد كنت العرب عن المرأة بالريحان، وبالسرحة، قال ابن الرقيات :

لا أشم الريحان إلا بعيني كرما إنما يشم الكلاب

أي أقنع من النساء بالنظر، ولا أرتكب منهن محرما.

* وقال أعرابي، وكنى عن امرأتين :

أيا نخلتى أود إذا كان فيكما جنى فانظرا من تطعمان جناكما ا

ويا نخلتى أود إذا هبت الصبا وأمست مقرورا ذكرت ذراكما

* ومن الاخبار النبوية قوله ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ماءه زرع غيره)، أراد النهي عن نكاح الحبائل، لانه إذا وطئها فقد سقى ماءه زرع غيره.

* وقال ﷺ لخوات بن جبير: (ما فعل جملك يا خوات)؟ يمازحه، فقال : قيده الاسلام يا رسول الله، لان خواتا في الجاهلية كان يغشى البيوت، ويقول : شرد جملى وأنا أطلبه، وإنما يطلب النساء والخلوه بهن، وخوات هذا هو صاحب ذات النحرين .

* ومن كنايات القرآن العزيز قوله تعالى : (ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن)، كنى بذلك عن الزنا، لان الرجل يكون في تلك الحال بين يدي المرأة ورجليها.

* ومنه في الحديث : (إذا قعد الرجل بين شعبها الاربع)^(١).

سليمان بن سرد الخزاعي

دخل سليمان بن سرد الخزاعي على علي بن أبي طالب، مرجعه من البصرة، فعاتبه وعذله، وقال له : ارتبت وتربصت وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي، وأسرعهم فيما أظن إلى نصرتي، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك؟ وما زهدك في نصرتهم؟ فقال : يا أمير المؤمنين، لا تردن الامور على أعقابها، ولا تؤنبنى بما مضى منها، واستبق مودتي تخلص لك نصيحتي، فقد بقيت أمور تعرف فيها عدوك من وليك. فسكت عنه، وجلس سليمان قليلا، ثم نهض، فخرج إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو قاعد في باب المسجد، فقال : ألا أعجبك من أمير المؤمنين، وما لقيت منه من التوبيخ والتبكيك؟ فقال الحسن : إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته، فقال : لقد وثبت أمور ستشرع فيها القنا، وتنتضى فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى اشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تتهموا نصحي. فقال الحسن : رحمك الله، ما أنت عندنا بظنين. ودخل عليه سعيد بن قيس الازدي،

فسلم عليه، فقال: وعليك السلام وإن كنت من المتربصين! قال: حاش لله يا أمير المؤمنين! فإنى لست من أولئك. فقال: لعل الله فعل ذلك. (١)

مذهب سقراط في تفسير القيامة وجهنم

ذهب قوم من قدماء الحكماء - ويقال انه مذهب سقراط - إلى تفسير القيامة وجهنم بما يبتنى على وضع الارض على الماء فقالوا الارض موضوعة على الماء والماء على الهواء والهواء على النار والنار في حشو الافك ولما كان العنصران الخفيفان - وهما الهواء والنار - يقتضيان صعود ما يحيطان به العنصران الثقيلان اللذان في وسطهما وهما الماء والارض يقتضيان النزول والهبوط وقعت الممانعة والمدافعة فلزم من ذلك وقوف الماء والارض في الوسط. قالوا ثم إن النار لا تزال يتزايد تأثيرها في اسخان الماء وينضاف إلى ذلك حر الشمس والكواكب إلى أن تبلغ البحار والعنصر المائى غايتها في الغليان والفوران فيتصاعد بخار عظيم إلى الافلاك شديد السخونة وينضاف إلى ذلك حر فلك الاثير الملاصق للافلاك فتذوب الافلاك كما يذوب الرصاص وتتهافت وتتساقط وتصير كالمهل الشديد الحرارة ونفوس البشر على قسمين احدهما ما تجوهر وصار مجردا بطريق العلوم والمعارف وقطع العلائق الجسمانية حيث كان مدبرا للبدن والاخر ما بقي على جسمانية بطريق خلوة من اللعوم والمعارف وانغماسه في اللذات والشهوات الجسمانية فاما الاول فانه يلتحق بالنفس الكلية المجردة ويخلص من دائرة هذا العالم بالكلية واما الثاني فانه تنصب عليه تلك الاجسام الفلكية الذائبة فيحترق بالكلية ويتعذب ويلقى آلاما شديدة. قالوا هذا هو باطن ما وردت به الرواية من العذاب عليها وخراب العالم والافلاك وانهدامها. (٢)

اراد في مرضه ان يرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقا وحيطة على الاسلام

وروى ابن عباس رضى الله عنه، قال: دخلت على عمر في اول خلافته وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة فدعاني إلى الاكل، فاكلت ثمرة واحدة واقبل ياكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جر كان عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمد الله يكرر ذلك، ثم

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٥٥

قال : من اين جئت يا عبد الله ؟ قلت : من المسجد ، قال : كيف خلفت ابن عمك ؟ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر قلت : خلفته يلعب مع اترابه ، قال : لم اعن ذلك ، انما عنيت عظيمكم اهل البيت قلت : خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن قال : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها ! هل بقى في نفسه شئ من امر الخلافة ؟ قلت : نعم ، قال : ايزعم ان رسول الله ﷺ نص عليه ؟ قلت : نعم ، وازيدك سألت ابي عما يدعيه ، فقال : صدق ، فقال عمر : لقد كان من رسول الله ﷺ في امره ذرو من قول لا يثبت حجة ، ولا يقطع عذرا ولقد كان يربح في امره وقتا ما ولقد اراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقا وحيطة على الاسلام لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش ابدا ولو وليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها ، فعلم رسول الله ﷺ انى علمت ما في نفسه ، فامسك وأبى الله إلا امضاء ما حتم^(١) .

المعروف في غير أهله

قال الشاعر :

لعمرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله إلا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس في شكر الصنيعة عندهم وفي كفرها إلا كبعض المزارع
فمزرعة طابت وأضعف نبتها ومزرعه أكدت على كل زارع^(٢) .

وعد منه بالامام الغائب الذى يملك الارض

قال ﷺ : لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها . وتلا عقيب ذلك : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين).

قال ابن ابي الحديد : الامامية تزعم أن ذلك وعد منه بالامام الغائب الذى يملك الارض في آخر الزمان . وأصحابنا يقولون إنه وعد بإمام يملك الارض ويستولى على

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٤

الممالك، ولا يلزم من ذلك إنه لا بد أن يكون موجودا، وإن كان غائبا إلى أن يظهر، بل يكفي في صحة هذا الكلام أن يخلق في آخر الوقت.

وبعض اصحابنا يقول إنه إشارة إلى ملك السفاح والمنصور وابني المنصور بعده. فإنهم الذين ازالوا ملك بني أمية، وهم بنو هاشم، وبطريقهم عطفت الدنيا على بني عبد المطلب عطف الضروس. وتقول الزيدية إنه لا بد من أن يملك الارض فاطمي يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد، وإن لم يكن أحد منهم الآن موجودا^(١).

ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا

روى الطبري، قال : قال ابن عباس رحمه الله : لما حججت بالناس نيابة عن عثمان وهو محصور، مررت بعائشة بالصلصل، فقالت : يا بن عباس أنشدك الله ! فإنك قد أعطيت لسانا وعقلا، أن تخذل الناس عن طلحة، فقد بانث لهم بصائرهم في عثمان وأنهجت، ورفعت لهم المنار، وتحلبوا من البلدان لامر قد حم، وإن طلحة فيما بلغني قد اتخذ رجالا على بيوت الاموال، وأخذ مفاتيح الخزائن وأظنه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمه أبي بكر، فقال : يا أمة، لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا، فقالت : إيها عنك يا بن عباس، إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك^(٢).

حامى الظعن حيا وميتا

بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، حى مشهور بالشجاعة، منهم علقمة بن فراس، وهو جدل الطعان. ومنهم ربيعة بن مكدم بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن فراس، الشجاع المشهور، حامى الظعن حيا وميتا، ولم يحرم الحریم وهو ميت أحد غيره، عرض له فرسان من بنى سليم، ومعه ظعائن من أهله يحميهم وحده، فطاعنهم، فرماه نبيشة ابن حبيب بسهم أصاب قلبه، فنصب رمحه في الارض، واعتمد عليه وهو ثابت في سرجه لم يزل ولم يمل. وأشار إلى الظعائن بالرواح، فسن حتى بلغن بيوت الحى، وبنو سليم قيام إزاءه لا يقدمون عليه، ويظنون حيا، حتى قال قائل منهم : إني لا أراه إلا ميتا، ولو كان حيا لتحرك، إنه والله لمائل راتب على هيئة واحدة، لا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٦

يرفع يده، ولا يحرك رأسه. فلم يقدم أحد منهم على الدنو منه، حتى رموا فرسه بسهم، فشب من تحته، فوقع وهو ميت، وفاتتهم الطعائن. وقال الشاعر:

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغواذى قبره بذنوب

نقرت قلوبى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهرب

لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب

لو لا السفار وبعد خرق مهمه لتركها تجثو على العرقوب

نعم الفتى أدى نبيشة بزه يوم اللقاء نبيشة بن حبيب^(١).

وحولك أكباد تحن إلى القد

من أبيات منسوبة إلى حاتم بن عبد الله الطائي الجواد وأولها:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى الجدين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكبلا فإننى لست آكله وحدي

قصيا بعيدا أو قريبا فإننى أخاف مذمات الاحاديث من بعدى

كفى بك عارا أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

وإنى لعبد الضيف ما دام نازلا وما من خلالي غيرها شيمة العبد^(٢).

الأقوال في علم الله

القول الاول: قول جمهور المتكلمين، وهو أن البارئ سبحانه يعلم كل معلوم: الماضي والحاضر والمستقبل، ظاهرها وباطنها، ومحسوسها وغير محسوسها، فهو تعالى العالم بما كان وما هو حاضر، وما سيكون وما لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون، كقوله تعالى: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه)، فهذا علم بأمر مقدر على تقدير وقوع أصله الذى قد علم أنه لا يكون.

القول الثاني: قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الامور المستقبلية، وشبهه بكونه

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٤١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٨٨

مدركا، قالوا : كما أنه لا يدرك المستقبلات، فكذلك لا يعلم المستقبلات،
القول الثالث : قول من زعم أنه لا يعلم الامور الحاضرة، وهذا القول تقيض القول
الثاني، وشبهوه بكونه قادرا، قالوا : كما أنه لا يقدر على الموجود، فكذلك لا يعلم
الموجود

القول الرابع : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم نفسه خاصة، ويعلم كل ما عدا ذاته،
القول الخامس : قول من قال إنه تعالى لم يكن فيما لم يزل عالما بشئ أصلا، وإنما
أحدث لنفسه علما علم به الاشياء، وهو قول جهم بن صفوان
القول السادس : قول من قال إنه تعالى لا يعلم كل المعلومات على تفصيلها، وإنما
يعلم ذلك إجمالا وهؤلاء يسمون المسترسلية، لانهم يقولون : يسترسل علمه على
المعلومات إجمالا لا تفصيلا، وهو مذهب الجويني من متكلمي الاشعرية.

القول السابع : قول من قال إنه تعالى يعلم المعلومات المفصلة ما لم يفض القول به
إلى محال، وزعموا أن القول بأنه يعلم كل شئ يفضى إلى محال، وهو أن يعلم ويعلم أنه
يعلم، وهلم جرا إلى ما لا نهاية له، وكذلك المحال لازم إذا قيل إنه يعلم الفروع،
وفروع الفروع ولوازمها ولوازم لوازمها إلى ما لا نهاية له. قالوا : ومحال اجتماع كل هذه
العلوم غير المتناهية في الوجود، وهذا مذهب أبي البركات البغدادي صاحب المعبر

القول الثامن : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الشخصيات الجزئية، وإنما يعلم
الكليات التي لا يجوز عليها التغيير، كالعلم بأن كل إنسان حيوان، ويعلم نفسه أيضاً،
وهذا مذهب أرسطو وناصرى قوله من الفلاسفة كابن سينا وغيره.

القول التاسع : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم شيئا أصلا، لا كليا ولا جزئيا، وإنما
وجد العالم عنه لخصوصية ذاته فقط من غير أن يعلمه، كما أن المغناطيس يجذب الحديد
لقوة فيه من غير أن يعلم بالجذب، وهذا قول قوم من قدماء الفلاسفة^(١).

أنامن رسول الله ﷺ كالضوء من الضوء

قال : (وأنا من رسول الله ﷺ كالضوء من الضوء والذراع من العضد). وذلك لان

الضوء الاول يكون علة في الضوء الثاني ألا ترى أن الهواء المقابل للشمس يصير مضيئاً من الشمس ! فهذا الضوء هو الضوء الاول. ثم إنه يقابل وجه الارض فيضئ وجه الارض منه فالضوء الذي على وجه الارض هو الضوء الثاني وما دام الضوء الاول ضعيفاً فالضوء الثاني ضعيف. فإذا ازداد الجو إضاءة ازداد وجه الارض إضاءة لان المعلول يتبع العلة فشبّه ﷺ نفسه بالضوء الثاني وشبهه رسول الله ﷺ بالضوء الاول وشبهه منبع الاضواء والانوار سبحانه وجلت أسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الاول ثم الضوء الاول يوجب الضوء الثاني. وها هنا نكتة وهي أن الضوء الثاني يكون أيضاً علة لضوء ثالث وذلك أن الضوء الحاصل على وجه الارض - وهو الضوء الثاني - إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريباً منه مكان مظلم فإن ذلك المكان يصير مضيئاً بعد أن كان مظلماً وإن كان ذلك المكان المظلم باب وكان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار كان ذلك الجدار أشد إضاءة من باقى البيت ثم ذلك الجدار إن كان فيه ثقب إلى موضع آخر كان ما يحاذي ذلك البيت أشد إضاءة مما حواليه وهكذا لا تزال الاضواء يوجب بعضها بعضاً على وجه الانعكاس بطريق العلية وبشرط المقابلة ولا تزال تضعف درجة درجة إلى أن تضمحل ويعود الامر إلى الظلمة. وهكذا عالم العلوم. والحكم المأخوذة من أمير المؤمنين ﷺ لا تزال تضعف كما انتقلت من قوم إلى قوم إلى أن يعود الاسلام غريباً كما بدأ بموجب الخبر النبوي الوارد في الصحاح^(١).

خلق القرآن قبل أن يخلق آدم

وجاء في بعض الاثار : إن الله تعالى خلق بعض القرآن قبل أن يخلق آدم، وقرأه على الملائكة، فقالوا : طوبى لامة ينزل عليها هذا ! وطوبى لاجواف تحمل هذا ! وطوبى لالسنة تنطق بهذا!^(٢).

شديد عذاب جهنم

قال الاوزاعي في مواعظه للمنصور : روى لى عن رسول الله ﷺ وسلم : لو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والارض لاحرق أهل الارض قاطبة، فكيف بمن

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٨٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢٣

يتقمصه ! ولو أن ذنوباً من حميم جهنم صب على ماء الأرض كله لاجنه حتى لا يستطيع مخلوق شربه، فكيف بمن يتجرعه ! ولو أن حلقة من سلاسل النار وضعت على جبل لذاب كما يذوب الرصاص، فكيف بمن يسلك فيها، ويرد فضلها على عاتقه !

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ : (لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وأخرج إليهم رجل من النار فتنفس وأصابهم نفسه لاحرق المسجد ومن فيه)

وروى أن رسول الله ﷺ قال لجبرئيل : ما لى لأرى ميكائيل ضاحكا ! قال : إن ميكائيل لم يضحك منذ خلقت النار ورآها. وعنه ﷺ : (لما أسرى بى سمعت هدة، فسألت جبريل عنها، فقال : حجر أرسله الله من شفير جهنم، فهو يهوى منذ سبعين خريفا حتى بلغ الان فيه).

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله : (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحنون). قال : (تقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرتة).

وروى عبيد بن عمير الليثى عنه ﷺ : (لتزفون جهنم زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خر مرتعدة فرائصه، حتى إن إبراهيم الخليل، ليحث على ركبته، فيقول : يا رب إنى لأسالك إلا نفسي)^(١).

إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين

عن أبي عبيده، قال : أمر بلال بن أبي بردة وكان قاضيا، بتفريق بين رجل وامرأته، فقال الرجل : يا آل أبي موسى، إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين!^(٢).

المتخلفين عن بيعة امير المؤمنين

كان أول من بايعه طلحة. فقال قبيصة بن ذؤيب الاسدي : تخوفت ألا يتم له أمره، لأن أول يد بايعته شلاء، ثم بايعه الزبير وبايعه المسلمون بالمدينة إلا محمد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد ابن أبي وقاص، وكعب بن مالك وحسان بن

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٣٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٥٦

ثابت، وعبد الله بن سلام. فأمر بإحضار عبد الله بن عمر، فقال له : بايع، قال : لا أبايع حتى يبايع جميع الناس، فقال له ﷺ : فأعطني حميلاً ألا تبرح، قال : ولا أعطيك حميلاً، فقال الاشر : يا أمير المؤمنين ؟ إن هذا قد أمن سوطك وسيفك، فدعني أضرب عنقه، فقال : لست أريد ذلك منه على كره، خلوا سبيله، فلما انصرف قال أمير المؤمنين : لقد كان صغيراً وهو سيئ الخلق، وهو في كبره أسوأ خلقاً.

ثم أتى بسعد بن أبي وقاص، فقال له بايع، فقال : يا أبا الحسن خلني، فإذا لم يبق غيري بايعتك، فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً، فقال : صدق، خلوا سبيله.

ثم بعث إلى محمد بن مسلمة، فلما أتاه قال له : بايع، قال : إن رسول الله ﷺ أمرني إذا اختلف الناس وصاروا هكذا - وشبك بين أصابعه - أن أخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد فإذا تقطع أتيت منزلي، فكنت فيه لا أبرحه حتى تأتيني يد خاطية، أو منية قاضية. فقال له ﷺ : فانطلق إذا، فكن كما أمرت به.

ثم بعث إلى أسامة بن زيد، فلما جاء قال له : بايع، فقال : إني مولاك ولا خلاف مني عليك، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس. فأمره بالانصراف، ولم يبعث إلى أحد غيره. وقيل له : ألا تبعث إلى حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن سلام ! فقال : لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا^(١).

كيف أصبحت يا ابنه رسول الله ﷺ وسلم ؟

عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين ﷺ، قالت : لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله ﷺ الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والانصار فقلن لها : كيف أصبحت يا ابنه رسول الله ﷺ ؟ قالت : والله أصبحت عائفة لديناكم قالية لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنتهم بعد أن سبرتهم فقبحا لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأي ويشما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لاجرم ! قد قلدتهم ريقتها وشنت عليهم غارتها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين ! ويحهم ! أين زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوه ومهبط الروح الامين والطيبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران ! المبين وما الذي

نقموا من أبي حسن ! نقموا والله نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لا عتلقه ولسار إليهم سيرا سجحا لا تكلم حشاشته ولا يتعتع راكبه ولا وردداهم منهلا نميرا فضفاضا يطفح ضفتاه ولا صدرهم بطانا قد تحير بهم الرأي غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل وردعه سورة الساعب ولفتح عليهم بركات من السماء والارض وسياخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبه وأن تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أي لجأ استندوا وبأى عروة تمسكوا ! لبس المولى ولبس العشير ولبس للظالمين بدلا ! استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ويحهم ! (فمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) ! أما لعمر الله لقد لقحت فنظرة ريشما تنتج ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا وذعاقا ممقرا هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الاولون ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا واطمئنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل وأستبداد من الظالمين يدع فيثكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حسرة عليكم وأنى لكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ! والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين^(١).

عمر والكوفة

قال عمر مرة : قد اعياني اهل الكوفة ان استعملت عليهم لينا استضعفوه وان استعملت عليهم شديدا شكوه ! ولوددت اني وجدت رجلا قويا امينا استعمله عليهم. فقال له رجل : انا ادلك يا امير المؤمنين على الرجل القوى الامين قال : من هو؟ قال : عبد الله بن عمر، قال : قاتلك الله ! والله ما اردت الله بها، لاها الله ! لا استعمله عليها ولا على غيرها وانت فقم فاخرج، فمذ الان لا اسميك إلا المنافق. فقام الرجل وخرج. وكتب إلى سعد بن أبي وقاص ان شاور طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب فإن كل صانع اعلم بصنعتة، ولا تولهما من امر المسلمين شيئا^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٣٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٢

لاجردن فيكم السيف

قال علي عليه السلام لاهل الرقة : جسروا لى جسرا أعبر عليه من هذا المكان إلى الشام، فأبوا، وقد كانوا ضموا السفن إليهم، فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج، وخلف عليهم الاشر، فقال : يا أهل هذا الحصن، إني أقسم بالله إن مضى أمير المؤمنين عليه السلام ولم تجسروا له عند مدينتكم حتى يعبر منها، لاجردن فيكم السيف، فلا قتلن مقاتلكم، ولا خربن أرضكم، ولا خذن أموالكم. فلقى بعضهم بعضا، فقالوا : إن الاشر يفى بما حلف عليه، وإنما خلفه على عندنا ليأتينا بشر، فبعثوا إليه : إنا ناصبون لكم جسرا، فأقبلوا. فأرسل الاشر إلى علي عليه السلام، فجاء، ونصبوا له الجسر، فعبر الاثقال والرجال، وأمر الاشر فوقف في ثلاثة آلاف فارس، حتى لم يبق من الناس أحد الا عبر، ثم عبر آخر الناس رجلا. وازدحمت الخيل حين عبرت، فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين، فنزل فأخذها، وركب، ثم سقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج، فنزل فأخذها، ثم ركب فقال لصاحبه : فإن يك ظن الزاجري الطير صادقا كما زعموا، أقتل وشيكا وتقتل فقال عبد الله بن أبي الحصين : ما شيء أحب إلى مما ذكرت، فقتلا معا يوم صفين (١)

الرأى قبل شجاعة الشجعان

أبو الطيب :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثاني

فإذا هما اجتماعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الاقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الانسان

ولما تفاضلت النفوس ودبرت أيدي الكماة عوالي المران^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢١١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٤٣

خصوا بتدبير الآخرة

ذكر المأمون ولد علي عليه السلام، فقال : خصوا بتدبير الآخرة، وحرموا تدبير الدنيا^(١).

إن عيسى عليه السلام مر بقريّة وإذا أهلها موتى

وفي بعض الآثار إن عيسى عليه السلام مر بقريّة وإذا أهلها موتى في الطرق والافنية، فقال للتلامذة : إن هؤلاء ماتوا عن سخطة، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا، فقالوا : يا سيدنا، وددنا إنا علمنا خبرهم، فسأل الله تعالى، فقال له : إذا كان الليل فنادهم يجيبوك، فلما كان الليل اشرف على نشز ثم ناداهم، فأجابه مجيب، فقال : ما حالكم، وما قصتكم؟ فقال : بتنا في عافية، وأصبحنا في الهاوية، قال : وكيف ذلك؟ قال : لحبنا الدنيا، قال : كيف كان حبكم لها؟ قال : حب الصبي لأمه، إذا أقبلت فرح بها، وإذا أدبرت حزن عليها وبكى، قال : فما بال أصحابك لم يجيبوني؟ قال : لانهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد، قال : فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال : لاني كنت فيهم، ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أكبكب فيها؟ فقال المسيح لتلامذته : لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل وسباخ الأرض في حر الصيف، كثير مع العافية من عذاب الآخرة^(٢).

ام عمر بن الخطاب

بلغ عمر بن الخطاب أن اناسا من رواة الأشعار وحملة الآثار يعيبون الناس ويثلبونهم في أسلافهم فقام على المنبر وقال اياكم وذكر العيوب والبحث عن الأصول فلو قلت لا يخرج اليوم من هذه الأبواب الا من لا وصمة فيه لم يخرج منكم احد فقام رجل من قريش - نكره أن نذكره - فقال إذا كنت انا وانت يا امير المؤمنين نخرج فقال كذبت بل كان يقال لك يا قين بن قين اقعد.

قلت الرجل الذي قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي كان عمر يبغضه لبغضه اباه خالدا ولان المهاجر كان علوى الراى جدا وكان اخوه عبد الرحمن

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٤٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٥١

بخلافة شهد المهاجر صفين مع علي عليه السلام وشهدا عبد الرحمن مع معاوية وكان المهاجر مع علي عليه السلام في يوم الجمل وفقئت ذلك اليوم عينه ولان الكلام الذي بلغ عمر بلغه عن المهاجر وكان الوليد بن المغيرة مع جلالتة في قريش - وكونه يسمى ريحانة قريش ويسمى العدل ويسمى الوحيد - حدادا يصنع الدروع وغيرها بيده ذكر ذلك عنه عبد الله بن قتيبة في كتاب المعارف .

وروى أبو الحسن المدائني هذا الخبر في كتاب (امهات الخلفاء) وقال انه روى عند جعفر بن محمد عليه السلام بالمدينة فقال لا تلمه يا بن اخي انه اشفق أن يحدج بقضية نفيل بن عبد العزى وصهاك امه الزبير بن عبد المطلب ^(١).

اكفني هؤلاء

قد روى كثير من المحدثين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي عليه السلام حين سقط ثم أقيم يوم احد : اكفني هؤلاء - لجماعه قصدت نحوه - فحمل عليهم فهزمهم ، وقتل منهم عبد الله بن حميد من بني أسد بن عبد العزى ، ثم حملت عليه طائفة أخرى ، فقال له : اكفني هؤلاء ، فحمل عليهم فانهزموا من بين يديه ، وقتل منهم أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ^(٢).

ما بال القصار من الناس ادهى

قيل لبعض الحكماء : ما بال القصار من الناس ادهى واحذق قال : لقرب قلوبهم من ادمغتهم.

ومن شعر الحماسة :

الا يكن عظمي طويلا فانني له بالخصال الصالحات وصول
ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم تزن حسن الجسوم عقول
ومن شعر الحماسة أيضاً وهو تمام البيتين المقدم ذكرهما :
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٦٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٧

ضعاف الطير أطولها جسوما - ولم تطل البزاه ولا الصقور
بغاث الطير أكثرها فراخا - وام الصقر مقلات نزور
لقد عظم البعير بغير لب - فلم يستغن بالعظم البعير^(١).

فهلا أجزت عليه أن يطفر !

وقال بعض الأشعريين : إن سائلا سأل السكاك فقال : إذا أجزت عليه الحركة، فهلا أجزت عليه أن يطفر ! فقال : لا يجوز عليه الطفر، لأن الطفر إنما يكون فرارا من ضد، أو اتصالا بشكل. فقال له : فالحركة أيضاً كذلك ! فلم يأت بفرق. فأما القول بأنه تعالى في كل مكان، فإن المعتزلة يقولون ذلك، وتريد به أنه وإن لم يكن في مكان أصلا، فإنه عالم بما في كل مكان، ومدبر لما في كل مكان، وكأنه موجود في جميع الامكنة لاحاطته بالجميع^(٢).

في الآباء والأنف من احتمال الضيم

فمن ذلك قول عمرو بن بريقة الهمداني :

وكيف ينام الليل من جل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم
كذبتهم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
ومن يطلب المال الممنع بالقنا يعيش ماجدا أو تخترمه الخوارم
ومثله :

ومن يطلب المال الممنع بالقنا يعيش ماجدا أو يؤذ فيما يمارس
وقال حرب بن مسعر :

عظفت عليه المهر عطفة باسل كمي ومن لا يظلم الناس يظلم
فأوجرته لدن الكعوب مثقفا فخر صريعا لليدين وللقم
وقال الحارث بن الأرقم :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٣١

وما ضاق صدري يا سليمى بسخطكم ولكتنى في الحادثات صليب
 تروك لدار الخسف والضيم، منكر بصير بفعل المكرمات أريب
 إذا سامنى السلطان ذلا أبيتة ولم أعط خسفا ما أقام عسيب
 وقال العباس بن مرداس السلمى :

بأبى فوارس لا يعرى صواهلها أن يقبلوا الخسف من ملك وإن عظما
 لا والسيوف بأيدينا مجردة لا كان منا غداة الروع منهزما
 وقال وهب بن الحارث :

لا تحسبني كأقوام عبثت بهم لن يأنفوا الذل حتى تأنف الحمر
 لا تعلقني قذاة لست فاعلها واحذر شباتى فقدا ينفع الحذر
 فقد علمت بأنى غير مهتضم حتى يلوح ببطن الراحة الشعر
 وقال المسيب بن علس :

أبلغ ضبيعة أن البلاد فيها لذي قوة مغضب
 وقد يقعد القوم في دارهم إذا لم يضاموا وإن أجذبوا
 ويرتحل القوم عند الهوان عن دارهم بعد ما أخصبوا
 وقال آخر :

إن الهوان حمار القوم يعرفه والحر ينكره والرسلة الاجد
 ولا يقيم على خسف يراد به إلا الاذلان غير الحى والوتد
 هذا على الخسف مشدود برمته وذا يشج فلا يأوى له أحد
 فإن أقمتم على ضيم يراد بكم فإن رحلى له وال ومعتمد
 وفي البلاد إذا ما خفت بادرة مكروهة عن ولاة السوء مفتقد
 وقال بعض بنى أسد :

إنى امرؤ من بنى خزيمة لا أطعم خسفا لناعب نعبا
 لست بمعط ظلامه أبدا عجما ولا أتقى بها عربا

ووثقت بالدنيا وأنت ترى جماعتها شتات
 اعزمت وبك على الحياة وطولها عزما بتاتا
 يا من رأى أبويه - فيمن قد رأى - كانا فماتا
 هل فيهما لك عبرة أم خلت أن لك انفلاتا !
 ومن الذى طلب التفللت من منيته فقاتا !
 كل تصبحه المنية أو تبيته بياتا
 وله :

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذابا، كلما كثرت لديه
 تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
 إذا استغنيت عن شئ فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه
 وله :

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلمع
 أيا بانى الدنيا لغيرك تبتنى ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
 أرى المرء وثابا على كل فرصة وللمرء يوما لا محالة مصرع
 ينازل ما لا يملك الملك غيره متى تنقضي حاجات من ليس يشبع !
 وأى امرئ في غاية ليس نفسه إلى غاية أخرى سواها تطلع !
 وله :

سل الايام عن أمم تقضت ستخبرك المعالم والرسوم وإلا حساما
 يبهر العين لمحة كصاعقة في عارض قد تبسما
 قال العباس بن مرداس السلمى :

مقال امرئ يهدى إليك نصيحة إذا معشر جادوا بعرضك فابخل
 وإن بوءوك منزلا غير طائل غليظا فلا تنزل به وتحول
 ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم أتوك على قرباهم بالمثل

أراك إذا قد صرت للقوم ناضحا يقال له بالغرب أدبره وأقبل

فخذها فليست للعزير بخطه وفيها مقام لامرئ متذلل

وله أيضا :

فحارب فإن مولاك حارد نصره ففي السيف مولى نصره لا يحارد

وقال مالك بن حريم الهمداني :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم !

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وقال رشيد بن رميض العنزي :

باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم

خدلج الساقين خفاق القدم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

من يلقنى يود كما أودت إرم

وقال آخر :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما

ولما رأيت الود ليس بنافعي عمدت إلى الامر الذي كان أحزما

وقال حارثة بن بدر الغداني :

أهان وأقصى ثم ينتصحنوني ومن ذا الذي يعطى نصيحته قسرا !

رأيت أكف المصلتين عليكم ملاء وكفى من عطائكم صفرا

متى تسألوني ما على وتمنعوا الذي لى، لا أستطيع في ذلكم صبرا

وقال بعض الخوارج :

تغيرني بالحرب عرسي وما درت بأنى لها في كل ما أمرت ضد

لحا الله قوما يقعدون وعندهم سيوف ولم يعصب بأيديهم قد

وقال الاعشى :

أبالموت خشتنى عباد وإنما رأيت منايا القوم يسعى دليلها
وما موتة إن متها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها
وقال آخر:

فلا أسمعن فيكم بأمر هزيمة وضيم ولا تسمع به هامتي بعدى
فإن السنان يركب المرء حدة من الضيم، أو يعدو على الأسد الورد
ومثله :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل
وقال آخر :

كرهوا الموت فاستبيح حماهم وأقاموا فعل اللثيم الذليل
أمن الموت تهربون فإن الموت الذليل غير جميل
وقال بشامة بن الغدير :

وإن التي سامكم قومكم هم جعلوها عليكم عدولا
أخزى الحياة وكره الممات فكلا أراه طعاما وبيلا
فإن لم يكن غير إحداهما فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة كفى بالحوادث للمرء غولا
وقال هدبة بن خشرم :

وإني إذا ما الموت لم يك دونه قدى الشبر أحمى الانف أن أتأخرا
ولكننى أعطى الخفيظة حقها فأعرف معروفًا وأنكر منكرا
وقال آخر :

إني أنا المرء لا يغضى على تره ولا يقر على ضيم إذا غشما
ألقي المنية خوفا أن يقال فتى أمسى - وقد ثبت الصفان - منهزما
وقال آخر :

قوض خيامك والتمس بلدا تنأى عن الغاشيك بالظلم
 أو شد شدة يبهس فعسى أن يتقوك بصفحة السلم
 استنصر سبيع بن الخطيم التيمي من بني تيم اللات بن ثعلبة زيد الفوارس الضبي
 فنصره، فقال :

نبهت زيدا فلم أفزع إلى وكل رث السلاح ولا في الحى مغمور
 سألت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير
 قال الحسين بن الحمام :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما
 تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 نفلق هاما من رجال أعزة علينا، وهم كانوا أعق وأظلما
 أبى لابن سلمى أنه غير خالد ملاقي المنايا أي صرف تيمما
 وقال الطرماح بن حكيم :

وما منعت دار ولا عز أهلها من الناس إلا بالقنا والقنابل
 وقال آخر :

وإن التى حدثها في أنوفنا وأعناقنا من الاباء كما هيا
 وقال آخر :

فإن تكن الايام فينا تبدلت بيؤسى ونعمى والحوادث تفعل
 فما لينت منا قناة صليية ولا ذللتنا للتى ليس تجمل
 ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل ما لا يستطاع فتحمل
 وقال آخر :

إذا جانب أعيالك فاعمد لجانب فإنك لاق في البلاد معولا
 وقال أبوالنشاش :

إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح سواما ولم تعطف عليه أقاربه

فللموت خير للفتى من قعوده عديما ومن مولى تدب عقاربه
ولم أر مثل الهم ضاجعه الفتى ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعض معدما أومت كريما فإننى أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه
وقال يحيى بن منصور الحنفي :

ولما نأت عنا العشيرة كلها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كريمة ولا نحن أغضينا الجفون على وتر^(١)

اثال وابنه في المعركة

نادى الاشر في صفين يوما أصحابه، فقال : أما من رجل يشرى نفسه لله ! فخرج
أثال بن حجل بن عامر المدحجي فنادى بين العسكرين : هل من مبارز؟ فدعا معاوية -
وهو لا يعرفه - أباه حجل بن عامر المدحجي، فقال : دونك الرجل - قال : وكانا
مستبصرين في رأيهما - فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه، فبدره بطعنة وطعنه الغلام،
وانتسبا فإذا هو ابنه، فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، ويكيا. فقال له الاب : يا بني
هلم إلى الدنيا. فقال له الغلام : يا أبي هلم إلى الآخرة. ثم قال : يا أبت والله لو كان من
رأى الانصراف إلى أهل الشام لوجب عليك أن يكون من رأيك لى أن تنهاني، وأسوأته
! فماذا أقول لعلى وللمؤمنين الصالحين ! كن على ما أنت عليه، وأنا على ما أنا عليه.
فانصرف حجل إلى صف الشام، وانصرف ابنه أثال إلى أهل العراق، فخبى كل واحد
منهما أصحابه، وقال في ذلك حجل :

إن حجل بن عامر وأثالا أصبحا يضربان في الامثال
أقبل الفارس المدجج في النقع أثال يدعو يريد نزالي
دون أهل العراق يخطر كالفضل على ظهر هيكل ذبال
فدعاني له ابن هند وما زال قليلا في صحبه أمثالي
فتناولته ببادرة الرمح وأهوى بأسمر عسال
فاطعنا وذاك من حدث الدهر عظيم، فتى بشيخ بجال

شاجرا بالقناة صندز أبيه وعزيز علي طعن أثال
لا أبالي حين اعترضت أثالا وأثال كذاك ليس يبالي
فافترقنا على السلامة، والنفس يقيها مؤخر الأجال
لا يراني على الهدى وأراه من هداى على سبيل ضلال
فلما انتهى شعره إلى أهل العراق، قال أثال ابنه مجيبا له:

إن طعنى وسط العجاجة حجلا لم يكن في الذى نويت عقوقا
كنت أرجو به الثواب من الله وكوني مع النبي رفيقا
لم أزل أنصر العراق على الشا م أرانى بفعل ذاك حقيقا
قال أهل العراق إذ عظم الخطب ونق المبارزون نقيقا
من فتى يسلك الطريق إلى الله، فكنت الذى سلكت الطريقا

حاسر الرأس لا أريد سوى الموم ت أرى الأعظم الجليل دقيقا
فإذا فارس تقحم في الرو ع خدبا مثل السحوق عتيقا
فبداني حجل ببادرة الطعن وما كنت قبلها مسبوقا

فتلقيته بعالية الرمح كلانا يطاول العيوقا
أحمد الله ذا الجلالة والقد رة حمدا يزيدنى توفيقا
إذ كفتت السان عنه ولم أد ن قتيلا منه ولا ثغروقا
قلت للشيخ لست أكفر نعمما ك لطيف الغذاء والتفنيقا
غير أنى اخاف أن تدخل الننا ر، فلا تعصنى وكن لى رفيقا
وكذا قال لى فغرب تغريبا، وشرقت راجعا تشريقا^(١).

أتبعنا القرخ بالقرخ

وقال لى علوى في الحلته يعرف بعلى بن مهنا ذكى ذو فضائل ما تظن قصد أبى بكر
وعمر بمنع فاطمة فدك؟ قلت: ما قصدا قال: أرادا ألا يظهرها لعلى - وقد اغتصباه
الخلافة - رقه ولينا وخذلانا ولا يرى عندهما خورا فأتبعنا القرخ بالقرخ^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٨٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٣٦

قصة القصيدة الجلبية

كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو على مصر، قد قبضها بالشرط الذي اشترط على معاوية : (أما بعد، فإن سؤال أهل الحجاز وزوار أهل العراق كثروا علي، وليس عندي فضل عن أعطيات الحجاز، فأعني بخراج مصر هذه السنة). فكتب عمرو إليه : معاوي إن تدركك نفس شحيحة فما مصر إلا كالهباءة في التراب وما نلتها عفوا ولكن شرطتها وقد دارت الحرب العوان على قطب ولولا دفاعي الأشعري ورهطه لالفيتها ترغو كراغية السقب. ثم كتب في ظاهر الكتاب ورأيت أنا هذه الأبيات بخط أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي رحمه الله

معاوي حظي لا تغفل وعن سنن الحق لا تعدل

أتسى مخادعتي الأشعري وما كان في دومة الجندل؟

ألين فيطمع في غرتي وسهمي قد خاض في المقتل

فألمظه عسلا باردا وأخبا من تحته حظلي

وأعليته المنبر المشمخر كرجع الحسام إلى المفصل

فأضحى لصاحبه خالعا كخلع النعال من الأرجل

وأثبتها فيك موروثه ثبوت الخواتم في الانمل

وهبت لغيري وزن الجبال وأعطيتني زنة الخردل

وإن عليا غدا خصمنا سيحتج بالله والمرسل

وما دم عثمان منج لنا فليس عن الحق من مزحل

فلما بلغ الجواب إلى معاوية لم يعاوده في شئ من أمر مصر بعدها^(١).

إن لله جنودا من عسل

لما انتهى عامر بن إسماعيل - وكان صالح بن علي قد أنفذه لطلب مروان - إلى بوضير مصر، هرب مروان بين يديه في نفر يسير من أهله وأصحابه، ولم يكن قد تخلف معه كثير عدد، فانتهاوا في غبش الصبح إلى قنطرة هناك على نهر عميق، ليس للخيل عبور

إلا على تلك القنطرة، وعامر بن إسماعيل من ورائهم، فصادف مروان على تلك القنطرة بغالا قد استقبلته، تعبر القنطرة وعليها زقاق غسل، فحبسته عن العبور حتى أدركه عامر بن إسماعيل ورهقه، فلوى مروان دابته إليهم وحارب فقتل، فلما بلغ صالح بن علي ذلك، قال: إن لله جنودا من غسل^(١).

وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني

عن زيد بن وهب، أن علياً عليه السلام مر على جماعة من أهل الشام بصفين، منهم الوليد بن عقبة، وهم يشتمونه ويقصبونه، فأخبر بذلك، فوقف على ناس من أصحابه وقال: انهدوا إليهم، وعليكم السكينة والوقار وسيما الصالحين، أقرب بقوم من الجهل، قائدهم ومؤدبهم معاوية، وابن النابغة وأبو الأعور السلمي، وابن أبي معيط شارب الحرام، والمحدود في الإسلام! وهم أولاء، يقصبونني ويشتمونني، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، فالحمد لله، ولا إله إلا الله، لقد فيما ما عاداني الفاسقون، إن هذا لهو الخطب الجلل، إن فساقا كانوا عندنا غير مرضيين، وعلى الإسلام وأهله متخوفين، أصبحوا وقد خدعوا شطر هذه الأمة، واشربوا في قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالالفك والبهتان، ونصبوا لنا الحرب، وجدوا في إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون. اللهم فانهم قد ردوا الحق فافضض جمعهم، وشتت كلمتهم، وأبلسهم بخطاياهم، فإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت^(٢).

أتهمك وأتهم كاتبى

في رواية أن أمير المؤمنين عليه السلام لما واقف عثمان على كتابه على أهل مصر، قال عثمان: أما الخط فخط كاتبى، وأما الخاتم فعلى خاتمي، قال: فمن تتهم؟ قال: أتهمك وأتهم كاتبى، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام مغضبا، وهو يقول: بل بأمرك، ولزم داره، وبعد عن توسط أمره، حتى جرى عليه ما جرى.

وأعجب الأمور قوله لأمير المؤمنين عليه السلام: (إنى أتهمك) وتظاهره بذلك وتلقيه إياه

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٦٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٥٤

في وجهه بهذا القول، مع بعده من التهمة والظنة في كل شيء، وفي أمره خاصة، فإن القوم في الدفعة الاولى أرادوا أن يعجلوا له ما أخبروه، حتى قام أمير المؤمنين عليه السلام بأمره وتوسطه وأصلحه، وأشار عليه بأن يقاربهم ويعينهم، حتى انصرفوا عنه، وهذا فعل النصيح المشفق الحذب المتحنن، ولو كان عليه السلام - وحوشى من ذلك - متهما عليه لما كان للتهمة عليه مجال في أمر الكتاب خاصة، لان الكتاب بخط عدوه مروان، وفي يد غلام عثمان، ومحمول على بغيره، ومختوم بخاتمه، فأى ظن تعلق بأمر المؤمنين عليهم السلام في هذا المكان، لو لا العداوة وقلة الشكر للنعمة! ^(١).

فرار هبيرة بن أبى وهب وعبد الله بن الزبيرى يوم الفتح

هرب هبيرة بن أبى وهب وعبد الله بن الزبيرى جميعا حتى انتهيا إلى نجران فلم يأمنوا الخوف حتى دخلا حصن نجران، فقيل: ما شأنكما قالا: أما قريش فقد قتلت ودخل محمد مكة، ونحن والله نرى أن محمدا سائر إلى حصنكم هذا، فجعلت بلحارث بن كعب يصلحون ما رث من حصنهم، وجمعوا ماشيتهم، فأرسل حسان بن ثابت إلى ابن الزبيرى:

لا تعدمن رجلا أحلك بغضه نجران في عيش أجد ذميم
بليت قناتك في الحروب فألفيت جوفاء ذات معايب ووصوم
غضب الاله على الزبيرى وابنه بعذاب سوء في الحياة مقيم

فلما جاء ابن الزبيرى شعر حسان تهيأ للخروج، فقال هبيرة بن وهب: أين تريد يا بن؟ عم قال له: أريد والله محمدا، قال: أتريد أن تتبعه؟ قال أي والله، قال هبيرة: يا ليت أنى كنت رافقت غيرك، والله ما ظننت أنك تتبع محمدا أبدا، قال ابن الزبيرى: هو ذاك، فعلى أي شئ أقيم مع بنى الحارث بن كعب وأترك ابن عمى وخير الناس وأبرهم، وبين قومي ودارى! فانحدر ابن الزبيرى حتى جاء رسول الله (صلى الله عليه واله) وهو جالس في أصحابه، فلما نظر إليه قال: هذا ابن الزبيرى ومعه وجه فيه نور الاسلام، فلما وقف على رسول الله ﷺ قال: السلام عليك يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنت عبده ورسوله، والحمد لله الذى هداني للاسلام، لقد عاديتك وأجلبت

عليك، وركبت الفرس والبعير، ومشيت على قدمي في عداوتك، ثم هربت منك إلى نجران، وأنا أريد ألا أقرب الإسلام أبداً، ثم أرادني الله منه بخير، فألقاه في قلبي، وحببه إلي، وذكرت ما كنت فيه من الضلال واتباع ما لا ينفع ذا عقل من حجر يعبد، ويذبح له لا يدرى من عبده ومن لا يعبد، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هدانا لهذا، إن الإسلام يجب ما كان قبله. وأقام هبيرة بنجران، وأسلمت أم هاني، فقال هبيرة حين بلغه إسلامها يوم الفتح يؤنبها شعرا من جملته:

وإن كنت قد تابعت دين محمد وقطعت الأرحام منك حبالها
فكوني على أعلى سحوق بهضبة مللمه غبراء يبس بلالها
فأقام بنجران حتى مات مشركاً^(١).

اسارى بدر

كان الاسارى الذين احصوا وعرفوا تسعة وأربعين، ولم نجد التفصيل يلحق هذه الجملة. وروى الواقدي عن سعيد بن المسيب، قال: كانت الاسارى سبعين، وأن القتلى كانت زيادة على سبعين إلا أن المعروفين من الاسرى هم الذين ذكرناهم، والباقون لم يذكر المؤرخون اسماءهم^(٢).

وأس بينهم في اللحظة

قد اخذ الشاعر معنى قوله: وأس بينهم في اللحظة والنظرة:
اقسم اللحظ بيننا ان في اللحظ لعنوان ما تجن الصدو
إنما البر روضة فإذا ما كان بشر فروضه وغدير^(٣).

فاعتزم بالشدة

قوله ﷺ فاعتزم بالشدة أي إذا جد بك الحد فدع اللين، فان في حال الشدة لا تغنى إلا الشدة، قال الفند الزمانى:

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٠٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٣

ولم يبق سوى العبدوان دناهم كما دانوا (١).

آخر شعر عبد الملك بن مروان

قال عبد الملك بن مروان فقال لبيه وقد جمعوا عنده يوم موته :

انفوا الضغائن بينكم وعليكم عند المغيب وفي حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول حياتكم إن مد في عمري وإن لم يمدد
إن القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو بطش شديد أيد
عزت فلم تكسر، وإن هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد (٢).

في حقوق الجار

قال رسول الله ﷺ : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه

وفي الحديث أنه ﷺ : قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره

وعنه ﷺ جار السوء في دار المقامة قاصمه الظهر

وعنه ﷺ : من جهد البلاء جار سوء معك في دار مقامه إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها وأفشاها.

ومن أدعيتهم : اللهم إني أعوذ بك من مال يكون على فتنة، ومن ولد يكون على كلا، ومن حليله تقرب الشيب، ومن جار تراني عيناه وترعاني أذناه، إن رأى خيراً دفنه، وإن سمع شراً طار به.

ابن مسعود يرفعه : والذي نفسي بيده لا يسلم العبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ويأمن جاره بوائقه، قالوا : ما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه.

لقمان : يا بني، حملت الحجارة والحديد فلم أر شيئاً أثقل من جار السوء.

وانشدوا :

ألا من يشتري داراً برخصه فغراهه بعض جيرتها تباع

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٧

وقال الاصمعي : جاور أهل الشام الروم فأخذوا عنهم خصلتين : اللزوم وقلة الغيرة وجاور أهل البصرة الخزر، فأخذوا عنهم خصلتين الزنا وقله الوفاء وجاور أهل الكوفة السواد، فأخذوا عنهم خصلتين : السخاء والغيرة.

وكان يقال من تطاول على جاره، حرم بركة داره. وكان يقال من آذى جاره ورثه الله داره. باع أبو الجهم العدوى داره، وقال مسكين الدارمي :

ما ضر جاراً لي أجاوره ألا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما إذا جارتني خرجت حتى يوارى جارتني الخد
ر نارى ونار الجار واحده وإليه قبلى ينزل القدر.

استعرض أبو مسلم صاحب الدولة فرسا محضيرا، فقال لاصحابه : لماذا يصلح هذا؟ فذكروا سباق الخيل، وصيد الحمر والنعام واتباع الفار من الحرب فقال : لم تصنعوا شيئا يصلح للفرار من الجار السوء.

سئل سليمان على بن خالد بن صفوان عن ابنه : محمد وسليمان - وكانا جاريه - فقال : كيف إحمادك جوارهما؟ فتمثل بقول يزيد بن مفرغ الحميري :

سقى الله دارا لي وأرضا تركتها إلى جنب دارى معقل بن يسار
أبو مالك جار لها وابن مرثد فيالك جارى ذله وصغار!

وفي الحديث المرفوع أيضاً من روايه جابر : الجيران ثلاثة فجار له حق، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فصاحب الحق الواحد جار مشرك لا رحم له، فحقه حق الجوار وصاحب الحقيقين جار مسلم لا رحم له، وصاحب الثلاثة جار مسلم ذو رحم، وأدنى حق الجوار ألا تؤذى جارك بقتار قدرك، إلا أن تقتدح له منها. قلت : تقتدح تغترف، والمقدحة المغرفة.

وكان يقال : الجيران خمسة : الجار الضار السئ الجوار، والجار الدمس الحسن الجوار، والجار اليربوعي المنافق، والجار البراقشي المتلون في أفعاله، والجار الحسدلى الذى عينه تراك وقلبه يرعاك.

كان رسول الله ﷺ يقول اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن دار البادية تتحول^(١).

نحن ضربنا أبا حسن

وأخرج ابن ملجم من بين يدي امير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

نحن ضربنا يابنة الخير إذ طغى أبا حسن مأمومة فتفطرا
ونحن حللنا ملكه من نظامه بضربة سيف إذ علا ونجبرا
ونحن كرام في الصباح أعزة إذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا^(١).

نكتة لطيفة

ذكر امير المؤمنين عليه السلام نكتة لطيفة، فقال: العادة أن الرعية تخاف ظلم الوالى، وأنا أخاف ظلم رعيتي، ومن تأمل أحواله عليه السلام في خلافته، علم أنه كان كالمحجور عليه، لا يتمكن من بلوغ ما في نفسه، وذلك لان العارفين بحقيقة حاله كانوا قليلين، وكان السواد الاعظم، لا يعتقدون فيه الامر الذى يجب اعتقاده فيه، ويرون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه، ويظنون أن الافضلية إنما هي الخلافة، ويقلد أخلافهم أسلافهم، ويقولون: لو لا أن الاوائل علموا فضل المتقدمين عليه لما قدموهم، ولا يرونه إلا بعين التبعية لمن سبقه، وأنه كان رعية لهم، وأكثرهم إنما يحارب معه بالحمية، وبنخوة العربية لا بالدين والعقيدة، وكان عليه السلام مدفوعا إلى مداراتهم ومقاربتهم، ولم يكن قادرا على إظهار ما عنده، ألا ترى إلى كتابه إلى قضاته في الامصار. ! وقوله: " فاقضوا كما كنتم تقضون، حتى تكون للناس جماعة، وأموت كما مات أصحابي "، وهذا الكلام لا يحتاج إلى تفسير، ومعناه واضح، وهو أنه قال لهم: اتبعوا عادتكم الآن بعاجل الحال في الاحكام والقضايا التى كنتم تقضون بها إلى أن يكون للناس جماعة، أي إلى أن تسفر هذه الامور والخطوب عن الاجتماع وزوال الفرقة، وسكون الفتنة، وحينئذ أعرفكم ما عندي في هذه القضايا والاحكام التى قد استمررتم عليها. ثم قال: " أو أموت كما مات أصحابي "، فمن قائل يقول: عنى بأصحابه الخلفاء المتقدمين، ومن قائل يقول: عنى بأصحابه شيعة كسلمان وأبى ذر والمقداد وعمار ونحوهم، ألا ترى إلى قوله على المنبر في أمهات الاولاد: " كان رأبى ورأى عمر ألا يبعن، وأنا أرى الآن يبعهن، فقام عليه

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١١٩

عبدة السلماني فقال له : رأيك مع الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك، فما أعاد عليه حرفاً، فهل يدل هذا على القوة والقهر، أم على الضعف في السلطان والرخاوة ! وهل كانت المصلحة والحكمة تقتضي في ذلك الوقت غير السكوت والامساك ! ألا ترى أنه كان يقرأ في صلاة الصبح وخلفه جماعة من أصحابه، فقرأ واحد منهم رافعا صوته، معارضا قراءة أمير المؤمنين عليه السلام : (إن الحكم إلا لله يقضى بالحق وهو خير الفاصلين). فلم يضطرب عليه السلام، ولم يقطع صلاته ولم يلتفت وراءه، ولكنه قرأ معارضا له على البديهة : (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون). وهذا صبر عظيم وأناة عجيبة وتوفيق بين، وبهذا ونحوه استدل أصحابنا المتكلمون على حسن سياسته وصحة تدبيره، لأن من منى بهذه الرعية المختلفة الاهواء، وهذا الجيش العاصي له، المتمرد عليه، ثم كسر بهم الأعداء، وقتل بهم الرؤساء، فليس يبلغ أحد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه، ولا يقدر أحد قدره، وقد قال بعض المتكلمين من أصحابنا : إن سياسة علي عليه السلام إذا تأملها المنصف متديرا لها بالاضافة إلى أحواله التي دفع إليها مع أصحابه، جرت مجرى المعجزات، لصعوبة الامر وتعذره، فإن أصحابه كانوا فرقتين : إحداهما تذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما وتتولاه وتبرأ من أعدائه، والآخرى - وهم جمهور أصحاب الحرب وأهل الغناء والبأس - يعتقدون أن عثمان قتل لاحداث أوجبت عليه القتل، وقد كان منهم من يصرح بتكفيره، وكل من هاتين الفرقتين يزعم أن عليا عليه السلام موافق لها على رأيها، وتطالبه في كل وقت بأن يبدي مذهبه في عثمان، وتسأله أن يجيب بجواب واضح في أمره، وكان عليه السلام، يعلم أنه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأخرى، وأسلمته وتولت عنه وخذلتها، فأخذ عليه السلام يعتمد في جوابه ويستعمل في كلامه ما يظن به كل واحدة من الفرقتين أنه يوافق رأيها ويمائل اعتقادها، فتارة يقول : الله قتله وأنا معه، وتذهب الطائفة الموالية لعثمان إلى أنه أراد أن الله أماته وسميتني كما أماته، وتذهب الطائفة الأخرى إلى أنه أراد أنه قتل عثمان مع قتل الله له أيضاً، وكذلك قوله تارة أخرى : " ما أمرت به ولا نهيت عنه "، وقوله : " لو أمرت به لكنت قاتلا، ولو نهيت عنه لكنت ناصرا "، وأشياء من هذا الجنس مذكورة مروية عنه، فليزل على هذه الوتيره حتى قبض عليه السلام، وكل من الطائفتين موالية له معتقدة أن رأيها في عثمان كرايها، فلو لم يكن له من السياسة إلا هذا القدر - مع كثرة خوض الناس حينئذ في أمر عثمان والحاجة إلى ذكره في كل مقام - لكفاه في الدلالة على أنه أعرف الناس بها، وأحذقهم فيها،

وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام، وتدير أحوال الرجال^(١) من غير أن يفتقدوا

اقوال المشبهة

إن مذهب جمهور المتكلمين نفى التشبيه، وهذا القول يتنوع أنواعا : النوع الأول : نفى كونه تعالى جسما مركبا، أو جوهرًا فردا غير مركب، والمراد بالجوهر هاهنا الجرم والحجم. وهو قول المعتزلة، وأكثر محققي المتكلمين من سائر الفرق، وإليه ذهب الفلاسفة أيضا.

وقال قوم من مستضعفي المتكلمين خلاف ذلك،

حكى عن علي بن ميثم أنه كان يقول بالصورة والجسم.

وحكى عن مقاتل بن سليمان، وداود الجواربي، ونعيم بن حماد المصري، أنه في صورة الانسان، وأنه لحم ودم، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين، وهو مع ذلك لا يشبه غيره، ولا يشبهه غيره،

واقفهم على ذلك جماعة من العامة ومن لا نظر له.

وحكى عن داود الجواربي أنه قال : اعفوني من الفرج واللحية وسلوني عما وراء

ذلك

وحكى عنه أنه قال : هو أجوف من فيه إلى صدره، وما سوى ذلك مصمت.

وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجواليقي كان يقول : إن له وفرة سوداء.

وذهب جماعة من هؤلاء إلى القول بالمؤانسة والخلوة والمجالسة والمحادثة.

وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى : (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)، فقال :

يقعد معه على سريريه ويغلفه بيده.

وقال بعضهم : سألت معاذا العنبري، فقلت : أله وجه؟ فقال : نعم، حتى عددت

جميع الاعضاء من أنف وفم وصدر وبطن، واستحييت أن أذكر الفرج، فأومأت بيدي إلى

فرجى، فقال : نعم، فقلت أذكر أم أنثى؟ فقال : ذكر.

ويقال : إن ابن خزيمة أشكل عليه القول في أنه : أذكر أم أنثى، فقال له بعض

أصحابه : إن هذا مذكور في القرآن، وهو قوله تعالى : (وليس الذكر كالانثى)، فقال : أفدت وأجدت، وأودعه كتابه.

ودخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد، وبين يديه لحم في طبيخ سكباج، فسأله عن البارئ تعالى في جملة ما سأله، فقال : هو والله مثل هذا الذي بين يدي، لحم دم.

وشهد بعض المعتزلة عند معاذ بن معاذ، فقال له : لقد هممت أن أسقطك، لو لا أنى سمعتك تلعن حماد بن سلمة، فقال : أما حماد فلم ألعنه، ولكني ألعن من يقول : إنه سبحانه ينزل لياة عرفة من السماء إلى الارض على جمل أحمر في هودج من ذهب، فإن كان حماد يروي هذا أو يقوله فعليه لعنة الله. فقال : أخرجوه، فأخرج

وقال بعضهم : خرجنا يوم عيد إلى المصلى، فإذا جماعة بين يدي أمير، والطبول تضرب والاعلام تخفق فقال واحد من خلفنا : اللهم لا طبل إلا طبلك ! فقل له : لا تقل هكذا، فليس لله تعالى طبل، فبكى، وقال : رأيتم هو يجئ وحده ولا يضرب بين يديه طبل، ولا ينصب على رأسه علم، فإذن هو دون الامير !

وروى بعضهم أنه تعالى أجرى خيلا، فخلق نفسه من مثلها.

وروى قوم منهم أنه نظر في المرآة فرأى صورة نفسه، فخلق آدم عليها.

وروا أنه يضحك حتى تبدو نواجذه.

وروا أنه أمرد جعد قطط، في رجليه نعلان من ذهب، وأنه في روضة خضراء على كرسى تحمله الملائكة.

وروا أنه يضع رجلا على رجل، ويستلقى فإنها جلسة الرب.

وروا أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة، وأنه يتصور بصورة آدم، ويحاسب الناس في القيامة، وله حجاب من الملائكة يحجبونه

وروا عن النبي ﷺ أنه قال : (رأيت ربي في أحسن صورة، فسألته عما يختلف فيه الملاء الاعلى، فوضع يده بين كتفي، فوجدت بردها، فعلمت ما اختلفوا فيه)

وروا أنه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان، وأنه جالس على العرش قد فضل منه أربع أصابع من كل جانب. وأنه يأتي الناس يوم القيامة، فيقول : أنا ربكم، فيقولون : نعوذ بالله منك، فيقول لهم : أفتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون : بيننا وبينه علامة، فيكشف

لهم عن ساقه، وقد تحول في الصورة التي يعرفونها، فيخرون له سجداً. ورووا أنه يأتي في غمام، فوقه هواء، وتحتة هواء. وذهب بعض متكلمي المجسمة إلى أن الباري تعالى مركب من أعضاء على حروف المعجم.

وقال بعضهم : إنه ينزل على حمار في صورة غلام أمرد، في رجليه نعلان من ذهب، وعلى وجهه فراش من ذهب يتطاير.

وقال بعضهم : إنه في صورة غلام أمرد صبيح الوجه، عليه كساء أسود، ملتحف به. وسمعت أنا في عصرى هذا من قال في قوله تعالى : (وترى الملائكة حافين من حول العرش) : إنهم قيام على رأسه بسيوفهم وأسلحتهم، فقال له آخر على سبيل التهكم به : يحرسونه من المعتزلة أن يفتكوا به ! فغضب وقال : هذا إلحاد.

وروا أن النار تزفر وتتغيظ تغيظاً شديداً، فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها، فتقول : قط قط، أي حسبي حسبي. ويرفعون هذا الخبر مسنداً.

وقد ذكر شبيهه به في الصحاح. وروى في الكتب الصحاح أيضاً : (أن الله خلق آدم على صورته)،

وقيل : إن في التوراة نحو ذلك في السفر الاول. واعلم أن أهل التوحيد يتأولون ما يحتمل التأويل من هذه الروايات على وجوه محتملة غير مستبعدة، وما لا يحتمل التأويل منها يقطعون ببطلانه، وبأنه موضوع^(١).

النهى عن ذكر عيوب الناس

عاب رجل رجلاً عند بعض الاشراف فقال له : لقد استدلت على كثرة عيوبك بما تكثر فيه من عيوب الناس، لان طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها. وقال الشاعر :

وأجراً من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال أولو العيوب.
وقال آخر :

يا من يعيب وعيبه متشعب كم فيك من عيب وأنت تعيب !
 وفي الخبر المرفوع : دعوا الناس بغفلاتهم يعيش بعضهم مع بعض.
 قال ابن عباس ، الحدث حدثان : حدث من فيك ، وحدث من فرجك
 وعاب رجل رجلا عند قتيبه بن مسلم فقال له قتيبه : أمسك ويحك ! فقد تلمظت
 بمضغة طالما لفظها الكرام.

ومر رجل بجارين له ومعه ريبة فقال أحدهما لصاحبه : أفهمت ما معه من الريبة ؟
 قال : وما معه ؟ قال : كذا ، قال عبيد حر لوجه الله شكرا له تعالى إذ لم يعرفني من
 الشر ما عرفك.

وقال الفضيل بن عياض : إن الفاحشه لتشيع في كثير من المسلمين حتى إذا صارت
 إلى الصالحين كانوا لها خزانا.

وقيل لبزرجمهر : هل من أحد لا عيب فيه ؟ فقال : الذي لا عيب فيه لا يموت.
 وقال الشاعر :

ولست بذى نيرب في الرجال مناع خير وسبابها
 ولا من إذا كان في جانب أضاع العشيرة واغتابها
 ولكن أطاوع ساداتها ولا أتعلم ألقابها
 وقال آخر :

لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويكا
 واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا.
 وقال آخر :

ابداً بنفسك فانهما عن عيبها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
 فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى بالقول منك ويقبل التعليم^(١)

لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعانا

روى أهل الحديث أن أم هانئ كانت يوم الفتح في بيتها، فدخل عليها هبيرة ابن أبي وهب بعلمها، ورجل من بنى عمه ! هاربين من على عليه السلام، وهو يتبعهما ويده السيف، فقامت أم هانئ في وجهه دونهما، وقالت : ما تريد منهما، ولم تكن رأت من ثمانى سنين، فدفعت في صدرها، فلم تزل عن موضعها، وقالت : أتدخل يا على بيتي، وتهتك حرمتي، وتقتل بعلى، ولا تستحيى منى بعد ثمانى سنين ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دمهما، فلا بد أن أقتلهما. فقبضت على يده التي فيها السيف، فدخلتا بيتا ثم خرجا منه إلى غيره، ففاته، وجاءت أم هانئ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبها، فوقفت حتى أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى، ثم انصرف، فقال : مرحبا وأهلا بأم هانئ ! ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر بعلمها وابن عمه، ودخول على عليه السلام بيتها بالسيف. فجاء على عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال له : ما صنعت بأم هانئ ؟ فقال : سلها يا رسول الله ما صنعت بي ! والذي بعثك بالحق لقد قبضت على يدي وفيها السيف، فما استطعت أن أخلصها إلا بعد لاي، وفاتني الرجلان. فقال صلى الله عليه وسلم : لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعانا، قد أجرنا من أجارت أم هانئ، وأما من أمنت، فلا سبيل لك عليهما^(١).

يالهدم، قبح الله أخسرننا

كان مكاتب لبنى منقر التميميين، كان قد ظلع بمكاتبته، فأتى قبر غالب بن صعصعة، فاستجار به، وأخذ منه حصيات فشدهن في عمامته، ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره، وقال : إني قد قلت شعرا، قال : هاته، فأنشده :

بقبر ابن ليلى غالب عدت بعد ما خشيت الردى

أو أن أرد على قسر بقبر امرئ يقرى المثين عظامه ولم يك إلا غالبا ميت يقرى

فقال لى استقدم أمامك إنما فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر. فقال : ما اسمك ؟ فقال : لهدم، قال : يالهدم حكمتك مسمطا، قال : ناقة كوماء سوداء الحدقة، قال : يا جارية اطرحي لنا حبلا، ثم قال : يالهدم اخرج بنا إلى المربد فألقه في عنتق ما شئت من

إبل الناس، فتخير لهزم على عينه ناقة، ورمى بالحبل في عنقها، وجاء صاحبها، فقال له الفرزدق: اغد على أوفك ثمنها، فجعل لهزم يقودها، والفرزدق يسوقها، حتى أخرجها من البيوت إلى الصحراء، فصاح به الفرزدق: يالهدم، قبح الله أخسرنا! (١).

أتدرى ما تقول هذه الشجرات؟

قال النعمان بن المنذر، ومعه عدى بن زيد، في ظل شجرات مونقات يشرب فقال عدى: أبيت اللعن! وأراد أن يعظه: أتدرى ما تقول هذه الشجرات؟ قال: ما تقول؟ قال:

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال
فتنغص النعمان يومه ذلك (٢).

المتكلمين لا يتادبون بادب امير المؤمنين تراج

فان قلت فما بال المتكلمين لا يتادبون بادبه ﷺ وكيف يطلقون عليه تعالى الرجوب والاستحقاق.

قلت ليست وظيفة المتكلمين وظيفه امير المؤمنين ﷺ في عباراتهم هؤلاء ارباب صناعة وعلم يحتاج إلى الفاظ واصطلاح لا بد لهم من استعماله للافهام والجدل بينهم وامير المؤمنين امام يخطب على منبره يخاطب عربا ورعية ليسوا من اهل النظر ولا مخاطبة لهم لتعليم هذا العلم بل لاستفادهم إلى حرب عدوه فوجب عليه بمقتضى الادب أن يتوقى كل لفظة توهم ما يستهجنه السامع في الامور الالهية وفي غيرها (٣).

لنفسه نظر

أرسل على ﷺ إلى الاشر، فقال: يا مال، إن زيادا وشريحا أرسلنا إلى يعلماننى أنهما لقيا أبا الاعور السلمى في جند من أهل الشام بسور الروم، ونبأني الرسول أنه

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٨٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٨٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٨٩

تركهم متواقفين، فالنجاء النجاء إلى أصحابك، فإذا أتيتهم فأنت عليهم، وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدءوك، والقهم واسمع منهم، ولا يجرمنك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم مرة بعد مرة، واجعل على ميمتك زيادا، وعلى ميسرتك شريحا، وقف من أصحابك وسطا، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تتباعد عنهم تباعد من يهاب الناس، حتى أقدم عليك، فإني حثيث السير إليك إن شاء الله. قال: وكتب على ﷺ إليهما - وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفي - : أما بعد فإني قد أمرت عليكما مالكا، فاسمعا له وأطيعا أمره، وهو ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه، ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل، وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما، ألا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم، ويعذر إليهم إن شاء الله. قال: فخرج الاشتهر حتى قدم على القوم، فاتبع ما أمره به على ﷺ، وكف عن القتال، فلم يزالوا متواقفين، حتى إذا كان عند المساء، حمل عليهم أبو الأعور فثبتوا له واضطربوا ساعة. ثم إن أهل الشام انصرفوا، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عدتها وعددها، فخرج إليهم أبو الأعور السلمى، فاقتتلوا يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، وصبر بعضهم لبعض، ثم انصرفوا. وبكر عليهم الاشتهر، فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر التنوخي، قتله ظبيان بن عمارة التميمي، وما هو يومئذ إلا فتى حديث السن. وإن كان الشامي لفارس أهل الشام، وأخذ الاشتهر يقول: ويحكم أروني أبا الأعور! ثم إن أبا الأعور دعا الناس، فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة، وجاء الاشتهر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور أول مرة، فقال الاشتهر لسنان بن مالك النخعي. انطلق إلى أبو الأعور، فادعه إلى المبارزة، فقال: إلى مبارزتي أم إلى مبارزتك؟ فقال: أولو أمرتك بمبارزته فعلت؟ قال: نعم، والذي لا إله إلا هو، لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي لفعلت حتى أضربه بالسيف. فقال: يا بن أخي، أطال الله بقاءك! قد والله ازددت. فيك رغبة، لا ما أمرتك بمبارزته، إنما أمرتك أن تدعوه لمبارزاتي، فإنه لا يبارز - إن كان ذلك من شأنه - إلا ذوى الاسنان والكفاءة والشرف، وأنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف، ولكنك حديث السن، وليس يبارز الاحداث، فاذهب فادعه إلى مبارزتي. فأتاهم فقال: أنا رسول فأمونني، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور. قال: فقلت له: إن الاشتهر يدعوك إلى المبارزة، قال: فسكت عنى طويلا، ثم قال: إن خفة الاشتهر وسوء

رأيه وهوانه : دعاه إلى إجلاء عمال عثمان، وافترائه عليه، يقبح محاسنه، ويجهل حقه، ويظهر عداوته. ومن خفة الاشر وسوء رأيه أنه سار إلى عثمان في داره وقراره، فقتله فيمن قتله، وأصبح متبعا بدمه، لا حاجة لي في مبارزته. فقلت : إنك قد تكلمت فاسمع حتى أجيبك، فقال : لا حاجة لي في جوابك ولا الاستماع منك، اذهب عني، وصاح بي أصحابه فانصرفت عنه، ولو سمع لاسمعته عذر صاحبي وحجته. فرجعت إلى الاشر، فأخبرته أنه قد أبى المبارزة، فقال : لنفسه نظر. قال : فتوافقنا، فإذا هم قد انصرفوا. قال : وصبحنا على ﷺ غدوة سائرا نحو معاوية، فإذا أبو الأعور قد سبق إلى سهولة الارض وسعة المنزل، وشريعة الماء، مكان أفيح، وكان أبو الأعور على مقدمة معاوية، واسمه سفيان بن عمرو وقد جعل على ساقته بسر بن أرطاة العامري، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وجعل على ميمنته حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى رجالته من الميمنة يزيد بن زحر الضبي، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى الرجالة من الميسرة حابس بن سعيد الطائي، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس الفهري، وعلى رجالة أهل دمشق يزيد بن أسد بن كرز البجلي، وعلى أهل حمص ذا الكلاع، وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مخلد، وكان وصول على ﷺ إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنة سبع وثلاثين^(١).

بأى شئ كفرتم عثمان؟

وروى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل له : بأى شئ كفرتم عثمان؟ فقال : بثلاث : جعل المال دولة بين الاغنياء، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله.^(٢)

بين زيد وبين جده امير المؤمنين تراج

مثل قوله ﷺ (وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته) قول زيد ابن علي ﷺ لهشام بن عبد الملك انه ليس احد وإن عظمت منزلته بفوق أن يذكر بالله ويحذر من سطوته وليس احد وإن صغر بدون أن يذكر بالله ويخوف من نعمته^(٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥١

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢١٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩٣

تطاطات لهم فركبوك

يقال إن عثمان قال يوماً لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت أن رجلاً صدوقاً أخبرني عن نفسي وعن هؤلاء فقام إليه فتى فقال اني أخبرك تطاطات لهم فركبوك وما جراهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت فهل تعلم ما يشب نيران الفتنة قال نعم سألت عن ذلك شيخاً من تنوخ كان باقعه قد نقب في الأرض وعلم علماً جما فقال الفتنة يثيرها امران اثره تضغن على الملك الخاصة وحلم يجزئ عليه العامة قال فهل سألته عما يخدمها قال نعم زعم أن الذي يخدمها في ابتدائها استقاله العثرة وتعميم الخاصة بالاثرة فإذا استحكمت الفتنة اخمدتها الصبر قال عثمان صدقت واني لصابر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين^(١).

ما صلاح الملك

إن يزدجرد بن بهرام سال حكيماً ما صلاح الملك قال الرفق بالرعية واخذ الحق منها بغير عنف والتودد إليها بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم قال فما صلاح الملك قال وزراؤه إذا صلحوا صلح قال فما الذي يثير الفتنة قال ضغائن يظهرها جراه عامة واستخفاف خاصة وانبساط اللسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وامن معسر وغفلة مرزوق ويقظة محروم قال وما يسكنها قال اخذ العدة لما يخاف وايشار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم وادراع الصبر والرضا بالقضاء^(٢).

والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك

عن موسى بن أبي النعمان قال : جاء الاشعث إلى علي يستأذن عليه، فرده قنبر، فأدمى الاشعث أنفه، فخرج علي وهو يقول : مالي ولك يا أشعث ! أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك ! قيل : يا أمير المؤمنين، ومن عبد ثقيف ؟ قال : غلام لهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا أدخلهم ذلاً، قيل : يا أمير المؤمنين، كم يلي - أو كم يمكث ؟ قال : عشرين، إن بلغها^(٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩٦

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١١٧

فيمين استشهد من المسلمين ببدر

عن عبد الله بن جعفر، قال : سألت الزهري كم استشهد من المسلمين ببدر قال : اربعة عشر، ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار. قال : فمن بنى المطلب بن عبد مناف عبدة بن الحارث، قتله شيبه بن ربيعة.. وفي رواية الواقدي قتله عتبة، فدفنه النبي ﷺ بالصفراء. ومن بنى زهرة عمير بن أبي وقاص، قتله عمرو بن عبد ود، فارس الاحزاب، وعمير بن عبد ود ذو الشماليين، حليف لبني زهرة بن خزاعة، قتله أبو أسامة الجشمي. ومن بنى عدى بن كعب عاقل بن أبي البكير، حليف لهم من بنى سعد بن بكر، قتله مالك بن زهير الجشمي، ومهجع مولى عمر بن الخطاب، قتله عامر بن الحضرمي، ويقال أن مهجعا أول من قتل من المهاجرين. ومن بنى الحارث بن فهر صفوان بن بيضاء، قتله طعيمة بن عدى. وهؤلاء الستة من المهاجرين. ومن الانصار، ثم من بنى عمرو بن عوف، مبشر بن عبد المنذر، قتله أبو ثور. وسعد بن خيثمة، قتله عمرو بن عبد ود - ويقال طعيمة بن عدى - ومن بنى عدى بن النجار حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته، فقتله. ومن بنى مالك بن النجار، عوف ومعوذ ابنا عفراء، قتلها أبو جهل. ومن بنى سلمة بن حرام عمير بن الحمام بن الجموح، قتله خالد بن الاعلم العقيلي - ويقال أن عمير بن الحمام أول قتيل قتل من الانصار، وقد روى أن أول قتيل منهم حارث بن سراقة. ومن بنى زريق، رافع بن المعلى، قتله عكرمة بن أبي جهل. ومن بنى الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث بن قسح، قتله نوفل بن معاوية الديلي. فهؤلاء الثمانية من الانصار. قال الواقدي : وقد روى عن عكرمة، عن ابن عباس أن أنسة مولى النبي ﷺ قتل ببدر. وروى أن معاذ بن ماعص جرح ببدر، فمات من جراحته بالمدينة، وأن عبيد بن السكن جرح فاشتكى جرحه، فمات منه حين قدم^(١).

مما يطول تعداداه جدا

فرض طاعة على ﷺ، لانه قد وعاهما سمع معاوية، لا ريب في ذلك، إما بالنص في أيام رسول الله ﷺ كما تذكره الشيعة - فقد كان معاوية حاضرا يوم الغدير لانه حج معهم حجة الوداع، وقد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافة :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٠٧

(أنت منى بمنزلة هارون من موسى)، وقد سمع غير ذلك - وإما بالبيعه كما نذكره ونحن فإنه قد اتصل به خبرها، وتواتر عنده وقوعها، فصار وقوعها عنده معلوما بالضرورة كعلمه بأن في الدنيا بلدا اسمها مصر، وأن كان ما رآها. والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه يريد المعنى الاول ! ونحن نخرجه على وجه لا يلزم منه ما تقوله الشيعة فنقول : لنفرض أن النبي صلى الله عليه وآله ما نص عليه بالخلافة بعده، أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنه لو قال له في ألف مقام : (أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت)، ونحو ذلك من قوله : (اللهم عاد من عاداه، ووال من والاه)، وقوله : (حربك حربى وسلمك سلمى)، وقوله : (أنت مع الحق والحق معك)، وقوله : (هذا منى وأنا منه)، وقوله : (هذا أخى)، وقوله : (يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)، وقوله : (اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك)، وقوله : (إنه ولى كل مؤمن ومؤمنة بعدى)، وقوله : في كلام قاله : (خاصف النعل)، وقوله : (لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق)، وقوله : (إن الجنة لتشتاق إلى أربعة)، وجعله أولهم، وقوله لعمار : (تقتلك الفئة الباغية)، وقوله : (ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدى)، إلى غير ذلك مما يطول تعدادها جدا، ويحتاج إلى كتاب مفرد يوضع له، أفما كان ينبغى لمعاوية أن يفكر في هذا ويتأمله، ويخشى الله ويتقيه ^(١)!

وكان في راس على عليه السلام ثلاث ضربات

عن القعقاع بن الابرد الطهوى، قال : والله إنى لواقف قريبا من على عليه السلام بصفين يوم وقعة الخميس، وقد التقت مذحج - وكانوا في ميمنة على عليه السلام - وعك لحم وجذام والاشعريون، وكانوا مستبصرين في قتال على عليه السلام، فلقد والله رأيت ذلك اليوم من قتالهم، وسمعت من وقع السيوف على الرؤوس وخبط الخيول بحوافرها في الارض وفي القتلى، ما الجبال تهد، ولا الصواعق تصعق، بأعظم من هؤلاء في الصدور من تلك الاصوات. ونظرت إلى على عليه السلام وهو قائم، فدنوت منه فأسمعه يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ! اللهم إليك الشكوى وأنت المستعان ! ثم نهض حين قام قائم الظهيرة وهو يقول : ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين. وحمل على الناس بنفسه،

وسيفه مجرد بيده، فلا والله ما حجز بين الناس ذلك اليوم إلا الله رب العالمين، في قريب من ثلث الليل الاول، وقتلت يومئذ أعلام العرب، وكان في راس على ﷺ ثلاث ضربات، وفي وجهه ضربتان. قال نصر: وقد قيل: إن عليا ﷺ لم يخرج قط، وقتل في هذا اليوم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين، وقتل من أهل الشام عبد الله بن ذى الكلاع الحميري، فقال معقل بن نهيك بن يساف الانصاري:

يا لهف نفسي ومن يشفى حزازتها إذ أفلت الفاسق الضليل منطلقا
وأفلت الخيل عمرو وهي شاحبة تحت العجاج تحت الركض والعنقا
وافت منية عبد الله إذ لحقت قب الخيول به، أعجز بمن لحقا
وانساب مروان في الظلماء مستترا تحت الدجى كلما خاف الردى أرقا
وقال مالك الاشر:

نحن قتلنا حوشبا لما غدا قد أعلمنا
وذا الكلاع قبله ومعبدا إذ أقدمنا
إن تقتلوا منا أبا اليقظان شيخا مسلما
فقد قتلنا منكم سبعين كهلا مجرما
أضحوا بصفين وقد لاقوا نكالا مؤثما
وقالت ضبيعة بنت خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ترثي أباها رحمه الله.

عين جودى على خزيمة بالدمع قتيل الاحزاب يوم الفرات
قتلوا ذا الشهادتين عتوا أدرك الله منهم بالترات !
قتلوه في فتية غير عزل يسرعون الركوب في الدعوات
نصروا السيد الموفق ذا العدل، ودانوا بذاك حتى الممات
لعن الله معشرا قتلوه ورماهم بالخزى والافات^(١).

إذا سئل الحاجة يشتم السائل

كان أبو عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون إذا سئل الحاجة يشتم السائل، ويسطو

عليه ويخجله، ويبكته ساعة ثم يأمر له بها، فيقوم وقد صارت إليه وهو يذمه ويلعنه قال علي بن جبلة العكوك :

لعن الله أبا عباد لعنا يتوالى

يوسع السائل شتما ثم يعطيه السؤال
وكان الناس يقفون لابي عباد وقت ركوبة، فيتقدم الواحد منهم إليه بقصته ليناوله إياها، فيركله برجله بالركاب، ويضربه بسوطه، ويطيير غضبا، ثم لا ينزل عن فرسه حتى يقضى حاجته، ويأمر له بطلبته، فينصرف الرجل بها وهو ذام له ساخط عليه، فقال فيه دعبل :

أولى الامور بضيعة وفساد ملك يدبره أبو عباد
متعمد بدواته جلساءه فمضرج ومخضب بمداد
وكأنه من دير هزقل مفلت حرب يجر سلاسل الاقياد
فاشدد أمير المؤمنين صفاده بأشد منه في يد الحداد
وقال فيه بعض الشعراء :

قل للخليفة يابن عم محمد قيد وزيرك إنه ركال
فلسوطه بين الرؤوس مسالك ولرجله بين الصدور مجال^(١).
من غرسها؟ قيل : عمر، فقلعها وغرسها رسول الله

روى أن سلمان أتى رسول الله ﷺ بصدقة، فقال : هذه صدقة عليك وعلى أصحابك، فلم يقبلها، وقال : إنه لا تحل لنا الصدقة، فرفعها، ثم جاء من الغد بمثلها وقال : هدية هذه، فقال لأصحابه : كلوا. واشتراه من أربابه، وهم قوم يهود بدراهم، وعلى أن يغرس لهم من النخيل كذا وكذا، ويعمل فيها حتى تدرك، فغرس رسول الله ﷺ ذلك النخل كله بيده إلا نخلة واحدة غرسها عمر بن الخطاب، فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة، فقال رسول الله ﷺ : من غرسها؟ قيل : عمر، فقلعها وغرسها رسول الله ﷺ بيده فأطعمت^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٤

سلمان الفارسي

سلمان، رجل من فارس من رامهرمز، وقيل : بل من أصبهان، من قرية يقال لها جى، وهو معدود من موالى رسول الله ﷺ، وكنيته أبو عبد الله، وكان إذا قيل : ابن من أنت؟ يقول : أنا سلمان، ابن الاسلام، أنا من بنى آدم. وقد روى أنه قد تداوله أرباب كثيرة، بضعة عشر ربا، من واحد إلى آخر حتى أفضى إلى رسول الله ﷺ.

وكان سلمان يسف الخوص وهو أمير على المدائن ويبيعه ويأكل منه ويقول لا أحب أن آكل إلا من عمل يدي، وكان قد تعلم سف الخوص من المدينة.

وأول مشاهدته الخندق، وهو الذى أشار بحفره، فقال أبو سفيان وأصحابه لما رأوه : هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها.

وقد روى أن سلمان شهد بدر واحدا، وهو عبد يومئذ، والاكثر أن أول مشاهدته الخندق، ولم يفته بعد ذلك مشهد.

قال : وكان سلمان خيرا، فاضلا، حبرا، عالما، زاهدا، متقشفا. قال :

وذكر هشام بن حسان عن الحسن البصري، قال : كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به، ويأكل من عمل يده، وكانت له عباءة يفرش بعضها ويلبس بعضها.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى الدرداء لما آخى بين المسلمين^(١).

يا جامعا مانعا

قال بعضهم :

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه مدبرا أي باب عنه يغلقه

وناسيا كيف تأتیه منيته أغاديا أم بها يسرى فتطرقة

جمعت مالا فقل لى هل جمعت له يا جامع المال أياما تفرقه

المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلا يوم تنفقه

أرفه ببال فتى يغدو على ثقة إن الذى قسم الارزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يندسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في ظلها هما يورقه^(١).

ما باله عفا عن الخارجي وأنكر على الأشعث

يروى إنه عليه السلام كان جالسا في أصحابه إذ مرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام : إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس اهله، فإنما هي امرأة كامرأته. فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافرا، ما أفقهه ! قال : فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام : رويدا إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب.

قال ابن أبي الحديد وسألني صديقنا علي بن البطريق عن هذه القصة فقال ما باله عفا عن الخارجي وقد طعن فيه بالكفر، وأنكر على الأشعث قوله : (هذه عليك لا لك)، فقال : ما يدريك عليك لعنه الله ما على مما لى ! حائك ابن حائك، منافق ابن كافر ! وما واجهه به الخارجي أفضح مما واجهه الأشعث ! فقلت : لا أدري. قال : لان كل صاحب فضيلة يعظم عليه إن يطعن في فضيلته تلك، ويدعى عليه إنه فيها ناقص، وكان على عليه السلام بيت العلم، فلما طعن فيه الأشعث طعن بانك لا تدري ما عليك مما لك، فشق ذلك عليه، وامتعض منه، وجبهه ولعنه، وأما الخارجي فلم يطعن في علمه، بل أثبت له، واعترف به، وتعجب منه، فقال : (قاتله الله كافرا ما أفقهه !)، فاغترف له لفظه (كافر) بما اعترف له به من علو طبقتة في الفقه، ولم يخشن عليه خشونته على الأشعث، وكان قد مرن على سماع قول الخوارج : أنت كافر، وقد كفرت، يعنون التحكيم، فلم يحفل بتلك اللفظة ونهى أصحابه عن قتله محافظة ورعاية له على ما مدحه به^(٢).

وانما هو شعر طفح على لساني

استعمل عمر النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان، فبلغه عنه الشعر الذي قاله وهو : ومن مبلغ الحسناء ان حليلها بميسان يسقى من زجاج وحتتم !

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٥٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٦٣

إذا شئت غتني دهاقين قرية وصناجة تحدو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل امير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم

فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو إليه المصير) اما بعد فقد بلغني
قولك : لعل امير المؤمنين يسوءه البيت وايم الله انه ليسوءني فاقدم فقد عزلتك. فلما قدم
عليه قال : يا امير المؤمنين والله ما شربتها قط، وانما هو شعر طفح على لساني واني
لشاعر. فقال عمر : اظن ذاك، ولكن لا تعمل لى على عمل ابدا^(١).

بال العلقمي ورت زنادى

لما فرغ ابن ابي الحديد من تصنيف شرح نهج البلاغة أنفذه على يد أخيه موفق الدين
أبي المعالي إلى الوزير ابن العلقمي، فبعث إليه بمائة دينار وخلعة سنية وفرس، فكتب إلى
الوزير :

وأرب العباد رفعت ضبعي	وطلت بمنكبي وبللت ريقي
وزيغ الأشعري كشفت عني	فلم أسلك بنيات الطريق
أحب الاعتزال وناصره	ذوى الألباب والنظر الدقيق
فاهل العدل والتوحيد أهلي	ونعم فريقهم أبدا فريقي
وشرح النهج لم أدركه إلا	بعونك بعد مجهدة وضيق
تمثل إذ بدأت به لعيني	هناك كذروة الطود السحيق
فتم بحسن عونك وهو أناي	من العيون أو بيض الانوق
بال العلقمي ورت زنادى	وقامت بين أهل الفضل سوقى
فكم ثوب أنيق نلت منهم	ونلت بهم وكم طرف عتيق
أدام الله دولتهم وأنحى	على أعدائهم بالخنفقيق ^(٢) .

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٠

كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين

خرج حجر بن عدى وعمرو بن الحمق، يظهران البراءة من أهل الشام، فأرسل على ﷺ إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتياه، فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا محقين؟ قال: بلى، قالوا: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قالوا: فلم منعنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتبوءون، ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلت: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتكم مكان لعنكم إياهم، وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءهم ودماءنا، وأصلح ذات بينهم وبيننا، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوى عن الغى والعدوان منهم من لهج به - لكان أحب إلى وخيرا لكم فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظمتك، ونتأدب بأدبك^(١).

ادخل تحت قوائم العرش، لا تظفر بك فاطمة

كان بطبرستان قاص من المشبهة، يقص على الناس، فقال يوما في قصصه: إن يوم القيامة تجيء فاطمة بنت محمد، معها قميص الحسين ابنها تلتمس القصاص من يزيد بن معاوية، فإذا رآها الله تعالى من بعيد، دعا يزيد وهو بين يديه، فقال له: ادخل تحت قوائم العرش، لا تظفر بك فاطمة، فيدخل ويختبئ، وتحضر فاطمة، فتتظلم وتبكي، فيقول سبحانه: انظري يا فاطمة إلى قدمي، ويخرجها إليها، وبه جرح من سهم نمرود، فيقول: هذا جرح نمرود في قدمي، وقد عفوت عنه، أفلا تعفين أنت عن يزيد! فتقول: هي: اشهد يا رب أني قد عفوت عنه^(٢).

من قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم

من قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم قال الواقدي: فمن بني عبد شمس بن عبد مناف حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، قتله علي بن أبي طالب ﷺ، والحرث بن الحضرمي قتله عمار بن ياسر، وعامر بن الحضرمي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الاقح، وعمير بن أبي عمير وابنه، موليان لهم، قتل سالم مولى أبي حذيفة منهم عمير بن أبي

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٨٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٢٦

عمير - ولم يذكر الواقدي من قتل ابنه - وعبيدة بن سعيد بن العاص، قتله الزبير بن العوام، والعاص بن سعيد بن العاص، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وعقبة بن أبي معيط، قتله عاصم بن ثابت صبرا بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى البلاذري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلبه بعد قتله، فكان أول مصلوب في الاسلام قال: وفيه يقول ضرار بن الخطاب: عين بكى لعقبة بن أبان فرع فهر وفارس الفرسان. وعتبة بن ربيعة، قتله حمزة بن عبد المطلب. وشيبة بن ربيعة، قتله عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي، الثلاثة اشتركوا في قتله والوليد بن عتبة بن ربيعة، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام وعامر بن عبد الله حليف لهم من انمار، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل قتله سعد بن معاذ، فهؤلاء اثنا عشر. ومن بنى نوفل بن عبد مناف الحارث بن نوفل، قتله خبيب بن يساف، وطعيمة بن عدى، ويكنى أبا الريان، قتله حمزة بن عبد المطلب في رواية الواقدي، وقتله علي بن أبي طالب عليه السلام في رواية محمد بن إسحاق. وروى البلاذري روايه غريبة، أن طعيمة بن عدى أسر يوم بدر، فقتله النبي صلى الله عليه وسلم صبرا على يد حمزة، فهؤلاء اثنان. ومن بنى أسد بن عبد العزى زمعة بن الاسود، قتله أبو دجانة، وقيل قتله ثابت بن الجذع، والحارث بن زمعة بن الاسود، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. وعقيل بن الاسود بن المطلب، قتله علي وحمزة شركا في قتله. قال الواقدي: وحدثني أبو معشر، قال: قتله علي بن أبي طالب عليه السلام وحده، وقيل: قتله أبو داود المازني وحده. وأبو البختري، وهو العاص بن هشام، قتله المجذر بن زياد، وقيل قتله أبو اليسر. ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن العدوية، قتله علي عليه السلام، فهؤلاء خمسة. ومن بنى عبد الدار بن قصي، النضر بن الحارث بن كلدة، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام صبرا بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الذي أسره المقداد بن عمرو، فوعد المقداد - إن استنقذه - بفداء جليل، فلما قدم ليقتل، قال المقداد: يا رسول الله، إني ذو عيال، وأحب الدين، فقال: اللهم اغن المقداد من فضلك يا علي، قم فاضرب عنقه. وزيد بن مليص مولى عمرو بن هاشم بن عبد مناف، من عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل قتله بلال فهؤلاء اثنان. ومن بنى تيم بن مرة عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان، قتله صهيب، فهؤلاء اثنان - ولم يذكر البلاذري عثمان بن مالك. ومن بنى مخزوم

بن يقظة ثم من بنى المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، ضربة معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ وعوف ابنا عفراء، وذقف عليه عبد الله بن مسعود والعاص بن هاشم بن المغيرة، خال عمر بن الخطاب، قتله عمرو بن يزيد بن تميم التميمي، حليف لهم، قتله عمار بن ياسر، وقيل قتله علي عليه السلام. ومن بنى الوليد بن المغيرة، أبو قيس بن الوليد، أخو خالد بن الوليد، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن بنى الفاكه بن المغيرة، أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، قتله حمزة بن عبد المطلب، وقيل قتله الحباب بن المنذر. ومن بنى أمية بن المغيرة مسعود بن أبي أمية، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن بنى عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ثم من بنى رفاعه، أمية بن عائذ بن رفاعه بن أبي رفاعه، قتله سعد بن الربيع وأبو المنذر بن أبي رفاعه، قتله معن بن عدى العجلاني وعبد الله بن أبي رفاعه، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. وزهير بن أبي رفاعه، قتله أبو أسيد الساعدي. والسائب بن أبي رفاعه، قتله عبد الرحمن بن عوف. ومن بنى أبي السائب المخزومي - وهو صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - السائب بن السائب، قتله الزبير بن العوام. والاسود بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة بن عبد المطلب. وحليف لهم من طيئ، وهو عمرو بن شيان قتله يزيد بن قيس وحليف آخر، وهو جبار بن سفيان، أخو عمرو بن سفيان المقدم ذكره، قتله أبو بردة بن نيار. ومن بنى عمران بن مخزوم حاجز بن السائب بن عويمر بن عائذ، قتله علي عليه السلام. وروى البلاذري أن حاجزا هذا وأخاه عويمر بن السائب بن عويمر، قتلتهما علي بن أبي طالب عليه السلام وعويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، قتله النعمان بن أبي مالك، فهؤلاء تسعة عشر. ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص، أمية بن خلف قتله خبيب بن يساف وبلال، شركا فيه. قال الواقدي: وكان معاذ بن رفاعه بن رافع يقول بل قتله أبو رفاعه بن رافع. وعلي بن أمية بن خلف، قتله عمار بن ياسر وأوس بن المغيرة بن لوزان، قتله علي عليه السلام، وعثمان بن مظعون، شركا فيه فهؤلاء ثلاثة. ومن بنى سهم، منبه بن الحجاج، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل قتله أبو أسيد الساعدي ونبيه بن الحجاج قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. والعاص بن منبه بن الحجاج قتله علي عليه السلام وأبو العاص بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم، قتله أبو دجانة - قال الواقدي: وحدثني أبو معشر عن أصحابه، قالوا قتله علي عليه السلام - وعاص بن أبي عوف بن صبيره بن سعيد بن سعد، قتله أبو دجانة، فهؤلاء خمسة. ومن بنى عامر بن لؤي، ثم من بنى مالك بن

حسل، معاوية بن عبد قيس حليف لهم، قتله عكاشة بن محصن. ومعبد بن وهب، حليف لهم من كلب، قتله أبو دجانة فهؤلاء اثنان. فجميع من قتل ببدر في رواية الواقدي من المشركين في الحرب صبرا، اثنان وخمسون رجلا، قتل على ﷺ منهم مع الذين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلا. وقد كثرت الرواية أن المقتولين ببدر كانوا سبعين، ولكن الذين عرفوا وحفظت اسماءهم من ذكرناه، وفي رواية الشيعة أن زمعة بن الأسود بن المطلب قتله على، والاشهر في الرواية أنه قتله الحارث بن زمعة، وأن زمعة قتله أبو دجانة^(١).

كيف ترى الدنيا؟

لقى عالم من العلماء راهبا فقال : أيها الراهب، كيف ترى الدنيا؟

قال : تخلق الابدان، وتجدد الامال، وتباعد الامنية، وتقرب المنية،

قال : فما حال أهلها؟

قال : من ظفر بها نصب، ومن فاتته أسف،

قال : فكيف الغنى عنها؟

قال : بقطع الرجاء منها،

قال : فأى الاصحاب أبر وأوفى؟

قال : العمل الصالح،

قال : فأيهم أضر وأنكى؟

قال : النفس والهوى،

قال : فكيف المخرج؟

قال : في سلوك المنهج،

قال : وبماذا أسلكه؟

قال : بأن تخلع لباس الشهوات الفانية، وتعمل للدار الباقية^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٠٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٠

ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القوم

في المثل وهو منسوب إلى علي عليه السلام إياك وما يعتذر منه. ومنها قوله : (ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القوم)، قال الشاعر :

لا تستتر أبدا ما لا تقوم له ولا تهيجن من عريسه الاسدا
إن الزنابير أن حركتها سفها من كورها أوجعت من لسعها الجسدا
وقال :

مقاله السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل^(١).

ليس كل وقت يتهياً لك إرسال الحمام

يقال : إن بعض العلوية قال في حضرة عضد الدولة ببغداد : عندنا في الكوفة نبق وزن كل نبقة مثقالان. فاستطرف الملك ذلك، وكاد يكذبه الحاضرون، فلما قام ذكر ذلك لابيّه، فأرسل حماما كان عنده في الحال إلى الكوفة يأمر وكلاءه بإرسال مائة حمامة، في رجلى كل واحدة نبقتان من ذلك النبق، فجاء النبق في بكرة الغد وحمل إلى عضد الدولة، فاستحسنه وصدقه حينئذ، ثم قال له لعمرى لقد صدقت، ولكن لا تحدث فيما بعد بكل ما رأيت من الغرائب، فليس كل وقت يتهياً لك إرسال الحمام^(٢).

كل بيت يوازي حرب كاملة

يحكى أن جريرا قال : والله لقد قلت في بني ثعلب بيتا لو طعنوا بعدها بالرماح في أستاذهم ما حكوها، وهو :

والتغلبى إذا تنحج للقرى حك استه وتمثل الامثالا

وحكى أبو عبيدة عن يونس، قال : قال عبد الملك بن مروان، يوما وعنده رجال : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر، ودوا لو انهم افتدوا منه بأموالهم؟ فقال أسماء بن خارجة الفزارى : نحن يا أمير المؤمنين، قال : وما هو؟ قال : قول الحارث بن ظالم المرى :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٥

وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا.

فوالله يا أمير المؤمنين، إنى لالبس العمامة الصفيقة، فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها.

وقال هانىء قبيصة النميري : يا إمبر المؤمنين، قال : وما هو؟ قال قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كان النميري يا أمير المؤمنين، إذا قيل له : ممن أنت؟ قال : من نمير، فصار يقول بعد هذا البيت : من عامر بن صعصعة).

و ما يروى أن النجاشي لما هجا بنى العجلان بقوله :

إذا الله عادى أهل لؤم وقلة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الورد عن كل منهل

وما سمي العجلان إلا لقوله : خذ القعب فاحلب أيها العبد اعجل

فكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبة يقول : من بنى كعب، وترك أن يقول :

(عجلانى).

وكان عبد الملك بن عمير القاضى، يقول : والله إن التنحنح والسعال ليأخذني وأنا

في الخلاء فأرده، حياء من قول القائل :

إذا ذات دل كلمته لحاجة فهم بأن يقضى تنحنح أو سعل^(١).

زيد بن علي

ممن تقبل مذاهب الاسلاف في إباء الضيم وكراهية الذل، واختار القتل على ذلك

وأن يموت كريما، أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب عليه السلام، أمه

أم ولد، وكان السبب في خروجه وخلعه طاعة بنى مروان، أنه كان يخاصم عبد الله بن

حسن بن حسن بن علي بن أبى طالب عليه السلام في صدقات علي عليه السلام، هذا يخاصم عن بنى

حسين، وهذا عن بني حسن، فتنازعا يوماً عند خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم أمير المدينة، فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه، فسر خالد بن عبد الملك بذلك، وأعجبه سبابهما، وقال لهما حين سكتا: اغدوا علي، فليست بابن عبد الملك إن لم أفصل بينكما غداً، فباتت المدينة تغلي كالمرجل، فمن قائل يقول: قال زيد كذا، وقائل يقول: قال عبد الله كذا، فلما كان الغد جلس خالد في المسجد، وجمع الناس، فمن بين شامت، ومغموم، ودعا بهما وهو يحب أن يتشامتا، فذهب عبد الله يتكلم، فقال زيد: لا تعجل يا أبا محمد، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً، ثم أقبل على خالد، فقال له: أجمعت ذرية رسول الله ﷺ لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر، فقال خالد: أما لهذا السفيه أحد يكلمه! فتكلم رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم، فقال: يا بن أبي تراب، ويا بن حسين السفيه! أما ترى عليك لوال حقاً ولا طاعة! فقال زيد: اسكت أيها القحطاني، فإننا لا نجيب مثلك، فقال الانصاري: ولم ترغب عني! فوالله إنى لخير منك، وأبى خير من أبيك، وأمى خير من أمك! فتضاحك زيد، وقال: يا معشر قريش، هذا الدين قد ذهب، أفذهبت الاحساب! فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال: كذبت أيها القحطاني، والله لهو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتداً، وتناوله بكلام كثير، وأخذ كفاً من الحصا، فضرب به الأرض، وقال: إنه والله ما لنا على هذا من صبر، وقام. فقام زيد أيضاً، وشخص من فوره إلى هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لا يأذن له وزيد يرفع إليه القصص، وكلما رفع إليه قصة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أرضك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى ابن الحارث أبداً. ثم أذن له بعد حبس طويل وهشام في عليه له، فرقى زيد إليها، وقد أمر هشام خادماً له أن يتبعه حيث لا يراه زيد، ويسمع ما يقول. فصعد زيد - وكان بادناً - فوقف في بعض الدرجة، فسمعه الخادم، وهو يقول: ما أحب الحياة إلا من ذل! فأخبر الخادم هشاماً بذلك، فلما قعد زيد بين يدي هشام وحدثه حلف له على شيء، فقال هشام: لا أصدقك، فقال زيد: إن الله لا يرفع أحداً عن أن يرضى بالله، ولم يضع أحداً عن أن يرضى بذلك منه. قال له هشام: إنه بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها، وليست هناك! لانك ابن أمة، فقال زيد: إن لك جواباً، قال: تكلم، قال: إنه ليس أحد أولى بالله، ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه، وهو إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن أمة، قد اختاره الله لنبوته، وأخرج منه خير البشر، فقال هشام: فما يصنع أخوك البقرة! فغضب زيد، حتى كاد

يخرج من إهابه، ثم قال : سماه رسول الله ﷺ الباقر وتسميه أنت البقرة ! لشد ما اختلفتما ! لتخالفنه في الآخرة، كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة، وترد النار. فقال هشام : خذوا بيد هذا الاحمق المائق، فأخرجوه، فأخذ الغلمان بيده فأقاموه، فقال هشام : احملوا هذا الخائن الاهوج إلى عامله، فقال زيد : والله لئن حملتني إليه لا أجمع أنا وأنت حين، وليموتن الاعجل منا. فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة، ومعه نفر يسيرونه حتى طردوه عن حدود الشام، فلما فارقه عدل إلى العراق، ودخل الكوفة، وباع لنفسه، فأعطاه البيعة أكثر أهلها، والعامل عليها وعلى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور في كتب التواريخ. وخذل أهل الكوفة زيدا، وتخلف معه ممن تابعه نفر يسير، وأبلى بنفسه بلاء حسنا وجهادا عظيما، حتى أتاه سهم غرب، فأصاب جانب جبهته اليسرى، فثبت في دماغه فحين نزع منه مات ﷺ^(١).

نصر بن حجاج

روى عبد الله بن بريدة قال : بينا عمر يعس ذات ليلة انتهى إلى باب متجاف وامرأة تغنى نسوة

هل من سبيل إلى خمر فاشربها ام هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فقال عمر : اما ما عشت فلا. فلما اصبح دعا نصر بن حجاج - وهو نصر بن الحجاج بن علابط البهزي السلمى - فابصره وهو من احسن الناس وجها، وأصبحهم وأملحهم حسنا، فامر ان يطم شعره، فخرجت جبهته فازداد حسنا، فقال له عمر : اذهب فاعتم فاعتم فبدت وفرته فامر بحلقها فازداد حسنا، فقال له : فتنن نساء المدينة يا بن حجاج ! لا تجاورني في بلدة انا مقيم بها ثم سيره إلى البصرة.

فروى الاصمعي قال : ابرد عمر بريدا إلى عتبة بن ابي سفيان بالبصرة فاقام بها اياما ثم نادى منادى عتبة : من اراد ان يكتب إلى اهله بالمدينة أو إلى امير المؤمنين شيئا فليكتب فان بريد المسلمين خارج. فكتب الناس، ودس نصر بن حجاج كتابا فيه : لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصر بن حجاج، سلام عليك، اما بعد، يا امير المؤمنين :

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني لما نلت من عرضي عليك حرام

أئن غنت الذلفاء يوما بمنية
ظننت بي الظن الذي ليس بعده
واصبحت منقيا على غير ريبة
سيمنعني مما تظن تكرمي
ويمنعها مما تمنى صلاتها
فهاتان حالانا فهل انت راجع
فقال عمر : اما ولي ولاية فلا . وأقطعه ارضا بالبصرة ودارا . فلما قتل عمر ركب
راحلته ولحق بالمدينة^(١) .

أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم

روى أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ ، قال : ارسل إلى رسول الله ﷺ في جوف الليل ، فقال : يا ابا مويهبة انى قد امرت أن استغفر لاهل البقيع ، فانطلق معى فانطلقت معه ، فلما وقف بين اظهرهم ، قال : السلام عليكم يا اهل المقابر ، ليهن لكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها اولها ، الاخرة شر من الاولى ثم اقبل على فقال : يا ابا مويهبة انى قد اوهبت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة ، فخيرت بينها وبين الجنة ، فاخترت الجنة ، فقلت : بابى انت وامى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة جميعا ، فقال : لا يا ابا مويهبة ، اخترت لقاء ربى ثم استغفر لاهل البقيع وانصرف ، فبدا بوجعه الذى قبضه الله فيه^(٢) .

غيرة عائشة

عن عائشة ، قالت : رجع رسول الله ﷺ تلك الليلة من البقيع ، وجدني وانا اجد صداعا في راسى ، واقول : واراياه فقال : بل انا واراياه ثم قال : ما ضرك لو مت قبلى ، فممت عليك فكففتك ، وصليت عليك ودفنتك فقلت : والله لكانى بك - لو كان ذلك - رجعت إلى منزلي ، فاعرست ببعض نساءك فتبسم ﷺ ، وتتام به وجعه ، وهو مع

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٧

ذلك يدور على نسائه حتى استعز به ؛ وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستاذنهن أن يمرض في بيتي ، فاذن له ، فخرج بين رجلين من اهله ، احدهما الفضل ابن العباس ورجل آخر ، تخط قدماه في الارض ، عاصبا راسه حتى دخل بيته . قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فحدثت عبد الله بن العباس بهذا الحديث فقال : أتدرى من الرجل الآخر قلت : لا ، قال علي بن ابي طالب ، لكنها كانت لا تقدر أن تذكره بخير وهي تستطيع قالت : ثم غمر رسول الله ﷺ واشتد به الوجع ، فقال اهريقوا علي سبع قرب من آبار شتى حتى اخرج إلى الناس ، فاعهد إليهم قالت : فاقعدته في مخضب لحفصة بنت عمر ، وصبينا عليه الماء حتى طفق يقول بيده : حسبكم حسبكم^(١) .

يا بن الخطاب فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة

عن الفضل بن عباس رحمه الله قال جئني رسول الله ﷺ حين بدا به مرضه ، فقال : اخرج ، فخرجت إليه ، فوجدته موعوكا قد عصب راسه فقال : خذ بيدي ، فاخذت بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال : ناد في الناس ، فصحت فيهم فاجتمعوا إليه فقال : ايها الناس ، اني احمد اليكم الله ، انه قد دنا مني حقوق من بين اظهركم ؛ فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ، ومن كنت اخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يقل رجل : اني اخاف الشحناء من قبل رسول الله . الا وان الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شاني ، الا وان احبكم إلى من اخذ مني حقا إن كان له ، أو حللني فلقيت الله وانا طيب النفس ، وقد اراني إن هذا غير مغن عني حتى اقوم فيكم به مرارا " ثم نزل فصلى الظهر . ثم رجع فجلس على المنبر ، فعاد لمقالته الاولى في الشحناء وغيرها ، فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ، إن لي عندك ثلاثة دراهم ، فقال : انا لا نكذب قائلا ولا نستحلفه على يمين ، فيم كانت لك عندي قال : اتذكر يا رسول الله يوم مر بك المسكين ، فأمرتني فاعطيته ثلاثة دراهم قال : اعطه يا فضل ، فأمرته فجلس ، ثم قال : ايها الناس من كان عنده شيء فليؤده ولا يقل : فضوح الدنيا ، فان فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة " فقام رجل فقال : يا رسول الله ، عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله ، قال : ولم غللتها قال كنت محتاجا إليها ،

قال : خذها منه يا فضل ثم قال ايها الناس ، من خشى من نفسه شيئا فليقم ادعوه له فقام رجل فقال : يا رسول الله ، انى لكذاب وانى لفاحش ، وانى لثوم . فقال : اللهم ارزقه صدقا وصلاحا ، واذهب عنه النوم إذا اراد " . ثم قام رجل ، فقال : يا رسول الله ، انى لكذاب ، وانى لمنافق ، وما شئ - أو قال وإن من شئ - الا وقد جنته . فقام عمر بن الخطاب فقال : فضحت نفسك ايها الرجل فقال النبي ﷺ (يا بن الخطاب فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقا وایمانا وصیر امره إلى خير)^(١) .

وما اعلم ما اقول في هذا المقام

وروى عبد الله بن مسعود قال نعى الينا نبينا وحيبينا نفسه قبل موته بشهر ، جمعنا في بيت امنا عائشة فنظر الينا وشدد ودمعت عينه ، وقال مرحبا بكم حياكم الله ، رحمكم الله ، آواكم الله ، حفظكم الله ، رفعكم الله ، نفعكم الله وفقكم الله ، رزقكم الله ، هداكم الله ، نصركم الله ، سلمكم الله ، تقبلكم الله ، اوصيكم بتقوى الله ، واوصى الله بكم ، واستخلفه عليكم ، انى لكم منه نذير وبشير ، الا تعلوا على الله في عباده وبلاده ، فانه قال لى ولكم : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) فقلنا يا رسول الله ، فمتى اجلك قال (قد دنا الفراق ، والمنقلب إلى الله والى سدرة المنتهى ، والرفيق الاعلى وجنة الماوى والعيش المهنا) قلنا فمن يغسلك يا رسول الله قال (اهلي الادنى فالادنى) قلنا فقيم نكفئك قال (في ثيابي هذه إن شئتم ، أو في بياض مصر ، أو حله يمنية) قلنا فمن يصلى عليك فقال إذا (غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا ، على شفير قبوري ، ثم اخرجوا عنى ساعة ، فان اول من يصلى على جليسى وحبيبى وخليلى جبرائيل ، ثم ميكائيل ، ثم اسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة ، ثم ادخلوا على فوجا فوجا ، فصلوا على وسلموا ولا تؤذوني بتزكية ولا ضجة ولا رنة ، وليبدا بالصلاة على رجال اهل بيتى ثم نساؤهم ، ثم انتم بعد ، واقربوا انفسكم منى السلام ، ومن غاب من اهلي فاقرئوه منى السلام ، ومن تابعكم بعدى على دينى فاقرئوه منى السلام فانى اشهدكم انى قد سلمت على من بايعني على دينى من اليوم إلى يوم القيامة) قلنا فمن يدخلك قبرك يا رسول الله قال (اهلي مع

ملائكة كثيرة يرونكم ولا ترونهم) قلت العجب لهم كيف لم يقولوا له في تلك الساعة فمن يلى امورنا بعدك لان ولاية الامر اهم من السؤال عن الدفن، وعن كيفية الصلاة عليه، وما اعلم ما اقول في هذا المقام^(١).

مجري الارواح في الاجسام

وجدت بخط أبي محمد عبد الله بن أحمد الخشاب رحمه الله في تعاليق مسودة أبياتا للعطوي، وهى :

قد رأينا الغزال والغصن والنجمين شمس الضحى وبدر التمام

فوحق البيان يعضده البرهان في مآقط شديد الخصام

ما رأينا سوى المليحة شيئا جمع الحسن كله في نظام

هي تجرى مجرى الاصاله في الرأى ومجرى الارواح في الاجسام

وقد كتب ابن الخشاب بخطه تحت (المليحة) : ما أصدقه إن أراد بالمليحة^(٢).

لله أبوك يا بن عبد الله ! لقد كنت على الهمة

روى أحمد بن أبى طاهر في كتاب (أخبار الملوك) أن معاوية سمع المؤذن يقول (أشهد أن لا إله إلا الله)، فقالها ثلاثا، فقال : أشهد أن محمدا رسول الله ! فقال : لله أبوك يا بن عبد الله ! لقد كنت على الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين!^(٣).

فاشتره معاوية من اوليائه بعشرة آلاف درهم

أرسل على عليه السلام إلى معاوية : أن أبرز إلى وأعف الفريقين من القتال، فأينا قتل صاحبه كان الامر له. فقال عمرو : لقد أنصفك الرجل، فقال معاوية أنا أبارز الشجاع الاخرق، أظنك يا عمرو طمعت فيها فلما ! لم يجب قال على عليه السلام وانفساه ! أيطاع معاوية وأعصى ! ما قاتلت أمة قط أهل بيت نبيها وهى مقره بنبيها غير هذه الامة ! ثم إن

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٩٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٠١

علياً عليه السلام أمر الناس أن يحملوا على أهل الشام، فحملوا، فنقضوا صفوف الشام، فقال عمرو: علي من هذا الرهج الساطع؟ قالوا: علي ابنك عبد الله ومحمد، فقال عمرو: يا وردان، قدم لوائي، فأرسل إليه معاوية إنه ليس علي ابنك بأس فلا تنقض الصف، والزم موقفك، فقال عمرو: هيهات هيهات الليث يحمي شبليه ما خيره بعد ابنه! ثم تقدم باللواء، فأدركه رسول معاوية فقال: إنه ليس علي ابنك بأس، فلا تحملن، فقال: قل له: إنك لم تلدهما، وإني أنا ولدتهم. وبلغ مقدم الصفوف، فقال له الناس: مكانك! إنه لا بأس علي ابنك، إنهما في مكان حريز. فقال: أسمعوني أصواتهما حتى أعلم أحيانهما أم قتيلان! ونادى: يا وردان، قدم لواءك قيد قوس، فقدم لواءه، فأرسل علياً عليه السلام إلى أهل الكوفة: أن احملا، وإلى أهل البصرة، أن احملا. فحمل الناس من كل جانب، فاقتتلوا قتالا شديداً، وخرج رجل من أهل الشام، فقال: من يبارز؟ فبرز إليه رجل من أهل العراق، فاقتتلا ساعة، وضرب العراقي الشامي على رجله، فأسقط قدمه، فقاتل ولم يسقط إلى الأرض، فضربه العراقي أخرى، فأسقط يده، فرمى الشامي سيفه إلى أهل الشام، وقال: دونكم سيفي هذا، فاستعينوا به على قتال عدوكم. فاشتراه معاوية من اوليائه بعشرة آلاف درهم^(١).

قطع اذن عمار

روى الواقدي، عن عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، قال: رأيت عماراً يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف عليها يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر، هلموا إلي! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تذبذب، وهو يقاتل أشد القتال^(٢).

عصبية التوحيدي

ومن غريب ما وقعت عليه من العصبية القبيحة، أن أبا حيان التوحيدي قال في كتاب البصائر: إن خزيمة بن ثابت المقتول مع علي عليه السلام بصفين، ليس هو خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، بل آخر من الانصار صحابي اسمه خزيمة بن ثابت، وهذا خطأ، لأن كتب

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٥٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٠٣

الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن في الصحابة من الانصار، ولا من غير الانصار خزيمة بن ثابت إلا ذو الشهادتين، وإنما الهوى لا دواء له، على أن الطبري صاحب التاريخ قد سبق أبا حيان بهذا القول، ومن كتابه نقل أبو حيان، والكتب الموضوعة لاسماء الصحابة تشهد بخلاف ما ذكرناه، ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة، وأبي الهيثم، وعمار وغيرهم ! لو أنصف هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة، لعلموا أنه لو كان وحده، وحاربه الناس كلهم أجمعون، لكان على الحق، وكانوا على الباطل^(١).

مقدمتي تأتي من ورائي !

لما قطع على ﷺ الفرات، دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه نحو معاوية، على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفة، في اثني عشر ألفاً، وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة مقدمة له أخذاً على شاطئ الفرات من قبل البر، مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات، فبلغهم أخذ على ﷺ طريق الجزيرة، وعلمنا أن معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله، فقالا : والله ما هذا برأى، أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر، وما لنا خير في أن نلقى جموع الشام في قلة من العدد، منقطعين عن المدد. فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهلها، وحبسوا عنهم السفن، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت، ولحقوا علياً ﷺ بقرية دون قرقيسيا، فلما لحقوا علياً ﷺ عجب، وقال : مقدمتي تأتي من ورائي ! فقام له زياد وشريح، وأخبراه بالرأى الذي رأيا. فقال : قد أصبتما رشدكما. فلما عبروا الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية، فلما انتهيا إلى معاوية، لقيهما أبو الأعور السلمى في جنود من أهل الشام، وهو على مقدمة معاوية، فدعواه إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين ﷺ فأبى، فبعثوا إلى علي ﷺ : إنا قد لقينا أبا الأعور السلمى بسور الروم في جند من أهل الشام، فدعونا وأصحابه إلى الدخول في طاعتك، فأبى علينا، فمرنا بأمرك^(٢).

اللجاج

من كلام أفلاطون اللجاج عسر انطباع المعقولات في النفس، وذلك إما لفرط حدة

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٠٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢١٢

تكون في الانسان، وإما لغلظ طبع فلا ينقاد للرأى^(١).

من أشرف أفعال الكريم غفلته عما يعلم.

من أشرف أفعال الكريم غفلته عما يعلم

قال أبو تمام :

ليس الغيبى بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابى

وقال طاهر بن الحسين بن مصعب :

ويكفيك من قوم شواهد أمرهم فخذ صفوهم قبل امتحان الضمائر

فإن امتحان القوم يوحش منهم وما لك إلا ما ترى في الظواهر

وإنك إن كشفت لم تر مخلصا وأبدى لك التجريب خبث السرائر^(٢).

تعس فلا انتعش

قال عليه السلام : تعس عبد الدينار والدرهم، تعس فلا انتعش، وشيك فلا انتقش^(٣).

القول في الحظ

قال بعضهم : البخت على صورة رجل أعمى أصم أخرس، وبين يديه جواهر وحجارة، وهو يرمى بكلتا يديه.

وكان مالك بن أنس فقيه المدينة، وأخذ الفقه عن الليث بن سعد، وكانوا يزدحمون عليه والليث جالس لا يلتفتون إليه، فقيل لليث : إن مالكا إنما أخذ عنك فما لك خاملا وهو أئبه الناس ذكرا ! فقال : دائق بخت خير من جمل بختى حمل علما.

قال الرضى :

أسيغ الغيظ من نوب الليالى وما يحفلن بالحنق المغيظ

وأرجو الرزق من خرق دقيق يسد بسلك حرمان غليظ

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٤٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٥٥

وأرجع ليس في كفى منه سوى عض اليدين على الحظوظ^(١).

مثل من شجاعه على

ما سمعنا انه عليه السلام دعا إلى مبارزة قط، وإنما كان يدعى هو بعينه، أو يدعو من يبارز، فيخرج إليه فيقتله،

دعا بنو ربيعة بن عبد بن شمس بنى هاشم إلى البراز يوم بدر فخرج عليه السلام فقتل الوليد واشترك هو وحمزة عليه السلام في قتل عتبة،

ودعا طلحة بن أبي طلحة إلى البراز يوم أحد، فخرج إليه فقتله،

ودعا مرحب إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله.

فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود فإنها أجل من أن يقال جليلة، وأعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله على أم أبو بكر؟ فقال: يا بن أخي، والله لمبارزة على عمرا يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والانصار وطاعاتهم كلها وتربى عليها فضلا عن أبي بكر وحده.

وقد روى عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه،

روى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى، عن ربيعة بن مالك السعدى، قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله، إن الناس يتحدثون عن على بن أبى طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتفرطون في تقریظ هذا الرجل، فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال يا ربيعة، وما الذى تسألني عن على، وما الذى أحدثك عنه! والذى نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد عليه السلام في كفه الميزان منذ بعث الله تعالى محمدا إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال على في الكفة الاخرى لرجح على أعمالهم كلها، فقال ربيعة: هذا المدح الذى لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إنى لاظنه إسرافا يا أبا عبد الله! فقال حذيفة: يا لكع، وكيف لا يحمل! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع، ودعا

إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه على فقتله ! والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم اعظم أجرا من أعمال أمة محمد ﷺ إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة.

وجاء في الحديث المرفوع : (إن رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم حين برز إليه : (برز الايمان كله إلى الشرك كله).

وقال أبو بكر بن عياش : لقد ضرب علي بن أبي طالب ﷺ ضربة ما كان في الاسلام أيمن منها ضربته عمرا يوم الخندق، ولقد ضرب علي ضربة ما كان في الاسلام أشام منها - يعنى ضربة ابن ملجم لعنه الله.

وفي الحديث المرفوع أن رسول الله ﷺ لما بارز علي عمرا ما زال رافعا يديه مقمحا رأسه نحو السماء، داعيا ربه قائلا : اللهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، فاحفظ علي اليوم عليا، (رب لا تدرني فردا وأنت خير الوارثين)

وقال جابر بن عبد الله الانصاري : والله ما شبهت يوم الاحزاب، قتل علي عمرا وتخاذل المشركين بعده، إلا بما قصه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله : (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت).

وروى عمرو بن أزهري، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أن عليا ﷺ لما قتل عمرا احتز رأسه وحمله فألقاه بين يدي رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأسه، ووجه رسول الله ﷺ يتهلل، فقال : هذا النصر ! أو قال : هذا أول النصر.

وفي الحديث المرفوع إن رسول الله ﷺ قال يوم قتل عمرو : (ذهب ريحهم، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله)^(١).

شيث بن الربيع في صفين

بعث علي ﷺ إلى معاوية بشير بن عمرو بن محسن الانصاري، وسعيد بن قيس الهمداني وشيث بن الربيع التميمي، فقال : ائتوا هذا الرجل، فادعوه إلى الله عزوجل، وإلى الطاعة والجماعة، وإلى اتباع أمر الله سبحانه. فقال له شيث : يا أمير المؤمنين، ألا تطمعه في سلطان توليه إياه، ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك؟ فقال :

اثتوه الان والقوه واجتجوا عليه، وانظروا ما رأيه في هذا. فأتوه فدخلوا عليه، فحمد أبو عمرو بن محصن الله وأثنى عليه، وقال : أما بعد يا معاوية فإن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله مجازيك بعملك ومحاسبك بما قدمت يداك، وإنني أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة، وألا تسفك دماءها بينها. فقطع معاوية عليه الكلام وقال : فهلا أوصيت صاحبك ! فقال : سبحان الله ! إن صاحبي لا يوصى، إن صاحبي ليس مثلك، صاحبي أحق الناس بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقراءة من الرسول. قال معاوية : فتقول ما ذا؟ قال : أدعوك إلى تقوى ربك، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق، فإنه أسلم لك في دينك، وخير لك في عاقبة أمرك. قال : ويطل دم عثمان ! لا والرحمن لا أفعل ذلك أبدا. فذهب سعيد بن قيس يتكلم، فبدره شبت بن الربيعي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : يا معاوية، قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه لا يخفى علينا ما تقر وما تطلب، إنك لا تجد شيئا تستغوى به الناس، ولا شيئا تستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم إلا أن قلت لهم : قتل إمامكم مظلوما، فهلموا نطلب بدمه، فاستجاب لك سفهاء طغام رذال، وقد علمنا أنك أبطال عنه بالنصر، وأحببت له القتل، لهذه المنزلة التي تطلب، ورب مبتغ أمرا، وطالب له يحول الله دونه، وربما أوتى المتمنى أمنيته، وربما لم يؤتها، والله مالك في واحدة منهما خير، والله لئن أخطأك ما ترجو إنك لشر العرب حالا، ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلي النار، فاتق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله. فحمد معاوية الله وأثنى عليه، وقال : أما بعد فإن أول ما عرفت به سفهك وخفه حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه. ثم عتبت بعد فيما لا علم لك به، ولقد كذبت ولؤمت أيها الاعرابي الجلف الجافي في كل ما وصفت وذكرت. انصرفوا من عندي فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف. وغضب فخرج القوم وشبت يقول : أعلينا تهول بالسيف ! أما والله لنجعلنه إليك، فأتوا عليا عليه السلام، فأخبروه بالذي كان من قوله، وذلك في شهر ربيع الآخر^(١).

مذاهب المعتزلة في تفضيل امير المؤمنين عليه السلام

قال ابن أبي الحديد : اختلفوا في التفضيل ، فقال قدماء البصريين كابى عثمان عمرو بن عبيد ، وابى اسحاق ابراهيم بن سيار النظام ، وابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وابى معن ثمامه بن اشرس ، وابى محمد هشام بن عمرو الفوطى ، وابى يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وجماعه غيرهم : ان ابا بكر افضل من على عليه السلام ، وهؤلاء يجعلون ترتيب الاربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

وقال البغداديون قاطبة ، قدمائهم ومتأخروهم ، كابى سهل بشر بن المعتمر ، وابى موسى عيسى بن صبيح ، وابى عبد الله جعفر بن مبشر ، وابى جعفر الاسكافي ، وابى الحسين الخياط ، وابى القاسم عبد الله بن محمود البلخى وتلامذته ان عليا عليه السلام افضل من ابى بكر.

والى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى اخيرا وكان من قبل من المتوقفين ، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به ، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته. وقال في كثير من تصانيفه : ان صح خبر الطائر فعلى افضل

ثم ان قاضى القضاء رحمه الله ذكر في شرح (المقالات) لابي القاسم البلخى ان ابا على رحمه الله ما مات حتى قال بتفضيل على عليه السلام ، وقال انه نقل ذلك عنه سماعا ، ولم يوجد في شئ من مصنفاته. وقال أيضا : إن ابا على رحمه الله يوم مات استدنى ابنه ابا هاشم إليه ، وكان قد ضعف عن رفع الصوت فالقى إليه اشياء ، من جملتها القول بتفضيل على عليه السلام.

وممن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبد الله الحسين بن على البصري رضى الله عنه ، كان متحققا بتفضيله ، ومبالغا في ذلك وصنف فيه كتابا مفردا.

وممن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين قاضى القضاء أبو الحسن عبد الجبار بن احمد رحمه الله ، ذكر ابن متويه عنه في كتاب (الكفايه) في علم الكلام انه كان من المتوقفين بين على عليه السلام وابى بكر ، ثم قطع على تفضيل على عليه السلام بكامل المنزله.

ومن البصريين الذاهبين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمد الحسن بن متويه صاحب (التذكرة) نص في كتاب (الكفايه) على تفضيله عليه السلام على ابى بكر ، احتج لذلك ، واطال في الاحتجاج. فهذان المذهبان كما عرفت.

وذهب كثير من الشيوخ إلى التوقف فيهما، وهو قول ابى حذيفة واصل بن عطاء، وابى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف، من المتقدمين وهما وان ذهبا إلى التوقف بينه عليه السلام وبين ابى بكر وعمر قاطعان على تفضيله على عثمان ومن الذاهبيين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبى على، والشيخ أبو الحسين محمد بن على بن الطيب البصري.

واما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون، من تفضيله عليه السلام ^(١).

نساء المشركين باحد

اختلفت قريش في إخراج الظعن معهم، قال صفوان بن أمية : اخرجوا بالظعن فأنا أول من فعل، فإنه أقمن أن يحفظنكم ويذكرنكم قتلى بدر، فإن العهد حديث، ونحن قوم موتورون مستميتون، لا نريد أن نرجع إلى ديارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه. فقال عكرمة بن أبى جهل أنا أول من أجاب إلى ما دعوت إليه، وقال عمرو بن العاص مثل ذلك، فمشى في ذلك نوفل بن معاوية الديلى، فقال يا معشر قريش، هذا ليس برأى، أن تعرضوا حرمكم لعدوكم، ولا آمن أن تكون الدبرة لهم فتفتضحوا في نسائكم فقال صفوان لا كان غير هذا أبدا فجاء نوفل إلى أبى سفيان بن حرب، فقال له تلك المقالة، فصاحت هند بنت عتبة إنك والله سلمت يوم بدر، فرجعت إلى نسائك، نعم نخرج فنشهد القتال، فقد ردت القيان من الجحفة في سفرهم إلى بدر، فقتلت الاحبة يومئذ فقال أبو سفيان لست أخالف قريشا، أنا رجل منها، ما فعلت فعلت. فخرجوا بالظعن، فخرج أبو سفيان بن حرب بامرأتين : هند بنت عتبة بن ربيعة وأميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم بن كنانة، وخرج صفوان بن أمية بامرأتين : برزة بنت مسعود الثقفى وهى أم عبد الله الاكبر والبغوم بنت المعذل من كنانة، وهى ام عبد الله الاصغر، وخرج طلحة بن ابى طلحة بامرأته سلافة بنت سعد بن شهيد، وهى من الاوس، وهى أم بنيه مسافع، والحارث، وكلاب والجلال بنى طلحة بن أبى طلحة، وخرج عكرمة بن أبى جهل بامرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبه بن الحجاج، وهى أم عبد الله بن عمرو بن العاص

- وقال محمد بن إسحاق: أسماها ربيعة - وخرجت نخاس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز بن عمير، أخي مصعب بن عمير من بني عبد الدار، وخرج الحارث بن سفيان بن عبيد الاسد بامرأته رملة بنت طارق بن علقمة الكنانية، وخرج كنانة بن علي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بامرأته أم حكيم بنت طارق، وخرج سفيان بن عوف بامرأته قتيلة بنت عمرو بن هلال، وخرج النعمان بن عمرو وجابر مسك الذئب أخوه، بأمهما الدغينة، وخرج غراب بن سفيان بن عوف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية، وهي التي رفعت لواء قريش حين سقطت حتى تراجعت قريش إلى لوائها، وفيها يقول حسان ولو لا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الاسواق بالثمن البخس. قالوا وخرج سفيان بن عوف بعشرة من ولده، وحشدت بنو كنانة. وكانت الالوية يوم خرجوا من مكة ثلاثة عقدها في دار الندوة، لواء يحمله سفيان بن عوف لبني كنانة، ولواء الاحابيش يحمله رجل منهم، ولواء لقريش يحمله طلحة بن أبي طلحة^(١).

التراويح بدعة

عن النبي ﷺ أنه قال: (أيها الناس إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة وصلاة الضحى بدعة ألا فلا تجتمعوا ليلا في شهر رمضان في النافلة ولا تصلوا صلاة الضحى فان قليلا في سنة خير من كثير في بدعة ألا وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها في النار).

روى: أن عمر خرج في شهر رمضان ليلا فرأى المصاييح في المسجد، فقال: ما هذا؟ فقيل له: إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع، فقال: بدعة فنعمت البدعة! فاعترف كما ترى بأنها بدعة، وقد شهد الرسول ﷺ أن كل بدعة ضلالة.

وقد روى أن أمير المؤمنين ﷺ لما اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماما يصلى بهم نافلة شهر رمضان، زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لانفسهم وقدموا بعضهم فبعث إليهم ابنه الحسن ﷺ فدخل عليهم المسجد ومعه الدرّة فلما رأوه تبادروا الابواب وصاحوا وا عمراه^(٢).

الاصبغ من ذخائر علي عليه السلام ممن قد بايعه على الموت

لما أسرع أهل العراق في أهل الشام يوم صفين، قال لهم معاوية : هذا يوم تمحيص، وإن لهذا اليوم ما بعده، وقد أسرعتم في القوم كما أسرعوا فيكم، فاصبروا وموتوا كراما. وحرص علي عليه السلام أصحابه فقام إليه الاصبغ بن نباتة وقال : يا أمير المؤمنين، قدمني في البقية من الناس، فإنك لا تفقد لي اليوم صبورا ولا نصرا، أما أهل الشام فقد أصبنا منهم، وأما نحن ففينا بعض البقية، ائذن لي فأتقدم، فقال له : تقدم علي اسم الله والبركة، فتقدم وأخذ الراية ومضى بها، وهو يقول :

إن الرجاء بالقنوط يدمغ حتى متى يرجو البقاء الاصبغ !
 أما ترى أحداث دهر تنبغ فأدبغ هواك، والاديم يدبغ
 والرفق فيما قد تريد أبلغ اليوم شغل، وغدا لا تفرغ
 فما رجع إلى علي عليه السلام حتى خضب سيفه دما ورمحه. وكان شيخا ناسكا عابدا،
 وكان إذا لقي القوم بعضهم بعضا يغمد سيفه، وكان من ذخائر علي عليه السلام ممن قد بايعه
 علي الموت، وكان علي عليه السلام يظن به عن الحرب والقتال^(١).

ولكن سعدا لم يبائع أبا بكر

قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي، صحابي، يكنى أبا عبد الملك، روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث، وكان طوالا جدا سباطا شجاعا، جوادا، وأبوه سعد رئيس الخزرج، وهو الذي حاولت الانصار إقامته في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يبائع أبا بكر حين بويع، وخرج إلى حوران، فمات بها، قيل قتلته الجن لانه بال قائما في الصحراء ليلا، ورووا بيتين من شعر، قيل إنهما سمعا ليلة قتله، ولم ير قائلهما : نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده. ويقول قوم : إن أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلا، وهو خارج إلى الصحراء بسهمين، فقتله لخروجه عن طاعة الامام، وقد قال بعض المتأخرين في ذلك :

يقولون سعد شكت الجن قلبه ألا ربما صححت دينك بالغدرد

وما ذنب سعد أنه بال قائما ولكن سعدا لم يبائع أبا بكر

وقد صبرت من لذة العيش أنفوس وما صبرت عن لذة النهي والامر^(١).

اعرابي يسأل

عن أبي زيد الانصاري، قال : وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي، فقال : الحمد لله كما هو أهله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه، خرجنا من المدينة، مدينة الرسول ﷺ، ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة، وحمل على المكروه، ولا يمرضون مرضاهم، ولا يدفنون ميتهم، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه، والله يا قوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق، ولقد مشيت حتى انتعلت الدم، وحتى خرج من قدمي بخص ولحم كثير، أفلا رجل يرحم ابن سبيل وفل طريق، ونضنو سفر ! فإنه لا قليل من الاجر، ولا غنى عن ثواب الله، ولا عمل بعد الموت، وهو سبحانه يقول : من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا، ملي وفي ماجد واجد، جواد لا يستقرض من عوز، ولكنه يبلو الاخيار. قال المازني : فبلغني إنه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا^(٢).

ترتيب عسكر على تراج

كان ترتيب عسكر على ﷺ، بموجب ما رواه لنا عمرو بن شمر، عن جابر، عن محمد بن علي، وزيد بن حسن، ومحمد بن عبد المطلب : أنه جعل على الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ودفح اللواء إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس، وعلى الميسرة عبد الله بن العباس، وجعل على رجالة الميمنة سليمان بن صرد الخزاعي، وعلى رجالة الميسرة الحارث بن مرة العبدي، وجعل القلب مضر الكوفة والبصرة، وجعل على ميمنة القلب اليمن وعلي ميسرته ربيعة، وعقد ألوية القبائل، فأعطاهما قوما منهم بأعيانهم، وجعلهم رؤساءهم وأمراءهم، وجعل على قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عباس، وعلى كندة حجر بن عدى الكندي، وعلى بكر البصرة الحصين بن المنذر الرقاشي، وعلى تميم البصرة الاحنف بن قيس، وعلى خزاعة عمرو بن الحمق، وعلى بكر الكوفة نعيم بن هبيرة، وعلى سعد البصرة وربابها جارية بن قدامة السعدي، وعلى بجيلة رفاعة بن شداد، وعلى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١١١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٢٥

ذهل الكوفة رويما الشيباني - أو يزيد بن رويم - وعلى عمرو البصرة وحنظلتها أعين بن
 ضبيعة، وعلى قضاة وطبيء عدى بن حاتم الطائي، وعلى لهازم الكوفة عبد الله بن حجل
 العجلي، وعلى تميم الكوفة عمير بن عطارد، وعلى الازد واليمن جندب بن زهير، وعلى
 ذهل البصرة خالد بن المعمر السدوسي، وعلى عمرو الكوفة وحنظلتها شيبث بن ربيع،
 وعلى همدان سعيد بن قيس، وعلى لهازم البصرة حريث ابن جابر الجعفي، وعلى سعد
 الكوفة وربابها الطفيل أبا صريمة، وعلى مذحج الاشر بن الحارث النخعي، وعلى عبد
 القيس الكوفة صعصعة بن صوحان، وعلى عبد القيس البصرة عمرو بن حنظلة، وعلى
 قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل البكائي، وعلى قریش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمي
 وعلى قيس البصرة قبيصة بن شداد الهلالي، وعلى اللقيف من القواصي القاسم بن حنظلة
 الجهني، وأما معاوية فاستعمل على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى الرجالة
 مسلم بن عقبة المري، وجعل على الميمنة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى الميسرة
 حبيب ابن مسلمة الفهري، وأعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وجعل على
 أهل دمشق - وهم القلب - الضحاك بن قيس الفهري، وعلى أهل حمص - وهم الميمنة
 - ذا الكلاع الحميري، وعلى أهل قنسرين - وهم في الميمنة أيضاً - زفر بن الحارث
 الكلابي، وعلى أهل الاردن - وهم الميسرة - سفيان بن عمرو أبا الاعور السلمى،
 وعلى أهل فلسطين - وهم في الميسرة أيضاً - مسلمة بن مخلد، وعلى رجالة أهل دمشق
 بسر بن أبي أرطاة العامري بن لؤى بن غالب، وعلى رجالة أهل حمص حوشبا ذا ظليم،
 وعلى رجالة قيس طريف بن حابس الالهاني، وعلى رجالة الاردن عبد الرحمن بن قيس
 القيني، وعلى رجالة أهل فلسطين الحارث بن خالد الازدي، وعلى رجالة قيس دمشق
 همام بن قبيصة، وعلى قضاة حمص وإيادها بلال بن أبي هبيرة الازدي، وحاتم بن
 المعتمر الباهلي، وعلى رجالة الميمنة حابس بن سعيد الطائي، وعلى قضاة دمشق
 حسان بن بحدل الكلبي، وعلى قضاة عباد بن يزيد الكلبي، وعلى كندة دمشق حسان بن
 حوى السكسكي، وعلى كندة حمص يزيد بن هبيرة السكوني، وعلى سائر اليمن يزيد بن
 أسد البجلي، وعلى حمير وحضر موت اليمان بن غفير، وعلى قضاة الاردن حبيش بن
 دلجة القيني، وعلى كنانة فلسطين شريكا الكناني، وعلى مذحج الاردن المخارق بن
 الحارث الزبيدي، وعلى جذام فلسطين ولخما ناتل بن قيس الجذامي، وعلى همدان
 الاردن حمزة بن مالك الهمداني، وعلى الخثعم حمل بن عبد الله الخثعمي، وعلى غسان

الاردن يزيد بن الحارث وعلى جميع القواصي القعقاع بن أبرهة الكلاعي، أصيب في
المبارزة أول يوم تراءت فيه الفئتان عليه السلام بعث على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء
الخزاعي، وعلى ميسرته عبد الله بن بعث على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء
الخزاعي، وعلى ميسرته عبد الله بن العباس، وعلى خيل الكوفة الاشر، وعلى البصرة
سهل بن حنيف، وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن
سعد - كان قد أقبل من مصر إلى صفين - وجعل معه هاشم بن عتبة، وجعل مسعود بن
فدكي التميمي على قراء أهل البصرة، وأما قراء أهل الكوفة فصاروا إلى عبد الله بن
بديل، وعمار بن ياسر. وأما ترتيب عسكر الشام - فيما رواه لنا عمر بن سعد، عن عبد
الرحمن ابن يزيد بن جابر، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية - فإن معاوية بعث على
ميمنته ذا الكلاع، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى مقدمته من يوم أقبل من
دمشق أبا الاعور السلمى، وكان على خيل دمشق كلها عمرو بن العاص، ومعه خيول
أهل الشام بأسرها، وجعل مسلم بن عقبة المرى على رجالة دمشق، والضحاك بن قيس
على سائر الرجالة بعد^(١).

اطعموني ماء

خرج مغيرة بن سعيد العجلي في ثلاثين رجلا بظهر الكوفة، فقطعطوا، وخالد بن
عبد الله القسرى أمير العراق، يخطب على المنبر فعرق، واضطرب وتحير، وجعل
يقول : اطعموني ماء، فهجاه ابن نوفل فقال :

أخالد لاجزاك الله خيرا	وإيرى في حرامك من أمبر
تروم الفخر في أعراب قسر	كأنك من سراة بنى جرير
جرير من ذوى يمن أصيل	كريم الاصل ذو خطر كثير
وأملك علجة وأبوك وغد	وما الاذئاب عدل للصدور !
وكنت لدى المغيرة عبد سوء	تبول من المخافة للزئير
لا علاج ثمانية وشيخ	كبير السن ليس بذى ضرير
صرخت من المخافة : اطعموني	شرابا ثم بلت على السرير

وقال آخر يعيره بذلك :

بل المنابر من خوف ومن دهش واستطعم الماء لماجد في الهرب^(١).

زوجت يوم أحد عشرة من أصحاب محمد الحور العين

اقبل ضرار بن الخطاب فارسا يجر قناة له طويلة، فيطعم عمرو بن معاذ، فأنفذه ويمشى عمرو إليه حتى غلب، فوقع لوجهه، قال : يقول ضرار : لا تعدمن رجلا زوجك من الحور العين، وكان يقول زوجت يوم أحد عشرة من أصحاب محمد الحور العين.

فسألت شيوخ الحديث : هل قتل عشرة قالوا : ما بلغنا إنه قتل إلا ثلاثة، ولقد ضرب يومئذ عمر بن الخطاب حين جال المسلمون تلك الجولة بالقناة، وقال يا بن الخطاب، إنها نعمة مشكورة، ما كنت لاقتلك. قال الواقدي : وكان ضرار يحدث بعد، ويذكر وقعة أحد، ويذكر الانصار فيترحم عليهم، ويذكر غنائهم في الاسلام، وشجاعتهم وأقدامهم على الموت، ثم يقول لقد قتل أشرف قومي ببدر، فأقول من قتل أبا الحكم فيقال ابن عفرأء. من قتل أمية بن خلف فيقال خبيب بن يساف. من قتل عقبة بن أبي معيط فيقال عاصم بن ثابت. من قتل فلان بن فلان فيسمى لى من الانصار، من أسر سهيل بن عمرو فيقال مالك بن الدخشم. فلما خرجنا إلى أحد، وأنا أقول إن قاموا في صياصيتهم فهي منيعة لا سبيل لنا إليهم نقيم أياما ثم ننصرف، وإن خرجوا إلينا من صياصيتهم أصبنا منهم، فإن معنا عددا أكثر من عددهم، ونحن قوم موتورون، خرجنا بالظعن يذكرنا قتلى بدر، ومعنا كراع ولا كراع معهم، وسلاحنا أكثر من سلاحهم، ففضى لهم أن خرجوا، فالتقينا، فوالله ما قمنا لهم حتى هزمتنا وانكشفتنا مولين، فقلت في نفسي هذه أشد من وقعة بدر، وجعلت أقول لخالد بن الوليد : كر على القوم، فيقول وترى وجهها نكر فيه حتى نظرت إلى الجبل الذى كان عليه الرماة خاليا، فقلت يا أبا سليمان، أنظر وراءك، فعطف عنان فرسه، وكررتنا معه، فانتبهنا إلى الجبل، فلم نجد عليه أحدا له بال، وجدنا نفيرا فأصبناهم، ثم دخلنا العسكر، والقوم غارون ينتهبون عسكرنا، فأقحمنا الخيل عليهم، فتطايروا في كل وجه، ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا، وجعلت أطلب الاكابر من الاوس والخزرج قتلة الاحبة، فلا أرى أحدا، هربوا فما كان حلب ناقة حتى تداعت

الانصار بينها، فاقبلت فخالطونا ونحن فرسان، فصبرنا لهم، وصبروا لنا، وبذلوا أنفسهم حتى عقروا فرسى، وترجلت فقتلت منهم عشرة، ولقيت من رجل منهم الموت الناقع، حتى وجدت ریح الدم، وهو معانقي ما يفارقني، حتى أخذته الرماح من كل ناحية، فوقع. فالحمد لله الذي أكرمهم بيدي، ولم يهنى بأيديهم^(١).

بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله تعالى

قال الواقدي : وحدثني يونس بن محمد الظفري، عن عاصم بن عمر، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال : كان أبي بن خلف قدم في فداء ابنه، وكان أسر يوم بدر، فقال : يا محمد، إن عندي فرسا لي أعلفها فرقا من ذرة كل يوم لاقتلك عليها. فقال رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله تعالى. ويقال : إن أبيا إنما قال ذلك بمكة، فبلغ رسول الله ﷺ بالمدينة كلمته فقال : بل أنا أقتله عليها إن شاء الله.

وإذا بأبي يركض على فرسه، وقد رأى رسول الله ﷺ فعرفه، فجعل يصيح بأعلى صوته : يا محمد لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله ما كنت صانعا حين يغشاك أبي ؟ فاصنع، فقد جاءك، وإن شئت عطف عليه بعضنا، فأبى رسول الله ﷺ، ودنا أبي، فتناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، ثم انتفض كما ينتفض البعير. قال : فتطيرنا عنه تطاير الشعارير، ولم يكن أحد يشبه رسول الله ﷺ إذا جد الجدد، ثم طعنه بالحربة في عنقه وهو على فرسه لم يسقط، إلا أنه خار كما يخور الثور، فقال له أصحابه : أأنا عامر، والله ما بك بأس، ولو كان هذا الذي بك بعين أحد ما ضره. قال : واللوات والعزى، لو كان الذي بي بأهلل المجاز لماتوا كلهم أجمعون، أليس قال : لاقتلته ! فاحتملوه، وسغللهم ذلك عن طلب رسول الله ﷺ حتى التحق بعظم أصحابه في الشعب^(٢).

ما اجتمعنا على شراب بعد ذلك اليوم

كان العلاء بن رافع سبط ذى الكلاع الحميرى مؤنسا لسليمان بن هشام بن عبد الملك لا يكاد يفارقه، وكان أمر المسودة بخراسان قد ظهر، ودنوا من العراق، واشتد

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٧٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ١١

إرجاف الناس، ونطق العدو بما أحب في بنى أمية وأوليائهم. قال العلاء : فإنى لمع سليمان، وهو يشرب تجاه رصافة أبيه، وذلك في آخر أيام يزيد الناقص، وعنده الحكم الوادي، وهو يغنيه بشعر العرجي :

إن الحبيب تروحت أجماله أصلا ، فدمعك دائم إسباله
فاقن الحياء فقد بكيت بعولة لو كان ينفع باكيا إعواله
يا حبذا تلك الحمول وحبذا شخص هناك، وحبذا أمثاله !

فأجاد ما شاء، وشرب سليمان بن هشام بالرطل، وشربنا معه حتى توسدنا أيدينا، فلم أنتبه إلا بتحريك سليمان إياي، فقمتم مسرعا، وقلت : ما شأن الامير؟ فقال : على رسلك، رأيت كأنى في مسجد دمشق، وكأن رجلا على يده حجر، وعلى رأسه تاج أرى بصيص ما فيه من الجوهر، وهو رافع صوته بهذا الشعر :

أبنى أمية قد دنا تشتيتكم وذهاب ملككم وليس براجع
وينال صفوته عدو ظالم كأسا لكم بسمام موت ناقع

فقلت : أعيد الامير بالله وساوس الشيطان الرجيم ! هذا من أضغاث الاحلام، ومما يقتضيه ويجلبه الفكر، وسماع الارجيف. فقال : الامر كما قلت لك، ثم وجم ساعة، وقال : يا حميري، بعيد ما يأتي به الزمان قريب ! قال العلاء : فوالله ما اجتمعنا على شراب بعد ذلك اليوم^(١).

اشهدوا

عن رباح بن الحارث النخعي، قال : كنت جالسا عند على عليه السلام، إذ قدم عليه قوم مثلثون، فقالوا : السلام عليك يا مولانا، فقال لهم : أو لستم قوما عربا ! قالوا : بلى، ولكننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم : (من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله) قال : فلقد رأيت عليا عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال : اشهدوا^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٣٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٠٨

خطبة الاسكندر في جنده

خطب الاسكندر جنده فقال لهم بالرومية كلاما تفسيره يا عباد الله انما الهكم الله الذي في السماء الذي نصرنا بعد حين الذي يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغني أن الله احب شيئا الا احبته وعملت به إلى يوم اجلى ولا يبلغني انه ابغض شيئا الا ابغضته وهجرته إلى يوم اجلى وقد انبئت أن الله يحب العدل في عباده ويبغض الجور فويل للظالم من سوطي وسيفي ومن ظهر منه العدل من عمالي فليتكئ في مجلسي كيف شاء وليتمن على ما شاء فلن تخطئه امنيته والله المجازي كلا بعمله^(١).

ما قاتل عليا أحد إلا وعلى أولى بالحق منه

عن عبيد الله بن موسى، قال : سمعت سفيان بن سعيد المعروف بسفيان الثوري، يقول : ما أشك أن طلحة والزبير بايعا عليا، وما نقما عليه جورا في حكم ولا استئثارا بفيء، وما قاتل عليا أحد إلا وعلى أولى بالحق منه^(٢).

قصر الخبال، لا تنزلوا فيه

قدم على ﷺ إلى الكوفة نزل على باب المسجد، فدخل فصلى، ثم تحول فجلس إليه الناس، فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة، فقال قائل : استأثر الله به، فقال على ﷺ : إن الله تبارك وتعالى لا يستأثر بأحد من خلقه، إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه، وإذلال خلقه، وقرأ : (كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم، قال نصر : فلما لحقه ﷺ ثقله قالوا : أنزل القصر؟ فقال : قصر الخبال، لا تنزلوا فيه^(٣)).

انا املك الاجساد لا النيات

ورقى إلى كسرى قباذ أن في بطانة الملك قوما قد فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم لان احكام الملك جرت على بعضهم لبعضهم فوقع في الجواب انا املك الاجساد لا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٥

النيات واحكم بالعدل لا بالهوى وافحص عن الاعمال لا عن السرائر^(١).

لم يصب الكوفة منه اكثر من ثلاث

وتظلم اهل الكوفة إلى المأمون من واليهم فقال ما علمت في عمالي اعدل ولا اقوم بامر الرعية ولا اعود بالرفق منه فقال له منهم واحد فلا احد اولى منك يا امير المؤمنين بالعدل والانصاف وإذا كان بهذه الصفة فمن عدل امير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق اهل كل بلد من عدله مثل ما لحقنا منه ويأخذو بقسطهم منه كما اخذ منه سواهم وإذا فعل امير المؤمنين ذلك لم يصب الكوفة منه اكثر من ثلاث سنين فضحك وعزله^(٢).

عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح

ويقال إن في بعض الكتب المنزلة القديمة عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ولمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب واعجب من ذلك من احب نفسه على اليقين وابغض الناس على الظن^(٣).

حقد العرب الطويل على امير المؤمنين ﷺ

واعلم أن حال علي ﷺ اشهر من أن يحتاج في الدلالة عليها إلى الاسهاب والاطناب فقد رايت انتقاض العرب عليه من اقطارها حين بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة وفي دون هذه المدة تنسى الاحقاد وتموت التراث وتبرد الاكباد الحامية وتسلو القلوب الواجدة ويعدم قرن من الناس ويوجد قرن ولا يبقى من ارباب تلك الشحناء والبغضاء الا الاقل فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنها حاله لو افضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه ﷺ من اظهار ما في النفوس وهيجان ما في القلوب حتى إن الاخلاف من قريش والاحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في اسلافهم وآبائهم فعلوا به ما لو كانت الاسلاف احياء لقصرت عن فعله وتقاعت عن بلوغ شاوه فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبر الخلافة وسيفه بعد

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٠٣

يقطر دما من مهج العرب لا سيما قريش الذين بهم كان ينبغي - لو دهمه خطب - أن يعتضد وعليهم كان يجب أن يعتمد اذن كانت تدرس اعلام المله وتنغى رسوم الشريعة وتعود الجاهلية الجهلاء على حالها ويفسد ما اصلحه رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة في شهر واحد فكان من عناية الله تعالى بهذا الدين أن الهم الصحابة ما فعلوه والله متم نوره ولو كره المشركون^(١).

سيد أهل الاباء

سيد أهل الاباء، الذى علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، اختيارا له على الدنيا، أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام، عرض عليه الامان وأصحابه، فأنف من الذل، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان، إن لم يقتله، فاختر الموت على ذلك. وسمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوى البصرى، يقول : كان أبيات أبى تمام في محمد بن حميد الطائى ما قيلت إلا في الحسين ﷺ

: وقد كان فوت الموت سهلا فرده إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

ونفس تعاف الضيم حتى كأنه هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها : من تحت أخمصك الحشر

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل إلا وهى من سندس خضر

لما فر أصحاب مصعب عنه، وتخلف في نفر يسير من أصحابه، كسر جفن سيفه،

وأنشد :

فإن الالى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التاسيا

فعلم أصحابه أنه قد استقتل.

ومن كلام الحسين ﷺ يوم الطف، المنقول عنه، نقله عنه زين العابدين على

ابنه ﷺ : (ألا وإن الدعى بن الدعى، قد خيرنا بين اثنتين : أو الذلة، وهيئات منا الذلة

يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجز طهرت، وأنوف حمية،

ونفوس أبيه). وهذا نحو قول أبيه ﷺ، وقد ذكرناه فيما تقدم : (إن امرا أمكن عدوامن

نفسه، يعرق لحمه، ويفرى جلده، ويهشم عظمه، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، فكن أنت ذاك إن شئت، فأما أنا فدون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والاقدام^(١).

كلام النقيب في المفاضلة بين علي وجعفر

سالت النقيب ابا جعفر يحيى بن محمد بن ابى يزيد رحمه الله قلت له اتقول إن حمزة وجعفر لو كانا حيين يوم مات رسول الله ﷺ اكانا يبائعانه بالخلافة فقال نعم كانا اسرع إلى بيعته من النار في يبس العرفج فقلت له اظن أن جعفر كان يبائعه ويتابعه وما اظن حمزة كذلك واره جبارا قوى النفس شديد الشكيمة ذاهبا بنفسه شجاعا بهمة وهو العم والاعلى سنا وآثاره في الجهاد معروفة واطنه كان يطلب الخلافة لنفسه. فقال الامر في اخلاقه وسجاياه كما ذكرت ولكنه كان صاحب دين متين وتصديق خالص لرسول الله ﷺ ولو عاش لراى من احوال على ؑ مع رسول الله ﷺ ما يوجب أن يكسر له نخوته وأن يقيم له صعره وأن يقدمه على نفسه وأن يتوخى رضا الله ورضا رسوله فيه وإن كان بخلاف ايثاره. ثم قال اين خلق حمزة السبعى من خلق على الروحانى اللطيف الذى جمع بينه وبين خلق حمزة فانصفت بهما نفس واحدة واين هيولانية نفس حمزة وخلوها من العلوم من نفس على القدسية التى ادركت بالفطرة لا بالقوة التعليمية ما لم تدركه نفوس مدققي الفلاسفة الالهيين لو أن حمزة حى حتى راى من على ما رآه غيره لكان اتبع له من ظله واطوع له من ابى ذر والمقداد اما قولك هو والعم والاعلى سنا فقد كان العباس العم والاعلى سنا وقد عرفت ما بذله له وندبه إليه وكان أبو سفيان كالعم وكان اعلى سنا وقد عرفت ما عرضه عليه ثم قال ما زالت الاعمام تخدم ابناء الاخوة وتكون اتباعا لهم الست ترى داود بن على وعبد الله بن على وصالح بن على وسليمان بن على وعيسى بن على واسماعيل ابن على وعبد الصمد بن على خدموا ابن اخيهم - وهو عبد الله السفاح بن محمد بن على - وبائعوه وتابعوه وكانوا امراء جيوشه وانصاره واعوانه الست ترى حمزة والعباس اتبعا ابن اخيهما صلوات الله عليه واطاعاه ورضيا برياسته وصدقا دعوته الست تعلم أن ابا طالب كان رئيس بنى هاشم وشيخهم والمطاع فيهم وكان

محمد رسول الله ﷺ يتيمة ومكفولة وجاريا مجرى احد اولاده عنده ثم خضع له واعترف بصدقه ودان لامره حتى مدحه بالشعر كما يمدح الادنى الاعلى فقال فيه وايض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل وإن سرا اختص به محمد ﷺ حتى اقام ابا طالب - وحاله معه حاله - مقام المادح له لسر عظيم وخاصيه شريفه وإن في هذا لمعتبر عبرة أن يكون هذا الانسان الفقير الذي لا انصار له ولا اعوان معه ولا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلا عن أن يقهر غيره تعمل دعوته واقواله في الانفس ما تعمله الخمر في الابدان المعتدلة المزاج حتى تطيعه اعمامه ويعظمه مربيه وكافله ومن هو إلى آخر عمره القيم بنفخته وغذاء بدنه وكسوة جسده حتى يمدحه بالشعر كما يمدح الشعراء الملوك والرؤساء وهذا في باب المعجزات عند المنصف اعظم من انشقاق القمر وانقلاب العصا ومن انباء القوم بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم. ثم قال رحمه الله كيف قلت اظن أن جعفرا كان يبايعه ويتابعه ولا اظن في حمزة ذلك إن كنت قلت ذلك لانه اخوه فانه اعلى منه سنا هو اكبر من على بعشر سنين وقد كانت له خصائص ومناقب كثيرة وقال فيه النبي ﷺ قولا شريفا اتفق عليه المحدثون قال له لما افتخر هو وعلى وزيد بن حارثه وتحاكموا إلى رسول الله ﷺ (اشبهت خلقي وخلقي) فخجل فرحا ثم قال لزيد (انت مولانا وصاحبنا) فخجل أيضاً ثم قال لعلى (انت اخي وخالصتي) قالوا فلم يخجل قالوا كان ترادف التعظيم له وتكرره عليه لم يجعل عنده للقول ذلك الموضع وكان غيره إذا عظم عظم نادرا فيحسن موقعه عنده واختلف الناس في أي المدحتين اعظم. فقلت له قد وقفت لابي حيان التوحيدي في كتاب (البصائر) على فصل عجيب يمازج ما نحن فيه قال في الجزء الخامس من هذا الكتاب سمعت قاضي القضاة ابا سعد بشر بن الحسين - وما رايت رجلا اقوى منه في الجدل - في مناظرة جرت بينه وبين ابي عبد الله الطبري وقد جرى حديث جعفر بن ابي طالب وحديث اسلامه والتفاضل بينه وبين اخيه على فقال القاضي أبو سعد إذا انعم النظر علم أن اسلام جعفر كان بعد بلوغه واسلام البالغ لا يكون الا بعد استبصار وتبين و معرفة بقبح ما يخرج منه وحسن ما يدخل فيه وإن اسلام على مختلف في حاله وذلك انه قد ظن انه كان عن تلقين لا تبين إلى حين بلوغه واوان تعقبه ونظره وقد علم أيضاً انهما قتلا وإن قتله جعفر شهادة بالاجمال وقتله على فيها اشد الاختلاف ثم خص الله جعفرا بان قبضه إلى الجنة قبل ظهور التباين واضطراب الجبل وكثرة الهرج وعلى انه لو انعقد الاجماع

وتظاهر جميع الناس على أن القتلتين شهادة لكانت الحال في الذي رفع إليها جعفر اغلظ واعظم وذلك انه قتل مقبلا غير مدبر واما على فانه اغتيل اغتياالا وقصد من حيث لا يعلم وستان ما بين من فوجئ بالموت وبين من عاين مخايل الموت وتلقاه بالنحر والصدر وعجل إلى الله بالايمان والصدق الا تعلم أن جعفرا قطعت يمناه فامسك اللواء بيسراه وقطعت يسراه فضم اللواء إلى حشاه ثم قاتله ظاهر الشرك بالله وقاتل على ممن صلى إلى القبلة و شهد الشهادة واقدم عليه بتأويل وقاتل جعفر كافر بالنص الذي لا خلاف فيه اما تعلم أن جعفرا ذو الجناحين وذو الهجرتين إلى الحبشة والمدينة. قال النقيب رحمه الله اعلم - فداك شيخك - أن ابا حيان رجل ملحد زنديق يحب التلاعب بالدين ويخرج ما في نفسه فيعزوه إلى قوم لم يقولوه واقسم بالله أن القاضي ابا سعد لم يقل من هذا الكلام لفظة واحدة ولكنها من موضوعات ابي حيان واكاذيبه وترهاته كما يسند إلى القاضي ابي حامد المروروذى كل منكر ويروى عنه كل فاقرة. ثم قال يا ابا حيان مقصودك أن تجعلها مساله خلاف تثير بها فتنه بين الطالبين لتجعل باسهم بينهم وكيف تقلبت الاحوال فالفخر لهم لم يخرج عنهم. ثم ضحك رحمه الله حتى استلقى ومد رجليه وقال هذا كلام يستغنى عن الاطالة في ابطاله باجماع المسلمين فانه لا خلاف بين المسلمين في أن عليا افضل من جعفر وانما سرق أبو حيان هذا المعنى الذي اشار إليه من رسالة المنصور ابي جعفر إلى محمد بن عبد الله النفس الزكية قال له وكانت بنو امية يلعنون اباك في ادبار الصلوات المكتوبات كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبيننا فضله واشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت انه لما ذكرناه من فضله انا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر اولئك مضوا سالمين مسلمين منهم وابتلى ابوك بالدماء. فقلت له رحمه الله وإذا لا اجماع في المسالة لان المنصور لم يقل بتفضيله عليهم وانت ادعيت الاجماع فقال إن الاجماع قد سبق هذا القائل وكل قول قد سبقه الاجماع لا يعتد به. فلما خرجت من عند النقيب ابي جعفر بحثت في ذلك اليوم في هذا الموضوع مع احمد ابن جعفر الواسطي رحمه الله وكان ذا فضل وعقل وكان امامي المذهب فقال لي صدق النقيب فيما قال ا لست تعلم أن اصحابكم المعتزلة على قولين احدهما أن اكثر المسلمين ثوابا أبو بكر والاخر أن اكثرهم ثوابا على واصحابنا يقولون أن اكثر المسلمين ثوابا على وكذلك الزيدية واما الاشعرية والكرامية واهل الحديث فيقولون اكثر المسلمين ثوابا أبو بكر فقد خلص من مجموع هذه الاقوال أن ثواب حمزة وجعفر دون ثواب علي عليه السلام اما على قول الامامية والزيدية

والبغداديين كافة وكثير من البصريين من المعتزلة فالامر ظاهر واما الباكون فعندهم أن اكثر المسلمين ثوابا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ولم يذهب ذاهب إلى أن ثواب حمزة وجعفر اكثر من ثواب علي من جميع الفرق فقد ثبت الاجماع الذي ذكره النقيب إذا فسرنا الافضلية بالاكثورية ثوابا وهو التفسير الذي يقع الحجاج والجدال في اثباته لاحد الرجلين واما إذا فسرنا الافضلية بزيادة المناقب والخصائص وكثرة النصوص الدالة على التعظيم فمعلوم أن احدا من الناس لا يقارب عليا عليه السلام في ذلك لا جعفر ولا حمزة ولا غيرهما^(١).

يكتبون أحسن ما يسمعون

يقال : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون،
ويحفظون أحسن ما يكتبون،
ويتحدثون بأحسن ما يحفظون،
والاصدق نوع تحت جنس الاحسن^(٢).

ذره في بقعة الامكان ما لم يذره قائم البرهان

قال ابن سينا: إياك أن يكون تكييسك وتبرؤك من العامة، هو أن تنبري منكرا لكل شيء، فلذلك عجز وطيش، وليس الخرق في تكذيبك ما لم يستبين لك بعد جليته دون الخرق في تصديقك بما لم تقم بين يديك بينة، بل عليك الاعتصام بحبل التوقف وان أزعجك استنكار ما يوعيه سمعك مما لم يبرهن على استحالته لك، فالصواب أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعة الامكان، ما لم يذرك عنها قائم البرهان^(٣).

والكاظمين الغيظ

روى أن عبدا لموسى بن جعفر عليه السلام قدم إليه صحيفة فيها طعام حار، فعجل فصبها على رأسه ووجهه، فغضب، فقال له : والكاظمين الغيظ، قال : قد كظمت، قال :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١١٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٦

(والعافين عن الناس) قال : قد عفوت، قال (والله يحب المحسنين)، قال : أنت حر لوجه الله، وقد نحللتك ضيعتي الفلانية^(١).

بخل الاصمعي

قال الرشيد لجعفر : قم بنا لنمضي إلى منزل الاصمعي، فمضيا إليه خفية ومعهما خادم معه ألف دينار ليدفع ذلك إليه، فدخلوا داره فوجدوا كساء جرداء، وبارية سملاء، وحصيرا مقطوعا، وخباء قديمة، وأباريق من خزف، ودواة من زجاج، ودفاتر عليها التراب وحيطانا مملوءة من نسج العناكب، فوجم الرشيد، وسأله مسائل غشة لم تكن من غرضه، وإنما قطع بها خجله، وقال الرشيد لجعفر : ألا ترى إلى نفس هذا المهين، قد بررناه بأكثر من خمسين ألف دينار وهذه حاله، لم تظهر عليه آثار نعمتنا ! والله لا دفعت إليه شيئا، وخروج ولم يعطه^(٢).

القرين بالمقارن يقتدى

قوله ﷺ : واحذر صحابة من يفيل رأيه الصحابة
قال طرفة :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدى^(٣).

خرافات صاحب الزنج

قال أبو جعفر : وذكر محمد بن الحسن، أن محمد بن سمعان حدثه أن صاحب الزنج، قال في بعض أيامه : لقد عرضت على النبوة فأبيتها. فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : إن لها أعباء خفت ألا أطيق حملها^(٤).

لعبد القيس ست خصال فاقت بها على العرب

لعبد القيس ست خصال فاقت بها على العرب، منها :

- (١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٦
- (٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٧
- (٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٨
- (٤) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١٥٨

أسود العرب بيتا، وأشرفهم رهطا الجارود هو وولده.
ومنها أشجع العرب حكيم بن جبلة، قطعت رجله يوم الجمل، فأخذها بيده وزحف
على قاتله فضربه بها حتى قتله، وهو يقول :
يا نفس لا تراعى إن قطعت كراعي إن معى ذراعي
فلا يعرف في العرب أحد صنع صنيعه.

ومنها أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أويس القرني

ومنها أجود العرب عبد الله بن سواد بن همام، غزا السند في أربعة آلاف، ففتحها
وأطعم الجيش كله ذاهبا وقافلا فبلغه أن رجلا من الجيش مرض، فاشتبه خبيصا فأمر
باتخاذ الخبيص أربعة آلاف إنسان، فأطعمهم حتى فضل، وتقدم إليهم ألا يوقد أحد
منهم نارا لطعام في عسكره مع ناره.

ومنها أخطب العرب مصقلة بن رقة، به يضرب المثل فيقال : أخطب من مصقلة.
ومنها أهدى العرب في الجاهلية وأبعدهم مغارا وأثرا في الارض في عدوه، وهو
دعيميص الرمل كان يعرف بالنجوم هداية، وكان أهدى من القطا، يدفن بيض النعام في
الرمل مملوءا ماء ثم يعود إليه فيستخرجه^(١).

نعلي رسول الله ﷺ

روى الحارث بن حصين، أن رسول الله ﷺ دفع إلى جرير بن عبد الله نعلين نعاله،
وقال : احتفظ بهما، فإن ذهابهما ذهاب دينك، فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما،
فلما أرسله علي عليه السلام إلى معاوية ذهبت الاخرى، ثم فارق عليا واعتزل الحرب^(٢).

أصبحت هزءا لراعي الضأن أتبعه

روى أبو بكر الهذلي عن الزهري، عن عبيد الله بن عدى بن الخيار بن نوفل بن عبد
مناف، قال : قام الاشعث إلى علي عليه السلام، فقال : إن الناس يزعمون أن رسول الله ﷺ
عهد إليك عهدا لم يعهده إلى غيرك، فقال : إنه عهد إلى ما في قراب سيفي، لم يعهد إلى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٥٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٥

غير ذلك. فقال الاشعث : هذه إن قلتها فهي عليك لا لك، دعها ترحل عنك، فقال له : وما علمك بما على مما لي ا منافق ابن كافر، حائك ابن حائك ا إنى لاجد منك بنه الغزل. ثم التفت إلى عبيد الله بن عدى بن الخيار، فقال : يا عبيد الله، إنك لتسمع خلافا وترى عجبا، ثم أنشد:

أصبحت هزءا لراعي الضأن أتبعه ما ذا يريبك منى راعي الضان! (١).

يحشران يوم القيامة وإمامهما ضب

روى يحيى بن عيسى الرملي، عن الاعمش : أن جريرا والاشعث خرجا إلى جبان الكوفة، فمر بهما ضب يعدو، وهما في ذم على ﷺ، فنادياه : يا أبا حسل، هلم يدك نبايعك بالخلافة، فبلغ عليا ﷺ قولهما، فقال : أما إنهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضب (٢).

عند إحدى رجليه خمر

كان سمرة بن جندب من شرطة زياد، روى عبد الملك بن حكيم عن الحسن، قال : جاء رجل من أهل خراسان إلى البصرة، فترك مالا كان معه في بيت المال، وأخذ براءة، ثم دخل المسجد فصلى ركعتين، فأخذه سمرة بن جندب، واتهمه برأى الخوارج، فقدمه فضرب عنقه، وهو يومئذ على شرطة زياد، فنظروا فيما معه فإذا البراءة بخط بيت المال، فقال أبو بكر: يا سمرة، أما سمعت الله تعالى يقول : (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى)! فقال : أخوك أمرنى بذلك.

وروى الاعمش، عن أبي صالح، قال : قيل لنا : قد قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب، وإذا عند إحدى رجليه خمر، وعند الأخرى ثلج، فقلنا : ما هذا؟ قالوا : به النقرس، وإذا قوم قد أتوه، فقالوا يا سمرة، ما تقول لربك غدا؟ تؤتى بالرجل فيقال لك : هو من الخوارج فتأمر بقتله، ثم تؤتى باخر فيقال لك : ليس الذى قتلته بخارجي، ذاك فتى وجدناه ماضيا في حاجته، فشبه علينا، وإنما الخارجي هذا، فتأمر بقتل الثاني ! فقال سمرة : وأى بأس في ذلك ا إن كان من أهل

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٥

الجنة مضى إلى الجنة، وإن كان من أهل النار مضى إلى النار! (١).

حتى شهد مقتل الحسين

روى شريك قال : أخبرنا عبد الله بن سعد عن حجر بن عدي، قال : قدمت المدينة فجلست إلى أبي هريرة، فقال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل البصرة، قال : ما فعل سمرة ابن جندب ؟ قلت : هو حي، قال : ما أحد أحب إلى طول حياة منه. قلت : ولم ذلك ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال لي وله ولحذيفة بن اليمان : (آخركم موتا في النار)، فسبقنا حذيفة، وأنا الآن أتمنى أن أسبقه، قال : فبقى سمرة بن جندب حتى شهد مقتل الحسين.

وروى أحمد بن بشير عن مسعر بن كدام، قال : كان سمرة بن جندب أيام مسير الحسين ﷺ إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد، وكان يحرض الناس على الخروج إلى الحسين ﷺ وقتاله (٢).

شاغرا برجليه، كاشفا عورته

وأما خبر عمرو في صفين واتفائه حملة على ﷺ، بطرحه نفسه على الأرض وإبداء سوائه : فقد ذكره كل من صنف في السير كتابا، وخصوصا الكتب الموضوعة لصفين. قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين، قال : حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي عمرو، وعن عبد الرحمن بن حاطب، قال : كان عمرو بن العاص عدوا للحارث بن نصر الخثعمي، وكان من أصحاب علي ﷺ، وكان علي ﷺ قد تهيئته فرسان الشام، وملا قلوبهم بشجاعته، وامتنع كل منهم من الاقدام عليه. وكان عمرو قلما جلس مجلسا إلا ذكر فيه الحارث بن نصر الخثعمي وعابه، فقال الحارث :

ليس عمرو بتارك ذكره الحارث	رث بالسوء أو يلاقي عليا
واضع السيف فوق منكبه الاي	من لا يحسب الفوارس شيئا
ليت عمرا يلقاه في حومه النق	ع وقد أمست السيوف عصيا
حيث يدعو للحرب حاميه القو	م إذا كان بالبراز ملييا

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٨

فألقه إن أردت مكرمة الدهر رأو الموت كل ذاك عليا
فشاعت هذه الابيات حتى بلغت عمرا، فأقسم بالله ليلقين عليا ولو مات ألف موة.
فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه، فتقدم على ﷺ وهو مختلط سيفاً معتقل
رمحا، فلما رهنه همز فرسه ليعلو عليه، فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الارض شاغرا
برجليه، كاشفا عورته، فانصرف عنه لافتا وجهه مستدبرا له، فعد الناس ذلك من مكارمه
وسؤدده، وضرب بها المثل^(١).

إنما كان إسلامه، لفجرة وغدرة غدرها

روى صاحب كتاب الغارات عن أبي صادق، عن جندب بن عبد الله، قال : ذكر
المغيرة بن شعبة عند علي ﷺ وجده مع معاوية، قال : وما المغيرة ! إنما كان إسلامه
لفجرة وغدرة غدرها بنفر من قومه فتك بهم، وركبها منهم، فهرب منهم، فأتى النبي ﷺ
كالعائد بالاسلام، والله ما رأى أحد عليه منذ ادعى الاسلام خضوعا ولا خشوعا، ألا
وإنه يكون من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة يجانبون الحق، ويسعرون نيران الحرب
ويوازرون الظالمين، ألا إن ثقيفا قوم غدر، لا يوفون بعهد، يبغضون العرب كأنهم ليسوا
منهم، ولرب صالح قد كان منهم. فمنهم عروة بن مسعود وأبو عبيد بن مسعود المستشهد
يوم قس الناطف. وإن الصالح في ثقيف لغريب^(٢).

عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد

هو عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن ابي العيص بن امية بن عبد شمس ليس
بصحابي ولكنه من التابعين وابوه عتاب بن اسيد بن ابي العيص بن امية بن عبد شمس من
مسلمة الفتح ولما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين استعمله عليها فلم يزل اميرها
حتى قبض رسول الله ﷺ وبقي على حاله خلافة ابي بكر الصديق ومات هو وابو بكر في
يوم واحد لم يعلم احدهما بموت الاخر وعبد الرحمن هذا هو الذي قال امير المؤمنين فيه
وقد مر به قتيلا يوم الجمل لهفى عليك يعسوب قريش هذا فتى الفتيان هذا اللباب
المحض من بنى عبد مناف شفيت نفسي وقتلت معشري إلى الله اشكو عجرى وبجرى

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣١٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٠

فقال له قائل لشد ما الفتى يا امير المؤمنين منذ اليوم قال انه قام عنى وعنه نسوة لم يقمن عنك وعبد الرحمن هذا هو الذى احتملت العقاب كفه يوم الجمل وفيها خاتمه فالقته باليمامة فعرفت بخاتمه وعلم اهل اليمامة بالوقعة^(١).

رأى ابن ابي الحديد في كتاب نهج البلاغة

لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا، أو بعضه. والاول باطل بالضرورة لانا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم، والمؤرخون كثيرا منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك، والثانى يدل على ما قلناه، لان من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفا من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والافصح، وبين الاصيل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، فلا بد أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقتين، ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبى تمام، فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبى تمام ونفسه، وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه، لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبى نواس شيئا كثيرا، لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه، ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة. وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا، ونفسا واحدا، وأسلوبا واحدا، كالجسم البسيط الذى ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوله كأوسطه، وأوسطه كأخره، وكل سورة منه، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الايات والسور، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولا وبعضه صحيحا، لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام. واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه مالا قبل له به، لانا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو، لم نثق بصحة كلام

منقول عن رسول الله ﷺ أبداً، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول : هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والادب وغير ذلك، وكل أمر جعله هذا الطاعن مستندا له فيما يرويه عن النبي ﷺ، والائمة الراشدين، والصحابة والتابعين، والشعراء والمترسلين، والخطباء، فلناصرى أمير المؤمنين ﷺ أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره، وهذا واضح^(١).

اجتماع أربعة حكماء

اجتمع أربعة حكماء : من الروم، والفرس، والهند، والصين، فقال أحدهم : أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل : وقال الاخر : إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى، ولم أملكها، وإذا لم أتكلم ملكتها ولم تملكني. وقال الاخر : عجبت للمتكلم، إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه، وقال الرابع : أنا على رد ما لم أقل، أقدر منى على رد ما قلت^(٢).

أنتم المقربون

يقال : أن عيسى ﷺ مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم، وتغيرت ألوانهم، فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : الخوف من النار، قال : حق على الله أن يؤمن من يخافه، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين، فإذا هم أشد نحولا وتغيرا، فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : الشوق إلى الجنة، فقال : حق على الله أن يعطى من رجاه. ثم مر إلى ثلاثة آخرين، فإذا هم أشد نحولا، وعلى وجوههم مثل المرائى من النور، فقال : ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : حب الله عزوجل، فقال : أنتم المقربون، ثلاثا^(٣).

نسب فاطمه بنت اسد

فاطمه بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، اول هاشميه ولدت لهاشمي، كان

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٢٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٣٨

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٥٦

على عليه السلام اصغر بنيتها، وجعفر اسن منه بعشر سنين، وعقيل اسن منه بعشر سنين، وطالب اسن من عقيل بعشر سنين، وفاطمة بنت اسد امهم جميعا. وام فاطمة بنت اسد، فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص (ابن عامر بن لؤى وامها حدية بنت) وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر. (وامها فاطمة بنت عبيد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى. وامها سلمى بنت عامر بن ربيعة بن هلال بن ابيب بن ضبة بن الحارث بن فهر). وامها عاتكة بنت ابي همهمة - واسمه عمرو بن عبد العزى - بن عامر بن عميره بن وديعه بن الحارث بن فهر. (وامها تماضر بنت عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى). وامها حبيبه، وهى امة الله بنت عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسى، وهو ثقيف. وامها فلانة بنت مخزوم بن اسامه بن ضبع (٥) بن وائلة بن نصر بن صعصعه بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن قين بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ابن مضر. وامها ربطة بنت يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف. وامها كلة بنت حصين بن سعد بن بكر بن هوازن. وامها حبي بنت الحارث بن النابغة بن عميره بن عوف بن نصر بن بكر بن هوازن

أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشره من المسلمين، وكانت الحادى عشر، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويعظمها ويدعوها : أمي، وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة، فقبل وصيتها، وصلى عليها، ونزل في لحدّها، واضطجع معها فيه بعد أن ألبسها قميصه، فقال له أصحابه إنا ما رأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها، فقال إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبر بى منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها ضغطه القبر.

وفاطمة أول امرأة بايعت رسول الله ﷺ من النساء. وأم أبى طالب بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. وهى أم عبد الله، والد سيدنا رسول الله ﷺ، وأم الزبير بن عبد المطلب، وسائر ولد عبد المطلب بعد لامهات شتى^(١).

إننا أهل بيت لا نطلع على أحوالنا قابلة غريبة

قرات بخط محمد بن ادريس الحلى الفقيه الامامى قال حكى ابو حامد احمد بن

محمد الاسفراييني الفقيه الشافعي قال كنت يوما عند فخر الملك ابي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضى أبو الحسن فاعظمه واجله ورفع من منزلته وخلقى ما كان بيده من الرقاع و القصص واقبل عليه بحادثه إلى ان انصرف ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم رحمه الله فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا اكرمه ذلك الاكرام وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقعات يوقع بها فجلس قليلا وساله امرا فقضاه ثم انصرف. قال ابو حامد فتقدمت إليه وقلت له اصلح الله الوزير الضرورة إلى ملازمة المجلس إلى أن تقوض الناس واحدا فواحدا، فلما لم يبق إلا غلماناه وحجابه، دعا بالطعام، فلما أكلنا وغسل يديه وانصرف عنه أكثر آ غلماناه، ولم يبق عنده غيري، قال لخدام: هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام، وأمرتك أن تجعلهما في السفظ الفلاني. فأحضرهما، فقال: هذا كتاب الرضى اتصل بي أنه قد ولد له ولد، فأنفذت إليه ألف دينار، وقلت له: هذه للقبالة، فقد جرت العادة أن يحمل الاصدقاء إلى أخلائهم وذوى مودتهم مثل هذا. في مثل هذه الحال، فردها وكتب إلي: هذا الكتاب فأقرأه، قال: فقرأته، وهو اعتذار عن الرد، وفي جملته: إننا أهل بيت لا نطلع على أحوالنا قابلة غريبة، وإنما عجائزنا يتولين هذا الامر من نساءنا، ولسن ممن يأخذن أجره، ولا يقبلن صلة. قال: فهذا هذا. وأما المرتضى فإننا كنا قد وزعنا وقسطنا على الاملاك بيادوريا تقسيطا نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى، فأصاب ملكا للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهما، ثمناها دينار واحد، قد كتب إلي منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب، فأقرأه، فقرأته، وهو أكثر من مائة سطر، يتضمن من الخضوع والخشوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم المذكورة عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه. قال فخر الملك: فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل؟ هذا العالم المتكلم الفقيه الاوحد ونفسه هذه النفس، أم ذلك الذي لم يشهر إلا بالشعر خاصة، ونفسه تلك النفس! فقلت: وفق الله تعالى سيدنا الوزير، فما زال موقفا، والله ما وضع سيدنا الوزير الامر إلا في موضعه، ولا أحله إلا في محله! وقلت فانصرفت^(١).

وتنثر حواجبهم بعمد الحديد

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، فقال: يا أمير المؤمنين، إن القوم لو كانوا الله يريدون، ولله يعملون، ما خالفونا، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة وحبا للآخرة، وضنا بسلطانهم، وكرها لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى إحن في نفوسهم، وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين، بهم قديمة، قتلت فيها آباءهم وأعوانهم. ثم التفت إلى الناس، فقال: كيف يبائع معاوية علياً، وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة في موقف واحد، والله ما أظنهم يفعلون، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصف فيهم قنا المران، وتقطع على هامهم السيوف، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد، وتكون أمور جمعة بين الفريقين^(١).

أذيعوه أنتم عنى أيضاً ما بدا لكم

عن مجالد بن سعيد، قال: غدوت يوماً إلى الشعبي وأنا أريد أن أسأله عن شيء بلغني عن ابن مسعود أنه كان يقوله، فأتيته وهو في مسجد حيه وفي المسجد قوم ينتظرونه، فخرج فتعرفت إليه، وقلت: أصلحك الله! كان ابن مسعود يقول: ما كنت محدثاً قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة، قال: نعم، كان ابن مسعود يقول ذلك، وكان ابن عباس يقوله أيضاً - وكان عند ابن عباس دفائن علم يعطيها أهلها، ويصرفها عن غيرهم - فبينما نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزدي، فجلس إلينا، فاخذنا في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشعبي وقال: لقد كان في صدر عمر ضرب على أبي بكر، فقال الأزدي: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قط كان أسلس قيادا لرجل ولا أقول فيه بالجميل من عمر في أبي بكر، فأقبل على الشعبي وقال: هذا مما سألت عنه، ثم أقبل على الرجل وقال: يا أخا الأزدي، فكيف تصنع بالفلتة التي وقى الله شرها! أتري عدوا يقول في عدو يريد أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر، فقال الرجل: سبحان الله! أنت تقول ذلك يا أبا عمرو! فقال الشعبي: أنا أقوله، قاله عمر ابن الخطاب على رؤس الأشهاد، فلمه أو دع. فنهض الرجل مغضباً وهو يهمهم في الكلام بشيء لم أفهمه، قال مجالد: فقلت للشعبي: ما أحسب هذا الرجل إلا سينقل

عنك هذا الكلام إلى الناس ويبيته فيهم ! قال : اذن والله لا أحفل به ، وشئ لم يحفل به عمر حين قام على رؤس الاشهاد من المهاجرين والانصار أحفل به انا ! أذيعوه أنتم عنى أيضاً ما بدا لكم^(١) .

وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه

كان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، فأدخلت عليه في الليلة التي في صبيحتها قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها، فأذن له، فلما صلى الصبح غدا يريد النبي ﷺ، فلزمته جميلة، فعاد فكان معها، فأجنب منها، ثم أراد الخروج، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها، فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقبل لها بعد لم أشهدت عليه قالت : رأيت كأن السماء فرجت، فدخل فيها ثم أطبقت. فقلت : هذه الشهادة، فأشهدت عليه أنه قد دخل بي، فعلقت منه بعبد الله بن حنظلة. ثم تزوجها ثابت بن قيس بعد، فولدت له محمد بن ثابت بن قيس. وأخذ حنظلة بن أبي عامر سلاحه، فلحق برسول الله ﷺ باحد، وهو يسوى الصفوف، فلما انكشف المشركون، إعترض حنظلة لابي سفيان بن حرب، فضرب عرقوب فرسه، فاكتسعت الفرس، ويقع أبو سفيان إلى الارض، فجعل يصيح : يا معشر قريش، أنا أبو سفيان بن حرب ! وحنظلة يريد ذبحه بالسيف، فأسمع الصوت رجالا لا يلتفتون إليه من الهزيمة، حتى عاينه الاسود بن شعوب، فحمل على حنظلة بالرمح، فأنفذه، ومشى حنظلة إليه في الرمح فضربه ثانية فقتله، وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه، فلحق ببعض قريش، فنزل عن صدر فرسه، وردف وراءه أبا سفيان، فذلك قول أبي سفيان يذكر صبره، ووقوفه وإنه لم يفر، وذكره محمد بن إسحاق: ولو شئت نجنتي كميت طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب وما زال مهري مزجر الكلب فيهم لذن غدوة حتى دنت لغروب (٣) أقاتلهم وأدعى يال غالب وأدفعهم عنى بركن صليب فبكى ولا ترعى مقالة عاذل ولا تسامى من عبرة ونحيب إياك وإخوانا لنا قد تتابعوا وحق لهم من حسرة بنصيب وسلى الذى قد كان في النفس إننى قتلت من النجار كل نجيب ومن هاشم قرما كريما ومصعبا وكان لدى الهيجاء غير هيبوب ولو أننى لم أشف نفسي منهم لكانت شجا في الصدر ذات ندوب فأبوا وقد

أوردى الجلابيب منهم بهم كمد من واجم وكثيب أصابهم من لم يكن لدمائهم كفاء ولا في سنخهم بضريب^(١).

الولد للفراش وللعاهر الحجر

يحكى أن أبا العيناء أهدى إلى أبي علي البصري - وقد ولد له مولود - حجرا، يذهب في ذلك إلى قوله ﷺ : (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، فاستخرج أبو علي ذلك بفظنته وذكائه، ثم ولد بعد أيام لابي العيناء مولود، فقال له : في أي وقت ولد لك ؟ قال : وقت السحر، فقال : اطرد قياسه، وخرج في الوقت الذي يخرج فيه أمثاله - يعنى السؤال - يعرض بأن أبا العيناء شحاذ، وأن ولده خرج يشبهه^(٢).

هذا رجل قد أخذت عليه العهود ألا يكلمكم

ذكر أن الاحوص بن جعفر الكلابي، أتاه آت من قومه، فقال : إن رجلا لا نعرفه جاءنا، فلما دنا منا حيث نراه، نزل عن راحلته، فعلق على شجرة وطبا من لبن، ووضع في بعض أغصانها حنظلة، ووضع صرة من تراب، وحزمة من شوك، ثم أثار راحلته، فاستوى عليها وذهب. وكان أيام حرب تميم وقيس عيلان، فنظر الاحوص في ذلك، فعى به، فقال : ارسلوا إلى قيس بن زهير، فقال له : ألم تك أخبرتني أنه لا يرد عليك أمر إلا عرفت ما فيه ما لم تر نواصي الخيل ! قال : ما خبرك ؟ فأعلمه، فقال : (قد بين الصبح لذي عينين)، هذا رجل قد أخذت عليه العهود ألا يكلمكم، ولا يرسل إليكم، وأنه قد جاء فأنذركم. أما الحنظلة، فإنه يخبركم أنه قد أتاكم بنو حنظلة وأما الصرة من التراب، فإنه يزعم أنهم عدد كثير، وأما الشوك فيخبركم أن لهم شوكة، وأما الوطب فإنه يدلكم على قرب القوم وبعدهم فذوقوه، فإن كان حلوا حلوا حليبا فالقوم قريب، وإن كان قارضا فالقوم بعيد، وإن كان المسبخ لاحلوا ولا حامضا، فالقوم لا قريب، ولا بعيد، فقاموا إلى الرطب فوجدوه حليبا، فبادروا الاستعداد، وغشيتهم الخيل فوجدتهم مستعدين^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٦٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٣٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٣٥

وجلدة بين العين والانف سالم

حكى أن قتيبة بن مسلم دخل على الحجاج وبين يديه كتاب قد ورد إليه من عبد الملك، وهو يقرؤه، ولا يعلم معناه، وهو مفكر، فقال: ما الذي أحزن الأمير؟ قال: كتاب ورد، لا أعلم معناه؟ فقال: إن رأى الأمير إعلامى به! فناوله إياه، وفيه: أما بعد، فإنك سالم، والسلام). فقال قتيبة: مالى إن استخرجت لك ما أراد به؟ قال: ولاية خراسان، قال: إنه ما يسرك أيها الأمير، ويقر عينك، إنما أراد قول الشاعر:

يديروني عن سالم وأديرهم - وجلدة بين العين والانف سالم
أي أنت عندي مثل سالم عند هذا الشاعر، فولاه خراسان^(١).

بنو جمح

اعلم انه ﷺ ذم بنى جمح فقال (وافلنتنى اعيار بنى جمح) جمع غير وهو الحمار وقد كان مع عائشة منهم يوم الجمل جماعة هربوا ولم يقتل منهم الا اثنان فمن هرب ونجا بنفسه عبد الله الطويل بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح وكان شريفا وابن شريف وعاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة. ومنهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف عاش حتى استعمله عمرو بن سعيد الأشدق على مكة لما جمع له بين مكة والمدينة فاقام عمرو بالمدينة ويحيى بمكة. ومنهم عامر بن مسعود بن أمية بن خلف كان يسمى دحروجة الجعل لقصره وسواده وعاش حتى ولاه زياد صدقات بكر بن وائل وولاه عبد الله بن الزبير بن العوام الكوفة. ومنهم ايوب بن حبيب بن علقمة بن ربيعة بن الاعور بن اهياب بن حذافة بن جمح عاش حتى قتل بقديد قتلت الخوارج. فهؤلاء الذين اعرف حضورهم الجمل مع عائشة من بنى جمح وقتل من بنى جمح مع عائشة عبد الرحمن بن وهب بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وعبد الله ابن ربيعة بن دراج العنيس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح لا اعرف انه قتل من بنى جمح ذلك اليوم غيرهما^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٣٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٢٥

ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبيل بعد

روى عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف، في إسناده أنه كان في بيت المال بالمدينة سفظ فيه حلى وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه فيه بكل كلام شديد، حتى أغضبوه، فخطب فقال: لناخذن حاجتنا من هذا الفئ، وإن رغمت به أنوف أقوام! فقال له على عليه السلام: إذن تمنع من ذلك، ويحال بينك وبينه، فقال عمار: أشهد الله أن أنفى أول راغم من ذلك، فقال عثمان: أعلى يا بن ياسر تجترئ! خذوه، فأخذ، ودخل عثمان، فدعا به فضربه حتى غشى عليه، ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة رضى الله تعالى عنها، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى، وقال: الحمد لله، ليس هذا أول يوم أوذينا في الله تعالى! فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان عمار حليفاً لبني مخزوم - : يا عثمان، أما على فاتقته، وأما نحن فاجترأت علينا، وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، أما والله لئن مات لاقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم الشأن! فقال عثمان: وإنك لها هنا يا بن القسرية، قال: فإنهما قسريتان - وكانت أم هشام وجدته قسريتين من بجيلة - فثتمه عثمان، وأمر به فأخرج، فإتى به أم سلمة رضى الله تعالى عنها، فإذا هي قد غضبت لعمار، وبلغ عائشة رضى الله تعالى عنها ما صنع بعمار، فغضبت أيضاً، وأخرجت شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونعلا من نعاله، وثوباً من ثيابه، وقالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبيل بعد!

وروى آخرون أن السبب في ذلك أن عثمان مر بقبر جديد، فسأل عنه، فقيل: عبد الله بن مسعود، فغضب على عمار لكتمان إياه موته، إذ كان المتولي للصلاة عليه، والقيام بشأنه، فعندما وطئ عثمان عماراً حتى أصابه الفتق

وروى آخرون أن المقداد وعماراً وطلحة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبوا كتاباً عددوا فيه أحداث عثمان، وخوفوه به، وأعلموه أنهم موثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمار الكتاب، فأتاه به. فقرأ منه صدراً، ثم قال له: أعلى تقدم من بينهم! فقال: لاني أنصحهم لك، قال: كذبت يا بن سمية! فقال: أنا والله ابن سمية، وابن ياسر! فأمر عثمان غلماناً له، فمدوا يديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه - وهى في الخفين -

على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفا كبيرا فغشى عليه (١).

فخر طويل لك يا ربعة

عن عمرو بن شمر، قال : حدثني من أثنى به من أهل العراق قال : لما التقينا بالقوم في ذلك اليوم، وجدناهم خمسة صفوف قد قيدوا أنفسهم بالعمائم فقتلنا صفا، ثم صفا، ثم خلصنا إلى الرابع، ما على لارض شامى ولا عراقى يولى دبره، وأبو الاعور يقول :

إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا صدود الخدود وازورار المناكب

صدود الخدود والقنا متشاجر ولا تبرح الاقدام عند التضارب

والتقت في هذا اليوم همدان العراق بعك الشام، فقال قائلهم :

همدان همدان، وعك وعك ستعلم اليوم من الارك

وكانت على عك الدروع، وليس عليهم رايات، فقالت : همدان : خدمو القوم. أي اضربوا سوقهم - فقالت عك برك الكمل، فبركوا كما يبرك الجمل ثم رموا الحجر وقالوا : لا نفر حتى يفر الحكر. واقتتل الناس من لدن اعتدال النهار إلى صلاة المغرب، ما كان صلاة القوم إلا التكبير عند مواقيت الصلاة. ثم إن أهل العراق كشفوا ميمنة أهل الشام، فطاروا في سواد الليل، وكشف أهل الشام ميسرة أهل العراق فاختلفوا في سواد الليل، وتبدلت الرايات بعضها ببعض، فلما أصبح الناس وجد أهل الشام لواءهم وليس حوله إلا ألف رجل فاقتلعوه وركزوه من وراء موضعه الاول وأحاطوا به، ووجد أهل العراق لواءهم مركزوا وليس حوله إلا ربعة، وعلى عليه السلام بينها، وهم محيطون به، وهو لا يعلم من هم، ويظنهم غيرهم، فلما أذن مؤذن على عليه السلام الفجر قال على عليه السلام.

يا مرحبا بالقائلين عدلا وبالصلاه مرحبا وأهلا

ثم وقف وصلى الفجر، فلما انفتل أبصر وجوها ليست بوجوه أصحابه بالامس، وإذا مكانه الذى هو فيه ما بين الميسرة إلى القلب، فقال : من القوم؟ قالوا : ربعة، وإنك يا أمير المؤمنين لعندنا منذ الليلة، فقال :

فخر طويل لك يا ربعة

ثم قال لهاشم بن عتبة : خذ اللواء : فوالله ما رأيت مثل هذه الليلة فخرج هاشم باللواء حتى ركزه في القلب^(١).

أول من بايع أبا بكر ونقض دعوة سعد

أن أول من بايع أبا بكر بشير ابن سعد، وتزعم الخزرج أن أول من بايع أسيد بن حضير. قلت : بشير بن سعد خزرجي وأسيد بن حضير أوسى، وإنما تدافع الفريقان الروايتين تفادياً عن سعد بن عبادة وكراهية كل حى منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهة صاحبه، فالخزرج هم أهله وقرايته، لا يقرون أن بشير بن سعد هو أول من بايع أبا بكر وأبطل أمر سعد بن عبادة، ويحيلون بذلك على أسيد بن حضير، لانه من الاوس أعداء الخزرج. وأما الاوس فتكره أيضاً أن ينسب أسيد إلى أنه أول من نقض أمر سعد بن عبادة، كى لا يرموه بالحسد للخزرج، لان سعد بن عبادة خزرجي، فيحيلون بانتقاض أمره على قبيلته - وهم الخزرج - ويقولون : أن أول من بايع أبا بكر ونقض دعوة سعد بن عبادة بشير بن سعد، وكان بشير أعور. والذي ثبت عندي أن أول من بايعه عمر، ثم بشير بن سعد ثم أسيد بن حضير، ثم أبو عبيدة بن الجراح، ثم سالم مولى أبى حذيفة.

وقد كان مالا أبا بكر وعمر على نقض أمر سعد وإفساد حاله، رجلان من الانصار ممن شهد بدرا، وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدى. قلت : كان هذان الرجلان ذوى حب لابي بكر في حياة رسول الله ﷺ، واتفق مع ذلك بغض وشحناء، كانت بينهما وبين سعد بن عبادة، ولها سبب مذكور في كتاب القبائل لابي عبيدة معمر بن المثنى فليطلب من هناك. وعويم بن ساعدة هو القائل لما نصب الانصار سعدا : يا معشر الخزرج، إن كان هذا الامر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك، وبرهنوا حتى نبايعكم عليه، وإن كان لهم دونكم، فسلموا إليهم، فوالله ما هلك رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أبا بكر خليفة حين أمره أن يصلى بالناس فشمته الانصار وأخرجوه، فانطلق مسرعا حتى التحق بأبى بكر، فشحذ عزمه على طلب الخلافة. ذكر هذا بعينه الزبير بن بكار في الموفقيات. وذكر المدائني والواقدي أن معن بن عدى اتفق هو وعويم بن ساعدة على تحريض أبى بكر وعمر على طلب الامر وصرفه عن الانصار. قالوا : وكان معن بن عدى يشخصهما

إشخاصا ويسوقهما سوقا عنيفا إلى السقيفة، مبادرة إلى الامر قبل فواته
فلما بويح أبو بكر، أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفا إلى مسجد رسول الله ﷺ،
فلما كان آخر النهار، افترقوا إلى منازلهم، فاجتمع قوم من الانصار، وقوم من
المهاجرين، فتعابوا فيما بينهم، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا معشر الانصار، إنكم
وإن كنتم أولى فضل ونصر وسابقة، ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا علي ولا
أبي عبيدة. فقال زيد بن أرقم : إنا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن، وإن منا لسيد
الانصار سعد بن عباد، ومن أمر الله رسوله أن يقرئه السلام وأن يأخذ عنه القرآن أبي
ابن كعب، ومن يجيء يوم القيامة إمام العلماء معاذ بن جبل، ومن أمضى رسول الله ﷺ
شهادته بشهادة رجلين : خزيمة بن ثابت، وإنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب
هذا الامر لم ينازعه فيه أحد : علي بن أبي طالب. قال الزبير : فلما كان من الغد، قام
أبو بكر فخطب الناس، وقال : أيها الناس، إني وليت أمركم ولست بخيركم فإذا أحسنت
فإعينوني، وإن أسأت فقوموني، أن لى شيطاننا يعتريني، فإياكم وإياي إذا غضبت، لا
أوثر في أشعاركم وأبشاركم الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوى حتى أرد
إليه حقه والقوى ضعيف حتى آخذ الحق منه. إنه لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله
بالذل، ولا تشيع في قوم الفاحشة إلا عمهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت
فلا طاعة لى عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

روى محمد بن إسحاق أن أبا بكر لما بويح افتحرت تيم بن مرة قال : وكان عامة
المهاجرين وجل الانصار لا يشكون أن عليا هو صاحب الامر بعد رسول الله ﷺ، فقال
الفضل بن العباس : يا معشر قريش، وخصوصا يا بنى تيم، إنكم إنما أخذتم الخلافة
بالنبوة، ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الامر الذى نحن أهل له لكانت كراهة الناس لنا
أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسدا منهم لنا، وحقدا علينا، وإنا لنعلم أن عند صاحبنا عهدا
هو ينتهى إليه.

وقال بعض ولد أبى لهب بن عبد المطلب بن هاشم شعرا :

ما كنت أحسب أن الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبى حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأقرب الناس عهدا بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن

ما فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن
 ماذا الذي ردهم عنه فنعلمه ها إن ذا غبننا من أعظم الغبن^(١).

في الجوع وتقليل الطعام

اعلم أن تقليل المأكول لا ريب في أنه نافع للنفس والاخلاق والتجربة قد دلت عليه
 لانا نرى المكث من الأكل يغلبة النوم والكسل وبلادة الحواس وتبخر المأكولات الكثيرة
 ابخرة كثيرة فتتصاعد إلى الدماغ فتفسد القوى النفسانية وايضا فان كثرة الماكل تزيد الرقة
 وتورث القساوة والسبعية والقياس أيضاً يقتضى ذلك لان كثرة المزاولات سبب لحصول
 الملكات فالنفس إذا توفرت على تدبير الغذاء وتصريفه كان ذلك شغلا شاغلا لها وعائقا
 عظيما عن انصبابها إلى الجهة الروحانية العالية ولكن ينبغي أن يكون تقليل الغذاء إلى حد
 وجب جوعا قليلا فان الجوع المفرط يورث ضعف الاعضاء الرئيسة واضطرابها واختلال
 قواها وذلك يقتضى تشويش النفس واضطراب الفكر واختلال العقل ولذلك تعرض
 الاخلاط السوداوية لمن افراط عليه الجوع فاذن لا بد من اصلاح امر الغذاء بان يكون
 قليل الكمية كثير الكيفية فتؤثر قلة كميته في انه لا يشغل النفس بتدبير الهضم عن التوجه
 إلى الجهة العالية الروحانية وتؤثر كثرة كميته في تدارك الخلل الحاصل له من قلة الكمية
 ويجب أن يكون الغذاء شديد الامداد للاعضاء الرئيسة لانها هي المهمة من اعضاء البدن
 وما دمت باقيه على كمال حالها لا يظهر كثير خلل من ضعف غيرها من الاعضاء^(٢).

امثال مخترعة له لم يسبق بها

اتى عليه السلا بثلاثة امثال مخترعة له لم يسبق بها وإن كان قد سبق بمعناها وهي
 قوله (لا تجتمع عزيمة ووليمة) وقوله (ما انقض النوم العزائم اليوم) وقوله (وامحى الظلم
 لتذاكير الهمم).

فمما جاء للمحدثين من ذلك ما كتبه بعض الكتاب إلى ولده

خدمة السلطان والكاسات في ايدي الملاح

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٣٣

ليس يلتامان فاطلب رفعه أو شرب راح.

ومثله قول آخر لولده

ما للمطيع هواه من الملام ملاذ

فاختر لنفسك هذا مجد وهذا التناذ.

وقال آخر وليس فتى الفتيان من راح واغتدى لشرب صبوح أو لشرب غبوق

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضر عدو أو لنفع صديق^(١).

ما زال ابن الجزار عدوا لنا أهل البيت.

روى عن عبد الله بن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفر بأرض الحبشة عند النجاشي، وعند كثير من رعيته بأنواع الكيد ردها الله تعالى عنه بلطفه، رماه بالقتل والسرق والزنا فلم يلصق به شيء من تلك العيوب، لما شاهده القوم من طهارته وعبادته ونسكه وسيما النبوة عليه، فلما نبا معوله عن صفاته، هياً له سما قذفه إليه في طعام، فأرسل الله هرا كفاً تلك الصحيفة، وقد مد يده نحو ثم مات لوقته وقدأ كل منها. فتبين لجعفر كيد غائلته فلم يأكل بعدها عنده، وما زال ابن الجزار عدوا لنا أهل البيت^(٢).

اخذ هذا المعنى أبو العلاء المعري

قوله عليه السلام (تطئون في هامهم) اخذ هذا المعنى أبو العلاء المعري

فقال خفف الوطاء ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تراحم الاضداد

ودفين على بقايا دفين من عهود الاباء والاجداد

صاح هذى قبورنا تملأ الارض فاين القبور من عهد عاد

سر إن اسطعت في الهواء رويدا لا اختيالاً على رفات العباد^(٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٠٧

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٤٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٤٨

قرات هذه الخطبة اكثر من الف مرة

قال امير المؤمنين عليه السلام من خطبة له : سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فاكلت من لحومهم وشربت من دماهم فاصبحوا في فجوات قبورهم جمادا ينمون وضمارا لا يرجدون لا يفرعهم ورود الاهوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا ياذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون وانما كانوا جميعا فتشتتوا والافا فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا كاسا بدلتهم بالنطق خرسا وبالسَّمع صمما وبالحركات سكونا فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتانسون واحباء لا يتزاورون بليت بينهم عرا التعارف وانقطعت منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من اخطار دارهم افزع مما خافوا وراوا من آياتها اعظم مما قدروا فكلا الغاييتين مدت لهم إلى مباءة فاتت مبالغ الخوف والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت اخبارهم لقد رجعت فيهم ابصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجسام النواعم ولبسنا اهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهدمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن اجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم بعقلك أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام فاستكتت واكتحلت ابصارهم بالتراب فخشفت وتقطعت الالسنه في افواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعات في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الافة إليها مستسلمات فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع - لرايت اشجان قلوب واقذاء عيون لهم في كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي فكم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غدى ترف وريب شرف يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به ظنا بغضارة عيشه وشحاحه بلهوه ولعبه فيينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه في ظل عيش غفول إذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت إليه الجتوف من كذب فخالطه بث لا يعرفه ونجى هم ما كان يجده

وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع إلى ما كان عوده الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا اهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقدته يذكرهم اسي الماضين من قبله فبينما هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة إذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت نوافذ فطنته وييست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعى عن رده ودعاء مؤلم بقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه أو صغير كان يرحمه وإن للموت لغمرات هي افطع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على عقول اهل الدنيا

هذا موضع المثل (ملعا يا ظليم والا فالتخوية) من اراد أن يعظ ويخوف ويقرع صفاة القلب ويعرف الناس قدر الدنيا وتصرفها باهلها فليات بمثل هذه الموعظة في مثل هذا الكلام الفصيح والا فليمسك فان السكوت استر والعى خير من منطق يفضح صاحبه ومن تأمل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه (والله ما سن الفصاحة لقريش غيره) وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس وتلى عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع

قلم اصاب من الدواة مدادها

فلما قيل لهم في ذلك قالوا انا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن وانى لا طيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الاسود والنمور وامثالهما من السباع الضارية ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه إذا اراد الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسى المسوح الذين لم ياكلوا لحما ولم يريقوا دما فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني وعنتيبة ابن الحارث اليربوعي وعامر بن الطفيل العامري وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليونانى ويوحنا المعمدان الاسرائيلي والمسيح بن مريم الالهى.

واقسم بمن تقسم الامم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة والى الان اكثر من ألف مرة ما قرأتها قط الا واحداثت عندي روعة وخوفا وعظة واثرت في قلبى وجيبا وفي اعضائي رعدة ولا تأملتها الا وذكرت الموتى من اهلي واقاربي وارباب ودى

وخيلت في نفسي انى انا ذلك الشخص الذى وصف عليه السلام حاله وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفي عليه فلم اجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي فاما ان يكون ذلك لعقيدتي في قائله أو كانت نية القائل صالحة ويقينه كان ثابتا واخلاصه كان محضاً خالصاً فكان تأثير قوله في النفوس اعظم وسريان موعظته في القلوب ابلغ^(١).

من شعر الشريف الرضي

قال الرضى الموسوي رحمه الله تعالى :
 ألا لله بادرة الطلاب وعزم لا يروع بالعتاب
 وكل مشمر البردين يهوى هوى المصلتات إلى الرقاب
 أعاتبه على بعد التئاني فيعدلنى على قرب الاياب
 رأيت العجز يخضع للليالي ويرضى عن نوائبها الغضاب
 وآمل أن تطاوعني الليالى وينشب في المنى ظفري ونابى
 ولو لا صولة الافدار دوني هجمت على العلا من كل باب
 وقال أيضا :

لا يبذ الهموم إلا غلام يركب الهول والحسام درديف
 ما يذل الزمان بالفقر حرا كيفما كان فالشريف شريف
 وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولست أضل في طرق المعالى ونار العز عالية الشعاع
 ودون المجد رأى مستطيل وباع غير محبوب الذراع
 ويعجبني البعاد كأن قلبى يحدث عن عدى بن الرقاع
 فرد نهى العلاء بلا رقيب وشمر في الامور بلا نزاع
 ولا تغررك قعقعة الاعادي فذاك الصخر خر من اليفاع

ونحن أحق بالدنيا ولكن تخيرت القطوف على الوساع
وقال أبو تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونها جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الا رماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب
وقال أبو الطيب المتنبى :

حتى رجعت وأقلامي قوائل لى : المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به فإنما نحن للاسياف كالخدم
أسمعتني ودوائي ما أشرت به فإن غفلت فدائي قلة الفهم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن (هل) بلم
قال عطف بن محمد الالوسى :

أمكابد الزفرات مؤصدة تلتذ خوف القطع بالشلل
صرف همومك تنتدب همما فالسكر يعقب نشوة الثمل
ولليلة الميلاد مفرحة تنسى الحوامل أشهر الحبل
سر في البلاد تخوضها لججا فالدر ليس يصاب في الوشل
واجعل لصبوتك الظبا سكنا والدور أكوارا على الابل
والعيش والوطن الممهد في غرب الحسام وغارب الجمل
واشدد عليك وخذ إليك ودع ضعة الخمول وفترة الكسل
وارم العداة بكل صائبة ما الرمى موقوفا على ثعل
لا تحسب النكبات منقصة قد يستجاد السيف بالقلل
وقال عروة بن الورد :

لحا الله صعلوكا إذا جن ليله مصافي المشاش ألفا كل مجزر
يعد الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر

ينام عشاء ثم يصبح ناعسا يحث الحصا من جنبه المتعفر
يعين نساء الحى ما يستعنه ويمشى طليحا كالبعير المحسر
ولكن صعلوكا صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر
وإن قعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المتنظر
فذلك إن يلق المنية يلقها حميدا وإن يستغن يوما فأجدر^(١).

ما احسن منظر رأيت في هذه الحرب؟

قال يزيد بن المهلب في حرب جرجان لآخيه أبى عيينة : ما أحسن منظر رأيت في
هذه الحرب ؟ قال : سيف بن أبى سبرة وبيضته ، وكان عبد الله بن أبى سبرة حمل على
غلام تركي قد أفرج الناس له ، وصدوا عنه لبأسه وشجاعته ، فتضاربا ضربتين ، فقتله ابن
أبى سبرة بعد أن ضربه التركي في رأسه ، فنشب سيفه في بيضة ابن أبى سبرة ، فعاد إلى
الصف وسيفه مصبوغ بدم التركي وسيف التركي ناشب في بيضته كجزء منها يلمع ، فقال
الناس : هذا كوكب الذنب ، وعجبوا من منظره^(٢).

كذبتهم وبيت الله نخلي محمدا

قال أبو طالب بن عبد المطلب :

لما برز على وحمزة وعبيدة عليهم السلام يوم بدر إلى عتبة وشيبة والوليد ، قتل
على عليه السلام الوليد ، وقتل حمزة شيبة ، على اختلاف في رواية ذلك : هل كان شيبة قرنه أم
عتبة ؟ وتجالد عبيدة وعتبة بسيفيهما ، فجرح عبيدة عتبة في رأسه ، وقطع عتبة ساق عبيدة ،
فكر على وحمزة عليهما السلام على صاحبهما ، فاستنقذاه من عتبة ، وخبطاه بسيفيهما
حتى قتلاه واحتملا صاحبهما ، فوضعا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، وهو يوجد
بنفسه ، وإن مخ ساقه ليسيل ، فقال : يا رسول الله ، لو كان أبو طالب حيا لعلم أنى أولى
منه بقوله :

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٥

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٧

كذبتهم وبيت الله نخلى محمدا ولما نطاعن دونه وناضل
 ونصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
 فبكى رسول الله ﷺ، وقال : (اللهم أنجز لى ما وعدتني ؟ اللهم إن تهلك هذه
 العصابة لا تعبد في الارض)^(١).

فما كنا فاعلين لا أم لك !

قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد : ويحك ! أقتلتم ذرية رسول الله ﷺ !
 فقال : عضضت بالجدل، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة،
 أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يمينا وشمالا، وتلقى أنفسها
 على الموت، لا تقبل الامان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورد
 على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويدا لاتت على نفوس
 العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أم لك !^(٢).

اخفاء قبر امير المؤمنين تاج

أن عليا عليه السلام لما قتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفا من بنى أمية أن يحدثوا في قبره
 حدثا، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة - وهي ليلة دفنه - إيهامات مختلفة،
 فشدوا على جمل تابوتا موثقا بالحبال، يفوح منه روائح الكافور، وأخرجوه من الكوفة في
 سواد الليل صحبة ثقاتهم، يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة عليها
 السلام، وأخرجوا بغلا وعليه جنازة مغطاة، يوهمون أنهم يدفنونه بالحيرة، وحفروا حفائر
 عدة، منها بالمسجد، ومنها برحبة القصر، قصر الامارة، ومنها في حجرة من دور آل
 جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبد الله ابن يزيد القسرى بحذاء باب
 الوراقين مما يلي قبلة المسجد، ومنها في الكناسة، ومنها في الثوية، فعمى على الناس
 موضع قبره، ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه،
 فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان، فدفنوه
 على النجف، بالموضع المعروف بالغرى، بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلك، وعهد كان

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦٣

عهد به إليهم، وعمى موضع قبره على الناس، واختلفت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافا شديدا، وافترقت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعبت، وادعى قوم أن جماعة من طيئ وقعوا على جمل في تلك الليلة، وقد أضله أصحابه ببلادهم، وعليه صندوق، فظنوا فيه مالا، فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به، فدفنوا الصندوق بما فيه، ونحروا البعير وأكلوه، وشاع ذلك في بني أمية وشيعتهم، واعتقدوه حقا، فقال الوليد بن عقبة من أبيات يذكره عليه السلام فيها :

فإن يك قد ضل البعير بحمله فما كان مهديا ولا كان هاديا^(١).

ولم نسّم نحن بعلى ولا بحسن ولا بحسين

قال إبراهيم : دخلت على جدى عيسى بن موسى مع أبى موسى، فقال لى جدى : أتحب بنى أمية؟ فقال له موسى أبى : نعم، إنهم أخواله، فقال : والله لو رأيت جدك على ابن عبد الله بن العباس يضرب بالسياط ما أحببتهم، ولو رأيت إبراهيم بن محمد يكره على إدخال رأسه في جراب النورة لما أحببتهم، وسأحدثك حديثا إن شاء الله أن ينفعك به نفعك : لما وجه سليمان بن عبد الملك ابنه أيوب بن سليمان إلى الطائف وجه معه جماعة، فكنت أنا ومحمد بن على بن عبد الله جدى معهم، وأنا حينئذ حديث السن، وكان مع أيوب مؤدب له يؤدبه، فدخلنا عليه يوما أنا وجدى، وذلك المؤدب يضربه، فلما رأنا الغلام أقبل على مؤدبه فضربه، فنظر بعضنا إلى بعض، وقلنا : ما له قاتله الله ! حين رأنا كره أن نشمت به، ثم التفت أيوب إلينا، فقال : ألا أخبركم يا بنى هاشم بأعقلكم وأعقلنا، أعقلنا من نشأ منا يبغضكم، وأعقلكم من نشأ منكم يبغضنا، وعلامة ذلك أنكم لم تسموا بمروان، ولا الوليد، ولا عبد الملك، ولم نسّم نحن بعلى ولا بحسن ولا بحسين^(٢).

رأى ابن ابى الحديد في أمور وقعت من عمر

أنه عليه السلام يرمز في قوله عليه السلام : (لم أورد على الله، ولا على رسوله ساعة قط) إلى أمور وقعت من غيره، كما جرى يوم الحديدية عند سطر كتاب الصلح، فإن بعض الصحابة أنكروا

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٨١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٦٠

ذلك، وقال : يا رسول الله، ألسنا المسلمين ؟ قال : بلى، قال : أو ليسوا الكافرين ؟ قال : بلى، قال : فكيف نعطي الدنية في ديننا ! فقال ﷺ : (إنما أعمل بما أومر به) فقام فقال لقوم من الصحابة : ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة ! وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد أن أعطينا الدنية في ديننا، والله لو أجد أعوانا لم أعط الدنية أبدا، فقال أبو بكر لهذا القائل : ويحك ! الزم غرزه، فوالله إنه لرسول الله ﷺ، وأن الله لا يضيعه. ثم قال له : أقال لك : إنه سيدخلها هذا العام ؟ قال : لا، قال : فسيدخلها. فلما فتح النبي ﷺ مكة، وأخذ مفاتيح الكعبة، دعاه فقال : هذا الذي وعدتم به. واعلم أن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، والناس كلهم رووه، وليس عندي بقبيح ولا مستهجن أن يكون سؤال هذا الشخص لرسول الله ﷺ عما سأله عنه على سبيل الاسترشاد، والتماس الطمأنينة النفس، فقد قال الله تعالى لخليله إبراهيم : (أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى). وقد كانت الصحابة تراجع رسول الله ﷺ في الامور، وتسأله عما يستبهم عليها وتقول له : أهذا منك أم من الله ؟ وقال له السعدان رحمهما الله يوم الخندق، وقد عزم على مصالحة الاحزاب ببعض تمر المدينة : أهذا من الله أم رأى رأيت من نفسك ؟ قال : بل من نفسي، قالا : لا، والله لا نعطيهم منها ثمرة واحدة وأيدينا في مقابض سيوفنا !. وقالت الانصار له يوم بدر، وقد نزل بمنزل لم يستصلحوه : أنزلت هذا المنزل عن رأى رأيت أم بوحي أوحى إليك ؟ قال : بل عن رأى رأيت، قالوا : إنه ليس لنا بمنزل، ارحل عنه فانزل بموضع كذا. وأما قول أبى بكر له : (الزم غرزه، فوالله إنه لرسول الله ﷺ) فإنما هو تأكيد وتثبيت على عقيدته التى فى قلبه، ولا يدل ذلك على الشك، فقد قال الله تعالى لنيه : (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا)، وكل أحد لا يستغنى عن زيادة اليقين والطمأنينة، وقد كانت وقعت من هذا القائل أمور دون هذه القصة، كقوله : دعني أضرب عنق أبى سفيان. وقوله : دعني أضرب عنق عبد الله بن أبى، وقوله : دعني أضرب عنق حاطب بن أبى بلتعة. ونهى النبي ﷺ عن التسرع إلى ذلك، وجذبه ثوب رسول الله ﷺ حين قام على جنازة ابن سلول يصرى. وقوله : كيف تستغفر لرأس المنافقين ! وليس فى ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه، وإنما الرجل كان مطبوعا على الشدة والشراسة والخشونة، وكان يقول ما يقول على مقتضى السجية التى طبع عليها^(١).

حكاية أبي حية النميري

كان لابي حية سيف ليس بينه وبين الخشب فرق، كان يسميه لعاب المنية، فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال : أشرفت عليه ليلة، وقد انتضاه وهو واقف بباب بيت في داره، وقد سمع فيه حسا، وهو يقول : أيها المغتر بنا، المجترئ علينا، بنس والله ما اخترت لنفسك ! خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة صولته، ولا تخاف نبوته. اخرج بالعفو عنك، لا أدخل بالعقوبة عليك، إني والله إن أدع قيسا، تملأ الفضاء عليك خيلا ورجلا. سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها، والله ما أنت ببعيد من تابعها، والرسوب في تيار لجتها ! وقال : وهبت ريح ففتحت الباب، فخرج كلب يشتد، فلبط بأبي حية واربد، وشغر برجليه، وتبادرت إليه نساء الحي، فقلن : يا أبا حية، لتفرخ روعتك، إنما هو كلب، فجلس وهو : يقول الحمد لله الذي مسخك كلبا، وكفاني حربا^(١).

عمر الدنيا

ذكر حمزة بن الحسن الاصفهاني في كتابه المسمى تواريخ الامم : أن اليهود تذهب إلى أن عدد السنين من ابتداء التناسل إلى سنة الهجرة لمحمد ﷺ أربعة آلاف واثنان وأربعون سنة وثلاثة أشهر. والنصارى تذهب إلى أن عدد ذلك خمسة آلاف وتسعمائة وتسعون سنة وثلاثة أشهر. وأن الفرس تذهب إلى أن من عهد كيومرث والد البشر عندهم إلى هلاك يزد جرد بن شهريار الملك أربعة آلاف ومائة واثنتين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما، ويسندون ذلك إلى كتابهم الذي جاء به زردشت، وهو الكتاب المعروف بأبستا. فأما اليهود والنصارى فيسندون ذلك إلى التوراة ويختلفون في كيفية استنباط المدة. وتزعم النصارى واليهود أن مدة الدنيا كلها سبعة آلاف سنة، قد ذهب منها ما ذهب، وبقي ما بقي. وقيل : إن اليهود إنما قصرت المدة، لانهم يزعمون أن شيخهم الذي هو منتظرهم، يخرج في أول الالف السابع، فلولا تنقيصهم المدة وتقصيرهم أيامها لتعجل افتضاحهم، ولكن سيفتضحون فيما بعد عند من يأتي بعدنا من البشر. قال حمزة : وأما المنجمون فقد أتوا بما يغمز هذا كله، فزعموا أنه قد مضى من الدنيا منذ أول يوم

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٠٩

سارت فيه الكواكب، من رأس الجمل إلى اليوم الذي خرج فيه المتوكل ابن معنصم بن الرشيد من سامراء إلى دمشق، ليجعلها دار الملك، وهو أول يوم من المحرم سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة المحمدية، أربعة آلاف ألف ألف - ثلاث لفظات - وثلاثمائة ألف وعشرون ألف سنة، بسنى الشمس. قالوا: والذي مضى من الطوفان إلى صبيحة اليوم الذي خرج فيه المتوكل إلى دمشق ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثان وعشرون يوما. وذكر أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية: أن الفرس والمجوس يزعمون أن عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة، على عدد البروج وعدد الشهور، وأن الماضي منها إلى وقت ظهور زردشت صاحب شريعتهم ثلاثة آلاف سنة، وبين ابتداء ظهور زردشت وبين أول تاريخ الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة، وبين تاريخ الاسكندر وبين سنته التي كتبنا فيها شرح هذا الفصل - وهي سنة سبع وأربعين وستمائة للهجرة النبوية - ألف وخمسمائة وسبعون سنة، فعلى هذا يكون الماضي إلى يومنا هذا من أصل اثني عشر ألف سنة، أربعة آلاف وثمانمائة وثمانية عشرة سنة، فيكون الباقي من الدنيا على قولهم أكثر من الماضي. وحكى أبو الريحان عن الهند في بعض كتبه، أن مدة عمر الدنيا مقدار تضعيف الواحد من أول بيت في رقعة الشطرنج إلى آخر البيوت. فأما الاخباريون من المسلمين، فأكثرهم يقولون: إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ويقولون أننا في السابع، والحق أنه لا يعلم أحد هذا إلا الله تعالى وحده، كما قال سبحانه: (يسألونك عن الساعة أيا نمرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها)، وقال: (لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله). ونقول مع ذلك كما ورد به الكتاب العزيز: (اقتربت الساعة) و (اقترب للناس حسابهم)، و (أتى أمر الله فلا تستعجلوه). ولا نعلم كمية الماضي ولا كمية الباقي، ولكننا نقول كما أمرنا، ونسمع ونطيع كما أدبنا، ومن الممكن أن يكون ما بقى قريبا عند الله، وغير قريب عندنا، كما قال سبحانه: (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا). وبالجملة هذا موضع غامض يجب السكوت عنه^(١).

كلها بقي غير عنقها

أمر رسول الله ﷺ بعض نسائه أن تقسم شاة على الفقراء فقالت : يا رسول الله، لم يبق منها غير عنقها، فقال ﷺ : كلها بقي غير عنقها. أخذ شاعر هذا المعنى فقال : يبكي على الذاهب من ما له وإنما يبقى الذي يذهب^(١).

سياسة علي

سياسة علي وجريها على سياسة الرسول ﷺ واعلم أن قوما ممن لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين ﷺ، زعموا أن عمر كان أسوس منه، وإن كان هو أعلم من عمر، وصرح الرئيس أبو علي بن سينا بذلك في (الشفاء) في الحكمة، وكان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا، وقد عرض به في كتاب (الغرر)، ثم زعم أعداؤه ومباغضوه أن معاوية كان أسوس منه وأصح تدبيراً، وقد سبق لنا بحث قديم في هذا الكتاب في بيان حسن سياسة أمير المؤمنين ﷺ وصحة تدبيره، ونحن نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك مما يليق بهذا الفصل الذي نحن في شرحه. اعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه، وبما يرى فيه صلاح ملكه، وتمهيد أمره، وتوطيد قاعدته، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها، ومتى لم يعمل في السياسة والتدبير بموجب ما قلناه، فبعيد أن يتنظم أمره، أو يستوثق حاله، وأمير المؤمنين كان مقيداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى اتباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً، فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك، ولسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب، ولا ناسيين إليه ما هو منزّه عنه، ولكنه كان مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، ويكيد خصمه، ويأمر أمراءه بالكيد والحيلة، ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك، ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب، كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه إليه نظره، ولم يكن أمير المؤمنين ﷺ يرى ذلك، وكان يقف مع النصوص والظواهر، ولا يتعداها إلى الاجتهاد والاقيسة، ويطبق أمور الدنيا على أمور الدين، ويسوق الكل

مساقا واحدا، ولا يضيع ولا يرفع إلا بالكتاب والنص، فاختلفت طريقتاهما في الخلافة والسياسة، وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة، وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز، فازدادت خلافة ذاك قوة، وخلافة هذا لينا، ولم يمن عمر بما منى به علي عليه السلام من فتنة عثمان، التي أحوجته إلى مداراة أصحابه وجنده ومقاربتهم، للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنة، ثم تلا ذلك فتنة الجمل، وفتنة صفين ثم فتنة النهروان، وكل هذه الامور مؤثرة في اضطراب أمر الوالي وانحلال معاهد ملكه، ولم يتفق لعمر شئ من ذلك، فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكة وصحة تدبير الخلافة. ^(١)

قد يوافي بالمنيات السحر

قال الشاعر :

وبينما المرء في الاحياء مغتبط إذ صار في اللحد تسفيه الاعاصير

وقال آخر :

لا يغرنك عشاء ساكن قد يوافي بالمنيات السحر

وقال عبيد الله بن طاهر :

وإذا ما أعارك الدهر شيئا فهو لا بد آخذ ما أعارا

آخر :

يغر الفتى مر الليالي سليمة وهن به عما قليل عواثر

وقال آخر

ورب غنى عظيم الشراء أمسى مقلا عديما فقيرا

وكم بات من مترف في القصور فعوض في الصبح عنها القبورا ^(٢).

إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه

وقال عليه السلام في بعض الاعياد : إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه، وشكر قيامه، وكل

يوم لا نعصي الله فيه فهو يوم عيد.

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢١٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٧١

نقله بعض المحدثين إلى الغزل فقال : قالوا أتى العيد قلت أملا إن جاء بالوصل فهو عيد من ظفرت بالمنى يدها فكل إيامه سعود
ورأيت بعض الصوفية وقد سمع هذين البيتين من مغن حاذق، فطرب وصفق وأخذهما لمعنى عنده

وقد قال بعض المحدثين في هذا المعنى أيضا :

قالوا أتى العيد والايام مشرقة وأنت تبكى وكل الناس مسرور
فقلت إن واصل الاحباب كان لنا عيدا وإلا فهذا اليوم عاشور^(١).

لم يبغض الجاهل العالم

قيل لافلاطون : لم يبغض الجاهل العالم، ولا يبغض العالم الجاهل ؟ فقال : لان الجاهل يستشعر النقص في نفسه، ويظن إن العالم يحتقره، ويزدرية فيبغضه، والعالم لا نقص عنده ولا يظن إن الجاهل يحتقره، فليس عنده سبب لبغض الجاهل^(٢).

سكرات خمس

وقال الشاعر :

سكرات خمس إذا منى المرء بها صار عرضه للزمان
سكرة المال والحدائث والعشق وسكر الشراب والسلطان
وقال آخر :

يا بن وهب والمرء في دولة السلطان أعمى ما دام يدعى أميرا
فإذا زالت الولاية عنه واستوى بالرجال عاد بصيرا
وقال البحتري :

وتاه سعيد أن أعير رياسة وقلد أمرا كان دون رجال
ه وضاق على حتى بعقب اتساعه فأوسعته عذرا لضيق احتمال

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٧٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٨٦

ه فأدبر عني عند إقبال حظه وغير حالي عنده لحسن حاله
فليت أبا عثمان أمسك تيهة كأساكه عند الحقوق بماله (١).

حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك

قالت الهند : حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك، كان غذاؤك منهما وأنت جنين وكان
غذاؤهما منك.

قال ابن الرومي :

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهدود الصبا فيها فحنوا لذلكا (٢).

سيقتل نفسه بجرائمه

شتم بعض سفهاء البصرة الاحنف شتما قبيحا فحلم عنه، فقيل له في ذلك، فقال :
دعوه فإنني قد قتلته بالحلم عنه، وسيقتل نفسه بجرائمه، فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفية
فشتم زيادا، وهو أمير البصرة حينئذ، وظن إنه كالأحنف، فأمر به فقطع لسانه ويده (٣).

لو اقرأته القرآن فهو خير له

دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي على أمير المؤمنين عليه السلام أيام
خلافته، وغالب شيخ كبير، ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ، فقال له أمير
المؤمنين عليه السلام : من الشيخ؟ قال : أنا غالب بن صعصعة، قال : ذو الابل الكثيرة؟ قال :
نعم، قال : ما فعلت أهلك؟ قال : ذعذعتها الحقوق، وأذهبتها الحملات والنواب،
قال : ذاك أحمد سبلها، من هذا الغلام معك؟ قال : هذا ابني، قال : ما اسمه؟ قال :
همام، وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب، ويوشك أن يكون شاعرا مجيدا،
فقال : لو اقرأته القرآن فهو خير له، فكان الفرزدق بعد يروي هذا الحديث ويقول ما زالت
كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى الا يفكه حتى يحفظ القرآن، فما فكه حتى
حفظه (٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٨٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٩٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٩٥

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٩٦

يخرج من ثقيف كذاب ومبير

قال يعلى بن حرملة : دخلت مكة بعد ما قتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أيام، فإذا هو مصلوب، فجاءت أمه أسماء، وكانت امرأة عجوزا طويلة مكفوفة البصر ثقاد، فقالت للحجاج : أما أن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال لها : المنافق؟ قالت : والله ما كان منافقا، ولكنه كان صواما قواما برا، قال : انصرفي فإنك عجوز قد خرفت. قالت : لا والله ما خرفت، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يخرج من ثقيف كذاب ومبير)، أما الكذاب فقد رأيناه - تعنى المختار - وأما المبير فانت^(١).

علمهما الفقه

حدثني فخار بن معد العلوي الموسوي رحمه الله، قال : رأى المفيد أبو عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الامام في منامه، كأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ، ومعها ولداها : الحسن والحسين عليهما السلام، صغيرين، فسلمتهما إليه، وقالت له : علمهما الفقه. فانتبه متعجبا من ذلك، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر، وحولها جواربها وبين يديها ابناها محمد الرضي وعلي المرتضى صغيرين، فقام إليها وسلم عليها، فقالت له : أيها الشيخ، هذان ولداي، قد أحضرتهما لتعلمهما الفقه فبكى أبو عبد الله وقص عليها المنام، وتولى تعليمهما الفقه، وأنعم الله عليهما، وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا، وهو باق ما بقي الدهر^(٢).

اشعار في وصف القبور والموتى

اعلم أن الناس قد قالوا في حال الموتى فاكثروا فمن ذلك قول الرضى ابي الحسن رحمه الله تعالى :

اعزز على بان نزلت بمنزل متشابه الامجاد بالاوغاد

في عصابة جنبوا إلى آجالهم والدهر يعجلهم عن الارواد

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٠٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٤١

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم من غير اطناب ولا اعماد
ركب اناخوا لا يرجى منهم قصد لاتهم ولا انجاد
كرهوا النزول فانزلتهم وقعة للدهر باركة بكل مفاد
فتهافتوا عن رحل كل مذلل وتطاوحوا عن سرج كل جواد
بادون في صور الجميع وانهم متفردون تفرد الاحاد.
قوله (بادون في صور الجميع) ماخوذ من قول امير المؤمنين عليه السلام (فكلهم وحيد وهم
جميع).

وقال ايضا :

ولقد حفظت له فاين حفاظه ولقد وفيت له فاين وفاؤه
ارعى الدعاء فلم يجبه قطيعة ام ضل عنه من البعاد دعاؤه
هيئات اصبح سمعه وعيانه في الترب قد حجبتهما اعداؤه
يمسى ولين مهادة حصاؤه فيه ومؤنس ليله ظلماؤه -
قد قلبت اعيانه وتنكرت اعلامه وتكسفت اضواؤه
مغف وليس للذة اغفاؤه مغض وليس لفكرة اغضاؤه
وجه كلمع البرق غاض وميضه قلب كصدر العضب قل مضائه
حكم البلى فيه فلو تلقى به اعداءه لرتى له اعداؤه
. وقال أبو العلاء :

استغفر الله ما عندي لكم خير ومخطابي الا معشرا قبروا
اصبحتم في البلى غبرا ملابسكم من الهباء فاين البرد والقطر
كتتم على كل خطب فادح صبوا فهل شعرتم وقد جادتكم الصبر
وما درى يوم احد بالذين ثووا فيه ولا يوم بدر انهم نصروا.
وقال أبو عارم الكلابي :

ا جازعة ردينه أن اتاها نعى ام يكون لها اصطبار
إذا ما اهل قبري ودعوني وراحوا والاكف بها غبار

وغودر اعظمي في لحد قبر تراوحه الجنائب والقطار
تهب الريح فوق محط قبري ويرعى حوله اللهق النوار
مقيم لا يكلمه صديق بقبر لا ازور ولا ازار
فذاك الناي لا الهجران حولا وحولا ثم تجتمع الديار^(١).

مدينة قد ملكها سبعة املاك من بيت واحد وبادو

مر الاسكندر بمدينة قد ملكها سبعة املاك من بيت واحد وبادو فسأل هل بقي من
نسلهم احد قالوا بقي واحد وهو يلزم المقابر فدعا به فسأله لم تلزم المقابر قال اردت أن
اميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء قال هل لك أن تلزمني حتى انيلك
بغيتك قال لو علمت انك تقدر على ذلك للزمتك قال وما بغيتك قال حياة لا موت معها
قال لن اقدر على ذلك قال فدعني اطلبه ممن يقدر عليه^(٢).

لنفسه نظر

أرسل على ﷺ إلى الاشر، فقال : يا مال، إن زيادا وشريحا أرسلنا إلى يعلمانني
أنهما لقيا أبا الاعور السلمى في جند من أهل الشام بسور الروم، ونبأني الرسول أنه
تركهم متواقفين، فالنجا النجا إلى أصحابك، فإذا أتيتهم فأنت عليهم، وإياك أن تبدأ
القوم بقتال إن لم يبدءوك، والقهم واسمع منهم، ولا يجرمنك شأنهم على قتالهم قبل
دعائهم والاعذار إليهم مرة بعد مرة، واجعل على ميمتك زيادا، وعلى ميسرتك شريحا،
وقف من أصحابك وسطا، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تتباعد عنهم
تباعد من يهاب الناس، حتى أقدم عليك، فإني حثيث السير إليك إن شاء الله. قال :
وكتب على ﷺ إليهما - وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفي - : أما بعد فإني قد
أمرت عليكما مالكا، فاسمعا له وأطيعا أمره، وهو ممن لا يخاف رفقته ولا سقاطه، ولا
بطؤه عما الاسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل، وقد أمرته بمثل الذي
أمرتكما، ألا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم، ويعذر إليهم إن شاء الله. قال :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٥٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٥٨

فخرج الاشر حتى قدم على القوم، فاتبع ما أمره به على عليه السلام، وكف عن القتال، فلم يزلوا متواقفين، حتى إذا كان عند المساء، حمل عليهم أبو الأعور فثبتوا له واضطربوا ساعة. ثم إن أهل الشام انصرفوا، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عدتها وعددها، فخرج إليهم أبو الأعور السلمي، فاقتتلوا يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، وصبر بعضهم لبعض، ثم انصرفوا. وبكر عليهم الاشر، فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر التنوخي، قتله ظبيان بن عمارة التميمي، وما هو يومئذ إلا فتى حديث السن. وإن كان الشامي لفارس أهل الشام، وأخذ الاشر يقول: ويحكم أروني أبا الأعور! ثم إن أبا الأعور دعا الناس، فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة، وجاء الاشر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور أول مرة، فقال الاشر لسنان بن مالك النخعي. انطلق إلى أبو الأعور، فادعه إلى المبارزة، فقال: إلى مبارزتي أم إلى مبارزتك؟ فقال: أولو أمرتك بمبارزته فعلت؟ قال: نعم، والذي لا إله إلا هو، لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي لفعلت حتى أضربه بالسيف. فقال: يا بن أخي، أطال الله بقاءك! قد والله ازددت. فيك رغبة، لا ما أمرتك بمبارزته، إنما أمرتك أن تدعوه لمبارزاتي، فإنه لا يبارز - إن كان ذلك من شأنه - إلا ذوى الاسنان والكفاءة والشرف، وأنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف، ولكنك حديث السن، وليس يبارز الاحداث، فاذهب فادعه إلى مبارزتي. فأتاهم فقال: أنا رسول فأمونوني، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور. قال: فقلت له: إن الاشر يدعوك إلى المبارزة، قال: فسكت عنى طويلا، ثم قال: إن خفة الاشر وسوء رأيه وهوانه: دعاه إلى إجلاء عمال عثمان، وافترائه عليه، يقبح محاسنه، ويجهل حقه، ويظهر عداوته. ومن خفة الاشر وسوء رأيه أنه سار إلى عثمان في داره وقراره، فقتله فيمن قتله، وأصبح متبعا بدمه، لا حاجة لي في مبارزته. فقلت: إنك قد تكلمت فاسمع حتى أجيئك، فقال: لا حاجة لي في جوابك ولا الاستماع منك، اذهب عنى، وصاح بي أصحابه فانصرفت عنه، ولو سمع لاسمعتة عذر صاحبي وحجته. فرجعت إلى الاشر، فأخبرته أنه قد أبى المبارزة، فقال: لنفسه نظر. قال: فتواقفنا، فإذا هم قد انصرفوا. قال: وصبحنا على عليه السلام غدوة سائرا نحو معاوية، فإذا أبو الأعور قد سبق إلى سهولة الارض وسعة المنزل، وشريعة الماء، مكان أفيح، وكان أبو الأعور على مقدمة معاوية، واسمه سفيان بن عمرو وقد جعل على ساقته بسر بن أرطاة العامري، وعلى الخيل عبيد

الله بن عمر بن الخطاب، ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وجعل على ميمنته حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى رجالته من الميمنة يزيد بن زحر الضبي، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى الرجال من الميسرة حابس بن سعيد الطائي، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس الفهري، وعلى رجاله أهل دمشق يزيد بن أسد بن كرز البجلي، وعلى أهل حمص ذا الكلاع، وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مخلد، وكان وصول علي عليه السلام إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنة سبع وثلاثين ^(١).

الأقوال في علم الله

القول الاول : قول جمهور المتكلمين، وهو أن الباري سبحانه يعلم كل معلوم : الماضي والحاضر والمستقبل، ظاهرها وباطنها، ومحسوسها وغير محسوسها، فهو تعالى العالم بما كان وما هو حاضر، وما سيكون وما لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون، كقوله تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه)، فهذا علم بأمر مقدر على تقدير وقوع أصله الذي قد علم أنه لا يكون.

القول الثاني : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الامور المستقبلية، وشبهوه بكونه مدركا، قالوا : كما أنه لا يدرك المستقبلات، فكذلك لا يعلم المستقبلات.

القول الثالث : قول من زعم أنه لا يعلم الامور الحاضرة، وهذا القول نقيض القول الثاني، وشبهوه بكونه قادرا، قالوا : كما أنه لا يقدر على الموجود، فكذلك لا يعلم الموجود

القول الرابع : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم نفسه خاصة، ويعلم كل ما عدا ذاته،

القول الخامس : قول من قال إنه تعالى لم يكن فيما لم يزل عالما بشئ أصلا، وإنما أحدث لنفسه علما علم به الاشياء، وهو قول جهنم بن صفوان

القول السادس : قول من قال إنه تعالى لا يعلم كل المعلومات على تفصيلها، وإنما يعلم ذلك إجمالا وهؤلاء يسمون المسترسلية، لانهم يقولون : يسترسل علمه على المعلومات إجمالا لا تفصيلا، وهو مذهب الجويني من متكلمي الاشعرية.

القول السابع : قول من قال إنه تعالى يعلم المعلومات المفصلة ما لم يفض القول به إلى محال، وزعموا أن القول بأنه يعلم كل شيء يفضى إلى محال، وهو أن يعلم ويعلم أنه يعلم، وهلم جرا إلى ما لا نهاية له، وكذلك المحال لازم إذا قيل إنه يعلم الفروع، وفروع الفروع ولوازمها ولوازم لوازمها إلى ما لا نهاية له. قالوا : ومحال اجتماع كل هذه العلوم غير المتناهية في الوجود، وهذا مذهب أبي البركات البغدادي صاحب المعبر

القول الثامن : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الشخصيات الجزئية، وإنما يعلم الكليات التي لا يجوز عليها التغيير، كالعلم بأن كل إنسان حيوان، ويعلم نفسه أيضاً، وهذا مذهب أرسطو وناصرى قوله من الفلاسفة كابن سينا وغيره.

القول التاسع : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم شيئاً أصلاً، لا كلياً ولا جزئياً، وإنما وجد العالم عنه لخصوصية ذاته فقط من غير أن يعلمه، كما أن المغناطيس يجذب الحديد لقوة فيه من غير أن يعلم بالجذب، وهذا قول قوم من قدماء الفلاسفة^(١).

لكنى لا ارجو ولا والله من المائة اثنين

وروى أبو مخنف، عن عبد الرحمن بن جندب، عن ابيه قال : دخلت على علي عليه السلام وكنت حاضراً بالمدينة يوم بويح عثمان، فإذا هو واجم كئيب، فقلت : ما اصاب قوم صرفوا هذا الامر عنكم ! فقال صبر جميل ! فقلت : سبحان الله انك لصبور قال : فاصنع ماذا ؟ قلت : تقوم في الناس خطيباً فتدعوهم إلى نفسك، وتخبرهم انك اولى بالنبي ﷺ بالعمل والسابقة، وتسالهم النصر على هؤلاء المتظاهرين عليك، فان اجابك عشرة من مائه شددت بالعشرة على المائة، فان دانوا لك كان ما احببت وان أبوا قاتلتهم، فان ظهرت عليهم فهو سلطان الله آتاه نبيه ﷺ وكنت اولى به منهم إذ ذهبوا بذلك، فرده الله اليك وان قتلت في طلبه فقتلت شهيداً، وكنت اولى بالعدو عند الله تعالى في الدنيا والاخرة. فقال ﷺ : أو تراه كان تابعي من كل مائة عشرة ! قلت : لا ارجو ذلك، قال : لكنى لا ارجو ولا والله من المائة اثنين وساخبرك من اين ذلك ! ان الناس انما ينظرون إلى قريش، فيقولون : هم قوم محمد ﷺ وقبيلته، وان قريشا تنظر الينا فتقول : ان لهم بالنبوة فضلاً على سائر قريش، وانهم اولياء هذا الامر دون قريش والناس، وانهم ان ولوه

لم يخرج هذا السلطان منهم إلى احد أبدا، ومتى كان في غيرهم تداولتموه بينكم، فلا والله لا تدفع قريش الينا هذا السلطان طائعة أبدا. قلت : أفلا ارجع إلى المصر فاخبر الناس بمقاتلك هذه وأدعو الناس إليك فقال يا جندب ليس هذا زمان ذلك فرجعت فكلما ذكرت للناس شيئا من فضل علي زبروني ونهروني حتى رفع ذلك من أمرى للوليد بن عقبة فبعث إلى فحبسني^(١).

إنا أهل البيت لا نفر

قدم على المنصور قادم، فقال : هرب محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ! فقال له : كذبت ! إنا أهل البيت لا نفر^(٢).

فما عسى أن أقول في حسبه ! وأما بأسه فهو الشجاع المطرق

لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص : إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدم عبيد الله بن عمر، وقد رأيت أن أقيم خطيبا يشهد علي بن أبي طالب بقتل عثمان، وينال منه، فقال : الرأي ما رأيت، فبعث إليه، فأتاه، فقال له معاوية : يا بن أخي، إن لك اسم أيبك فانظر بملء عينيك، وانطق بملء فيك، فأنت المأمون المصدق، فاصعد المنبر واشتم عليا، واشهد عليه أنه قتل عثمان. فقال : أيها الامير، أما شتمه، فإن أباه أبو طالب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه ! وأما بأسه فهو الشجاع المطرق، وأما أيامه فما قد عرفت، ولكني ملزمه دم عثمان، فقال عمرو بن العاص : قد وأبيك إذن نكأت القرحة. فلما خرج عبيد الله بن عمر، قال معاوية : أما والله لو لا قتله الهرمزان، ومخافته عليا على نفسه ما أتانا أبدا، ألا ترى إلى تقرظه عليا ! فقال عمرو : يا معاوية، إن لم تغلب فاخلب، قال : وخرج حديثهما إلى عبيد الله، فلما قام خطيبا تكلم بحاجته، فلما انتهى إلى أمر علي أمسك ولم يقل شيئا، فلما نزل بعث إليه معاوية : يا بن أخي، إنك بين عي وخيانة، فبعث إليه : إنى كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أن الناس محتملوها عنى فتركها. قال : فهجره معاوية واستخف به وفسقه، فقال عبيد الله :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٦٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٠٨

معاوى لم أحرص بخطبة خاطب ولم أك عيا في لؤى بن غالب
ولكننى زاولت نفسا أبية على قذف شيخ بالعراقين غائب
وقذفي عليا بابن عفان جهرة كذاب، وما طيب سجايا المكاذب
ولكنه قد قرب القوم جهده ودبوا حواليه ديب العقارب
فما قال : أحستم ولا قد أسأتم وأطرق إطراق الشجاع الموابث
فأما ابن عفان فأشهد أنه أصيب بريئا لابساً ثوب تائب
وقد كان فيها للزبير عجاجة وطلحة فيها جاهد غير لاعب
وقد أظهرها من بعد ذلك توبة فياليت شعري ما هما في العواقب !
قال : فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه، وقال : حسبى هذا منك^(١).

أوصيك بما أوصى به البكري زيذا

كتب عبد الملك إلى الحجاج : (أوصيك بما أوصى به البكري زيذا، والسلام). فلم يفهم الحجاج ما أراد عبد الملك، فاستعلم ذلك من كثير من العلماء بأخبار العرب، فلم يعلموه، فقال : من جاءني بتفسيره فله عشرة آلاف درهم، وورد رجل من أهل الحجاز يتظلم من بعض العمال، فقال له قائل : أتعلم ما أوصى به البكري زيذا؟ قال : نعم أعلمه، فقيل له : فأت الامير، فأخبره ولك عشرة آلاف درهم، فدخل عليه فسأله، فقال : نعم أيها الامير، إنه يعنى قوله : أقول لزيد لا تترتر فإنهم يرون المنايا دون قتلك أو قتلى فإن وضعوا حربا فضعها، وإن أبوا فعرضة نار الحرب مثلك أو مثلى وإن رفعوا الحرب العوان التى ترى فشب وقود النار بالحطب الجزل فقال الحجاج : أصاب أمير المؤمنين فيما أوصاني، وأصاب البكري فيما أوصى به زيذا، وأصبت أيها الاعرابي، ودفع إليه الدراهم.

وكتب إلى المهلب : إن أمير المؤمنين أوصاني بما أوصى به البكري زيذا، وأنا أوصيك بذلك، وبما أوصى به الحارث بن كعب بنيه. فنظر المهلب في وصية الحارث بن كعب، فإذا فيها : يا بني كونوا جميعا، ولا تكونوا شيعا فتفرقوا، وبزوا قبل أن تبزوا.

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٠

الموت في قوة وعز، خير من الحياة في ذل وعجز. فقال المهلب : صدق البكري وأصاب، وصدق الحارث وأصاب^(١).

سمى المرقال

وهاشم بن عتبة هو المرقال، سمي المرقال، لانه كان يرقل في الحرب إزقالا وهو من شيعة علي،^(٢).

ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله

أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، هو الذي حرص المصريين على قتل عثمان وندبهم إليه، وكان حينئذ بمصر، فلما ساروا إلى عثمان وحصلوه، وثب هو بمصر على عامل عثمان عليها، وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي، فطرده عنها، وصلى بالناس، فخرج ابن أبي سرح من مصر، ونزل على تخوم أرضها مما يلي فلسطين، وانتظر ما يكون من أمر عثمان، فطلع عليه راكب، فقال له : يا عبد الله، ما وراءك؟ ما خبر الناس بالمدينة؟ قال : قتل المسلمون عثمان، فقال ابن أبي سرح : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم صنعوا ماذا يا عبد الله؟ قال : بايعوا ابن عم رسول الله علي بن أبي طالب، فقال ثانية : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فقال الرجل : أرى أن ولاية علي عدلت عندك قتل عثمان ! قال : أجل، فنظر إليه متأملا له فعرفه، فقال : أظنك عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أمير مصر ! قال : أجل، قال : إن كانت لك في الحياة حاجة فالنجاه النجاه، فإن رأي علي فيك وفي أصحابك إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين، وهذا أمير تقدم بعدى عليكم. قال : ومن الأمير؟ قال : قيس بن سعد بن عبادة. فقال ابن أبي سرح : ابن أبي حذيفة، فإنه بغى علي ابن عمه، وسعى عليه وقد كان كفله ورباه وأحسن إليه، وأمن جواره، فجهز الرجال إليه حتى قتل، ووثب علي عامله. وخرج ابن أبي سرح حتى قدم على معاوية بدمشق^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٣٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٥٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٥٧

بلغني أيها الملك أن الاسد يردّها فخفتها

يروى أن رجلا من خواص كسرى، أحب الملك امرأته، فكان يختلف إليها سرا وتختلف إليه، فعلم بذلك فهجرها وترك فراشها، فأخبرت كسرى، فقال له يوما : بلغني أن لك عينا عذبة، وأنت لا تشرب منها ! فقال : بلغني أيها الملك أن الاسد يردّها فخفتها، فتركتها له، فاستحسن ذلك منه ووصله^(١).

إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها

قال حاتم : وما تشتكيني جارتني غير أنني إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها
سيبلغها خيرى ويرجع بعلمها إليها ولم يسبل على ستورها
فكنى بإسبال الستر عن الفعل، لانه يقع عنده غالبا.
ويشبه قول حاتم في الكناية المقدم ذكرها قول بشار بن بشر :
واني لعف عن زيارة جارتني واني لمشوء إلى اغتياها
ولم أك طلابا أحاديث سرها ولا عالما من أي حوك ثيابها
إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها زءورا ولم تنبح على كلابها
إذا سد باب عنك من دون حاجة فذرّها لاخرى لين لك بابها
ومن جيد الكناية عن العفة قول عقيل بن علفة المرى :
ولست بسائل جارات بيتي أغياب رجالك أم شهود
ولا ملق لذي الودعات سوطي الأعبه ورييته أريد
ومن جيد ذلك ومختاره قول مسكين الدارمي :
نارى ونار الجار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
ما ضر جاراً لى أجاوره ألا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما جارتني برزت حتى يوارى جارتني الخدر^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٤١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٤١

خذ إليك أبا الاملاك، قد سميته عليا

* وقد جاءت الرواية أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام لما ولد لعبد الله بن العباس مولود فقده وقت صلاة الظهر، فقال: ما بال ابن العباس لم يحضر! قالوا: ولد له ولد ذكر، يا أمير المؤمنين. قال: فامضوا بنا إليه، فاتاه فقال له: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب! ما سميته؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أو يجوز لي أن أسميه حتى تسميه! فقال: أخرجته إلى، فأخرجه، فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده إليه، وقال: خذ إليك أبا الاملاك، قد سميته عليا، وكنيته أبا الحسن. قال: فلما قدم معاوية خليفة، قال لعبد الله بن العباس: لا أجمع لك بين الاسم والكنية، قد كنيته أبا محمد، فجرت عليه

قال ابن أبي الحديد: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى، فقلت له: من أي طريق عرف بنو أمية أن الامر سينتقل عنهم، وأنه سيليه بنو هاشم، وأول من يلي منهم يكون اسمه عبد الله؟ ولم منعوهم عن مناكحة بنى الحارث بن كعب لعلمهم أن أول من يلي الامر من بنى هاشم تكون أمه حارثية؟ وبأي طريق عرف بنو هاشم أن الامر سيصير إليهم، ويملكه عبيد أولادهم، حتى عرفوا صاحب الامر بعينه، كما قد جاء في الخبر! فقال: أصل هذا كله محمد بن الحنفية، ثم ابنه عبد الله المكنى أبا هاشم. قلت له: أفكان محمد بن الحنفية مخصوصا من أمير المؤمنين عليه السلام بعلم يستأثر به على أخويه حسن وحسين عليهما السلام؟ قال: لا، ولكنهما كتما وأذاع. ثم قال: قد صحت الرواية عندنا عن أسلافنا وعن غيرهم من أرباب الحديث، أن عليا عليه السلام لما قبض أتى محمد ابنه أخويه حسنا وحسينا عليهما السلام، فقال لهما: أعطيتاني ميراثي من أبي، فقالا له: قد علمت أن أباك لم يترك صفراء ولا بيضاء، فقال: قد علمت ذلك، وليس ميراث المال أطلب، إنما أطلب ميراث العلم. قال أبو جعفر رحمه الله تعالى: فروى أبان بن عثمان عن يروي له ذلك، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: فدفعنا إليه صحيفة، لو أطلعاه على أكثر منها لهلك، فيها ذكر دولة بنى العباس. قال أبو جعفر: وقد روى أبو الحسن علي بن محمد النوفلي، قال: حدثني عيسى ابن علي بن عبد الله بن العباس، قال: لما أردنا الهرب من مروان بن محمد، لما قبض على إبراهيم الإمام جعلنا نسخة الصحيفة التي دفعها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس، وهي التي كان آباؤنا يسمونها صحيفة الدولة، في صندوق من نحاس صغير، ثم

دفناه تحت زيتونات بالشرأة لم يكن بالشرأة من الزيتون غيرهن، فلما أفضى السلطان إلينا، وملكنا الامر، أرسلنا إلى ذلك الموضع فبحث وحفر، فلم يوجد فيه شيء، فأمرنا بحفر جريب من الارض في ذلك الموضع، حتى بلغ الحفر الماء ولم نجد شيئاً. قال أبو جعفر: وقد كان محمد بن الحنفية صرح بالامر لعبد الله بن العباس وعرفه تفصيله، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام قد فصل لعبد الله بن العباس الامر، وإنما أخبره به مجملًا، كقوله في هذا الخبر: " خذ إليك أبا الاملاك "، ونحو ذلك مما كان يعرض له به، ولكن الذي كشف القناع، وأبرز المستور عليه هو محمد بن الحنفية. وكذلك أيضاً ما وصل إلى بنى أمية من علم هذا الامر، فإنه وصل من جهة محمد ابن الحنفية، وأطلعهم على السر الذي علمه، ولكن لم يكشف لهم كشفه لبني العباس، فإن كشفه الامر لبني العباس كان أكمل. قال أبو جعفر: فأما أبو هاشم، فإنه قد كان أفضى بالامر إلى محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس وأطلعه عليه، وأوضحه له، فلما حضرته الوفاة عقيب انصرافه من عند الوليد ابن عبد الملك مر بالشرأة، وهو مريض و محمد بن علي بها، فدفن إليه كتبه، وجعله وصيه، وأمر الشيعة بالاختلاف إليه.

قال أبو جعفر: وحضر وفاة أبي هاشم ثلاثة نفر من بنى هاشم: محمد بن علي هذا، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، فلما مات خرج محمد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر من عنده، وكل واحد منهما يدعى وصايته، فأما عبد الله بن الحارث فلم يقل شيئاً. قال أبو جعفر رحمه الله تعالى: وصدق محمد بن علي، أنه إليه أوصى أبو هاشم، وإليه دفع كتاب الدولة، وكذب معاوية بن عبد الله بن جعفر، لكنه قرأ الكتاب، فوجد لهم فيه ذكراً يسيراً، فادعى الوصية بذلك، فمات وخرج ابنه عبد الله بن معاوية يدعى وصاية أبيه، ويدعى لابيه وصاية أبي هاشم، ويظهر الانكار على بنى أمية، وكان له في ذلك شيعة يقولون بإمامته سرا حتى قتل بإمامته سرا حتى قتل^(١).

إنا لا نأخذ لقرى الاضياف ثمنا

لما خرج قيس بن سعد من مصر، فمر بأهل بيت من بلقين، فنزل بمائهم، فنحر له

صاحب المنزل جزورا وأتاه بها، فلما كان الغد نحر له أخرى ثم حبستهم السماء اليوم الثالث، فنحر لهم ثالثة، ثم إن السماء أقلعت، فلما أراد قيس أن يرتحل، وضع عشرين ثوبا من ثياب مصر، وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل، وقال لها: إذا جاء صاحبك، فادفعي هذه إليه، ثم رحل، فما أتت عليه إلا ساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس، ومعه رمح، والثياب والدرهم بين يديه، فقال: يا هؤلاء خذوا ثيابكم ودرهمكم. فقال قيس: انصرف أيها الرجل، فإننا لم نكن لناخذها. قال: والله لناخذها فقال قيس: لله أبوك أ لم تكرمنا وتحسن ضيافتنا فكافأناك! فليس بهذا بأس. فقال الرجل: إنا لا نأخذ لقري الاضياف ثمنا، والله لا آخذها أبدا. فقال قيس: أما إذ أبي ألا يأخذها فخذوه، فوالله ما فضلني رجل من العرب غيره^(١).

إنه خرج وهو جنب

مر أبو عامر الراهب على حنظلة ابنه وهو مقتول إلى جنب حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، فقال: إن كنت لاحدرك هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - من قبل هذا المصرع، والله إن كنت لبرا بالوالد، شريف الخلق في حياتك، وإن مماتك لمع سراة أصحابك وأشرفهم، إن جرى الله هذا القتل - يعني حمزة - خيرا، أو جرى أحدا من أصحاب محمد خيرا، فليجزك ثم نادى يا معشر قريش، حنظلة لا يمثل به، وإن كان خالفني وخالفكم، فلم يأل لنفسه فيما يرى خيرا، فمثل بالناس وترك حنظلة فلم يمثل به. وكانت هند بنت عتبة أول من مثل باصحاب النبي ﷺ، وأمرت النساء بالمثل، وبجدع الانوف والاذان، فلم تبقى امرأة إلا عليها معضدان ومسكتان وخدمتان إلا حنظلة لم يمثل به، وقال رسول الله ﷺ: (إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والارض بماء المزن في صحاف الفضة)، قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه، فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى امرأته فسألها، فأخبرته إنه خرج وهو جنب^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٦٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٧٠

قصة غزوة الخندق

خرج عمرو بن عبد ود يوم الخندق وقد كان شهد بدرا فارتث جريحا، ولم يشهد أحدا، فحضر الخندق شاهرا سيفه معلما، مدلا بشجاعته وباسه، وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهري وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميون، فطافوا بخيولهم على الخندق اصعبا وانحدارا، يطلبون موضعا ضيقا يعبرونه، حتى وقفوا على أضيق موضع فيه في المكان المعروف بالمزار، فاكرهوا خيولهم على العبور فعبرت، وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة ورسول الله ﷺ جالس وأصحابه قيام على رأسه، فتقدم عمرو بن عبد ود فدعا إلى البراز مرارا، فلم يقم إليه أحد، فلما أكثر، قام على ﷺ فقال: أنا أبارزه يا رسول الله، فأمره بالجلوس، وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كان على رؤوسهم الطير، فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة أو يقدم عدوا له إلى النار! فلم يقم إليه أحد، فقام على ﷺ دفعة ثانية وقال أنا له يا رسول الله، فأمره بالجلوس، فجال عمرو بفرسه مقبلا ومدبرا، وجاءت عظماء الاحزاب فوقفت من وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو أن أحدا لا يجيبه، قال:

ولقد بححت من النداء بجمعهم : هل من مبارز !

ووقفت مذ جبن المشيع موقف القرن المناجز

إني كذلك لم أزل متسرعا قبل الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام على ﷺ فقال: يا رسول الله، إئذن لي في مبارزته، فقال: ادن، فدنا فقلده سيفه، وعممه بعمامته، وقال: امض لشانك، فلما انصرف قال: (اللهم اعنه عليه)، فلما قرب منه قال له مجيبا إياه عن شعره: لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز ذونية وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز إني لامل أن أقيم عليك نائحة الجنائز من ضربة فوهاء يبقى ذكرها عند الهزاهز فقال عمرو: من أنت! وكان عمرو شيخا كبيرا قد جاوز الثمانين، وكان نديم أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية، فانتسب على ﷺ له وقال: أنا على بن أبي طالب، فقال: أجل، لقد كان أبوك نديما لي وصديقا، فارجع فإنني لا أحب أن أقتلك

كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضوع والله ما أمره بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفا منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله، فاستحيا أن يظهر الفشل، فإظهار الأبقاء والارعاء، وإنه لكاذب فيهما

قالوا فقال له علي عليه السلام : لكني أحب أن اقتلك، فقال : يا بن أخي، إنى لاكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، فارجع وراءك خير لك، فقال علي : إن قریشا تتحدث عنك إنك قلت : لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلا أجبت ولو إلى واحدة منها، قال : اجل، فقال علي عليه السلام : فإنى ادعوك إلى الاسلام، قال : دع عنك هذه، قال : فإنى ادعوك إلى أن ترجع بمن تبعك من قریش إلى مكة، قال : إذن تتحدث نساء قریش عنى أن غلاما خدعني، قال : فإنى ادعوك إلى البراز، فحمى عمرو وقال : ما كنت اظن أن أحدا من العرب يرومها منى، ثم نزل فعقر فرسه - وقيل ضرب وجهه ففر - وتجاولا، فثارت لهما غبرة وارتهما عن العيون، إلى أن سمع الناس التكبير عالیا من تحت الغبرة، فعلموا أن عليا قتله، وانجلت الغبرة عنهما، وعلى راكب صدره يحز رأسه، وفر أصحابه ليعبروا الخندق، فظفرت بهم خيلهم إلا نوفل بن عبد الله، فإنه قصر فرسه، فوقع في الخندق، فرماه المسلمون بالحجارة، فقال : يا معاشر الناس، قتله أكرم من هذه، فنزل إليه علي عليه السلام فقتله، وأدرك الزبير هبيرة بن أبى وهب فضربه فقطع ثفر فرسه وسقطت درع كان حملها من ورائه، فأخذها الزبير، وألقى عكرمة رمحه، وناولش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد عمر مس الرمح رفعه عنه، وقال : إنها لنعمة مشكورة، فاحفظها يا بن الخطاب، إنى كنت آليت ألا تمكثني يداى من قتل قرشي فاقتله. وانصرف ضرار راجعا إلى أصحابه، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أحد. ^(١)

يا أعمى القلب يا أعمى البصر

أقبل قيس بن سعد حتى قدم المدينة، فجاءه حسان بن ثابت شامتا به، وكان عثمانيا، فقال له : نزعك على بن أبى طالب وقد قتلت عثمان، فبقى عليك الاثم، ولم يحسن لك الشكر. فزجره قيس وقال : يا أعمى القلب يا أعمى البصر، والله لو لا ألقى بين رهطي

ورھطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجہ من عنده^(١).

خيار خصال النساء شرار خصال الرجال

خيار خصال النساء شرار خصال الرجال : الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها.

أخذ هذا المعنى الطغرائي شاعر العجم فقال :

الجود والاقدام في فتیانهم والبخل في الفتيات والاشفاق
والطعن في الاحداق داب رماتهم والراميات سهام الاحداق
وله :

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها ما بالكرائم من جبن ومن بخل.

وفي حكمة أفلاطون من أقوى الاسباب في محبة الرجل لامرأته واتفاق ما بينهما أن يكون صوتها دون صوته بالطبع، وتميزها دون تميزه، وقلبها اضعف من قلبه، فإذا زاد من هذا عندها شيء على ما عند الرجل تنافرا على مقداره^(٢).

كلام تنسبه العرب إلى الضب

قالوا اختصمت الضبع والثعلب إلى الضب، فقالت الضبع يا أبا الحسل إني التقطت تمرة، قال : طيبا جنيت، قالت : وإن هذا أخذها مني، قال : حظ نفسه أحرز، قالت : فإني لطمته، قال : كريم حمى حقيقته، قالت : فلطمني، قال : حر انتصر، قالت : اقض بيننا، قال : قد فعلت^(٣).

دعني من التأويلات الباردة

قال لى ابو جعفر الحسيني النقيب : فما يقول أصحابكم فيهما ؟ قلت : أما الذى استقر عليه رأى المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل وغيره، أن عليا عليه السلام

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٦٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٦٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٦٦

أفضل الجماعة، وأنهم تركوا الأفضل لمصلحة رؤوسها، وأنه لم يكن هناك نص يقطع العذر، وإنما كانت إشارة وإيماء لا يتضمن شئ منها صريح النص، وإن علياً عليه السلام نازع ثم بايع، وجمع ثم استجاب. ولو أقام على الامتناع لم نقل بصحة البيعة ولا بلزومها، ولو جرد السيف كما جرده في آخر الأمر لقلنا بفسق كل من خالفه على الإطلاق، كائناً من كان، ولكنه رضى بالبيعة أخيراً، ودخل في الطاعة. وبالجملة، أصحابنا يقولون: إن الأمر كان له، وكان هو المستحق والمتعين، فإن شاء أخذه لنفسه، وإن شاء ولاه غيره، فلما رأيناه قد وافق على ولاية غيره، اتبعناه ورضينا بما رضى، فقال: فبقى بينى وبينكم قليل، أنا أذهب إلى النص وأنتم لا تذهبون إليه! فقلت له: إنه لم يثبت النص عندنا بطريق يوجب العلم، وما تذكرونه أنتم صريحاً فأنتم تنفردون بنقله، وما عدا ذلك من الاخبار التي نشارككم فيها، فلها تأويلات معلومة. فقال لى وهو ضجر: يا فلان، لو فتحنا باب التأويلات، لجاز أن يتناول قولنا: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، دعني من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنها غير مرادة، وأن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها، وإنما أنا وأنت في الدار ولا ثالث لنا، فيستحيى أحدنا من صاحبه ويخافه. فلما بلغنا إلى هذا الموضع، دخل قوم ممن كان يخشاه، فتركنا ذلك الأسلوب من الحديث، وخضنا في غيره^(١).

أطوع الناس في قومه

كان يقال: أطوع الناس في قومه الجارود بن بشر بن المعلى، لما قبض رسول الله ﷺ فارتدت العرب، خطب قومه فقال: أيها الناس، إن كان محمد قد مات فإن الله حتى لا يموت، فاستمسكوا بدينكم، ومن ذهب له في هذه الفتنة دينار أو درهم أو بقرة أو شاة فعلى مثلاه، فما خالفه من عبد القيس أحد^(٢).

العرب تضرب بالجمال المثل في الهوان

العرب تضرب بالجمال المثل في الهوان قال:

لقد عظم البعير بغير لب ولم يستغن بالبعير البعير

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢٢٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٥٧

بصرفه الصبى بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير^(١).

الدهر يومان : يوم لك، ويوم عليك

من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس رضى الله عنه : أما بعد، فإنك لست
بسابق أجلك، ولا مرزوق ما ليس لك، وأعلم بأن الدهر يومان : يوم لك، ويوم عليك،
وأن الدنيا دار دول، فما كان منها لك أنك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه
بقوتك.

قال الشاعر :

قد يرزق العاجز الضعيف وما شد بكور رحلا ولا قنبا
ويحرم المرء ذو الجلادة والرأى ومن لا يزال مغتربا
جيد ما قيل في هذا المعنى قول أبى يعقوب الخريمى :

هل الدهر إلا صرفه ونوائبه وسراء عيش زائل ومصائبه
يقول الفتى ثمرت مالى وإنما لوارثه ما ثمر المال كاسبه
يحاسب فيه نفسه في حياته ويتركه نهبا لمن لا يحاسبه
فكله وأطعمه وخالسه وارثا شحيحا ودهرا تعتريك نوائبه
أرى المال والانسان للدهر نهبة فلا البخل مبقية ولا الجود خاربه
لكل امرئ رزق وللرزق جالب وليس يفوت المرء ما خط كاتبه
يخيّب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه
يساق إلى ذا رزقه وهو وادع ويحرم هذا الرزق وهو يغالبه
وإنك لا تدري : أرزقك في الذى تطالبه أم في الذى لا تطالبه !
تناس ذنوب الاقربين فإنه لكل حميم راكب هو راكبه
له هفوات في الرخاء يشوبها بنصرة يوم لا توارى كواكبه
تراه غلوا ما أمنت وتتقى بجبهته يوم الوغى من يحاربه

لكل امرئ إخوان يؤس ونعمة وأعظمهم في النائبات أقاربه^(١).

احلام معاوية

تشبيهه ﷺ معاوية بالنائم ثم ذى الاحلام، فإنه لو رأى في المنام في حياة رسول الله ﷺ أنه خليفة يخاطب بإمرة المؤمنين، ويحارب علياً على الخلافة، ويقوم في المسلمين مقام رسول الله ﷺ لما طلب لذلك المنام تأويلاً ولا تعبيراً، ولعده من وساوس الخيال وأضغاث الاحلام، وكيف وأنى له أن يخطر هذا بباله، وهو أبعد الخلق منه ! وهذا كما يخطر للنفط أن يكون ملكاً، ولا تنظرون إلى نسبة في المناقب بل انظر إلى أن الامامة هي نبوة مختصرة، وإن الطليق المعدود من المؤلفات قلوبهم المكذب بقلبه وإن أقر بلسانه، الناقص المنزلة عند المسلمين، القاعد في أخريات الصف، إذا دخل إلى مجلس فيه أهل السوابق من المهاجرين، كيف يخطر ببال أحد أنها تصير فيه ويملكها ويسمى الناس وسمها، ويكون للمؤمنين أميراً، ويصير هو الحاكم في رقاب أولئك العظماء من أهل الدين والفضل ! وهذا أعجب من العجب، أن يجاهد النبي ﷺ قوماً بسيفه ولسانه ثلاثاً وعشرين سنة، ويلعنهم ويبعدهم عنه، وينزل القرآن بدمهم ولعنهم، والبراءة منهم، فلما تمهدت له الدولة، وغلب الدين على الدنيا، وصارت شريعة دينية محكمة، مات فشيء دينه الصالحون من أصحابه، وأوسعوا رقعة ملته، وعظم قدرها في النفوس، فتسلمها منهم أولئك الأعداء الذين جاهدهم النبي ﷺ فملكوها وحكموا فيها، وقتلوا الصلحاء والابرار وأقارب نبيهم الذين يظهرون طاعته، وآلت تلك الحركة الأولى وذلك الاجتهاد السابق إلى أن كان ثمرته لهم، فليته كان يبعث فيرى معاوية الطليق وابنه، ومروان وابنه خلفاء في مقامه، يحكمون على المسلمين، فوضح أن معاوية فيما يراجعه ويكاتبه به، كصاحب الاحلام^(٢).

شعر لأبي الاسود

البس عدوك في رفق وفي دعة طوبى لذي أربة للدهر لباس
ولا تغرنك أحقاد مزملة قد يركب الدبر الدامي بأحلاس

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٦٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٦٣

واستغن عن كل ذى قرىبى وذى رحم إن الغنى الذى استغنى عن الناس^(١).

قيمة ذلك أجمع ثمانية آلاف ألف دينار

نقل أن عمر بن مسعدة كاتبه مات في سنة سبع عشرة ومائتين، وخلف تركه جليلة، فبعث أخاه أبا إسحاق المعتصم وجماعة معه من الكتاب ليحصروا مبلغها، ف جاء المعتصم إليه وهو في مجلس الخلافة ومعه الكتاب، فقال: ما رأيتم؟ فقال المعتصم معظما لما رآه: وجدنا عينا، وصامتا، وضياعا، قيمة ذلك أجمع ثمانية آلاف ألف دينار - ومد صوته فقال المأمون: إنا لله! والله ما كنت أرضاها لتابع من أتباعه ليوفر هذا على مخلفيه! فخرج المعتصم حتى ظهر خجله للحاضرين^(٢).

بق دخن عليه فطار!

كان يزيد بن عبد الملك يشنؤ يزيد بن المهلب قبل خلافته، لاسباب، فلما أفضت إليه الخلافة، خلعه يزيد بن المهلب، ونزع يده من طاعته، وعلم أنه إن ظفر به قتله وناله من الهوان ما القتل دونه، فدخل البصرة وملكها عنوة، وحبس عدى بن أرطاه عامل يزيد بن عبد الملك عليها، فسرح إليه يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا، ويشتمل على ثمانين ألفا من أهل الشام والجزيرة، وبعث مع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك، وضم إليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك، فسار يزيد بن المهلب من البصرة، فقدم واسط، فأقام بها أياما، ثم سار عنها فنزل العقر، واشتملت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفا، و قدم مسلمة بجيوش الشام، فلما تراءى العسكران، وشبت الحرب، أمر مسلمة قائدا من قواده أن يحرق الجسور التي كان عقدها يزيد بن المهلب فأحرقها، فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا، فليل ليزيد بن المهلب: قد انهزم الناس، قال: ومم انهزموا؟ هل كان قتال يانهزم الناس من مثله؟ فليل له: إن مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا، فقال: قبهم الله! بق دخن عليه فطار! ثم وقف ومعه أصحابه، فقال: اضربوا وجوه المنهزمين، ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه، وأستقبله منهم أمثال الجبال، فقال: دعوهم قبهم الله! غنم عدا في نواحيها الذئب. وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار، وقد كان

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٨٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٨٧

أتاه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي بواسط، فقال له : فعش ملكا أو مت كريما فإن تمت وسيفك مشهور بكفك تعذر فقال : ما شعرت، فقال : إن بنى مروان قد باد ملكهم فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر. فقال : أما هذا فعسى. فلما رأى يزيد انهزام أصحابه، نزل عن فرسه، وكسر جفن سيفه واستقتل، فأتاه آت فقال : إن أخاك حبيبا قد قتل، فزاده ذلك بصيرة في توطينه نفسه على القتل، وقال : لا خير في العيش بعد حبيب ! والله لقد كنت أبغض الحياة بعد الهزيمة، وقد ازددت لها بغضا، امضوا قدما. فعلم أصحابه أنه مستميت، فتسلل عنه من يكره القتال، وبقي معه جماعة خشية، فهو يتقدم كلما مر بخيل كشفها، وهو يقصد مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره، فلما دنا منه، أدنى مسلمة فرسه ليركب، وحالت خيول أهل الشام بينهما، وعطفت على يزيد بن المهلب، فجالدهم بالسيف مصلتا، حتى قتل وحمل رأسه إلى مسلمة، وقتل معه أخوه محمد بن المهلب، وكان أخوهما المفضل بن المهلب، يقاتل أهل الشام في جهة أخرى، ولا يعلم بقتل أخويه يزيد ومحمد، فأتاه أخوه عبد الملك بن المهلب، وقال له : ما تصنع وقد قتل يزيد ومحمد، وقبلهما قتل حبيب، وقد انهزم الناس ! وقد روى أنه لم يأت بالخبر على وجهه، وخاف أن يخبره بذلك فيستقتل ويقتل، فقال له : إن الامير قد انحدر إلى واسط، فاقتص أثره، فانحدر المفضل حينئذ، فلما علم بقتل إخوته، حلف ألا يكلم أخاه عبد الملك أبدا : وكانت عين المفضل قد أصيبت من قبل في حرب الخوارج، فقال : فضحني عبد الملك فضحه الله ! ما عذرى إذا رأني الناس فقالوا : شيخ أعور مهزوم، ألا صدقني فقتلت ! ثم قال : ولا خير في طعن الصناديد بالقنا ولا في لقاء الناس بعد يزيد فلما اجتمع من بقى من آل المهلب بالبصرة بعد الكسرة، أخرجوا عدى بن أرطاة أمير البصرة من الحبس، فقتلوه وحملوا عيالهم في السفن البحرية، ولجحوا في البحر، فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك بعثا عليه قائد من قواده، فأدركهم في قنابيل، فحاربهم وحاربوه، وتقدم بنو المهلب بأسياهم، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم، وهم : المفضل بن المهلب، وزيايد بن المهلب، ومروان بن المهلب، وعبد الملك بن المهلب، ومعاوية بن يزيد بن المهلب، والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب، وحملت رؤوسهم إلى مسلمة بن عبد الملك، وفي أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه، واستؤسر الباقون في الرقعة، فحملوا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام، وهم أحد عشر رجلا، فأمر بقتلهم فقتلوا، وبقي منهم صبي صغير، فقال : اقتلونني فلست بصغير، فقال

يزيد بن عبد الملك : أنظروا هل أنبت ا فقال : أنا أعلم بنفسى ، قد احتمت ووطئت النساء فاقتلونى ، فلا خير في العيش بعد أهلى ! فأمر به فقتل. وأسماء الاسارى الذين قتلوا صبوا - وهم أحد عشر مهلبيا : المعارك وعبد الله والمغيرة والمفضل والمنجاب ، بنو يزيد بن المهلب. ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل ، بنو المفضل بن المهلب لصلبه. والفضل بن قبيصة بن المهلب. قال : ولم يبق بعد هذه الواقعة الثانية لاهل المهلب باقية إلا أبو عيينة بن المهلب. وعمر بن يزيد بن المهلب ، وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل ، ثم أومنوا بعد ذلك^(١) .

شهدت مع مروان بن محمد أربعة عساكر كلها انهزمت

قال أبو دلامة ، وكان جباناً :

إنى أعوذ بروح أن يقدمني إلى القتال فتشقى بى بنو أسد
إن المهلب حب الموت أورثكم ولم أرث رغبة في الموت عن أحد.

قال المنصور لابي دلامة في حرب إبراهيم : تقدم ويلك ! قال : يا أمير المؤمنين ، شهدت مع مروان بن محمد أربعة عساكر كلها انهزمت وكسرت ، وإنى أعيدك بالله أن يكون عسكري الخامس^(٢) .

الفقر يخرس الفطن

مثل قوله عنه : الفقر يخرس الفطن عن حاجته قول الشاعر :

سأعمل نص العيس حتى يكفنى غنى المال يوماً أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها على الحر بالاقلال وسم هوان
متى يتكلم يبلغ حكم كلامه وإن لم يقل قالوا عديم بيان
كأن الغنى عن أهله بورك الغنى بغير لسان ناطق بلسان^(٣) .

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٨٨

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٨٨

المقل غريب في بلده

مثل قوله **عنه** : والمقل غريب في بلده قول خلف الأحمر :
لا تظنى أن الغريب هو النائي ولكنما الغريب المقل
وكان يقال : مالك نورك، فإن أردت أن تنكسف ففرقه وأتلفه^(١).

لم حفظت الفلاسفة المال مع حكمتها

قيل لاسكندر : لم حفظت الفلاسفة المال مع حكمتها ومعرفتها بالدنيا ؟ قال : لئلا
تحوجهم الدنيا إلى أن يقوموا مقامها لا يستحقونه^(٢).

طريقة

قال ابن أبي الحديد: اعلم أنني لا أتعرض في هذا الشرح للكلام فيما قد فرغ من
أئمة العربية، ولا لتفسير ما هو ظاهر مكشوف، كما فعل القطب الراوندي، فإنه شرع أولاً
في تفسير قوله : (أما بعد)، ثم قال : هذا هو فصل الخطاب، ثم ذكر ما معنى الفصل،
وأطال فيه، وقسمه أقساماً، يشرح ما قد فرع له منه، ثم شرح الشرح. وكذلك أخذ يفسر
قوله : (من بلائه)، وقوله : (إلى جنانه)، وقوله : (وسبباً)، وقوله : (المجد)، وقوله :
(الاقدم)، وهذا كله إطالة وتضييع للزمان من غير فائدة، ولو أخذنا بشرح مثل ذلك
لوجب أن نشرح لفظه (أما) المفتوحة، وأن نذكر الفصل بينها وبين (إما) المكسورة،
ونذكر : هل المكسورة من حروف العطف أو لا ؟ ففيه خلاف، ونذكر هل المفتوحة مركبة
أو مفردة ؟ ومهملة أو عاملة ؟ ونفسر معنى قول الشاعر :

أبا خراشة أما كنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

بالفتح، ونذكر بعد لم ضمت إذا قطعت عن الإضافة ؟ ولم فتحت ها هنا حيث
أضيفت ؟ ونخرج عن المعنى الذي قصدناه من موضوع الكتاب، إلى فنون أخرى قد
أحكمها أربابها^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٨٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٨٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٤٢

واكل الحديد منهم من أكل

الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الانفس وإراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصفح، بعيدي العفو لان أكبادهم واغرة، وقلوبهم ملتهبة، والقوة الغضبية عندهم شديدة، وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في كثرة إراقة الدم وما عنده من الحلم والصفح، ومغالبة هوى النفس، وقد رأيت فعله يوم الجمل، ولقد أحسن مهيار في قوله:

حتى إذا دارت رحي بغيهم عليهم وسبق السيف العذل
عاذوا بعفو ماجد معود للعفو حمال لهم على العلل
فنجت البقيا عليهم من نجا وأكل الحديد منهم من أكل
أطت بهم أرحامهم فلم يطع نائرة الغيظ ولم يشف الغلل^(١).

هشام بن الحكم و التشبيه

ذهب هشام بن الحكم إلى أنه تعالى جسم مركب كهذه الاجسام، واختلفت الحكاية عنه، فروى عنه أنه قال : إنه يشبر نفسه سبعة أشبار. وروى عنه أنه قال : إنه على هيئة السيكة. وروى عنه أنه قال : إنه على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة، وروى عنه أيضاً قال : إنه ذو صورة. وأصحابه من الشيعة يدفعون اليوم هذه الحكايات عنه، ويزعمون أنه لم يزد على قوله : إه جسم لا كالأجسام، وإنه إنما أراد بإطلاق هذا اللفظ عليه إثباته. وصدقوا عنه أنه كان يطلق عليه كونه نورا، لقول الله سبحانه : (الله نور السموات والارض مثل نوره). وحكى عن محمد بن النعمان الاحول، المعروف بشيطان الطاق، وهشام بن سالم المعروف بالجواليقي، وأبى مالك بن الحضرمي، أنه نور على صورة الانسان، وأنكروا مع ذلك أن يكون جسما،^(٢).

أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبى طالب في الحبشة

عن أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية، زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت : لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدا الله لا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٥٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٢٣

نؤذى كما كنا نؤذى بمكة، ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا اتتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي في أمرنا رجلين منهم جليدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منه الادم. فجمعوا أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقا إلا أهدوا إليه هديه. ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته، قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم. ثم قدما إلى النجاشي، ونحن عنده في خير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته، قبل أن يكلمنا النجاشي، ثم قالوا للبطارقة: إنه قد فر إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك أشراف قومهم لتردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قربا هدايا الملك إليه فقبلها منهم، ثم كلماه، فقالا له: أيها الملك قد فر إلى بلادك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، جاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا فيهم إليك أشراف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائهم، لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعانوه منهم. قالت أم سلمة: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقة الملك وخواصه فقالت بطارقة الملك وخواصه حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم فليسلمهم الملك إليهما، ليرادهن إلى بلادهم وقومهم. فغضب الملك وقال: لاها الله إذا لا أسلمهم إليهما، ولا أخضر قوما جاوروني ونزلوا بلادني واختاروني على سواي، حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ووردتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم، وأحسنت جوارهم ما جاوروني. قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جثتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمناه، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟ قالت أم سلمة: وكان

الذي كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له : أيها الملك، إنا كنا قوما في جاهليه نعبد الاصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الارحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله عزوجل علينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا عليه نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والاوثنان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الامانة، وصلوة الرحم، وحسن التجاور، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن سائر الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وبالصلاة وبالزكاة والصيام. قالت : فعدد عليه أمور الاسلام كلها، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الاصنام والاوثنان عن عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك. فقال النجاشي : فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شيء؟ فقال جعفر : نعم. فقال اقرأه على فقرا عليه صدرا من (كهيعص) فبكى حتى اخضلت لحيته، وبكت أسافته حتى أخضلوا لحاهم. ثم قال النجاشي : والله إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، والله لا أسلمكم إليهم. قالت أم سلمة : فلما خرج القوم من عنده، قال عمرو بن العاص : والله لا عيبهم غدا عنده بما يستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبى ربيعة - وكان أتقى الرجلين : لا تفعل، فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفوا. قال : والله لا خبرنه غدا انهم يقولون في عيسى بن مريم : إنه عبد ثم غدا عليه من الغد، فقال : أيها الملك، إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه : فأرسل إليهم. قالت أم سلمة : فما نزل بنا مثلها. واجتمع المسلمون وقال بعضهم لبعض : ما تقولون في عيسى إذا سالكم عنه؟ فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه والله ما قال عزوجل، وما جاء به نبينا ﷺ، كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم : ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر : نقول إنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت : فضرب النجاشي يديه على الارض، وأخذ منها عودا، وقال : ما عدا عيسى بن مريم ما قال هذا العود. قالت : فقد كانت بطارقه تناخرت حوله، حين قال جعفر ما

قال، فقال لهم النجاشي : وإن تناخرتم ! ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم (سيوم) بأرضي، أي آمنون، من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ما أحب أن لى دبرا ذهباً وأنى آذيت رجلاً منكم - والدبر بلسان الحبشة : الجبل - ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى فيها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة، حتى ردى إلى ملكى. فاخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فى أفطعهم فيه ؟ قالت : فخرج الرجلان من عنده مقبحين مردودا عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده فى خير دار مع خير جار، فوالله إنا لعلى ذلك، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه. قالت أم سلمة : فوالله ما أصابنا خوف وحزن قط كان أشد من خوف وحزن نزل بنا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، فأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان يعرف منه. قالت : وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوام : أنا وكان من أحدث المسلمين سناً، فنفخوا له قربة فجعلناها تحت صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها يلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت : ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوة والتمكين له فى بلاده، فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير يسعى ويلوح بثوبه ويقول : ألا أبشروا، فقد ظهر النجاشي وأهلك الله عدوه. قالت : فوالله ما أعلمنا فرحاً فرحة مثلها قط، ورجع النجاشي، وقد أهلك الله عدوه وتمكن ومكن له فى بلاده، واستوثق له أمر الحبشة، فكنا عنده فى خير منزل ودار إلى أن رجعنا إلى رسول الله ﷺ بمكة^(١).

قد ترافقوا فى الجنة جميعاً، بعكك و ابنك، و أخوك

كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج، فلما كان يوم أحد، وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبي ﷺ المشاهد أمثال الاسد، أراد قومه أن يحبسوه، وقالوا أنت رجل أعرج، ولا حرج عليك، وقد ذهب بنوك مع النبي ﷺ قال : بخ ! يذهبون إلى الجنة وأجلس أنا عندكم فقالت هند بنت عمرو بن حزام امرأته : كأنى أنظر إليه مولياً قد أخذ درقته، وهو يقول اللهم لا تردني إلى أهلى، فخرج ولحقه بعض قومه يكلمونه فى القعود، فأبى وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، إن قومي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه

والخروج معك، والله إنى لارجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك، فأبى، فقال النبي ﷺ لقومه وبنيه : لا عليكم أن تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة، فخلوا عنه. فقتل يومئذ شهيدا. وكان أبو طلحة يحدث، يقول نظرت إلى عمرو بن الجموح حين انكشف المسلمون، ثم ثابوا وهو في الرعيل الاول، لكأنى أنظر إلى ضلعه وهو يعرج في مشيته، وهو يقول أنا والله مشتاق إلى الجنة، ثم انظر إلى ابنه يعدو في أثره، حتى قتلا جميعا قال الواقدي : وكانت عائشة خرجت في نسوة تستروح الخبر، ولم يكن قد ضرب الحجاب يومئذ، حتى كانت بمنقطع الحرة وهى هابطة من بنى حارثة إلى الوادي، لقيت هند بنت عمرو بن حزام، أخت عبد الله بن عمرو بن حزام، تسوق بعيرا لها، عليه زوجها عمرو بن الجموح، وابنها خلاد بن عمرو بن الجموح، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حزام أبو جابر بن عبد الله، فقالت لها عائشة : عندك الخبر، فما وراءك فقالت هند : خير، أما رسول الله ﷺ فصالح، وكل مصيبة بعده جليل، واتخذ الله من المؤمنين شهداء : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا). قلت هكذا وردت الرواية، وعندى إنها لم تقل كل ذلك، ولعلها قالت : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم)، لا غير، وإلا فكيف يواطئ كلامها آية من كلام الله تعالى أنزلت بعد الخندق والخندق بعد أحد هذا من البعيد جدا. قال : فقالت لها عائشة : فمن هؤلاء قالت أختى وابني وزوجي قتلى، قالت فاين تذهبين بهم قالت إلى المدينة أقبرهم بها، (حل حل)، تزجر بعيرها، فبرك البعير، فقالت عائشة : لثقل ما حمل، قالت هند : ما ذاك به، لربما حمل ما يحمله البعيران، ولكنى أراه لغير ذلك، فزجرته فقام، فلما وجهت به إلى المدينة برك، فوجهته راجعة إلى أحد، فأسرع، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فقال إن الجمل لمأمور، هل قال عمرو شيئا قالت : نعم، إنه لما وجه إلى أحد إستقبل القبلة، ثم قال : اللهم لا تردني إلى أهلى، وارزقني الشهادة، فقال ﷺ : فلذلك الجمل لا يمضى، إن منكم يا معشر الانصار من لو أقسم على الله لأبره، منهم عمرو بن الجموح، يا هند ما زالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة، ينظرون أين يدفن ثم مكث رسول الله ﷺ في قبرهم، ثم قال : يا هند، قد ترافقوا في الجنة جميعا، عمرو بن الجموح

بعلك، وخلاد ابنك، وعبد الله أخوك. فقالت هند يا رسول الله، فادع الله لي عسى أن يجعلني معهم^(١).

أما ترون إلى السواد قد اتصل بالسواد

* لما أشرف عبد الله بن علي يوم الزاب في المسودة، وفي أوائلهم البنود السود، تحملها الرجال على الجمال البخت، وقد جعل لها بدلا من القنا خشب الصفصاف والغرب، قال مروان لمن قرب منه : أما ترون رماحهم كأنها النخل غلظا ! أما ترون أعلامهم فوق هذه الأبل كأنها قطع الغمام السود ! فبينما هو ينظرها ويعجب، إذ طارت قطعة عظيمة من الغربان السود، فنزلت على أول عسكر عبد الله بن علي، واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود، ومروان ينظر فازداد تعجبه، وقال : أما ترون إلى السواد قد اتصل بالسواد، حتى صار الكل كالسحب السود المتكاثفة ! ثم أقبل على رجل إلى جنبه فقال : ألا تعرفني من صاحب جيشهم ؟ فقال : عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. قال : ويحك ! أمن ولد العباس هو ؟ قال : نعم، قال : والله لوددت أن علي بن أبي طالب عليه السلام مكانه في هذا الصف، قال : يا أمير المؤمنين، أتقول هذا لعلي مع شجاعته التي ملا الدنيا ذكرها ! قال : ويحك إن عليا مع شجاعته صاحب دين، وإن الدين غير الملك، وأنا نروى عن قديمنا أنه لا شيء لعلي ولا لولده في هذا. ثم قال : من هو من ولد العباس، فإني لا أثبت شخصه ؟ قال : هو الرجل الذي كان يخاصم بين يديك عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر. فقال أذكرني صورته وحليته، قال : هو الرجل الأقنى الحديد العضل المعروف الوجه، الخفيف اللحية، الفصيح اللسان، الذي قلت لما سمعت كلامه يومئذ : يرزق الله البيان من يشاء، فقال : وإنه لهو ! قال : نعم، فقال : أنا لله وإنا إليه راجعون ! أتعلم لم صيرت الأمر بعدى لولدي عبد الله، وابني محمد أكبر سنا منه ؟ قال : لا، قال : إن آباءنا أخبرونا أن الأمر صائر بعدي إلى رجل اسمه عبد الله فوليته دونه. ثم بعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث إلى عبد الله بن علي سرا فقال : يا ابن عم، إن هذا الأمر صائر إليك، فاتق الله واحفظني في حرمي، فبعث إليه عبد الله، إن الحق لنا في دمك، وإن الحق علينا في حرمك. قلت : إن مروان

ظن أن الخلافة تكون لعبد الله بن علي، لأن اسمه عبد الله، ولم يعلم أنها تكون لآخر اسمه عبد الله، وهو أبو العباس السفاح^(١).

من أي يومى من الموت أفر

كان علي عليه السلام يوم صفين، إذا أراد الحملة هلك وكبر، ثم قال :

من أي يومى من الموت أفر أيوم لم يقدر أو يوم قدر ا
فجعل معاوية لواءه الاعظم مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فامر علي عليه السلام
جارية بن قدامة السعدى أن يلقاه بأصحابه، وأقبل عمرو بن العاص بعده في خيل، ومعه
لواء ثان، فتقدم حتى خالط صفوف العراق فقال علي عليه السلام لابنه محمدا : امش نحو هذا
اللواء رويدا، حتى إذا أشرعت الرماح في صدورهم فامسك يدك، حتى يأتيك أمرى.
ففعل - وقد كان أعد علي عليه السلام مثلهم مع الاشر - فلما اشرع محمد الرماح في صدور
القوم، أمر علي عليه السلام الاشر أن يحمل فحمل، فأزالهم عن مواقفهم، وأصاب منهم
رجالا، واقتتل الناس قتالا شديدا، فما صلى من أراد الصلاة إلا إيماء، فقال النجاشي
في ذلك اليوم يذكر الاشر :

ولما رأينا اللواء العقاب	يقحمه الشانئ الاخزر
كليث العرين خلال العجاج	وأقبل في خيله الابتر
دعونا لها الكبش كبش العراق	وقد أضمر الفشل العسكر
فرد اللواء على عقبه	وفاز بحظوتها الاشر
كما كان يفعل في مثلها	إذا ناب معصوب منكر
فإن يدفع الله عن نفسه	فحظ العراق به الاوفر
إذا الاشر الخير خلى العراق	فقد ذهب العرف والمنكر
وتلك العراق ومن عرفت	كفقع تضمنه القرقر ^(٢)

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٣٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٥٥

عفاق الافاق

قال إبراهيم بن هلال : وقد كان زياد بن خصيفة التيمي ، قال لعلي عليه السلام يوم هرب يزيد بن حجية : ابعثنى يا امير المؤمنين في اثره ارده إليك ، فبلغ قوله يزيد بن حجية ، فقال في ذلك :

أبلغ زيادا أنني قد كفيته أموري وخلصت الذي هو عاتبه
وباب شديد موثق قد فتحتك عليك ، وقد أعيت عليك مذاهبه
هبلت أما ترجو غنائي ومشهدي إذ الخصم لم يوجد له من يجاذبه ا
فأقسم لو لا أن أمك أمنا وأنك مولى ما طفقت أعاتبه
وأقسم لو أدركتني ما رددتني كلانا قد اصطفت إليه جلائبه

قال ابن هلال : وكتب إلى العراق شعرا يذم فيه عليا عليه السلام ، ويخبره أنه من أعدائه ، فدعا عليه وقال لأصحابه عقيب الصلاة : ارفعوا أيديكم فادعوا عليه ، فدعا عليه وأمن أصحابه. قال أبو الصلت التيمي : كان دعاؤه عليه : اللهم إن يزيد بن حجية هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين ، فاكفنا مكره وكيده واجزه جزاء الظالمين. قال : ورفع القوم أيديهم يؤمنون ، وكان في المسجد عفاق بن شرحبيل بن أبي رهم التيمي شيخا كبيرا ، وكان يعد ممن شهد على حجر بن عدى حتى قتله معاوية ، فقال عفاق : على من يدعو القوم ؟ قالوا : على يزيد بن حجية ، فقال : تربت أيديكم ! أعلى أشرافنا تدعون ا فقاموا إليه فضربوه حتى كاد يهلك. وقام زياد بن خصيفة - وكان من شيعة علي عليه السلام - فقال : دعوا لي ابن عمي ، فقال علي عليه السلام : دعوا للرجل ابن عمه ، فتركه الناس ، فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد ، وجعل يمشي معه يمسح التراب عن وجهه ، وعفاق يقول : والله لا أحبكم ما سعيت ومشيت ، والله لا أحبكم ما اختلفت الدرّة والجرة ، وزیاد يقول : ذلك أضرك ، ذلك شر لك. وقال زياد بن خصيفة يذكر ضرب الناس عفاقا :

دعوت عفاقا للهدى فاستغشني وولى فريا قوله وهو مغضب
ولو لا دفاعي عن عفاق ومشهدي هوت بعفاق - عوض - عتقاء مغرب
أنبه أن الهدى في اتباعنا فيأبى ، ويضربه المرء فيشغب

فإن لا يشايعنا عفاق فإننا على الحق ما غنى الحمام المطرب
سيغنى الاله عن عفاق وسعيه إذا بعث للناس جاواء تحرب
قبائل من حبي معد ومثلها يمانية لا تثني حين تندب
لهم عدد مثل التراب وطاعة تود، وبأس في الوغى لا يؤنب

فقال له عفاق : لو كنت شاعرا لاجبتك، ولكني أخبركم عن ثلاث خصال كن
منكم، والله ما أرى أن تصيبوا بعدهن شيئا مما يسركم. أما واحدة فإنكم سرتم إلى أهل
الشام حتى إذا دخلتم عليهم بلادهم قاتلتموهم، فلما ظن القوم أنكم لهم قاهرون رفعوا
المصاحف، فسخروا بكم فردوكم عنهم، فلا والله لا تدخلونها بمثل ذلك الجذ والحد
والعدد الذي دخلتم به أبدا. وأما الثانية، فإنكم بعثتم حكما وبعث القوم حكما، فأما
حكمكم فخلعكم، وأما حكمهم فأثبتهم، فرجع صاحبهم يدعى أمير المؤمنين، ورجعتم
متلاعنين متباغضين، فوالله لا يزال القوم في علاء، ولا تزالون في سفال.

وأما الثالثة، فإنه خالفكم قراؤكم وفرسانكم فعدوتم عليهم فذبتموهم بأيديكم، فوالله
لا تزالون بعدها متضععين قال : وكان يمر عليهم بعد، فيقول : اللهم إني منهم
برئ، ولا ابن عفان ولي ! فيقولون : اللهم إنا لعلى أولياء، ومن ابن عفان برآء، ومنك يا
عفاق ! قال : فأخذ لا يقلع، فدعوا رجلا منهم له سجاعة كسجاعة الكهان، فقالوا :
ويحك ! أما تكفيننا بسجعك وخطبك هذا ! فقال : كفيتمكم، فمر عفاق عليهم، فقال كما
كان يقول، فلم يمهل أن قال : له اللهم اقتل عفاقا، فإنه أسر نفاقا، وأظهر شقاقا، وبين
فراقا، وتلون أخلاقا. فقال عفاق : ويحكم ! من سلط على هذا ؟ قال : الله بعثنى إليك،
وسلطني عليك لاقطع لسانك، وأنصل سنامك، وأطرد شيطانك. قال : فلم يك يمر عليهم
بعد، إنما يمر على مزينة^(١).

الملائكة وأقسامهم عند المعتزلة

الملك عند المعتزلة حيوان نوري، فمنه شفاف عادم اللون كالهواء، ومنه ملون بلون
الشمس. والملائكة عندهم قادرون عالمون أحياء، بعلوم وقدر وحياة، كالواحد منا،

ومكلفون كالواحد منا، إلا أنهم معصومون، ولهم في كيفية تكليفهم كلام، لان التكليف مبني على الشهوة، وفي كيفية خلق الشهوة فيهم نظر

وقد جعلهم ﷺ أربعة أقسام :

القسم الاول : أرباب العبادة، فمنهم من هو ساجد أبدا لم يقم من سجوده ليركع، ومنهم من هو راكع أبدا لم يتصب قط، ومنهم الصافرون في الصلاة بين يدي خالقهم لا يتزايلون، ومنهم المسبحون الذين لا يملون التسيخ والتحميد له سبحانه.

والقسم الثاني : السفراء بينه تعالى وبين المكلفين من البشر بتحمل الوحي الالهي إلى الرسل والمختلفون بقضائه وأمره إلى أهل الارض.

والقسم الثالث : ضربان أحدهما حفظة العباد كالكرام الكاتبين، وكالملائكة الذين يحفظون البشر من المهالك والورطات، ولو لا ذلك لكان العطب أكثر من السلامة. وثانيهما سدنة الجنان.

القسم الرابع : حمله العرش^(١).

الدواب اهم شىي عنده

روى الاحنف بن قيس قال : قدمنا على عمر بفتح عظيم نبشره به، فقال : أين نزلتم ؟ قلنا : في مكان كذا، فقام معنا حتى انتهينا إلى مناخ ركابنا وقد اضعفها الكلال وجهدها السير، فقال هلا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ اما علمتم ان لها عليكم حقا ! هلا أرحتموها ؟ هلا حللتم بها فأكلت من نبات الارض ؟ فقلنا : يا امير المؤمنين، إنا قدمنا بفتح عظيم، فاحيينا التسرع اليك والى المسلمين بما يسرهم. فانصرف راجعا ونحن معه فاتى رجل فقال يا امير المؤمنين ان فلانا ظلمنى فاعدنى عليه فرقع في السماء درته، وضرب بها راسه، وقال : تدعون عمر وهو معرض لكم حتى إذا شغل في امر المسلمين اتيموه : أعدني أعدني ! فانصرف الرجل يتذمر فقال عمر : على بالرجل، فجئ به فألقى إليه المخفقة، فقال : اقتص، قال : بل ادعه لله ولك، قال : ليس كذلك، بل تدعه اما لله واردة ما عنده، وإما تدعه لي، قال : أدعه لله^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٩١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٩

سوى عمرو وقته خصيتاه

* اجتمع عند معاوية في بعض ليالى صيفين عمرو بن العاص، وعتبة بن أبى سفيان، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله ابن عامر، وابن طلحة الطلحات الخزاعى، فقال عتبة : إن أمرنا وأمر على بن أبى طالب لعجب ! ما فينا إلا موتور مجتاح أما أنا فقتل جدى عتبة بن ربيعة، وأخى حنظلة وشرك في دم عمى شيبة يوم بدر. وأما أنت يا وليد، فقتل أباك صبوا. وأما أنت يا بن عامر، فصرع أباك وسلب عمك. وأما أنت يا بن طلحة، فقتل أباك يوم الجمل، وأبتم إخوتك. وأما أنت يا مروان فكما قال الشاعر :

وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركنه صفر الوطاب

فقال : معاوية هذا الاقرار فأين الغير؟ قال مروان : وأى غير تريد؟ قال : أريد أن تشجروه بالرماح. قال : والله يا معاوية، ما أراك إلا هاذيا أو هازئا، وما ارانا إلا ثقلنا عليك، فقال ابن عقبة :

يقول لنا معاوية بن حرب أما فيكم لو اترككم طلبوب

يشد على أبى حسن على بأسمر لا تهجنه الكعوب

فيهتك مجمع اللبات منه ونقع الحرب مطرد يؤوب

فقلت له : أتلعب يا بن هند كأنك بيننا رجل غريب !

أتغرينا بحية بطن واد إذا نهشت، فليس لها طبيب

وما ضبع يدب ببطن واد أتبيح له به أسد مهيب

بأضعف حيلة منا إذا ما لقيناه ولقياه عجيب

سوى عمرو وقته خصيتاه وكان لقلبه منه وجيب

كان القوم لما عاينوه خلال النقع، ليس لهم قلوب

لعمر أبى معاوية بن حرب وما ظنى ستلحقه العيوب

لقد ناداه في الهيجا على فأسمعه ولكن لا يجيب

فغضب عمرو، وقال : إن كان الوليد صادقا فليلق عليا، أو فليقف حيث يسمع

صوته. وقال عمرو :

يذكرنى الوليد دعا على ونطق المرء يملؤه الوعيد

متى تذكر مشاهده قريش يطر من خوفه القلب السديد
فأما في اللقاء فأين منه معاوية بن حرب والوليد !
وعيرني الوليد لقاء ليث إذا ما شد هابته الاسود
لقيت ولست أجهله عليا وقد بليت من العلق اللبود
فاطعنه ويطعني خلاسا وماذا بعد طعنته أريد !
فرمها منه يابن أبى معيط وأنت الفارس البطل النجيد
وأقسم لو سمعت ندا على لطار القلب وانتفخ الوريد
ولو لاقيته شقت جيوب عليك، ولطمت فيك الخدود^(١).

فما هذه العلاوة؟

خرج النجاشي في أول يوم من شهر رمضان، فمر بأبى سماال الاسدي، وهو قاعد ببناء داره، فقال له: أين تريد؟ قال: أردت الكناسة، فقال: هل لك في رعوس وأليات قد وضعت في التنور من أول الليل، فأصبحت قد أينعت وقد تهرأت؟ قال: ويحك! في أول يوم من رمضان! قال: دعنا مما لا نعرف، قال: ثم مه، قال: أسقيك من شراب كالورس، يطيب النفس، ويجرى في العرق، ويزيد في الطرق، يهضم الطعام، ويسهل للقدم الكلام، فنزل، فتغديا، ثم أتاه بنبيد فشرباه، فلما كان آخر النهار علت أصواتهما، ولهما جار من شيعة على عليه السلام، فأتاه فأخبره بقصتهما، فأرسل إليهما قوما فأحاطوا بالدار، فأما أبو سماال فوثب إلى دور بنى أسد فأفلت، وأخذ النجاشي فأتى عليه السلام به، فلما أصبح أقامه في سراويل، فضربه ثمانين، ثم زاده عشرين سوطا، فقال: يا أمير المؤمنين، أما الحد فقد عرفته، فما هذه العلاوة؟ قال: لجراءتك على الله، وإفطارك في شهر رمضان. ثم أقامه في سراويله للناس، فجعل الصبيان يصيحون به: خرى النجاشي، خرى النجاشي! وجعل يقول: كلا إنها يمانية وكاؤها شعر. قال: ومر به هند بن عاصم السلولى، فطرح عليه مطرفا، فجعل الناس يمرون به ويطرحون عليه المطارف، حتى اجتمعت عليه مطارف كثيرة، فمدح بنى سلول فقال:

إذا الله حيا صالحا من عباده تقيا فحيا الله هند بن عاصم

وكل سلولى إذا ما دعوته سريع إلى داعى العلا والمكارم
هم البيض أقداما وديباج أوجه جلوها إذا اسودت وجوه الملائم
ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ولا يتغى المخ الذى فى الجماجم
ثم لحق معاوية، وهجا عليا عليه السلام، فقال :
ألا من مبلغ عنى عليا بأنى قد أمنت فلا أخاف
عمدت لمستقر الحق لما رأيت أموركم فيها اختلاف^(١).

ادخل تحت قوائم العرش، لا تظفر بك فاطمة

كان بطبرستان قاص من المشبهة، يقص على الناس، فقال يوما فى قصصه : إن يوم
القيامة تجى فاطمة بنت محمد، معها قميص الحسين ابنها تلمس القصاص من يزيد بن
معاوية، فإذا رآها الله تعالى من بعيد، دعا يزيد وهو بين يديه، فقال له : ادخل تحت
قوائم العرش، لا تظفر بك فاطمة، فدخل ويختبئ، وتحضر فاطمة، فتتظلم وتبكى،
فيقول سبحانه : انظري يا فاطمة إلى قدمى، ويخرجها إليها، وبه جرح من سهم نمرود،
فيقول : هذا جرح نمرود فى قدمى، وقد عفوت عنه، أفلا تعفين أنت عن يزيد ! فتقول.
هي : اشهد يا رب أنى قد عفوت عنه^(٢).

أول قتيل من المسلمين يوم أحد

كان جابر بن عبد الله، يقول اصطحب ناس يوم أحد الخمر، منهم أبى، فقتلوا
شهداء. قال الواقدي : وكان جابر يقول : أول قتيل من المسلمين يوم أحد أبى، قتله
سفيان بن عبد شمس أبو الاعور السلمى، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهزيمة. قال
الواقدي : وكان جابر يحدث، ويقول : استشهد أبى، وجعلت عمى تبكى، فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيها ما زالت الملائكة تظل عليه بأجنحتها حتى دفن. قال الواقدي :
وقال عبيد الله بن عمرو بن حزام : رأيت فى النوم قبل يوم أحد بأيام مبشر بن عبد
المنذر، أحد الشهداء بيدى، يقول لى أنت قادم علينا فى أيام فقلت : فأين أنت قال : فى

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٢٦

الجنة نسرح منها حيث نشاء، فقلت له : ألم تقتل يوم بدر قال : بلى ، ثم أحييت ، فذكر ذلك لرسول الله قال : (هذه الشهادة يا جابر). قال الواقدي : وقال رسول الله ﷺ يوم أحد : ادفنوا عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد ، ويقال : إنهما وجدا وقد مثل بهما كل مثلة قطعت آرابهما عضوا عضوا ، فلا تعرف أبدانهما . فقال النبي ﷺ (ادفنوهما في قبر واحد) ويقال إنما أمر بدفنهما في قبر واحد ، لما كان بينهما من الصفاء ، فقال : ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد . وكان عبد الله بن عمرو بن حرام رجلا أحمر أصلع ، ليس بالطويل ، وكان عمرو بن الجموح طويلا ، فعرفا ودخل السيل بعد عليهما ، وكان قبرهما مما يلي السيل ، فحفر عنهما ، وعليهما نمرتان وعبد الله قد أصابه جرح في وجهه ، فيده على وجهه فأميطت يده عن جرحه ، فثعب الدم ، فردت إلى مكانها فسكن الدم . قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله يقول رأيت أبي في حفرتة ، وكأنه نائم ، وما تغير من حاله قليل ولا كثير ، فقيل له : أفرأيت أكفانه قال : إنما كفن في نمرة خمر بها وجهه ، وعلى رجله الحرمل فوجدنا النمرة كما هي ، والحرمل على رجله كهيئته ، وبين ذلك وبين وقت دفنه ست وأربعون سنة ، فشاورهم جابر في أن يطيبه بمسك ، فأبى ذلك أصحاب النبي ﷺ وقالوا لا تحدثوا فيهم شيئا . قال : ويقال أن معاوية لما أراد أن يجرى العين التي أحدثها بالمدينة ، وهي كظلمة نادى مناديه بالمدينة : من كان له قتيل بأحد فليشهد . فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابا يتثنون ، فأصاب المسحاة رجل رجل منهم ، فشعبت دما ، فقال أبو سعيد الخدري : لا ينكر بعد هذا منكر أبدا . قال : ووجد عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد ، ووجد خارجة بن زيد بن أبي زهير وسعد بن الربيع في قبر واحد ، فأما قبر عبد الله وعمرو فحول ، وذلك أن القنائة كانت تمر على قبرها ، وأما قبر خارجة وسعد فترك ، وذلك لأن مكانه كان معتزلا ، وسوى عليهما التراب ، ولقد كانوا يحفرون التراب ، فكلما حفروا قبرة من تراب ، فاح عليهم المسك . قال : وقالوا أن رسول الله ﷺ قال لجابر ، يا جابر ، ألا أبشرك فقال : بلى ، بأبي وأمي قال : فان الله أحيا أباك ، ثم كلمه كلاما ، فقال له تمن على ربك ما شئت فقال اتمنى أن أرجع فأقتل مع نبيك ، ثم أحيا فأقتل مع نبيك ، فقال إني قد قضيت أنهم لا يرجعون^(١) .

كلام للجاحظ في سياسة علي ومعاوية

فأما القول في سياسة معاوية، وأن شناعة علي عليه السلام ومبغضية زعموا أنها خير من سياسة أمير المؤمنين، فيكفيها في الكلام على ذلك ما قاله شيخنا أبو عثمان، ونحن نحكيه بألفاظه قال أبو عثمان : وربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز - وهو من العامة ويظن أنه من الخاصة - يزعم أن معاوية كان أبعد غورا، وأصح فكرا، وأجود روية، وأبعد غاية، وأدق مسلكا، وليس الامر كذلك، وسأرعى إليك بجملة تعرف بها موضع غلظه، والمكان الذي دخل عليه الخطا من قبله. كان علي عليه السلام لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة، كما يستعمل الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكاييد، حلالها وحرامها، ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى رتييل، وعلي عليه السلام يقول : لا تبدءوهم بالقتال حتى يبدءوكم، ولا تتبعوا مدبرا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا بابا مغلقا، هذه سيرته في ذى الكلاع، وفي أبي الاعور السلمى، وفي عمرو بن العاص، وحبیب بن مسلمة، وفي جميع الرؤساء، كسيرته في الحاشية والحشو والاتباع والسفلة وأصحاب الحروب، إن قدروا على البيات بيتوا، وإن قدروا على رضخ الجميع بالجنادل وهم نيام فعلوا، وإن أمكن ذلك في طرفة عين لم يؤخروه إلى ساعة، وإن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق، وإن أمكن الهدم لم يتكلفوا الحصار، ولم يدعوا أن نصبوا المجانيق، والعرادات، والنقب، والتسريب، والدبابات، والكمين، ولم يدعوا دس السموم، ولا التضريب بين الناس بالكذب وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات، وتوهيم الامور، وإيجاش بعض من بعض، وقتلهم بكل آله وحيلة، كيف وقع القتل، وكيف دارت بهم الحال ! فمن اقتصر - حفظك الله - من التدبير على ما في الكتاب والسنة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير، وما لا يتناهى من المكاييد والكذب - حفظك الله - أكثر من الصدق، والحرام أكثر عددا من الحلال، ولو سمى إنسان إنسانا باسمه لكان قد صدق، وليس له اسم غيره، ولو قال : هو شيطان أو كلب أو حمار أو شاة أو بغير أو كل ما خطر على البال، لكان كاذبا في ذلك، وكذلك الايمان والكفر، وكذلك الطاعة والمعصية، وكذلك الحق والباطل، وكذلك السقم والصحة، وكذلك الخطأ والصواب، فعلى عليه السلام كان ملجما

بالورع عن جميع القول إلا ما هو لله عزوجل رضا، وممنوع اليدين من من كل بطش إلا ما هو لله رضا، ولا يرى الرضا إلا فيما يرضاه الله ويحبه، ولا يرى الرضا إلا فيما دل عليه الكتاب والسنة، دون ما يعول عليه أصحاب الدهاء والنكراء والمكاييد والآراء، فلما أبصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المكاييد، وكثرة غرائبه في الخداع، وما اتفق له وتهاياً على يده، ولم يرو ذلك من على عليه السلام، ظنوا بقصر عقولهم، وقلة علومهم، أن ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند على عليه السلام، فانظر بعد هذا كله، هل يعد له من الخدع إلا رفع المصاحف ! ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى رأى على عليه السلام وخالف أمره. ! فإن زعمت أنه قال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت، وليس في هذا اختلافنا، ولا عن غرارة أصحاب على عليه السلام وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم دفعنا، وإنما كان قولنا في التميز بينهما في الدهاء والنكراء وصحة العقل والرأى والبزلاء، على أنا لا نصف الصالحين بالدهاء والنكراء، لانقول : ما كان أنكر أبا بكر بن أبي قحافة ! وما كان أنكر عمر بن الخطاب ! ولا يقول أحد عنده شيء من الخير : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدهى العرب والعجم وأنكر قريش وأمكر كنانة، لان هذه الكلمة إنما وضعت في مديح أصحاب الأرب ومن يتعمق في الرأى في توكيد أمر الدنيا وزبرجها وتشديد أركانها، فأما أصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر، وإنما يصلحون على تدبير خالق البشر، فإن هؤلاء لا يمدحون بالدهاء والنكراء، ولم يمنعوا هذا إلا ليعطوا أفضل منه. ألا ترى أن المغيرة بن شعبه - وكان أحد الدهاة - حين رد على عمرو بن العاص قوله في عمر بن الخطاب - وعمرو بن العاص أحد الدهاة أيضاً : أنت كنت تفعل، أو توهم عمر شيئاً فيلقنه عنك ! ما رأيت عمر مستخليا بأحد إلا رحمته كائنا من كان ذلك الرجل، كان عمر والله أعقل من أن يخدع، وأفضل من أن يخدع. ولم يذكره بالدهاء والنكراء، هذا مع عجبه بإضافة الناس ذلك إليه، ولكنه قد علم أنه إذا أطلق على الأئمة الألفاظ التي لا تصلح في أهل الطهارة، كان ذلك غير مقبول منه، فهذا هذا. وكذلك كان حكم قول معاوية للجميع : أخرجوا إلينا قتلة عثمان، ونحن لكم سلم. فاجهد كل جهدك، واستعن بمن شايحك إلى أن تتخلص إلى صواب رأى في ذلك الوقت أضله على، حتى تعلم أن معاوية خادع، وأن علياً عليه السلام كان المخدوع. فإن قلت : فقد بلغ ما أراد، ونال ما أحب، فهل رأيت كتابنا وضع إلا على أن علياً كان قد امتحن في أصحابه وفي دهره، بما لم يمتحن إمام قبله من الاختلاف والمنازعة، والتشاح من الرياسة والتسرع والعجلة، ! وهل أتى عليه السلام إلا من

هذا المكان ! أو لسنا قد فرغنا من هذا الامر، وقد علمنا أن ثلاثة نفر تواطئوا على قتل ثلاثة نفر، فانفرد ابن ملجم بالتماس ذلك من علي عليه السلام، وانفرد البرك الصريمي بالتماس ذلك من عمرو بن العاص، وانفرد الاخر - وهو عمرو بن بكر التميمي - بالتماس ذلك من معاوية، فكان من الاتفاق أو من الامتحان، أن كان علي من بينهم هو المقتول. وفي قياس مذهبكم أن تزعموا أن سلامة عمرو ومعاوية إنما كانت بحزم منهما وأن قتل علي عليه السلام إنما هو من تضييع منه، فإذا قد تبين لكم أنه من الابتلاء والامتحان في نفسه بخلاف الذي قد شاهدتموه في عدوه، فكل شيء سوى ذلك، فإنما هو تبع للنفس^(١).

قصة صالح وثمرود

قال المفسرون : إن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض، وكثروا وعمروا أعمارا طوالا، حتى إن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته، فنحتوا البيوت في الجبال، وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله، وأفسدوا في الارض، وعبدوا الاوثان، فبعث الله إليهم صالحا، وكانوا قوما عربا، وصالح من أوسطهم نسبا، فما آمن به إلا قليل منهم مستضعفون، فحذرهم وأنذرهم، فسألوه آية، فقال : آية آية تريدون؟ قالوا : تخرج معنا إلى عيدنا - في يوم معلوم لهم من السنة - فتدعو إلهك وتدعو إلهنا، فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا اتبعتنا. قال : نعم، فخرج معهم، ودعوا أوثانهم، وسألوها الاستجابة فلم تجب، فقال سيدهم جندع بن عمرو - وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة : أخرج لنا في هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء - والمخترجة : التي شاكلت البخت. فإن فعلت صدقناك وأجبتناك، فأخذ عليهم الموائيق، لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن؟ قالوا : نعم، فصلى ودعا ربه، فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبها إلا الله، وعظماؤهم ينظرون. ثم نتجت ولدا مثلها في العظم، فأمن به جندع ورهط من قومه، ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء، وكانت ترد غبا، فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر، فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفجع، فيحتلبون ما

شاعوا حتى تمتلئ أوائلهم، فيشربون ويندخرون فإذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي، فتهرب منها أنعامهم، فتهبط إلى بطنه، وإذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره، فشق ذلك عليهم، وزينت عقرها لهم امرأتان : عنيزة أم غنم وصدفة بنت المختار، لما أضرت به من مواشيها، وكانتا كثيرتي المواشي، فعقروها، عقرها قدار الأحمر، واقتسما لحمها وطبخوه. فانطلق سقبا حتى رقى جبلا اسمه قارة، فرغا ثلاثا، وكان صالح قال لهم : أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه، وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها، فقال لهم صالح : تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة، واليوم الثالث وجوهكم مسودة، ثم يغشاكم العذاب. فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه، فأنجاه الله سبحانه إلى أرض فلسطين، فلما كان اليوم الرابع، وارتفعت الضحوة، تحنطوا بالصبر، وتكفنوا بالانطاع، فأتتهم صيحة من السماء وخسف شديد وزلزال، فتقطعت قلوبهم فهلكوا. وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ مر بالحجر في غزوة تبوك، فقال لأصحابه : لا يدخلن أحد منكم القرية، ولا تشربوا من مائها، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تمروا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم^(١).

مرضه النبي ﷺ كان ذات الجنب

واحتج الذاهبون إلى أن مرضه كان ذات الجنب بما روى من انتصابه وتعذر الاضطجاع والنوم عليه قال سلمان الفارسي : دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه، فقال لي : يا سلمان، ألا تسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعلى ! فقلت : يا رسول الله، ألا أسهر الليلة معك بدله ؟ فقال : لا هو أحق بذلك منك. وزعم آخرون أن مرضه كان أثرا لاكلة السم التي أكلها ﷺ،

واحتجوا بقوله ﷺ : (ما زالت أكلة خبير تعاودني، فهذا أوان قطعت أبهري)^(٢).

لا بد من أن يموت أحدنا

روى أنس بن مالك أنه قيل لرسول الله ﷺ : ما هؤلاء الذين استثنى بهم في قوله

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢٦٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢٦٧

تعالى : (فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله) ؟ فقال : جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، فيقول الله عزوجل لعزرائيل : يا ملك الموت، من بقى ؟ وهو سبحانه أعلم - فيقول : سبحانك ربى ذا الجلال والاكرام ! بقى جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت - فيقول : يا ملك الموت، خذ نفس إسرافيل، فيقع في صورته التى خلق عليها كأعظم ما يكون من الاطواد، ثم يقول : - وهو أعلم - من بقى يا ملك الموت ؟ فيقول : سبحانك ربى يا ذا الجلال والاكرام ! جبرائيل وميكائيل، وملك الموت، فيقول : خذ نفس ميكائيل، فيقع في صورته التى خلق عليها، وهى أعظم ما يكون من خلق إسرافيل بأضعاف مضاعفة. ثم يقول سبحانه : يا ملك الموت، من بقى ؟ فيقول : سبحانك ربى ذاالجلال والاكرام : جبرائيل، وملك الموت، فيقول تعالى : يا ملك الموت، مت فيموت، ويبقى جبرائيل - وهو من الله تعالى بالمكان الذى ذكر لكم - فيقول الله : يا جبرائيل، إنه لا بد من أن يموت أحدنا، فيقع جبرائيل ساجدا يخفق بجناحيه، يقول : سبحانك ربى وبحمدك ! أنت الدائم القائم الذى لا يموت، وجبرائيل الهالك الميت الفانى، فيقبض الله روحه، فيقع على ميكائيل وإسرافيل، وإن فضل خلقه على خلقهما كفضل الطود العظيم على الطرب من الطراب .^(١)

رأيتنى واختا لى نرعى على ابويننا ناضحا لنا

ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث ان رجلا اتى عمر يساله ويشكو إليه الفقر، فقال : هلكت يا امير المؤمنين فقال : أهلكت وانت تثت نثيث الحميت اعطوه. فاعطوه ربعة من مال الصدقة، تبعها ظنراها. ثم أنشا يحدث عن نفسه، فقال : لقد رأيتنى واختا لى نرعى على ابويننا ناضحا لنا، قد ألبستنا أمنا نقبتها وزودتنا يمتيتها هبيدا فنخرج بناضحنا، فإذا طلعت الشمس، القيت النقبة إلى أختى، وخرجت أسعى عريان، فنرجع إلى امنا، وقد جعلت لنا لفيفة من ذلك الهبيد، فياخصباه^(٢).

ما منعك أن تنهانى عن مسيرى

عن ابن أبى عتيق، قال : قالت عائشة : إذا مر ابن عمر فأرونيه، فلما مر قالوا : هذا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٩٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٠

ابن عمر فقالت : يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيرى، قال : رأيت رجلا قد غلب عليك، ورأيتك لا تخالفينه - يعنى عبد الله بن الزبير - فقالت : أما إنك لو نهيتني ما خرجت^(١).

ألا تكنينى

قالت عائشة : يا رسول الله، ألا تكنينى ؟ فقال : تكنى باسم ابن أختك عبد الله، فكانت تكنى أم عبد الله^(٢).

يتعصب لابليس

وكان أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي الواعظ، أخو أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي، قاصا لطيفا وواعظا مفوها، وهو من خراسان من مدينة طوس، وقدم إلى بغداد، ووعظ بها، وسلك في وعظه مسلكا منكرا، لانه كان يتعصب لابليس، ويقول : إنه سيد الموحدين،

وقال يوما على المنبر : من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغير سيده فأبى ولست بضارع إلا إليكم وأما غيركم حاشا وكلا

وقال مرة أخرى لما قال له موسى : (أرني) فقال : (لن) قال : هذا شغلك، تصطفى آدم ثم تسود وجهه، وتخرجه من الجنة، وتدعوني إلى الطور، ثم تشمت بى الاعداء ! هذا عملك بالاحباب، فكيف تصنع بالاعداء!

وقال مرة أخرى وقد ذكر إبليس على المنبر : لم يدر ذلك المسكين أن أظاير القضاء إذا حكمت أدمت، وأن قسى القدر إذا رمت أصمت. ثم قال : لسان حال آدم ينشد في قصته وقصة إبليس :

وكنت وليلى في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وزلت

وقال مرة أخرى : التقى موسى وإبليس عند عقبة الطور، فقال موسى : يا إبليس، لم لم تسجد لآدم ﷺ ؟ فقال : كلا، ما كنت لاسجد لبشر، كيف أوحده ثم ألتفت إلى غيره

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٠٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٠٩

! ولكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت إلى الجبل، فأنا أصدق منك في التوحيد.
وكان هذا النمط في كلامه ينفق على أهل بغداد، وصار له بينهم صيت مشهور،
واسم كبير.

وحكى عنه أبو الفرج بن الجوزي في (التاريخ) أنه قال على المنبر : معاشر الناس،
إني كنت دائما أدعوكم إلى الله، وأنا اليوم احذركم منه، والله ما شددت الزناير إلا في
حبه، ولا أدبت الجزية إلا في عشقه.

وقال أيضا : إن رجلا يهوديا أدخل عليه ليسلم على يده، فقال له : لا تسلم، فقال
له الناس : كيف تمنعه من الاسلام ؟ فقال : احمלוه إلى أبي حامد يعني أخاه ليعلمه (لا)
إلى المنافقين. ثم قال : ويحكم أظنون أن قوله : لا إله إلا الله منشور ولايته ! ذا
منشور عزله^(١).

اقوال المشبهة

إن مذهب جمهور المتكلمين نفى التشبيه، وهذا القول يتنوع أنواعا : النوع الاول :
نفى كونه تعالى جسما مركبا، أو جوهرًا فردا غير مركب، والمراد بالجوهر هاهنا الجرم
والحجم. وهو قول المعتزلة، وأكثر محققى المتكلمين من سائر الفرق، وإليه ذهب
الفلاسفة أيضا.

وقال قوم من مستضعفى المتكلمين خلاف ذلك،

حكى عن على بن ميثم أنه كان يقول بالصورة والجسم.

وحكى عن مقاتل بن سليمان، وداود الجواربى، ونعيم بن حماد المصرى، أنه في
صورة الانسان، وأنه لحم ودم، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين،
وهو مع ذلك لا يشبه غيره، ولا يشبهه غيره،

وافقه على ذلك جماعة من العامة ومن لا نظر له.

وحكى عن داود الجواربى أنه قال : اعفوني من الفرج واللحية وسلوني عما وراء

ذلك

وحكى عنه أنه قال : هو أجوف من فيه إلى صدره، وما سوى ذلك مضمت. وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجواليقي كان يقول : إن له وفرة سوداء. وذهب جماعة من هؤلاء إلى القول بالموانسة والخلوة والمجالسة والمحاذثة. وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى : (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)، فقال : يقعد معه على سريره ويغلفه بيده.

وقال بعضهم : سألت معاذ العنبري، فقلت : أله وجه؟ فقال : نعم، حتى عددت جميع الاعضاء من أنف وفم وصدر وبطن، واستحييت أن أذكر الفرج، فأومأت بيدي إلى فرجى، فقال : نعم، فقلت أذكر أم أنثى؟ فقال : ذكر.

ويقال : إن ابن خزيمة أشكل عليه القول في أنه : أذكر أم أنثى، فقال له بعض أصحابه : إن هذا مذكور في القرآن، وهو قوله تعالى : (وليس الذكر كالانثى)، فقال : أفدت وأجدت، وأودعه كتابه.

ودخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد، وبين يديه لحم في طبيخ سكباج، فسأله عن البارئ تعالى في جملة ما سأله، فقال : هو والله مثل هذا الذي بين يدي، لحم دم. وشهد بعض المعتزلة عند معاذ بن معاذ، فقال له : لقد هممت أن أسقطك، لو لا أنى سمعتك تلعن حماد بن سلمة، فقال : أما حماد فلم ألعنه، ولكني ألعن من يقول : إنه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السماء إلى الأرض على جمل أحمر في هودج من ذهب، فإن كان حماد يروى هذا أو يقوله فعليه لعنة الله. فقال : أخرجوه، فأخرج

وقال بعضهم : خرجنا يوم عيد إلى المصلى، فإذا جماعة بين يدي أمير، والطبول تضرب والاعلام تخفق فقال واحد من خلفنا : اللهم لا طبل إلا طبلك ! فقل له : لا تقل هكذا، فليس لله تعالى طبل، فبكى، وقال : أرأيتم هو يجيئ وحده ولا يضرب بين يديه طبل، ولا ينصب على رأسه علم، فإذا هو دون الأمير !

وروى بعضهم أنه تعالى أجرى خيلا، فخلق نفسه من مثلها.

وروى قوم منهم أنه نظر في المرأة فرأى صورة نفسه، فخلق آدم عليها.

وروا أنه يضحك حتى تبدو نواجزه.

وروا أنه أمرد جعد قطط، في رجله نعلان من ذهب، وأنه في روضة خضراء على

كرسى تحمله الملائكة.

وروا أنه يضع رجلا على رجل، ويستلقى فإنها جلسة الرب.

وروا أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة، وأنه يتصور بصورة آدم، ويحاسب الناس في القيامة، وله حجاب من الملائكة يحجبونه

وروا عن النبي ﷺ أنه قال : (رأيت ربي في أحسن صورة، فسألته عما يختلف فيه الملاء الاعلى، فوضع يده بين كتفي، فوجدت بردها، فعلمت ما اختلفوا فيه)

وروا أنه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان، وأنه جالس على العرش قد فضل منه أربع أصابع من كل جانب. وأنه يأتي الناس يوم القيامة، فيقول : أنا ربكم، فيقولون : نعوذ بالله منك، فيقول لهم : أفتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون : بيننا وبينه علامة، فيكشف لهم عن ساقه، وقد تحول في الصورة التي يعرفونها، فيخرون له سجدا.

وروا أنه يأتي في غمام، فوقه هواء، وتحت هواء .

وذهب بعض متكلمي المجسمة إلى أن البارئ تعالى مركب من أعضاء على حروف المعجم.

وقال بعضهم : إنه ينزل على حمار في صورة غلام أمرد، في رجليه نعلان من ذهب، وعلى وجهه فراش من ذهب يتطاير.

وقال بعضهم : إنه في صورة غلام أمرد صبيح الوجه، عليه كساء أسود، ملتحف به.

وسمعت أنا في عصرى هذا من قال في قوله تعالى : (وترى الملائكة حافين من حول العرش): إنهم قيام على رأسه بسيوفهم وأسلحتهم، فقال له آخر على سبيل التهكم به : يحرسونه من المعتزلة أن يفتكوا به ! فغضب وقال : هذا إلحاد.

وروا أن النار تزفر وتنغيظ تنغيظا شديدا، فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها، فتقول : قط قط، أي حسبي حسبي. ويرفعون هذا الخبر مسندا.

وقد ذكر شبيهه به في الصحاح. وروى في الكتب الصحاح أيضا : (أن الله خلق آدم على صورته)،

وقيل : إن في التوراة نحو ذلك في السفر الاول. واعلم أن أهل التوحيد يتأولون ما يحتمل التأويل من هذه الروايات على وجوه محتملة غير مستبعدة، وما لا يحتمل التأويل

منها يقطعون ببطلانه، ويأنه موضوع،^(١) يقطعون ببطلانه، ويأنه موضوع،

إن أسير أهل القبلة لا يقتل

كان رجل من أهل الشام يقال له الأصبع بن ضرار الأزدي من مسالح معاوية وطلائعه فندب له علي عليه السلام الاشتهر فأخذه أسيراً من غير قتال، فجاء به ليلاً فشدته وثاقاً وألقاه عند أصحابه ينتظر به الصباح، وكان الأصبع شاعراً مفوها فأيقن بالقتل ونام أصحابه، فرفع صوته فأسمع الاشتهر، وقال :

ألا ليت هذا الليل أصبح سرمدا	على الناس لا يأتيهم بنهار
يكون كذا حتى القيامة إننى	أحاذر في الاصبح يوم بوارى
فياليل أطبق، إن في الليل راحة	وفي الصبح قتلى أو فكاك أسارى
ولو كنت تحت الارض ستين واديا	لما رد عنى ما أخاف حذارى
فيا نفس مهلا إن للموت غاية	فصبرا على ما ناب يا بن ضرار
أأخشى ولى في القوم رحم قريبة	أبى الله أن أخشى ومالك جارى
ولو أنه كان الاسير ببلدة	أطاع بها، شمرت ذيل إزارى
ولو كنت جار الأشعث الخير فكنى	وقل من الامر المخوف فرارى
وجار سعيد أو عدى بن حاتم	وجار شريح الخير قر قرارى
وجار المرادى الكريم وهانى	وزحر بن قيس ما كرهت نهاري
ولو أننى كنت الاسير لبعضهم	دعوت فتى منهم ففك إسارى
أولئك قومي لا عدمت حياتهم	وعفوهم عنى وستر عوارى

قال : فغدا به الاشتهر إلى علي عليه السلام، فقال : يا أمير المؤمنين، إن هذا رجل من مسالح معاوية، أصبته أمس ويات عندنا الليل، فحركنا بشعره، وله رحم، فإن كان فيه القتل فاقتله، وإن ساغ لك العفو عنه فهبه لنا، فقال : هو لك يا مالك، وإذا أصبت منهم أسيراً فلا تقتله، فإن أسير أهل القبلة لا يقتل. فرجع به الاشتهر إلى منزله وخلقى سبيله^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١٠٠

قسمة الفيء

قال ابن ابي الحديد : اعلم أن هذه مسألة فقهية ورأى على عليه السلام وأبى بكر فيها واحد، وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفيء والصدقات، وإلى هذا ذهب الشافعي، وأما عمر فإنه لما ولي الخلافة فضل بعض الناس على بعض، ففضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين وفضل المهاجرين كافة على الانصار كافة وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى، وقد كان أشار على أبى بكر أيام خلافته بذلك، فلم يقبل، وقال : إن الله لم يفضل أحدا على أحد، ولكنه قال : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين، ولم يخص قوما دون قوم فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولا، وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله، والمسألة محل اجتهاد، وللإمام أن يعمل بما يؤديه إليه اجتهاده، وإن كان اتباع على عليه السلام عندنا أولى، لا سيما إذا عضده موافقة أبى بكر على المسألة، وإن صح الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى فقد صارت المسألة منصوفا عليها، لان فعله صلى الله عليه وسلم كقوله^(١).

الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم

قال ابن ابي الحديد : أما الغلاة في امير المؤمنين عليه السلام فهالكون كما هلك الغلاة في عيسى عليه السلام. وقد روى المحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عليه السلام : " فيك مثل من عيسى بن مريم، أبغضته اليهود فبهتت أمه، وأحبه النصرارى فرفعته فوق قدره " ،

* وقد كان أمير المؤمنين عثر على قوم من أصحابه خرجوا من حد محبته باستحواذ الشيطان عليهم ! أن كفروا بربهم، وجحدوا ما جاء به نبيهم، فاتخذوه ربا وادعوه إلها، وقالوا له : أنت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم، واستأنى وتوعدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها، طمعا في رجوعهم، فأبوا فحرقهم، وقال :

ألا ترونى قد حفرت حفرا إنى إذا رأيت أمرا منكرا

أوقدت نارى ودعوت قنبرا^(٢)

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٩

أحضر لي خيوطا من ريش

وقال جابر بن عبد الله الجعفي : رأيت الشعبي يقول لخياط يمازحه : عندنا حب مكسور وأحب أن تخطيه، فقال الخياط : أحضر لي خيوطا من ريش لا يخطه لك^(١).

هل يجوز أن يؤكل الجنى لو ظفر به

وسئل الشعبي : هل يجوز أن يؤكل الجنى لو ظفر به ؟ فقال : ليتنا نخرج منه كفافا لآلنا ولا علينا^(٢).

ذلك نكاح ما شهدناه

مر بالشعبي حمال على ظهره دن خل، فوضع الدن وقال له : ما كان اسم امرأة إبليس ؟ فقال الشعبي : ذلك نكاح ما شهدناه^(٣).

ابن أخت خالتك

تقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما ادعى عليه وهو لا يدري، فقضى شريح عليه، فقال : أصلحك الله ! أتقضى على بغير بينة ؟ قال : بلى، شهد عندي ثقة. قال ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك^(٤).

إنما آكله عن جانب العين الصحيحة

جاء في الخبر أن النبي ﷺ مر بصهيب وهو أرمد يأكل تمرا، فنهاه، فقال : إنما آكله عن جانب العين الصحيحة يارسول الله، فضحك منه ولم ينكر عليه^(٥).

إنه كان يقاتل عن ترة له وعليه

ذكر معاوية يوما صفيين بعد عام الجماعة، وتسليم الحسن رضي الله عنه الأمر إليه، فقال

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٣٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٣٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٣٥

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٣٥

(٥) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٣٥

للوليد بن عقبة : أي بني عمك كان أفضل يوم صفين يا وليد، عند وقدان الحرب، واستشاعة لظاها حين قاتلت الرجال على الاحساب ؟ قال : كلهم قد وصل كنفها عند انتشار وقعتها، حتى ابتلت أثباج الرجال من الجريال، بكل لدن عسال، ويكل غضب قصال، فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : أما والله لقد رأيتنا يوما من الايام، وقد غشنا ثعبان في مثل الطود الارعن، قد أثار قسطلا حال بيننا وبين الافق، وهو على أدهم شائل الغرة، - يعني عليا عليه السلام - يضرب بسيفه ضرب غرائب الابل، كاشرا عن نابه كشر المخدر الحرب، فقال معاوية : نعم إنه كان يقاتل عن ترة له وعليه ^(١).

في الالباء والانف من احتمال الضيم

فمن ذلك قول عمرو بن براءة الهمداني :
وكيف ينام الليل من جل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
ومن يطلب المال الممنوع بالقنا يعيش ماجدا أو تخترمه الخوارم
ومثله :
ومن يطلب المال الممنوع بالقنا يعيش ماجدا أو يؤذ فيما يمارس
وقال حرب بن مسعر :
عظفت عليه المهر عطفة باسل كمي ومن لا يظلم الناس يظلم
فأوجرته لدن الكعوب مثقفا فخر صريعا لليدين وللقم
وقال الحارث بن الارقم :
وما ضاق صدري يا سليمي بسخطكم ولكنتي في الحادثات صليب
تروك لدار الخسف والضميم، منكر بصير بفعل المكرمات أريب
إذا سامني السلطان ذلا أبيتة ولم أعط خسفا ما أقام عسيب
وقال العباس بن مرداس السلمى :

بأبي فوارس لا يعرى صواهلها أن يقبلوا الخسف من ملك وإن عظما
لا والسيوف بأيدينا مجردة لا كان منا غداة الروع منهزما
وقال وهب بن الحارث :

لا تحسبني كأقوام عبثت بهم لن يأنقروا الذل حتى تأنف الحمر
لا تعلقني قذاة لست فاعلها واحذر شباتي فقدمما ينفع الحذر
فقد علمت بأني غير مهتضم حتى يلوح بيطن الراحة الشعر
وقال المسيب بن علس :

أبلغ ضبيعة أن البلاد فيها لذي قوة مغضب
وقد يقعد القوم في دارهم إذا لم يضاموا وإن أجدبوا
ويرتحل القوم عند الهوان عن دارهم بعد ما أخصبوا
وقال آخر :

إن الهوان حمار القوم يعرفه والحر ينكره والرسلة الاجد
ولا يقيم على خسف يراد به إلا الاذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مشدود برمته وذا يشج فلا يأوى له أحد
فإن أقمت على ضيم يراد بكم فإن رحلى له وال ومعتمد
وفي البلاد إذا ما خفت بادرة مكروهة عن ولاة السوء مفتقد
وقال بعض بني أسد :

إني امرؤ من بني خزيمة لا أطعم خسفا لناعب نعبا
لست بمعط ظلامه أبدا عجما ولا أتقى بها عربا
ووثقت بالدنيا وأنت ترى جماعتها شتات
ا وعزمت ويك على الحياة وطولها عزما بتاتا
يا من رأى أبويه - فيمن قد رأى - كانا فماتا
هل فيهما لك عبرة أم خلت أن لك انفلاتا ا

ومن الذي طلب التفللت من منيته ففاتا !

كل تصبحة المنية أو تبيته بيانا

وله :

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذابا ، كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شئ فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وله :

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلمع

أيا بانى الدنيا لغيرك تبتنى ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع

أرى المرء وثابا على كل فرصة وللمرء يوما لا محالة مصرع

ينازل ما لا يملك الملك غيره متى تنقضي حاجات من ليس يشبع !

وأى امرئ في غاية ليس نفسه إلى غاية أخرى سواها تطلع !

وله :

سل الايام عن أمم تقضت مستخبرك المعالم والرسوم وإلا حساما

يبهر العين لمححه كصاعقة في عارض قد تبسما

قال العباس بن مرداس السلمى :

مقال امرئ يهدى إليك نصيحة إذا معشر جادوا بعرضك فابخل

وإن بوءوك منزلا غير طائل غليظا فلا تنزل به وتحول

ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم أتوك على قرباهم بالمثل

أراك إذا قد صرت للقوم ناضحا يقال له بالغرب أدبر وأقبل

فخذها فليست للعزير بخرطة وفيها مقام لامرئ متثلل

وله أيضا :

فحارب فإن مولاك حارد نصره ففي السيف مولى نصره لا يحارد

وقال مالك بن حريم الهمداني في غزوة بدر:
 وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم !
 متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم
 وقال رشيد بن رميضان العنزري :

باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم
 خدلج الساقين خفاق القدم قد لفها الليل بسواق حطم
 ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزاز على ظهر وضم
 من يلقنى يود كما أودت إرم
 وقال آخر :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما
 ولما رأيت الود ليس بنافعي عمدت إلى الامر الذي كان أحزما
 وقال حارثة بن بدر الغداني :

أهان وأقصى ثم ينتصحونني ومن ذا الذي يعطى نصيحته قسرا !
 رأيت أكف المصلتين عليكم ملاء وكفى من عطائكم صفرا
 متى تسألوني ما على وتمنعوا الذي لى ، لا أستطيع في ذلكم صبرا
 وقال بعض الخوارج :

تعيرني بالحرب عرسي وما درت بأنى لها في كل ما أمرت ضد
 لحا الله قوما يقعدون وعندهم سيوف ولم يعصب بأيديهم قد
 وقال الاعشى :

أبالموت خشتنى عباد وإنما رأيت منايا القوم يسعى دليها
 وما مrote إن متها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها
 وقال آخر :

فلا أسمعن فيكم بأمر هزيمة وضم ولا تسمع به هامتي بعدى

فإن السنان يركب المرء حدة من الضيم، أو يعدو على الأسد الورد
ومثله :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيئه إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل
وقال آخر :

كرهوا الموت فاستييح حماهم وأقاموا فعل اللثيم الذليل
أمن الموت تهربون فإن الموت الذليل غير جميل
وقال بشامة بن الغدير :

وإن التي سامكم قومكم هم جعلوها عليكم عدولا
أخزى الحياة وكره الممات فكلا أراه طعاما وييلا
فإن لم يكن غير إحداهما فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة كفى بالحوادث للمرء غولا
وقال هدبة بن خشرم :

وإني إذ ما الموت لم يك دونه قدى الشبر أحمى الانف أن أناخرا
ولكنني أعطى الخفيظة حقها فأعرف معروفا وأنكر منكرا
وقال آخر :

إني أنا المرء لا يغضى على تره ولا يقر على ضيم إذا غشما
ألقي المنية خوفا أن يقال فتى أمسى - وقد ثبت الصفان - منهزما
وقال آخر :

قروض خيامك والتمس بلدا تنأى عن الغاشيك بالظلم
أو شد شدة بيهس فعسى أن يتفوك بصفحة السلم
استنصر سبيع بن الخطيم التيمي من بنى تيم اللات بن ثعلبة زيد الفوارس الضبي
فنصره، فقال :

نبهت زيدا فلم أفزع إلى وكل رث السلاح ولا في الحى مغمور

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدناير

قال الحسين بن الحمام :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
نفلق هاما من رجال أعزة علينا، وهم كانوا أعق وأظلما
أبى لابن سلمى أنه غير خالد ملاقي المنايا أي صرف تيمما
وقال الطرماح بن حكيم :

وما منعت دار ولا عز أهلها من الناس إلا بالقنا والقنابل
وقال آخر :

وإن التى حدثتها فى أنوفنا وأعناقنا من الآباء كما هيا
وقال آخر :

فإن تكن الايام فينا تبدلت بيؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليية ولا ذلتنا للتى ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل ما لا يستطيع فتحمل
وقال آخر :

إذا جانب أعيالك فاعمد لجانب فإنك لاق فى البلاد معولا
وقال أبوالنشاش :

إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح سواما ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من قعوده عديما ومن مولى تدب عقاربه
ولم أر مثل الهم ضاجعه الفتى ولا كسواد الليل أخفق طالبه

فعرش معدما أومت كريما فإننى أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه
وقال يحيى بن منصور الحنفي :

ولما نأت عنا العشيرة كلها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كربيها ولا نحن أغضينا الجفون على وتر^(١).

الحرقة بنت النعمان بن المنذر

لما فتح خالد بن الوليد عين التمر سال عن الحرقة بنت النعمان بن المنذر فدل عليها
فأتاها - وكانت عمياء - فسألها عن حالها فقالت لقد طلعت علينا الشمس ما شئ يدب
تحت الخورنق الا تحت ايدينا ثم غربت وقد رحمنا كل من يدور به وما بيت دخلته حبره
الا دخلته عبرة ثم قالت وبيننا نسوس الناس والامر امرنا إذا نحن فيه سوقه نتنصف فاف
لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف فقال قائل ممن كان حول خالد قاتل الله
عدى بن زيد لكانه ينظر إليها حين يقول إن للدهر صرعة فاحذرنها لا تبستن قدامنت
الدهورا قد بييت الفتى معافى فيردى ولقد كان آمنا مسرورا^(٢).

ثمامة نابئة على قبر معاوية

دخل عبد الله بن العباس على عبد الملك بن مروان يوم قر وهو على فرش يكاد
يغيب فيها فقال يا بن عباس انى لاحسب اليوم باردا قال اجل وإن ابن هند عاش في مثل
ما ترى عشرين اميرا وعشرين خليفة ثم هو ذاك على قبره ثمامة تهتز. فيقال إن عبد الملك
ارسل إلى قبر معاوية فوجد عليه ثمامة نابئة^(٣).

انما انت لعبة نلعب بك وتفركين

غضب عمر على بعض عماله، فكلم امرأة من نساء عمر في ان تسترضيه له فكلمته
فيه فغضب وقال: وفيم انت من هذا يا عدوة الله؟ انما انت لعبة نلعب بك وتفركين^(٤).

إنما عنيت عتبة

دخل النجاشي الشاعر على معاوية، وقد أذن للناس عامة، فقال لحاجبه: ادع

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٤٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٧٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٧٠

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٣

النجاشي، والنجاشي، بين يديه، ولكن اقتحمته عينه، فقال: هاأنذا النجاشي بين يديك يا أمير المؤمنين، إن الرجال ليست بأجسامها، إنما لك من الرجل أصغراه: قلبه ولسانه، قال: ويحك! أنت القائل

: ونجى ابن حرب سابح ذو علالة أجش هزيم والرماح دواني

إذا قلت أطراف الرماح تنوشه مرته به الساقان والقدمان

ثم ضرب بيده إلى ثديه، فقال: ويحك! إن مثلي لا تعدو به الخيل، فقال: يا أمير المؤمنين، إني لم أعنك، إنما عنيت عتبة^(١).

أظهروا النسك

وقال رجل من بني هلال لبنيه: يا بني أظهروا النسك فإن الناس إن رأوا من أحد منكم بخلا، قالوا: مقتصد لا يحب الأسراف، وإن رأوا عيا، قالوا: متوق يكره الكلام، وإن رأوا جبنا قالوا: متحرج يكره الأقدام على الشبهات^(٢).

شيخ من بني نهشل بن دارم الجبان

كان بالبصرة شيخ من بني نهشل بن دارم، يقال له عروة بن مرثد، ويكنى أبا الأعز، ينزل في بني أخت له من الأزدي في سكة بني مازن، فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان، وخرج النساء يصلين في مسجدهم، ولم يبق في الدار إلا إماء، فدخل كلب يتعسس فرأى بيتا مفتوحا فدخله وانصفق الباب عليه، فسمع بعض الإماء الحركة، فظنوا أنه لص دخل الدار، فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز، فأخبرته، فقال أبو الأعز: إلام يتغى اللص عندنا، وأخذ عصاه، وجاء حتى وقف بباب البيت، وقال: إيه يا فلان! أما والله، إني بك لعارف، فهل أنت من لصوص بني مازن! شربت حامضا خبيثا، حتى إذا دارت في رأسك منتك نفسك الاماني، وقلت: أطرق دور بني عمرو، والرجال خلوف والنساء يصلين في مسجدهن، فأسرقهن. سوء لك! والله ما يفعل هذا ولد الاحرار! وايم الله لتخرجن أو لاهتفن هتفة مشثومة يلتقى فيها الحيان عمرو وحنظلة، وتجيئ سعد

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٩٢

عدد الحصى، وتسيل عليك الرجال، من هنا وهنا، ولئن فعلت لتكونن، أشام مولود ! فلما رأى أنه لا يجيبه، أخذه باللين، فقال : اخرج - بأبى أنت - مستورا، والله ما أراك تعرفني، ولو عرفتنى لقنعت بقولى، واطمأنت إلى ابن أختى البار الوصول، أنا - فديتك - أبو الأعز النهشلي ! وأنا خال القوم، وجلدة بين أعينهم، لا يعصوننى، ولا تضار الليلة وأنت في ذمتي، وعندى قوصرتان، أهدهما إلى ابن أختى البار الوصول، فخذ إحداهما، فانبذها حلالا من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، وإذا سكت أبو الأعز وثب يريد المخرج، فتهاتف أبو الأعز، ثم تضاحك، وقال : يا ألام الناس وأوضعهم ! ألا أرانى لك منذ الليلة في واد وأنت لى في واد آخر، أقبلت السوداء والبيضاء، فتصيح وتطرق، فإذا سكت عنك وثبت تريد الخروج ! والله لتخرجن أو لالجن عليك البيت. فلما طال وقوفه جاءت إحدى الاماء فقالت : أعرابي مجنون والله، ما أرى في البيت شيئا فدفعت الباب فخرج الكلب شاردا، وحاد عنه أبو الأعز ساقطا على قفاه شائلة رجلاه، وقال : تالله ما رأيت كالليلة هذه ! ما أراه إلا كلبا، ولو علمت بحاله لولجت عليه^(١).

أتكفر برب كان يؤمن به عثمان

أن عمارا نازع الحسن بن على عليهما السلام في أمر عثمان فقال عمار : قتل عثمان كافرا، وقال الحسن عليه السلام : قتل مؤمنا، وتعلق ببعضهما ببعض، فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال : ماذا تريد من ابن أخيك ؟ فقال : إنى قلت كذا، وقال كذا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أتكفر برب كان يؤمن به عثمان ! فسكت عمار، وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط أن عثمان لما نقم عليه ضربه عمارا احتج لنفسه، فقال : جاءني سعد وعمار، فأرسلا إلى أن اتنا، فإننا نريد أن نذكرك أشياء فعلتها، فأرسلت إليهما : إنى مشغول، فانصرفا، فموعدكما يوم كذا، فانصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف، فأعدت الرسول إليه فأبى أن ينصرف، فتناوله بغير أمرى، ووالله ما أمرت به ولا رضيت، وها أنا، فليقتص منى. قال : وهذا من أنصف قول وأعدله^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٠٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٨

فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائيه

وروى سعيد بن خالد التجديلي، قال : لما قدم عبد الملك الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس يعرضهم على فرائضهم، فحضرنا بين يديه، فقال : من القوم ؟ قلنا : جديلة، فقال جديلة عدوان ؟ قلنا : نعم، فأنشده :

عذير الحى من عدوان كانوا حية الارض
بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضى : فلا ينقض ما يقضى

ومنهم من يجيز الناس بالسنة والقرض
ثم أقبل على رجل منا وسيم جسيم قدمناه أمامنا، فقال : أيكم يقول هذا الشعر؟ قال : لأدرى، فقلت أنا من خلفه : يقوله ذو الاصبع، فتركني وأقبل على ذلك الرجل الجسيم، فقال : ما كان اسم ذى الاصبع ؟ قال : لأدرى، فقلت أنا من خلفه : اسمه حرثان، فتركني وأقبل عليه، فقال له : ولم سمي ذا الاصبع ؟ قال : لا أدرى، فقلت أنا من خلفه : نهشته حية في إصبعه، فأقبل عليه وتركني، فقال : من أيكم كان ؟ فقال : لا أدرى فقلت أنا من خلفه : من بنى تاج الذين يقول الشاعر فيهم :

فأما بنو تاج فلا تذكرهم ولا تتبعن عيناك من كان هالكا

فأقبل على الجسيم، فقال : كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة درهم، فأقبل على، وقال : وكم عطاؤك أنت : قلت أربعمائيه، فقال : يا أبا الزعيزعة، حظ من عطاء هذا ثلثمائة، وزدها في عطاء هذا، فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائيه^(١).

وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة

وقلت لمتكلم من متكلمي الامامية يعرف بعلى بن تقى من بلدة النيل : وهل كانت فدك إلا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير ! فقال لى : ليس الامر كذلك بل كانت جليلة جدا وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الان من النخل وما قصد أبو بكر وعمر

بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى على بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة ولهذا أتبعنا ذلك بمنع فاطمة وعلى وسائر بنى هاشم وبنى المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته ويتصاغر عند نفسه ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة^(١).

رواه مشايخ الشيعة قبل أن يوجد جد أبي العيناء

قال المرتضى : وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني : قال : حدثني علي بن هارون قال : أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر عن أبيه قال : ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فدك وقلت له : إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء لأن الكلام منسوق البلاغ فقال لي : رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أولادهم وقد حدثني به أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جد أبي العيناء وقد حدث الحسين بن علوان عن عطية العوفى أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام. ثم قال أبو الحسن زيد : وكيف تنكرون هذا من كلام فاطمة عليها السلام وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام ويحققونه لو لا عداوتهم لنا أهل البيت^(٢).

غريب

روايتهم على أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو إسرافيل والحسن ميكائيل والحسين جبرائيل وفاطمة ملك الموت وآمنة أم النبي صلى الله عليه وآله ليلة القدر ! فإن صدقوا ذلك أيضاً قيل لهم : فعمر بن الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك^(٣).

أديان العرب في الجاهلية

فأما العرب. فقد كانوا أصنافاً شتى، فمنهم معطلة، ومنهم غير معطلة. فأما المعطلة

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٣٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٥٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٧١

منهم، فبعضهم أنكر الخالق والبعث والاعادة، وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم : (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)، فجعلوا الجامع لهم الطبع، والمهلك لهم الدهر. وبعضهم اعترف بالخالق سبحانه وانكر البعث، وهم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله : (قال من يحيى العظام وهى رميم). ومنهم من أقر بالخالق ونوع من الاعادة، وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام، وزعموا أنها شفعاء عند الله في الآخرة، وحجوا، لها ونحروا لها الهدى، وقربوا لها قربان، وحللوها وحرموها، وهم جمهور العرب، وهم الذين قال الله تعالى عنهم : (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق). فمن نطق شعره بإنكار البعث بعضهم يرثى قتلى بدر

فماذا بالقلب قلب بدر من الفتيان والقوم الكرام !

وماذا بالقلب قلب بدر من الشيزى تكلل بالسنام !

أيخبرنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام !

إذا ما الرأس زال بمنكبيه فقد شبع الانيس من الطعام

أقتلني إذا ما كنت حيا ويحييني إذا رمت عظامي !

وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح في الاجساد، ومن هؤلاء أرباب

الهامة، التى قال ﷺ عنهم : لا عدوى ولا هامة ولا صفر وقال ذو الاصبع :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وقالوا : إن ليلى الاخيلية لما سلمت على قبر توبة بن الحمير خرج إليها هامة من

القبر صائح، أفزعت ناقتها، فوقصت بها فماتت، وكان ذلك تصديق قوله :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت على ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقى إليها صدى من جانب القبر صائح

وكانوا في عبادة الاصنام مختلفين، فمنهم من يجعلها مشاركة للبارئ تعالى، ويطلق

عليها لفظة الشريك، ومن ذلك قولهم : في التلبية : لييك اللهم لييك : لا شريك لك، إلا

شريكا هو لك، تملكه وما ملك. ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك، ويجعلها وسائل

وذرائع إلى الخالق سبحانه، وهم الذين قالوا : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

وكان في العرب مشبهة ومجسمة، منهم امية بن أبى الصلت، وهو القائل :

من فوق عرش جالس قد حط رجليه إلى كرسیه المنصوب

وكان جمهورهم عبدة الاصنام،

فكان ود لكلب بدومة الجندل،

وسواع الهذيل،

ونسر لحمير،

ويغوث لهمدان،

واللات لثقيف بالطائف،

والعزى لكنانة وقريش وبعض بنى سليم،

ومناة لغسان والاوز والخزرج،

وكان هبل لقريش خاصة على ظهر الكعبة،

وأساف ونائلة على الصفا والمروة.

وكان في العرب من يميل إلى اليهودية، منهم جماعة من التبابعة وملوك اليمن،

ومنهم نصارى كبنى تغلب والعباديين رهط عدى بن زيد، ونصارى نجران،

ومنهم من كان يميل إلى الصابئة ويقول بالنجوم والانواء.

فأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب، فالقليل منهم، وهم المتألهون أصحاب الورع

والتحرج عن القبائح كعبد الله، وعبد المطلب وابنه أبي طالب، وزيد بن عمرو بن

نفيل، وقس بن ساعدة الأيادي، وعامر بن الظرب العدواني، وجماعة غير هؤلاء^(١).

الإمامية و الرجعة

الإمامية يقولون بالرجعة، ويزعمون أنه سيعاد قوم بأعيانهم من بنى أمية وغيرهم، إذا ظهر إمامهم المنتظر، وأنه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم، ويسمل عيون بعضهم، ويصلب قوما آخرين، وينتقم من أعداء آل محمد ﷺ المتقدمين والمتأخرين. وأما أصحابنا فيزعمون أنه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلا من ولد فاطمة عليها السلام ليس

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١١٧

موجود الآن، وأنه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما، وينتقم من الظالمين وينكل بهم أشد النكال، وأنه لام ولد، كما قد ورد في هذا الاثر وفي غيره من الآثار، وأن اسمه محمد، كاسم رسول الله ﷺ، وأنه إنما يظهر بعد أن يستولى على كثير من الاسلام ملك من أعقاب بنى أمية، وهو السفيناني الموعود به في الخبر الصحيح، من ولد أبى سفينان بن حرب بن أمية، وأن الامام الفاطمي يقتله ويقتل أشياعه من بنى أمية وغيرهم، وحينئذ ينزل المسيح عليه السلام من السماء، وتبدو أشراط الساعة، وتظهر دابة الارض، ويبطل التكليف، ويتحقق قيام الاجساد عند نفخ الصور، كما نطق به الكتاب العزيز. فإن قيل: فإنكم قلتما فيما تقدم: إن الوعد إنما هو بالسفاح وبعمه عبد الله بن علي، والمسودة، وما قلتموه الآن مختلف لذلك! قيل: إن ذلك التفسير هو تفسير ما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وهذا التفسير هو تفسير الزيادة التي لم يذكرها الرضى، وهى قوله بأبى ابن خيرة الاماء. وقوله: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، فلا مناقضة بين التفسيرين^(١).

ما قيل في قريش وعبد مناف

قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى لم يمسنى بسفاح في أرومتى منذ إسماعيل بن إبراهيم إلى عبد الله ابن عبد المطلب،
وقوله ﷺ: سادة أهل محشر، سادة أهل الدنيا: أنا وعلى وحسن وحسين وحمزة وجعفر،

وقوله وقد سمع رجلا ينشد:

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بأل عبد الدار!

أ هكذا قال يا أبا بكر! منكرا لما سمع، فقال أبو بكر: لا، يا رسول الله، إنه لم يقل هكذا ولكنه قال:

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بأل عبد مناف

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

فسر ﷺ بذلك ،

وقوله : " أذل الله من أذل قريشا ، قالها ثلاثا ،

وكقوله : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب

وكقوله : " الناس تبع لقريش ، برهم لبرهم ، وفاجرهم لفاجرهم ،

وكقوله : " أنا ابن الاكرمين " ،

قوله لبني هاشم : والله لا يبغضكم أحد إلا أكبه الله على منخريه في النار " ،

وقوله : " ما بال رجال يزعمون أن قرابتي غير نافعة ، بلى إنها لنافعة ، وإنه لا يبغض

أحد أهلى إلا حرمه الله الجنة " .^(١)

لو قتل النهدي يومئذ لقتل شهيدا

أن عليا ﷺ لما حد النجاشي غضبت اليمانية لذلك ، وكان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب النهدي ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما كنا نرى أن أهل المعصية والطاعة ، وأهل الفرقة والجماعد عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيان في الجزاء ، حتى رأينا ما كان من صنيعك بأخي الحارث ، فأوغرت صدورنا ، وشتت أمورنا ، وحملتنا على الجادة التي كنا نرى أن سبيل مركبها النار . فقال علي ﷺ : (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) ، يا أخا نهد ، وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله ، فأقمنا عليه حدا كان كفارته ! إن الله تعالى يقول : (ولا يجرمكم شنان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) قال : فخرج طارق من عنده ، فلقبه الاشتر ، فقال : يا طارق ، أنت القائل لامير المؤمنين : (أوغرت صدورنا ، وشتت أمورنا) ؟ قال طارق : نعم ، أنا قائلها قال : والله ما ذاك كما قلت ، إن صدورنا له لسامعة ، وإن أمورنا له لجامعة . فغضب طارق وقال : ستعلم يا أشتر أنه غير ما قلت ، فلما جنه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية ، فلما قدما عليه ، دخل آذنه فأخبره بقدمهما ، وعنده وجوه أهل الشام ، منهم عمرو بن مرة الجهني وعمرو بن صيفي وغيرهما ، فلما دخلا نظر إلى طارق ، وقال : مرحبا بالمورق غصنه ، والمعرق أصله ، المسود غير المسود ، من رجل كانت منه

هفوة ونبوة، باتباعه صاحب الفتنة، ورأس الضلالة والشبهة، الذي اغترز في ركاب الفتنة حتى استوى على رجلها، ثم

أوجف في عشوة ظلمتها وتيه ضلالتها، واتبعه رجرجة من الناس، وأشبابه من الحثالة لا أفئدة لهم : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها). فقام طارق، فقال : يا معاوية إنى متكلم فلا يسخطك، ثم قال : وهو متكئ على سيفه : إن المحمود على كل حال رب علا فوق عباده، فهم منه بمنظر ومسمع، بعث فيهم رسولا منهم، يتلو كتابا لم يكن من قبله ولا يخطه بيمينه، إذا لارتاب المبطلون، فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين برا رحيفا ! أما بعد، فإن ما كنا نوضع فيما أوضعنا فيه بين يدي إمام تقى عادل، مع رجال من أصحاب رسول الله ﷺ، أتقياء مرشدين، ما زالوا منارا للهدى، ومعالم للدين، خلفا عن سلف مهتدين، أهل دين لا دنيا، كل الخير فيهم، واتبعهم من الناس ملوك وأقيال، وأهل بيوتات وشرف، ليسوا بناكثين ولا قاسطين، فلم يكن رغبة من رغب عنهم وعن صحبتهم إلا لمرارة الحق حيث جرعوها، ولو عورته حيث سلكوها، وغلبت عليهم دنيا مؤثرة، وهو متبع، وكان أمر الله قدرا مقدورا، وقد فارق الاسلام قبلنا جبلة بن الايهم فرارا من الضيم، وأنفا من الذلة، فلا تفخرون يا معاوية، إن شددنا نحوك الرحال، وأوضعنا إليك الركاب. أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولجميع المسلمين. فعظم على معاوية ما سمعه وغضب، لكنه أمسك، وقال : يا عبد الله، إنا لم نرد بما قلناه أن نوردك مشرع ظمأ، ولا أن نصدرك عن مكرع رى، ولكن القول قد يجرى بصاحبه إلى غير ما ينطوى عليه من الفعل، ثم أجلسه معه على سريره، ودعا له بمقطعات وبرود فصبها عليه، وأقبل نحوه بوجهه يحدثه حتى قام. وقام معه عمرو بن مرة وعمرو بن صيفي الجهنيان، فأقبلا عليه بأشد العتاب وأمضه، يلومانه في خطبته، وما واجه به معاوية. فقال طارق : والله ما قمت بما سمعتماه حتى خيل لى أن بطن الارض خير لى من ظهرها عند سماعي ما أظهر من العيب والنقص لمن هو خير منه في الدنيا والاخرة، وما زهت به نفسه، وملكه عجبه، وعاب أصحاب رسول الله ﷺ واستنقصهم، فقامت مقاما أوجب الله على فيه ألا أقول إلا حقا، وأى خير فيمن لا ينظر ما يصير إليه غدا ! فبلغ عليا عليه السلام قوله، فقال : لو قتل النهدي يومئذ لقتل شهيدا^(١).

ارجع إلى عملك

استعمل عمر رجلا من قریش على عمل، فبلغه عنه انه قال :

اسقنى شربة تروى عظامي واسق بالله مثلها ابن هشام

فاشخصه إليه وفطن القرشي، فضم إليه بيتا آخر، فلما مثل بين يديه قال له انت القائل : اسقنى شربة تروى عظامي قال : نعم يا أمير المؤمنين، فهلا ابليك الواشى ما بعده؟ قال : ما الذى بعده؟ قال : عسلا باردا بماء غمام اننى لا احب شرب المدام قال آله آله ! ثم قال : ارجع إلى عملك^(١).

ليت الراوى لم يكن هذه الكناية، وكان يذكرها بإسمها

كان ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أحدا تسقى الماء، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ : لمقام نسبية بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان. وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا. قلت ليت الراوى لم يكن هذه الكناية، وكان يذكرها بإسمها حتى لا تتراعى الظنون إلى أمور مشتبهة ومن أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئا، فما باله كتم اسم هذين الرجلين^(٢).

عددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر

لما حضرت نسبية الوفاة، كنت فيمن غسلها فعددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر، وكانت تقول إنى لانظر إلى ابن قمية وهو يضربها على عاتقها - وكان أعظم جراحها، لقد داوته سنة - ثم نادى منادى النبي ﷺ بعد انقضاء أحد : إلى حمراء الاسد فشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نرف الدم، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح، حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله من حمراء الاسد، لم يصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازنى يسأل عنها، فرجع إليه فأخبره بسلامتها، فسر بذلك^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٦٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٦٦

المغيرة بن سعيد المغالي

جاء المغيرة بن سعيد، فاستأذن على أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين، وقال له : أخبر الناس أني أعلم الغيب، وأنا أطعمك العراق. فزجره أبو جعفر زجرا شديدا، وأسمعه ماكره، فانصرف عنه، فأتى أبا هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية رحمه الله، فقال له مثل ذلك - وكان أبو هاشم أيدا - فوثب عليه فضربه ضربا شديدا أشفى به على الموت، فتعالج حتى برئ، ثم أتى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن رحمه الله - وكان محمد سكيئا فقال له كما قال للرجلين، فسكت محمد فلم يجبه، فخرج وقد طمع فيه بسكوته، وقال : أشهد أن هذا هو المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ، وأنه قائم أهل البيت، وأدعى أن علي بن الحسين ﷺ أوصى إلى محمد بن عبد الله بن الحسن. ثم قدم المغيرة الكوفة، وكان مشعبذا، فدعا الناس إلى قوله، واستهواهم واستغواهم، فاتبعه خلق كثير، وادعى، على محمد ابن عبد الله أنه أذن له في خنق الناس وإسقاتهم السموم، وبث أصحابه في الاسفار يفعلون ذلك بالناس، فقال له بعض أحابه : إنا نخنق من لا نعرف، فقال : لا عليكم ! إن كان من أصحابكم عجلتموه إلى الجنة، وأن كان من عدوكم عجلتموه إلى النار، ولهذا السبب كان المنصور يسمى محمد بن عبد الله الخناق، وينحله ما ادعاه عليه المغيرة^(١).

اثار صاحب الزنج في البصرة

استخفى من سلم من أهل البصرة من صاحب الزنج في آبار الدور، فكانوا يظهرون ليلا، فيطلبون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها، والفار والسنائير. فأفئوها حتى لم يقدرها على شيء منها، فصاروا إذا مات الواحد منهم أكلوه، فكان يراعى بعضهم موت بعض، ومن قدر على صاحبه قتله وأكله، وعدموا مع ذلك الماء، وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة قد احتضرت، وعندها أختها وقد احتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلوا لحمها، قالت المرأة : فما ماتت حسناء حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها فأكلناه، ولقد حضرت أختها ونحن على شريعة عيسى بن حرب وهي تبكي ومعها رأس الميت، فقال لها قائل : ويحك ! مالك تبكين ! فقالت : اجتمع هؤلاء على أختي فما تركوها تموت

حسنا حتى قطعوها، وظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئا إلا الرأس، وإذا هي تبكى شاكية من ظلمهم لها في أختها. قال : وكان مثل هذا وأكثر منه وأضعافه، وبلغ من أمر عسكره أنه ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من أشرف قريش، فكانت الجارية تباع منهم بدرهمين وبثلاثة دراهم، وينادى عليها بنسبها : هذه ابنة فلان بن فلان، وأخذ كل زنجي منهم العشرين والثلاثين يطؤون الزنج ويخدمون النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف، ولقد استغاثت إلى صاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن علي عليه السلام، وكانت عند بعض الزنج وسألته، أن يعتقها مما هي فيه، أو ينقلها من عنده إلى غيره، فقال لها : هو مولاك، وهو أولى بك^(١).

شبهة قبر المغيرة

عن الحسن بن علي الخلال، عن جده، قال : قلت للحسين بن علي عليه السلام : أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال : خرجنا به ليلا من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس، ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغرى.

قال ابن أبي الحديد : وهذه الرواية هي الحق وعليها العمل، وقد قلنا فيما تقدم أن أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الاجانب، وهذا القبر الذي بالغرى، هو الذي كان بنو علي يزورونه قديما وحديثا، ويقولون : هذا قبر أبينا لا يشك أحد في ذلك من الشيعة، ولا من غيرهم، أعنى بنى علي من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالة المتقدمين منهم والمتأخرين، مازاروا ولا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه

وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم وفاه أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسى المعروف بأبي، لجودة قراءته قال : توفي أبو الغنائم هذا في سنة عشر وخمسمائة، وكان محدثا من أهل الكوفة ثقة حافظا، وكان من قوام الليل ومن أهل السنة، وكان يقول. ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنأ وأصحاب الحديث غيرى، وكان يقول : مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفا إلا قبر أمير المؤمنين، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الان، جاء جعفر بن محمد عليه السلام وأبوه محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام إليه، فزاراه ولم يكن إذ ذاك

قبرا معروفا ظاهرا، وإنما كان به سرح عشاء حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب
الديلم، فآظهر القبر

وسالت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في
تاريخه، أن قوما يقولون : إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر
المغيرة بن شعبة، فقال : غلطوا في ذلك، قبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة،
ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا. وأنشدني قول الشاعر يرثي زيادا، وقد ذكره
أبو تمام في الحماسة :

صلى الاله على قبر وطهره عند الثوية يسفى فوقه المور
زفت إليه قريش نعش سيدها فالحلم والجود فيه اليوم مقبور
أبا المغيرة والدنيا مفجعة وإن من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة وكان عندك للمنكور تنكير
وكنت تغشى وتعطى المال من سعة فالיום قبرك أضحى وهو مهجور
والناس بعدك قد خفت حلومهم كأنما نفخت فيه الاعاصير

وسألت قطب الدين نقيب الطالبين أبا عبد الله الحسين بن الاقساسى رحمه الله
تعالى عن ذلك، فقال : صدق من أخبرك نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوية،
وهى إلى اليوم معروفة، وقبر المغيرة فيها، إلا أنها لا تعرف، وقد ابتلعها السبخ وزيد
الأرض وفورانها، فطمست واختلط بعضها ببعض. ثم قال : إن شئت أن تتحقق أن قبر
المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب الاغانى لأبى الفرج على بن الحسين، والمح
ماقاله في ترجمة المغيرة، وأنه مدفون في مقابر ثقيف، ويكفيك قول أبى الفرج، فإنه
الناقد البصير، والطبيب الخبير، فتصفحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور، فوجدت
الامر كما قاله النقيب^(١).

هذه الابيات احسن ما قيل في الفناء

قال عدى بن زيد :

ايها الشامت المعير بالدهر انت المبرا الموفور

ام لديك العهد الوثيق من الايام بل انت جاهل مغرور
من رايت المنون خلدن ام من ذا عليه من أن يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك انو شروان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم ولم يبق منهم مذكور
واخو الحضير إذ بناه واذ دجلة تجبى إليه والخابور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
شاده مرمرًا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
وتبين رب الخورنق إذ اشرف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبطه حى إلى الممات بصير
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارثهم هناك القبور
ثم اضحو كأنهم ورق جف فالوت به الضبا والذبور
قد اتفق الناس على أن هذه الابيات احسن ما قيل من القريض في هذا المعنى وأن
الشعراء كلهم اخذوا منها واحتذوا في هذا المعنى حذوها.
وقال الرضى أبو الحسن رضى الله عنه :

انظر إلى هذا الانام بعبرة لا يعجرك خلقه ورواؤه
فتراه كالورق النضير تقصفت اغصانه وتسلبت شجراؤه
انى تحاماه المنون وانما خلقت مراعى للردى خضراؤه
ام كيف تأمل فلتة اجساده من ذا الزمان وحشوها ادواؤه
لا تعجبين فما العجيب فناؤه بيد المنون بل العجيب بقاؤه
انا لنعجب كيف حم حمامة عن صحة ويغيب عنا داؤه
من طاح في سبل الردى آباؤه فليسلكن طريقهم ابناؤه
ومؤمر نزلوا به في سوقه لا شكله فيهم ولا نظراؤه
قد كان يفرق ظله اقرانه ويغض دون جلاله اكفاؤه

ومحجب ضربت عليه مهابة يعشى العيون بهاؤه وضياؤه
 نادته من خلف الحجاب منية امم فكان جوابها حوباؤه
 شقت إليه سيوفه ورماحه واميط عنه عبيده واماؤه
 لم يغنه من كان ود لو انه قبل المنون من المنون فداؤه
 حرم عليه الذل الا انه ايدا ليشهد بالجلال بناؤه
 متخشع بعد الانيس جنابه متضائل بعد القطين فناؤه
 عريان تطرد كل ريح تربه ويطيح اول امرها حصباؤه
 ولقد مررت ببرزخ فسألته اين الالى ضمتهم ارجاؤه
 مثل المطى بواركا اجدائه تسفى على جنباؤها بوغاؤه
 ناديته فخفي على جوابه بالقول الا ما زقت اصداؤه
 من ناظر مطروفة الحاظه أو خاطر مظلولة سوداؤه
 أو واجد مكظومة زفراته أو حاقد منسية شحناؤه
 ومسندين على الجنوب كأنهم شرب تخاذل بالطلا اعضاؤه
 تحت الصعيد لغير اشفاق إلى يوم المعاد يضمهم احشاؤه
 اكلتهم الارض التى ولدتهم اكل الضروس حلت له اكلاؤه
 وقال ايضا :

وتفرق البعداء بعد تجمع صعب فكيف تفرق القرباء
 وخلائق الدنيا خلائق موسم للمنع آونة وللإعطاء
 طورا تبادللك الصفاء وتارة تلك تنكرها من البغضاء
 وتداول الايام يبيلنا كما يبلى الرشاء تطاوح الارجاء

وكان طول العمر راحة راكب قضى اللغوب وجد في الإسراء
 لهفى على القوم الاولى غادرتهم وعليهم طبق من البيداء
 متوسدين على الخدود كأنما كرعوا على ظما من الصهباء

صور ضننت على العيون بلحظها امسيت اوقرها من البوغاء
ونواظر كحل التراب جفونها قد كنت احرسها من الاقضاء
قربت ضرائحهم على زوارها وناوا عن الطلاب أي تناء
ولبث ما يلقي بعقر ديارهم اذن المصيخ بها وعين الرائي^(١).

أفناكح في النار خير أم منكوح

قال معاوية : يا أبا يزيد ما ظنك بعمك أبي لهب ! قال : إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشا عمته حمالة الحطب، أفناكح في النار خير أم منكوح ! قال : كلاهما شر، والله^(٢).

البصرة بلدة ما رأيت لك بها محبا

عن أبي ناجية مولى أم هانئ، قال : كنت عند علي عليه السلام، فأناه رجل عليه زى السفر. فقال : يا أمير المؤمنين، إنى أتيتك من بلدة ما رأيت لك بها محبا، قال : من أين أتيت؟ قال : من البصرة، قال : أما إنهم لو يستطيعون أن يحبوني لاحبوني، إنى وشيعتي في ميثاق الله لا يزداد فينا رجل لا ينقص إلى يوم القيامة^(٣).

ما ظننت أن الله ينفع أحدا بشعر عمر بن أبي ربيعة

قال ابن جريج، ما ظننت أن الله ينفع أحدا بشعر عمر بن أبي ربيعة، حتى كنت باليمن، فسمعت منشدا ينشد قوله :

بالله قولاً له في غير معتبة ما ذا أردت بطول المكث في اليمن !

إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن !

فحركني ذلك على ترك اليمن، والخروج إلى مكة، فخرجت فحججت^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٧١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٤

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٢٥

قبح الله من لا أدب

أنشد منشد بحضرة الواصل هارون بن المعتصم :

أظلموم إن مصابكم رجلا إهدى السلام تحيه ظلم.

قال شخص : رجل هو خبر إن، ووافقه على ذلك وقم وخالفه آخرون فقال الواصل :

من بقى من علماء النحويين ؟ قالوا : أبو عثمان المازني بالبصرة، فأمر بإشخاصه إلى سر من رأى بعد إزاحه علته، قال أبو عثمان فأشخصت، فلما أدخلت عليه قال : ممن الرجل ؟ قلت : من مازن، قال : من مازن تميم، أم من مازن ربيعة، أم مازن قيس، أم مازن اليمين ؟ قلت : من مازن ربيعة، قال : باسمك ؟ بالباء ؟ - يريد : ما اسمك لان لغة مازن ربيعة هكذا، يبدلون الميم باء والباء ميما - فقلت : مكر أي بكر، فضحك وقال : اجلس واطمئن، فجلست فسألني عن البيت فأنشدته منصوبا، فقال : فأين خبر إن ؟ فقلت : ظلم قال : كيف هذا ؟ قلت : يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن البيت إن لم يجعل ظلم خبر إن يكون مقطوع المعنى معدوم الفائدة ! فلما كررت القول عليه فهم، وقال : قبح الله من لا أدب له، ثم قال : ألك ولد ؟ قلت : بنية، قال : فما قالت لك حين ودعتها ؟ قلت : ما قالت بنت الاعشى :

تقول ابنتي حين جد الرحيل أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا فلا رمت من عندنا فإننا بخير إذا لم ترم
أبانا إذا أضمرتك البلاد نجفى وتقطع منا الرحم.

قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت أنشدتها بيت جرير :

ثقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
فقال : ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى، ثم أمر لى بألف دينار وكسوة، وردنى إلى البصرة^(١).

أن عليا عليه السلام ما فرقى زحفا قط

قيل لأبى عبد الله البصري : أتجد في النصوص ما يدل على تفضيل علي عليه السلام،

بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه، فإن ذاك أمر مفروغ منه؟ فذكر حديث الطائر المشوى، وأن المحبة من الله تعالى إرادة الثواب. فقليل له: قد سبقك الشيخ أبو على رحمه الله تعالى إلى هذا، فهل تجد غير ذلك قال: نعم قول الله تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)، فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثبوت البنيان المرصوص، فكل من زاد ثباته، زادت المحبة له، ومعلوم أن علياً عليه السلام ما فرفى زحف قط، وفر غيره في غير موطن^(١).

إنه ليس خلفي مدد

حاصرت الترك مدينة بردعة من أعمال أذربيجان في أيام هشام بن عبد الملك حصاراً شديداً، واستضعفتها وكادت تملكها، وتوجه إليها لمعاونتها سعيد الحرشى من قبل هشام بن عبد الملك في جيوش كثيفة، وعلم الترك بقربه منهم فخافوا، وأرسل سعيد واحداً من أصحابه إلى أهل بردعة سرا يعرفهم وصوله، ويأمرهم بالصبر خوفاً ألا يدركهم، فسار الرجل، ولقيه قوم من الترك، فأخذوه وسألوه عن حاله، فكتمهم فعذبوه، فأخبرهم وصدقهم فقالوا: إن فعلت ما نأمرك به أطلقناك، وإلا قتلناك، فقال: ما تريدون؟ قالوا: أنت عارف بأصحابك ببردعة وهم يعرفونك، فإذا وصلت تحت السور فنادهم: إنه ليس خلفي مدد، ولا من يكشف ما بكم، وإنما بعثت جاسوساً. فأجابهم إلى ذلك، فلما صار تحت سورها، وقف حيث يسمع أهلها كلامه، وقال لهم: أتعرفونني؟ قالوا: نعم، أنت فلان ابن فلان، قال: فإن سعيداً الحرشى قد وصل إلى مكان كذا في مائة ألف سيف، وهو يأمركم بالصبر وحفظ البلد، وهو مصبحكم أو ممسيكم، فرفع أهل بردعة أصواتهم بالتكبير، وقتلت الترك ذلك الرجل، ورحلوا عنها ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين^(٢).

أمر المهاجرين والانصار بعد بيعة أبي بكر

لما بايع بشير بن سعد أبا بكر، وازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه، مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه على بن أبى طالب عليه السلام، فوقف وأنشد:

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٧٦

بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تميم بن مرة أو عدى
 فما الامر إلا فيكم واليكم وليس لها إلا أبو حسن علي
 أبا حسن فاشدد بها كف حازم فإنك بالامر الذي يرتجى ملى
 وأى امرئ يرمى قصيا ورأيها منبع الحمى والناس من غالب قصى
 فقال علي لأبي سفيان : إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه، وقد عهد إلى رسول
 الله ﷺ عهدا فإننا عليه، فتركه أبو سفيان وعدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله،
 فقال : يا أبا الفضل، أنت أحق بميراث ابن أخيك، امدد يدك لا بايعك، فلا يختلف
 عليك الناس بعد بيعتى إياك. فضحك العباس، وقال : يا أبا سفيان، يدفعها على ويطلبها
 العباس ! فرجع أبو سفيان خائبا^(١).

من شعر الحماسة

ومن شعر الحماسة :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الابطال ويحك لا تراعى
 فإنك لو سألت بقاء يوم على الاجل الذى لك لم تطاعى
 فصبرا في مجال الموت صبورا فما نيل الخلود بمستطاع
 ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع
 سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لاهل الارض داع
 ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع
 وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع^(٢).

كتابا حمل على جمل لعظمه وكثرته

كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد إلى أبي مسلم كتابا، حمل على
 جمل لعظمه وكثرته. وقيل : إنه لم يكن في الطول إلى هذه الغاية، وقد حمل على جمل

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٧٧

تعظيماً لامره، وقال لمروان بن محمد : إن قرأه خالياً نخب قلبه، وإن قرأه في ملا من أصحابه ثبطهم وخذلهم، فلما وصل إلى أبي مسلم أحرقه بالنار ولم يقرأه، وكتب على بياض كان على رأسه وأعادته إلى مروان :

محا السيف أسطار البلاغة وانتحت إليك ليوث الغاب من كل جانب

فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذة يهون عليها العتب من كل عاتب

ويقال : إن أول الكتاب كان : لو أراد الله بالنملة صلاحاً، لما أنبت لها جناحاً. وكتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار، وهو أول كتاب صدر عن أبي مسلم إلى نصر، وذلك حين لبس السواد، وأعلن بالدعوة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة : أما بعد فإن الله جل ثناؤه ذكر أقواماً فقال : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) فلما ورد الكتاب إلى نصر تعاضمه أمره، وكسر له إحدى عينيه، وقال : إن لهذا الكتاب لآخوات، وكتب إلى مروان يستصرخه، وإلى يزيد بن هبيرة يستنجده، فقعدا عنه حتى أفضى ذلك إلى خروج الأمر عن بني عبد شمس^(١).

عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص في الحبشة

كان عمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص بن وائل، بعد مبعث رسول الله ﷺ، خرجا إلى أرض الحبشة على شركهما، وكلاهما كان شاعراً عارماً فاتكاً. وكان عمارة بن الوليد رجلاً جميلاً وسيماً تهواه النساء، صاحب محادثة لهن. فركبا البحر ومع عمرو بن العاص امرأته، حتى إذا صاروا في البحر ليالى أصابا من خمر معهما، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص : قبليني، فقال لها عمرو : قبلي ابن عمك، فقبلته فهويها عمارة، وجعل يراودها عن نفسها، فامتنعت منه. ثم إن عمراً جلس على منجاف السفينة يبول، فدفعه عمارة في البحر فلما وقع عمرو وسبح، حتى أخذ بمنجاف السفينة، فقال له عمارة : أما والله لو علمت أنك سابح ما طرحتك، ولكنني كنت أظن أنك لا تحسن السباحة، فضغن عمرو عليه في نفسه، وعلم أنه كان أراد قتله، ومضيا على

وجهمها ذلك، حتى قدما أرض الحبشة. فلما نزلها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل : أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بنى المغيرة وسائر بنى مخزوم، وخشى على أبيه أن يتبع بجريرته. فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل، مشى إلى رجال بنى المغيرة وبنى مخزوم، فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتك صاحب شر، غير مأمونين على أنفسهما، ولا أدري ما يكون منهما، وإنى أبرأ إليكم من عمرو وجريرته، فقد خلعتهم. فقال عند ذلك بنو المغيرة وبنو مخزوم : وأنت تخاف عمرا على عمارة ! ونحن فقد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته، فحل بين الرجلين. قال قد فعلت، فخلعوهما وبرئ كل قوم من صاحبهم وما يجرى منه. قال : فلما اطمأنا بأرض الحبشة، لم يلبث عمارة بن الوليد أن دب لامرأة النجاشي، وكان جميلا صبيحا وسيما، فادخلته، فاختلف إليها، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمرا بما كان من أمره، فيقول عمرو : لا أصدقك أنك قدرت على هذا، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك، فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره - وكان عمرو قد علم صدقه، وعرف أنه دخل عليها، ورأى من حاله وهيئته وما تصنع المرأة به إذا كان معها، وبيتوته عندها، حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك، وكانا في منزل واحد، ولكنه كان يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه، إن هو رفع شأنه إلى النجاشي - فقال له في بعض ما يتذاكران من أمرها : إن كنت صادقا، فقل لها : قلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره، فإني أعرفه، وائتنى بشيء منه حتى أصدقك، قال : أفعل. فجاء في بعض ما يدخل إليها، فسألها ذلك، فدهنته منه، وأعطته شيئا في قارورة، فلما شمه عمرو عرفه، فقال : أشهد أنك قد صدقت ! لقد أصبت شيئا ما أصاب أحد من العرب مثله قط، ونلت من امرأة الملك شيئا ما سمعنا بمثل هذا. وكانوا أهل جاهلية وشبانا، وذلك في أنفسهم فضل لمن أصابه وقدر عليه. ثم سكت عنه حتى اطمأن، ودخل على النجاشي، فقال : أيها الملك، إن معي سفية من سفهاء قريش، وقد خشيت أن يعرني عندك أمره، وأردت أن أعلمك بشانه، وألا أرفع ذلك إليك حتى أستثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر. وهذا دهنك قد أعطته وادهن به. فلما شم النجاشي الدهن قال : صدقت، هذا دهنى الذى لا يكون إلا عند نسائي، فلما أثبت أمره، دعا بعمارة، ودعا نسوة آخر فجردوه من ثيابه، ثم أمرهن أن ينفخن في إحليله، ثم خلى سبيله. فخرج هاربا في الوحش، فلم يزل في أرض الحبشة، حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب، فخرج إليه رجال من بنى المغيرة، منهم

عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة، وكان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجيرا، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله، فرصدوه على ماء بأرض الحبشة، كان يرده مع الوحش، فزعموا أنه أقبل حمر من حمر الوحش ليرد معها، فلما وجد ريح الانس، هرب منه، حتى إذا أجهده العطش، ورد فشرب حتى تملأ، وخرجوا في طلبه. قال عبد الله بن أبي ربيعة: فسبقت إليه فالتزمته، فجعل يقول: أرسلني، إنى أموت إن أمسكتني. قال عبد الله: فضبطته فمات في يدي مكانه، فواروه ثم انصرفوا. وكان شعره - فيما يزعمون - قد غطى كل شيء منه، فقال عمرو بن العاص، يذكر ما كان صنع به وما أراد من امرأته:

تعلم عمار أن من شر سنة على المرء أن يدعى ابن عم له ابنا
أن كنت ذا بردين أحوى مرجلا فليست براع لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما^(١).

عبد الله بن العباس ورجال قريش في مجلس معاوية

روى المدائني أيضاً قال: وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرة، فقال معاوية لابنه يزيد، ولزياد بن سمية وعتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن أم الحكم: إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس، وما كان شجر بيننا وبينه وبين ابن عمه، ولقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه، فحركوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته، ونقف على كنه معرفته، ونعرف ما صرف عنا من شبا حده، وزوى عنا من دهاء رأيه) فربما وصف المرء بغير ما هو فيه، وأعطى من النعت والاسم ما لا يستحقه. ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس، فلما دخل واستقر به المجلس، ابتدأه ابن أبي سفيان فقال: يا بن عباس، ما منع عليا أن يوجه بك حكما؟ فقال: أما والله لو فعل لقرن عمرا بصعبة من الأبل، يوجع كفه مراسها، ولاذهلت عقله، وأجرضته بريقه، وقدحت في سويداء قلبه، فلم يبرم أمرا، ولم ينفض ترابا، إلا كنت منه بمراى ومسمع، فإن أنكأه أدميت قواه، وإن أدمه فصمت عراه، بغرب مقول لا يقل حده، وأصاله رأى كمتاح الاجل لا وزر منه، أصدع به أديمه وأفل به شبا

حده وأشحد به عزائم المتقين، وأزيح به شبه الشاكين. فقال عمرو بن العاص: هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم أول الشر، وأقول آخر الخير، وفي حسمه قطع مادته، فبادره بالحملة، وانتهز منه الفرصة، واردع بالتنكيل به غيره، وشرده به من خلفه. فقال ابن عباس: يابن النابغة، ضل والله عقلك وسفه حلمك، ونطق الشيطان على لسانك، هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفين حين دعيت نزال، وتكافح الأبطال، وكثرت الجراح، وتقصفت الرماح، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصلولا، فانكفاً نحوك بالسيف حاملا، فلما رأيت الكواشر من الموت، أعددت حيلة السلامة قبل لقائه، والانكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته - رجاء النجاة - عورتك، وكشفت له خوف بأسه سواتك، حذرا أن يصطلمك بسطوته، ويلتهمك بحملته، ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته، وحسنت له التعرض لمكافحته، رجاء أن تكتفى مؤنته، وتعدم صورته، فعلم غل صدرك، وما انحنت عليه من النفاق أضلعك، وعرف مقر سهمك في غرضك. فاكفف غرب لسانك، واقمع عوراء لفظك، فإنك لمن أسد خادر وبحر زاخر إن تبرزت للاسد افترسك، وإن عمت في البحر قمسك. فقال مروان بن الحكم: يابن عباس إنك لتصرف أنيابك، وتورى نارك، كأنك ترجو الغلبة وتؤمل العافية، ولو لا حلم أمير المؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله، فأوردكم منهلا بعيدا صدره، ولعمري لئن سطا بكم لياخذن بعض حقه منكم، ولئن عفا عن جرائمكم فقديما ما نسب إلى ذلك. فقال ابن عباس: وإنك لتقول ذلك يا عدو الله، وطريد رسول الله، والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعيته، بما حملهم على قطع أوداجه، وركوب أثباجه! أما والله لو طلب معاوية ثأره لاخذك به، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره. وأما قولك لى: (إنك لتصرف أنيابك، وتورى نارك)، فسل معاوية وعمرا يخبرك ليلة الهرير، كيف ثباتنا للمثلات، واستخفافنا بالمعضلات، وصدق جلاذنا عند المصاولة وصبرنا على اللأواء والمطاولة، ومصافحتنا بجباهنا السيوف والمرهفة، ومباشرتنا بنحورنا حد الاسنة، هل خمننا عن كرائم تلك المواقف؟ أم لم نبذل مهجتنا للمتالف؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود، ولا يوم مشهود، ولا أثر معدود، وإنهما شهدا ما لو شهدت لاقلقك فاربع على ظلمك، ولا تتعرض لما ليس لك، فإنك كالمغروز في صغد، لا يهبط برجل، ولا يرقى بيد. فقال زياد: يابن عباس، إنى لأعلم ما منع حسنا وحسينا من الوفود معك على أمير المؤمنين إلا ما سولت لهما أنفسهما، وغرهما به من هو عند البأساء سلمهما، وإيم الله لو وليتهما

لادأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما، ولقل بمكانهما لبثهما. فقال ابن عباس : إذن والله يقصر دونهما باعك، ويضيق بهما ذراعك، ولو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقا، صبرا على البلاء، لا يخيمون عن اللقاء، فلعركوك بكلاكلهم، ووطثوك بمناسمهم، وأوجروك مشق رماحهم، وشفار سيوفهم ووخز أسنتهم، حتى تشهد بسوء ما أتيت، وتبين ضياع الحزم فيما جنيت، فحذار حذار من سوء النية فتكافأ برد الامنية، وتكون سببا لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما، وسعيا في اختلافها، بعد ائتلافهما، حيث لا يضرهما إيساسك ولا يغنى عنهما إيناسك. فقال عبد الرحمن بن أم الحكم : لله در ابن ملجم ! فقد بلغ الامل، وأمن الوجل، وأحد الشفرة والان المهرة، وأدرك النار، ونفى العار، وفاز بالمنزلة العليا، ورقى الدرجة القصوى. فقال ابن عباس : أما والله : لقد كرع كأس حتفه بيده، وعجل الله إلى النار بروحه، ولو أبدى لامير المؤمنين صفحته لخالطه الفحل القطم، والسيف الخدم، ولالعقه صابا، وسقاء سما، وألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة، فكلهم كان أشد منه شكيمة، وأمضى عزيمة، ففرى بالسيف هامهم، ورملمهم بدمائهم، وقرى الذئاب أشلاءهم، وفرق بينهم وبين أحبائهم : (أولئك حصب جهنم هم لها واردون)، وهل (تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا، ولا غرو إن ختل، ولا وصمة إن قتل، فإننا لكما قال دريد بن الصمة :

فإننا للحم السيف غير مكره ونلحمه طورا وليس بذى نكر

يغار علينا واترين فيشتفى بنا إن أصبنا، أو نغير على وتر

فقال المغيرة بن شعبة : أما والله لقد أشرت على علي بالنصيحة فآثر رأيه، ومضى على غلوائه، فكانت العاقبة عليه لاله، وإني لاحسب أن خلقه يقتدون بمنهجه. فقال ابن عباس : كان والله أمير المؤمنين ﷺ أعلم بوجوه الرأي ومعاهد الحزم، وتصريف الامور، من أن يقبل مشورتك، فيما نهى الله عنه، وعنف عليه، قال سبحانه : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله...) إلى آخر الاية، ولقد وقفك على ذكر مبين، وآية متلوة قوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين عضدا)، وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفئ المؤمنين، من ليس بمأمون عنده، ولا موثوق به في نفسه؟ هيهات هيهات ! هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلا للتقية، ولات حين تقية ! مع وضوح الحق، وثبوت الجنان، وكثرة الانصار، يمضى

كالسيف المصلت في أمر الله، مؤثرا لطاعة ربه، والتقوى على آراء أهل الدنيا. فقال يزيد بن معاوية. يا بن عباس، إنك لتنطق بلسان طلق ينبئ عن مكنون قلب جرق، فاطو ما أنت عليه كشحا، فقد محاضروا حقا ظلمة باطلكم. فقال ابن عباس : مهلا يزيد، فوالله ما صفت القلوب لكم منذ تكدرت بالعداوة عليكم، ولا دنت بالمحبة إليكم مذنات بالبغضاء عنكم، ولا رضيت اليوم منكم ما سخطت بالامس من أفعالكم، وإن تدل الأيام نستقض ماسد عنا، ونسترجع ما ابتزمتنا، كيلا بكيل، ووزنا بوزن، وإن تكن الاخرى فكفى بالله وليا لنا، ووكيلا على المعتدين علينا. فقال معاوية : إن في نفسي منكم لحزازات يا بنى هاشم، وأنى لخليق أن أدرك فيكم الثار، وأنفى العار، فإن دماءنا قبلكم، وظلامتنا فيكم. فقال ابن عباس : والله إن رمت ذلك يا معاوية لتشيرن عليك أسدا مخدرة، وأفاعي مطرقة، لا يفثؤها كثرة السلاح، ولا يعضها نكاية الجراح، يضعون أسيافهم على عواتقهم، يضربون قدما قدما من ناوأهم، يهون عليهم نباح الكلاب وعواء الذئاب، لا يفاتون بوتر، ولا يسبقون إلى كريم ذكر، قد وطنوا على الموت أنفسهم، وسمت بهم إلى العلياء هممهم، كما قالت الازدية :

قوم إذا شهدوا الهياج فلا ضرب ينهنيهم ولا زجر
وكأنهم آساد غينة قد غرثت وبل متونها القطر.
فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك، وكان أكبر همك سلامة حشاشة نفسك، ولولا طعام من أهل الشام وقوك بأنفسهم، وبذلوا دونك مهجهم، حتى إذا ذاقوا وخز الشفار، وأيقنوا بحلول الدمار، رفعوا المصاحف مستجيرين بها، وعائذين بعصمتها لكنت شلوا مطروحا بالعراء، تسفى عليك رياحها، ويعتورك ذبابها. وما أقول هذا أريد صرفك عن عزيزتك، ولا إزالتك عن معقود نيتك، لكن الرحم التي تعطف عليك، والوامر التي توجب صرف النصيحة إليك. فقال معاوية : لله درك يا بن عباس ! ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل، ورأى أصيل ! وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم، ولو لم يكن لاهلك سواك لكان الله قد كثرهم. ثم نهض، فقام ابن عباس وانصرف^(١).

جزى الله خيرا عصابة أسلمية

* عن عبد خير، قال : قاتل هاشم يوم صفين الحارث بن المنذر التنوخي، حمل عليه بعد أن أعيا وكل، وقتل بيده، فطعنه بالرمح فشق بطنه فسقط، وبعث إليه على عليه السلام وهو لا يعلم : أقدم بلوائك، فقال للرسول : انظر إلى بطني، فإذا هو قد انشق، فجاء على عليه السلام حتى وقف عليه، وحوله عصابة من أسلم قد صرعوا معه، وقوم من القراء، فجزع عليه، وقال :

جزى الله خيرا عصابة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيد وسعدان وبشر ومعبد وسفيان، وابنا معبد ذى المكارم
وعروة لا يبعد نثاه وذكره إذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

* عن أبي سلمة، أن هاشم بن عتبة استصرخ الناس عند المساء : ألا من كان له إلى الله حاجة ومن كان يريد الآخرة فليقبل. فأقبل إليه ناس كثير شد بهم على أهل الشام مرارا، ليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له، فقاتل قتالا شديدا ثم قال لأصحابه : لا يهولنكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها، وعند مراكزها، وإنهم لعلى الضلال، وإنكم لعلى الحق، يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا، وامشوا بنا إلى عدونا على تؤده، رويدا. واذكروا الله، ولا يسلمن رجل أخاه، ولا تكثروا الالتفات، واصمدوا صمدهم، وجالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وهو خير الحاكمين. قال أبو سلمة فينا هو وعصابة من القراء يجالدون أهل الشام، إذ طلع عليهم فتى شاب، وهو يقول :

أنا ابن أرباب ملوك غسان والدائن اليوم بدين عثمان
أبنا قراؤنا بما كان أن عليا قتل ابن عفان

ثم شد لا ينثنى حتى يضرب بسيفه، ثم جعل يلعن عليا ويشتمه ويسهب في ذمه، فقال له هاشم بن عتبة : يا هذا، إن الكلام بعده الخصام، وإن لعنك سيد الأبرار بعده عقاب النار، فاتق الله، فإنك راجع إلى ربك فيسألك عن هذا الموقف وعن هذا المقال. قال الفتى : إذا سألني ربي قلت : قاتلت أهل العراق، لأن صاحبهم لا يصلى كما ذكر لي، وإنهم لا يصلون، وصاحبهم قتل خليفتنا، وهم آزره على قتله. فقال له هاشم : يا بني، وما أنت وعثمان إنما قتله اصحاب محمد، الذين هم أولى بالنظر في أمور

المسلمين، وإن صاحبنا كان أبعد القوم عن دمه، وأما قولك: "إنه لا يصلى"، فهو أول من صلى مع رسول الله وأول من آمن به. وأما قولك: إن أصحابه لا يصلون، فكل من ترى معه قراءة الكتاب، لا ينامون الليل تهجداً، فاتق الله واخش عقابه، ولا يغرك من نفسك الأشقياء الضالون. فقال الفتى: يا عبد الله، لقد دخل قلبي وجل من كلامك، وإنى لاظنك صادقاً صالحاً، وأظنني مخطئاً أما فهل لى من توبة؟ قال: نعم، ارجع إلى ربك وتب إليه، فإنه يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، ويحب التوابين ويحب المتطهرين. فرجع الفتى إلى صفه منكسراً نادماً، فقال له قوم من أهل الشام: خدعك العراقي! قال: لا، ولكن نصحنى العراقي

* وفى قتل هاشم وعمار تقول امرأه من أهل الشام:

لا تعدموا قوما أذاقوا ابن ياسر شعوباً ولم يعطوكم بالخزائم
فنحن قتلنا اليشربي ابن محصن خطيبكم وإبنى بديل وهاشم
* أما اليشربي، فهو عمرو بن محصن الانصاري، وقد رثاه النجاشي شاعر أهل العراق، فقال:

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن إذا صارخ الحى المصبح ثوباً
إذا الخيل جالت بينها قصد القنا يثرن عجاجاً ساطعاً متنصباً
لقد فجع الانصار طراً بسيد أذى ثقة في الصالحات مجرباً
فيا رب خير قد افدت، وجفنة ملات وقرن قد تركت مسلماً
ويارب خصم قد رددت بغيظه فأب ذليلاً بعد أن كان مغضباً
وراية مجد قد حملت وغزوة شهدت إذ النكس الجبان تهيباً
حويطاً على جل العشيرة ماجداً وما كنت في الانصار نكساً مؤنباً
طويل عماد المجد رحباً فناؤه خصيباً إذا ما رائد الحى أجذباً
عظيم رماد النار لم يك فاحشاً ولا فشلاً يوم النزال مغلباً
وكنت ربيعاً ينفع الناس سيبه وسيفاً جرازاً باتك الحد مقضباً
فمن يك مسروراً بقتل ابن محصن فعاش شقياً ثم مات معذباً
وغودر منكباً لفيه ووجهه يعالج رمحاً ذا سنان وثعلباً

فإن يقتلوا الحر الكريم ابن محصن
وإن يقتلوا ابني بديل وهاشما
ونحن تركنا حميرا في صفوفكم
وأفلتنا تحت الاسنة مرثد
ونحن تركنا عند مختلف القنا
بصفين لما ارفض عنه رجالكم
وطلحة من بعد الزبير ولم ندع
ونحن أحطنا بالبعير وأهله
* وكان ابن محصن من أعلام أصحاب على عليه السلام، قتل في المعركة، وجزع على عليه السلام

لقتله.

* وفي قتل هاشم بن عتبة، يقول ابو الطفيل عامر بن وائلة الكناني، وهو من الصحابة - وقيل إنه آخر من بقى من صحب رسول الله صلى الله عليه، وشهد مع على صفين، وكان من مخلصي الشيعة :

يا هاشم الخير جزيت الجنه قاتلت في الله عدو السنه
والتاركي الحق وأهل الظنه أعظم بما فزت به من منه !
صيرني الدهر كاني شنه وسوف تعلقو حول قبري رنه
* من زوجة وحبوبة وكنه^(١)

فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

أبو الطيب المتنبى :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولي كذا ومعى الصبر !
وأشجع منى كل يوم سلامتي وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر
تمرسست بالافات حتى تركتها تقول : أمات الموت ؟ أم ذعر الذعر ؟
وأقدمت إقدام الابي كأن لى سوى مهجتي أو كان لى عندها وتر

ذر النفس تأخذ حظها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر !
ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب هامات الملوك وأن تزي لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دوبا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر (١)

خذ اللواء، فغلام لغلام

أن معاوية دعا يوما بصفين مروان ابن الحكم، فقال له : إن الاشترا قد غمني وأقلقني، فأخرج بهذه الخيل في يحصب والكلاعيين، فالقه. فقال مروان : ادعا لهما عمرا، فإنه شعارك دون دثارك قال : فأنت نفسي دون وريدي. قال : لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء أو ألحقته بي في الحرمان، ولكنك أعطيت ما في يدك، ومنيته ما في يد غيرك، فإن غلبت طاب له المقام، وإن غلبت خف عليه الهرب. فقال معاوية : سيغني الله عنك. قال : أما إلى اليوم فلم يغن. فدعا معاوية عمرا، فأمره بالخروج إلى الاشترا، فقال : أما إنى لا أقول لك ما قال مروان، قال : وكيف تقوله، وقد قدمتك وأخرته، وأدخلتك وأخرجته ! قال : أما والله إن كنت فعلت، لقد قدمتنى كافيا، وأدخلتنى ناصحا، وقد أكثر القوم عليك في أمر مصر، وإن كان لا يرضيهم إلا رجوعك فيما وثقت لى به منها فارجع فيه. ثم قام فخرج في تلك الخيل، فلقية الاشترا أمام القوم، وقد علم أنه سيلقاه، وهو يرتجز ويقول :

ياليت شعري كيف لى بعمرو ذاك الذى أوجبت فيه نذري ا
ذاك الذى أطلبه بوتري ذاك الذى فيه شفاء صدري
من بائعى يوما بكل عمري يعلى به عند اللقاء قدري
أجعله فيه طعام النسرة أو لا فربى عاذري بعذري

فلما سمع عمرو هذا الرجز فشل وجبن، واستحيا أن يرجع، وأقبل نحو الصوت،

وقال :

ياليت شعري كيف لى بمالك ؟ كم كاهل جببته وحوارك

وفارس قتلته وفاتك ومقدم آب بوجه جالك
ما زلت دهري عرضة المهالك

فغشيه الاشتر بالرمح، فراغ عمرو عنه، فلم يصنع الرمح شيئا، ولوى عمرو عنان
فرسه، وجعل يده على وجهه، وجعل يرجع راکضا نحو عسكريه فنادی غلام من يحصب :
يا عمرو عليك العفا ما هبت الصبا، يا آل حمير إنا لكم ما كان معكم، هاتوا اللواء،
فأخذه وتقدم، وكان غلاما حدثا، فقال :

إن يك عمرو قد علاه الاشتر بأسمر فيه سنان أزهر
فذاك والله لعمري مفخر يا عمرو تكفيك الطعان حمير
واليحصبى بالطعان أمهر دون اللواء اليوم موت أحمر
فنادى الاشتر ابنه إبراهيم : خذ اللواء، فغلام لغلام. وتقدم فأخذ إبراهيم اللواء،
وقال :

يأيها السائل عنى لا ترع أقدم فإنى من عرانيين النخع
كيف ترى طعن العراقى الجذع أطيرو في يوم الوغى ولا أفع
ما ساءكم سر وما ضر نفع أعددت ذا اليوم لهول المطلع
ويحمل على الحميرى فالتقاء الحميرى بلوائه ورمحه فلم يبرحا يطعن كل واحد منهما
صاحبه، حتى سقط الحميرى قتيلا وشمتم مروان بعمرو وغضب القحطانيون على معاوية
وقالوا : تولى علينا من لا يقاتل معنا ! ول رجلا منا، وإلا فلا حاجة لنا فيك. وقال
شاعرهم :

معاوى إما تدعنا لعزيمة يلبس من نكرائها الغرض بالحقب
فول علينا من يحوط ذمارنا من الحميريين الملوك على العرب
ولا تأمرنا بالتى لا نريدها ولا تجعلنا بالهوى موضع الذنب
ولا تغضبنا والحوادث جمه عليك، فيفشو اليوم في يحصب الغضب
فإن لنا حقا عظيما وطاعة رحبا دخيلا في المشاش وفي العصب
فقال لهم معاوية : والله لا أولى عليكم بعد هذا اليوم إلا رجلا منكم^(١).

تبين لك الود في صدر أخيك

ثلاث تبين لك الود في صدر أخيك : تلقاه ببشرك، وتبدوه بالسلام، وتوسع له في المجلس. وقال الشاعر :

لا تدخلنك ضجرة من سائل فلخير دهرك أن ترى مسئولا
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل قد رام غيرك أن يرى مأمولا
تلقى الكريم فتستدل ببشره وترى العبوس على اللثيم دليلا
واعلم بأنك عن قليل صائر خيرا فكن خيرا يروق جميلا
وقال البحتري :

لو أن كفك لم تجد لمؤمل لكفاه عاجل بشرك المتهلل
ولو أن مجدك لم يكن متقادما أغناك آخر سؤدد عن أول
أدركت ما فات الكهول من الحجا من عنفوان شبابك المستقبل
فإذا أمرت فما يقال لك اتد وإذا حكمت فما يقال لك : اعدل^(١).

وأسمع رجل يزيد بن عمر بن هبيرة فأعرض عنه، فقال الرجل : إياك أعنى، قال :
وعنك أعرض. وقال الشاعر :

إذا نطق السفية فلا تجبه

فخير من إجابته السكوت سكت عن السفية فظن أني

عيت عن الجواب وما عيت^(٢).

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه

قوله **رضي** (من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه). قال بعض الفضلاء لرجل كان
يرضى عن نفسه ويدعى التميز على الناس بالعلم : عليك بقوم تروقهم بزبرجك، وتروعهم
بزخرفك، فإنك لا تعدم عزا، ولا تفقد غمرا، لا يبلغ مبارهما غورك، ولا تستغرق
أقدارهما طورك. وقال الشاعر :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٩٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٩٩

أرى كل كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذى هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه ويبدو له العيب الذى بأخيه^(١).

تزوير رسالتين من ابي بكر وعمر

الى امير المؤمنين تاج

رواية أبى حامد المروروذى) وروى القاضى أبو حامد أحمد بن بشير المروروذى
العامري فيما حكاه عنه أبو حيان التوحيدى، قال أبو حيان : سمرنا عند القاضى أبى
حامد ليلة ببغداد بدار ابن جيشان، في شارع الماذيان، فتصرف الحديث بنا كل متصرف،
وكان الله معنا مزيلا مخلطا عزيز الرواية، لطيف الدراية له في كل جو متنفس، وفي كل
نار مقتبس، فجرى حديث السقيفة، وتنازع القوم الخلافة، فركب كل منا فنا، وقال قولا،
وعرض بشئ ونزع إلى مذهب، فقال أبو حامد : هل فيكم من يحفظ رسالة أبى بكر إلى
على، وجواب على له ومبايعته إياه عقيب تلك الرسالة؟ فقالت الجماعة : لا والله،
فقال : هي والله من درر الحقائق المصونة، ومخبات الصناديق في الخزائن المحوطة،
ومنذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلبى في وزارته، فكتبها عنى في خلوة بيده، وقال : لا
أعرف في الارض رسالة أعقل منها، ولا أبين، وإنها لتدل على علم وحكم، وفصاحة
وفقاهة، في دين ودهاء، وبعد غور، وشدة غوص. فقال له واحد من القوم : أيها
القاضى، فلو أتممت المنة علينا بروايتها سمعناها ورويناها عنك، فنحن أوعى لها من
المهلبى، وأوجب ذماما عليك. فقال : هذه الرسالة رواها عيسى بن دأب، عن صالح بن
كيسان، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن أبى عبيدة بن الجراح. قال أبو
عبيدة : لما استقامت الخلافة لابي بكر بين المهاجرين والانصار، ولحظ بعين الوقار
والهبة - بعد هنة كاد الشيطان بها يسر فدفع الله شرها، وأدحض عسرها، فركد كيدها،
وتيسر خيرها، وقصم ظهر النفاق والفسق بين أهلها - بلغ أبا بكر عن على عليه السلام تلكؤ
وشماس، وتهمهم ونفاس، فكره أن يتمادى الحال وتبدو له العورة، وتنفرج ذات البين،
ويصير ذلك دريئة لجاهل مغرور، أو عاقل ذى دهاء، أو صاحب سلامة ضعيف القلب،
خوار العنان، دعاني في خلوة فحضرته، وعنده عمر وحده - وكان عمر قبسا له وظهيراً

معه، يستضيء بناره، ويستملى من لسانه - فقال لى : يا أبا عبيدة، ما أيمن ناصيتك، وأبين الخير بين عارضيك ! لقد كنت من رسول الله ﷺ بالمكان المحبوط، والمحل المغبوط، ولقد قال فيك في يوم مشهود : (أبو عبيدة أمين هذه الامة)، وطالما أعز الله الاسلام بك، وأصلح ثلمه على يديك، ولم تزل للدين ناصرا وللمؤمنين روحا، ولاهلك ركنا، ولاخوانك مردا ! قد أردت لك الامر له ما بعده، خطره مخوف، وصلاحه معروف. ولئن لم يندمل جرحه بمسبارك ورفقك، ولم تجب حيته برقيتك، لقد وقع اليأس، وأعضل اليأس، واحتيج بعدك إلى ما هو أمر من ذلك وأغلق، وأعسر منه وأغلق، والله أسأل تمامه بك، ونظامه على يدك. فتأت له يا أبا عبيدة، وتلطف فيه، وانصح لله ولرسوله، ولهذه العصابة، غير آل جهدا، ولا قال حمدا، والله كالك وناصرك، وهاديك ومبصرك. أمض إلى على، واخفض جناحك له، واغضض من صوتك عنده، واعلم إنه سلالة أبى طالب، ومكانه ممن فقدناه بالامس مكانه، قل له : البحر مغرقة، والبر مفرقة، والجو أكلف، والليل أغلف، والسماء جلواء، والارض صلعاء، والصعود متعذر، والهبوط متعسر، والحق عطوف رؤوف، والباطل نسوف عصوف، والعجب مقدحة الشر، والضغن رائد البوار، والتعريض شجار الفتنة، والقحة مفتاح العداوة، والشيطان متكئ على شماله، باسط ليمينه، نافج حضنيه لاهله، ينتظر الشتات والفرقة، ويدب بين الامة بالشحناء العداوة، عنادا لله ولرسوله ولدينه، يوسوس بالفجور، ويدلى بالغرور ويمنى أهل الشرور، ويوحى إلى أوليائه بالباطل، دأبا له منذ كان على عهد أبينا آدم، وعادة منه منذ أهانه الله في سالف الدهر، لا ينجى منه إلا بعض الناجذ على الحق، وغض الطرف عن الباطل، ووطئ هامة عدو الله والدين بالاشد فالاشد، والاجد فالاجد، وإسلام النفس لله فيما حاز رضاه، وجنب سخطه. ولا بد من قول ينفع إذ قد أضر السكوت وخيف غبه، ولقد أرشدك من أفاء ضالتك، وصافاك من أحيا مودته لك بعتابك، وأراد الخير بك من أثر البقيا معك. ما هذا الذى تسول لك نفسك، ويدوى به قلبك، ويلتوى عليه رأيك، ويتخاوص دونه طرفك، ويستشرى به ضغنك، ويتراد معه نفسك، وتكثر لاجله صعداؤك، ولا يفيض به لسانك ! اعجمة بعد إفصاح، ألبسا بعد إيضاح ! أدينا غير دين الله ! أخلقا غير خلق القرآن ! أهديا غير هدى محمد ! أمثلى يمشى له الضراء ويدب له الخمر ! أم مثلك يغص عليه الفضاء، ويكسف في عينه القمر ! ما هذه القعقعة بالشنان، والوعوعة باللسان ! إنك لجد عارف باستجابتنا لله ولرسوله، وخروجنا من

أوطاننا وأولادنا وأحبتنا، وهجرة إلى الله ونصرة لدينه، في زمان أنت منه في كن الصبا
 وخذر الغرارة، غافل، تشبب وتربب، لا تعى مايشاد ويراد، ولا تحصل ما يساق ويقاد،
 سوى ما أنت جار عليه من أخلاق الصبيان أمثالك، وسجايا الفتيان أشكالك، حتى بلغت
 إلى غايتك هذه التي إليها أجريت، وعندها حط رحلك، غير مجهول القدر ولا مجرود
 الفضل، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالا تزيل الرواسي، ونقاسي أهوالا تشيب
 النواصي، خائضين غمارها، راكبين تيارها، نتجرع صلبها، ونشرح عياها، ونحكم
 أساسها، ونبرم أمراسها، والعيون تحدج بالحسد، والانوف تعطس بالكبر، والصدور
 تستعر بالغيظ، والاعناق تتناول بالفخر، والاسنة تشحذ بالمكر، والارض تميد بالخوف،
 لا ننتظر عند المساء صباحا، ولا عند الصباح مساء، ولا ندفع في نحر أمر إلا بعد أن
 نحسو الموت دونه، ولا نبلغ إلى شيء إلا بعد تجرع العذاب قبله، ولا نقوم منادا إلا بعد
 اليأس من الحياة عنده، فأدين في كل ذلك رسول الله ﷺ بالاب والام، والخال والعم،
 والمال والنشب، والسبد واللبد، والهلة والبلة، بطيب أنف وقررة أعين، ورحب أعطان،
 وثبات عزائم، وصحة عقول، وطلاقة أوجه، وذلاقة ألسن. هذا إلى خبيثات أسرار،
 ومكنونات أخبار كنت عنها غافلا، ولولا سنك لم تك عن شيء منها ناكلا. كيف وفؤادك
 مشهوم وعودك معجوم، وغيبك مخبور، والخير منك كثير! فالان قد بلغ الله بك،
 وأرهص الخير لك، (وجعل مرادك بين يديك)، فاسمع ما أقول لك، واقبل ما يعود قبوله
 عليك، ودع التحبس والتعبس لمن لا يضلع لك إذا خطأ، ولا يتزحزح عنك إذا عطا،
 فالامر غض، وفي النفوس مض، وأنت أديم هذه الامة فلا تحلم لجاجا، وسيفها العضب
 فلا تنب اعوجاجا وماؤها العذب فلا تحل أجاجا، والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن
 هذا لمن هو؟ فقال: هو لمن يرغب عنه، لا لمن يجاحش عليه، ولمن يتضاءل له لا لمن
 يشمخ إليه، وهو لمن يقال له: هو لك، لا لمن يقول: هو لى. ولقد شاورني رسول
 الله ﷺ في الصهر، فذكر فتيانا من قريش، فقلت له: أين أنت من على! فقال: إني
 لاكره لفاطمة مبة شبايه، وحدة سنه. فقلت: متى كنفته يدك، ورعته عينك، حفت بهما
 البركة، وأسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير خطبت به رغبته فيك، وما كنت عرفت
 منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء، ولكني قلت ما قلت، وأنا أرى مكان غيرك، وأجد
 رائحة سواك، وكنت لك إذ ذاك خيرا منك الان لى ولكن كان عرض بك رسول الله ﷺ
 في هذا الامر، فقد كنى عن غيرك، وإن قال فيك، فما سكت عن سواك، وإن اختلج في

نفسك شئ، فهلم فالحكم مرضى، والصواب مسموع، والحق مطاع. ولقد نقل رسول الله ﷺ إلى ما عند الله وهو عن هذه العصابة راض وعليها حذب، يسره ما سرها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويسخطه ما أسخطها. ألم تعلم أنه لم يدع أحدا من أصحابه وخلطائه، وأقاربه وسجرائه، إلا أبانه بفضيلة، وخصه بمزية، وأفرده بحالة، لو أصفقت الأمة عليه لاجلها لكان عنده إيالتها وكفالتها. أتظن أنه ﷺ ترك الأمة سدى بددا، عدا مباهل عباهل طلاحي مفتونة بالباطل، ملوية عن الحق، لا ذائد ولا رائد، ولا ضابط ولا خابط ولا رابط، ولا سافى ولا واقى، ولا حادى ولا هادى، كلا والله ما اشتاق إلى ربه، ولا سأله المصير إلى رضوانه، إلا بعد أن أقام الصوى، وأوضح الهدى، وأمن المهالك وحمى المطارح والمبارك. وإلا بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله، وشرم وجه النفاق لوجه الله، وجدع أنف الفتنة في دين الله، وتفل في عين الشيطان بعون الله، وصدع بملء فيه ويده بأمر الله. وبعد، فهؤلاء المهاجرون والانصار عندك ومعك في بقعة جامعة، ودار واحدة، إن استقادوا لك وأشاروا بك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائر إلى رأيهم فيك، وإن تكن الاخرى، فادخل في صالح مادخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والفتاح لمغالقتهم، والمرشد لضالهم، والرادع لغاويهم، فقد أمر الله بالتعاون على البر وأهاب إلى التناصر على الحق. ودعنا نقض هذه الحياة الدنيا بصدور برئية من الغل، ونلقى الله بقلوب سليمة من الضغن. وإنما الناس ثمامة فارتق بهم، وأحن عليهم، ولن لهم، ولا تسول لك نفسك فرقتهم، واختلاف كلمتهم، واترك ناجم الشر حصيدا، وطائر الحقد واقعا، وباب الفتنة مغلقا، لا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تعنيف، ولا عتاب ولا تثريب، والله على ما أقول وكيل، وبما نحن عليه بصير. قال أبو عبيدة: فلما تهيأت للنهوض، قال لى عمر: كن على الباب هنيهة فلى معك ذرو من الكلام. فوقفت وما أدري ما كان بعدى، إلا أنه لحقني بوجه يندى تهللا، وقال لى: قل لعلى: الرقاد محلمة، واللجاج ملحمة، والهوى مقحمة، وما منا أحد إلا له مقام معلوم، وحق مشاع أو مقسوم، وبناء ظاهر أو مكتوم، وإن أكيس الكيسى من منح الشارد تألفاء، وقارب البعيد تلطفا، ووزن كل أمر بميزانه، ولم يجعل خبره كعيانه، ولا قاس فتره بشيره، دينا كان أو دنيا، وضلالا كان أو هدى، ولا خير في علم معتمل في جهل، ولا في معرفة مشوبة بنكر، ولسنا كجلدة رفع البعير بين العجان وبين الذنب، وكل صال فبناره يصلى، وكل سيل فالى قراره يجرى، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لعلى

وحصر، ولا كلامها اليوم لفرق أو حذر، فقد جدد الله بمحمد ﷺ أنف كل متكبر، وقصم به ظهر كل جبار، وسل لسان كل كذوب، فماذا بعد الحق إلا الضلال ! ما هذه الخنزوانة التي في فراش رأسك ؟ وما هذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك، وما هذه الوحرة التي أكلت شرا سيفك، والقذاة التي أعشت ناظرك ؟ وما هذا الدحس والدس اللذان يدلان على ضيق الباع، وخور الطباع ! وما هذا الذي لبست بسببه جلد النمر، واشتملت عليه بالشحناء والنكر ! لشدما استسعيت لها، وسريت سرى ابن أنقد إليها، إن العوان لاتعلم الخمرة. ما أحوج الفرعاء إلى فالية، وما أفقر الصلعاء إلى حالية، ولقد قبض رسول الله ﷺ والامر معبد مخيس، ليس لاحد فيه ملمس، لم يسير فيك قولا، ولم يستنزل لك قرآنا، ولم يجزم في شأنك حكما، لسنا في كسروية كسرى، ولا قيصرية قيصر، (تأمل لآخوان فارس وأبناء الاصفر، قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا، ودريئة لرماحنا، ومرمى لطعاننا ! بل) نحن في نور نبوة، وضياء رسالة، وثمرة حكمة وأثر رحمة، وعنوان نعمة، وظل عصمة، بين أمة مهديّة بالحق والصدق، مأمونة على الرتق والفتق، لها من الله تعالى قلب أبى، وساعد قوى، ويد ناصرة، وعين ناظرة. أتظن ظنا أن أبا بكر وثب على هذا الامر مفتاتا على الأمة، خادعا لها، ومتسلطا عليها ! أترأه امتلخ أحلامها، وأزاغ أبصارها، وحل عقودها، وأحال عقولها، واستل من صدورنا حميتها، وانتكث رشاءها، وانتضب ماءها، وأضلها عن هداها، وساقها إلى رداها، وجعل نهارها ليلا، ووزنها كيلا، ويقظتها رقادا، وصلاحها فسادا ! إن كان هكذا، إن سحره لمبين، وإن كيده لمتين. كلا والله، بأى خيل ورجل، وبأى سنان ونصل، وبأى منة وقوة، وبأى مال وعدة، وبأى أيد وشدة، وبأى عشيرة وأسرة، وبأى قدرة ومكنة، وبأى تدرع وبسطة ! لقد أصبح بما وسمته منيع الرقبة، رفيع العتبة. لا والله لكن سلا عنها فولهت نحوه، وتطامن لها فالتفت به، ومال عنها، فمالت إليه، واشمأز دونها فاشتملت عليه، حبة حباه الله بها، وغاية بلغه الله إليها، ونعمة سربله جمالها، ويد لله أوجب عليه شكرها، وأمة نظر الله به لها. وطالما حلقت فوقه في أيام النبي ﷺ وهو لا يلتفت لفتها، ولا يرتصد وقتها، والله أعلم بخلقها، وأراف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة. وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وكهف الحكمة، ولا يجحد حقلك فيما آتاك ربك من العلم، ومنحك من الفقه في الدين، هذا إلى مزايا خصصت بها، وفضائل اشتملت عليها، ولكن لك من يزاحك بمنكب أضخم من

منكبك، وقربى أمس من قرباك، وسن أعلى من سنك، وشيبة أروع من شيبتك، وسيادة معروفة في الاسلام والجاهلية ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تذكر فيها في مقدمة ولا ساقه، ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع، ولا تعد منها بيازل ولا هبع. إن أبا بكر كان حبة قلب رسول الله ﷺ وعلاقة همه، وعيبة سره، ومثوى حزنه، وراحة باله، ومرمى طرفه، شهرته مغنية عن الدلالة عليه. ولعمري إنك لا قرب منه إلى رسول الله ﷺ قرابة، ولكنه أقرب منك قربة، والقرابة لحم ودم، والقرية روح ونفس، وهذا فرق يعرفه المؤمنون، ولذلك صاروا إليه أجمعون. ومهما شككت فلا تشك في أن يد الله مع الجماعة، ورضوانه لاهل الطاعة، فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع غدا، والفظ من فيك ما هو متعلق بلهاتك، وانفث سخيمة صدرك، فإن يكن في الامد طول، وفي الاجل فسحة، فستأكله مريثا أو غير مريء، وستشربه هنيئا أو غير هنيء، حين لا راد لقولك إلا من كان آيسا منك، ولا تابع لك إلا من كان طامعا فيك، حين يمض أهابك، ويفرى أديمك، ويزري على هديك، هناك تفرع السن من ندم، وتشرب الماء ممزوجا بدم، حين تأسى على ما مضى من عمرك، وانقضى وانقرض من دارج قومك، وتود أن لو سقيت بالكأس التي سقيتها غيرك، ورددت إلى الحال التي كنت تكرهها في أمسك، ولله فينا وفيك أمر هو بالغه، وعاقبه هو المرجو لسرائها وضرائها، وهو الولي الحميد الغفور الودود. قال أبو عبيدة : فمشيت إلى على مشبطا متباطئا، كأنما أخطو على أم رأسي فرقا من الفتنة، وإشفاقا على الامة، وحذرا من الفرقة حتى وصلت إليه في خلاء فابثته بشي كله، وبرئت إليه منه، ودفعته له. فلما سمعها ووعاها، وسرت في أوصاله حمياها قال : حلت معلوطة، وولت مخروطة، ثم قال : أحدى لياليك فهيسى هيسى لا تنعمي الليلة بالتعريس. يا أبا عبيدة، أهذا كله في أنفس القوم يستبطنونه ويضطغنون عليه ! فقلت : لا جواب عندي، إنما جنتك قاضيا حق الدين، وراتقا فتق الاسلام، وسادا ثلثة الامة، يعلم الله ذلك من جلجلان قلبي، وقرارة نفسي. فقال : ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصدا لخلاف، ولا إنكارا لمعروف، ولا زراية على مسلم، بل لما وقذنى به رسول الله ﷺ من فراقه، وأودعني من الحزن لفقده، فإني لم أشهد بعده مشهدا إلها جدد على حزنا، وذكرني شجنا، وإن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره، وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه، وأجمع ما تفرق منه، رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله، وسلم لعلمه ومشيبته أمره، على إنى أعلم إن التظاهر على واقع، ولى عن الحق الذي

سيق إلى دافع، وإذ قد أفعم الوادي لى، وحشد النادى على، فلا مرحبا بما ساء أحدا من المسلمين، وفى النفس كلام لولا سابق قول، وسالف عهد، لشفيت غيظي بخنصري وبنصري، وخضت لجهته بأخمصى ومفرقي، ولكني ملحم إلى أن ألقى الله تعالى، عنده أحسب ما نزل بى وأنا غاد إن شاء الله إلى جماعتكم، ومبايع لصاحبكم، وصابر على ما ساءني وسركم، ليقضى الله أمرا كان مفعولا، وكان الله على كل شئ شهيدا، قال أبو عبيدة: فعدت إلى أبى بكر وعمر، فقصصت القول على غرة، ولم أترك شيئا من حلوه ومره، ذكرت غدوه إلى المسجد، فلما كان صباح يومئذ وافى على، فخرق الجماعة إلى أبى بكر وبايعه، وقال خيرا، ووصف جميلا، وجلس زميلا، واستأذن للقيام ونهض، فتبعه عمر إكراما له، وأجلالا لموضعه، وإستنباطا لما فى نفسه، وقام أبو بكر فأخذ بيده، وقال: إن عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة، وإن أمة أنت فيها لمرحومة، ولقد أصبحت عزيزا علينا، كريما لدينا، نخاف الله إذا سخطت، ونرجوه إذا رضيت، ولولا إنى شدته لما أجبت إلى ما دعيت إليه، ولكني خفت الفرقة، واستثثار الانصار بالمر على قريش، وأعجلت عن حضورك ومشاورتك، ولو كنت حاضرا لبايعتك ولم أعدل بك، ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلى به، وما أسعد من ينظر الله إليه بالكفاية! وأنا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمون، وإلى رأيك وهديك فى جميع الاحوال راغبون، وعلى حمايتك وحفيظتك معولون. ثم انصرف وتركه مع عمر. فالتفت على إلى عمر فقال: يا أبا حفص، والله ما قعدت عن صاحبك جزعا على ما صار إليه، ولا أتيته خائفا منه، ولا أقول ما أقول بعله، وإنى لاعرف مسمى طرفي ومخطى قدمي، ومنزع قوسى، وموقع سهمي، ولكني تخلفت إعدارا إلى الله وإلى من يعلم الامر الذى جعله لى رسول الله، وأتيت فبايعت، حفظا للدين، وخوفا من انتشار أمر الله. فقال له عمر: يا أبا الحسن، كفكف من غربك، ونهنه من شرتك، ودع العصا بلحائها، والدلو برشائها، فإننا من خلفها وورائها. إن قدحنا أوريينا، وإن متحنا أرويينا، وإن قرحنا أدمينا، وقد سمعت أمثالك التى ألغزت بها صادرة عن صدر دو، وقلب جو زعمت أنك قعدت فى كسر بيتك لما وقذك به فراق، أفراق رسول الله صلى الله عليه، وقذك وحدك ولم يقذ سواك! إن مصابه لاعز وأعظم من ذاك، وإن من حق مصابه ألا تصدع شمل الجماعة بكلمة لاعصام لها، فإنك لترى الاعراب حول المدينة لو تداعت علينا فى صبح يوم لم نلتقي فى ممسأه. وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره، فمن الشوق

إليه نصرته دينه، وموازية المسلمين عليه، ومعاونتهم فيه. وزعمت أنك مكب على عهد الله تجمع ما تفرق منه، فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده، والرافة على خلقه، وأن تبذل من نفسك ما يصلحون به ويجمعون عليه. وزعمت أن التظاهر عليك واقع، أي تظاهر وقع عليك ! وأي حق استؤثر به دونك ! لقد علمت ما قالت الانصار أمس سرا وجهرا، وما تقلبت عليه ظهرا وبطنا، فهل ذكرتك أو أشارت بك، أو طلبت رضاها من عندك ! وهؤلاء المهاجرون، من الذي قال منهم إنك صاحب هذا الامر، أو أوما إليك، أو همهم بك في نفسك ! أتظن أن الناس ضلوا من أجلك، أو عادوا كفارا زهدا فيك، أو باعوا الله تعالى بهوهم بغضا لك ! ولقد جاءني قوم من الانصار، فقالوا : إن عليا ينتظر الامامة، ويزعم أنه أولى بها من أبي بكر، فأنكرت عليهم، ورددت القول في نحورهم، حتى قالوا : إنه ينتظر الوحي ويتوكف مناجاة الملك ! فقلت : ذاك أمر طواه الله بعد محمد ﷺ. ومن أعجب شأنك قولك : (لولا سابق قول لشفيت غيضي بخنصري وبنصري) ! وهل ترك الدين لاحد أن يشفى غيظه بيده أو لسانه ! تلك جاهلية استئصل الله شأفتها، واقتلع جرثومها، ونور ليلها، وغور سيلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدى والبرهان ! وزعمت أنك ملجم، فلعمري إن من اتقى، وآثر رضاه، وطلب ما عنده، أمسك لسانه، وأطبق فاه، وغلب عقله ودينه على هواه، وأما قولك : (إني لاعرف منزع قوسى)، فإذا عرفت منزع قوسك عرف غيرك مضرب سيفه، ومطعن رمحه. وأما ما تزعمه من الامر الذي جعله رسول الله ﷺ لك، فتخلفت إعدارا إلى الله، وإلى العارفة من المسلمين، فلو عرفه المسلمون لجنحوا إليه، وأصفقوا عليه، وما كان الله ليجمعهم على العمى، ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدى، ولو كان لرسول الله ﷺ فيك رأى، وعليك عزم، ثم بعثه الله، فرأى اجتماع أمته على أبي بكر، لما سفه آراءهم، ولاضلل أحلامهم، ولا أثرك عليهم، ولا أرضاك بسخطهم، ولا مارك باتباعهم، والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم. فقال على : مهلا أبا حفص أرشدك الله ! خفض عليك، ما بذلت ما بذلت وأنا أريد عنه حولا، وإن أخسر الناس صفقة عند الله من استبطن النفاق، واحتضن الشقاق، وفي الله خلف عن كل فائت، وعوض من كل ذاهب، وسلوة عن كل حادث، وعليه التوكل في جميع الحوادث. ارجع أبا حفص إلى مجلسك ناقع القلب، مبرود الغليل، فصيح اللسان، رحب الصدر، متهلل الوجه، فليس وراء ما سمعته منى إلا ما يشد الازر، ويحبط الوزر، ويضع الاصر، ويجمع الالفة، ويرفع الكلفة، إن شاء الله.

فانصرف عمر إلى مجلسه. قال أبو عبيدة : فلم أسمع ولم أر كلاما ولا مجلسا كان أصعب من ذلك الكلام والمجلس. قلت : الذي يغلب على ظني أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع، وأنه من كلام أبي حيان التوحيدي، لأنه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه، وقد حفظنا كلام عمر ورسائله، وكلام أبي بكر وخطبه، فلم نجدهما يذهبان هذا المذهب، ولا يسلكان هذا السبيل في كلامهما، وهذا كلام عليه أثر التوليد ليس بخفي، وأين أبو بكر وعمر من البديع وصناعة المحدثين ! ومن تأمل كلام أبي حيان عرف أن هذا الكلام من ذلك المعدن خرج، ويدل عليه أنه أسنده إلى القاضي أبي حامد المرورودي، وهذه عادته في كتاب البصائر يسند إلى القاضي أبي حامد كل ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه، إذا كان كارها لان ينسب إليه، وإنما ذكرناه نحن في هذا الكتاب، لأنه وإن كان عندنا موضوعا منحولا، فإنه صورة ما جرت عليه حال القوم، فهم وإن لم ينطقوا به بلسان المقال، فقد نطقوا به بلسان الحال. ومما يوضح لك أنه مصنوع، أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة والاشعرية وأصحاب الحديث، وكل من صنف في علم الكلام والامامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية، ولقد كان المرتضى رحمه الله يلتقط من كلام أمير المؤمنين عليه السلام اللفظة الشاذة، والكلمة المفردة الصادرة عنه عليه السلام، في معرض التألم والتظلم، فيحتج بها، ويعتمد عليها، نحو قوله : (مازلت مظلوما مذ قبض رسول الله حتى يوم الناس هذا). وقوله : (لقد ظلمت عدد الحجر والمدر). وقوله : (إن لنا حقا إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الأبل، وإن طال السرى). وقوله : (فصبرت وفي الحلق شجا، وفي العين قذى). وقوله : (اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم ظلموني حتى، وغصبوني إرثي). وكان المرتضى إذا ظفر بكلمة من هذه، فكأنما ظفر بملك الدنيا ويودعها كتبه وتصانيفه، فأين كان المرتضى عن هذا الحديث ! وهلا ذكر في كتاب الشافي في الامامة كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا، وكذلك من قبله من الامامية كابن النعمان، وبنو نوبخت، وبنو بابويه وغيرهم، وكذلك من جاء بعده من متأخري متكلمي الشيعة وأصحاب الاخبار والحديث منهم إلى وقتنا هذا ! وأين كان أصحابنا عن كلام أبي بكر وعمر له عليه السلام ! وهلا ذكره قاضي القضاة في المغنى مع احتوائه على كل ما جرى بينهم، حتى إنه يمكن أن يجمع منه تاريخ كبير مفرد في أخبار السقيفة ! وهلا ذكره من كان قبل قاضي القضاة من مشايخنا وأصحابنا ومن جاء بعده من متكلمينا ورجالنا !

وكذلك القول في متكلمي الاشعرية وأصحاب الحديث كابن الباقلاني وغيره، وكان ابن الباقلاني شديدا على الشيعة، عظيم العصبية على أمير المؤمنين عليه السلام، فلو ظفر بكلمة من كلام أبي بكر وعمر في هذا الحديث لملا الكتب والتصانيف بها، وجعلها هجيرا ودأبه. والامر في ما ذكرناه في وضع هذه القصة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان، ومعرفة كلام الرجال، ولمن عنده أدنى معرفة بعلم السير، وأقل أنس بالتواريخ^(١)

سننتم علينا القتل لا تنكرونه فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر

دخلت إحدى نساء بني أمية على سليمان بن علي، وهو يقتل بني أمية بالبصرة، فقالت: أيها الأمير، إن العدل ليمل من الاكثار منه، والاسراف فيه، فكيف لا تمل أنت من الجور وقطيعة الرحم! فأطرق ثم قال لها:

سننتم علينا القتل لا تنكرونه فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر

ثم قال: يا أمة الله وأول راض سنة من يسيرها. ألم تحاربوا عليا وتدفعوا حقه؟ ألم تسموا حسنا وتنقضوا شرطه؟ ألم تقتلوا حسينا وتسيروا رأسه؟ ألم تقتلوا زيدا وتصلبوا جسده؟ ألم تقتلوا يحيى وتمثلوا به؟ ألم تلعنوا عليا على منابركم؟ ألم تضربوا أبانا على بن عبد الله بسياطكم؟ ألم تخنقوا الامام بجراب النورة في حبسكم؟ ثم قال: ألك حاجة؟ قالت قبض عمالك أموالي، فأمر برد أموالها عليها^(٢).

ماذا يريد إلى ذلفاء ثكلي حري

خطب الحجاج بعد قتله زجله بنت منظور بن زيان بن سيار الفزارية، وهي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير، فقلعت ثنيتها وردته، وقالت: ماذا يريد إلى ذلفاء ثكلي حري! وقالت:

أبعد عائد بيت الله تخطبني جهلا جهلت وغب الجهل مذموم

فاذهب إليك فإني غير ناكحة بعد ابن أسماء ما استن الدياميم

من يجعل العير مصفرا جحافله مثل الجواد وفضل الله مقسوم! ^(٣)

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢٧١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٥٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٠٩

وهلك من هلك

قال علي : كنت مع الانصار لرسول الله ﷺ على السمع والطاعة له في المحبوب والمكروه، فلما عز الاسلام، وكثر أهله، قال : يا علي، زد فيها : (علي أن تمنعوا رسول الله وأهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم وذرائعكم)، قال : فحملها علي ظهور القوم، فوفى بها من وفى، وهلك من هلك^(١).

تضمن ابن خطاب على بجمه

وذكر المبرد محمد بن يزيد الثمالي قال : كان عمر اصلع فلما حلق وفرة نصر ابن حجاج قال نصر وكان شاعرا :

تضمن ابن خطاب على بجمه إذا رجلت تهتز هز السلاسل

فصلع راسا لم يصلعه ربه يرف رفيقا بعد اسود جائل

لقد حسد الفرعان اصلع لم يكن إذا ما مشى بالفرع بالمتخايل^(٢).

خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحسبكم على العمل بطاعته، وأستفتح الله بالذي هو خير، أما بعد، أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإنني لا أدري، لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت اللهم اشهد. من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من أتمننه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدأ به دم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية. والعمد قود، وشبه العمد ما

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٤٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٧

قتل بالعصا والحجر، فيه مائة بعير فمن ازداد فهو من الجاهلية. أيها الناس، إن الشيطان قد يشس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك فيما تحتقرون من أعمالكم. أيها الناس، إنما النسئ زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونہ عامًا، ويحرمونه عامًا، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، الذى بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت. أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حقا، فعليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن بيوتكم أحدا تكرهونه إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فقد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم كسوتهن ورزقهن بالمعروف، فإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا على طيب نفس، ألا هل بلغت اللهم اشهد. ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا، كتاب الله ربكم، ألا هل بلغت اللهم اشهد. أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى، ألا فليبلغ الشاهد الغائب. أيها الناس، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فهو ملعون، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. والسلام عليكم ورحمة الله عليكم^(١).

تلك الدماء معا يا رب في عنقي

قال الشاعر:

إنى أدين بما دان الوصي به يوم الخريبة من قتل المحلينا

وبالذي دان يوم النهر دنت به وشاركت كفه كفى بصفينا

تلك الدماء معا يا رب في عنقي ثم اسقني مثلها آمين آمينا^(١).

وبصق في الكتاب فمجاه وخرقه

روى إبراهيم بن السعيد الثقفي عن ابراهيم بن ميمون قال : حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر وقالت : إن أبي أعطاني فذك وعلي وأم أيمن يشهدان فقال : ما كنت لتقول علي أبيك إلا الحق قد أعطيتكها ودعا بصحيفة من آدم فكتب لها فيها فخرجت فلقيت عمر فقال : من أين جئت يا فاطمة ؟ قالت : جئت من عند أبي بكر أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فذك وأن عليا وأم أيمن يشهدان لي بذلك فأعطانيها وكتب لي بها. فأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبي بكر فقال : أعطيت فاطمة فذك وكتبت بها لها ؟ قال : نعم فقال : إن عليا يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأة. وبصق في الكتاب فمجاه وخرقه^(٢).

ادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه

وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فذك وهي عنده صادقة ؟ فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمة وقلة دعابته قال لو أعطها اليوم فذك بمجرد دعواها ل جاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشئ. لانه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيها تدعى كائنا ما كان من غير حاجة إلى بيعة ولا شهود^(٣).

ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة

عن عبد الله بن زيد المازني، قال : جرحت جرحا في عضدي اليسرى، ضبني رجل كأنه الرقل ولم يعرج علي، ومضى عني، وجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٣٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٧٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٨٤

اعصب جرحك، فتقبل إمي إلى، ومعها عصائب في حقوبها قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي والنبي ﷺ واقف ينظر، ثم قالت إنهض يا بني، فضارب القوم، فجعل رسول الله ﷺ يقول: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة قالت: وأقبل الرجل الذي ضربني، فقال رسول الله ﷺ: هذا ضارب أبنيك، فاعترضت أمي له، فضربت ساقه، فبرك، فرأيت النبي ﷺ تبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال: استقدت يا أم عمارة. ثم أقبلنا نعلوه بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك، وأراك تارك بعينك^(١).

هذا عبد سقط من عين الله

يحكى أن علي بن عيسى الوزير ركب في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة قائمة على السطح إلى متى تقولون من هذا من هذا هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه بما ترون فسمع علي بن عيسى كلامها فرجع إلى منزلة ولم يزل يتوصل في الاستعفاء من الوزارة حتى اعفي وذهب إلى مكة فجاور بها^(٢).

اربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي

وروى أبو غسان البصري، قال: بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب والوقعة فيه: مسجد بنى عدى، ومسجد بنى مجاشع، ومسجد كان في العلافين على فرضة البصرة، ومسجد في الازد^(٣).

كفر بالله كفره أصلع

روى عبد الرحمن بن جندب، قال: قال أبو بردة لزياد: أشهد أن حجر بن عدى قد كفر بالله كفره أصلع، قال عبد الرحمن: إنما عنى بذلك نسبة الكفر إلى علي ابن أبي طالب ﷺ، لأنه كان أصلع^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٦٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٨٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٤

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٩

انت جاهل بإجماع الناس، والناس جهال بقولك وحدك

قال بعضهم : دخلت على ابن منارة وبين يديه كتاب قد صنفه، فقلت : ما هذا ؟ قال : كتاب عملته مدخلا إلى التورية، فقلت : إن الناس ينكرون هذا، فلو قطعت الوقت بغيره! قال : الناس جهال، قلت وأنت ضدهم؟ قال : نعم، قلت فينبغي أن يكون ضدهم جاهلا عندهم، قال : كذاك هو ! قلت : فقد بقيت أنت جاهلا بإجماع الناس، والناس جهال بقولك وحدك، ومثل هذا المعنى قول الشاعر :

إذا كنت تقضى أن عقلك كامل وأن بنى حواء غيرك جاهل
وأن مفيض العلم صدرك كله فمن ذا الذي يدري بأنك عاقل! (١).

ما ورد في وصاية على من الشعر

من الشعر المقول في صدر الاسلام المتضمن كونه عليه السلام وصى رسول الله قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب :

ومنا على ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصى النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه !
وقال عبد الرحمن بن جعيل :

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة على الدين، معروف العفاف موفقا
عليا وصى المصطفى وابن عمه وأول من صلى أخا الدين والتقى
وقال أبو الهيثم بن التيهان - وكان بدريا :

قل للزبير وقل لطلحة إننا نحن الذين شعارنا الانصار
نحن الذين رأيت قريش فعلنا يوم القلب أولئك الكفار
كنا شعار نبينا ودثاره يفديه منا الروح والابصار
إن الوصي إمامنا ووليننا برح الخفاء وباحت الاسرار.

وقال عمر بن حارثة الانصاري، وكان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل، وقد لأمه أبوه عليه السلام لما أمره بالحملة، فتعاس :
وقال عمر بن حارثة الانصاري، وكان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل، وقد لأمه أبوه عليه السلام لما أمره بالحملة، فتعاس :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠٠

أبا حسن أنت فصل الامور
جمعت الرجال على راية
ولم ينكص المرء من خيفة
فقال رويدا ولا تعجلوا
فاعجلته والفتى مجمع
سمى النبي وشبه الوصي
وقال رجل من الازد يوم الجمل :

هذا على وهو الوصي
وقال هذا بعدي الولي
وخرج يوم الجمل غلام من بنى ضبة شاب معلم من عسكر عائشة، وهو يقول :
نحن بنو ضبة أعداء على
وفارس الخيل على عهد النبي
لكننى أنعى ابن عفان التقى
وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل وكان في عسكر على عليه السلام :

أية حرب أضرمت نيرانها
قل للوصي أقبلت قحطانها
هم بنوها وهم إخوانها

وقال زياد بن ليلى الانصاري يوم الجمل، وكان من أصحاب على عليه السلام :

كيف ترى الانصار في يوم الكلب
ولا نبالي في الوصي من غضب
هذا على وابن عبد المطلب
من يكسب البغى فيثسما اكتسب

وقال حجر بن عدى الكندي في ذلك اليوم أيضا :

يا ربنا سلم لنا علينا سلم
لنا المبارك المضيئا

المؤمن الموحد التقيا لا خطل الرأي ولا غويا
بل هاديا موقفا مهديا احفظه ربي واحفظ النبي
فيه فقد كان له وليا ثم ارتضاه بعده وصيا

وقال خزيمة بن ثابت الانصاري، ذو الشهادتين وكان بدريا في يوم الجمل أيضا :
ليس بين الانصار في جحمة الحرب وبين العداة إلا الطعان
وقراع الكمأة بالقضب البيض إذا ما تحطم المران
فادعها تستجب فليس من الخزرج والاوز يا على جبان
يا وصى النبي قد أجلت الحرب الاعادي وسارت الاطعان
واستقامت لك الامور سوى الشام وفي الشام يظهر الاذعان
حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا
وقال خزيمة أيضا في يوم الجمل :

أعائش خلى عن على وعييه بما ليس فيه إنما أنت والده
وصى رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهده
وحسبك منه بعض ما تعلمينه ويكفيك لو لم تعلمي غير واحده
إذا قيل ما ذا عبت منه رميته بخذل ابن عفان وما تلك أبده
وليس سماء الله قاطرة دما لذاك وما الارض الفضاء بمائدة
وقال ابن بديل بن ورقاء الخزاعي يوم الجمل أيضا :

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت حرب الوصي وما للحرب من آسى
الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت تلك القبائل أخماسا لاسداس
وقال عمرو بن أحيحة يوم الجمل في خطبة الحسن بن على عليه السلام بعد خطبة عبد الله
ابن الزبير :

حسن الخير يا شبيه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب
قمت بالخطبة التي صدع الله بها عن أبيك أهل العيوب
وكشفت القناع فاتضح الامر وأصلحت فاسدات القلوب

لست كابن الزبير لجلج في القول وطاطا عنان نسل مزيب
 وأبى الله أن يقوم بما قام به ابن الوصي وابن النجيب
 إن شخصا بين النبي - لك الخير - وبين الوصي غير مشوب
 وقال زحر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضا :
 أضربكم حتى تقروا لعلى خير قريش كلها بعد النبي
 من زانه الله وسماه الوصي إن الولي حافظ ظهر الولي
 كما الغوى تابع أمر الغوى
 وقال زحر بن قيس الجعفي :

فصلى الاله على أحمد رسول المليك تمام النعم
 رسول المليك ومن بعده خليفتنا القائم المدعم
 عليا عنيت وصى النبي نجالد عنه غواة الامم
 ومن الشعر المنسوب إلى الاشعث بن قيس :
 أتانا الرسول رسول الانام فسر بمقدمه المسلمونا
 رسول الوصي وصى النبي له السبق والفضل في المؤمنين
 ومن الشعر المنسوب إلى الاشعث أيضا :
 أتانا الرسول رسول الوصي على المهذب من هاشم
 وزير النبي وذو صهره وخير البرية والعالم
 من شعر أمير المؤمنين عليه السلام في صفين
 لا يا عجبا لقد سمعت منكرا كذبا على الله يشيب الشعرا
 ما كان يرضى أحمد لو أخبرا أن يقرنوا وصيه والابترا
 شأنى الرسول واللعين الا خزرا إنى إذا الموت دنا وحضرا
 شممت ثوبي ودعوت قنبرا : قدم لوائى لا تؤخر حذرا
 لا يدفع الحذار ما قد قدرنا لو أن عندي يا بن حرب جعفرا

أو حمزة القرم الهمام الازهرا رأت قريش نجم ليل ظهرا
وقال جرير بن عبد الله البجلي، كتب بهذا الشعر إلى شرحبيل بن السمط الكندي،
رئيس اليمامة من أصحاب معاوية :

نصحتك يا بن السمط لا تتبع الهوى فما لك في الدنيا من الدين من بدل
ولا تك كالمجرى إلى شر غاية فقد خرق السربال واستنوق الجمل
مقال ابن هند في على عضيهة ولله في صدر ابن ابي طالب أجل
وما كان إلا لازما فعر بيته إلى أن أتى عثمان في بيته الاجل
وصى رسول الله من دون أهله وفارسه الحامى به يضرب المثل
وقال النعمان بن عجلان الانصاري :

كيف التفرق والوصى إمامنا لا كيف إلا حيرة وتخاذلا
لا تغبنن عقولكم، لا خير في من لم يكن عند البلابل عاقلا
وذروا معاوية الغوى وتابعوا دين الوصي لتحمدوه آجلا
وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الاسلمي :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فما لك لا تهش إلى الضراب ؟
فإن تسلم وتبق الدهر يوما يزرك بجحفل عدد التراب
يقودهم الوصي إليك حتى يردك عن ضلال وارتياب
وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب :

يا عصبه الموت صبيرا لا يهولكم جيش ابن حرب فإن الحق قد ظهرا
وأيقنوا أن من أضحى يخالفكم أضحى شقيا وأمسى نفسه خسرا
فيكم وصى رسول الله قائدكم وصهره وكتاب الله قد نشرا
وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب :

وصى رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل هل من منازل

فدونكه إن كنت تبغى مهاجرا أشم كنعيل السيف غير حلال (١).

لاجاثينك غدا بين يدي الله عز وجل

بينما يطوف عمر في بعض سكك المدينة، إذ سمع امرأة تهتف من خدرها :
 هل من سبيل إلى خمر فاشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج
 إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجاج
 تنميه أعراق صدق حين تنسبه أخى قذاح عن المكروب فراج
 سامى النواظر من بهز له قدم تضىء صورته في الحالك الداجي
 فقال عمر : الا لا ادرى معى رجلا يهتف به العواتق في خدورهن ! على بنصر ابن
 حجاج فاتى به ، فإذا هو احسن الناس وجها وعينا وشعرا ، فامر بشعره فجز فخرجت له
 وجنتان كأنه قمر ، فأمره ان يعتم فاعتم ففتن النساء بعينيه ، فقال عمر : لا والله لا تساكنتى
 بارض انابها ، قال : ولم يا امير المؤمنين قال : هو ما اقول لك فسيره إلى البصرة .
 وخافت المرأة التى سمع عمر منها ما سمع ان يبدر إليها منه شئ ، فدست إليه ابياتا

قل للامير الذى تخشى بوادره مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
 انى بليت ابا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاطر ساج
 لا تجعل الظن حقا أو تبينه ان السيل سبيل الخائف الراجى
 ما منية قلتها عرضا بضائرة والناس من هالك قدما ومن ناج
 ان الهوى رعية التقوى تقيده حتى أقر بالجام وإسراج

واته يوما ام نصر حين اشتدت عليها غيبة ابنها ، فتعرضت لعمر بين الاذان والاقامة
 فقعدت له على الطريق فلما خرج يريد الصلاة هتفت به ، وقالت : يا امير المؤمنين
 لاجاثينك غدا بين يدي الله عز وجل ولا خاصمنك إليه ، يبيت عاصم وعبد الله إلى
 جانبك وبينى وبين ابني الفيافي والقفار والمفاوز والجبال ! قال : من هذه ؟ قيل : ام
 نصر بن حجاج ، فقال : يا ام نصر ، ان عاصما وعبد الله لم تهتف بهما العواتق من وراء
 الخدور (٢).

بق دخن عليه فطار !

كان يزيد بن عبد الملك يشنؤ يزيد بن المهلب قبل خلافته، لاسباب، فلما أفضت إليه الخلافة، خلعه يزيد بن المهلب، ونزع يده من طاعته، وعلم أنه إن ظفر به قتله وناله من الهوان ما القتل دونه، فدخل البصرة وملكها عنوة، وحبس عدى بن أرطاه عامل يزيد بن عبد الملك عليها، فسرح إليه يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا، ويشتمل على ثمانين ألفا من أهل الشام والجزيرة، وبعث مع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك، وضم إليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك، فسار يزيد بن المهلب من البصرة، فقدم واسط، فأقام بها أياما، ثم سار عنها فنزل العقر، واشتملت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفا، وقدم مسلمة بجيوش الشام، فلما تراءى العسكران، وشبت الحرب، أمر مسلمة قائدا من قواده أن يحرق الجسور التي كان عقدها يزيد بن المهلب فأحرقها، فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا، فقبل ليزيد بن المهلب : قد انهزم الناس، قال : ومم انهزموا؟ هل كان قتال ينهزم الناس من مثله؟ فقبل له : إن مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا، فقال : قبحهم الله ! بق دخن عليه فطار ! ثم وقف ومعه أصحابه، فقال : اضربوا وجوه المنهزمين، ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه، وأستقبله منهم أمثال الجبال، فقال : دعوهم قبحهم الله ! غنم عدا في نواحيها الذئب. وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار، وقد كان أتاه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي بواسط، فقال له : فعش ملكا أو مت كريما فإن تمت وسيفك مشهور بكفك تعذر فقال : ما شعرت، فقال : إن بنى مروان قد باد ملكهم فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر. فقال : أما هذا فعسى. فلما رأى يزيد انهزام أصحابه، نزل عن فرسه، وكسر جفن سيفه واستقتل، فأتاه آت فقال : إن أخاك حبيبا قد قتل، فزاده ذلك بصيرة في توطينه نفسه على القتل، وقال : لا خير في العيش بعد حبيب ! والله لقد كنت أبغض الحياة بعد الهزيمة، وقد ازددت لها بغضا، امضوا قدما. فعلم أصحابه أنه مستميت، فتسلل عنه من يكره القتال، وبقي معه جماعة خشية، فهو يتقدم كلما مر بخيل كشفها، وهو يقصد مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره، فلما دنا منه، أدنى مسلمة فرسه ليركب، وحالت خيول أهل الشام بينهما، وعطفت على يزيد بن المهلب، فجالدهم بالسيف مصلتا، حتى قتل وحمل رأسه إلى مسلمة، وقتل معه أخوه محمد بن المهلب، وكان أخوهما المفضل بن المهلب، يقاتل أهل الشام في جهة أخرى، ولا يعلم بقتل

أخويه يزيد ومحمد، فأناه أخوه عبد الملك بن المهلب، وقال له : ما تصنع وقد قتل يزيد ومحمد، وقبلهما قتل حبيب، وقد انهزم الناس ! وقد روى أنه لم يأت به بالخبر على وجهه، وخاف أن يخبره بذلك فيستقتل ويقتل، فقال له : إن الامير قد انحدر إلى واسط، فاقتص أثره، فانحدر المفضل حينئذ، فلما علم بقتل إخوته، حلف ألا يكلم أخاه عبد الملك أبدا : وكانت عين المفضل قد أصيبت من قبل في حرب الخوارج، فقال : فضحني عبد الملك فضحه الله ! ما عذرى إذا رأني الناس فقالوا : شيخ أعور مهزوم، ألا صدقني فقتلت ! ثم قال : ولا خير في طعن الصناديد بالقنا ولا في لقاء الناس بعد يزيد فلما اجتمع من بقى من آل المهلب بالبصرة بعد الكسرة، أخرجوا عدى بن أرطاة أمير البصرة من الحبس، فقتلوه وحملوا عيالهم في السفن البحرية، ولجحوا في البحر، فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك بعثا عليه قائد من قواده، فأدركهم في قنديل، فحاربهم وحاربوه، وتقدم بنو المهلب بأسيافهم، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم، وهم : المفضل بن المهلب، وزياد بن المهلب، ومروان بن المهلب، وعبد الملك بن المهلب، ومعاوية بن يزيد بن المهلب، والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب، وحملت رؤوسهم إلى مسلمة بن عبد الملك، وفي أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه، واستؤسر الباقون في الوقعة، فحملوا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام، وهم أحد عشر رجلا، فأمر بقتلهم فقتلوا، وبقي منهم صبي صغير، فقال : اقتلوني فلست بصغير، فقال يزيد بن عبد الملك : أنظروا هل أنبت ! فقال : أنا أعلم بنفسى، قد احتلمت ووطئت النساء فاقتلوني، فلا خير في العيش بعد أهلى ! فأمر به فقتل. وأسماء الاسارى الذين قتلوا صبورا - وهم أحد عشر مهلبيا : المعارك وعبد الله والمغيرة والمفضل والمنجاب، بنو يزيد بن المهلب. ودريد والحجاج وغسان وشيب والفضل، بنو المفضل بن المهلب لصلبه. والفضل بن قبيصة بن المهلب. قال : ولم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لاهل المهلب باقية إلا أبو عيينة بن المهلب. وعمر بن يزيد بن المهلب، وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل، ثم أومنوا بعد ذلك^(١).

وكانت امرأة ثقيلة

روى مروان بن سعيد بن المعلى، قال : قيل لام عمارة يا أم عمارة، هل كن نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن فقالت : أعوذ بالله، لا والله ما رأيت امرأة منهن رمت بسهم ولا حجر، ولكن رأيت معهن الدفاف والاكبار يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر، ومعهن مكاحل ومراد، فكلما ولى رجل أو تكعكع ناولته إحداهن مرودا ومكحلة، ويقلن إنما أنت امرأة، ولقد رأيتهن ولىن منهزمات مشمرات، ولها عنهن الرجال أصحاب الخيل، ونجوا على متون خيلهم، وجعلن يتبعن الرجال على أقدامهن، فجعلن يسقطن في الطريق، ولقد رأيت هنداً بنت عتبة، وكانت امرأة ثقيلة، ولها خلق، قاعدة خاشية من الخيل، ما بها مشى، ومعها امرأة أخرى، حتى كثر القوم علينا، فأصابوا منا ما أصابوا، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قبل الرماة ومعصيتهم لرسول الله ﷺ (١).

كان المنصور يسمى عبد الله بن الحسن بن الحسن أبا قحافة

لم يل الخلافة من أبوه حتى إلا أبو بكر، وأبو بكر عبد الكريم الطائع لله، ولى الامر وأبوه المطيع حتى، خلع نفسه من الخلافة، وعهد بها إلى ابنه. وكان المنصور يسمى عبد الله بن الحسن بن الحسن أبا قحافة تهكما به، لان ابنه محمدا ادعى الخلافة وأبوه حتى (٢).

المرأة شر كلها

المرأة شر كلها، وشر ما فيها إنه لا بد منها

حلف إنسان عند بعض الحكماء إنه ما دخل بابى شر قط، فقال الحكيم : فمن أين دخلت امرأتك !

وكان يقال أسباب فتنة النساء ثلاثة : عين ناظرة، وصورة مستحسنة، وشهوة قادرة، فالحكيم من لا يردد النظرة حتى يعرف حقائق الصورة، ولو أن رجلا رأى امرأة فأعجبته ثم طالبها فامتنعت، هل كان إلا تاركها ! فإن تأبى عقله عليه في مطالبتها كتأبئها عليه في

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٦٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٥٦

مساءفتها قدع نفسه عن لذته قدع الغيور إياه عن حرمة مسلم. ^(١)
 وكان يقال من أتعب نفسه في الحلال من النساء لم يتق إلى الحرام منهن كالطليح
 مناه أن يستريح ^(١).

يعرفون بالتجسس

رفع إلى كسرى أبرويز إن النصارى الذين يحضرون باب الملك يعرفون بالتجسس إلى
 ملك الروم، فقال: من لم يظهر له ذنب لم يظهر منا عقوبة له.
 ورفع إليه أن بعض الناس ينكر إصغاء الملك إلى أصحاب الاخبار، فوقع هؤلاء
 بمنزله مداخل الضياء إلى البيت المظلم، وليس لقطع مواد النور مع الحاجة إليه وجه عند
 العقلاء ^(٢).

داران مهدومتان ودارك الثالثة

قال ابن بسام لابي علي بن مقلة لما بنى داره بالزاهر ببغداد من الغصب وظلم
 الرعية:

بجنبك داران مهدومتان ودارك الثالثة تهدم

فليت السلامة للمنصفين دامت فكيف لمن يظلم

والداران دار ابي الحسن بن الفرات، ودار محمد بن داود بن الجراح.

وقال فيه أيضا:

قل لابن مقلة مهلا لا تكن عجلا فإنما أنت في أضغاث احلام

تبني بأنقاض دور الناس مجتهدا دارا ستنقض أيضا بعد ايام

وكان ما تفرسه ابن بسام فيه حقا، فإن داره نقضت حتى سويت بالارض في أيام

الراضي بالله ^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٦٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٧٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٧٢

وإن الالى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

كان مصعب لما خرج إلى حرب عبد الملك سأل عن الحسين بن علي عليه السلام، وكيف كان قتله؟ فجعل عروة بن المغيرة يحدث عن ذلك، فقال متمثلاً بقول سليمان بن قتة :

وإن الالى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا
قال عروة : فعلمت أن مصعباً لا يفر ^(١).

فعلمت أن الله تعالى لم يستحب له

قال الطرماح بن حكيم، وكان يرى رأى الخوارج :

وإنى لمقتاد جوادى فقاذف به وبنفسى اليوم إحدى المتالف
لا كسب مالا أو أوب إلى غنى من الله يكفيني عداة الخلائف
فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن على شرجع يعلى بخضر المطارف
ولكن قبري بطن نسر مقلبه بجو السماء في نسور عواكف
وأمسى شهيدا ثاويا في عصابة يصابون في فج من الارض خائف
فوارس أشتات يؤلف بينهم هدى الله نزالون عند المواقف

قال ابن شبرمة : مررت يوماً في بعض شوارع الكوفة، فإذا بنعش حوله رجال، وعليه مطرف خز أخضر، فسألت عنه فقيل : الطرماح، فعلمت أن الله تعالى لم يستحب له ^(٢).

سال الدم بالمطر حتى دخل بيت عاتكة

لما أحاطت عساكر عيسى ابن موسى بمحمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو بالمدينة، قيل له : انج بنفسك، فإن لك خيلاً مضمرة ونجائب سابقة، فاقعد عليها، والتحق بمكة أو باليمن. قال : إنى إذا لعبد ! وخرج إلى الحرب يباشرها بنفسه ويمواليه، فلما أمسى تلك الليلة وأيقن بالقتل، أشير عليه بالاستتار، فقال : إذن يستعرض عيسى أهل المدينة بالسيف، فيكون لهم يوم كيوم الحرة،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٠٠

لا والله لا أحفظ نفسي بهلاك أهل المدينة، بل أجعل دمي دون دمائهم. فبذل له عيسى الامان على نفسه وأهله وأمواله، فأبى ونهد إلى الناس بسيفه، لا يقاربه أحد إلا قتله، لا والله ما يبقى شيئا، وإن أشبه خلق الله به فيما ذكر هو حمزة بن عبد المطلب. ورمى بالسهام، ودهمته الخيل، فوقف إلى ناحية جدار، وتحاماه الناس فوجد الموت، فتحامل على سيفه فكسره، فالزيرية تزعم أنه كان سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار. وأنه قال لاخته ذلك اليوم : إني في هذا اليوم على قتال هؤلاء، فإن زالت الشمس، وأمطرت السماء فإني مقتول، وإن زالت الشمس ولم تمطر السماء، وهبت الريح، فإني أظفر بالقوم، فأججي التناير، وهيئى هذه الكتب - يعنى كتب البيعة الواردة عليه من الافاق - فإن زالت الشمس، ومطرت السماء فاطرحي هذه الكتب في التناير، فإن قدرتم على بدني فخذوه، وإن لم تقدرُوا على رأسي فخذوا سائر بدني، فأتوا به ظلة بنى بلية على مقدار أربعة أذرع أو خمسة منها، فاحفروا لى حفيرة، وادفونوني فيها. فمطرت السماء وقت الزوال، وقتل محمد ﷺ، وكان عندهم مشهورا أن آية قتل النفس الزكية أن يسيل دم بالمدينة حتى يدخل بيت عاتكة، فكانوا يعجبون كيف يسيل الدم حتى يدخل ذلك البيت ! فأمطرت السماء ذلك اليوم، وسال الدم بالمطر حتى دخل بيت عاتكة، وأخذ جسده، فحفر له حفيرة في الموضع الذى حده لهم، فوقعوا على صخرة فأخرجوها، فإذا فيها مكتوب : (هذا قبر الحسن بن على بن أبى طالب ﷺ)، فقالت زينب أخت محمد ﷺ : رحم الله أخى، كان أعلم حيث أوصى أن يدفن في هذا الموضع (١).

ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

وقال ابن أبى مياس الفزارى وهو من الخوارج :

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة كمهر قطام من غنى ومعدم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب على بالحسام المصمم
فلامهر أغلى من على وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم (٢)

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٠٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٢٥

اختلفت دواعيه في ساعة واحدة أربع مرات

يقال أن عضد الدولة وقعت في يده قصة وهو يتصفح القصص، فأمر بصلب صاحبها ثم أتبع الخادم خادما آخر يقول له قل للمطهر - وكان وزيره - لا يصلبه، ولكن أخرجه من الحبس فاقطع يده اليمنى، ثم أتبعه خادما ثالثا، فقال: بل تقول له يقطع أعصاب رجله، ثم أتبعه خادما آخر فقال له: ينقله إلى القلعة بسيراف في قيوده فيجعله هناك، فاختلفت دواعيه في ساعة واحدة أربع مرات^(١).

ما أسرع، ما أديل ليحيى من ابن مصعب

روى إن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما أمنه الرشيد بعد خروجه بالديلم وصار إليه بالغ في إكرامه وبره، فسعى به بعد مدة عبد الله بن مصعب الزبيري إلى الرشيد - وكان يبغضه - وقال له: إنه قد عاد يدعو إلى نفسه سرا، وحسن له نقض أمانه، فأحضره وجمع بينه وبين عبد الله بن مصعب ليناظره فيما قذفه به ورفع عليه فجبهه ابن مصعب بحضرة الرشيد، وادعى عليه الحركة في الخروج وشق العصا، فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، أتصدق هذا علي وتستنصحه، وهو ابن عبد الله بن الزبير، الذي أدخل أباك عبد الله وولده الشعب، وأضرم عليهم النار حتى أبو عبد الله الجدلي، صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام منه عنوة، وهو الذي ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأربعين جمعة في خطبته، فلما التاث عليه الناس قال: إن له أهيل سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا اعناقهم واشربوا لذكره، فأكره أن أسرهم أو أقر أعينهم، وهو الذي كان يشتم أباك ويلصق به العيوب حتى ورم كبده، ولقد ذبحت بقرة يوما لابيك فوجدت كبدها سوداء قد نقت، فقال علي ابنه: أما ترى كبد هذه البقرة يا أبت! فقال: يا بني هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف، فلما حضرته الوفاة قال لابنه علي: يا بني إذا مت فالحق بقومك من بني عبد مناف بالشام، ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه أمره، فاختر له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبد الله بن الزبير، ووالله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعا بمنزله سواء، ولكنه قوى علي بك، وضعف عنك، فتقرب بي إليك ليظفر منك بي بما يريد، إذا لم يقدر علي مثله منك، وما ينبغي لك أن تسوغه ذلك

في، فإن معاوية بن أبي سفيان وهو أبعد نسبا منك إلينا ذكر الحسن بن علي يوما فسيه، فساعده عبد الله بن الزبير على ذلك، فزجره وانتهره، فقال: إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين، فقال: إن الحسن لحمي آكله ولا أوكله. ومع هذا فهو الخارج مع أخي محمد على أبيك المنصور أبي جعفر، والقائل لأخي في قصيدة طويلة أولها إن الحمامة يوم الشعب من وثن هاجت فؤاد محب دائم الحزن يحرض أخي فيها على الوثوب والنهوض إلى الخلافة، ويمدحه ويقول له لا عز ركنا نزار عند سطوتها إن أسلمتك ولا ركنا ذوى يمن ألسنت أكرمهم عودا إذا انتسبوا يوما وأطهرهم ثوبا من الدرر! وأعظم الناس عند الناس منزلة وأبعد الناس من عيب ومن وهن! قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتها أن الخلافة فيكم يا بني حسن إنا لنأمل أن تترد الفتنا بعد التدابير والبغضاء والاحن حتى يثاب على الاحسان محسننا ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن وتنقضي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن فطالما قد بروا بالجور أعظمتنا برى الصناع قداح النبع بالسفن. فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر، وتغيظ على ابن مصعب، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو وبأيمان البيعة إن هذا الشعر ليس له، وإنه لسديف، فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره، وما حلفت كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا، وإن الله عز وجل إذا مجده العبد في يمينه فقال: والله الطالب الغالب الرحمن الرحيم إستحيا أن يعاقبه، فدعني أن أحلفه بيمين ما حلف بها احد قط كاذبا إلا عوجل قال، فحلفه، قال: قل: برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولى وقوتى، وتقلدت الحول والقوة من دون الله، استكبارا على الله واستعلاء عليه، واستغناء عنه إن كنت قلت هذا الشعر! فامتنع عبد الله من الحلف بذلك فغضب الرشيد، وقال للفضل بن الربيع يا عباسي ما له لا يحلف إن كان صادقا! هذا طيلسانى على، وهذه ثيابي لو حلفني بهذه اليمين إنها لى لحلفت. فوكز الفضل عبد الله برجله و - كان له فيه هوى - وقال له احلف ويحك! فجعل يحلف بهذه اليمين، ووجهه متغير، وهو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه، وقال: يا ابن مصعب، قطعت عمرك، لا تفلح بعدها أبدا! قالوا فما برج من موضعه حتى عرض له أعراض الجذام، استدارت عيناه، وتفقأ وجهه، وقام إلى بيته فتقطع وتشقق لحمه وانتشر شعره، ومات بعد ثلاثة أيام، وحضر الفضل بن الربيع جنازته، فلما جعل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت منه غبرة شديدة، وجعل الفضل يقول التراب التراب! فطرح التراب وهو يهوى، فلم يستطيعوا سده حتى سقف بخشب، وطم عليه، فكان

الرشيد يقول بعد ذلك للفضل أرأيت يا عباسي ما أسرع، ما أدبل ليحيى من ابن مصعب
(١)

من حكمة أفلاطون

من حكمة أفلاطون : اكنتم حسن صنيعك عن أعين البشر، فإن له ممن بيده ملكوت
السماء أعينا ترمقه فتجازى عليه (٢).

إذا كان أمير المؤمنين الشاهد

كان الرشيد أيام كان حسن الرأي في جعفر بن يحيى يحلف، بالله أن جعفر أفصح
من قس بن ساعدة، وأشجع من عامر بن الطفيل، وأكتب من عبد الحميد بن يحيى،
وأسوس من عمر بن الخطاب، وأحسن من مصعب بن الزبير - وكان جعفر ليس بحسن
الصورة، وكان طويل الوجه جدا - وأنصح له من الحجاج لعبد الملك، وأسمح من عبد
الله بن جعفر، وأعف من يوسف بن يعقوب، فلما تغير رأيه فيه أنكر محاسنه الحقيقية
التي لا يختلف اثنان أنها فيه، نحو كياسته وسماحته، ولم يكن أحد يجسر أن يرد على
جعفر قولا ولا رأيا، فيقال : إن أول ما ظهر من تغير الرشيد له أنه كلم الفضل بن الربيع
بشيء فرده عليه الفضل، ولم تجر عادته من قبل أن يفتح فاه في وجهه، فأنكر سليمان بن
أبي جعفر ذلك على الفضل، فغضب الرشيد لانكار سليمان، وقال : ما دخولك بين أخي
ومولاي ؟ كالراضي بما كان من الفضل ثم تكلم جعفر بشيء قاله للفضل، فقال الفضل :
اشهد عليه يا أمير المؤمنين، فقال جعفر : فض الله فاك يا جاهل ! إذا كان أمير المؤمنين
الشاهد، فمن الحاكم المشهود عنده؟ فضحك الرشيد، وقال : يا فضل، لا تمار جعفرا،
فانك لا تقع منه موقعا (٣).

عيبك مستور ما اسعدك جدك

اعلم أنا قد وجدنا تصديق ما قاله ﷺ في العلوم والفضائل والخصائص النفسانية،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٩١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠٥

دع حديث الدنيا والسلطان والرياسة، فإن المحفوظ من علم أو من فضيله تضاف إليه شوارد تلك الفضيلة وشوارد ذلك الفن، مثاله حظ علي عليه السلام من الشجاعة، ومن الامثال الحكمية قل أن ترى مثلاً شاردًا أو كلمة حكمية الا وتضيفها الناس إليه وكذلك ما يدعى العامة له من الشجاعة وقتل الابطال حتى يقال : إنه حمل علي سبعين ألفا فهزمهم، وقتل الجن في البئر، وقتل الطوق في عنق خالد بن الوليد. وكذلك حظ عنتر بن شداد في الشجاعة، يذكر له من الاخبار ما لم يكن، وكذلك ما اشتهر به أبو نواس في وصف الخمر، يضاف إليه من الشعر في هذا الفن ما لم يكن قاله، وكذلك جود حاتم وعبد الله بن جعفر ونحو ذلك، وبالعكس من لاحظ له ينفي عنه ما هو حقيقة له، فقد رأينا كثيرا من الشعر الجيد ينفي عن قائله استحقاقا له، لانه حامل الذكر، وينسب إلى غيره، بل رأينا كتبا مصنفة في فنون من العلوم حمل ذكر مصنفها ونسبت إلى غيرهم من ذوى النباهة والصيت، وكل ذلك منسوب إلى الجد والاقبال^(١).

كانت في شغل بنفسها

الزبير وعبد الله هو الذي صلى بالناس بالبصرة لما ظهر طلحة والزبير على عثمان بن حنيف بأمر منهما له. قال : وأعطت عائشة من بشرها بان عبد الله لم يقتل يوم الجمل عشرة آلاف درهم.

قلت : الذي يغلب علي ظني ان ذلك كان يوم أفريقية، لانه يوم الجمل كانت في شغل بنفسها عن عبد الله وغيره^(٢).

الفراسة في الصبيان

وسئل رأس الجالوت : ما عندكم من الفراسة في الصبيان، فقال : ما عندنا فيهم شيء، لانهم يخلقون خلقا من بعد خلق، غير إنا نرملهم، فإن سمعناه منهم من يقول في لعبة : من يكون معي ؟ رأيناها همه وخبء صدق فيه، وإن سمعناه يقول مع من أكون ؟ كرهناها منه^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١١٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١١٤

فتصدق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين.

كان الشيخان حسيل بن جابر ورفاعة بن وقش شيخين كبيرين، قد رفعوا في الاطام مع النساء، فقال أحدهما لصاحبه: لا أبا لك ما نستبقى من أنفسنا فوالله ما نحن إلا هامة اليوم أو غد، وما بقي من أجلنا قدر ظمء دابة، فلو أخذنا أسيافنا فلحقنا برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا الشهادة قال: فلحقا برسول الله ﷺ، فأما رفاعة فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فالتقت عليه سيوف المسلمين، وهم لا يعرفونه حين اختلطوا، وابنه حذيفة يقول أبى أبى حتى قتل، فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، ما صنعتم فزاد به عند رسول الله ﷺ خيرا، وأمر رسول الله بديته أن تخرج، ويقال إن الذى أصابه عتبه بن مسعود، فتصدق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين^(١).

ما احسن سوار ابنتكم هذه؟

يروى ان نصر بن الحجاج لما سيره عمر إلى البصرة نزل بها على مجاشع بن مسعود السلمى وكان خليفة ابى موسى عليها، وكانت له امرأة شابة جميلة فهويت نصرا، وهويها فبينما الشيخ جالس ونصر عنده إذ كتب في الارض شيئا، فقرأته المرأة، فقالت: (انا والله) فقال مجاشع: ما قال لك؟ قالت: انه قال: ما اصفى لقحتكم هذه؟ فقال مجاشع: ان الكلمه التى قلت ليست اختا لهذا الكلام، عزمت عليك لما اخبرتنى! قالت: انه قال: ما احسن سوار ابنتكم هذه؟ قال: ولا هذه، فانه كتب في الارض فراى الخط فدعا باناء فوضعه عليه، ثم احضر غلاما من غلمانها، فقال: اقرا فقرأه وإذا هو: انا والله احبك، فقال: هذه لهذه، اعتدى ايتها المرأة وتزوجها يا بن أخى ان اردت. ثم غدا على ابى موسى فاخبره، فقال أبو موسى اقسام ما اخرج به عمر عن المدينة من خير، ثم طرده إلى فارس وعليها عثمان بن أبى العاص الثقفى، فنزل على دهقانه فاعجبها فارسلت إليه، فبلغ خبرها عثمان، فبعث إليه ان اخرج عن ارض فارس، فانك لم تخرج عن المدينة والبصرة من خير، فقال: والله لئن اخرجتموني لالحقن ببلاد الشرك، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب ان جزوا شعره وشمروا قميصه والزموه المساجد^(٢).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٣٠

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٤١

إذا طمع في جيفة نشب في الاحبولة

وقيل العقاب عزيز في مطاره لا تسمو إليه مطامع الصيادين فإذا طمع في جيفة علق على حباله نزل من مطاره فنشب في الاحبولة^(١).

لما نطق موسى بذكر الطمع

وقيل لما نطق موسى بذكر الطمع فقال (لو شئت لاتخذت عليه اجرا) قال له الخضر (هذا فراق بيني وبينك)^(٢).

بعيني ما يتحمل المتحملون من اجلى

وجاء في بعض الاخبار عن الله تعالى بعيني ما يتحمل المتحملون من اجلى^(٣).

ابن مسعود وعثمان

أن ابن مسعود كان يقول : ليتنى وعثمان برملى عالج يحشو على وأحشو عليه حتى يموت الاعجز منى ومنه ! ورووا أنه كان يطعن عليه، فيقال له : ألا خرجت عليه، ليخرج معك ! فيقول : لان أزاول جبلا راسيا أحب إلى من أن أزاول ملكا مؤجلا. وكان يقوم كل يوم جمعة بالكوفة جاهرا معلنا : (إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشر الامور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار). وإنما كان يقول ذلك معرضا بعثمان، حتى غضب الوليد بن عقبة من استمرار تعريضه، ونهاه عن خطبته هذه، فأبى أن ينتهي، فكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان يستقدمه عليه .

وقد روى عنه أيضاً من طرق لا تحصى كثرة أنه كان يقول : ما يزن عثمان عند الله جناح ذباب،

وقال لما حضره الموت : من يتقبل منى وصية أوصيه بها على ما فيها ! فسكت القوم، وعرفوا الذى يريد، فأعادها، فقال عمار بن ياسر رحمه الله تعالى : أنا أقبلها،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٠٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٠٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٠٣

فقال ابن مسعود : ألا يصلى على عثمان، قال : ذلك لك، فيقال : إنه لما دفن جاء عثمان منكرا لذلك، فقال له قائل : إن عمارا ولي الامر، فقال لعمار : ما حملك على أن تؤذنى ؟ فقال : عهد إلى ألا أؤذنك، فوقف على قبره وأثنى عليه، ثم انصرف وهو يقول : رفعتم والله أيديكم عن خير من بقى، فتمثل الزبير بقول الشاعر :

لا الفينك بعد الموت تندبنى وفي حياتي ما زودتني زادي

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذى مات فيه، أتاه عثمان عائدا، فقال : ما تشتكى ؟ فقال : ذنوبي، قال : فما تشتهى ؟ قال : رحمه بى، قال : ألا أدعو لك طبيبا ؟ قال الطبيب أمرضني، قال : أفلا أمر لك بعطائك ؟ قال : منعته وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه ! قال : يكون لولدك، قال : رزقهم على الله تعالى، قال : استغفر لى يا أبا عبد الرحمن، قال : أسأل الله أن يأخذ لى منك حقى .

و روى أن ابن مسعود لما استقدم المدينة، دخلها ليلة جمعة، فلما علم عثمان بدخوله، قال : أيها الناس، إنه قد طرقتكم الليلة دويبة، من تمشى على طعامه يقى ويسلح. فقال ابن مسعود : لست كذلك، ولكننى صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر، وصاحبه يوم أحد، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين. قال : وصاحت عائشة : يا عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ! فقال عثمان : اسكتي، ثم قال لعبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى بن قصى : إخرجه اخراجا عنيفا، فأخذه ابن زمعة، فاحتمله حتى جاء به باب مسجد، فضرب به الارض، فكسر ضلعا من أضلاعه، فقال ابن مسعود : قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان وفي رواية أخرى إن ابن زمعة الذى فعل به ما فعل كان مولى لعثمان أسود مسدما طوالا. وفي رواية أخرى : إن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان. وفي رواية، إنه لما احتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبد الله : أنشدك الله، ألا تخرجني من مسجد خليلي ﷺ. قال الراوى : فكأنني أنظر إلى حموشة ساقى عبد الله بن مسعود ورجلاه تختلفان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسجد، وهو الذى يقول فيه رسول الله ﷺ : (لساقا ابن أم عبد أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد)^(١).

عزم قوى في المراقبة

يحكى أن ملكا كان يتحظى جارية له وكان لوزيره ميل باطن إليها فكان يسعى في مصالحتها ويرجع جانبها على جانب غيرها من حظايا الملك ونسائه فاتفق أن عرض عليها الملك حجرتين من الياقوت الأحمر أحدهما أنفوس من الآخر بمحضر من وزيره فتحيرت أيهما تأخذ فأوما الوزير بعينه إلى الحجر الأنفوس وحانت من الملك التفاته فشاهد عين الوزير وهي مائلة إلى ذلك الجانب فبقى الوزير بعدها أربعين سنة لا يراه الملك قط إلا كاسرا عينه نحو الجانب الذي كان طرفه مائلا إليه ذلك اليوم أي كان ذلك خلقه وهذا عزم قوى في المراقبة ومثله فليكن حال من يريد الوصول^(١).

نظر السلطان إلى شئ لا يكون الا عن قصد

يحكى أيضاً أن اميرا كان له غلام يقبل عليه أكثر من اقباله على غيره من مماليكه ولم يكن أكثرهم قيمة ولا احسنهم صورة فقيل له في ذلك فاحب أن يبين لهم فضل الغلام في الخدمة على غيره فكان يوما راكبا ومعه حشمه وبالعبد منهم جبل عليه ثلج فنظر الامير إلى الثلج واطرق فركض الغلام فرسه ولم يعلم الغلمان لما ذا ركض فلم يلبث الا قليلا حتى جاء ومعه شئ من الثلج فقال الامير ما ادراك اني اردت الثلج فقال انك نظرت إليه ونظر السلطان إلى شئ لا يكون الا عن قصد فقال الامير لغلمانه انما اختصه بباكرامى واقبالى لان لكل واحد منكم شغلا وشغله مراعاة لحظاتي ومراقبة احوالى^(٢).

فما يصلح إلا لذلك العمل

* ويقولون في الكناية عن العفيف : ما وضعت مومسة عنده قناعا، ولا رفع عن مومسة ذيلا.

* وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

فطربت طربة فاسق متهتك وعفت عفة ناسك متحرج
الله يعلم كيف كانت عفتى ما بين خلخال هناك ودملج

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٠٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٠٤

* ومن الكناية عن العفة قول ابن ميادة :

وما نلت منها محرما غير أننى أقبل بساما من الثغر أفلجا

وألثم فاها آخذا بقرونها وأترك حاجات النفوس تخرجنا

فكنى عن الفعل نفسه بحاجات النفوس ،

* كما كنى أبو نواس عنه بذلك العمل في قوله :

مر بنا والعيون ترمقه تجرح منه مواضع القبل

أفرغ في قالب الجمال فما يصلح إلا لذلك العمل

وكما كنى عنه ابن المعتز بقوله :

وزارنى في ظلام الليل مستترا يستعجل الخطو من خوف ومن حد

ر ولاح ضوء هلال كاد يفضحه مثل القلامه قد قصت من الظفر

فقت أفرش خدى في الطريق له ذلا وأسحب أذيالي على الاثر

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر^(١).

الان وثقت بعفوك

شجر بين أبى مسلم وبين صاحب مرو كلام أربى فيه صاحب مرو عليه، وأغلظ له في القول، فاحتمله أبو مسلم، وندم صاحب مرو، وقام بين يدى أبى مسلم معتذرا، وكان قال له في جملة ما قال يا لقيط ! فقال أبو مسلم : مه ! لسان سبق، ووهم أخطا، والغضب شيطان وأنا جرأتك على باحتمالك قديما، فان كنت للذنب معتذرا، فقد شاركتك فيه، وإن كنت مغلوبا فالعفو يسعك. فقال صاحب مرو : أيها الامير، إن عظم ذنبي يمنعى من الهدوء فقال أبو مسلم : يا عجا ! أقابلك بإحسان، وأنت مسيء، ثم أقابلك بإساءة وأنت محسن ! فقال : الان وثقت بعفوك^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٤٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠٩

لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة

ذكر سعد بن عبادة يوماً علياً بعد يوم السقيفة، فذكر أمراً من أمره نسيه أبو الحسن، يوجب ولايته، فقال له ابنه قيس بن سعد: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب، ثم تطلب الخلافة ويقول أصحابك منا أمير ومنكم أمير! لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبداً^(١).

إن المنية لو تمثل مثلت مثلثي

عنف محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ﷺ زيदा لما خرج، وحذره القتل، وقال له: إن أهل العراق خذلوا أباك علياً وحسناً وحسيناً عليهم السلام، وإنك مقتول، وإنهم خاذلوك، فلم يثن ذلك عزمه وتمثل.

بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل لا بد أن أسقى بذاك المنهل
إن المنية لو تمثل مثلت مثلثي، إذا نزلوا بضيق المنزل
فاقتنى حياءك لا أبالك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقتل^(٢).

كثير الحطب يكفية قليل النار

عن النبي ﷺ: (الخير في السيف، والخير مع السيف، والخير بالسيف)، كما يقال: المنية ولا الدنية، والنار ولا العار، والسيف ولا الحيف.

قال سيف بن ذي يزن لانشروان حين أعانه بوهرز الديلمي ومن معه: أيها الملك، أين تقع ثلاثة آلاف من خمسين ألفاً؟ فقال: يا أعرابي، كثير الحطب يكفية قليل النار^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٤٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٨٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩١

أشلق بمعنى (شلق)

قال الرضى رحمه الله تعالى : ومما يشهد على أن أشلق بمعنى (شلق) قول عدى ابن زيد العبادي :

ولقد غمني زيارة ذى قبرى صغير لقربنا مشتاق
ساءها ما لها تبين في الايدى وإشناقها إلى الاعناق
ساءها ما لها تبين في الايدى وإشناقها إلى الاعناق
ليس شئ على المنون بباق غير وجه المسبح الخلاق
فاذهبي يا أميم غير بعيد لا يؤاتى من في الوثاق

وأذهبي يا أميم إن يشأ الله ينفس من أزم هذا الخناق وقد كان زارته بنية له صغيرة اسمها هند، وهو في الحبس، حبس النعمان، ويدها مغلولتان إلى عنقه فأنكرت ذلك، وقالت : ما هذا الذى في يدك وعنقك يا أبت ؟ وبكت، فقال : هذا الشعر^(١).

فلا تفسده بجهل عامة لا خلاق لهم

عن العلاء بن صاعد بن مخلد، قال : لما حمل رأس صاحب الزنج ودخل به المعتضد إلى بغداد دخل في جيش لم ير مثله، واشتق أسواق بغداد والرأس بين يديه، فلما صرنا بباب الطاق، صاح قوم من درب من تلك الدروب : رحم الله معاوية وزاد ! حتى علت أصوات العامة بذلك فتغير وجه المعتضد، وقال : ألا تسمع يا أبا عيسى ! ما أعجب هذا ! وما الذى اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت ! والله لقد بلغ أبى إلى الموت وما أفلت أنا إلا بعد مشارفته، ولقينا كل جهد وبلاء، حتى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوهم، وحصنا حرهم وأولادهم فتركوا أن يترحموا على العباس وعبد الله ابنه ومن ولد من الخلفاء، وتركوا الترحم على على بن أبى طالب، وحمزة، وجعفر، والحسن والحسين، والله لا برحت أو أؤثر في تأديب هؤلاء أثرا لا يعاودون بعد هذا الفعل مثله ! ثم أمر بجمع النفاطين ليحرق الناحية فقلت له : أيها الامير، أطل الله بقاءك ! إن هذا اليوم من أشرف أيام الاسلام، فلا تفسده بجهل عامة لا خلاق لهم. ولم أزل أداريه وأرفق به حتى سار^(٢).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢١٢

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٧٢

جنكز خان وفتنه التتر

وهم التتار الذين خرجوا من أقاصى المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام، وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق، وبيبلاد ما وراء النهر، وبخراسان وما والاها من بلاد العجم، ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله، فإن بابك الخرمى لم تكن نكايته وأن طالت مدته نحو عشرين سنة إلا في إقليم واحد وهو أذربيجان، وهؤلاء دوخوا المشرق كله، وتعدت نكايتهم إلى بلاد إرمينية وإلى الشام، ووردت خيلهم إلى العراق، وبخت نصر الذى قتل اليهود إنما أخرج بيت المقدس، وقتل من كان بالشام من بنى إسرائيل، وأى نسبة بين من كان بالبيت المقدس من بنى إسرائيل إلى البلاد والامصار التى أخرجها هؤلاء وإلى الناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم

* أصناف التتر من، القفجاق، واليمك، والبرلو، والتفريه، واليتبه، والروس، والخطا، والقرغز، والترکمان، ولم يمر بنا في كتاب ذكر هذه الامة سوى كتاب واحد، وهو كتاب " مروج الذهب " للمسعودي فإنه ذكرهم هكذا بهذا اللفظ " التتر "، والناس اليوم يقولون: " التتار " بالف، وهذه الامة كانت في أقاصى بلاد المشرق في جبال " طمغاج " من حدود الصين، وبينهم وبين بلاد الاسلام التى ما وراء النهر ما يزيد على مسير ستة أشهر، وقد كان خوارزمشاه، وهو محمد بن تكش استولى على بلاد ما وراء النهر، وقتل ملوكها من الخطا الذين كانوا ببخارى وسمرقند وبلاد تركستان، نحو كاشغر، وبلاساغون وأفناهم، وكانوا حجابا بينه وبين هذه الامة، وشحن هذه البلاد بقواده وجنوده، وكان في ذلك غالطا، لان ملوك الخطا كانوا وقاية له ومجنا من هؤلاء، فلما أفناهم، صار هو المتولي لحرب هؤلاء أو سلمهم، فأساء قواده وأمرأه الذين بتركستان السيرة معهم، وسدوا طرق التجارة عنهم، فانتدبت منهم طائفه نحو عشرين ألفا مجتمعة، كل بيت منها له رئيس مفرد، فهم متساندون، وخرجوا إلى بلاد تركستان، فأوقعوا بقواد خوارزمشاه وعماله هناك، وملكوا البلاد، وتراجع من بقى من عسكر خوارزمشاه، وسلم من سيف التتار إلى خوارزمشاه، فأغضى على ذلك، ورأى أن سعه ملكه تمنعه عن مباشرة حربهم بنفسه وأن غيره من قواده لا يقوم مقامه في ذلك وترك بلاد تركستان لهم، واستقر الامر على أن تركستان لهم، وما عداها من بلاد ما وراء النهر كسمرقند وبخارى وغيرهما لخوارزمشاه، فمكثوا كذلك نحو أربع سنين. ثم إن المعروف بجنكز خان - والناس

يلفظونه بالراء وذكر لى جماعة من أهل المعرفة بأحوال التتر أنه " جنكز " بالزاي المعجمة - عن له رأى في النهوض إلى بلاد تركستان، وذلك أن جنكز خان هذا هو رئيس التتار الاقصين في المشرق، وابن رئيسهم، وما زال سلفه رؤساء تلك الجهة، وكان شجاعا عاقلا موقفا منصورا في الحرب، وإنما عن له هذا الرأى، لانه رأى أن طائفة من التتار - لا ملك لهم - وإنما يقوم بكل فرقة منهم مدبر لها من أنفسها - قد نهضت فملكّت بلاد تركستان على جلالتها غار من ذلك، وأراد الرياسة العامة لنفسه، وأحب الملك، وطمع في البلاد، فنهض بمن معه من أقاصى الصين، حتى صار إلى حدود أعمال تركستان، فحاربه التتار الذين هناك، ومنعوه عن تطرق البلاد، فلم يكن لهم به طاقة، وهزمهم وقتل كثيرا منهم، وملك بلاد تركستان بأجمعها، وصار كالمجاور لبلاد خوارزمشاه، وإن كان بينهما مسافة بعيدة، وصار بينه وبين خوارزمشاه سلم ومهادنة، إلا أنها هدنة على دخن. فمكثت الحال على ذلك يسيرا، ثم فسدت بما كان يصل إلى خوارزمشاه على ألسنة التجار من الاخبار، وأن جنكز خان على عزم النهوض إلى سمرقند وما يليها، وأنه في التأهب والاستعداد، فلو داراه لكان أولى له، لكنه شرع فسد طرق التجار القاصدين إليهم، فتعذرت عليهم الكسوات، ومنع عنهم الميرة والاقوات التي تجلب وتحمل من أعمال ما وراء النهر إلى تركستان، فلوا قتنع بذلك لكان قريبا، لكنه أنهى إليه نائبه بالمدينة المعروفة بأوتران، وهى آخر ولايته بما وراء النهر، أن جنكز خان قد سير جماعة من تجار التتار، ومعهم شئ عظيم من الفضة إلى سمرقند، ليشتروا له ولاهله وبنى عمه كسوة وثيابا وغير ذلك. فبعث إليه خوارزمشاه يأمره بقتل أولئك التجار، وأخذ ما معهم من الفضة وإنفاذها إليه، فقتلهم وسير إليه الفضة. وكان ذلك شيئا كثيرا جدا، ففرقه خوارزمشاه على تجار سمرقند وبخاري، وأخذ ثمنه منهم لنفسه. ثم علم أنه قد أخطأ، فأرسل إلى نائبه بأوتران، يأمره أن ينفذ جواسيس من عنده إليهم، ليخبروه بعدتهم، فمضت الجواسيس، وسلكت مفاوز وجبالا كثيرة، وعادوا إليه بعد مدة، فأخبروه بكثرة عددهم، وأنهم لا يبلغهم الاحصاء ولا يدركهم، وأنهم من أصبر الناس على القتال: لا يعرفون الفرار، ويعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم، وأن خيلهم لا تحتاج إلى الشعير، بل تأكل نبات الارض وعروق المراعى، وأن عندهم من الخيل والبقر ما لا يحصى، وأنهم يأكلون الميتة والكلاب والخنازير وهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش والشقاء، وثيابهم من أحسن الثياب مسا، ومنهم من يلبس جلود

الكلاب والدواب الميئة، وأنهم أشبه شئ بالوحش والسباع. فأنهى ذلك كله إلى خوارزمشاه، فندم على قتل أصحابهم، وعلى خرق الحجاب بينه وبينهم، وأخذ أموالهم، وغلب عليه الفكر والوجل، فأحضر الشهاب لخيوفى، وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده، لا يخالف ما يشير به، فقال له: قد حدث أمر عظيم لا بد من الفكر فيه، وإجالة الرأى فيما نفعك وذلك أنه قد تحرك إلينا خصم من الترك في عدد لا يحصى، فقال له: عساكر كثيرة، وتكاتب الاطراف، وتجمع الجنود، ويكون من ذلك نفي عام، فإنه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالاموال والرجال، ثم تذهب بجميع العساكر إلى جانب سيحون، وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبين بلاد خوارزمشاه، فتكون هناك، فإذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة، لقيناه ونحن جامون مستريحون، وقد مسه وعساكره النصب واللغوب. فجمع خوارزمشاه أمراءه، ومن عنده من أرباب المشورة، فاستشارهم فقالوا: لا بل الرأى أن نتركهم ليعبروا سيحون إلينا، ويسلكوا هذه الجبال والمضايق، فإنهم جاهلون بطرقها، ونحن عارفون بها، فنظهر عليهم، ونهلكهم عن آخرهم. فكانوا على ذلك حتى وصل رسول من جنكز خان ومعه جماعة، يتهدد خوارزمشاه، ويقول: تقتل أصحابي وتجارى، وتأخذ مالى منهم! استعد للحرب، فإنى واصل إليك بجمع لا قبل لك به.

فلما أدى هذه الرسالة إلى خوارزمشاه أمر بقتل الرسول فقتل، وحلق لحي الجماعة الذين كانوا معه، وأعادهم إلى صاحبهم جنكز خان ليخبروه بما فعل بالرسول، ويقولوا له: إن خوارزمشاه يقول لك: إنى سائر إليك، فلا حاجة لك أن تسير إلى، فلو كنت في آخر الدنيا لطلبتك حتى أقتلك، وأفعل بك وبأصحابك ما فعلت برسلك. وتجهز خوارزمشاه، وسار بعد نفوذ الرسول، مبادرا لسبق خبره، ويكبس التتار على غرة، فقطع مسيرة أربعة أشهر في شهر واحد، ووصل إلى بيوتهم وخر كاواتهم، فلم ير فيها إلا النساء والصبيان والاثقال، فأوقع بهم، وغنم الجميع، وسبى النساء والذرية. وكان سبب غيوبة التتار عن بيوتهم أنهم ساروا إلى محاربة ملك من ملوك الترك، يقال له " كشلوخان "، فقاتلوه فهزموه، وغنموا أمواله، وعادوا، فلقبهم الخبر في طريقهم بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم، فأغذوا السير فأدركوه، وهو على الخروج من بيوتهم. بعد فراغه من الغنمة فواقعوه وتصافوا للحرب ثلاثة أيام بلياليها، لا يفثرون نهارا ولا ليلا، فقتل من

الفريقين ما لا يعد، ولم ينهزم منهم أحد. أما المسلمون فصبروا حمية للدين، وعلموا أنهم إن أنهزموا لم يبق للإسلام باقية، ثم إنهم لا ينجون، بل يؤخذون ويؤسرون لبعدهم عن بلاد يمتنعون بها، وأما التتار فصبروا لاستنقاذ أموالهم وأهلهم، واشتد الخطب بين الطائفتين، حتى إن أحدهم كان ينزل عن فرسه، ويقا تل قرنه راجلا، مضاربة بالسكاكين، وجرى الدم على الأرض، حتى كانت الخيل تزلق فيه لكثرتة، ولم يحضر جنكز خان بنفسه هذه الواقعة، وإنما كان فيها قآن ولده، فأحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين ألفا، ولم يحص عدة من قتل من التتار. فلما جاءت الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض، فلما أظلم الليل، أوقد التتار نيرانهم، وتركوها بحالها، وساروا راجعين إلى جنكزخان ملكهم، وأما المسلمون فرجعوا ومعهم محمد خوارزمشاه، فلم يزالوا سائرين حتى وافوا بخارى، وعلم خوارزمشاه انه لا طاقة له بجنكز خان لان طائفه من عسكره لم يلقوا خوارزمشاه بجميع عساكره بهم، فكيف إذا حشدوا وجاءوا على بكرة أبيهم، وملكهم جنكزخان بينهم. فاستعد للحصار، وأرسل إلى سمرقند يأمر قواده المقيمين بها بالاستعداد للحصار، وجمع الذخائر للامتناع والمقام من وراء الاسوار، وجعل في بخارى عشرين ألف فارس، يحمونها وفي سمرقند خمسين ألفا، وتقدم إليهم بحفظ البلاد حتى يعبر هو إلى خوارزم وخراسان، فيجمع العساكر، ويستنجد بالمسلمين والغزاة المطوعة ويعود إليهم ثم رحل إلى خراسان، فعبر جيحون، وكانت هذه الواقعة في سنة ست عشرة وستمائة فنزل بالقرب من بلخ، فعسكر هناك، واستنفر الناس. وأما التتار فإنهم رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون بلاد ما وراء النهر فوصلوا إلى بخارى بعد خمسة أشهر من رحيل خوارزمشاه عنها وحصروها، فقاتلوا العسكر المرابط بها ثلاثة أيام قتالا متتابعا، فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة، ففتحوا أبواب المدينة ليلا، وخرجوا بأجمعهم عائدين إلى خراسان فاصبح أهل بخارى وليس عندهم من العسكر أحد أصلا، فضعفت نفوسهم، فأرسلوا قاضي بخارى ليطلب الامان للرعية فأعطاه التتار الامان، وقد كان بقى في قلعة بخارى خاصة طائفة من عسكر خوارزمشاه معتصمون بها. فلما رأى أهل بخارى بذلك للامان فتحوا أبواب المدينة، وذلك في رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل التتار بخارى، ولم يتعرضوا لاحد من الرعية بل قالوا لهم: كل ما لخوارزمشاه عندكم من وديعة أو ذخيرة أخرجوه إلينا وساعدونا على قتال من بالقلعة ولا بأس عليكم. وأظهروا فيهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه إلى البلد، وأحاط

بالقلعة، ونادى مناديه في البلدان : لا يتخلف أحد، ومن تخلف قتل. فحضر الناس بأسرهم، فأمرهم بطم الخندق فطموه بالاختشاب والاحطاب والتراب، ثم زحفوا نحو القلعة وكان عدة من بها من الجند الخوارزمية أربعمائة إنسان، فبدلوا جهدهم، ومنعوا القلعة عشرة أيام إلى أن وصل النقبون إلى سور القلعة، فنقبوه ودخلوا القلعة، فقتلوا كل من بها من الجند وغيرهم. فلما فرغوا منها أمر جنكز خان أن يكتب له وجوه البلد ورؤساؤهم ففعل ذلك، فلما عرضوا عليه أمر بإحضارهم، فأحضروا، فقال لهم : أريد منكم الفضة النقرة التي باعها إياكم خوارزمشاه، فإنها لى ومن أصحابي أخذت فكان كل من عنده شئ منها يحضره، فلما فرغ من ذلك أمرهم بالخروج عن البلد بأنفسهم خاصة، فخرجوا مجردين عن أموالهم، ليس مع كل واحد منهم إلا ثيابه التي على جسده فامر بقتلهم، فقتلوا عن آخرهم، وأمر حينئذ بنهب البلد فنهب كل ما فيه، وسبيت النساء والاطفال، وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال، ثم رحلوا عنه نحو سمرقند، وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم، واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى مشاة على أقبح صورة، وكل من أعيأ وعجز عن المشى قتلوه. فلما قاربوا سمرقند، قدموا الخيالة، وتركوا الرجال والأسارى والاثقال وراءهم، حتى يلتحقوا بهم شيئا فشيئا، ليرعبوا قلوب أهل البلد، فلما رأى أهل سمرقند سوادهم، استعظموهم، فلما كان اليوم الثاني وصل الأسارى والرجال والاثقال، ومع كل عشرة من الأسارى علم، فظن أهل البلد أن الجميع عسكر مقاتلة، فأحاطوا بسمرقند، وفيها خمسون ألفا من الخوارزمية، وما لا يحصى كثرة من عوام البلد، فأحجم العسكر الخوارزمي عن الخروج إليهم، وخرجت العامة بالسلاح، فاطمعهم التتار في أنفسهم، وقهقروا عنهم وقد كمنوا لهم كمناء، فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم من ورائهم وشد عليهم من ورائهم جمهور التتار فقتلوه عن آخرهم. فلما رأى من تخلف بالبلد ذلك ضعفت قلوبهم، وخيلت للجند الخوارزمي أنفسهم أنهم أن استأمنوا إلى التتار أبقوا عليهم للمشاركة في جنسية التركية، فخرجوا بأموالهم وأهليهم إليهم مستأمنين، فأخذوا سلاحهم وخيلهم، ثم وضعوا السيف فيهم، فقتلوهم كلهم، ثم نادوا في البلد : برئت الذمة ممن لم يخرج، ومن خرج فهو آمن. فخرج الناس إليهم بأجمعهم، فاختلطوا عليهم، ووضعوا فيهم السيف، وعذبوا الاغنياء منهم، واستصفوا أموالهم، ودخلوا سمرقند، فأخربوها، ونقضوا دورها، وكانت هذه الواقعة في المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزم شاه مقيما بمنزله الاول،

كلما اجتمع له جيش سيره إلى سمرقند فيرجع ولا يقدم على الوصول إليها، فلما قضوا وطرا من سمرقند، سير جنكزخان عشرين ألف فارس، وقال لهم: اطلبوا خوارزمشاه أين كان، ولو تعلق بالسما، حتى تدركوه وتأخذوه! وهذه الطائفة تسميها التتار المغربة لأنها سارت نحو غرب خراسان، وهم الذين أو غلوا في البلاد ومقدمهم جرماغون، نسيب جنكز خان. وحكى أن جنكز خان كان قد أمر على هذا الجيش ابن عم له شديد الاختصاص به، يقال له متكلي نويرة وأمره بالجد وسرعه المسير، فلما ودعه، عطف متكلي نويرة هذا فدخل إلى خرکاة فيها امرأة له كان يهواها ليودعها، فاتصل ذلك بجنكز خان، فصرفه في تلك الساعة عن إمارة الجيش، وقال: من يثنى عزمه امرأة، لا يصلح لقيادة الجيوش، ورتب مكانه جرماغون، فساروا وقصدوا من جيحون موضعا يسمى " بنج آب " أي خمس مياه، وهو يمنع العبور، فلم يجدوا به سفنا، فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار، ولبسوه جلود البقر، ووضعوا فيه أسلحتهم، وأقحموا خيولهم الماء، وأمسكوا بأذنانها وتلك الاحواض مشدودة إليها، فكان الفرس يجذب الرجل، والرجل يجذب الحوض، فعبروا كلهم ذلك الماء دفعة واحدة، فلم يشعر خوارزمشاه بهم إلا وهم معه على أرض واحدة، وكان جيشه قد ملئ رعبا منهم، فلم يقدرُوا على الثبات، فتفرقوا أيدي سبأ، وطلب كل فريق منهم جهة، ورحل خوارزمشاه في نفر من خواصه، لا يلوى على شيء، وقصد نيسابور، فلما دخلها اجتمع عليه بعض عسكره فلم يستقر، حتى وصل جرماغون إليه، وكان لا يتعرض في مسيره بنهب ولا قتل، بل يطوى المنازل طيا، يطلب خوارزمشاه ولا يمهل له ليجمع عسكرا، فلما عرف قرب التتار منه، هرب من نيسابور إلى مازندران، فدخلها ورحل جرماغون خلفه، ولم يعرج على نيسابور، بل قصد مازندران، فخرج خوارزم شاه عنها، فكان كلما رحل عن منزل نزل التتار، حتى وصل إلى بحر طبرستان، فنزل هو وأصحابه في سفن، ووصل التتار، فلما عرفوا نزوله البحر، رجعوا وأيسوا منه. وهؤلاء الذين ملكوا عراق العجم وأذربيجان فاقاموا بناحية تبريز إلى يومنا هذا. ثم اختلف في أمر خوارزم شاه، فقوم يحكون أنه أقام بقلعة له في بحر طبرستان منيعة، فتوفى بها، وقوم يحكون أنه غرق في البحر، وقوم يحكون أنه غرق ونجا عربانا، فصعد إلى قرية من قرى طبرستان، فعرفه أهلها فجاؤا وقبلوا الأرض بين يديه، وأعلموا عاملهم به، فجاء إليه وخدمه، فقال له خوارزمشاه: أحملني في مركب إلى الهند، فحملة إلى شمس الدين أنليمش ملك الهند، وهو نسيبه من جهة زوجته والدة

منكبوني بن خوارزمشاه الملك جلال الدين، فإنها هندية من أهل بيت الملك، فيقال إنه وصل إلى أنليمش، وقد تغير عقله مما اعتراه من خوف التتار، أو لامر سلطه الله تعالى عليه فكان يهذى بالتتار بكرة وعشيه، وكل وقت وكل ساعة ويقول هو ذا هم قد خرجوا من هذا الباب، قد هجموا من هذه الدرجة، ويرعد ويحول لونه، ويختل كلامه وحركاته. وحكى لى فقيه خراساني وصل إلى بغداد يعرف بالبرهان، قال كان أخى معه، وكان ممن يثق خوارزم شاه به، ويختصه، قال لهج خوارزم شاه لما تغير عقله بكلمة كان يقولها: " قراتر كلدى " يكررها، وتفسيرها: " التتر السود قد جاؤوا "، وفي التتر صنف سود يشبهون الزنج، لهم سيوف عريضة جدا على غير صورة هذه السيوف، يأكلون لحوم الناس فكان خوارزم شاه قد أهر وأغرى بذكرهم. وحدثني البرهان، قال: رقى به شمس الدين أنليمش إلى قلعة من قلاع الهند، حصينة عالية شاهقة لا يعلوها الغيم أبدا، وإنما تمطر السحب من تحتها. وقال له: هذه القلعة لك وذخايرها أموالك، فكن فيها وادعنا آمنة إلى أن يستقيم طالعك، فالملوك ما زالوا هكذا، يدبر طالعهم ثم يقبل فقال له: لا أقدر على الثبات فيها، والمقام بها، لأن التتر سوف يطلبونني، ويقدمون إلى هاهنا، ولو شاءوا لوضعوا سروج خيلهم واحدا على واحد تحت القلعة، فبلغت إلى ذروتها، وصعدوا عليها، فأخذوني قبضا باليد، فعلم أنليمش أن عقله قد تغير، وأن الله تعالى قد بدل ما به من نعمة فقال: فما الذى تريد؟ قال: أريد أن تحملني في البحر المعروف ببحر المعبر إلى كرمان، فحمله في نفر يسير من مماليكه إلى كرمان، ثم خرج منها إلى أطراف بلاد فارس، فمات هناك في قرية من قرى فارس، وأخفى موته، لئلا يقصده التتر، وتطلب جثته وجملة الامر أن حاله مشتبهة ملتبسة لم يتحقق على يقين وبقي الناس بعد هلاكه نحو سبع سنين ينتظرونه. ويذهب كثير منهم إلى أنه حي مستتر، إلى أن ثبت عند الناس كافة أنه هلك.

فأما، جرماغون فإنه لما يئس من الظفر بخوارزم شاه، عاد من ساحل البحر إلى مازندران، فملكها في أسرع وقت، مع حصانتها وصعوبة الدخول إليها وامتناع قلاعها، فإنها لم تزل ممتنعه على قديم الوقت، حتى إن المسلمين لما ملكوا بلاد الاكاسرة من العراق إلى أقصى خراسان، بقيت أعمال مازندران يحالها تؤدى الخراج، ولا يقدر المسلمون على دخولها إلى أيام سليمان بن عبد الملك. ولما ملكت التتار مازندران، قتلوا

فيها ونهبوا وسلبوا، ثم سلكوا نحو الرى فصادفوا في الطريق والدة خوارزم شاه ونساءه، ومعهن أموال بيت خوارزم شاه وذخائرهم، التي ما لا يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة، وهن قاصدات نحو الرى، ليعتصمن ببعض القلاع المنيعة، فاستولى التتار عليهن وعلى ما معهن بأسره، وسيروه كله إلى جنكزخان بسمرقند وصمدوا صمد الرى، وقد كان أتصل بهم أن محمدا خوارزم شاه قصدتها كما يتسامع الناس بالاراجيف الصحيحة والباطلة، فوصلوها على حين غفلة من أهلها، فلم يشعر بهم عسكر الرى إلا وقد ملكوها ونهبوها، وسبوا الحرم، واسترقوا الغلمان، وفعلوا كل قبيح منكر فيها، ولم يقيموا بها، ومضوا مسرعين في طلب خوارزم شاه، فنهبوا في طريقهم ما مروا به من المدن والقرى، وأحرقوا وخربوا، وقتلوا الذكران والاناث، ولم يبقوا على شيء، وقصدوا نحو همذان، فخرج إليهم رئيسها، ومعه أموال جليلة قد جمعها من أهل همذان، عينا وعروضا وخيلا، وطلب منهم الامان لاهل البلد، فأمنوهم، ولم يعرضوا لهم وساروا إلى زنجان، واستباحوها، وإلى قزوين فاعتصم أهلها منهم بقصبة مدينتهم، فدخلوها بالسيف عنوة، وقتلهم أهلها قتالا شديدا بالسكاكين، وهم معتادون بقتال السكين من حروبهم مع الاسماعيلية، فقتل من الفريقين مالا يحصى. ويقال. إن القتلى بلغت أربعين ألفا من أهل قزوين خاصة. ثم هجم على التتار البرد الشديد، والثلج المترام، فساروا إلى أذربيجان، فنهبوا القرى، وقتلوا من وقف بين أيديهم، وأحربوا وأحرقوا، حتى وصلوا إلى تبريز، وبها صاحب أذربيجان أزيك بن البهلوان بن أيلدكر، فلم يخرج إليهم، ولا حدث نفسه بقتالهم، لاشتغاله بما كان عليه من اللهو وإدمان الشرب ليلا ونهارا. فأرسل إليهم، وصالح لهم على مال وثياب ودواب، وحمل الجميع إليهم، فساروا من عنده يطلبون ساحل البحر، لانه مشتى صالح لهم والمراعى به كثيرة، فوصلوا إلى موقان، وهى المنزل الذى نزلته الخرمية في أيام المعتصم، وقد ذكره الطائيان في أشعارهما في غير موضع، والناس اليوم يقولون بالغين المعجمة عوض القاف، وقد كانوا تطرقوا في طريقهم بعض أعمال الكرج، فخرج إليهم منهم عشرة آلاف مقاتل، فحاربوهم وهزموهم، وقتلوا أكثرهم. فلما استقروا بموقان، راسلت الكرج أزيك بن البهلوان في الاتفاق على حربهم، وراسلوا موسى بن أيوب المعروف بالاشرف، وكان صاحب خلاط وأرمينية بمثل ذلك، وظنوا أنهم يصبرون إلى أيام الربيع وانحسار الثلوج، فلم يصبروا وصاروا من موقان في صميم الشتاء نحو بلاد الكرج، فخرجت إليهم الكرج، واقتتلوا قتالا شديدا، فلم يثبتوا

للتار، وانهزموا أقبح هزيمة وقتل منهم من لا يحصى، فكانت هذه الواقعة في ذي الحجة من سنة سبع عشرة وستمائة ثم توجهوا إلى المراغة في أول سنة ثمانى عشرة فملكوها في صفر، وكانت لامرأة من بقايا ملوك المراغة تدبرها هي ووزراؤها فنصبوا عليها المجانيق، وقدموا أسارى المسلمين بين أيديهم وهذه عادتهم يتترسون بهم في الحروب، فيصيبهم حدها، ويسلمون هم من مضرتها، فملكوها عنوة، ووضعوا السيف في أهلها ونهبوا ما يصلح لهم، وأحرقوا ما لا يصلح لهم، وخذل الناس عنهم، حتى كان الواحد منهم يقتل بيده مائة إنسان، والسيوف في أيديهم لا يقدر أحد منهم أن يحرك يده بسيفه نحو ذلك التترى، خذلان صب على الناس، وأمر سمائي اقتضاه. ثم عادوا إلى همذان، فطالبوا أهلها بمثل المال الذى بذلوه لهم في الدفعة الاولى، فلم يكن في الناس فضل لذلك، لانه كان عظيما جدا، فقام إلى رئيس همذان جماعة من أهلها، وأسمعوه كلاما غليظا فقالوا: أفقرتنا أولا، وتريد أن تستصفينا دفعة ثانية! ثم لا بد للتار أن يقتلونا فدعنا نجاهدهم بالسيف، ونموت كراما. ثم وثبوا على شحنة كان للتار بهمذان فقتلوه، واعتصموا بالبلد فحصرهم التار فيه، فقلت عليهم الميرة، وهدمت الاقوات. وأضر ذلك بأهل همذان، ولم ينل التار مضرة من عدم القوت، لانهم لا يأكلون إلا اللحم، والخيل معهم كثيرة ومعهم غنم عظيمة يسرقونها حيث شاءوا وخيلهم لا تأكل الشعير، ولا تأكل إلا نبات الارض، تحفر بحوافرها الارض عن العروق، فتأكلها. فاضطر رئيس همذان وأهلها إلى الخروج إليهم فخرجوا، والتحمت الحرب بينهم أياما.

وفقد رئيس همذان، هرب في سرب قد كان أعده إلى موضع اعتصم به ظاهر البلد، ولم يعلم حقيقة حاله، فتحير أهل همذان بعد فقدته ودخلوا لمدينة، واجتمعت كلمتهم على القتال في قصبه البلد إلى أن يموتوا. وكان التار قد عزموا على الرحيل عنهم، لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا يخرج إليهم من البلد، طمعوا واستدلوا على ضعف أهله فقصدتهم وقاتلوههم وذلك في شهر رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة، ودخلوا المدينة بالسيف، وقاتلهم الناس في الدروب، وبطل السلاح للزدحام، واقتتلوا بالسكاكين، فقتل من الفريقين ما لا يحصى، وظهر التار على المسلمين فأفنوهم قتلا، ولم يسلم منهم إلا من كان له نفق في الارض يستخفى فيه. ثم ألقوا النار في البلد فأحرقوها، ورجلوا إلى مدينة أردبيل وأعمال أذربيجان فملكوا أردبيل، وقتلوا فيها، فأكثروا. ثم ساروا إلى تبريز.

وكان بها شمس الدين عثمان الطغرائي، قد جمع كلمة أهلها بعد مفارقة صاحب أذربيجان أزيك بن البهلوان للبلاد خوفا من التتار ومقامه بنقجوان فقوى الطغرائي نفوس الناس على الامتناع، وحذرهم عاقبة التخاذل، وحصن البلد. فلما وصل التتار، ورأوا إجتماع كلمة المسلمين وحصانة البلد، طلبوا منهم مالا وثيابا، فاستقر الامر بينهم على شئ معلوم، فسيروه إليهم، فلما أخذوه رحلوا إلى بيلقان، فقاتلهم أهلها. فملكها التتار في شهر رمضان من هذه السنة، ووضعوا فيهم السيف حتى أفنوهم أجمعين. ثم ساروا إلى مدينة كنجة، وهي أم بلاد أران، وأهلها ذوو شجاعة وبأس وجلد، لمقاومتهم الكرج، وتدريبهم بالحرب، فلم يقدر التتار عليهم، وأرسلوا إليهم يطلبون مالا وثيابا، فأرسلوه إليهم، فساروا عنهم، فقصدوا الكرج، وقد أعدوا لهم فلما صافوهم هرب الكرج، وأخذهم السيف فلم يسلم إلا الشريد، ونهبت بلادهم وأخربت ولم يوغل التتار في بلاد الكرج، لكثرة مضايقتها ودربنداتها، فقصدوا دربند شروان فحاصروا مدينة شماخي، وصعدوا سورها في السلايم، وملكوا البلد بعد حرب شديد، وقتلوا فيه فلما فرغوا، أرادوا عبور الدربند، فلم يقدموا عليه، فأرسلوا إلى شروان شاه ملك الدربند، فطالبوه بإنفاذ رسول يسعى بينه وبينهم في الصلح، فأرسل إليهم عشرة من ثقاته فلما وصلوا إليهم جمعوهم، ثم قتلوا واحدا منهم بحضور الباقيين وقالوا للتسعة : إن أنتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلکم الامان، وإلا قتلناکم كما قتلنا صاحبکم فقالوا لهم : لا طريق في هذا الدربند، ولكن نعرفکم موضعا هو أسهل المواضع لعبور الخيل. وساروا بين أيديهم إليه، فعبروا الدربند، وتركوه وراء ظهورهم، وساروا في تلك البلاد، وهي مملوءة من طرائق مختلفه منهم اللان واللكر وأصناف من الترك، فنهبوا وقتلوا الكثير من ساكنيها، ورحلوا إلى اللان، وهم أمم كثيرة وقد وصلهم خبرهم، وجمعوا وحذروا، وانضاف إليهم جموع من قفجاق، فقاتلوهم فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر، فأرسل التتار إلى قفجاق : أنتم إخواننا، وجنسنا واحد، واللان ليسوا من جنسکم لتنصروهم ولا دينهم دينکم، ونحن نعاهدکم ألا نعرض لکم، ونحمل إليکم من المال والثياب ما يستقر بيننا وبينکم، على أن تنصرفوا إلى بلادکم. فاستقر الامر بينهم على مال وثياب حملها التتار إليهم، وفارقت قفجاق اللان، فأوقع التتار باللان، فقتلوهم ونهبوا أموالهم، وسبوا نساءهم. فلما فرغوا منهم ساروا إلى بلاد قفجاق وهم آمنون متفرقون، لما استقر بينهم وبين التتار من الصلح، فلم يشعروا بهم إلا وقد طرقتهم، ودخلوا بلادهم، فأوقعوا بهم الاول فالاول، وأخذوا منهم أضعاف ما

حملوا إليهم، وسمع ما كان بعيد الدار من قفجاق بما جرى. فقروا عن غير قتال فابعدوا، فبعضهم بالغياض وبعضهم بالجبال، وبعضهم لحقوا ببلاد الروس. وأقام التتار في بلاد قفجاق، وهي أرض كثيرة المراعى في الشتاء، وفيها أيضاً أماكن باردة في الصيف، كثيرة المراعى، وهي غياض على ساحل البحر. ثم سارت طائفة منهم إلى بلاد الروس، وهي بلاد كثيرة عظيمه، وأهلها نصارى، وذلك في سنة عشرين وستمائة فاجتمع الروس وقفجاق عن منعهم عن البلاد، فلما قاربهم التتار، وعرفوا اجتماعهم، رجعوا القهقري إليها للروس، أن ذلك عن خوف وحذر، فجدوا في اتباعهم، ولم يزل التتار راجعين، وأولئك يقفون آثارهم اثني عشر يوماً. ثم رجعت التتار على الروس وقفجاق، فأخذوا فيهم قتلاً وأسراً، ولم يسلم منهم إلا القليل، ومن سلم نزل في المراكب، وخرج في البحر إلى الساحل الشامي، وغرق بعض المراكب. وهذه الوقائع كلها تولاها التتار المغربة، الذين قائدهم جرماغون، فأما ملكهم الأكبر جنكز خان، فإنه كان في هذه المدة بسمرقند ما وراء النهر، فقسم أصحابه أقساماً، فبعث قسماً منهم إلى فرغانة وأعمالها، فملكوها، وبعث قسماً آخر إلى ترمذ وما يليها فملكوها، وبعث قسماً آخر إلى بلخ وما يليها من أعمال خراسان. فأما بلخ فإنهم أمنوا أهلها، ولم يتعرضوا لها بنهب ولا قتل وجعلوا فيها شحنة وكذلك فاربات وكثير من المدن، إلا أنهم أخذوا أهلها، يقاتلون بهم من يمتنع عليهم، حتى وصلوا إلى الطالقان، وهي عدة بلاد، وفيها قلعة حصينة، وبها رجال إنجاد، فأقاموا على حصارها شهوراً فلم يفتحوها، فأرسلوا إلى جنكز خان يعرفونه عجزهم عنها فسار بنفسه، وعبر جيحون، ومعه من الخلائق ما لا يحصى، فنزل على هذه القلعة، وبنى حولها شبه قلعة أخرى من طين وتراب وخشب وحطب ونصب عليها المنجنيقات، ورمى القلعة بها، فلما رأى أهلها ذلك فتحوها، وخرجوا وحملوا حملة واحدة، فقتل منهم من قتل، وسلم من سلم، وخرج السالمون فسلخوا تلك الجبال والشعاب، ناجين بأنفسهم، ودخل التتار القلعة فنهبوا الأموال والامتعة، وسبوا النساء والأطفال. ثم سير جنكز خان جيشاً عظيماً مع أحد أولاده إلى مدينة مرو، وبها مائتا ألف من المسلمين، فكانت بين التتار وبينهم حروب عظيمة شديدة، صبر فيها المسلمون ثم انهزموا، ودخلوا البلد، وأغلقوا أبوابه فحاصره التتار حصاراً طويلاً، ثم أمنوا متقدم البلد فلما خرج إليهم في الأمان، خلع عليه ابن جنكز خان وأكرمه، وعاهده ألا يتعرض لأحد من أهل مرو، ففتح الناس الأبواب، فلما تمكنوا منهم استعرضوهم بالسيف عن آخرهم

فلم يبقوا منهم باقية، بعد أن استصفوا أرباب الاموال عقيب عذاب شديد عذبوهم به. ثم ساروا إلى نيسابور، ففعلوا به ما فعلوا بمرو من القتل والاستئصال، ثم عمدوا إلى طوس، فنهبوها وقتلوا أهلها، وأخرجوا المشهد الذي به على بن موسى الرضا عليه السلام والرشيد هارون بن المهدي، وساروا إلى هراة فحاصروها، ثم أمنوا أهلها، فلما فتحوها قتلوا بعضهم وجعلوا على الباقيين شحنة فلما بعدوا وثب أهل هراة على الشحنة فقتلوه فعاد عليهم عسكر من التتار، فاستعرضوهم بالسيف، فقتلوه عن آخرهم. ثم عادوا إلى طالقان، وبها ملكهم الاكبر جنكز خان، فسير طائفة منهم إلى خوارزم، وجعل فيها مقدم أصحابه وكبراءهم، لان خوارزم حينئذ كانت مدينة الملك، وبها عسكر كثير من الخوارزمية، وعوام البلد معروفون بالبأس والشجاعة، فساروا ووصلوا إليها، فالتقى الفئتان، واقتتلوا أشد قتال سمع به، ودخل المسلمون البلد، وحصرتهم التتار خمسة أشهر، وأرسل التتار إلى جنكزخان يطلبون المدد، فأمدهم بجيش من جيوشه، فلما وصل قويت منتهم به، وزحفوا إلى البلد زحفا متتابعاً، فملكوا طرفاً منه، وولجوا المدينة، فقاتلهم المسلمون داخل البلد، فلم يكن لهم به طاقة فملكوه وقتلوا كل من فيه، فلما فرغوا منه وقضوا وطهرهم من القتل والنهب فتحوا السكر الذي يمنع ماء جيحون عن خوارزم، فدخل الماء البلد، فغرق كله، وانهدمت الابنية، فبقى بحراً، ولم يسلم من أهل خوارزم أحد البتة، فإن غيره من البلاد كان يسلم نفر يسير من أهلها وأما خوارزم فمن وقف للسيف قتل، ومن استخفى غرقة الماء أو أهلكه الهدم، فأصبحت خوارزم ياباً. فلما فرغ التتر من هذه البلاد، سيروا جيشاً إلى غزنة، وبها حينئذ جلال الدين منكبرى بن محمد خوارزم شاه مالکها، وقد اجتمع إليه من سلم من عسكر أبيه وغيرهم، فكانوا نحو ستين ألفاً، وكان الجيش الذي سار إليهم التتار اثني عشر ألفاً، فالتقوا في حدود غزنة، واقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام، ثم أنزل الله النصر على المسلمين، فأنهزم التتر، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وتحيز الناجون منهم إلى الطالقان، وبها جنكز خان، وأرسل جلال الدين إليه رسولا يطلب منه أن يعين موضعاً للحرب، فاتفقوا على أن يكون الحرب بكابل، فأرسل جنكز خان إليها جيشاً، وسار جلال الدين إليها بنفسه، وتصافوا هناك، فكان الظفر للمسلمين، وهرب التتار فالتجثوا إلى الطالقان، وجنكزخان مقيم بها أيضاً، وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة، فجرت بينهم فتنة عظيمة في الغنائم، وذلك لان أميراً من أمرائهم اسمه بغراق، كان قد أبلى في حرب التتر هذه جرت بينه وبين أمير يعرف

بملك خان، نسيب خوارزم شاه، مقابلة أفضت إلى أن قتل أخ لبغراق، فغضب وفارق جلال الدين في ثلاثين ألفاً، فتبعه جلال الدين واسترضاه واستعطفه، فلم يرجع، فضعف جانب جلال الدين بذلك، فبينما هو كذلك وصله الخبر أن جنكز خان قد سار إليه من الطالقان بنفسه وجيوشه، فعجز عن مقاومته، وعلم أنه لا طاقة له به، فسار نحو بلاد الهند وعبر نهر السند، وترك غزنة شاغرة كالقريسة للأسد، فوصل إليها جنكز خان فملكها، وقتل أهلها وسبى نساءها، وأخرب القصور، وتركها كأمس الغابر. ثم كانت لهم بعد ملك غزنة واستباحتها وقائع كثيرة مع ملوك الروم بنى قلج أرسلان، لم يوغلوا فيها في البلاد، وإنما كانوا يتطرقونها وينهبون ما تاخمهم منها، وأذعن لهم ملوك فارس، وكرمان، والتيز، ومكران بالطاعة وحملوا إليهم الاتاوة، ولم يبق في البلاد الناطقة باللسان الأعجمي بلد إلا حكم فيه سيفهم أو كتابهم، فأكثر البلاد قتلوا أهلها، وسبق السيف فيهم العذل والباقي أدى الاتاوة إليهم رغماً، وأعطى الطاعة صاغراً، ورجع جنكزخان إلى ما وراء النهر وتوفى هناك. وقام بعده ابنه قآن مقامه، وثبت جرماغون في مكانه بأذربيجان ولم يبق لهم إلا أصبهان فإنهم نزلوا عليها مرارا في سنة سبع وعشرين وستمائة، وحاربهم أهلها، وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة، ولم يبلغوا منها غرضاً، حتى اختلف أهل أصبهان في سنة ثلاث وثلاثين وستمائه وهم طائفتان : حنفية وشافعية، وبينهم حروب متصلة وعصبية ظاهرة فخرج قوم من أصحاب الشافعي إلى من يجاورهم ويتأخمهم من ممالك التتار، فقالوا لهم : اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم، فنقل ذلك إلى قآن بن جنكز خان بعد وفاة أبيه، والملك يومئذ منوط بتدييره، فأرسل جيوشاً من المدينة المستجدة التي بنوها، وسموها قرا حرم فعبرت جيحون مغربة، وانضم إليها قوم ممن أرسله جرماغون على هيئة المدد لهم فنزلوا على أصفهان في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة، وحصروها فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة، حتى قتل كثير منهم، وفتحت أبواب المدينة، فتحتها الشافعية على عهد بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية ويعفوا عن الشافعية، فلما دخلوا البلد بدؤوا بالشافعية، فقتلوهم قتلاً ذريعاً، ولم يقفوا مع العهد الذي عهدوه لهم، ثم قتلوا الحنفيه، ثم قتلوا سائر الناس. وسبوا النساء، وشقوا بطون الجبالى، ونهبوا الاموال، وصادروا الاغنياء، ثم أضرموا النار، فأحرقوا أصبهان، حتى صارت تلولا من الرماد. فلما لم يبق لهم بلد من بلاد العجم إلا وقد دوخوه، صمدوا نحو إربل في سنة أربع وثلاثين وستمائة، وقد كانوا طرقتوها مرارا وتحيفوا بعض

نواحيها فلم يوغلوا فيها، والامير المرتب بها يومئذ باتكين الرومي، فنزل عليها في ذي القعدة من هذه السنة منهم نحو ثلاثين ألف فارس، أرسلهم جرماغون، وعليهم مقدم كبير من رؤسائهم يعرف بجكتاي، فغاداهما القتال ورواحها، وبها عسكر جم من عساكر الاسلام، فقتل من الفريقين خلق كثير، واستظهر التتار، ودخلوا المدينة وهرب الناس إلى القلعة، فاعتصموا بها، وحصرهم التتار، وطال الحصار حتى هلك الناس في القلعة عطشا، وطلب باتكين منهم أن يصالحوه عن المسلمين بمال يؤديه إليهم، فأظهروا الاجابة، فلما أرسل إليهم ما تقرر بينهم وبينه، أخذوا المال وغدروا به، وحملوا على القلعة بعد ذلك حملات عظيمة، وزحفوا إليها زحفا متتابعا، وعلقوا عليها المنجنيقات الكثيرة، وسير المستنصر بالله الخليفة جيوشه مع مملوكه وخادم حضرته، وأخص ممالিকে به شرف الدين إقبال الشرامي، فساروا إلى تكريت، فلما عرف التتار شخوصهم رحلوا عن إربل، بعد أن قتلوا منها مالا يحصى، وأخربوها وتركوها كجوف حمار، وعادوا إلى تبريز، وبها مقام جرماغون، وقد جعلها دار ملكه. فلما رحلوا عن إربل، عاد العسكر البغدادي إلى بغداد، وكانت للتتار بعد ذلك نهضات وسرايا كثيرة إلى بلاد الشام، قتلوا ونهبوا وسبوا فيها حتى انتهت خيولهم إلى حلب، فأوقعوا بها، وصانعهم عنها أهلها وسلطانها، ثم عمدوا إلى بلاد كى خسرو صاحب الروم، وذلك بعد أن هلك جرماغون وقام عوضه المعروف ببابا يسيجو، وكان قد جمع لهم ملك الروم قرضه وقضيه، وجيشه ولفيفه واستكثر من الاكراد العتمرية، ومن عساكر الشام وجند حلب، فيقال: إنه جمع مائة ألف فارس وراجل، فلقية التتار في عشرين ألفا، فجرت بينه وبينهم حروب شديدة قتلوا فيها مقدمته، وكانت المقدمة كلها أو أكثرها من رجال حلب، وهم أنجاد أبطال فقتلوا عن آخرهم، وأنكسر العسكر الرومي وهرب صاحب الروم حتى انتهى إلى قلعه له على البحر تعرف بأنطاكية، فاعتصم بها وتمزقت جموعه، وقتل منهم عدد لا يحصى، ودخلت التتار إلى المدينة المعروفة بقيسارية ففعلوا فيها أفاعيل منكورة من القتل والنهب والتحريق، وكذلك بالمدينة المعروفة بسيواس وغيرها من كبار المدن الرومية، وبخع لهم صاحب الروم بالطاعة، وأرسل إليهم يسألهم قبول المال والمصانعة، فضربوا عليه ضريبة يؤديها إليهم كل سنة، ورجعوا عن بلاده وأقاموا على جملة السكون والموادعة للبلاد الاسلامية كلها، إلى أن دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة. فاتفق أن بعض أمراء بغداد وهو سليمان بن برجم، وهو مقدم الطائفة المعروفة بالايواء، وهي من التركمان، قتل

شحنة من شحنهم في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر، فأثار قتله أن سار من تبريز عشرة آلاف غلام منهم، يطوون المنازل، ويسبقون خبرهم، ومقدمهم المعروف بجكتاي الصغير، فلم يشعر الناس ببغداد إلا وهم على البلد، وذلك في شهر ربيع الاخر من هذه السنة في فصل الخريف، وقد كان الخليفة المستعصم بالله، أخرج عسكره إلى ظاهر سور بغداد على سبيل الاحتياط، وكان التتر قد بلغهم ذلك إلا أن جواسيسهم غرتهم، وأوقعت في أذهانهم أنه ليس خارج السور إلا خيام مضروبة وفساطيط مضروبة، لا رجال تحتها، وأنكم متى أشرفتم عليهم ملكتم سوادهم وثقلهم ويكون قصارى أمر قوم قليلين تحتها أن ينهزموا إلى البلد، ويعتصموا بجدرانها، فأقبلت التتر على هذا الظن، وسارت على هذا الوهم فلما قربوا من بغداد، وشارفوا الوصول إلى المعسكر، أخرج المستعصم بالله الخليفة مملوكه وقائد جيوشه شرف الدين إقبالا الشرابي إلى ظاهر السور، وكان خروجه في ذلك اليوم من لطف الله تعالى بالمسلمين، فإن التتار لو وصلوا وهو بعد لم يخرج، لاضطرب العسكر، لانهم كانوا يكونون بغير قائد ولا زعيم، بل كل واحد منهم أمير نفسه، وآراؤهم مختلفة لا يجمعهم رأى واحد، ولا يحكم عليها حاكم واحد، فكانوا في مظنة الاختلاف والتفرق، والاضطراب والتشتت، فكان خروج شرف الدين إقبال الشرابي في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور، ووصلت التتر إلى سور البلد في اليوم السابع عشر، فوقفوا بإزاء عساكر بغداد صفا واحدا، وترتب العسكر البغدادي ترتيبا منتظما، ورأى التتر من كثرتهم وجودة سلاحهم وعددهم وخيولهم، ما لم يكونوا يظنونهم ولا يحسبونهم، وانكشف ذلك الوهم الذي أوهمهم جواسيسهم عن الفساد والبطلان. وكان مدير أمر الدولة والوزارة في هذا الوقت هو الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي، ولم يحضر الحرب، بل كان ملازما ديوان الخلافة بالحضرة، لكنه كان يمد العسكر الاسلامي من آرائه وتدبيراته بما ينتهون إليه ويقفون عنده، فحملت التتار على عسكر بغداد حملات متتابعة، ظنوا أن واحدة منها تهزمهم، لانهم قد اعتادوا أنه لا يقف عسكر من العساكر بين أيديهم، وأن الرعب والخوف منهم يكفى ويغنى عن مباشرتهم الحرب بأنفسهم، فثبت لهم عسكر بغداد أحسن ثبوت، ورشقوهم بالسهام، ورشقت التتار أيضاً بسهامها، وأنزل الله سكينته على عسكر بغداد، وأنزل بعد السكينة نصره، فما زال العسكر البغدادي تظهر عليه أمارات القوة، وتظهر على التتار أمارات الضعف والخذلان، إلى أن حجز الليل بين الفريقين، ولم يصطدم الفيلقان، وإنما كانت مناوشات وحملات

خفيفة لا تقتضي الاتصال والممازجة ورشق بالنشاب شديد. فلما أظلم الليل، أوقد التتار نيرانا عظيمة، وأوهموا أنهم مقيمون عندها، وارتحلوا في الليل راجعين إلى جهة بلادهم، فاصبح العسكر البغدادي، فلم ير منهم عينا ولا أثرا، وما زالوا يطوون المنازل، ويقطعون القرى عائدين حتى دخلوا الدربند، ولحقوا ببلادهم^(١).

نفي ابي ذر إلى الربذة

لما أخرج أبو ذر إلى الربذة، أمر عثمان، فنودي في الناس ألا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه. وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به. فخرج به، وتحاماه الناس إلا على ابن أبي طالب عليه السلام وعقيل أخاه وحسنا وحسينا عليهما السلام، وعمارا، فإنهم خرجوا معه يشيعونه فجعل الحسن عليه السلام يكلم أبا ذر، فقال له مروان: إيها يا حسن! ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل! فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل على عليه السلام على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: تنح لحاك الله إلى النار! فرجع مروان مغضبا إلى عثمان: فأخبره الخبر، فتلظى على عليه السلام، ووقف أبو ذر فودعه القوم، ومعه ذكوان مولى أم هانئ بنت أبي طالب. قال ذكوان: فحفظت كلام القوم - وكان حافظا - فقال على عليه السلام: يا أبا ذر، إنك غضبت لله! إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك. فامتحنوك بالقلبي، ونفوك إلى الفلا، والله لو كانت السموات والارض على عبد رتقا، ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجا. يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل. ثم قال لأصحابه: ودعوا عمكم وقال لعقيل ودع أخاك. فتكلم عقيل، فقال ما عسى أن نقول يا أبا ذر وأنت تعلم أنا نحبك، وأنت تحبنا! فاتق الله، فإن التقوى نجاة، واصبر فإن الصبر كرم، وأعلم أن استثقالك الصبر من الجزع، واستبطائك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع. ثم تكلم الحسن فقال: يا عماء، لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الاسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك عليه السلام وهو عنك راض. ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال: يا عماء، إن الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى، والله كل يوم هو في شأن وقد منعك القوم

دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم ! فأسأل الله الصبر والنصر، واستعذبه من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم وإن الجشع لا يقدم رزقا، وجزع لا يؤخر أجلا. ثم تكلم عمار رحمه الله مغضبا، فقال : لا آس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لامنوك، ولو رضيت أعمالهم لاحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، مالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فحسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين ! فبكى أبو ذر رحمه الله، وكان شيخا كبيرا، وقال : رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ! إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله ﷺ، مالى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إنى ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين، فأفسد الناس عليهما، فسيرني إلى بلد ليس لى به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحبا، وما أخشى مع الله وحشة. ورجع القوم إلى المدينة، فجاء على ﷺ إلى عثمان، فقال له : ما حملك على رد رسولي، وتصغير أمرى ! فقال على ﷺ : أما رسولك، فأراد أن يرد وجهى فرددته، وأما أمرك فلم أصغره. قال : أما بلغك نهيبى عن كلام أبى ذر ! قال : أوكلما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه ! قال عثمان : أقد مروان من نفسك، قال : مم ذا؟ قال : من شتمه وجذب راحلته، قال أما راحلته فراحتي بها، وأما شتمه إياى، فوالله لا يشتمني شتمة إلا شتمتكم مثلها، لا أكذب عليك. فغضب عثمان، وقال : لم لا يشتمك ! كأنك خير منه ! قال على : إى والله ومنك ! ثم قام فخرج. فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والانصار وإلى بنى أمية، يشكر إليهم عليا ﷺ، فقال القوم : أنت الوالى عليه، وإصلاحه أجمل. قال : وددت ذاك، فاتوا عليا ﷺ، فقالوا : لو اعتذرت إلى مروان وأتيته ! فقال : كلا، أما مروان فلا آتية ولا أعتذر منه، ولكن إن أحب عثمان أتيته. فرجعوا لى عثمان، فأخبروه، فأرسل عثمان إليه، فأتاه ومعه بنو هاشم، فتكلم على ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أما ما وجدت على فيه من كلام أبى ذر ووداعه، فوالله ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك، ولكن أردت به قضاء حقه. وأما مروان فإنه اعترض، يريد ردى عن قضاء حق الله عزوجل، فرددته رد مثلى مثله، وأما ما كان منى إليك، فإنك أغضبتني، فأخرج الغضب منى ما لم أرد. فتكلم عثمان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أما ما كان منك إلى فقد وهبته لك، وأما ما كان

منك إلى مروان، فقد عفا الله عنك، وأما ما حلفت عليه فأنت البر الصادق، فأدن يدك، فأخذ يده فضمها إلى صدره

فلما نهض قالت قريش وبنو أميه لمروان : أنت رجل ! جبهك على، وضرب راحلتك، وقد تفانت وائل في ضرع ناقة، وذبيان وعبس في لظمة فرس، والاوز والخزرج في نسعة ! أفتحمل لعلى ﷺ ما أتاه إليك ! فقال مروان : والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه^(١).

ثم أمر بها فقطعت

كان الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ يأتون الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها، فيصلون عندها، فقال عمر : أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى ! ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد، ثم أمر بها فقطعت^(٢).

لا تمسك النار أبدا

قال : وقد روى عبد الرحمن المسعودي، عن ابن عياش المنتوف، قال : رأيت أبا بردة قال لابي العادية الجهني قاتل عمار بن ياسر : أنت قتلت عمار بن ياسر ؟ قال : نعم، قال : ناولني يدك، فقبلها، وقال : لا تمسك النار أبدا
عن الغضبان بن يزيد، قال : رأيت أبا بردة قال لابي العادية قاتل عمار بن ياسر : مرحبا بأخي هاهنا ! فأجلسه إلى جانبه^(٣).

أخبرت الامير أنك أعمى

وكان سهم بن طريف عثمانيا، وكان على بن ربيعة علويا، فضرب أمير الكوفة على الناس بعثا، وضرب على سهم بن طريف معهم، فقال سهم لعلى بن ربيعة : اذهب إلى الامير فكلمه في أمرى ليعفينى، فأتى على بن ربيعة الامير، فقال : أصلحك الله ! إن سهمي أعمى فأعفه، قال : قد أعفيت، فلما التقيا قال : قد أخبرت الامير أنك أعمى،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٥٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٧٨

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٩

وإنما عنيت عمى القلب^(١).

من شعر الشريف الرضي

قال الرضي الموسوي رحمه الله تعالى :
 ألا لله بادرة الطلاب وعزم لا يروع بالعتاب
 وكل مشمر البردين يهوى هوى المصلتات إلى الرقاب
 أعاتبه على بعد التثاني فيعدلني على قرب الاياب
 رأيت العجز يخضع للليالي ويرضى عن نوائبها الغضاب
 وآمل أن تطاوعني الليالي وينشب في المنى ظفري ونابي
 ولو لا صولة الافدار دوني هجمت على العلا من كل باب
 وقال أيضا :

لا يبذ الهموم إلا غلام يركب الهول والحسام درديف
 ما يذل الزمان بالفقر حرا كيفما كان فالشريف شريف
 وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولست أضل في طرق المعالي ونار العز عالية الشعاع
 ودون المجد رأى مستطيل وباع غير محبوب الذراع
 ويعجبني البعاد كأن قلبي يحدث عن عدى بن الرقاع
 فرد نهى العلاء بلا رقيب وشمر في الامور بلا نزع
 ولا تغررك قعقعة الاعادي فذاك الصخر خر من اليقاع
 ونحن أحق بالدنيا ولكن تخيرت القطوف على الوساع
 وقال أبو تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
 بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونها جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الا رماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب
وقال أبو الطيب المتنبي :

حتى رجعت وأقلامي قوائل لى : المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به وإنما نحن للاسياف كالخدم
أسمعتني ودوائي ما أشرت به فإن غفلت فدائي قلة الفهم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجا ب كل سؤال عن (هل) بلم
قال عطف بن محمد الالوسى :

أمكابد الزفرات مؤصدة تلتذ خرف القطع بالشلل
صرف همومك تتدب همما فالسكر يعقب نشوة الثمل
ولليلة الميلاد مفرحة تنسى الحوامل أشهر الجبل
سر في البلاد تخوضها لججا فالدر ليس يصاب في الوشل
واجعل لصبوتك الظبا سكنا والدور أكوارا على الابل
والعيش والوطن الممهد في غرب الحسام وغارب الجمل
واشدد عليك وخذ إليك ودع ضعة الخمول وفترة الكسل
وارم العداة بكل صائبة ما الرمي موقوفا على ثعل
لا تحسب النكبات منقصة قد يستجاد السيف بالفلل
وقال عروة بن الورد :

لحا الله صعلوكا إذا جن ليله مصافي المشاش ألفا كل مجزر
يعد الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح ناعسا يحث الحصا من جنبه المتعفر
يعين نساء الحى ما يستعنه ويمسى طليحا كالبعير المحسر
ولكن صعلوكا صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر

وإن قعدوا لا يأمنون اقترا به تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك إن يلقى المنية يلقها حميدا وإن يستغن يوما فأجلد^(١).

ما أحسن منظر رأيت في هذه الحرب؟

قال يزيد بن المهلب في حرب جرجان لآخيه أبي عيينة : ما أحسن منظر رأيت في هذه الحرب ؟ قال : سيف بن أبي سبرة وبيضته ، وكان عبد الله بن أبي سبرة حمل على غلام تركي قد أفرج الناس له ، وصدوا عنه لبأسه وشجاعته ، فتضاربا ضربتين ، فقتله ابن أبي سبرة بعد أن ضربه التركي في رأسه ، فنشب سيفه في بيضة ابن أبي سبرة ، فعاد إلى الصف وسيفه مصبوغ بدم التركي وسيف التركي ناشب في بيضته كجزء منها يلمع ، فقال الناس : هذا كوكب الذنب ، وعجبوا من منظره^(٢).

كذبتهم وبيت الله نخلى محمدا

قال أبو طالب بن عبد المطلب :

لما برز علي وحمزة وعبيدة عليهم السلام يوم بدر إلى عتبة وشيبة والوليد ، قتل علي عليه السلام الوليد ، وقتل حمزة شيبة ، على اختلاف في رواية ذلك : هل كان شيبة قرنه أم عتبة ؟ وتجالد عبيدة وعتبة بسيفيهما ، فجرح عبيدة عتبة في رأسه ، وقطع عتبة ساق عبيدة ، فكر علي وحمزة عليهما السلام على صاحبهما ، فاستنقذاه من عتبة ، وخطاه بسيفيهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما ، فوضعا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، وهو يوجد بنفسه ، وإن مخ ساقه ليسيل ، فقال : يا رسول الله ، لو كان أبو طالب حيا لعلم أني أولى منه بقوله :

كذبتهم وبيت الله نخلى محمدا ولما نطاعن دونه وناضل

وننصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : (اللهم أنجز لى ما وعدتني ؟ اللهم إن تهلك هذه

العصابة لا تعبد في الأرض)^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٧

عبد الله بن سبأ

قال ابن ابي الحديد : ظهر عبد الله بن سبأ ، وكان يهوديا يتستر بالاسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبئية ، وقالوا : إن عليا عليه السلام لم يمت ، وإنه في السماء ، والرعد صوته والبرق صوته ، وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ! وقالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلظ قول ، وافتروا عليه أعظم فرية ، فقالوا : كتم تسعة أعشار الوحي ، فنعى عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه في رسالته ، التي يذكر فيها الأرجاء رواها عنه سليمان بن أبي شيخ ، عن الهيثم بن معاوية ، عن عبد العزيز بن أبان ، عن عبد الواحد بن أيمن المكي ، قال : شهدت الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية يملئ هذه الرسالة فذكرها وقال فيها ومن قول هذه السبئية هدينا لوحى ضل عنه الناس ، وعلم خفى عنهم وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم كتم تسعة أعشار الوحي ولو كتم صلى الله عليه وسلم شيئا مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد ، وقوله تعالى : (تبتغي مرضات أزواجك) ثم ظهر المغيرة بن سعيد مولى بجيلة ، فأراد أن يحدث لنفسه مقالة يستهوى بها قوما ، وينال بها ما يريد الظفر به من الدنيا ، فعلا في علي عليه السلام ، وقال : لو شاء علي لاحيا عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا^(١) .

الهرمزان يخدع عمر

لما أسر الهرمزان حمل إلى عمر من تستر إلى المدينة ، ومعه رجال من المسلمين ، منهم الاحنف بن قيس ، وأنس بن مالك ، فأدخلوه المدينة في هيئته وتاجه وكسوته ، فوجدوا عمر نائما في جانب المسجد ، فجلسوا عنده ينتظرون انتباهه ، فقال الهرمزان : وأين عمر ؟ قالوا : ها هو ذا ، قال أين حرسه ؟ قالوا : لا حاجب له ولا حارس قال : فينبغي أن يكون هذا نبيا ، قالوا : إنه يعمل بعمل الانبياء . واستيقظ عمر ، فقال الهرمزان : فقالوا نعم ، قال : لا أكلمه أو لا يبقى عليه من حليته شيء ، فرموا ما عليه ، وألبسوه ثوبا صفيقا ، فلما كلمه عمر ، أمر أبا طلحة أن ينتضى سيفه ويقوم على رأسه ، ففعل . ثم قال له : ما عذرك في نقض الصلح ونكث العهد ! - وقد كان الهرمزان صالح أولا ثم نقض وغدر - فقال : أخبرك ، قال : قل ، قال : وأنا شديد العطش ! فاسقني ثم أخبرك .

فأحضر له ماء، فلما تناوله جعلت يده ترعد، قال : ما شأنك ؟ قال : أخاف أن أمد عنقي وأنا أشرب فيقتلني سيفك ؟ قال لا بأس عليك حتى تشرب، فألقى الاناء عن يده، فقال : ما بالك ؟ أعيدوا عليه الماء، ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش، قال : إنك قد أمتنتي، قال : كذبت ! قال : لم أكذب، قال أنس : صدق يا أمير المؤمنين، قال : ويحك يا أنس ! أنا أومن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك ! والله لتأتيني بالمخرج أو لعاقبتك، قال : أنت يا أمير المؤمنين قلت : لا بأس عليك حتى تشرب. وقال له ناس من المسلمين مثل قول أنس، فقال للهرمزان : ويحك أ تخدعني ! والله لاقتلك إلا أن تسلم، ثم أوما إلى أبي طلحة، فقال الهرمزان : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فأمنه وأنزله المدينة^(١).

نزول على بكر بلاء

عن هرثمة بن سليم، قال : غزونا مع علي عليه السلام صفيين، فلما نزل بكر بلاء صلى بنا، فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها، ثم قال : واها لك يا تربة ! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. قال : فلما رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير - وكانت من شيعة علي عليه السلام - حدثها هرثمة فيما حدث، فقال لها : ألا أعجبك من صديقك أبي حسن ! قال : لما نزلنا كربلاء، وقد أخذ حفنة من تربتها فشمها، وقال : (واها لك أيتها التربة ! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب) : وما علمه بالغيب ؟ فقالت المرأة له : دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلا حقا. قال : فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام، كنت في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى الحسين عليه السلام وأصحابه، عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي عليه السلام، والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله، فكرهت مسيرى، فأقبلت على فرسى حتى وقفت على الحسين عليه السلام فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين : أ معنا أم علينا ؟ فقلت : يا بن رسول الله، لا معك ولا عليك، تركت ولدي وعبالي أخاف عليهم من ابن زياد، فقال الحسين عليه السلام : فول هربا حتى لا ترى مقتلنا (٢)، فوالذي نفس حسين بيده لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثم لا

يعيننا إلا دخل النار. قال : فأقبلت في الارض أشد هربا، حتى خفى على مقتلهم.

جاء عروة البارقي إلى سعد بن وهب، فسأله فقال : حديث حدثناه عن علي بن أبي طالب، قال : نعم بعثني مخنف بن سليم إلى علي عند توجهه إلى صفين، فأتيته بكربلاء، فوجدته يشير بيده، ويقول : هاهنا، هاهنا ! فقال له رجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ثقل لال محمد ينز هاهنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم ! فقال له الرجل : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار قال نصر : وقد روى هذا الكلام علي وجه آخر، أنه عليه السلام قال : (فويل لكم منهم، وويل لكم عليهم)، فقال الرجل أما (ويل لنا منهم)، فقد عرفناه، فويل لنا عليهم، ما معناه ! فقال : ترونهم يقتلون لا يستطيعون نصرتهم. قال نصر : وحدثنا سعيد بن حكيم العبسي، عن الحسن بن كثير، عن أبيه، أن عليا عليه السلام أتى كربلاء، فوقف بها، فقيل له : يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء، فقال : (ذات كرب وبلاء)، ثم أوما بيده إلى مكان، فقال : هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، ثم أوما بيده إلى مكان آخر، فقال : هاهنا مراق دمائهم، ثم مضى إلى ساباط^(١).

انها لصائره إليك بعد ايام

عن أبي موسى الأشعري، قال : حججت مع عمر، فلما نزلنا وعظم الناس خرجت من رحلى أريده، فلقيني المغيرة بن شعبة، فرافقني، ثم قال : أين تريد؟ فقلت : أمير المؤمنين، فهل لك؟ قال : نعم فانطلقنا نريد رحل عمر، فإننا لفي طريقنا إذ ذكرنا تولى عمر وقيامه بما هو فيه، وحياطته على الاسلام، ونهوضه بما قبله من ذلك، ثم خرجنا إلى ذكر أبي بكر، فقلت للمغيرة : يا لك الخير ! لقد كان أبو بكر مسددا في عمر، لكأنه ينظر إلى قيامه من بعده، وجدده واجتهاده وغنائه في الاسلام فقال المغيرة : لقد كان ذلك، وان كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذلك من حظ، فقلت له : لا أبا لك ! ومن القوم الذين كرهوا ذلك لعمر؟ فقال المغيرة : لله أنت ! كأنك لا تعرف هذا الحي من قريش وما خصوا به من الحسد ! فوالله لو كان هذا الحسد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره، وللناس كلهم عشر، فقلت : مه يا مغيرة فإن قريشا بانت بفضلها

على الناس. فلم نزل في مثل ذلك حتى انتهينا إلى رحل عمر فلم نجد، فسالنا عنه فقيل :
 قد خرج آنفاً، فمضينا نقفو أثره، حتى دخلنا المسجد، فإذا عمر يطوف بالبيت، فطفنا
 معه، فلما فرغ دخل بيني وبين المغيرة، فتوكأ على المغيرة وقال : من اين جئتما ؟ فقلنا :
 خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين، فأتينا رحلك فقيل لنا : خرج إلى المسجد، فاتبعناك.
 فقال : اتبعكما الخير، ثم نظر المغيرة إلى وتبسم، فرمقه عمر، فقال : مم تبسمت أيها
 العبد ! فقال من حديث كنت أنا وأبو موسى فيه آنفاً في طريقنا إليك، قال : وما ذاك
 الحديث ؟ فقصصنا عليه الخبر حتى بلغنا ذكر حسد قريش، وذكر من اراد صرف أبي بكر
 عن استخلاف عمر، فتنفس الصعداء ثم قال : ثكلتك أمك يا مغيرة ! وما تسعة أعشار
 الحسد ! بل وتسعة أعشار العشر، وفي الناس كلهم عشر العشر، بل وقريش شركاؤهم
 أيضاً فيه ! وسكت ملياً وهو يتهادى بيننا، ثم قال : ألا أخبركما بأحسد قريش كلها ؟
 قلنا : بلى يا أمير المؤمنين، قال : وعليكما ثيابكما، قلنا : نعم، قال : وكيف بذلك
 وأنتما ملبسان ثيابكما ؟ قلنا يا أمير المؤمنين، وما بال الثياب ؟ قال : خوف الاذاعة
 منها، قلنا له : أتخاف الاذاعة من الثياب أنت، وأنت من ملبس الثياب أخوف ! وما
 الثياب أردت ! قال : هو ذاك، ثم انطلق وانطلقنا معه حتى انتهينا إلى رحله، فخلى أيدينا
 من يده، ثم قال : لا تريما، ودخل فقلت للمغيرة : لا أباك لك ! لقد أثرنا بكلامنا معه،
 وما كنا فيه وما نراه حبسنا إلا ليذاكرنا اياها، قال، فإننا لكذلك إذ أخرج إذنه إلينا،
 فقال : ادخلا، فدخلنا فوجدناه مستلقياً على برذعة برحل، فلما رأنا تمثل بقول كعب بن
 زهير : لا نفس شرك الا عند ذي ثقة أولى وأفضل ما استودعت أسراراً صدراً رحياً وقلبا
 واسعاً قمنا ألا تخاف متى أودعت إظهاراً فعلمنا أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه،
 فقلت أنا له : يا أمير المؤمنين، الزمنا وخصنا وصلنا، قال : بما ذا يا أخا الأشعرين ؟
 فقلت : بإفشاء شرك وإن تشركنا في همتك فنعم المستشاران نحن لك. قال : انكما
 كذلك، فاسألا عما بدا لكما، ثم قام إلى الباب ليعلقه، فإذا الاذن الذي أذن لنا عليه في
 الحجرة فقال : امض عنا لا أم لك : فخرج وأغلق الباب خلفه، ثم اقبل علينا، فجلس
 معنا، وقال : سلا تخبرنا، قلنا نريد أن نخبرنا أمير المؤمنين بأحسد قريش : الذي لم يأمن
 ثيابنا على ذكره لنا، فقال : سألتما عن معضلة، وسأخبركما فليكن عندكما في ذمة منيعة
 وحرز ما بقيت، فإذا مت فشانكما وما شئتما من إظهار أو كتمان. قلنا : فإن لك عندنا
 ذلك، قال أبو موسى : وأنا أقول في نفسي : ما يريد إلا الذين كرهوا استخلاف أبي بكر

له كطلحة وغيره، فإنهم قالوا لابي بكر : أتستخلف علينا فظا غليظا : وإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي، فعاد إلى التنفس، ثم قال : من تريانه ؟ قلنا : والله ما ندرى إلا ظنا ! قال : وما تظنان ؟ قلنا : عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الامر عنك، قال : كلا والله ! بل كان أبو بكر أعتق، وهو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قريش كلها، ثم أطرق طويلا، فنظر المغيرة إلى ونظرت إليه، وأطرقنا مليا لا طراقه، وطال السكوت منا ومنه، حتى ظننا أنه قد ندم على ما بدا منه، ثم قال : وا لهفاه على ضئيل بنى تيم بن مرة ! لقد تقدمني ظالما، وخرج إلي منها آثما، فقال المغيرة : أما تقدمه عليك يا أمير المؤمنين ظالما فقد عرفناه، كيف خرج إليك منها آثمالا قال : ذاك لانه لم يخرج إلى منها إلا بعد يأس منها، أما والله لو كنت أظعت يزيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمظ من حلاوتها بشئ أبدا، ولكنني قدمت وأخرت، وصعدت وصوبت، ونقضت وأبرمت، فلم اجد إلا الاغضاء على ما نشب به منها، والتلهف على نفسي، وأملت إنابته ورجوعه، فوالله ما فعل حتى نغر بها بشما. قال المغيرة : فما منعك منها يا أمير المؤمنين، وقد عرضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها، ثم أنت الآن تنقم وتتأسف، قال : ثكلتك أمك يا مغيرة ! إني كنت لاعدك من دهاه العرب، كأنك كنت غائبا عما هناك ! إن الرجل ماكرني فماكرته، وألفاني أحذر من قطة، إنه لما رأى شغف الناس به، وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أنهم لا يريدون به بدلا، فاحب لما رأى من حرص الناس عليه، وميلهم إليه، أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها ! وأحب أن يبلوني باطماعي فيها، والتعريض لي بها وقد علم وعلمت لو قبلت ما عرضه على، لم يجب الناس إلى ذلك، فألفاني قائما على إخمصي مستوفزا حذرا ولو أجبته إلى قبولها لم يسلم الناس إلى ذلك، واختباها ضغنا على في قلبه، ولم آمن غائلته ولو بعد حين : مع ما بدا لي من كراهة الناس لي : أما سمعت نداءهم من كل ناحية عند عرضها على : لا نريد سواك يا أبا بكر، أنت لها ! فرددتها إليه عند ذلك، فلقد رأيت التمع وجهه لذلك سرورا. ولقد عاتبني مرة على كلام بلغه عني، وذلك لما قدم عليه بالاشعث أسيرا، فمن عليه وأطلقه، وزوجه أخته أم فروة، فقلت للاشعث وهو قاعد بين يديه : يا عدو الله أكفرت بعد إسلامك، وارتددت ناكصا على عقبيك ! فنظر إلى نظرا علمت أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه، ثم لقيني بعد ذلك في سكك المدينة، فقال لي : أنت صاحب الكلام يا بن الخطاب ؟ فقلت : نعم يا عدو الله، ولك عندي شر من ذلك، فقال : بشس الجزاء هذا

لى منك ! قلت : وعلا م تريد مني حسن الجزاء ؟ قال : لانفتى لك من اتباع هذا الرجل ، والله ما جراني على الخلاف عليه إلا تقدمه عليك ، وتخلفك عنها ، ولو كنت صاحبها لما رأيت مني خلافا عليك . قلت : لقد كان ذلك ، فما تامر الان ؟ قال : انه ليس بوقت أمر بل وقت صبر ، ومضى ومضيت . ولقى الأشعث الزبرقان بن بدر فذكر له ما جرى بيني وبينه ، فنقل ذلك إلى أبي بكر ، فأرسل إلى بعتاب مؤلم فأرسلت إليه : أما والله لتكفن أو لا قولن كلمة بالغة بي وبك في الناس ، تحملها الركبان حيث ساروا وإن شئت استدمنا ما نحن فيه عفوا ، فقال : بل نستديمه ، وانها لصائره إليك بعد ايام ، فظننت أنه لا يأتي عليه جمعة حتى يردّها علي ، فتغافل ، والله ما ذكرني بعد ذلك حرفا حتى هلك . ولقد مد في أمدها عاضا على نواجذه حتى حضره الموت ، وأيس منها فكان منه ما رأيتما ، فاكتما ما قلت لكما عن الناس كافة وعن بني هاشم خاصة ، وليكن منكما بحيث أمرتكما ، قوما إذا شئتما على بركة الله . فقمنا ونحن نعجب من قوله ، فوالله ما أفشيننا سره حتى هلك ^(١) .

عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص في مجلس معاوية

روى المدائني قال : بينا معاوية يوما جالسا عنده عمرو بن العاص ، إذ قال الاذن : قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال عمرو : والله لاسوءنه اليوم ، فقال معاوية : لا تفعل يا أبا عبد الله ، فإنك لا تنصف منه ، ولعلك أن تظهر لنا من منقبتة ما هو خفى عنا ، وما لا نحب أن نعلمه منه . وغشيهم عبد الله بن جعفر ، فأدناه معاوية وقربه ، فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من علي عليه السلام جهارا غير ساتر له ، وثلبه ثلبا قبيحا . فالتمع لون عبد الله بن جعفر واعتراه أفكل حتى ارعدت خصائله ، ثم نزل عن السرير كالفنيق ، فقال عمرو : مه يا أبا جعفر ! فقال له عبد الله : مه لا أم لك ! ثم قال : أظن الحلم دل على قومي وقد يتجهل الرجل الحلیم . ثم حسر عن ذراعيه ، وقال : يا معاوية ، حتام نتجرع غيظك ؟ وإلى كم الصبر على مكروه قولك ، وسيئ أدبك ، وذميم أخلاقك ؟ هبلتك الهبول ! أما يزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك ، إذا لم تكن لك حرمة من دينك تنهاك عمالا يجوز لك ! أما والله لو عطفتك أو اصر الارحام ، أو حاميت على سهمك من الاسلام ، ما أرعيت بني الاماء المتك ، والعبيد الصك أعراض قومك .

وما يجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة، وإنك لتعرف وشائظ قريش وصبوة غرائزها، فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين، ومحارباً أمير المؤمنين، إلى التماذي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه. فاقصد لمنهج الحق، فقد طال عمهك عن سبيل الرشد، وخبطك في بحور ظلمة الغي. فإن آبيت ألا تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك، فأعفنا من سوء القالة فينا، إذا ضمنا وإياك الندى، وشأنك وما تريد إذا خلوت، والله حسيك، فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك. ثم قال : إنك إن كلفتني ما لم أطق، ساءك ما سرك مني من خلق. فقال معاوية : يا أبا جعفر، أقسمت عليك لتجلسن، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره. محمول لك ما قلت، ولك عندنا ما أملت، فلولم يكن محمدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا، وأنت ابن ذى الجناحين وسيد بنى هاشم.

فقال عبد الله : كلا، بل سيد بنى هاشم حسن وحسين، لا ينازعهما في ذلك أحد. فقال : أبا جعفر، أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة ما كانت، ولو ذهب بجميع ما أملك، فقال : أما في هذا المجلس فلا، ثم انصرف. فأتبعه معاوية بصره، وقال : والله لكأنه رسول الله ﷺ، مشيه وخلقته وخلقته، وإنه لمن مشكاته، ولوددت أنه أخى بنفيس ما أملك. ثم التفت إلى عمرو، فقال : أبا عبد الله، ما تراه منعه من الكلام معك؟ قال : ما لا خفاء به عنك، قال : أظنك تقول إنه هاب جوابك، لا والله، ولكنه ازدراك واستحقرك، ولم يرك للكلام أهلاً، أما رأيت إقباله على دونك ذاهباً بنفسه عنك؟ فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه؟ قال معاوية اذهب إليك أبا عبد الله، فلات حين جواب سائر اليوم. ونهض معاوية وتفرق الناس^(١).

كنايات العرب

يقولون : به داء الذئب، أي الجوع.
وعهد فلان عهد الغراب، يعنون إنه غادر، قالوا : لان كل طائر يألف أنشاه إلا الغراب، فإنه إذا باضت الانثى تركها وصار إلى غيرها.
ويقولون : ذهب سمع الارض وبصرها، أي حيث لا يدري أين هو !

- ويقولون : القى عصاه، إذا أقام واستقر، قال الشاعر :
- فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
- ويقال للمختلفين، طارت عصاهم شققا.
- ويقال : فلان منقطع القبال أي لا رأى له.
- وفلان عريض البطن، أي كثير الثروة.
- وفلان رخي اللب، أي في سعة.
- وفلان واقع الطائر، أي ساكن.
- وفلان شديد الكاهل، أي منيع الجانب.
- وفلان ينظر في أعقاب نجم مغرب، أي هو نادم آيس،
- وسقط في يده، أي أيقن بالهلكة.
- وقد رددت يده إلى فيه، أي منعه من الكلام
- وبنو فلان يد على بني فلان، أي مجتمعون.
- وأعطاه كذا عن ظهر يد، أي ابتداء لا عن مكافأة.
- ويقولون : جاء فلان ناشرا أذنيه، أي جاء طامعا
- ويقال هذه فرس غير محلقة، أي لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف إنها كريمة
- وتقول : حلب فلان الدهر أشطره، أي مرت عليه صروبه خيره وشره.
- وقرع فلان لامر ظنوبة، أي جد فيه واجتهد.
- وتقول : أبدى الشر نواجذه، أي ظهر.
- وقد كشفت الحرب عن ساقها، وكشرت عن نابها.
- وتقول : استنوق الجمل، يقال ذلك للرجل يكون في حديث ينتقل إلى غيره يخلطه
- به. وتقول لمن يهون بعد عز : استأتن العير.
- وتقول للضعيف يقوى : استنسر البغاث.

ويقولون : شراب بأنقع، أي معاود للامور، (١).

جعلتني منافقا !

روى عبد الرحمن بن الاسود، عن أبي داود الهمداني، قال : شهدت سعيد ابن المسيب - وأقبل عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له سعيد : يا بن أخي، ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله صلى الله عليه كما يفعل إخوتك وبنو أعمامك ! فقال عمر : يا بن المسيب، أكلما دخلت المسجد أجيء فأشهدك ! فقال سعيد : ما أحب أن تغضب، سمعت أباك يقول : إن لى من الله مقاما لهو خير لبنى عبد المطلب مما على الارض من شئ. فقال عمر : وأنا سمعت أبي يقول : ما كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا، حتى يتكلم بها. فقال سعيد : يا بن أخي، جعلتني منافقا ! قال : هو ما أقول لك. ثم انصرف (٢).

في الرضا

قال صاحب سلوان المطاع في الرضا :

يا مفزعى فيما يجىء وراحمي فيما مضى

عندي لما تقضيه ما يرضيك من حسن الرضا

ومن القطيعة استعيد مصرحا ومعرضا

وقال ايضا :

كن من مدبرك الحكيم علا وجل على وجل

وارض القضاء فانه حتم اجل وله اجل

وقال ايضا :

يا من يرى حالى وأن ليس لى في غير قربي منه اوطار

وليس لى ملتحد دونه ولا عليه لى انصار

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢١٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠١

حاشا لذاك العز الفضل أن يهلك من انت له جار
 وإن تشا هلكى فهب لى رضا بكل ما تقضى وتختار
 عندي لإحكامك يا مالكى قلب كما انعمت صبار
 كل عذاب منك مستعذب ما لم يكن سخطك والنار^(١).

عبدا لله لا عبدا للحية

كان ببغداد في رباط شيخ الشيوخ صوفي كبير اللحية جدا وكان مغرى ومعنى بها اكثر
 زمانه يدهنها ويسرحها ويجعلها ليلا عند نومه في كيس فقام بعض المريدين إليه في الليل
 وهو نائم فقصها من الاذن إلى الاذن فاصبحت كالصريم واصبح الصوفى شاكيا إلى شيخ
 الرباط فجمع الصوفية وسألهم فقال المريد انا قصصتها قال وكيف فعلت وبيك ذلك قال
 ايها الشيخ انها كانت صنمه وكان يعبدها من دون الله فانكرت ذلك بقلبي وارتد أن
 اجعله عبدا لله لا عبدا للحية^(٢).

درجات حركات العارفين

قال أبو على بن سينا : اول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الارادة وهو ما
 يعترى المستبصر باليقين البرهاني أو الساكن النفس إلى العقد الايماني من الرغبة في
 اعتلاق العروة الوثقى فيتحرك سره إلى القدس لينال من روح الاتصال فما دامت درجته
 هذه فهو مريد. ثم انه ليجتاج إلى الرياضة والرياضة موجهة إلى ثلاثة اغراض الاول تنحيه
 ما دون الحق عن سنن الايثار. والثاني تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة لتجذب قوى
 التخيل والوهم إلى التوهيمات المناسبة للامر القدسي منصرفة من التوهيمات المناسبة للامر
 السفلى. والثالث تلطيف السر لنفسه. فالاول يعين عليه الزهد الحقيقي والثاني يعين عليه
 عدة اشياء العبادة المشفوعة بالفكرة ثم الالحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لما لحن
 بها من الكلام موقع القبول من الاوهام ثم نفس الكلام الواعظ من قائل ذكى بعبارة بليغة
 ونغمة رخيمة وسمت رشيد والثالث يعين عليه الفكر اللطيف والعشق العفيف الذي تنامر

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٠٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٠٨

فيه شمائل المعشوق دون سلطان الشهوة^(١).

هناك قارعت أمك الهبل

سأل عمر عمرو بن معد يكرب عن السلاح فقال له : ما تقول في الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك، قال فالنبيل ؟ قال : رسل المنايا ! تخطى وتصيب، قال فالدرع ؟ قال : مشغلة للفارس، متعبة للراجل، وإنها مع ذلك لحصن حصين، قال فالترس ؟ قال : هو المجن، وعليه تدور الدوائر، قال : فالسيف ؟ قال : هناك قارعت أمك الهبل، قال : بل أمك، قال : بل أمي، والحمى أمرعنى لك^(٢).

النهي عن سماع السعاية

قوله ﷺ : ولا تعجلن إلى تصديق ساع

قال ذو الرياستين : قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دل على شئ كمن قبله وأجازه، فامقت الساعي على سعائته، فإنه لو كان صادقا كان ليثما، إذ هتك العورة، وأضاع الحرمة.

وعاتب مصعب بن الزبير الاحنف على أمر بلغه عنه فأنكره فقال مصعب : أخبرني به الثقة، قال كلا أيها الامير، أن الثقة لا يبلغ.

وكان يقال : لو لم يكن من عيب الساعي إلا أنه أصدق ما يكون أضر ما يكون على الناس لكان كافيا.

كانت الاكاسرة لا تأذن لاحد أن يطبخ السكباچ، وكان ذلك مما يختص به الملك، فرفع ساع إلى أنوشروان : إن فلانا دعانا ونحن جماعه إلى طعام له وفيه سكباچ، فوقع أنوشروان على رقعة : قد حمدنا نصيحتك، وذمنا صديقك على سوء اختياره للاخوان. وقال بعض الشعراء :

لعمرك ما سب الامير عدوه ولكنما سب الامير المبلغ
وقال آخر :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢١٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨١

حرمت منائي منك إن كان ذا الذي أتاك به الواشون عني كما قالوا
ولكنهم لما رأوك شريعة إلى توأصوا بالنميمة واحتالوا
فقد صرت أذنا للوشاء سمیعة ينالون من عرضي ولو شئت ما نالوا
قال الشاعر :

فكوني على الواشين لداء شعبة كما أنا للواشي ألد شغوب
قال آخر :

وإذا الواشى وشى يوما بها نفع الواشى بما جاء يضر
وقال العباس بن الاحنف :
ما حطك الواشوان من رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذى عابوا^(١).

هل هو إلا خطيئة من خطاياك

أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له ما تقول في الحجاج قال : وما
عسيت أن أقول فيه ! هل هو إلا خطيئة من خطاياك، وشرر من نارك؟ فلعنك الله ولعن
الحجاج معك ! وأقبل يشتمهما، فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال : ما تقول في
هذا؟ قال : ما أقول فيه ! هذا رجل يشتمكم، فإما أن تشتموه كما شتمكم، وإما أن تغفوا
عنه. فغضب الوليد وقال لعمر : ما أظنك إلا خارجيا ! فقال عمر : وما أظنك إلا
مجنونا، وقام فخرج مغضبا، ولحقه خالد بالريان صاحب شرطة الوليد، فقال له ما دعاك
إلى ما كلمت به أمير المؤمنين ! لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب
عنقك، قال أو كنت فاعلا لو أمرك قال نعم فلما استخلف عمر جاء خالد بن الريان
فوقف على رأسه متقلدا سيفه، فنظر إليه وقال : يا خالد، ضع سيفك فإنك مطيعنا في كل
امر نأمرك به - وكان بين يديه كاتب للوليد، فقال له : ضع أنت قلمك، فانك كنت تضر
به وتنفع اللهم إني قد وضعتهما فلا ترفعهما، قال : فوالله ما زالا وضيعين مهينين حتى
ماتا^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٣٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٤٣

فلم يصل أحد إلا تكبيرا عند مواقيت الصلاة

عن شيخ من حضرموت شهد مع علي عليه السلام صفين، قال : كان منا رجل يعرف بهاني بن فهد، وكان شجاعا، فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى البراز فلم يخرج إليه أحد، فقال هاني : سبحان الله ! ما يمنعكم أن يخرج منكم رجل إلى هذا ! فوالله لولا أني موعوك، وأنى أجد ضعفا شديدا لخرجت إليه، فما رد أحد عليه، فقام وشد عليه سلاحه ليخرج، فقال له أصحابه : يا سبحان الله ! أنت موعوك وعكة شديدة، فكيف تخرج ! قال : والله لا أخرجن ولو قتلني، فخرج، فلما رآه عرفه، وإذا الرجل من قومه من حضرموت، يقال : له يعمر بن أسد الحضرمي، فقال : يا هاني، أرجع فإنه إن يخرج إلى رجل غيرك أحب إلى، فإنى لا أحب قتلك. قال هاني : سبحان الله ! أرجع وقد خرجت، لا والله لاقاتلن اليوم حتى أقتل، ولا أبالي قتلتنى أنت أو غيرك ! ثم مشى نحوه، وقال : اللهم في سبيلك ونصرا لابن عم رسولك. واختلفا ضربتين، فقتله هاني، وشد أصحاب يعمر بن أسد على هاني، فشد أصحاب هاني عليهم، فاقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلًا. ثم إن عليا عليه السلام أرسل إلى جميع العسكر : أن احملوا، فحمل الناس كلهم على راياتهم، كل منهم يحمل على من يذاته، فتجالدوا بالسيوف، وعمد الحديد لا يسمع إلا صوت ضرب الهامات، كوقع المطارق على السنادين، ومرت الصلوات كلها، فلم يصل أحد إلا تكبيرا عند مواقيت الصلاة، حتى تفانوا، ورق الناس، وخرج رجل من بين الصفين، لا يعلم من هو، فقال : أيها الناس، أخرج فيكم المحلقون؟ فقبل : لا فقال إنهم سيخرجون، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، لهم حمة كحمة الحيات. ثم غاب الرجل فلم يعلم من هو^(١).

ولا يكونن المحسن والمسئ عندك بمنزلة سواء

قوله عليه السلام : ولا يكونن المحسن والمسئ عندك بمنزلة سواء، فقد أخذ الصابى فقال : وإذا لم يكن للمحسن ما يرفعه، وللمسئ ما يضعه، زهد المحسن في الاحسان، واستمر المسئ على الطغيان، وقال أبو الطيب :

شر البلاد بلاد لا صديق بها وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وشر ما قبضته راحتني قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم
وكان يقال : قضاء حق المحسن أدب للمسيء وعقوبة المسيء جزاء للمحسن^(١).

الانسان مدنى بالطبع

قالت الحكماء الانسان مدنى بالطبع، ومعناه أنه خلق خلقة لا بد معها من أن يكون منضمًا إلى اشخاص من بنى جنسه، وتمدنا في مكان بعينه، وليس المراد بالتمدن ساكن المدينة ذات السور والسوق، بل لا بد أن يقيم في موضع ما مع قوم من البشر، وذلك لان الانسان مضطر إلى ما يأكله ويشربه ليقوم صورته، ومضطر إلما يلبسه، ليدفع عنه أذى الحر والبرد، وإلى مسكن يسكنه ليرد عنه عادية غيره من الحيوانات، وليكون منزلا له ليتمكن من التصرف والحركة عليه، ومعلوم أن الانسان وحده لا يستقل بالامور التي عددناها، بل لا بد من جماعة يحرق بعضهم لغيره الحرث، وذلك الغير يحرك للحراث الثوب، وذلك الحائك يبنى له غيره المسكن، وذلك البناء يحمل له غيره الماء، وذلك السقاء يكفيه غيره أمر تحصيل الالة التي يطحن بها الحب ويعجن بها الدقيق، ويخبز بها العجين، وذلك المحصل لهذه الاشياء يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجه التي تدعو إليها داعية الشبق، فيحصل مساعدة بعض الناس لبعض لو لا ذلك لما قامت الدنيا^(٢).

السيد الحميري ودولة بني العباس

لما صعد السفاح منبر الكوفة يوم بيعته، وخطب الناس، قام إليه السيد الحميري،
فأنشده

: دونكموها يا بنى هاشم فجددوا من آيها الطامسا

دونكموها لا علا كعب من أمسى عليكم ملكها نافسا

دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا

خلافة الله وسلطانه وعنصر كان لكم دارسا

قد ساسها من قبلكم ساسة لم يتركوا رطبا ولا يابسا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٤٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٤٩

لو خير المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا
والملك لو شوور في سائس لما ارتضى غيركم سائسا
لم يبق عبد الله بالشام من آل أبي العاص امرأ عاطسا
فلست من أن تملكوها إلى هبوط عيسى منكم آيسا^(١).

رساله الاسكندر إى ارسطو ورد ارسطو عليه

لما ملك الاسكندر إيران شهر وهو العراق مملكة الاكاسرة وقتل دارا بن دارا كتب إلى ارسطو وهو ببلاد اليونان : عليك أيها الحكيم منا السلام، أما بعد فإن الافلاك الدائرة، والعلل السماوية، وإن كانت أسعدتنا بالامور التي أصبح الناس لنا بها دائبين، فإننا جد واجدين لمس الاضطرار إلى حكمتك، غير جاحدين لفضلك والاقرار بمنزلتك، والاستنامة إلى مشورتك والافتداء برأيك : والاعتماد لامرك ونهيك، لما بلونا من جدا ذلك علينا، وذقنا من جنا منفعتة، حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسخه في أذهاننا وعقولنا كالغذاء لنا، فما ننفك نعول عليه، ونستمد منه استمداد الجداول من البحور، وتعويل الفروع على الاصول، وقوة الاشكال بالاشكال. وقد كان مما سيق إلينا من النصر والفلج، وأتيح لنا من الظفر، وبلغنا في العدو من النكاية والبطش ما يعجز القول عن وصفه، ويقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به، وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض سورية والجزيرة إلى بابل وأرض فارس، فلما حللنا بعقوة أهلها وساحة بلادهم، لم يكن إلا ريشما تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هدية إلينا، وطلبنا للحظوة عندنا، فأمرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلة ارعوائه ووفاته، ثم أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوى الشرف منهم، فراينا رجالا عظيمة أجسامهم وأحلامهم، حاضرة ألبابهم وأذهانهم، رائعه مناظرهم ومناطقهم، دليلا على أن ما يظهر من روائهم و منطقهم أن وراءه من قوة أيديهم، وشدة نجدتهم وبأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلى غلبتهم وإعطائهم بأيديهم، لو لا أن القضاء أدالنا منهم، وأظفرنا بهم وأظهرنا عليهم، ولم نر بعيدا من الرأى في أمرهم أن نستأصل شأفتهم، ونجتث أصلهم ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم، لتسكن القلوب بذلك الامن إلى جرائرهم وبوائقهم، فرأينا ألا نجعل بإسعاف

بادى الرأى في قتلهم دون الاستظهار عليهم بمشورتك فيهم. فارفع إلينا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحته عندك، وتقليبك إياه بجلى نظرك، وسلام أهل السلام، فليكن علينا وعليك.

فكتب إليه أرسطو : لملك الملوك، وعظيم العظماء، الاسكندر المؤيد بالنصر على الاعداء، المهدي له الظفر بالملوك، من أصغر عبيده وأقل خوله، أرسطو طاليس البخوع بالسجود والتذلل في السلام، والاذعان في الطاعة : أما بعد، فإنه لا قوة بالمنطق وإن احتشد الناطق فيه، واجتهد في تثقيف معانيه، وتأليف حروفه ومبانيه على الاحاطة بأقل ما تناله القدرة من بسطة علو الملك وسمو ارتفاعه عن كل قول، وإبرازه على كل وصف، واغترافه بكل إطناب. وقد كان تقرر عندي من مقدمات إعلام فضل الملك في سهلة سبقه، وبروزه شأوه، ويمن نقيبته، مذ أدت إلى حاسة بصرى صورة شخصه، واضطرب في حس سمعي صوت لفظه، ووقع وهمى على تعقيب نجاح رأيه أيام كنت أؤدى إليه من تكلف تعليمي إياه ما أصبحت قاضيا على نفسي بالحاجة إلى تعلمه منه. ومهما يكن منى إليه في ذلك، فإنما هو عقل مردود إلى عقله، مستنبطه أو إليه وتواليه من علمه وحكمته. وقد جلا إلى كتاب الملك ومخاطبته إياى ومسألته لى عما لا يتخالجنى الشك في لقاح ذلك وإنتاجه من عنده، فعنه صدر وعليه ورد و أنا فيما أشير به على الملك - وإن اجتهدت فيه واحتشدت له، وتجاوزت حد الوسع والطاقة منى في استنظافه واستقصائه - كالعدم مع الوجود بل كما لا يتجزأ في جنب معظم الاشياء ولكنى غير ممتنع من إجابة الملك إلى ما سأل، مع علمي وبقيني بعظيم غناه عنى، وشدة فاقتي إليه، وأنا راد إلى الملك ما اكتسبته منه، ومشير عليه بما أخذته، منه فقائل له : إن لكل تربة لا محاله قسما من الفضائل، وإن لفارس قسمها من النجدة والقوة، وإنك ان تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء على أعقابهم، وتورث سفلتهم على منازل عليتهم، وتغلب أدنياءهم على مراتب ذوى أخطارهم، ولم يبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم وأشد توهينا لسلطانهم من غلبة السفله، وذل الوجوه فاحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبة والحركة، فإنه إن نجم منهم بعد اليوم على جنلك وأهل بلادك ناجم دهمهم منه ما لا روية فيه، ولا بقية معه فانصرف عن هذا الرأى إلى غيره، واعمد إلى من قبلك من أولئك العظماء والاحرار، فوزع بينهم مملكتهم، وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناجيته، واعتقد

التاج على رأسه وإن صغر ملكه، فإن المتسمى بالملك لازم لاسمه والمعقود التاج على رأسه لا يخضع لغيره، فليس ينسب ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه وبين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك، وتفاخرا بالمال والجند، حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك وأوتارهم فيك، ويعود حربهم لك حربا بينهم، وحنقهم عليك حنقا منهم على انفسهم ثم لا يزدادون في ذلك بصيره إلا أحدثوا لك بها استقامة، إن دنوت منهم دانوا لك، وإن نأيت عنهم تعززوا بك، حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك، ويسترهبه بجندك، وفي ذلك شاغل لهم عنك، وأمان لاحدائهم بعدك، وإن كان لا أمان للدهر، ولا ثقة بالايام. قد أدبت إلى الملك ما رايت له حظا، وعلى حقا من إجابتي إياه إلى ما سألتني عنه، ومحضته النصيحة فيه، والملك أعلى عينا، وأنفذ روية، وأفضل رأيا، وأبعد همة فيما استعان بي عليه، وكلفني بتبيينه والمشورة عليه فيه. لا زال الملك متعرفا من عوائد النعم وعواقب الصنع وتوطيد الملك، وتنفيس الاجل، ودرك الامل، ما تأتي فيه قدرته على غاية قصوى ما تناله قدرة البشر! والسلام الذي لا انقضاء له، ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء، فليكن على الملك. قالوا: فعمل الملك برأيه، واستخلف على إيران شهر أبناء الملوك والعظماء من أهل فارس، فهم ملوك الطوائف الذين بقوا بعده، والمملكة موزعة بينهم إلى أن جاء أردشير ابن بابك فانتزع الملك منهم^(١).

فما كنا فاعلين لا أم لك !

قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد: ويحك! أقتلتم ذرية رسول الله ﷺ! فقال: عضضت بالجنادل، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يمينا وشمالا، وتلقى أنفسها على الموت، لا تقبل الامان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففتنا عنها رويدا لانت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أم لك! (٢).

حديث عن امرئ القيس

عن الهيثم بن عدي، عن مجالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عمير، قال: قدم علينا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٥٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦٣

عمر بن هبيرة الكوفة أميراً على العراق، فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم، فسرنا عنده، فقال: ليحدثني كل رجل منكم أحدثه وأبدأ أنت يا أبا عمرو، فقلت: أصلح الله الأمير! أحدث حق أم حديث باطل؟ قال: بل حديث حق، فقلت: إن امرأ القيس كان آلى ألية إلا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن: أربعة عشر، فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمع، فأعجبته، فقال لها: يا جارية، ما ثمانية، وأربعة، واثنان، فقالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة: فأخلاف الناقة، وأما اثنان فثديا المرأة، فخطبها إلى أبيها، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، وعلى أن يسوق إليها مائة من الابل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ففعل ذلك، ثم بعث عبداً إلى المرأة، وأهدى إليها معه نحياً من سمن ونحياً من عسل وحلة من عصب، فنزل العبد على بعض المياه، ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت، وفتح النحيين فاطعم أهل الماء منهما فنقصا، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها، فقالت أعلم مولاك إن أبي ذهب يقرب بعيداً، ويبعد قريباً، وإن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وإن أخي ذهب يراعى الشمس، وإن سماءكم انشقت، وإن وعاءيكم نضبا. فقدم الغلام على مولاها، فأخبره فقال: أما قولها: إن أبي ذهب يقرب بعيداً، ويبعد قريباً، فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على قومه، وأما قولها: إن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نساء. وأما قولها: إن أخي ذهب يراعى الشمس، فإن أخاها في سرح له يرعاه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وأما قولها: إن سماءكم انشقت، فإن البرد الذي بعثت به انشق، وأما قولها إن وعاءيكم نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا، فاصدقني. فقال: يا مولاي، إنني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم إنني ابن عمك، ونشرت الحلة ولبستها وتجملت بها، فتعلقت بسمرة فانشقت، وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء، فقال: أولى لك! ثم ساق مائة من الابل، وخرج نحوها ومعه العبد يسقى الابل، فعجز، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به العبد في البئر، وخرج حتى أتى أهل الجارية بالابل، فأخبرهم إنه زوجها، فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذئبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه، فقالت: اسقوه لبننا حازوا وهو الحامض -

فسقوه فشرّب، فقالت افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له، فنام فلما أصبحت أرسلت إليه : إنى أريد أن أسألك، فقال لها : سلى عما بدا لك، فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ قال : من تقبيلي إياك، فقالت : مم يختلج كشحاك، قال : لالتزامي إياك، قالت : فمم يختلج فخذاك ؟ قال : لتوركي إياك، فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به، ففعلوا. قال : ومر قوم فاستخرجوا امرا القيس من البئر، فرجع إلى حيه وساق مائة من الابل، وأقبل إلى امرأته فقيل لها، قد جاء زوجك، فقالت : والله ما أدري أزوجى هو أم لا ! ولكن انحروا له جزورا، وأطعموه من كرشها، ذنبها، ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملحاء، وأبى أن يأكل، فقالت : اسقوه لبنا حازرا، فأتى به، فأبى إن يشربه، وقال : فأين الضريب والرثيئة ؟ فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له فأبى أن ينام، وقال : افرشوا لى عند التلعة الحمراء، واضربوا لى عليها خباء، ثم أرسلت إليه : هلم شريطتى عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها أن سلى عما شئت، فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ فقال : لشربي المشعشات، قالت : فمم يختلج كشحاك ؟ قال : للبسى الحبرات. قالت : فمم تختلج فخذاك ؟ قال : لركضي المطهومات، فقالت : هذا زوجي لعمرى، فعليكم به. فاهدت إليه الجارية. فقال ابن هبيرة : حسبكم، فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبى عمرو، ولن يأتينا أحد منكم بأعجب منه، فانصرفنا وأمر لى بجائزة^(١).

ووليهم وال فأقام واستقام

قال ﷺ في كلام له : ووليهم وال فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه. هذا الوالى هو عمر بن الخطاب. وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيام خلافته طويلة، يذكر فيها قربه من النبي ﷺ واختصاصه له، وإفضاءه بأسراره إليه، حتى قال فيها : فاختر المسلمون بعده بأرائهم رجلا منهم، فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وحد كانا فيه، وليهم بعده وال، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه، على عسف وعجرفيه كانا فيه، ثم اختلفوا ثالثا لم يكن يملك من أمر نفسه شيئا، غلب عليه أهله فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم، فلم يزل الامر بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب أخرى

حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاءوا بي مدب الدباء، يريدون بيعتي^(١).

التفضيل بين الصحابة

والقول بالتفضيل قول قديم، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمار، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، وجابر بن عبد الله، وأبي بن كعب، وحذيفة، و بريدة، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو الهيثم بن التيهان، و خزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، والعباس بن عبد المطلب وبنوه، وبنو هاشم كافة، وبنو المطلب كافة. وكان الزبير من القائلين به في بدء الامر، ثم رجع، وكان من بنى أمية قوم يقولون بذلك، منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبد العزيز. ومن قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير كأويس القرني وزيد بن صوحان، وصعصعة أخيه وجندب الخير، وعبدة السلماني، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله، ولم تكن مقالة الامامية ومن نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة^(٢).

لو ثبت لاخبرتك أنك من زمعات قريش

عن المفضل الضبي، أن رسول الله ﷺ لما خرج عن مكة يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج إلى ربيعة، ومعه علي ﷺ وأبو بكر، فدفعوا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر - وكان نسابة - فسلم فردوا ﷺ، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: أ من هامتها أم من لهازمها؟ قالوا: من هامتها العظمى، فقال: من أي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الاكبر، قال: أ فمنكم عوف الذي يقال له: لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا، قال: أ فمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الاحياء؟ قالوا: لا، قال: أ فمنكم جساس حامى الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: أ فمنكم الحوفزان، قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: أ فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا، قال: أ فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فليستم إذن

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢١٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٢١

ذهلا الا كبر، أنتم ذهل الا صغر. فقام إليه غلام قد بقل وجهه، اسمه دغفل، فقال :

إن على سائلنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا، إنك قد سألتنا فأجبتناك، ولم نكتمك شيئا، فممن الرجل؟ قال : من قريش، قال : بنح بنح ! أهل الشرف والرياسة، فمن أي قريش أنت؟ قال : من تيم بن مرة، قال : أمكنت والله الرامي من الشجرة، أم منكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان يدعى مجمعا؟ قال : لا، قال : أم منكم هاشم الذي هشم لقومه الشريد؟ قال : لا، قال : أم منكم شيبه الحمد، مطعم طير السماء؟ قال : لا، قال : أم من المفيضين بالناس أنت؟ قال : لا، قال : أم من أهل الندوة أنت؟ قال : لا، قال : أم من أهل الرفادة أنت؟ قال : لا، قال : أم من أهل الحجابة أنت؟ قال : لا، قال : أم من أهل السقاية؟ قال : لا، قال : فاجتذب أبو بكر زمام ناقته، ورجع إلى رسول الله ﷺ هاربا من الغلام، فقال دغفل :

صادف درء السيل درء يصدعه

أما والله لو ثبت لاخبرتك أنك من زمعات قريش، فتبسم رسول الله ﷺ. وقال على ﷺ لابي بكر : لقد وقعت يا أبا بكر من الاعرابي على باقعة، قال : أجل، إن لكل طامة طامة والبلاء موكل بالمنطق، فذهبت مثلا^(١).

فألقي الناس أنفسهم في الماء

وروى أبو الفرج الاصفهاني أن حارثة لما عقدوا له الرئاسة في حرب الخوارج وسلموا إليه الراية، أمرهم بالثبات، وقال لهم : إذا فتح الله عليكم فللعرب زيادة فريضتين، وللموالي زيادة فريضة، وندب الناس، فالتقوا وليس بأحد منهم طرق قد فشت فيهم الجراحات، وما تطأ الخيل إلا على القتلى، فبيناهم كذلك، إذ أقبل جمع من الشراة من جهة اليمامة، يقول المكثر : إنهم مائتان، والمقلل : إنهم أربعون فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم، فصاروا كوكبة (واحدة)، فلما رأهم حارثة بن بدر ركض برايته منهزما، وقال لأصحابه :

كربوا ودولبوا أو حيث شئتم فاذهبوا

وقال :

أير الحمار فريضة لعبيدكم والخصيتان فريضة الأعراب

قال : كربوا، أي اطلبوا كربى، وهى قرية قريبة من الأهواز، ودولبوا : اطلبوا دولاب، وهى ضيعة بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ. قال : فتتابع الناس على أثره منهزمين، وتبعتهم الخوارج، فألقى الناس أنفسهم في الماء، فغرق منهم بدجيل الأهواز خلق كثير^(١).

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى

قال امير المؤمنين عليه السلام : لا يزالون بكم قتلا وإفناء لكم حتى لا يتركوا منكم إلا من ينفعهم إبقاؤه، أو لا يضرهم ولا ينفعهم، قال : حتى يكون إنتصار أحدكم منهم كانتصار العبد من مولاه، أي لا انتصار لكم منهم، لان العبد لا ينتصر من مولاه أبدا. وقد جاء في كلامه عليه السلام في غير هذا الموضع تمة هذا المعنى : إن حضر أطاعه، وإن غاب سبعه، أي ثلبه وشتمه، وهذه أمارة الذل، كما قال أبو الطيب :

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى ولا أعاتبه صفحا وإهوانا

وهكذا كنت في أهلى وفي وطنى إن النفيس نفيس أينما كانا^(٢).

الشیطان أذب

عن موسى بن ضمرة، عن أبيه، قال : لما صاح الشيطان أذب العقبة، أن محمدا قد قتل لما أراد الله عز وجل من ذلك، سقط في أيدي المسلمين، وتفرقوا في كل وجه، وأصعدوا في الجبل، فكان أول من بشرهم بكون رسول الله صلى الله عليه وآله سالما كعب بن مالك. قال كعب عرفته، فجعلت أصيح هذا رسول الله وهو يشير إلى بإصبعه على فيه أن اسكت^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٤٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٥٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٤٣

كذب ابن قميئة

لما صاح الشيطان أن محمدا قد قتل، قال أبو سفيان بن حرب: يا معشر قريش، أيكم قتل محمدا قال ابن قميئة: أنا قتلته. قال: نسورك كما تفعل الاعاجم بأبطالها. وجعل أبو سفيان يطوف بأبي عامر الفاسق في المعركة، هل يرى محمدا بين القتلى فمر بخارجة بن زيد بن أبي زهير، فقال: يا أبا سفيان، هل تدري من هذا قال: لا، قال: هذا خارجة بن زيد، هذا أسيد بنى الحارث بن الخزرج، ومر بعباس بن عباد بن نضلة إلى جنبه، قال: أتعرفه قال: لا، قال: هذا ابن قوقل، هذا الشريف في بيت الشرف، ثم مر بذكوان بن عبد قيس، فقال: وهذا من ساداتهم، ثم مر بابنه حنظلة بن أبي عامر، فوقف عليه، فقال أبو سفيان: من هذا قال: هذا أعز من هاهنا على، هذا ابني حنظلة. قال أبو سفيان: ما نرى مصرع محمد، ولو كان قتل لرأيناه، كذب ابن قميئة. ولقى خالد بن الوليد، فقال: هل تبين عندك قتل محمد قال: لا، رأيته أقبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل، فقال أبو سفيان: هذا حق، كذب ابن قميئة، زعم أنه قتله^(١).

مثل كتاب محمد

كعب الاحبار: قال الله تعالى لموسى ﷺ: مثل كتاب محمد في الكتب مثل سقاء فيه لبن، كلما مخضته استخرجت منه زبدا^(٢).

إن أباه كان المخدوع يوم دومة الجندل لا أبي

بعث عبد الملك روح بن زنباع وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى، إلى زفر بن الحارث الكلابي بكلام، وحذرهما من كيدته، وخص بالتحذير روحا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أباه كان المخدوع يوم دومة الجندل لا أبي، فعلام تخوفني الخداع والكيد! فغضب بلال وضحك عبد الملك^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٤٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٥٧

نسب العمالقة

والعمالقة أولاد لاوذ إرم بن سام بن نوح، كان الملك باليمن والحجاز وما تاحم ذلك من الاقاليم، فمنهم عملاق بن لاوذ بن سام، ومنهم طسم بن لاوذ أخوه. ومنهم جديس بن لاوذ أخوهما، وكان العز والملك بعد عملاق بن لاوذ في طسم، فلما ملكهم عملاق بن طسم، بنى وأكثر الفساد في الارض، حتى كان يطأ العروس ليلة إهدائها إلى بعلها، وإن كانت بكرًا اقتضها قبل وصولها إلى البعل، ففعل ذلك بإمراه من جديس، يقال لها غفيرة بنت غفار، فخرجت إلى قومها، وهي تقول : لأحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس !. فغضب لها أخوها الأسود بن غفار، وتابعه قومه على الفتك بعمالق بن طسم وأهل بيته، فصنع الأسود طعاما، ودعا عملاق الملك إليه، ثم وثب به وبطسم، فأتى على رؤسائهم، ونجا منهم رياح بن مر، فصار إلى ذى جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن، فاستغاث به، واستنجده على جديس، فسار ذو جيشان في حمير، فأتى بلاد جو، وهي قصبة اليمامة، فاستأصل جديسا كلها، وأخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية، ولا لطسم إلا اليسير منهم. ثم ملك بعد طسم وجديس وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم، فسار بولده وأهله، فنزل بأرض وبار، وهي المعروفة الآن برمل عالج، فبغوا في الارض حيناً حتى أفناهم الله ثم ملك الارض بعد وبار عبد ضخم بن أثيف بن لاوذ، فنزلوا بالطائف حيناً، ثم بادوا^(١).

من كلام المسيح ﷺ في الانجيل

من كلام المسيح ﷺ في الانجيل : (أحبوا أعداءكم، وصلوا قاطعيكم، واعفوا عن ظالميكم، وباركوا على لاعينكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء، الذي تشرق شمسُه على الصالحين والفجرة، وينزل مطره على المطيعين والاثمة^(٢)).

فسيرني حيث سیرت ابن عمي نصر ابن حجاج

وروى عبد الله بن بريدة ان عمر خرج ليلا يعس، فإذا نسوة يتحدثن وإذا هن يقلن : أي فتیان المدينة اصبح ؟ فقالت : امرأة منهن أبو ذؤيب والله. فلما اصبح عمر سأل عنه

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٩٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٥٩

فإذا هو من بنى سليم، وإذا هو ابن عم نصر بن حجاج، فارسل إليه، فحضر فإذا هو اجمل الناس واملحهم، فلما نظر إليه، قال : انت والله ذئبها ! يكررها ويردها، لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بارض ابداء. فقال يا امير المؤمنين ان كنت لا بد مسيرى فسيرني حيث سيرت ابن عمى نصر ابن حجاج فامر بتسييره إلى البصرة فاشخص إليها^(١).

ان عليا عليه السلام ما فرقى زحف قط

قيل لأبى عبد الله البصري: أتجد في النصوص ما يدل على تفضيل علي عليه السلام، بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه، فإن ذلك أمر مفروغ منه ؟ فذكر حديث الطائر المشوى، وأن المحبة من الله تعالى إرادة الثواب. فقليل له : قد سبقك الشيخ أبو علي رحمه الله تعالى إلى هذا، فهل تجد غير ذلك قال : نعم قول الله تعالى : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)، فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثبوت البنيان المرصوص، فكل من زاد ثباته، زادت المحبة له، ومعلوم أن عليا عليه السلام ما فرقى زحف قط، وفر غيره في غير موطن^(٢).

إنه ليس خلفي مدد

حاصرت الترك مدينة بردعة من أعمال أذربيجان في أيام هشام بن عبد الملك حصارا شديدا، واستضعفتها وكادت تملكها، وتوجه إليها لمعاونتها سعيد الحرشى من قبل هشام بن عبد الملك في جيوش كثيفة، وعلم الترك بقربه منهم فخافوا، وأرسل سعيد واحدا من أصحابه إلى أهل بردعة سرا يعرفهم وصوله، ويأمرهم بالصبر خوفا ألا يدركهم، فسار الرجل، ولقيه قوم من الترك، فأخذوه وسألوه عن حاله، فكتمهم فعذبوه، فأخبرهم وصدقهم فقالوا : إن فعلت ما نأمرك به أطلقناك، وإلا قتلناك، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : أنت عارف بأصحابك ببردعة وهم يعرفونك، فإذا وصلت تحت السور فنادهم : إنه ليس خلفي مدد، ولا من يكشف ما بكم، وإنما بعثت جاسوسا. فأجابهم إلى ذلك، فلما صار تحت سورها، وقف حيث يسمع أهلها كلامه، وقال لهم : أتعرفونني ؟ قالوا : نعم، أنت فلان ابن فلان، قال : فإن سعيدا الحرشى قد وصل إلى مكان كذا في مائة ألف سيف،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٣٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦٣

وهو يأمركم بالصبر وحفظ البلد، وهو مصبحكم أو ممسيكم، فرفع أهل برذعة أصواتهم بالتكبير، وقتلت الترك ذلك الرجل، ورحلوا عنها ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين^(١).

من شعر الحماسة

ومن شعر الحماسة :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لا تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعى
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط بسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع^(٢).

لا خير في أعور لا يأتي الفرع

جعل عمار بن ياسر يحرض هاشم المرقال يوم صفين على الحرب، ويقرعه بالرمح، ويقول : أقدم يا أعور :

* لا خير في أعور لا يأتي الفرع *

فيستحيى من عمار، ويتقدم، ويركز الراية، فإذا ركزها عاوده عمار بالقول، فيتقدم أيضا. فقال عمرو بن العاص إنى لارى لصاحب الراية السوداء عملا، لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم ! فاقتتلوا قتالا شديدا، وعمار ينادى صبرا ! والله إن الجنة تحت ظلال البيض. فكان بازاء هاشم وعمار أبو الأعور السلمى، ولم يزل عمار بهاشم ينخسه وهو يزحف بالراية حتى اشتد القتال وعظم، والتقى الزحفان، واقتتلوا قتالا لم يسمع

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٧٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٧٧

السامعون بمثله، وكثرت القتلى في الفريقين جميعاً^(١).

كتابا حمل على جمل لعظمه وكثرته

كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد إلى أبي مسلم كتابا، حمل على جمل لعظمه وكثرته. وقيل: إنه لم يكن في الطول إلى هذه الغاية، وقد حمل على جمل تعظيما لامره، وقال لمروان بن محمد: إن قرأه خاليا نخب قلبه، وإن قرأه في ملا من أصحابه ثبطهم وخذلهم، فلما وصل إلى أبي مسلم أحرقه بالنار ولم يقرأه، وكتب على بياض كان على رأسه وأعادته إلى مروان:

محا السيف أسطار البلاغة وانتحت إليك ليوث الغاب من كل جانب

فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذة يهون عليها العتب من كل عاتب

ويقال: إن أول الكتاب كان: لو أراد الله بالنملة صلاحا، لما أنبت لها جناحا. وكتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار، وهو أول كتاب صدر عن أبي مسلم إلى نصر، وذلك حين لبس السواد، وأعلن بالدعوة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة: أما بعد فإن الله جل ثناؤه ذكر أقواما فقال: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فلما ورد الكتاب إلى نصر تعاضمه أمره، وكسر له إحدى عينيه، وقال: إن لهذا الكتاب لآخوات، وكتب إلى مروان يستصرخه، وإلى يزيد بن هبيرة يستنجده، فقعدا عنه حتى أفضى ذلك إلى خروج الأمر عن بني عبد شمس^(٢).

حيث كانت اليهود تدفن موتاهم

روى المدائني في كتاب مقتل عثمان إن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام، وأن عليا (ع) لم يبائع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام، وأن حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى، وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدوا بعلي (ع) على دفنه، فأقعد طلحة

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٧٩

لهم في الطريق ناسا بالحجارة، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما صار هناك رجم سريزه، وهموا بطرحه، فأرسل على ﷺ إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا، فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب^(١).

زعم حلف زوجها بطلاقها إن على بن أبي طالب ﷺ خير هذه الامة

عن ابن الكلبي، قال : بينا عمر بن عبد العزيز جالسا في مجلسه، دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنه ورد علينا امر ضاقت به الصدور، وعجزت عنه الاوساع، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلائنا إلى عالمه، لقول الله عز وجل : (ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإن أباه يا أمير المؤمنين زعم إن زوجها حلف بطلاقها إن على بن أبي طالب ﷺ خير هذه الامة وأولاها برسول الله ﷺ، وإنه يزعم أن ابنته طلقت منه، وإنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهرا، وهو يعلم إنها حرام عليه كأمه. وإن الزوج يقول له : كذبت وأثمت، لقد بر قسمي، وصدقت مقالتي، وإنها امرأتي على رغم أنفك، وغيظ قلبك، فاجتمعوا إلى يختصمون في ذلك، فسألت الرجل عن يمينه، فقال : نعم، قد كان ذلك، وقد حلفت بطلاقها إن عليا خير هذه الامة وأولاها برسول الله ﷺ، عرفه من عرفه، وأنكره من أنكره، فليغضب من غضب، وليرض من رضى، وتسامع الناس بذلك، فاجتمعوا له، وإن كانت الالسن مجتمعة فالقلوب شتى، وقد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم، وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة، فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله، وإنهما تعلقا بها، وأقسم أبوها ألا يدعها معه، وأقسم زوجها ألا يفارقها ولو ضربت عنقها إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه، فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين، احسن الله توفيقك وأرشدك ا وكتب في أسفل الكتاب

إذا ما المشكلات وردن يوما فحارت في تأملها العيون
وضاق القوم ذرعا عن نبأها فأنت لها أبا حفص أمين
لأنك قد حويت العلم طرا وأحكمت التجارب والشئون
وخلقك الاله على الرعايا فحظك فيهم الحظ الثمين

قال : فجمع عمر بن عبد العزيز بنى هاشم وبنى أمية وأفخاذ قريش ، ثم قال لابي المرأة : ما تقول أيها الشيخ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هذا الرجل زوجته ابنتي ، وجهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها ، حتى إذا أملت خيره ، ورجوت صلاحه ، حلف بطلاقها كاذبا ، ثم أراد الإقامة معها ، فقال له عمر : يا شيخ ، لعله لم يطلق امرأته ، فكيف حلف ؟ قال الشيخ : سبحان الله ، الذي حلف عليه لا بين حنثا وأوضح كذبا من أن يختلج في صدري منه شك ، مع سنى وعلمي ، لانه زعم أن عليا خير هذه الامة وإلا فامرأته طالق ثلاثا ، فقال للزوج : ما تقول ؟ أهكذا حلفت ؟ قال : نعم ، فقيل : إنه لما قال نعم ، كاد المجلس يرتج بأهله ، وبنو أمية ينظرون إليه شزرا ، إلا إنهم لم ينطقوا بشيء ، كل ينظر إلى وجه عمر . فأكب عمر مليا ينكت الارض بيده والقوم صامتون ينظرون ما يقوله ، ثم رفع رأسه وقال :

إذا ولى الحكومة بين قوم أصاب الحق والتمس السدادا
وما خير الامام إذا تعدى خلاف الحق واجتنب الرشادا

ثم قال للقوم : ما تقولون في يمين هذا الرجل ؟ فسكتوا ، فقال : سبحان الله ! قولوا . فقال رجل من بنى أمية : هذا حكم في فرج ، ولسنا نجترئ على القول فيه ، وأنت عالم بالقول ، مؤتمن لهم وعليهم ، قل ما عندك ، فإن القول ما لم يكن يحق باطلا ويبطل حقا جائز على في مجلسي . قال : لا أقول شيئا ، فالتفت إلى رجل من بنى هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب ، فقال له : ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي ؟ فاغتنمها ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن جعلت قولي حكما ، أو حكمي جائزا قلت ، وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لى ، وأبقى للمودة ، قال : قل وقولك حكم ، وحكمك ماض . فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا : ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ، ونحن من لحمتك وأولى رحمتك ، فقال عمر : اسكتوا ، إعجزا ولؤما ! عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له . قالوا : لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي ، ولا حكمتنا كما حكمته ، فقال

عمر : إن كان أصاب وأخطأتم، وحزم وعجزتم، وأبصر وعميتم، فما ذنب عمر، لا أبا لكم ! أتدرون ما مثلكم؟ قالوا : لا ندري، قال : لكن العقيلي يدري، ثم قال : ما تقول يا رجل، قال : نعم يا أمير المؤمنين، كما قال الاول :

دعيتم إلى أمر فلما عجزتم تناوله من لا يداخله عجز

فلما رأيتم ذاك ابدت نفوسكم نداما وهل يغنى من القدر الحذر !

فقال عمر : أحسنت وأصبت، فقل ما سألتك عنه. قال : يا أمير المؤمنين، بر قسمه، ولم تطلق امرأته، قال : وإنى علمت ذاك؟ قال : نشدتك الله يا أمير المؤمنين، ألم تعلم إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائد لها : يا بنية، ما علتك قالت : الوعك يا أبتاه - وكان على غائبا في بعض حوائج النبي ﷺ - فقال لها : أتشتهين شيئا؟ قالت : نعم أشتهى عنبا، وأنا اعلم إنه عزيز، وليس وقت عنب، فقال ﷺ : ان الله قادر على أن يجيئنا به، ثم قال : اللهم ائتنا به مع أفضل أمتى عندك منزلة، فطرق على الباب، ودخل ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف رداءه، فقال له النبي ﷺ : ما هذا يا على؟ قال : عنب التمسته لفاطمة، فقال : الله أكبر الله أكبر، اللهم كما سررتني بأن خصصت عليا بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيتي، ثم قال : كلى على اسم الله يا بنية، فأكلت، وما خرج رسول الله ﷺ حتى استقلت وبرأت، فقال عمر : صدقت وبررت، أشهد لقد سمعته ووعيته، يا رجل، خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه. ثم قال : يا بنى عبد مناف، والله ما نجعل ما يعلم غيرنا، ولا بنا عمى في ديننا، ولكننا كما قال الاول :

تصيدت الدنيا رجالا بفخها فلم يدركوا خيرا بل استقبحوا الشرا

وأعماهم حب الغنى واصمهم فلم يدركوا إلا الخسارة والوزرا

قيل : فكأنما القم بنى أمية حجرا، ومضى الرجل بامرأته. وكتب عمر إلى ميمون بن مهران : عليك سلام فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإنى قد فهمت كتابك، وورد الرجلان والمرأة، وقد صدق الله يمين الزوج، وأبر قسمه، وأثبتته على نكاحه، فاستيقن ذلك، واعمل عليه، والسلام عليك ورحمه الله وبركاته^(١).

وما عليك يا بن الخطاب الا تدرى ما الاب !

خرج عمر يوماً إلى المسجد، وعليه قميص في ظهره اربع رقاع، فقرأ حتى انتهى إلى قوله : (وفاكهه وأبا) فقال : ما الاب ؟ ثم قال : ان هذا لهو التكلف ! وما عليك يا بن الخطاب الا تدرى ما الاب !^(١).

اثاث رسول الله ﷺ

سال عمر ابنته حفصة ما افضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس ؟ قالت : ثوبان ممشقان، كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما في الجمع، قال : فأى طعام ناله عندك ارفع ؟ قالت : خبزنا مره خبزة شعير فصبيت عليها - وهى حارة اسفلها - عكه لنا كان فيها سمن وعسل فجعلتها هشة حلوة دسمة، فاكل منها فاستطابها، قال : فأى مبسط كان ييسط عندك اوطأ ؟ قالت : كساء ثخين كنا نرقعه في الصيف فنجعله ثخيناً فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه، وتذرنا بنصفه^(٢).

حتى يكون العفو هو الذى يصلحك

وأذنب بعض كتاب المأمون ذنباً، وتقدم إليه ليحتج لنفسه، فقال : يا هذا، قف مكانك، فإنما هو عذر أو يمين، فقد وهبتهما لك، وقد تكرر منك ذلك، فلا تزال تسئ ونحس، وتذنب ونغفر، حتى يكون العفو هو الذى يصلحك !^(٣).

في القضاة وما يلزمهم

قد جاء في الحديث المرفوع لا يقضى القاضى وهو غضبان . وجاء في الحديث المرفوع أيضا : من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومجلسه ومقعه.

وجاء في الخبر : لا قدست أمه لا يقضى فيها بالحق،

ومن الحديث : ليس أحد يحكم بين الناس إلا جئ به يوم القيامة مغلولة يدها إلى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٣٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٣٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠٩

عقده، فكه العدل، وأسلمه الجور. قال أبو ذر رضي الله عنه : قال لي رسول الله ﷺ : يا أبا ذر، أعقل ما أقول لك، جعل يرددها على ستة أيام، ثم قال لي في اليوم السابع : أوصيك بتقوى الله في سريرتك وعلانيتك، وإذا أسأت فأحسن، ولا تسألن أحدا شيئا ولو سقط سوطك، ولا تتقلدن أمانة، ولا تلين ولاية، ولا تكفلن يتيما، ولا تقضين بين اثنين^(١).

وسيموت غدا فتنكجهن

قال الجاحظ: أن طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل عنه إلى رسول الله ﷺ : ما الذي يعنيه حجابهن اليوم، وسيموت غدا فتنكجهن ! قال الجاحظ: أيضا : لو قال لعمر قائل : أنت قلت : إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن الستة، فكيف تقول الآن لطلحة أنه مات ﷺ ساخطا عليك للكلمة التي قلتها - لكان قد رماه بمشاقصه ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا، فكيف هذا !^(٢).

رسالة إلى معاوية

عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس، قال : سمعت عمر ابن الخطاب يقول لاهل الشورى : إنكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها وأولادكم، وإن تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم، غلبكم على هذا الامر معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية حينئذ أمير الشام^(٣).

رجز عمار في صفين

حمل عمار يوم صفين على صف أهل الشام وهو يرتجز :

كلا ورب البيت لا أبرح أجي حتى أموت أو أرى ما أشتهى
لا أفتا الدهر أحامي عن على صهر الرسول ذى الامانات الوفى
ينصرنا رب السموات العلى ويقطع الهام بحد المشرفى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٦

يمنحنا النصر على من يبتغي ظلما علينا جاهدا ما يأتلى
قال : فضرب أهل الشام حتى اضطروهم إلى الفرار^(١).

شبهات الغلاة

ومع أنه ﷺ قد كتم ما علمه حذرا من أن يكفروا فيه برسول الله ﷺ، فقد كفر كثير منهم، وادعوا فيه النبوة، وادعوا فيه أنه شريك الرسول في الرسالة، وادعوا فيه أنه هو كان الرسول، ولكن الملك غلط فيه، وادعوا أنه هو الذي بعث محمدا ﷺ إلى الناس، وادعوا فيه الحلول، وادعوا فيه الاتحاد، ولم يتركوا نوعا من أنواع الضلالة فيه إلا وقالوه واعتقدوه، وقال شاعرهم فيه من أبيات : ومن أهلك عادا وثمودا بدواهيته

ومن كلم موسى فوق طور إذ يناديه

ومن قال على المنبر يوما وهو راقيه

سلوني أيها الناس فحاروا في معانيه.

وقال بعض شعرائهم :

إنما خالق الخلائق من زعزع أركان حصن خير جذبا

قد رضينا به إماما ومولى وسجدنا له إلها وربا^(٢)

عظيم أمه أم هانئ

جمع معاوية كل قرشي بالشام، وقال لهم : العجب يا معشر قريش ! أنه ليس لاحد منكم في هذه الحرب فعال يطول بها لسانه غدا ما عدا عمرا، فما بالكم ! أين حمية قريش ؟ فغضب الوليد بن عقبة، وقال : أي فعال تريد ؟ والله ما نعرف في أكفائنا من قريش العراق من يغنى غناءنا باللسان ولا باليد، فقال معاوية : بلى إن اولئك وقوا عليا بأنفسهم. قال الوليد : كلا، بل وقاهم على بنفسه. قال : ويحكم ! أما فيكم من يقوم لقرنه منهم مبارزه ومفاخره فقال مروان : أما البراز فإن عليا لا يأذن لحسن ولا لحسين ولا لمحمد بنيه فيه، ولا لابن عباس واخوته، ويصلى بالحرب دونهم، فلايهم نبارز ! وأما المفاخرة، فبماذا نفاخرهم ! بالاسلام أم بالجاهلية ! فإن كان بالاسلام، فالفخر لهم

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٣

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٦

بالنبوة، وإن كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن، فإن قلنا قريش، قالوا لنا عبد المطلب، فقال عتبة بن أبي سفيان الهوا عن هذا، فإني لاق بالغداة جعدة بن هبيرة، فقال معاوية بنخ بخ ! قومه بنو مخزوم، وأمه أم هانئ بنت أبي طالب كفاء كريم. وكثر العتاب والخصام بين القوم، حتى أغلظوا لمروان وأغلظ لهم، فقال مروان : أما والله لو لا ما كان مني إلى علي عليه السلام في أيام عثمان، ومشهدي بالبصرة، لكان لي في علي رأى يكفى امرأ ذا حسب ودين، ولكن ولعل. ونايذ معاوية الوليد بن عقبة دون القوم، فأغلظ له الوليد فقال معاوية. إنك إنما تجترئ علي بنسبك من عثمان، ولقد ضربك الحد وعزلك عن الكوفة. ثم إنهم ما أمسوا حتى اصطلحوا، وأرضاهم معاوية من نفسه، ووصلهم بأموال جليلة. وبعث معاوية إلى عتبة، فقال : ما أنت صانع في جعدة ! قال : ألقاه اليوم وأقاتله غدا، وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحب الناس إلى علي عليه السلام، فغدا عليه عتبة فنادى : أبا جعدة أبا جعدة ! فاستأذن عليا عليه السلام في الخروج إليه، فأذن له، واجتمع الناس، فقال عتبة : يا جعدة، والله ما أخرجك علينا إلا حب خالك وعمك عامل البحرين، وأنا والله ما نزع من إن معاوية أحق بالخلافة من علي، لو لا أمره في عثمان، ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به، فاعفوا لنا عنها فوالله ما بالشام رجل به طرق إلا وهو أجد من معاوية في القتال، وليس بالعراق رجل له مثل جد علي في الحرب، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعلي أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس، بالناس حتى إذا أصاب سلطانا أفنى العرب. فقال جعدة : أما حبي لخالي، فلو كان لك خال مثله لنسيت أباك، وأما ابن أبي سلمة فلم يصب أعظم من قدره، والجهاد أحب إلى من العمل، وأما فضل علي علي معاوية، فهذا ما لا يختلف فيه اثنان. وأما رضاكم اليوم بالشام، فقد رضيتم بها أمس فلم تقبل. وأما قولك : " ليس بالشام أحد إلا وهو أجد من معاوية وليس بالعراق رجل مثل جد علي : فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعلي يقينه، وقصر بمعاوية شكة، وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل. وأما قولك : نحن أطوع لمعاوية منكم لعلي فوالله ما نسأله أن سكت، ولا نرد عليه إن قال. وأما قتل العرب، فإن الله كتب القتل والقتال، فمن قتله الحق فإلى الله. فغضب عتبة، وفحش علي جعدة فلم يجبه. وأعرض عنه. فلما انصرف عنه جمع خيله فلم يستبق منها شيئا، وجل أصحابه السكون والازد والصدف وتهاى جعدة بما استطاع، والتقوا، فصبر القوم جميعا، وباشر جعدة يومئذ القتال بنفسه، وجزع عتبة، فأسلم خيله

وأسرع هاربا إلى معاوية، فقال له : فضحك جعدة وهزمتك لا تغسل رأسك منها أبدا.
فقال : والله لقد أعذرت، ولكن أبى الله أن يديلنا منهم، فما أصنع ! وحظي جعدة بعدها
عند على عليه السلام. وقال النجاشي فيما كان من فحش عتبة على جعدة :

إن شتم الكريم يا عتب خطب فاعلمنه من الخطوب
عظيم أمه أم هانئ وأبوه من معد ومن لؤى صميم
ذاك منها هيرة بن أبى وهب أقرت بفضلته مخزوم

كان في حربكم يعد بألف حين يلقي بها القروم القروم
وابنه جعدة الخليفة منه هكذا تنبت الفروع الاروم
كل شئ تريده فهو فيه حسب ثاقب ودين قويم
وخطيب إذا تمعرت الاو جه يشجى به الالد الخصيم
وحليم إذا الحبى حلها الجهل، وخفت من الرجال الحلوم

وشكيم الحروب قد علم النا س إذا حل في الحروب الشكيم
وصحيح الاديم من نغل العيب إذا كان لا يصح الاديم
حامل للعظيم في طلب الحمد إذا عظم الصغير اللثيم

ما عسى أن تقول للذهب الاحمر عيبا، هيهات منك النجوم !

كل هذا بحمد ربك فيه وسوى ذلك كان وهو فطيم
وقال الاعور الشنى في ذلك، يخاطب عتبة بن أبى سفيان :

ما زلت تظهر في عطفك أبهة لا يرفع الطرف منك التيه والصلف
لا تحسب القوم إلا فقع قرقرة أو شحمة بزها شاو لها نطف
حتى لقيت ابن مخزوم وأى فتى أحيا مآثر آباءله سلفوا !
إن كان رهط أبى وهب جحاجة في الاولين فهذا منهم خلف

أشجاك جعدة إذ نادى فوارسه حاموا عن الدين والدنيا فما وقفوا

هلا عطفت على قوم بمصرعة فيها السكون وفيها الازد والصدف^(١).

زيد بن علي

ممن تقبل مذاهب الاسلاف في إباء الضيم وكراهية الذل، واختار القتل على ذلك وأن يموت كريماً، أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أمه أم ولد، وكان السبب في خروجه وخلعه طاعة بني مروان، أنه كان يخاصم عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في صدقات علي عليه السلام، هذا يخاصم عن بني حسين، وهذا عن بني حسن، فتنازعا يوماً عند خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم أمير المدينة، فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه، فسر خالد بن عبد الملك بذلك، وأعجبه سبابهما، وقال لهما حين سكتا : اغدوا علي، فلست بابن عبد الملك إن لم أفصل بينكما غداً، فباتت المدينة تغلي كالمرجل، فمن قائل يقول : قال زيد كذا، وقائل يقول : قال عبد الله كذا، فلما كان الغد جلس خالد في المسجد، وجمع الناس، فمن بين شامت، ومغموم، ودعا بهما وهو يحب أن يتشاتما، فذهب عبد الله يتكلم، فقال زيد : لا تعجل يا أبا محمد، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً، ثم أقبل على خالد، فقال له : أجمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر، فقال خالد : أما لهذا السفيه أحد يكلمه ! فتكلم رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم، فقال : يا بن أبي تراب، ويا بن حسين السفيه ! أما ترى عليك لوال حقاً ولا طاعة ! فقال زيد : اسكت أيها القحطاني، فإننا لا نجيب مثلك، فقال الانصاري : ولم ترغب عني ! فوالله إنني لخير منك، وأبي خير من أبيك، وأمي خير من أمك ! فتضاحك زيد، وقال : يا معشر قريش، هذا الدين قد ذهب، أفذهبت الاحساب ! فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال : كذبت أيها القحطاني، والله لهو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتداً، وتناوله بكلام كثير، وأخذ كفاً من الحصا، فضرب به الأرض، وقال : إنه والله ما لنا على هذا من صبر، وقام. فقام زيد أيضاً، وشخص من فوره إلى هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لا يأذن له وزيد يرفع إليه القصص، وكلما رفع إليه قصة كتب هشام في أسفلها : ارجع إلى أرضك، فيقول زيد : والله لا أرجع إلى ابن الحارث أبداً. ثم أذن له بعد حبس طويل وهشام في عليه له، فرقى زيد إليها، وقد أمر هشام خادماً له أن يتبعه حيث لا يراه زيد، ويسمع ما يقول. فصعد زيد - وكان بادناً - فوقف في بعض الدرجة، فسمعه الخادم، وهو يقول : ما أحب الحياة إلا من ذل ! فأخبر الخادم هشاماً

بذلك، فلما قعد زيد بين يدي هشام وحدثه حلف له على شيء، فقال هشام : لا أصدقك، فقال زيد : إن الله لا يرفع أحدا عن أن يرضى بالله، ولم يضع أحدا عن أن يرضى بذلك منه. قال له هشام : إنه بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها، ولست هناك ! لانك ابن أمة، فقال زيد : إن لك جوابا، قال : تكلم، قال : إنه ليس أحد أولى بالله، ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه، وهو إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن أمة، قد اختاره الله لنبوته، وأخرج منه خير البشر، فقال هشام : فما يصنع أخوك البقرة ! فغضب زيد، حتى كاد يخرج من إهابه، ثم قال : سماه رسول الله ﷺ الباقر وتسميه أنت البقرة ! لشد ما اختلفتما ! لتخالفنه في الآخرة، كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة، وترد النار. فقال هشام : خذوا بيد هذا الاحمق المائق، فأخرجوه، فأخذ الغلمان بيده فأقاموه، فقال هشام : احملوا هذا الخائن الاهوج إلى عامله، فقال زيد : والله لئن حملتني إليه لا أجمع أنا وأنت حين، وليموتن الاعجل منا. فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة، ومعه نفر يسيرونه حتى طردوه عن حدود الشام، فلما فارقوه عدل إلى العراق، ودخل الكوفة، وباع لنفسه، فأعطاه البيعة أكثر أهلها، والعامل عليها وعلى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور في كتب التواريخ. وخذل أهل الكوفة زيدا، وتخلف معه ممن تابعه نفر يسير، وأبلى بنفسه بلاء حسنا وجهادا عظيما، حتى أتاه سهم غرب، فأصاب جانب جبهته اليسرى، فثبت في دماغه فحين نزع منه مات ﷺ^(١).

مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب

أنا أستملح قول الصابي فيه :

خضاب تقاسمناه بيني وبينها ولكن شاني فيه خالف شأنها

فيا قبحة إذ حل مني بمفرقي ويا حسنه إذ حل منها بنانها

وسحقا له عن لمتي حين شأنها وأهلا به في كفها حيث زانها

وقال أبو تمام :

لعب الشيب بالمفارق بل جد فأبكي تماضرا ولعوبا

خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد دما إن رأت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقي حسناتي عند الجسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكرا وعبن معيبا
لو رأى الله إن في الشيب فضلا جاورته الأبرار في الخلد شيئا
وقال :

فإن يكن المشيب طغى علينا وأودى بالبشاشة والشباب
فإني لست ادفعه بشيء يكون عليه أثقل من خضاب
أردت بان ذاك وذا عذاب فسلطت العذاب على العذاب
ابن الرومي :

لم أخضب الشيب للغواني أبغى به عندهم ودادا
لكن خضابي على شباب لبست من بعده حدادا
ومن مختار ما جاء من الشعر في الشيب وإن لم يكن فيه ذكر الخضاب قول أبي تمام :

نسج المشيب له لفاعا مغدفا يققا فقع مذرويه ونصفا
نظر الزمان إليه قطع دونه نظر الشقيق تحسرا وتلهفا
ما اسود حتى ابيض كالكرم الذي لم يبد حتى جئ كيما يقطفا
ما تفوفت الخطوب سوادها ببياضها عبثت به فتفوبا
ما كان يخطر قبل ذا في فكره للبدر قبل تمامه أن يكسفا
وقال أيضا :

غدا الهم مختطا بفودي خطة طريق الردى منها إلى الموت مهيع
هو الزور يجنى و المعاشر يجتوى وذو الالف يقلى والجديد يرفع
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وقال أيضا :

شعلة في المفارق استودعتني في صميم الاحشاء ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكن منها صعدا وهي تستثير الهموما
غره مرة ألا إنما كنت أغر أيام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالاتي مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم وأراني قبل هذا التحليم كنت حلما
وقال الصابي وذكر الخضاب

خضبت مشيبي للتلوق بالصبا وأوهمت من أهواه إنى لم أشب
فلما ادعى منى العذار شبيهه إذا صلعى قد صاح من فوقه كذب
فكم طرة طارت ودانت ذوائب وكم وجنة حالت وماء بها نضب
شواهد بالتزوير يحوين ربها فهجرانه عند الاحبة قد وجب
البحترى :

بان الشباب فلا عين ولا أثر إلا بقية برد منه أسمال
قد كدت أخرجه عن منتهى عددي ياسا وأسقطه إذ فات من بالى
سوء العواقب يأس قبله أمل وأعضل الداء نكس بعد إبلال
والمرء طاعة أيام تنقله تنقل الظل من حال إلى حال^(١).
كيلا يسمعك سفهاء الحى

شتم رجل الاحنف بن قيس وجعل يتبعه ويشتمه فلما قرب الحى وقف وقال يا فتى
إن كان قد بقى في قلبك شئ فقله كيلا يسمعك سفهاء الحى فيجيوك^(٢).

القيها في بئر كى لا يغر غيرى بها

كان لبعض الخياطين جار يدفع إليه ثيابا فيخيطها ويدفع إليه اجرتها دراهم زيوفاً

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٣٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢١٨

فياخذها فقام يوما من حانوته واستخلف ولده فجاء الجار بالدرهم الزائفة فدفعها إلى الولد فلم يقبلها فابذلها بدرهم جيدة فلما جاء ابوه دفع إليه الدرهم فقال ويحك هل جرى بينك وبينه امر قال نعم انه احضر الدرهم زيوفا فرددتها فاحضر هذه فقال بشئ ما صنعت انه منذ كذا وكذا سنة يعاملني بالزائف واصبر عليه والقيها في بئر كي لا يغر غيري بها^(١).

لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام

رئى على عليه السلام يوما باكيا فقيل له لم تبكى فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف أن يكون الله قد اهانني^(٢).

دق الله بينكما عطر منشم

قال سعد بن أبي وقاص : أنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبد الرحمن - وذلك لانهما من بنى زهرة، ولعلم سعد أن الامر لا يتم له - فلما لم يبق إلا الثلاثة. قال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيكما يخرج نفسه من الخلافة، ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟ فلم يتكلم منهما أحد، فقال عبد الرحمن : أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة، على أن أختار أحدهما، فأمسكا، فبدأ بعلي عليه السلام، وقال له : أبايعك على كتاب الله، وسنة رسول الله، وسيرة الشيخين : أبي بكر وعمر. فقال : بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي. فعدل عنه إلى عثمان، فعرض ذلك عليه، فقال : نعم، فعاد إلى علي عليه السلام، فأعاد قوله، فعل ذلك عبد الرحمن ثلاثا، فلما رأى أن عليا غير راجع عما قاله، وأن عثمان ينعم له بالاجابة صفق على يد عثمان، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين، فيقال : إن عليا عليه السلام قال له. والله ما فعلتها إلا لانك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم. قيل : ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٢٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٢٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٨

فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتنقل إليهما

أن عمر بن الخطاب قال لما طعن : يا أصحاب محمد تناصحوا، فإنكم إن لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان. قلت : إن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد أحد الامامية قال في بعض كتبه : إنما أراد عمر بهذا القول إغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة وإطماعهما فيها، لان معاوية كان عامله وأميره على الشام، وعمرو بن العاص عامله وأميره على مصر، وخاف أن يضعف عثمان عنها، وأن تصير إلى علي عليه السلام، فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتنقل إليهما - وهما بمصر والشام - فيتغلبا على هذين الاقليمين إن أفضت إلى علي عليه السلام ^(١).

رمي سعد

قالوا إن رسول الله لما لحمه القتال، وخلص إليه وذبح عنه مصعب بن عمير وأبو دجانة، حتى كثرت به الجراحة، جعل رسول الله ﷺ يقول : (من رجل يشرى نفسه ؟) فوثب فئة من الانصار خمسة، منهم عمارة بن زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبت، وفاءت فئة من المسلمين حتى أجهضوا أعداء الله، فقال رسول الله ﷺ لعمارة بن زياد : إدن مني، حتى وسده رسول الله ﷺ قدمه، وإن به لاربعة عشر جرحا حتى مات، وجعل رسول الله ﷺ يذمر الناس ويحضهم على القتال، وكان رجال من المشركين قد أذلقوا المسلمين بالرمي : منهم حيان بن العرقه وأبو أسامة الجشمي، فجعل النبي ﷺ يقول لسعد : (إرم فداك أبي وأمي) فرمى حيان بن العرقه بسهم فأصاب ذيل أم أيمن، وكانت جاءت يومئذ تسقى الجرحى، فقلبها، وانكشف ذيلها عنها، فاستغرب حيان بن العرقه ضحكا، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فدفح إلى سعد بن أبي وقاص سهما لا نصل له، وقال : ارم به، فرمى فوضع السهم في ثغرة نحر حيان، فوقع مستلقيا، وبدت عورته. قال سعد : فرأيت النبي ﷺ ضحك يومئذ حتى بدت نواجذه، وقال : استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك، وسدد رميتك، ورمى يومئذ مالك بن زهير الجشمي أخو أبي أسامة الجشمي المسلمين رميا شديدا، وكان هو وريان بن العرقه قد أسرعوا في أصحاب رسول الله ﷺ، وأكثروا فيهم القتل يستتران بالصخر، ويرميان، فبيناهم على ذلك أبصر سعد بن

أبى وقاص مالك بن زهير يرمى من وراء صخرة قد رمى، واطلع رأسه، فيرميه سعد، فأصاب السهم عينه، حتى خرج من قفاه، فترى السماء قائمة، ثم رجع فسقط، فقتله الله عز وجل^(١).

لا خير في لذة من بعدها سقر

قال بعضهم :

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم وليس لى في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية لا خير في لذة من بعدها سقر.
كثير عزة :

وإنى لأرضى منك يا عز بالذى لو أبصره الواشى لقرت بلابله
بلا وبالا أستطيع وبالمنى وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى أواخره لا نلتقى وأوائله
قال آخر :

فقلت بحق الله إلا أتيتنا إذا كان لون الليل لون الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها وقد نام عنها كل وال وحارس
فتنا مييتا طيبا نستلذه جميعا ولم أمدد لها كف لأمس.

قال أبو صخر الهذلى من شعر الحماسة :

لليلة منها تعود لنا من غير ما رفت ولا أثم

أشهى إلى نفسي ولو برحت مما ملكت ومن بنى سهم

آخر :

وما نلت منها محرما غير أننى أقبل بساما من الشجر أفلجا

والشم فاها آخذا بقرونها وأترك حاجات النفوس تخرجها
وأعف من هذا الشعر قول عبد بنى الحسحاس على فسقه :
لعمر أبيها ما صبوت ولا صبت إلى وإنى من صبا لحليم
سوى قبله استغفر الله ذنبها ساطعم مسكينا لها وأصوم
وقال آخر :

ومجدولة جدل العناق كأنما سنا البرق في داجى الظلام ابتسامها
ضربت لها الميعاد ليست بكنة ولا جارة يخشى على ذمامها
فلما التقينا قالت الحكم فاحتكم سوى خلة هيهات منك مرامها
فقلت معاذ الله أن أركب التى تبيد ويبقى في المعاد أاثامها
قيس بن الخطيم :

ومثلك قد أحبيت ليست بكنة ولا جارة ولا حليلة صاحب
لبعضهم :

أنا زانى اللسان والطرف ألا إن قلبى يعاف ذاك ويابى
لا يرانى الاله أشرب إلا كل ما حل شربه لى وطابا
آخر :

نلهو بهن كذا من غير فاحشة لهو الصيام بتفاح البساتين
بشار بن برد :

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم ما في التزام ولا في قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
وقول القائل :

أبو الطيب المتنبى :

وترى الفتوة والمروة والابوة في كل مليحة ضراتها
هن الثلاث المانعانى لذتى في خلوتى لا الخوف من تبعاتها

إني على شففي بما في خمرها لاعف عما في سزاويلاتها^(١)

منعه من جوابي هواني عنده !

أكثر رجل من سب الاحنف وهو لا يجيبه، فقال الرجل : ويلي عليه ! والله ما منعه من جوابي إلا هواني عنده !
وقال لقيط بن زرارة :

فقل لبني سعد ومالي وما لكم ترقون متى ما استطعتم وأعتق
أغرکم أنى بأحسن شيمة بصير وأنى بالفواحش أخرج !
وأنك قد ساببتني فقهرتني هنيئا مريئا أنت بالفحش أحذق^(٢).

كفيتك التقوالة

روى أن عمرو بن العاص قال لعتبة أن أبى سفيان يوم الحكمين : أما ترى ابن عباس، قد فتح عينيه، ونشر أذنيه، ولو قدر أن يتكلم بهما فعل، وإن غفلة أصحابه لمجبورة بفطنته، وهى ساعتنا الطولى فاكفنيه. قال عتبة بجهدى. قال : فقامت فقعدت إلى جانبه، فلما أخذ القوم في الكلام أقبلت عليه بالحديث، ففرع يدي، وقال : ليست ساعة حديث. قال : فأظهرت غضبا، وقلت : يا بن عباس، إن ثقتك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا، وقد والله تقدم من قبل العذر، وكثر منا الصبر، ثم أقذعته فجاش لى مرجه وارفعت أصواتنا، فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحوه عنى ونحونى عنه، فجئت فقربت من عمرو بن العاص، فرمانى بمؤخر عينيه أي : ما صنعت ؟ فقلت : كفيتك التقوالة، فحمحم كما يحمحم الفرس للشعير. قال : وفات ابن عباس أول الكلام، فكره أن يتكلم في آخره^(٣).

إن المشير أشار بما تقتضيه السياسة

وقال المأمون لابراهيم بن المهدي لما ظفر به : إني قد شاورت في أمرك، فأشير

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٣٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١١٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٠٣

على بقتلك، إلا أنى وجدت قدرك فوق ذنبك، فكرهت قتلك للآزم حرمتك. فقال إبراهيم يا أمير المؤمنين، إن المشير أشار بما تقتضيه السياسة، وتوجيه العادة، إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من حيث عودته من العفر، فإن قتلت فلك نظراء، وإن عفوت فلا نظير لك. قال : قد عفوت، فاذهب آمنة^(١).

وورثكم حلمه الاحوص

ضل الاعشى في طريقه، فأصبح بأبيات علقمة بن علاثة، فقال قائده، وقد نظر إلى قباب الادم : واسوء صباحاه يا أبا بصير ! هذه والله أبيات علقمة، فخرج فتیان الحى، فقبضوا على الاعشى، فأتوا به علقمه فمثل بين يديه، فقال : الحمد لله الذى أظفرتني بك من غير ذمة ولا عقد، قال الاعشى : أو تدرى لم ذلك جعلت فداك ! قال : نعم لانتقم اليوم منك بتقوالك على الباطل مع إحساني إليك، قال : لا والله، ولكن أظفرك الله بى ليلو قدر حلمك في. فأطرق علقمه، فاندفع الاعشى فقال :

أعلقم قد صيرتني الامور إليك وما كان بى منكص

كساكم علاثة أثوابه وورثكم حلمه الاحوص

فهب لى نفسي فدتك النفوس فلا زلت تنمى ولا تنقص

. فقال : قد فعلت، أما والله لو قلت في بعض ما قلته في عامر بن عمر، لاغنيتك

طول حياتك، ولو قلت في عامر بعض ما قلته في ما أذاقك برد الحياة^(٢).

قال معاوية لخالد بن معمر السدوسى : على ماذا أحببت عليا قال على ثلاث : حلمه

إذا غضب، وصدقه إذا قال، ووقاؤه إذا وعد^(٣).

حلية الرجل أوداؤه

قال جعفر بن محمد عليه السلام : لكل شىء حلية وحلية الرجل أوداؤه.

وأنشد ابن الاعرابي :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١١١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١١١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١١١

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة
وقال الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخاله
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه
وقال آخر :

ولن تنفك تحسد أو تعادي
وبغضك للتعقى أقل ضرا
ومن الشعر المنسوب إلى علي عليه السلام :

إن أخاك الحق من كان معك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
ومن الشعر المنسوب إليه عليه السلام أيضا :

أخوك الذي إن أجرضتك ملمة
وليس أخوك بالذي إن تشعبت
وقال أعشى باهله يرثي المنتشر بن وهب :

إما سلكت سبيلا كنت سالكها
من ليس في خيره شر ينكده
وقال آخر يرثي صديقا له :

أخ طالما سرنى ذكره
وقد كنت أغدو إلى قصره
وكننت أرائي غنيا به
إذا جئته طالبا حاجة

ولكن إخوان الصفاء الذخائر^(١).

كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وهل ينهض البازي بغير جناح ؟

فأكثر ما استطعت من الصديق
وأسلم من مودة ذي الفسوق

ومن يضر نفسه لينفعك
شنت فيك شمله ليجمعك

من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما
عليك أمور ظل يلحاك لائما

فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
على الصديق ولا في صفوه كدر.

وأصبحت أشجى لدى ذكره
فأصبحت أغدو إلى قبره
عن الناس لو مدني عمره
فأمري يجوز على أمره^(٢)

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١١٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١١٤

ما كنت اظن الناس يركبون الشيطان

روى أبو العالية الشامي، قال : قدم عمر الجابية على جمل أورق، تلوح صلعته، ليس عليه قلنسوة، تصل رجلاه بين شعبتى رحله بغير ركاب، وطاؤه كساء أنبجاني كثير الصوف، وهو وطاؤه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، وحقيته نمره محشوة ليفا هي حقيته إذا ركب، ووسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرايس قد دسم وتخرق جيبه فقال : ادعوا إلي رأس القرية. فدعوه له، فقال : اغسلوا قميصي هذا وخيطوه وأعيروني قميصا ريشما يجف قميصي، فأتوه بقميص كتان، فعجب منه، فقال : ما هذا قالوا : كتان. قال : وما الكتان؟ فاخبروه، فلبسه ثم غسل قميصه، وأتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه، فقال له رأس القرية : أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا يصلح بها ركوب الابل، فأتى ببرذون، فطرحت عليه قطيفة بغير سرج فركبه فهملج تحته فقال، للناس : احبسوا، فحبسوه فقال : ما كنت اظن الناس يركبون الشيطان قبل هذا ! قدموا لي جملي فجئ. به فنزل عن البرذون وركبه^(١).

بل يئسوا وانصرفوا

روى أن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ضربت فسطاطا على قب بعلمها الحسن ابن الحسن عليه السلام سنة، فلما انقضت السنة قوضت الفسطاط راجعة إلى بيتها، فسمعت هاتفا يقول : هل بلغوا ما طلبوا ! فأجابه هاتف آخر، بل يئسوا وانصرفوا^(٢).

خلاصة السقيفة

وروى أبو جعفر أيضاً في التاريخ أن رسول الله ﷺ لما قبض اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة، وأخرجوا سعد بن عباد، ليولوه الخلافة، وكان مريضاً، فخطبهم ودعاهم إلى إعطائه الرياسة والخلافة، فأجابوه، ثم ترادوا الكلام فقالوا : فإن أبا المهاجرون، وقالوا : نحن أولياؤه وعترته ! فقال قوم من الانصار : نقول منا أمير ومنكم أمير فقال سعد : فهذا أول الوهن ! وسمع عمر الخبر فأتى منزل رسول الله ﷺ، وفيه أبو بكر، فأرسل إليه أن اخرج إلي، فأرسل إني مشغول فأرسل إليه عمر أن اخرج، فقد

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٣٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢٨٧

حدث أمر لا بد أن تحضره، فخرج فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهما أبو عبيدة، فتكلم أبو بكر، فذكر قرب المهاجرين من رسول الله صلى الله عليه وأنهم أولياؤه وعترته، ثم قال: نحن الامراء وانتم الوزراء، لانفتات عليكم بمشورة، ولا نقضى دونكم الامور. فقام الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر الانصار، املكوا عليكم امركم، فان الناس في ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدر أحد إلا عن رأيكم. انتم أهل العزة والمنعة، وأولو العدد والكثرة، وذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا فتفسد عليكم أموركم فإن أبي هؤلاء إلا ما سمعتم، فمننا أمير ومنهم أمير. فقال عمر: هيهات! لا يجتمع سيفان في غمد، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة منهم، من ينازعنا سلطان محمد، ونحن أولياؤه وعشيرته! فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الانصار، املكوا أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر، فإن أبوا عليكم فأجلوهم من هذه البلاد، فأنتم أحق بهذا الامر منهم، فإنه بأسيا فكم دان الناس بهذا الدين، أنا جديها المحكك، وعذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عريسة الاسد، والله إن شئتم لنعيدنها جذعة. فقال عمر: إذن يقتلك الله، قال: بل إياك يقتل. فقال أبو عبيدة: يا معشر الانصار، إنكم أول من نصر، فلا تكونوا أول من بدل وغير. فقام بشير بن سعد، والد النعمان بن بشير فقال: يا معشر الانصار، ألا إن محمدا من قريش، وقومه أولى به، وإيم الله لا يرانى الله أنزعهم هذا الامر. فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم، فقالا: والله لا نتولى هذا الامر عليك وأنت أفضل المهاجرين، وخليفة رسول الله صلى الله عليه في الصلاة، وهي أفضل الدين، أبسط يدك، فلما بسط يده ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير، عقت عقاق أنفست على ابن عمك الامارة! فقال أسيد بن حضير رئيس الاوس لاصحابه: والله لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة أبدا، فقاموا فبايعوا أبا بكر. فانكس على سعد بن عباد والخزرج ما اجتمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، ثم حمل سعد بن عباد إلى داره، فبقى أياما، وأرسل إليه أبو بكر ليبايع، فقال: لا والله - حتى أرميكم بما في كنانتي، وأخضب سنان رمحي، وأضرب بسيفي ما أطاعنى وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الجن والانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي. فقال عمر لا تدعه حتى يبايع،

فقال، بشير بن سعد : إنه قد لجج ، وليس بمبايع لكم حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ، ولا يضركم تركه ، إنما هو رجل واحد ، فتركوه . وجاءت أسلم فبايعت ، فقوى بهم جانب أبي بكر ، وبايعه الناس^(١) .

فذاك الموت نقدا غير دين

روى عن علي بن محمد النوفلي عن مشيخته ، أن عليا عليه السلام مر بقوم وهم يأكلون في شهر رمضان نهارا ، فقال : أسفر أم مرضى ؟ قالوا : لا ولا واحدة منهما ، قال : فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية ؟ قالوا : لا ، قال : فما بال الأكل في نهار رمضان ؟ فقاموا إليه ، فقالوا : أنت أنت ! يومون إلى ربوبيته ، فنزل عليه السلام عن فرسه ، فألصق خده بالأرض ، وقال : ويلكم ! إنما عبد من عبيد الله ، فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام . فأبوا فدعاهم مرارا ، فأقاموا على كفرهم فنهض إليهم ، وقال شدوهم وثاقا وعلى بالفعلة والنار وا لحطب ثم امر بحفر بثرين فحفرتا فعجل ، أحدهما سربا والآخرى مكشوفة ، وألقى الحطب في المكشوفة ، وفتح بينهما فتحا ، وألقى النار في الحطب ، فدخن عليهم ، وجعل يهتف بهم ويناشدهم ليرجعوا إلى الإسلام ، فأبوا ، فأمر بالحطب والنار فألقى عليهم ، فأحرقوا ، فقال الشاعر :

لترم بي المنية حيث شاءت إذا لم ترمني في الحفرتين
إذا ما حشنتا حطبا بنار فذاك الموت نقدا غير دين
قال : فلم يبرح عليه السلام حتى صاروا حمما^(٢) .

نتف من أخبار عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كنيته أبو عمرو ، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

بايعه الناس بعد انقضاء الشورى واستقرار الامر له ،

أوطأ بني أمية رقاب الناس ، وولاهم الولايات وأقطعهم القطائع ،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٩

وافتححت إفريقية في أيامه، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان
 وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة، فأعطاه أربعمئة ألف درهم.
 وأعاد الحكم بن أبي العاص، بعد أن كان رسول الله ﷺ، قد سيره ثم لم يرده أبو
 بكر ولا عمر، وأعطاه مائة ألف درهم.

وتصدق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين، فأقطعه
 عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم.

وأقطع مروان فذك، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله
 عليه تارة بالميراث، وتارة بالنحلة فدفعت عنها.

وحمي المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية.
 وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب، وهي
 من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه
 لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن
 أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان : أتبكي
 أن وصلت رحمي ! قال : لا، ولكن أبكي لاني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما
 كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ. والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان
 كثيراً، فقال : ألق المفاتيح يا بن أرقم، فإننا سنجد غيرك.

وأناه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسمها كلها في بني أمية.
 وأنكح الحارث ابن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد
 صرفه زيد بن أرقم عن خزنه

. وانضم إلى هذه الامور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون، كتسيير أبي ذر رحمه
 الله تعالى إلى الربذة،

وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه،
 وما أظهر من الحجاب والعدول عن إقامة الحدود، ورد المظالم، وكف الايدي
 العادية والانتصاب لسياسة الرعية،

وختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين، واجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه^(١).

أى الزوانى أفره؟ أ زوانى رامهرمز، أم زوانى أرجان؟

كان الشراة والمسلمون في حرب المهلب وقطري يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك، على أمان وسكون، لا يهيج بعضهم بعضاً، فتواقف يوماً عبدة بن هلال اليشكري، وأبو حزابة التميمي، فقال عبدة: يا أبا حزابة، إنى أسألك عن أشياء، أفتصدقني عنها في الجواب؟ قال: نعم، إن ضمنت لى مثل ذلك، قال: قد فعلت، قال: فسل عما بدا لك، قال: ما تقولون في أئمتكم؟ قال: يبيحون الدم الحرام، قال: ويحك! فكيف فعلهم في المال؟ قال: يحبونه من غير حله، وينفقونه في غير وجهه، قال: فكيف فعلهم في اليتيم؟ قال: يظلمونه ماله، ويمنعونه حقه، قال: ويحك يا أبا حزابة! أمثل هؤلاء تتبع! قال: قد أجبتك، فاسمع سؤالي، ودع عتابي على رأبي، قال: سل، قال: أي الخمر أطيب، خمر السهل أم خمر الجبل؟ قال: ويحك! أمثلى يسأل عن هذا! قال: قد أوجبت على نفسك أن تجيب، قال: أما إذ أبيت، فإن خمر الجبل أقوى وأسكر، وخمر السهل أحسن وأسلس، قال: فأى الزوانى أفره؟ أ زوانى رامهرمز، أم زوانى أرجان؟ قال: ويحك! إن مثلى لا يسأل عن هذا، قال: لا بد من الجواب أو تغدر. قال: أما إذ أبيت فزوانى رامهرمز أرق أبشاراً، وزوانى أرجان أحسن أداناً. قال: فأى الرجلين اشعر، جرير أم الفرزدق؟ قال: عليك وعليهما لعنة الله، قال: لا بد أن تجيب، قال: أيهما الذى يقول:

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بحضرموت برودا

قال: جرير، قال: فهو أشعرهما. قال أبو الفرج: وقد كان الناس تجادلوا في أمر جرير والفرزدق في عسكر المهلب، حتى توابوا، وصاروا إليه محكمين له في ذلك، فقال: أ تريدون أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين، فيمضغاني! ما كنت لاحكم بينهما، ولكني أدلكم على من يحكم بينهما، ثم يهون عليه سبابهما، عليكم بالشراة

فاسألوهم إذا تواقفتم، فلما تواقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك، فأجابه بهذا الجواب^(١).

اكتب لكم ما لا تضلون بعدي

قال كان ابن عباس رحمه الله يوم الخميس وما يوم الخميس ثم يبكي حتى تبل دموعه الحصباء، فقلنا له وما يوم الخميس قال يوم اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال (ائتوني باللوح والدواة - أو قال بالكتف والدواة - اكتب لكم ما لا تضلون بعدي، فتنازعوا، فقال اخرجوا ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع قالوا ما شأنه اهجر استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه فقال (دعوني فما انا فيه خير مما تدعونني إليه) ثم اوصى بثلاث؛ قال (اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بنحو مما كنت اجيزهم)، وسكت عن الثالثة عمدا، أو قالها ونسيتها^(٢).

أم الخطاب زنجيه وتعرف بباطحلى

قدم عمرو بن العاص على عمر وكان واليا لمصر فقال له : في كم سرت قال : في عشرين، قال عمر : لقد سرت سير عاشق فقال عمرو : انى والله ما تأبطتني الاماء ولا حملتني في غبرات الماكى، فقال عمر : والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتك عنه ! وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل، وانما تنسب البيضة إلى طرفها فقام عمرو مريد الوجه. قلت : الماكى : خرق سود يحملها النوائح ويسرن بها بأيديهن عند اللطم وأراد خرق الحيص هاهنا وشبهها بتلك، وأنكر عمر فخره بالامهات وقال : إن الفخر للاب الذى إليه النسب

قال بن ابي الحديد: وسألت النقيب أبا جعفر عن هذا الحديث في عمر فقال : إن عمرا فخر على عمر لان أم الخطاب زنجيه، وتعرف بباطحلى، تسمى صهاك، فقلت له : وأم عمرو النابغة امة من سبايا العرب، فقال : امة عربية من عنزة سييت في بعض الغارات فليس يلحقها من النقص عندهم ما يلحق الاماء الزنجيات. فقلت له : أكان عمرو يقدم على عمر بمثل ما قلت ؟ قال : قد يكون بلغه عنه قول قدح في نفسه فلم يحتمله له ونفت

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦٩

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦٩

بما في صدره منه، وإن لم يكن جواباً مطابقاً للسؤال^(١).

حديث اللدود

سالت النقيب ابا جعفر يحيى بن ابي زيد البصري عن حديث اللدود، فقلت الد علي بن ابي طالب ذلك اليوم فقال معاذ الله لو كان لد لذكرت عائشة ذلك فيما تذكره وتنعاها عليه قال وقد كانت فاطمة حاضرة في الدار، وابناها معها، افتراها لدت أيضاً، ولد الحسن والحسين كلا، وهذا امر لم يكن، وانما هو حديث ولده من ولده تقرباً إلى بعض الناس، والذي كان إن اسماء بنت عميس اشارت بان يلد، وقالت هذا دواء جاءنا من ارض الحبشه جاء به جعفر بن ابي طالب، وكان بعلمها، وساعدتها على تصويب ذلك والاشارة به ميمونة بنت الحارث، فلد رسول الله ﷺ، فلما افاق انكره، وسال عنه فذكر له كلام اسماء، وموافقة ميمونة لها، فامر أن تلد الامراتان لا غير، فلدتا ولم يجز غير ذلك والباطل لا يكاد يخفى على مستبصر^(٢).

اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص

ومن دعاء امير المؤمنين عليه السلام، وهو من أدعية الصحيفه : اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب، وغلبه الحسد وضعف الصبر، وقلة القناعة، وشكاسة الخلق، والحاح الشهوة، وملكة الحمية، ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والاصرار على المأثم، والاستكثار من المعصية، والاقلال من الطاعة، ومباهاة المكثرين، والازراء على المقلين، وسوء الولاية على من تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، وأن نعصد ظالماً، أو نخذل ملهرفاً، أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول بغير علم. ونعوذ بك أن ننطوي على غش لاحد، وأن نعجب بأموالنا وأعمالنا، وأن نمد في آمالنا. ونعوذ بك من سوء السريرة واحتقار الصغيرة، وأن يستحوذ علينا الشيطان، أو يشتد لنا الزمان، أو يتهمنا السلطان، ونعوذ بك من حب الاسراف وفقدان الكفاف، ومن شماتة الاعداء، والفقير إلى الاصدقاء، ومن عيشة في شدة، أو موت على غير عدة. ونعوذ اللهم بك من الحسرة

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٣٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٣٢

العظمى، والمصيبة الكبرى، ومن سواء الماب وحرمان الثواب، وخلول العقاب. اللهم أعذنا من كل ذلك برحمتك ومنك وجودك، إنك على كل شيء قدير^(١).

أنا الزاد

قال بعضهم : رأيت امرأة مستقبلة البيت في الموسم، وهى في غاية الضر والنحافة رافعة يديها تدعو، فقلت لها هل لك من حاجة؟ قالت : حاجتى أن تنادى في الموقف بقولى : تزود كل الناس زادا يقيمهم وما لى زاد والسلام على نفسى. ففعلت، وإذا أنا بفتى منهوك، فقال : أنا الزاد، فمضيت به إليها، فما زادوا على النظر والبكاء، ثم قالت له : انصرف مصاحباً، فقلت : ما علمت إن التقاء كما يقتصر فيه على هذا، فقالت : أمسك يا فتى، أما علمت إن ركوب العار ودخول النار شديد^(٢).

الحمد لله بكل ما حمده أدنى ملائكته إليه

ومن دعاء امير المؤمنين عليه السلام وتحميده، وذكره النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من أدعية الصحيفة أيضاً : الحمد لله بكل ما حمده أدنى ملائكته إليه، وأكرم خلقه عليه، وأرضى حامد به لديه، حمداً يفضل سائر الحمد، كفضل ربنا جل جلاله على جميع خلقه. ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا، وعلى جميع عباده الماضين والباقيين، عدد ما أحاط به علمه، ومن جميع الأشياء أضعافاً مضاعفة، أبداً سرمداً إلى يوم القيامة، وإلى ما لا نهاية له من بعد القيامة حمداً لا غاية لحده، ولا حساب لعدده، ولا مبلغ لأعداده، ولا انقطاع لاماده، حمداً يكون وصلة إلى طاعته، وسبباً إلى رضوانه، وذريعة إلى مغفرته، وطريقاً إلى جنته، وخفيراً من نعمته، وأماناً من غضبه، وظهيراً على طاعته، وحاجزاً عن معصيته، وعونا على تأدية حقه ووظائفه، حمداً نسعد به في السعداء من أوليائه، وننتظم به في نظام الشهداء بسيف أعدائه. والحمد لله الذى من علينا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون الأمم الماضية، والقرون السالفة، لقدرة التى لا تعجز عن شئ، وإن عظم، ولا يفوتها شئ وإن لطف اللهم فصل على محمد أمينك على وحيك، ونجيك من خلقك، وصفيك من عبادك، إمام الرحمة وقائد الخير، ومفتاح البركة، كما نصب لامرك نفسه، وعرض فيك للمكروه بدنه،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٨٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٣٧

وكاشف في الدعاء إليك حاسته، وحارب في رضاك أسرته، وقطع في نصرة دينك رحمه، وأقصى الأدين على عنودهم عنك، وقرب الأقسين، على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعاند فيك الأقربين، وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك، وأتعبها في الدعاء إلى ملكك، وشغلها بالنصح لاهل دعوتك، وهاجر إلى بلاد الغربية ومحل الناي، عن موطن رحله، وموضع رجله، ومسقط رأسه، ومانس نفسه، إرادة منه لاعزاز دينك، واستنصارا على اهل الكفر بك، حتى استتب له ما حاول في أعدائك، واستتم له ما دبر في أوليائك، فنهذ إلى المشركين بك، مستفتحا بعونك، ومتقويا على ضعفه بنصرتك، فغزاهم في عقر ديارهم، وهجم عليهم في بحبوحة قرارهم، حتى ظهر أمرك، وعلت كلمتك، وقد كره المشركون. اللهم فارفعه - بما كدح فيك - إلى الدرجة العليا من جنتك، حتى لا يساوى في منزلة، ولا يكافأ في مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وعرفه في أمته من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، يا نافذ العدة، يا وافي القول، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات، إنك ذو الفضل العظيم^(١).

ما قيل في الشكر

قالوا : من سعادته المرء أن يضع معروفه عند من يشكره.

ومن جيد ما قيل في الشكر قول أبي نواس :

قد قلت للعباس معتذرا من ضعف شكره ومعترفا

أنت امرؤ حملتني نعما أوهت قوى شكرى فقد ضعفا

فإليك منى اليوم معذرة جاءتك بالتصريح منكشفا

لا تسدين إلى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقال البحتري :

فإن أنا لم اشكر لنعماك جاهدا فلا نلت نعمى بعدها توجب الشكرا

. وقال أيضا :

سأجهد في شكرى لنعماك إننى أرى الكفر للنعماء ضربا من الكفر

وقال ابن أبي طاهر :

شكرت عليا بـره وبـلاءه

وما أنا من شكري عليا بواحد

وقال أبو الفتح البستي :

لا تظننن بي وبرك حتى

أنا أرض وراحتاك سحاب

وقال أيضا :

وخر لما أوليت شكري ساجدا

البحثري :

أراك بعين المكتسى ورق الغنى

ويعجبني فقري إليك ولم يكن

آخر :

بدأت بمعروف وثنيت بالرضا

وباشرت أمرى واعتنيت بحاجتي

وصدقت لى ظنى، وأنجزت موعدى

فإن نحن كافأنا بشكر فواجب

القمر على جدارها احسن

قيل لبعض العرب ما وجدت من حب فلانه قال ارى القمر على جدارها احسن منه

على جدران الناس^(٢).

في بعض كتب النبوات القديمة

يقال انه مكتوب في بعض كتب النبوات القديمة شوقناكم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم فلم

ترقصوا وخوفناكم فلم ترهبوا ونحنا لكم فلم تحزنوا^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١١٦

(٢)

شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٣٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٣٦

نوروزا لنا في كل يوم إن استطعتم

دعاء ﷺ بعض من كان يانس إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فاكل وقال لم عملت هذا فقال لانه يوم نوروز فضحك وقال نوروزا لنا في كل يوم إن استطعتم^(١).

من الادعية الماثورة عن عيسى ﷺ

من الادعية المروية عن عيسى بن مريم ﷺ : اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الارض، لا إله فيهما غيرك، وأنت حكيم من في السماء وحكيم من في الارض، لا حكيم فيهما غيرك. وأنت ملك من في السماء، وملك من في الارض، لا ملك فيهما غيرك، قدرتك في السماء كقدرتك في الارض، وسلطانك كسلطانك في الارض، أسألك باسمك الكريم، ووجهك المنير، وملكك القديم أن تفعل بي كذا وكذا^(٢).

ام مسلم بن عقيل

روى المدائني قال قال معاوية يوما يوما لعقيل بن ابي طالب هل من حاجة فاقضيها لك قال نعم جارية عرضت على وابي اصحابها أن يبيعوها الا باربعين الفا فاحب معاوية أن يمازحه فقال وما تصنع بجارية قيمتها اربعون الفا وانت اعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهما قال ارجو أن اطاها فتلد لي غلاما إذا اغضبته يضرب عنقك بالسيف فضحك معاوية وقال مازحناك يا ابا يزيد وامر فابتعت له الجارية التي اولد منها مسلما فلما اتت على مسلم ثمانى عشرة سنة - وقد مات عقيل ابوه - قال لمعاوية يا امير المؤمنين إن لى ارضا بمكان كذا من المدينة وانى اعطيت بها مائة ألف وقد احببت أن ابيعك اياها فادفع إلى ثمنها فامر معاوية بقبض الارض ودفع الثمن إليه. فبلغ ذلك الحسين ﷺ فكتب إلى معاوية اما بعد فانك غررت غلاما من بنى هاشم فابتعت منه ارضا لا يملكها فاقبض من الغلام ما دفعته إليه واردد الينا ارضنا. فبعث معاوية إلى مسلم فاخبره ذلك واقراه كتاب الحسين ﷺ وقال اردد علينا مالنا وخذ ارضك فانك بعت ما لا تملك فقال مسلم اما دون أن اضرب راسك بالسيف فلا فاستلقى معاوية ضاحكا يضرب برجليه فقال يا بنى هذا والله كلام قاله لى ابوك حين ابتعت له امك. ثم كتب إلى الحسين

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٤٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٨٧

انى قد رددت عليكم الارض وسوغت مسلما ما اخذ^(١).

قال قولا مخلصا ليغفرن له

روى أن عليا عليه السلام اعتمر، فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة، وهو يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا تقلقه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحّين، أذقني برد عفوك، وحلاوة مغفرتك، وعذوبة عاقبتك، والفوز بالجنة، والنجاة من النار فقال على عليه السلام : والذي نفسي بيده إن قالها وعليه مثل السموات والارض من الذنوب قولا مخلصا ليغفرن له^(٢).

حول الشقشقية

أما قول ابن عباس : (ما أسفت على كلام. إلى آخره)، فحدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة، قال : قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة، فلما انتهيت إلى هذا الموضع، قال لى : لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له : وهل بقى في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد ! والله ما رجع عن الأولين ولا عن الآخرين، ولا بقى في نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله صلى الله عليه وآله. قال مصدق : وكان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل، قال : فقلت له : أ تقول أنها منحولة ! فقال : لا والله، وإنى لأعلم أنها كلامه، كما أعلم أنك مصدق. قال فقلت له : إن كثيرا من الناس يقولون إنها من كلام الرضى، رحمه الله تعالى. فقال : إنى للرضى ولغير الرضى هذا النفس وهذا الأسلوب ! قد وقفنا على رسائل الرضى، وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر : ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضى بمائتي سنة، ولقد وجدت لها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضى. قلت : وقد وجدت أنا كثيرا من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضى بمدة

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٥١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٨٨

طويلة. ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الامامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب (الانصاف). وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضى رحمة الله تعالى موجوداً^(١).

فرغ عنهم العذاب

من الاثار المنقولة : أن الله تعالى غضب على أمة فأنزل عليهم العذاب، وكان فيهم ثلاثة صالحون، فخرجوا وابتهلوا إلى الله سبحانه، فقام : أحدهم فقال : اللهم إنك أمرتنا أن نعتق أرقاءنا ونحن أرقاؤك، فاعتقنا، ثم جلس. وقام الثاني فقال : اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا ثم جلس. وقام الثالث فقال : اللهم إنا على ثقة أنك لم تخلق خلقاً أوسع من مغفرتك، فاجعل لنا في سعتها نصيباً، فرغ عنهم العذاب^(٢).

لم يوجس موسى

قوله ﷺ : (لم يوجس موسى)، هذا كلام شريف جداً، يقول : إن موسى لما أوجس الخيفة بدلالة قوله تعالى : (فأوجس في نفسه خيفة موسى) لم يكن ذلك الخوف على نفسه، وإنما خاف من الفتنة والشبهة الداخلة على المكلفين عند إلقاء السحرة عصيهم، فخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى، وكذلك أنا لا أخاف على نفسي من الأعداء الذين نصبوا لي الحبائل، وأرصدوا لي المكائد، وسعروا على نيران الحرب، وإنما أخاف أن يفتتن المكلفون بشبههم وتمويهاتهم، فتقوى دولة الضلال، وتغلب كلمة الجهال^(٣).

لعن الله يوماً كنت فيه واليا لابن الخطاب

كتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو عامله في مصر : أما بعد فقد بلغني أنه قد ظهر

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٩٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢١١

لك مال من ابل وغنم وخدم وغلمان ولم يكن لك قبله مال، ولا ذلك من رزقك، فأني
لك هذا ولقد كان لي من السابقين الاولين من هو خير منك، ولكنني استعملتك لغنائك،
فإذا كان عملك لك وعلينا بم نؤثرك على أنفسنا فاكتب إلى من أين مالك وعجل
والسلام. فكتب إليه عمرو بن العاص : قرأت كتاب أمير المؤمنين ولقد صدق فأما ما
ذكره من مالي، فأني قدمت بلدة : الاسعار فيها رخيصة والغزو فيها كثير فجعلت فضول
ما حصل لي من ذلك فيما ذكره أمير المؤمنين والله يا أمير المؤمنين لو كانت خيانتك لنا
حلالا ما خناك حيث ائتمنتنا فأقصر عنا عنك فإن لنا أحسابا إذا رجعنا إليها أغنتنا عن
العمل لك وأما من كان لك من السابقين الاولين، فهلا استعملتهم ! فوالله ما دقت لك
بابا. فكتب إليه عمر : أما بعد، فأني لست من تسطيرك وتشقيقك الكلام في شيء، إنكم
معشر الامراء أكلتم الاموال واخذتم إلى الاعذار فإنما تأكلون النار وتورثون العار وقد
وجهت إليك محمد بن مسلمه ليشاطرك على ما في يديك والسلام فلما قدم إليه محمد
إتخذ له طعاما وقدمه إليه فأبى أن يأكل فقال : ما لك لا تأكل طعامنا؟ قال : إنك عملت
لي طعاما هو مقدمة للشر ولو كنت عملت لي طعام الضيف لاكلته فأبعد عني طعامك،
وأحضر لي مالك. فلما كان الغد وأحضر ماله جعل محمد يأخذ شطرا ويعطى عمرا شطرا
فما رأى عمرو ما حاز محمد من المال قال : يا محمد أقول؟ قال : قل ما تشاء : قال :
لعن الله يوما كنت فيه واليا لابن الخطاب ! والله لقد رأيتك ورأيت أباه وإن على كل
واحد منهما عباءة قطوانية مؤتزرا بها ما تبلغ مابض ركبتيه وعلى عنق كل واحد منهما
حزمة من حطب وإن العاص ابن وائل لفي مزررات الديباج فقال : محمد إيه يا عمرو !
فعمر والله خير منك، وأما أبوك وأبوه ففي النار والله لو لا ما دخلت فيه من الاسلام
لالفيت معتلفا شاة يسرك غزرها ويسوءك بكؤها. قال : صدقت فاكتب علي قال : أفعل^(١).

قصيدة أبي القاسم المغربي وتعصبه للانصار على قريش

لما قدم أبو القاسم علي بن الحسين المغربي من مصر إلى بغداد، استكتبه شرف
الدولة أبو علي بن بويه، وهو يومئذ سلطان الحضرة، وأمير الامراء بها، والقادر خليفة
فسدت الحال بينه وبين القادر، واتفق لابي القاسم المغربي أعداء سوء أوحشوا القادر

منه، وأوهموه أنه مع شرف الدولة في القبض عليه وخلعه من الخلافة فأطلق لسانه في ذكره بالقيح. وأوصل القول فيه، والشكوى منه، ونسبه إلى الرفض وسب السلف، وإلى كفران النعمة، وأنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه. قال النقيب أبو جعفر رحمه الله تعالى : فأما الرفض فنعم، وأما إحسان الحاكم إليه فلا كان الحاكم ا قتل أباه وعمه وأخا من إخوته وأفلت منه أبو القاسم بخديعة الدين، ولو ظفر به لالحقه بهم. قال أبو جعفر : وكان أبو القاسم المغربي، ينسب في الأزدي، ويتعصب لقحطان على عدنان، وللانصار على قريش، وكان غالبا في ذلك مع تشيعه، وكان أدبيا فاضلا شاعرا مترسلا، وكثير الفنون عالما، وانحدر مع شرف الدولة إلى واسط، فاتفق أن حصل بيد القادر كتاب بخطه شبه مجموع، قد جمعه من خطه وشعره وكلامه مسود أتخفه به بعض من كان يشنا أبا القاسم، ويريد كيده، فوجد القادر في ذلك المجموع قصيدة من شعره، فيها تعصب شديد للانصار على المهاجرين حتى خرج إلى نوع من الالحاد والزندقة، لافراط غلوه وفيها تصريح بالرفض مع ذلك فوجدها القادر تمره الغراب، وأبرزها إلى ديوان الخلافة، فقرأ المجموع والقصيدة بمحضر من أعيان الناس من الاشراف والقضاة والمعدلين والفقهاء، ويشهد أكثرهم أنه خطه، وأنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه، وأمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك، فإلى أن وصل الكتاب إلى شرف الدولة بما جرى، اتصل الخبر بأبي القاسم قبل وصول الكتاب إلى شرف الدولة فهرب ليلا، ومعه بعض غلمانه، وجارية كان يهاها ويتحظاها، ومضى إلى البطيحة ثم منها إلى الموصل، ثم إلى الشام، ومات في طريقه. فأوصى أن تحمل جثته إلى مشهد على، فحملت في تابوت، ومعه خفراء العرب حتى دفن بالمشهد بالقرب منه عليه السلام. وكنت برهة أسال النقيب أبا جعفر عن القصيدة وهو يدافعني بها، حتى أملاها على بعد حين، وقد أوردت ها هنا بعضها، لاني لم أستجز ولم أستحل إيرادها على وجهها، فمن جملتها - وهو يذكر في أولها رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقول : إنه لولا الانصار لم تستقم لدعوته دعامة ولا أرسى له قاعدة، في آيات فاحشة كرهنا ذكرها :

نحن الذين بنا استجار فلم يضع فينا، وأصبح في أعز جوار
بسيوفنا أمست سخيئة بركا في بدرها كنهائير الجزار
ولنحن في أحد سمحنا دونه بنفوسنا للموت خوف العار

فنجنا بمهجته، فلولا ذنبنا
 وحمية السعدين بل بحماية
 في الخندق المشهور إذ القى بها
 قالاً: معاذ الله إن هزيمة
 ما عندنا إلا السيوف، وأقبلا
 ولنا بيوم حنين آثار متى
 لما تصدع جمعه فغدا بنا
 عطفت عليه كماتنا فتحصنت
 وفدته من أبناء قبيلة عصبه
 أفنحن أولى بالخلافة بعده
 ما الأمر إلا أمرنا ويسعدنا
 لكنما حسد النفوس وشحها
 أفضى إلى هرج ومرج فانبرت
 وتداولتها أربع لولا أبو
 من عاجز ضرع، ومن ذى غلظة
 ثم ارتدى المحروم فضل ردائها
 فتأكلت تلك الجدى، وتلمظت
 تالله لو ألقوا إليه زمامها
 ولو أنها حلت بساحة مجده
 هو كالنبي فضيلة، لكن ذا
 والفضل ليس بنافع أربابه
 ثم امتطأها عبد شمس فاغتدت
 وتنقلت في عصبه أموية
 ما بين مافون إلى متزندق
 عنه تنشب في مخالاب ضار
 السدين يوم الجحفل الجرار
 بيد، ورام دفاعها بثمار
 لم نعطها في منالف الاعصار
 نحو الحتوف بهبذار بدار
 تذكر فهن كرائم الاثار
 مستصرخا بعقيرة وجوار
 منا جموع هوازن بفرار
 شروى النقيز وجنة البقار
 أم عبد تيم حاملو الاوزار !
 زفت عروس الملك غير نوار !
 وتذكر الاذحال والاورتار
 عشواء خابطة بغير نهار
 حسن لقلت لؤمت من أستار
 جاف، ومن ذى لوثة خوار
 فغلت مراجل إحنه ونفار
 تلك الظبا، ورقى أجيج النار
 لمشى بهم سجحا بغير عثار
 بادي بدا سكنت بدار قرار
 من حظه كاس، وهذا عار
 إلا بمسعدة من الاقدار
 هزوا، وبدل ربحها بخسار
 ليسوا بأطهار ولا أبرار
 ومداهن ومضاعف وحمار^(١).

امير المؤمنين والمزاح

قال ابن ابي الحديد: أما أمير المؤمنين على عليه السلام، فإذا نظرت إلى كتب الحديث والسير، لم تجد أحدا من خلق الله، عدوا ولا صديقا روى عنه شيئا من هذا الفن، لا قولا ولا فعلا، ولم يكن جد أعظم من جده، ولا وقار أتم من وقاره، وما هزل قط ولا لعب، ولا فارق الحق والناموس الديني سرا ولا جهرا، وكيف يكون هازلا، ومن كلامه المشهور عنه: (ما مزح امرؤ مزحا إلا ومج معها من عقله مجة) ! ولكنه خلق على سجية لطيفة وأخلاق سهلة، ووجه طلق، وقول حسن، وبشر ظاهر، وذلك من فضائله عليه السلام، خصائصه التي منحها الله بشرفها، واختصه بمزيتها، وإنما كانت غلظته وفضاظته فعلا لا قولا، وضربا بالسيف لا جها بالقول، وطعنا بالسنان لا عضها باللسان، كما قال الشاعر:

وتسفه أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالافعال، لا بالتكلم^(١).

حسن الخلق ومدحه

* قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وانك لعلی خلق عظیم)، وقال أيضا: (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

* وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الشؤم؟ فقال: سوء الخلق.

* وصحب جابر رجلا في طريق مكة، فاذاه سوء خلقه، فقال جابر: إني لارحمه، نحن، نفارقة ويبقى معه سوء خلقه!

* وقيل لعبد الله بن جعفر: كيف تجاور بني زهرة وفي أخلاقهم زعارة؟ قال: لا يكون لي قبلهم شيء إلا تركته، ولا يطلبون مني شيئا إلا أعطيتهم.

* وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنبثكم بشر الناس)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (من نزل وحده، ومنع رفته، وضرب عبده)، ثم قال: (ألا أنبثكم بشر من ذلك)؟ قالوا: بلى، قال: (من لم يقل عشرة، ولا يقبل معذرة). * وقال إبراهيم بن عباس

الصولى : لو وزنت كلمة رسول الله ﷺ بمحاسن الخلق كلها لرجحت، قوله : (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم).

* وفى الخبر : (حسن الخلق زمام من رحمة الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الملك، والملك يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة، وسوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان، والشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النار). * وروى الحسن بن على ؑ عن النبي ﷺ : (إن الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، وإنه ليكتب جبارا ولا يملك إلا أهله).

* وروى بينا رسول الله ﷺ يمشى وامرأة بين يديه، فقلت : الطريق لرسول الله صلى الله عليه ! فقالت : (الطريق معرض، إن شاء أخذ يمينا وإن شاء أخذ شمالا. فقال ﷺ : (دعوها فإنها جبارة

* وفى الحديث : (أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن).

* وجاء أيضا : (المؤمن هين لين كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ).

* وجاء أيضا : (ألا أخبركم باحبكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقا، الموطنون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون. ألا أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة : الثرثارون المتفيهقون).

* وعن رسول الله ﷺ وسلم : (إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب رفق).

* وعنه ﷺ : (من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والاخرة).

* وعن على ؑ : ما من شئ في الميزان أثقل من خلق حسن.

* وعنه ﷺ : عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه.

* وعنه ﷺ مرفوعا : عليكم بحسن الخلق، فإنه في الجنة، وإياكم وسوء الخلق فإنه

في النار^(١).

والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبى

أن أبا الاسود الدؤلى، قال : كنت أحب لقاء أبى ذر لاسأله عن سبب خروجه إلى الربذة، فجئته فقلت له : ألا تخبرني، أخرجت من المدينة طائعا، أم أخرجت كرها؟ فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم، فأخرجت إلى المدينة، فقلت : دار هجرتي وأصحابي، فأخرجت من المدينة إلى ما ترى. ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه، إذ مر بي عليه السلام فضربني برجله : وقال : لا أراك نائما في المسجد، فقلت : بأبى أنت وأمى ! غلبتني عيني، فتمت فيه. قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت : إذا ألحق بالشام، فإنها أرض مقدسة، وأرض الجهاد. قال : فكيف تصنع إذا أخرجت منها؟ قلت : أرجع إلى المسجد، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت : آخذ سيفي فأضربهم به. فقال : ألا أدلك على خير من ذلك؟ انسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع. فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبى^(١).

اقتباسات من كلام امير المؤمنين تراج

قول امير المؤمنين عليه السلام كل شيء مملول إلا الحياة "، فهو معنى قد طرقة الناس قديما وحديثا، قال أبو الطيب :

ولذيذ الحياة أنفس في النفس وأشهى من أن يمل وأحلى

وإذا الشيخ قال أف فمامل حياة ولكن الضعف ملا

وقال أيضا :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصا عليها مستهما بها صبا

فحب الجبان النفس أوردته البقا وحب الشجاع النفس أوردته الحربا

وقال أبو العلاء :

فما رغبت في الموت كدر مسيرها إلى الورد خمسا ثم تشر بن من أجن

بصادفن صقرا كل يوم وليلة ويلقين شرا من مخالبه الحجن

ولا قلقات الليل باتت كأنها من الاين والادلاج بعض القنا اللدن
 ضربين مليعا بالسنايك أربعا إلى الماء لا يقدرن منه على معن
 وخوف الردى آوى إلى الكهف أهله وكلف نوحا وابنه عمل السفن
 وما استعذبتة روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده جنتي عدن
 ولى من قصيدة، أخاطب رجلين فرا في حرب :

عذرتكما إن الحمام لمبغض وإن بقاء النفس للنفس محبوب
 ويكره طعم الموت والموت طالب فكيف يلذ الموت والموت مطلوب ا
 وقال أبو الطيب أيضا :

طيب هذا النسيم أوفر في الانفس أن الحمام مر لمذاق
 والاسى قبل فرقة الروح عجز والاسى لا يكون بعد الفراق
 البحترى :

ما أطيب الايام إلا أنها يا صاحبي إذا مضت لم ترجع
 وقال آخر :

أوفى يصفق بالجنح مغلسا ويصيح من طرب إلى الندمان
 يا طيب لذة هذه الدنياكم لو أنها بقيت على الانسان
 وقال آخر :

أرى الناس يهوون البقاء سفاهة وذلك شئ ما إليه سبيل ومن يأمن الايام!
 أما بلاؤها وقال محمد بن وهيب الحميرى :

ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها وما كنت منه فهو شئ محبب

وهذا مأخوذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قيل له : ما أكثر حب الناس للدنيا !
 فقال : هم أبناؤها أيلام الانسان على حب أمه.

وقال آخر :

يا موت ما أفجأك من نازل تنزل بالمرء على وعلمه

تستلب العذراء من خدرها وتأخذ الواحد من أمه
أبو الطيب :

وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليدين عنها تخلي
شيم الغايات فيها فلا أدري لذا أنت اسمها الناس أم لا^(١).

لا يستكمل الانسان حد الانسانية إلا بالموت

قالت الفلاسفة : لا يستكمل الانسان حد الانسانية إلا بالموت، لان الانسان هو
الحي الناطق الميت.

وقال بعضهم الصالح إذا مات استراح، والطالح إذا مات استريح منه.
وقال الشاعر :

جزى الله عنا الموت خيرا فإنه أبر بنا من كل بر وأراف
يعجل تخليص النفوس من الأذى ويدنى من الدار التي هي أشرف
وقال آخر :

من كان يرجو أن يعيش فإنني أصبحت أرجو أن أموت لاعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أنها عرفت لكان سبيله أن يعشقا
وقال أبو العلاء :

جسمي ونفسي لما استجمعا صنعا شرا إلى فجل الواحد الصمد !
فالجسم يعذل فيه النفس مجتهدا وتلك تزعم أن الظالم الجسد
إذا هما بعد طول الصحبة أفرقا فإن ذاك لاحداث الزمان يد
وقال أبو العتاهية :

المرء يأمل أن يعيش وطول عمر قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

وتخونه الايام حتى لا يرى شيئاً يسره
 كم شامت بي إن هلكت وقائل : لله دره !
 وقال ابن المعتز :

الست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا فذما له لكن للخالق الشكراً
 لقد حيب الموت البقاء الذي أرى فيا حسداً منى لمن يسكن القبرا^(١).

يا بن اللعين الابتر

من كلام لامير المؤمنين عليه السلام وقد وقعت بينه وبين عثمان مشاجرة، فقال المغيرة ابن الاخنس لعثمان : أنا أكفيكه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيرة : يا بن اللعين الابتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني ! فوالله ما أعز الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا ابعده الله نواك، ثم ابلغ جهدك، فلا أبقى الله عليك إن أبيت !

والمغيرة هذا هو المغيرة بن الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي، حليف بني زهرة، وإنما قال له أمير المؤمنين عليه السلام : " يا بن اللعين " ، لان الاخنس ابن شريق كان من اكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفه قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بأستهم دون قلوبهم، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الابل من غنائم حنين يتألف بها قلبه، وابنه أبو الحكم بن الاخنس، قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم أحد كافرا في الحرب وهو أخو المغيرة هذا. والحق الذي في قلب المغيرة عليه من هذه الجهة. وإنما قال له : " يا بن الابتر " ، لان من كان عقبه ضالا خبيثا، فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه^(٢).

ثقيف الملعونة

* روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم لعن ثقيفا.

* وروى أنه عليه السلام قال : " لولا عروة بن مسعود للعت ثقيفا. " روى في

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٩٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠١

* وروى الحسن البصري أن رسول الله ﷺ لعن ثلاث بيوت : بيتان من مكة، وهما بنو أمية وبنو المغيرة، وبيت من الطائف وهم ثقيف.
* وفي الخبر المشهور المرفوع وقد ذكر ثقيفا : " بثست القبيلة، ! يخرج منها كذاب^(١) .

أحبكما إلى الطلق البسام،

جاء في الخبر أن يحيى رضي الله عنه لقي عيسى رضي الله عنه، وعيسى متبسم، فقال يحيى رضي الله عنه :
مالى أراك لا هيا كأنك آمن؟ فقال رضي الله عنه : مالى أراك عابسا
. كأنك آيس؟ فقالا : لانبرح حتى ينزل علينا الوحي، فأوحى الله إليهما : أحبكما إلى الطلق البسام، أحسنكما ظنا بي^(٢) .

أخرج أبعد الله نواك

أن عثمان لما كثرت شكايته من على رضي الله عنه، أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول الله ﷺ أحد إلا شكى إليه عليا، فقال له زيد بن ثابت الانصاري - وكان من شيعته وخاصته : أفلا أمشى إليه فأخبره بموجدتك فيما يأتي إليك ! قال : بلى، فأتاه زيد ومعه المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفي - وعداده في بني زهرة، وأمه عمة عثمان بن عفان - في جماعة، فدخلوا عليه، فحمد زيد الله وأثنى عليه، ثم قال : أما بعد فإن الله قدم لك سلفا صالحا في الاسلام، وجعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به، فأنت للخير كل الخير أهل، وأمير المؤمنين عثمان ابن عمك، ووالى هذه الامة فله عليك حقان : حق الولاية وحق القرابة، وقد شكنا إلينا أن عليا يعرض لى، ويرد أمرى على، وقد مشينا إليك نصيحة لك، وكراهية أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه لكما. قال : فحمد على رضي الله عنه الله، وأثنى عليه وصلى على رسوله، ثم قال : أما بعد، فوالله ما أحب الاعتراض، ولا الرد عليه، إلا أن يابى حقا لله لا يسعنى ان أقول فيه إلا بالحق، ووالله لا كفن عنه ما وسعنى الكف. فقال المغيرة بن الاخنس، وكان رجلا وقاحا، وكان من شيعة عثمان وخلصائه : إنك والله لتكفن عنه أو لتكفن، فانه أقدر عليك منك عليه ! وإنما أرسل

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٣٢

هؤلاء القوم من المسلمين إغزازا لتكون له الحجة عندهم عليك. فقال له علي عليه السلام يا بن اللعين الابتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفني! فوالله ما أعز الله امرأ أنت ناصره، اخرج أبعد الله نواك، ثم اجهد جهدك، فلا أبقي الله عليك ولا على أصحابك إن أبقيتم. فقال له زيد: إنا والله ما جئناك لنكون عليك شهودا، ولا ليكون ممثانا إليك حجة، ولكن مشينا فيما بينكما التماس الاجر أن يصلح الله ذات بينكما، ويجمع كلمتكما. ثم دعا له ولعثمان، وقام فقاموا معه^(١).

نسب ثقيف، وطرف من أخبارهم

وإنما قال امير المؤمنين عليه السلام: والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، لان ثقيفا في نسبها طعن، فقال قوم من النسابين: إنهم من هوازن، وهو القول الذي تزعمه الثقفيون، قالوا: هو ثقيف، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر. وعلى هذا القول جمهور الناس. ويزعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار بن معد بن عدنان، وأن النخع أخوه لايه وأمه، ثم افترقا، فصار أحدهما في عداد هوازن، والآخر في عداد مذحج بن مالك ابن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقد روى أبو العباس المبرد في "الكامل" لاخت الاشر مالك بن الحارث النخعي تبكيه:

أبعد الاشر النخعي نرجو مكائرة ونقطع بطن واد
ونصحب مذحجا بإخاء صدق وإن ننسب فنحن ذرا إياد
ثقيف عمنا وأبو أبينا وإخوتنا نزار أولو السداد

قال أبو العباس: وهجا يحيى بن نوفل - وكان هجاء خبيث اللسان - العريان بن الهيثم بن الاسود النخعي، وقد كان العريان تزوج امرأة اسمها وهي من ولد هاني بن قبيصة الشيباني، وكانت قبله تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان، فطلقها، فأنكحها إياه أخ لها يقال له زياد، فقال يحيى بن نوفل:

أعريان ما يدري امرؤ سيل عنكم أمن مذحج تدعون أم من إياد
فإن قلت من مذحج إن مذحجا لبيض الوجوه غير جد جماد

وأنتم صغار الهام حدل كأنما
 وإن قلت الحى اليمانون أصلنا
 فأطول بإير من معد ونزوة
 ضللتكم كما ضلت ثقيف فمالككم
 لعمر بنى شيبان إذ ينكحونه
 أبعد وليد أنكحوا عبد مذحج
 وأنكحها لا في كفاء ولاغنى
 وجوهكم مطلية بمداد
 وناصرنا في كل يوم جلاد
 نزت باياد خلف دار مراد
 ولالهم بين القبائل هادى
 زياد لقد ما قصرُوا بزباد
 كمنزلة عيرا خلاف جواد
 زياد أضل الله سعى زياد^(١).

ولكن أردت أن تتشرف بى في محافل العرب

وكان المغيرة بن شعبة، وهو والى الكوفة صار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر، وهى فيه عمياء مترهبة، فاستأذن عليها، فقيل لها : أمير هذه المدرة بالباب. قالت : قولوا له : من ولد جبلة بن الایهم أنت ؟ قال : لا، قالت : أقمن ولد المنذر بن ماء السماء أنت ؟ قال : لا، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبة الثقفى، قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئت خاطبا، قالت : لو كنت جئتني لجمال أو حال لاطلبنك، ولكن أردت أن تتشرف بى في محافل العرب، فتقول : نكحت ابنة النعمان بن المنذر، وإلا فأى خير في اجتماع أعور وعمياء ! فبعث إليها : كيف كان أمركم ؟ قالت : سأختصر لك الجواب، أمسينا وليس في الأرض عربي إلا وهو يرهبنا أو يرغب إلينا، وأصبحنا ليس في الأرض عربي إلا ونحن نرهبه ونرغب إليه. قال : فما كان أبوك يقول في ثقيف ؟ قالت : أذكر : وقد اختصم إليه رجلان منهم، أحدهما ينتهى إلى إياد، والآخر إلى هوازن، فقضى للأيادي وقال :

إن ثقيف لم تكن هوازنًا ولم تناسب عامرا أو مازنا
 فقال المغيرة أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء، ثم انصرف. وقال قوم آخرون : إن ثقيفا من بقايا ثمود، من العرب القديمة التى بادت وانقرضت^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠٣

يزعمون أنا من بقايا ثمود

قال الحجاج على المثبر يزعمون أنا من بقايا ثمود، فقد كذبهم الله بقوله : (و ثمود فما أبقى). وقال مره أخرى. ولئن كنا من بقايا ثمود، لما نجا مع صالح إلا خيارهم^(١).

اتقنى فإنى سريع الخطفة للاحمق المتهور

قال الحجاج يوما لابي العسوس الطائي : أي أقدم، أنزول ثقيف الطائف، أم نزول طيئ الجبلين؟ فقال له أبو العسوس : إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ الجبلين قبلها، وإن كانت من بقايا ثمود، فهي أقدم فقال الحجاج : اتقنى فإنى سريع الخطفة للاحمق المتهور، فقال أبو العسوس - قال أبو العباس، وكان أعرابيا قحا إلا أنه لطيف الطبع، وكان الحجاج يمازحه - :

يؤدبني الحجاج تأديب أهله فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا
وإنى لاخشى ضربة ثقفية يقد بها ممن عصاه المقلدا
على أنى مما أحاذر آمن إذا قيل يوما قد عصى المرء واعتدى^(٢)

كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحيحة

. روى أن رسول الله ﷺ لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد، كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بنى كنانة، ثم من بنى عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عوف، وهم خالد بن سفيان، وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان، و غراب بن سفيان، فقال رسول الله ﷺ يا على إكفنى هذه الكتيبة، فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارسا، وهو ﷺ راجل، فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه، هكذا مرارا حتى قتل بنى سفيان بن عوف الأربعة، وتمام العشرة منها، فمن لا يعرف باسمائهم، فقال جبرئيل ﷺ لرسول الله ﷺ يا محمد، إن هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى فقال رسول الله ﷺ وما يمنعه وهو منى وأنا منه فقال جبرائيل ﷺ وأنا منكما. قال : وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء، لا يرى

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠٦

شخص الصارخ به، ينادى مرارا : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فستل رسول الله ﷺ عنه، فقال هذا جبرائيل. قلت وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الاخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق، ورأيت بعضها خاليا عنه، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينه رحمه الله عن هذا الخبر، فقال : خبر صحيح، فقلت : فما بال الصحاح لم تشتمل عليه قال : أو كلما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحيحة^(١).

أحمل رأسا قد سئمت حمله

وروى أن امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة، يقال لها أم حكيم، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهها، وأحسنهم بالدين تمسكا، وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تجبهم، فأخبر من شاهدها في الحرب أنها كانت تحمل على الناس وترتجز، فتقول :

أحمل رأسا قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

الا فتى يحمل عنى ثقله

والخوارج يقدونها بالاباء والامهات، فما رأينا قبلها ولا بعدها مثلها^(٢)

ما كل مفتون يعاتب

ما كل مفتون يعاتب هذه الكلمة قالها علي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وعبد الله ابن عمر لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل، ونظيرها أو قريب منها قول أبي الطيب :

فما كل فعال يجازى بفعله ولا كل قوال لدى يجاب
ورب كلام مر فوق مسامعي كما طن في لفح الهجير ذباب^(٣)

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٥٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٧٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١١٩

تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير

إذا تأملت أحوال العالم وجدت مصداق هذه الكلمة ظاهراً، نذكر لمحا فرش مروان بن محمد - وقد لقي عبد الله بن علي - أنطاعاً ويسط عليها المال وقال : من جاءني برأس فله مائة درهم ، فعجزت الحفظة والحراس عن حمايته ، واشتغلت طائفة من الجند بنهبه ، وتهافت الجيش عليه ليتهبوه ، فغشيهم عبد الله بن علي بعساكره ، فقتل منهم ما لا يحصى ، وهزم الباقون .

وكسر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن جيش أبي جعفر المنصور بياخمرى وأمر أصحابه باتباعهم ، فحال بينهم وبين أصحاب أبي جعفر ماء ضحضاح ، فكره إبراهيم وجيشه خوض ذلك الماء ، وكان واسعاً ، فأمر صاحب لوائه أن يتعرج باللواء على مسناة كانت على ذلك الماء يابسة فسلكها صاحب اللواء وهي تفضى بانعراج وانعكاس إلى الارض اليبس ، فلما رأى عسكر أبي جعفر أن لواء القوم قد تراجع القهقري ظنوه من هزيمين ، فعطفوا عليهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وجاء سهم غرب فأصاب إبراهيم فقتله .

وقد دبرت من قبل قريش في حماية العير بأن نفرت على الصعب والذلول لتدفع رسول الله ﷺ عن اللطيمة ، فكان هلاكها في تدبيرها . وكسرت الانصار يوم أحد بأن أخرجت النبي ﷺ عن المدينة ظناً منها أن الظفر والنصرة كانت بذلك ، وكان سبب عطبها وظفر قريش بها ، ولو أقامت بين جدران المدينة لم تظفر قريش منها بشئ

ودبر أبو مسلم الدولة الهاشمية ، وقام بها حتى كان حتفه في تدبيره . وكذلك جرى لأبي عبد الله المحتسب مع عبد الله المهدي بالمغرب . ودبر أبو القاسم بن المسلمة رئيس الرؤساء في إخراج البساسيري عن العراق حتى كان هلاكه على يده ، وكذلك أيضاً انعكس عليه تدبيره في إزالة الدولة البويهية من الدولة السلجوقية ظناً منه أنه يدفع الشر ، بغير الشر فدفع الشر بما هو شر منه ^(١) .

فاخذ يده فعضها حتى صاح

جاءت سرية لعبيد الله بن عمر إلى عمر تشكوه، فقالت : يا أمير المؤمنين ألا تعذرني من أبي عيسى، قال : ومن أبو عيسى قالت : ابنك عبيد الله قال : ويحك وقد تكنى بأبي عيسى ! ودعاه، وقال : إيها اكتنيت بأبي عيسى ! فحذر وفزع، فاخذ يده فعضها حتى صاح، ثم ضربه وقال : ويلك ! هل لعيسى أب أما تدري ما كنى العرب ؟ أبو سلمه أبو حنظله أبو عرفطة أبو مرة^(١).

ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب

قال البراء بن عازب : لم أزل لبني هاشم، محبا فلما قبض رسول الله ﷺ خفت أن تتمالا قريش على إخراج هذا الامر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ، فكنيت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي ﷺ في الحجرة، وأتفقد وجوه قريش، فأنى كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول : القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول : قد بويح أبو بكر، فلم ألث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالازر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا خبطوه، وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر بياعه، شاء ذلك أو أبي، فأنكرت عقلي، وخرجت أشد حتى انتهيت إلى بني هاشم، والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضربا عنيفا، وقلت : قد بايع الناس لابي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس تربت أيديكم إلى آخر الدهر، أما إنى قد أمرتكم فعصيتموني. فمكثت أكابد ما في نفسي، ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعمارا، وهم يريدون أن يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين. وبلغ ذلك أبا بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة : الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذه الامرة نصيبا، ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب. فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة، حتى دخلوا على العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه، وقال : إن الله ابتعث لكم محمدا ﷺ نبيا، وللمؤمنين

وليا، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرائهم، حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أمورهم ليختاروا لانفسهم متفقين غير مختلفين، فاختاروني عليهم واليا، ولا مورهم راعيا، فتوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهنا ولا حيرة ولا جبا، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذكم لجا فتكونون حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا إليه، فقد جئناك، ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيبا، ولمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله ﷺ، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ، ومكان أهلك ثم عدلوا بهذا الامر عنكم وعلى رسلكم بنى هاشم، فإن رسول الله ﷺ منا ومنكم. فاعترض كلامه عمر، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الامر من أصعب جهاته، فقال: أي والله، وأخرى إنا لم نأتكم حاجة إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لانفسكم ولعامتهم. ثم سكت. فتكلم العباس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله ابتعث محمدا نبيا، كما وصفت، ووليا للمؤمنين، فمن الله به على أمته حتى اختار له ما عنده، فخلى الناس على أمرهم ليختاروا لانفسهم، مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوى، فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، ما تقدمنا في أمركم فرطا، ولا حللنا وسطا، ولا نزحنا شحطا، فإن كان هذا الامر يجب لك بالمؤمنين، فما وجب، إذ كنا كارهين وما أبعد قولك إنهم طعنوا من قولك أنهم مالوا إليك، وأما ما بذلت لنا، فإن يكن حقك اعطيتناه فأمسكه عليك، وإن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض. وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجة نصيبها من البيان. وأما قولك: إن رسول الله ﷺ منا ومنكم، فإن رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها، وأنتم جيرانها، وأما قولك: يا عمر، إنك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه أول ذلك، وبالله المستعان^(١).

عندي في هذه الواقعة كلام

روى الارقم بن شرحبيل ، قال سألت ابن عباس رحمه الله هل أوصى رسول الله ﷺ فقال لا قلت فكيف كان فقال إن رسول الله ﷺ وسلم قال في مرضه (ابعثوا إلى علي فادعوه) فقالت عائشة لو بعثت إلى أبي بكر وقالت حفصة لو بعثت إلى عمر فاجتمعوا عنده جميعا - هكذا لفظ الخبر على ما أورده الطبري في التاريخ ، ولم يقل (بعث رسول الله ﷺ اليهما) - قال ابن عباس فقال رسول الله ﷺ (انصرفوا ، فإن تكن لي حاجة ابعث اليكم) فانصرفوا وقيل لرسول الله الصلاة فقال (مروا أبا بكر أن يصلى بالناس) فقالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق فمر عمر ، فقال مروا عمر ، فقال عمر : ما كنت لاتقدم وأبو بكر شاهد ، فتقدم أبو بكر ، فوجد رسول الله ﷺ خفه ، فخرج ، فلما سمع أبو بكر حركته تأخر ، ف جذب رسول الله ﷺ ثوبه فأقامه مكانه ، وقعد رسول الله ﷺ ، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر

قلت : عندي في هذه الواقعة كلام ، ويعترضني فيها شكوك واشتباه ؛ إذا كان قد اراد أن يبعث إلى علي ليوصي إليه ، فنفست عائشة عليه ، فسألت أن يحضر أبوها ، ونفست حفصة عليه فسألت أن يحضر أبوها ، ثم حضرا ولم يطلبها ، فلا شبهة أن ابنتيهما طلبتاها هذا هو الظاهر ، وقول رسول الله ﷺ وقد اجتمعوا كلهم عنده (انصرفوا فإن تكن لي حاجة بعثت اليكم) ، قول من عنده ضجر وغضب باطن لحضورهما ، وتهمة للنساء في استدعائهما ، فكيف يطابق هذا الفعل وهذا القول ما روى من أن عائشة قالت لما عين علي ابنيها في الصلاة إن أبي رجل رقيق ، فمر عمر واين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء والاستقالة وهذا يوهم صحة ما تقوله الشيعة من أن صلاة أبي بكر كانت عن امر عائشة ، وإن كنت لا أقول بذلك ، ولا اذهب إليه إلا إن تأمل هذا الخبر ولمح مضمونه يوهم ذلك ، فلعل هذا الخبر غير صحيح . وايضا ففي الخبر ما لا يجيزه أهل العدل ، وهو أن يقول (مروا أبا بكر) ، ثم يقول عقيبه (مروا عمر) ، لأن هذا نسخ الشيء قبل تقضى وقت فعله^(١) .

إن المنية لو تمثل مثلت مثلى

عنف محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ﷺ زيدا لما خرج ، وحذره القتل ، وقال

له : إن أهل العراق خذلوا أباك عليا وحسنا وحسينا عليهم السلام، وإنك مقتول، وإنهم خاذلوك، فلم يشن ذلك عزمه وتمثل.

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها إن المنية منهل لا بد أن أسقى بذاك المنهل

إن المنية لو تمثل مثلت مثلى، إذا نزلوا بضيق المنزل

فاقنى حياءك لا أبالك واعلمي أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل^(١).

اللهم وسع على فانه لا يسعنى الا الكثير

روى أن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب الجواد رقت حاله في آخر عمره لان عبد الملك جفاه فراح يوما إلى الجمعة فدعا فقال اللهم انك عودتني عادة جريت عليها فان كان ذلك قد انقضى فاقبضني اليك فلم يلحق الجمعة الاخرى. وكان الحسن بن علي عليه السلام يدعو فيقول (اللهم وسع على فانه لا يسعنى الا الكثير)^(٢).

نزول علي إلى الرقة

مضى علي عليه السلام، حتى نزل بأرض الجزيرة، فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بجزور، فقال عليه السلام ليزيد بن قيس الارجحي : يا يزيد، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : هؤلاء قومك، من طعامهم فاطعم، ومن شرابهم فاشرب. قال : ثم سار حتى أتى الرقة - وجل أهلها عثمانية، فروا من الكوفة إلى معاوية - فأغلقوا أبوابها دونه، وتحصنوا، وكان أميرهم سماك بن مخزومة الاسدي في طاعة معاوية، وقد كان فارق عليا عليه السلام في نحو من مائة رجل من بنى إسد، ثم كاتب معاوية، وأقام بالرقة حتى لحق به سبعمائة رجل. روى حبة أن عليا عليه السلام لما نزل على الرقة، نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعلي عليه السلام : إن عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك ؟ قال : نعم، فقرأ الراهب الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم. الذي قضى فيما قضى، واطر فيما كتب : أنه باعث في الاميين رسولا

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٨٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٥٥

منهم، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا أظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشر، وفي كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتكبير والتهليل، والتسبيح، وينصره الله على من ناوأه، فإذا توفاه الله، اختلفت أمته من بعده، ثم اجتمعت، فلبثت ما شاء الله، ثم اختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضى بالحق ولا يركس الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الرياح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمان. يخاف الله في السر، وينصح له في العلانية، لا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فامن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإن القتل معه شهادة. ثم قال له : أنا مصاحبك، فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى ﷺ، ثم قال : الحمد لله الذي لم أكن عنده منسيا، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار. فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدى مع أمير المؤمنين ويتعشى، حتى أصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال ﷺ : اطلبوه، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه. وقال : هذا منا أهل البيت، واستغفر له مرارا^(١).

شعر في الزهد

من جيد شعر أبي نواس في الزهد :

يا بني النقص والغير وبني الضعف والخور

وبني البعد في الطباع على القرب في

والشكول التي تباين في الطول والقصر

اين من كان قبلكم من ذوى الباس والخطر

سائلوا عنهم المدائن واستبحثوا الخير سبقونا إلى الرحيل وانا لبالاثر

من مضى عبرة لنا وغدا نحن معتبر إن للموت اخذه تسبق بالبحر

فكانى بكم غدا في ثياب من المدر قد نقلتم من القصور إلى ظلمة الحفر

حيث لا تضرب القباب عليكم ولا الحجر حيث لا تطربون منه لله ولا سميرت
رحم الله مسلما ذكر الموت فازدجر رحم الله مؤمنا خاف فاستشعر الجذرا
. ومن جيد شعر الرضى ابي الحسن رحمه الله في ذكر الدنيا وتقلبها باهلها :
وهل نحن الا مرامي السهام يحقزها نابل دائب
نسر إذا جازنا طائش ونجزع إن مسنا صائب
ففى يومنا قدر لا بد وعند غد قدر واثب
طرائد تطردها النائبات ولا بد أن يدرك الطالب
ارى المرء يفعل فعل وهو غدا حما لازب
عوارى من سلب الهالكين يمد يدا نحوها السالب
لنا بالردى موعده صادق ونيل المنى موعده كاذب
حبائل للدهر مبثوثة يرد إلى جذبها الهارب
وكيف نجاوز غاياتنا وقد بلغ المورد القارب
نصبح بالكاس مجدحة ذعافا ولا يعلم الشارب
. وقال أيضاً وهى من محاسن شعره :
ما اقل اعتبارنا بالزمان واشد اغترارنا بالآماني
وقفات على غرور واقدام على مزلق من الحدثان
في حروب مع الردى فكانا اليوم في هدنة مع الازمان
وكفانا مذكرا بالمنايا علمنا اننا من الحيوان
كل يوم رزية بفلان ووقوع من الردى بفلان
كم تراني اضل نفسا والهو فكانى وثقت بالوجدان
قل لهذى الهوامل استوقفي السير أو استنشدي عن الاعطان
واستقيمي قد ضمك اللقم النهج واغنى وراءك الحاديان
كم محيدا عن الطريق وقد ضرح خلع البرى وجذب العران

نشني جازعين من عدوة الدهر ونرتاع للمنايا الرواني
 جفلة السرب في الضلام وقد ذعذع روعا من عدوة الذؤبان
 ثم ننسى جرح الحمام وإن كان رغيبا يا قرب ذا النسيان
 كل يوم تزايل من خليط بالردى أو تباعد من دان
 وسواء مضى بنا القدر الجد عجولا أو ماطل العصران.
 وايضا من هذه القصيدة:

قد مررنا على الديار خشوعا وراينا البنا فاين الباني
 وجهلنا الرسوم ثم علمنا فذكرنا الاوطار بالاطوان
 التفانا إلى القرون الخوالي هل ترى اليوم غير قرن فان
 اين رب السدير فالحيرة البيضاء ام اين صاحب الايوان
 والسيوف الحداد من آل بدر والقنا الصم من بني الريان
 طردتهم وقائع الدهر عن لعل طرد السفاف عن نجران
 والمواضى من آل جفنة ارسى طنبا ملكهم على الجولان
 يكرعون العقار في فلق الابريز كرع الظماء في الغدران
 من اباة اللعن الذين يحيون بها في معاهد التيجان
 تراءاهم الوفود بعيدا ضاربين الصدور بالاذقان
 في رياض من السماح حوال وجبال من الحلوم رزان
 وهم الماء لذ للناهل الظمان بردا والنار للحيران
 كل مستيقظ الجنان إذا اظلم ليل النومة المبطان
 يفتدى في السباب غير شجاع ويرى في النزال غير جبان
 ما ثنت عنهم المنون يدا شوكاء اطرافها من المران
 عطف الدهر فرعهم فرآه بعد بعد الذرا قريب المجاني
 وثتهم بعد الجماح المنايا في عنان التسليم والاذعان

عطلت منهم المقارى وبأخت في حياهم مواقد النيران
 ليس يبقى على الزمان جرى في اباء أو عاجز في هوان
 لا شبوب من الصوار ولا اعتق يرعى منابت العليجان
 لا ولا خاضب من الربد يختال بربط إحم غير يمان
 برتمى وجهه الرئال إذا آنس لون الاظلام والادجان
 وعقاب الملاع تلحم فرخيها بازليقة زلول القنان
 نائلا في مطامح الجو هاتيك وذا في مهابط الغيطان
 وهذا شعر فصيح نادر معرق في العربيه ومن شعره الجيد أيضاً في ذكر الدنيا
 ومصائبها :

أو ما رايت وقائع الدهر افلا تسي الظن بالعمر
 بينا الفتى كالطود تكنفه هضباته والعضب ذى الاثر
 يابى الدنية في عشيرته ويجاذب الايدى على الفخر
 وإذا اشار إلى قبائله حشدت عليه باوجه غر
 يترادفون على الرماح فهم سيل يعب وعارض يسرى
 إن نهنوا زادوا مقاربة فكانما يدعون بالزجر
 عدد النجوم إذا دعى بهم يتزاحمون تزاحم الشعر
 عقدوا على الجلى مازرهم سبطى الانامل طيبى الشر
 زل الزمان بوطء اخمصه ومواطئ الاقدام للعثر
 نزع الاباء وكان شملته واقرا اقرارا على صغر
 صدع الردى اعياء تلاحمه من الحم الصدفين بالقطر
 جر الجياد على الوجى ومضى امما يدق السهل بالوعر
 حتى التقى بالشمس مغمدة في قعر منقطع من البحر
 ثم اثنت كف المنون به كالضغث بين الناب والظفر
 لم تشتجر عنه الرماح ولا رد القضاء بماله الدثر

جمع الجنود ورائه فكانما لاقتة وهو مضيع الظهر
 وبنى الحصون تمنعا فكانما امسى بمضيعة وما يدرى
 وبرى المعابل للعدا فكانما لحمامة كان الذي يبرى
 إن التوقى فرط معجزة فدع القضاء يقدر أو يفري
 وحمى المطاعم للبقا وذى الاجال ملء فروعها تجرى
 لو كان حفظ النفس ينفعنا كان الطيب احق بالعمر
 الموت داء لا دواء له سيات ما يوبى وما يمرى.

وهذا من حر الكلام وفصيحة ونادرة ولا عجب فهذه الورقة من تلك الشجرة وهذا
 القبس من تلك النار^(١).

يا فسقة، قد والله علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن

وروى أبو الفرج، قال : كان عبدة بن هلال، إذا تكاف الناس عن الخوارج في
 القتال ناداهم : ليخرج إلى بعضكم، فيخرج إليه فتیان من عسكر المهلب، فيقول لهم :
 أيما أحب إليكم؟ أقرأ عليكم القرآن أم أنشدكم الشعر؟ فيقولون له : أما القرآن فقد
 عرفناه مثل معرفتك، ولكن نشدنا، فيقول : يا فسقة، قد والله علمت أنكم تختارون
 الشعر على القرآن ! ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ويفترقوا^(٢).

بطش الحجاج

لم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف، في عدد قليل عند حربه للخوارج،
 فلم يلبثوا أن ولى الحجاج العراق. فدخل الكوفة قبل البصرة، وذلك في سنة خمس
 وسبعين، فخطبهم الخطبة المشهورة، وتهدهم، ثم نزل فقال لوجوه أهلها : ما كانت
 الولاية تفعل بالعصاة؟ قالوا : كانت تضرب وتحبس، فقال : ولكن ليس لهم عندي إلا
 السيف، إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون، ولو ساغت المعصية
 لاهلها، ما قوتل عدو، ولا جبي فئ، ولا عز دين. ثم جلس لتوجيه الناس، فقال : قد

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٦٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٧١

أجلتكم ثلاثا، وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها إلا قتلته. ثم قال لصاحب حرسه ولصاحب شرطته: إذا مضت ثلاثة أيام، فاشحذا سيوفكم. فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه فقال: أصلح الله الأمير! إن هذا أنفع لكم مني، وهو أشد بنى تميم أبدانا، وأجمعهم سلاحا، وأربطهم جاشا، وأنا شيخ كبير عليل، واستشهد جلساءه، فقال له الحجاج: إن عذرك لو واضح، وإن ضعفك لبين، ولكني أكره أن يجترئ بك الناس على، وبعد، فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان، وأمر به قتل، فاحتمل الناس، وإن أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

أقول لعبد الله يوم لقيته أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا

فوضع للناس أعطياتهم، فجعلوا يأخذون، حتى أتاه شيخ يرعش كبيرا، فقال: أيها الأمير، إنني من الضعف على ما ترى، ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني، فتقبله بدلا مني، فقال الحجاج: نفعل أيها الشيخ، فلما ولي قال له قائل (هو عنبسة بن سعيد الأموي): أتدرى من هذا أيها الأمير؟ قال: لا، قال: هذا عمير بن ضابئ البرجمي الذي يقول أبوه:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا، فوطئ بطنه، فكسر ضلعين من أضلاعه. فقال: ردوه، فلما رد قال له الحجاج: أيها الشيخ، هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار! إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحا للمسلمين، يا حرسى، اضرب عنقه،^(١)

لارى عجاجة لا يطفئها إلا الدم

لما اجتمع المهاجرون على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: أما والله إنني لارى عجاجة لا يطفئها إلا الدم! يا لعبد مناف، فيم أبو بكر من أمركم! أين المستضعفان؟ أين الأذنان! يعنى عليا والعباس، ما بال هذا الأمر في أقل حى من قريش. ثم قال لعلى: أبسط يدك أبايعك، فوالله إن شئت لا ملانها على أبى فضيل يعنى أبا بكر خيلا ورجلا، فامتنع عليه على عليه السلام، فلما يثن منه قام عنه وهو ينشد شعرا

المتلمس : ولا يقيم على ضميم يراد به إلا الاذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له أحد^(١).

إن الناس ليغروننا عن ديننا

دخل ابن شهاب على الوليد - أو سليمان - فقال له : يا ابن شهاب، ما حديث يرويه أهل الشام؟ قال : ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال : إنهم يروون أن الله تعالى إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات، ولم يكتب عليه السيئات، فقال كذبوا يا أمير المؤمنين، أيما أقرب إلى الله، نبي أم خليفة! قال : بل نبي قال : فإنه تعالى يقول لنبيه داود : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد). فقال سليمان إن الناس ليغروننا عن ديننا^(٢).

فبكي أهلك لجزعك

وقال محارب بن زياد للاعشى : وليت القضاء فبكي أهلي، فلما عزلت بكى أهلي، فما أدري مم ذلك؟ قال لانك ولت القضاء وأنت تكرهه وتجزع منه، فبكي أهلك لجزعك، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت فبكي أهلك لجزعك. قال : صدقت^(٣).

قول المعتزلة في البغاة على أمير المؤمنين ترج

قال ابن أبي الحديد : القول في البغاه عليه والخوارج، فعلى ما اذكره لك :
أما اصحاب الجمل فهم عند اصحابنا هالكون كلهم الا عائشة وطلحة والزبير، فانهم تابوا، ولو لا التوبة لحكم لهم بالنار لاصرارهم على البغي.
وأما عسكر الشام بصفين فانهم هالكون كلهم عند اصحابنا لا يحكم لاحد منهم الا بالنار، لاصرارهم على البغي وموتهم عليه، رؤساؤهم والاتباع جميعا.
وأما الخوارج فانهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوي المجمع عليه، ولا يختلف

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

اصحابنا في انهم من اهل النار.

وجملة الامر ان اصحابنا يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه، ولا ريب في ان الباغي على الامام الحق والخارج عليه بشبهه أو بغير شبهه فاسق، وليس هذا مما يخصون به علياً عليه السلام، فلو خرج قوم من المسلمين على غيره من ائمة الاسلام العدول لكان حكمهم حكم من خرج على علي صلوات الله عليه.

وكان شيخنا أبو القاسم البلخي إذا ذكر عنده عبد الله بن الزبير، يقول: لا خير فيه. وقال مرة: لا يعجبني صلاته وصومه، وليسا بنافعين له مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام: (لا يفضك الا منافق).

وقال أبو عبد الله البصري لما سئل عنه: ما صح عندي انه تاب من يوم الجمل، ولكنه استكثر مما كان عليه. ^(١)

عن عبد الرحمن بن عوف هو عاقد الامر لعثمان

عن عبد الرحمن بن عوف وهو عاقد الامر لعثمان، وجالبه إليه، ومصيره في يده، يقول، وقد ذكر له عثمان في مرضه الذي مات فيه: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه، فبلغ ذلك عثمان فبعث إلى بشر كان عبد الرحمن يسقى منها نعمة، فمنع منها، ووصى عبد الرحمن ألا يصلى عليه عثمان، فصلى عليه الزبير - أو سعد بن أبي وقاص - وقد كان حلف لما تتابعت أحداث عثمان ألا يكلمه أبداً.

وروى لما توفى أبو ذر بالربذة تذاكر أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الرحمن فعل عثمان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام له: هذا عملك! فقال عبد الرحمن: فإذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي، إنه خالف ما أعطاني ^(٢).

أنا إلى الامس اغسل سواتك

كان المغيرة يحدث حديث إسلامه، قال: خرجت مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهلية إلى المقوقس ملك مصر، فدخلنا إلى الاسكندرية، وأهدينا للملك هدايا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٨

كانت معنا، فكنت أهون اصحابي عليه، وقبض هدايا القوم، وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصر بي فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له، وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لاهلهم وهم مسرورون، ولم يعرض أحد منهم على مواساة، فلما خرجوا حملوا معهم خمرا، فكانوا يشربون منها، فأشرب معهم، ونفسي تابی أن تدعني معهم، وقلت ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إياي ! فأجمعت على قتلهم، فقلت : إني أجد صداعا، فوضعوا شرابهم ودعوني، فقلت : رأسي يصدع، ولكن اجلسوا فأسقيكم، فلم ينكروا من أمرى شيئا، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح، فلما دبت الكأس فيهم اشتهاوا الشراب، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس، فيشربون ولا يدرون فأهدمتهم الخمر حتى ناموا، ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعا، وأخذت جميع ما كان معهم. وقدمت المدينة فوجدت النبي ﷺ بالمسجد وعنده أبو بكر - وكان بي عارفا - فلما رأني قال : ابن أخي عروة؟ قلت : نعم، قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله : فقال أبو بكر : من مصر أقبلت؟ قلت : نعم؟ قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت : كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب، ونحن على دين الشرك، فقتلتهم، وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليخمسها، ويرى فيها رأيه، فإنها غنيمة من المشركين، فقال رسول الله : أما إسلامك فقد قبلته، ولا تأخذ من أموالهم شيئا ولا نخمسها، لان هذا غدر، والغدر لا خير فيه، فأخذني ما قرب وما بعد، فقلت يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة، فقال ﷺ : الإسلام يجب ما قبله. قال : وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا، واحتوى ما معهم، فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف، فتداعوا للقتال، ثم اصطلحوا على أن حمل عمى عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية. قال : فذلك معنى قول عروة يوم الحديبية : يا غدر، أنا إلى الامس أغسل سواتك، فلا أستطيع ان أغسلها^(١).

أربعة تحتاج إلى أربعة

أردشير بن بابك : أربعة تحتاج إلى أربعة : الحسب إلى الادب، والسرور إلى

الامن، والقراية إلى المودة، والعقل إلى التجربة. الاسكندوت لا تحتقر الراى الجزيل من الحقيقر، فإن الدرر لا يستهان بها لهوان غائصها^(١).

فلتات عمر

واعلم أن هذه اللفظة (يعني بيعة ابي بكر فلتة) من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى عليه من غلظ الطينة وجفاء الطبيعة : ولا حيلة له فيها، لانه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا أنه كان يتعاطى أن يتلطف، وأن يخرج الفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطبع الجاسى، والغريزة الغليظة إلى امثال هذه اللفظات، ولا يقصد بها سوء، ولا يريد بها ذما ولا تخطئة، كما قدمنا من قبل في اللفظة التى قالها في مرض رسول الله ﷺ، وكاللفظات التى قالها عام الحديدية وغير ذلك^(٢).

اطفاً لهيب المنافسة.

قال المأمون : ما حسدت أحدا قط إلا أبا دلف على قول الشاعر فيه

إنما الدنيا أبو دلف بين بادية ومحتضرة

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره.

وروى أبو الفرج الاصبهاني عن عبدوس بن أبى دلف قال : حدثنى أبى، قال : قال :

لى المأمون : يا قاسم، أنت الذى يقول فيك على بن جبلة

إنما الدنيا أبو دلف، فقلت مسرعا وما ينفعني ذلك يا أمير المؤمنين مع قوله في

أبا دلف يا أكذب الناس كلهم سواى فانى في مديحك اكذب

ومع قول بكر بن النطاح في أبا دلف

أن الفقير بعينه لمن يرتجى جدوى يديك ويأمله

أرى لك بابا مغلقا متمنعا إذا فتحوه عنك فالبؤس داخله

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٤١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧

كانك طبل هائل الصوت معجب خلى من الخيرات تعس مداخله
وأعجب شئ فيك تسليم أمره عليك على طنز وإنك قابله
قال : فلما انصرفت قال المأمون لمن حوله : لله دره ! حفظ هجاء نفسه حتى انتفع
به عندي ، وأطفأ لهيب المنافسة^(١) .

عبيدهم خيرا منهم

قال عمرو بن العاص لمعاوية : ما بقى من لذتك ؟ فقال : ما من شئ يصيبه الناس
من اللذة إلا وقد أصبته حتى ملته ، فليس شئ عندي اليوم ألد من شربه ماء بارد في يوم
صائف ، ونظري إلى بنى وبناتي يدرجون حولي ، فما بقى من لذتك أنت ؟ فقال : أرض
اغرسها وأكل ثمرتها ، لم يبق لى لذة غير ذلك . فالتفت معاوية إلى وردان غلام عمرو ،
فقال : فما بقى من لذتك يا وريد ؟ فقال : سرور أدخله قلوب الاخوان ، وصنائع أعتقدها
في أعناق الكرام ، فقال معاوية لعمرو : تبا لمجلسي ومجلسك ! لقد غلبني وغلبك هذا
العبد ، ثم قال : يا وردان ، أنا أحق بهذا منك ، قال : قد أمكتك فافعل^(٢) .

خير بئر في الارض زمزم

قوله : خير بئر في الارض زمزم ، وشرب بئر في الارض برهوت . قال ابن قتيبة : هي
بئر بحضرموت يروى أن فيها ارواح الكفار . قال : وقد ذكر أبو حاتم عن الاصمعي عن
رجل من أهل حضرموت قال : نجد فيها الرائحة المنتنة الفظيعة جدا ، ثم نمكث حيناً
فيأتينا الخبر بان عظيماً من عظماء الكفار قد مات ، فنرى إن تلك الرائحة منه ، قال :
وربما سمع منها مثل أصوات الحاج ، فلا يستطيع أحد أن يمشى بها^(٣) .

لا تنكحن واحده فتحيض إذا حاضت

تكلم اعرابي فقال : لا تنكحن واحده فتحيض إذا حاضت ، وتمرض إذا مرضت ،

ولا تنكحن اثنتين فتكون بين ضررتين

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٩٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٩٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٢٨

ولا تنكحن ثلاثا فتكون بين أثاف،

ولا تنكحن أربعا فيفلسنك ويهرمنك، وينحلثك ويجفرنك

ف قيل له لقد حرمت ما أحل الله،

فقال : سبحان الله ! كوزان، وقرصان، وطمران وعبادة الرحمن^(١).

إن الله أنطقه بما تورع عن ذكره

قوله ﷺ : (أنا قسيم النار) قال ابن قتيبة : أراد إن الناس فريقان : فريق معي فهم على هدى، وفريق على فهم على ضلالة، كالخوارج ولم يجسر ابن قتيبة أن يقول (وكأهل الشام) يتورع يزعم، ثم إن الله أنطقه بما تورع عن ذكره، فقال متمما للكلام بقوله : فأنا قسيم النار، نصف في الجنة معي، ونصف في النار، قال : وقسيم في معنى مقاسم، مثل جليس وأكيل وشريب. قلت قد ذكر أبو عبيد الهروي هذه الكلمة في الجمع بين الغريبين، قال : وقال قوم : إنه لم يرد ما ذكره، وإنما أراد : هو قسيم النار والجنة يوم القيامة حقيقة، يقسم الأمة فيقول هذا للجنة، وهذا للنار^(٢).

ارجعوا إلى الاسلام

عن علي بن محمد النوفلي عن ابيه ومشيخته، ان عليا مر بهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهارا، فقال : أسفر أم مرضى ؟ قالوا : لا واحدة منهما قال : أفمن أهل الكتاب أنتم ؟ قالوا : لا، قال : فما بال الأكل في شهر رمضان نهارا ! قالوا : أنت أنت ! لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل عن فرسه، فالصق خده بالتراب، ثم قال ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الاسلام، فأبوا فدعاهم مرارا، فأقاموا على أمرهم، فنهض عنهم، ثم قال : شدوهم وثاقا، وعلى بالفعلة والنار والحطب، ثم أمر بحفر بثرين، فحفرتا، فجعل أحدهما سرىا والآخر مكشوفة، وألقى الحطب في المكشوفة، وفتح بينهما فتحا، وألقى النار في الحطب، فدخن عليهم، وجعل يهتف بهم، ويناشدهم : ارجعوا إلى الاسلام، فأبوا، فأمر بالحطب والنار، وألقى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٣٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٣٩

عليهم، فاحترقوا، فقال الشاعر :

لترم بي المنية حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما حشنا حطبا بنار فذاك الموت نقدا غير دين
قال : فلم يبرح واقفا عليهم حتى صاروا حمما^(١).

كل الناس افقه من عمر

مر عمر بشاب من الانصار وهو ظمان فاستسقاها فخاض له عسلا فرده ولم يشرب
وقال انى سمعت الله سبحانه يقول (اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فقال
الفتى انها والله ليست لك فاقرا يا امير المؤمنين ما قبلها (ويوم يعرض الذين كفروا على
النار اذ هبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) افنحن منهم فشرب وقال كل الناس افقه من
عمر^(٢).

لا تقل له يا امير المؤمنين ولكن قل له يا ابا الحسن

ارسل طلحة والزبير إلى على عليه السلام قبل خروجهما إلى مكة مع محمد بن طلحة وقالوا
لا تقل له يا امير المؤمنين ولكن قل له يا ابا الحسن " لقد قال فيك رأينا وخاب ظننا
اصلحنا لك الامر ووطننا لك الامرة واجلبنا على عثمان حتى قتل فلما طلبك الناس
لامرهم أسرعنا اليك وبايعناك وقدنا اليك اعناق العرب ووطئ المهاجرون والانصار
اعقابنا في بيعتك حتى إذا ملكت عنانك استبددت برايك عنا ورفضتنا رفض التريكة واذلتنا
اذالة الاماء وملكك امرك الاشر وحكيم بن جبله وغيرهما من الاعراب ونزاع الامصار
فكنا فيما رجوناك منك واملناك من ناحيتك كما قال الاول فكنت كمهريق الذى في سقائه
لرقرق آل فوق رابية صلد فلما جاء محمد بن طلحة ابلغه ذلك فقال اذهب اليهما فقل لهما
فما الذى يرضيكما فذهب وجاءه فقال انهما يقولان ول احدنا البصرة والاخر الكوفة فقال
لاها الله اذن يحلم الاديم ويستشرى الفساد وتنتقض على البلاد من اقطارها والله انى لا
آمنهما وهما عندي بالمدينة فكيف آمنهما وقد وليتهما العراقيين اذهب اليهما فقل ايها

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٥

الشيخان احذرا من سطوة الله ونقمته ولا تبغيا للمسلمين غائلة وكيدا وقد سمعنا قول الله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) فقام محمد بن طلحة فاتاهما ولم يعد إليه وتاخرا عنه أياما ثم جاءه فاستأذناه في الخروج إلى مكة للعمرة فاذن لهما بعد أن احلفهما الا ينقضا بيعته ولا يغدرا به ولا يشقا عصا المسلمين ولا يوقعا الفرقة بينهم وأن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة فحلفا على ذلك كله ثم خرجا ففعلا ما فعلا^(١).

من نحر في بدر

أول من نحر لهم أبو جهل بمر الظهران عشرا، ثم أمية بن خلف بعسفان تسعا، ثم سهيل بن عمرو بقديد عشرا، ثم مالوا إلى مياه من نحو البحر ضلوا الطريق، فأقاموا بها يوما، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعا، ثم اصبحوا بالابواء فنحر لهم قيس الجمحي تسعا، ثم نحر عتبة عشرا، ونحر لهم الحارث بن عمرو تسعا، ثم نحر لهم أبو البخترى على ماء بدر عشرا، ونحر لهم مقيس بن ضبابة على ماء بدر تسعا، ثم شغلتهم الحرب^(٢).

مما قيل من الشعر في التحريض على قتل بني أمية

دخل سديف مولى آل أبي لهب على أبي العباس بالحيرة، وأبو العباس جالس على سريرته، وبنو هاشم دونه على الكراسي وبنو أمية حوله على وسائد قد ثنيت لهم، وكانوا في أيام دولتهم يجلسونهم والخليفة منهم على الاسرة، ويجلس بنو هاشم على الكراسي، فدخل الحاجب، فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجل حجازي أسود راكب على نجيب مثلثم، يستأذن ولا يخبر باسمه، ويحلف لا يحسر اللثام عن وجهه حتى يرى أمير المؤمنين! فقال: هذا سديف مولانا، أدخله، فدخل فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله حسر اللثام عن وجهه، ثم أنشد:

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس

بالصدور المقدمين قديما والبحور القماقم الرؤاس

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٠٦

يا إمام المطهرين من الدم ويا رأس منتهى كل رأس
 أنت مهدي هاشم وفتاها كم أناس رجوك بعد أناس
 لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس
 أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والانعاس
 خوفها أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
 أقصهم أيها الخليفة واحسم عنك بالسيف شافة الأرجاس
 واذكرن مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
 والقتيل الذي بحران أمسى ثاويا بين غربة وتناس
 فلقد ساءني وساء سوائى قربهم من نمارق وكراسي
 نعم كلب الهراش مولاك شبل لو نجا من حبائل الافلاس

قال : فتغير لون أبي العباس ، وأخذه زمع ورعدة ، فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد
 الملك إلى آخر فيهم كان إلى جانبه ، فقال : قتلنا والله العبد ! فأقبل أبو العباس عليهم ،
 فقال : يا بني الزواني ، لا أرى قتلاكم من أهلى قد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا ،
 خذوهم ، فأخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات ، فأهمدوا إلا ما كان من عبد العزيز ابن
 عمر بن عبد العزيز ، فإنه استجار بدادود بن على ، وقال إن أبى لم يكن كأبائهم ، وقد
 علمت صنيعته إليكم فأجاره واسترهبه من السفاح وقال له قد : علمت صنيع أبيه إلينا ،
 فوهبه له ، وقال : لا يرينى وجهه ، وليكن بحيث نأمنه ، وكتب إلى عماله في الآفاق بقتل
 بنى أمية .

فأما أبو العباس المبرد ، فإنه روى في الكامل هذا الشعر على غير هذا الوجه ، ولم
 ينسبه إلى سديف ، بل إلى شبل مولى بنى هاشم . قال أبو العباس : دخل شبل بن عبد الله
 مولى بنى هاشم على عبد الله بن على ، وقد أجلس ثمانين من بنى أمية على سمط
 الطعام ، فأنشده :

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بنى العباس
 طلبوا وتر هاشم وشفوها بعد ميل من الزمان وياس
 لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وأواسي

ذليها أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاز سوائى قريها من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاعتاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحي ثاويا بين غربة وتناسي
نعم شبل الهراش مولاك شبل لو نجا من حبال الافلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد، وبسطت البسط عليهم، وجلس عليها، ودعا
بالطعام، وإنه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا. وقال لشبل : لولا أنك خلطت شعرك
بالمسألة لا غنمتك أموالهم، ولعقدت لك على جميع موالى بنى هاشم.

قال أبو العباس : الرقلة النخلة الطويلة، والواسى : جمع آسية، وهى أصل البناء
كالاساس. وقتيل المهراس : حمزة عليه السلام، والمهراس : ماء بأحد. وقتيل حران : إبراهيم
الامام.

قال أبو العباس : فأما سديف، فإنه لم يقم هذا المقام، وإنما قام مقاما آخر، دخل
على أبى العباس السفاح، وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك، وقد أعطاه يده فقبلها
وأدناه، فأقبل على السفاح، وقال له :

لا يغرنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

. فقال سليمان : ما لى ولك أيها الشيخ قتلتنى قتلك الله ! فقام أبو العباس، فدخل
وإذا المنديل قد ألقى في عنق سليمان، ثم جر فقتل. فأما سليمان بن يزيد بن عبد الملك
بن مروان فقتل باللقاء، وحمل رأسه إلى عبد الله ابن على ^(١).

أخبار متفرقة في انتقال الملك من بنى أمية إلى بنى العباس

* أرسل عبد الله أخاه صالح بن على ومعه عامر بن إسماعيل أحد الشيعة الخراسانية
إلى مصر، فلحقوا مروان ببوصير، فقتلوه وقتلوا كل من كان معه من أهله وبطانته،

وهجموا على الكنيسة التي فيها بناته ونساؤه، فوجدوا خادما بيده سيف مشهور يسابقهم على الدخول، فأخذوه وسألوه عن أمره، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني إن هو قتل أن أقتل بناته ونساءه كلهن، قبل أن تصلوا إليهن، فأرادوا قتله، فقال: لا تقتلوني، فإنكم إن قتلتموني فقدتم ميراث رسول الله ﷺ، فقالوا: وما هو؟ فأخرجهم من القرية إلى كثبان من الرمل، فقال: اكشفوا هاهنا، فإذا البردة والقضيب وقعب مخضب قد دفنها مروان ضنا بها أن تصير إلى بني هاشم. فوجه به عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علي، فوجه به صالح إلى أخيه عبد الله، فوجه به عبد الله إلى أبي العباس، وتداوله خلفاء بني العباس من بعد.

* وأدخل بنات مروان وحرمه ونساؤه على صالح بن علي، فتكلمت ابنة مروان الكبرى، فقالت: يا عم أمير المؤمنين، حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه، وأسعدك في أحوالك كلها، وعمك بخواص نعمه، وشملك بالعافية في الدنيا والآخرة! نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك، فليسعنا من عدلكم ما وسعنا من جوركم. قال: إذا لا نستبقي منكم أحدا، لانكم قد قتلتم إبراهيم الامام، وزيد بن علي، ويحيى بن زيد، ومسلم بن عقيل، وقتلتم خير أهل الارض حسينا وإخوته وبنيه وأهل بيته، وسقتم نساءه سبايا - كما يساق ذراري الروم - على الاقتاب إلى الشام. فقالت: يا عم أمير المؤمنين، فليسعنا عفوكم إذا. قال: أما هذا فنعم، وأن أحببت زوجتك من ابني الفضل بن صالح، قالت: يا عم أمير المؤمنين، وأي ساعة عرس ترى! بل تلحقنا بحران، فحملهن إلى حران

* كان عبد الرحمن بن حبيب بن مسلمة الفهري، عامل إفريقية لمروان، فلما حدثت الحادثة، هرب عبد الله والعاص ابنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك إليه، فاعتصما به فخاف على نفسه منهما، ورأى ميل الناس إليهما فقتلهما، وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك يريد أن يقصده ويلتجئ إليه، فلما علم ما جرى لابني الوليد بن يزيد، خاف منه، فقطع المجاز بين: إفريقية والاندلس، وركب البحر حتى حصل بالاندلس، فالامراء الذين ولوها كانوا من ولده. ثم زال أمرهم ودولتهم على أيدي بني هاشم أيضاً، وهم بنو حمود الحسينيون، من ولد إدريس بن الحسن عليه السلام.

* لما قتل عامر بن إسماعيل مروان ببوصير، واحتوى على عسكره دخل إلى الكنيسة

التي كان فيها، فقعده على فراشه، وأكل من طعامه، فقالت له ابنة مروان الكبرى: وتعرف بأم مروان: يا عامر، إن دهرنا أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليها، تأكل من طعامه ليلة قتله، محتويا على أمره، حاكما في ملكه وحرمة وأهله، لقادر أن يغير ذلك، فأنهى هذا الكلام إلى أبي العباس السفاح، فاستهجن ما فعله عامر بن إسماعيل وكتب إليه: أما كان لك في أدب الله ما يزعرك أن تقعد في مثل تلك الساعة على مهاد مروان، وتأكل من طعامه! أما والله لو لا أن أمير المؤمنين أنزل ما فعلته على غير اعتقاد منك لذلك، ولا نهم على طعام، لمسك من غضبه وأليم أدبه، ما يكون لك زاجرا، ولغيرك واعظا. فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين: فتقرب إلى الله بصدقة تطفى بها غضبه، وصلاة تظهر فيها الخشوع والاستكانة له، وصم ثلاثة أيام، وتب إلى الله من جميع ما يسخطه ويغضبه، ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك. ولما أتى أبو العباس برأس مروان، سجد فأطال، ثم رفع رأسه، وقال: الحمد لله الذي لم يبق ثأرنا قبلك وقبل رهطك، الحمد لله الذي أظفرنا بك، وأظهرنا عليك. ما أبالي متى طرقتي الموت، وقد قتلت بالحسين عليه السلام ألفا من بني أمية، وأحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن علي كما أحرقوا شلوه! وتمثل:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم جمعا ترويني

ثم حول وجهه إلى القبلة فسجد ثانية ثم جلس، فتمثل: أبي قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواطع في أيماننا تقطر الدما إذا خالطت هام الرجال تركتها كبيض نعام في الثرى قد تحطما ثم قال: أما مروان فقتلناه بأخي إبراهيم، وقتلنا سائر بني أمية بحسين، ومن قتل معه وبعده من بني عمنا أبي طالب.

* عن الهيثم بن عدى قال: حدثني عمرو بن هاني، الطائي قال: خرجت مع عبد الله بن علي لنبش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح، فانتبهينا إلى قبر هشام بن عبد الملك، فاستخرجناه صحيحا، ما فقدنا، منه إلا عزين أنفه، فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطا ثم أحرقه، واستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق فلم نجد منه شيئا إلا صلبه ورأسه وأضلاعه فأحرقناه، وفعلنا مثل ذلك بغيرهما من بني أمية، وكانت قبورهم بقنسرين، ثم انتبهينا إلى دمشق، فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك، فما وجدنا في قبره قليلا ولا كثيرا، واحترنا عن عبد الملك فما وجدنا إلا شئون رأسه، ثم احترنا عن

يزيد بن معاوية فلم نجد منه إلا عظما واحدا، ووجدنا من موضع نحره إلى قدمه خطا واحدا أسود، كأنما خط بالرماد في طول لحدته، وتتبعنا قبورهم في جميع البلدان، فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم. قلت : قرأت هذا الخبر على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي بن عبد الله في سنة خمس وستمائة، وقلت له : أما إحراق هشام بإحراق زيد فمفهوم، فما معنى جلده ثمانين سوطا؟ فقال رحمه الله تعالى : أظن عبد الله بن علي ذهب في ذلك إلى حد القذف لانه يقال : إنه قال لزيد : يا ابن الزانية، لما سب أخاه محمدا الباقر عليه السلام، فسبه زيد، وقال له : سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الباقر وتسميه أنت البقرة ! لشد ما اختلفتما ! ولتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار. وهذا استنباط لطيف.

* قال مروان لكاتبه عبد الحميد بن يحيى حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بي ! فإن إعجابهم ببلاغتك وحاجتهم إلى كتابتك، تدعوهم إلى اصطناعك وتقريبك، فإن استطعت أن تسعى لتنفعي في حياتي، وإلا فلن تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي. فقال عبد الحميد : إن الذي أشرت به هو أنفع الأمرين لي، وأقبحهما بي، وما عندي إلا الصبر معك حتى يفتح الله لك أو أقتل بين يديك، ثم أنشد : أسر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره ! فثبت على حاله، ولم يصر إلى بني هاشم حتى قتل مروان، ثم قتل هو بعده صبورا.

* وقال إسماعيل بن عبد الله القسري : دعاني مروان، وقد انتهت به الهزيمة إلى حران، فقال : يا أبا هاشم - وما كان يكنيني قبلها : قد ترى ما جاء من الأمر، وأنت الموثوق به، ولا عطر بعد عروس، ما الرأي عندك؟ فقلت : يا أمير المؤمنين، علام أجمعت؟ قال : أرتحل بموالي ومن تبغني حتى آتى الدرب، وأميل إلى بعض مدن الروم فأنزلها، وأكاتب ملك الروم وأستوثق منه، فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم، وليس هذا عارا على الملوك، فلا يزال يأتيني من الاصحاب الخائف والهارب والطامع فيكثر من معي، ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمري، وينصرني على عدوى، فلما رأيت ما أجمع عليه من ذلك، وكان الرأي، ورأيت آثاره في قومه من نزار وعصبيته على قومي من قحطان، غششته فقلت : أعيدك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي أن تحكم أهل الشرك في بناتك وحرملك ! وهم الروم لا وفاء لهم، ولا يدرى ما تأتي به الايام،

وإن حدث عليك حدث من أرض النصرانية - ولا يحدثن الله عليك إلا خيرا - ضاع من بعدك، ولكن اقطع الفرات، واستنفر الشام جندا جندا، فإنك في كنف وعدة، ولك في كل جند صنائع وأصحاب، إلى أن تأتي مصر، فهي أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا، والشام أمامك، وإفريقية خلفك، فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام، وإن كانت الأخرى مضيت إلى إفريقية، فقال: صدقت وأستخير الله. فقطع الفرات والله ما قطعه معه من قيس إلا رجلا: ابن حديد السلمي - وكان أخاه من الرضاعة - والكوثر بن الأسود الغنوي، وغدر به سائر النزارية مع تعصبه كان لهم، فلما اجتاز ببلاد قنسرين وخنصرة، أوقعوا بساقته، ووثب به أهل حمص، وصار إلى دمشق، فوثب به الحارث بن عبد الرحمن الحرشي ثم العقيلي، ثم أتى الأردن فوثب به هاشم بن عمرو التميمي، ثم مر بفلسطين، فوثب به أهلها، وعلم مروان أن إسماعيل بن عبد الله قد غشه في الرأي، ولم يمحضه النصيحة، وإنه فرط في مشورته إياه إذ شاور رجلا من قحطان موتورا شائنا له، وإن الرأي كان الأول الذي هم به من قطع الدرب والنزول ببعض مدن الروم ومكاتبته ملكها. والله أمر هو بالغه!

* لما نزل مروان بالزباب، جرد من رجاله ممن اختاره من أهل الشام والجزيرة وغيرها مائة ألف فارس على مائة ألف قارح، ثم نظر إليهم، وقال: إنها لعدة ولا تنفع العدة، إذا انقضت المدة^(١).

فرار حويطب بن عبد العزى يوم الفتح

هرب حويطب بن عبد العزى فدخل حائطا بمكة، وجاء أبو ذر لحاجته، فدخل الحائط فرآه، فهرب حويطب، فقال أبو ذر: تعال فأنت آمن، فرجع إليه فقال: أنت آمن، فاذهب حيث شئت، وإن شئت أدخلتك على رسول الله (صلى الله عليه واله)، وإن شئت فإلى منزلك. قال: وهل من سبيل إلى منزلي ألقى فأقتل قبل أن أصل إلى منزلي، أو يدخل على منزلي فأقتل قال: فأنا أبلغ معك منزلك، فبلغ معه منزله، ثم جعل ينادي على يابه: إن حويطبا آمن فلا يهيج. ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: أو ليس قد آمننا الناس كلهم إلا من أمرت بقتله^(٢).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٨

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٣٠

فيزهد على في الامر ويتركه

عن ابن عباس، قال : لما دخل على ﷺ المسجد، وجاء الناس ليبايعوه خفت أن يتكلم بعض أهل الشنان لعلى ﷺ ممن قتل أباه أو أخاه، أو ذا قرابته في حياة رسول الله ﷺ، فيزهد على في الامر ويتركه، فكنت أرصد ذلك وأتخوفه، فلم يتكلم أحد حتى بايعه الناس كلهم راضين مسلمين غير مكرهين^(١).

ما أسلموا ولكنهم استسلموا

قال نصر حدثني يونس بن الارقم، عن حدثه من شيوخ بكر بن وائل، قال : كنا مع على ﷺ بصفين، فرجع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح، فقال ناس : هذا لواء عقده له رسول الله ﷺ، فلم يزالوا يتحدثون حتى وصل ذلك إلى على ﷺ، فقال أتدرون ما أمر هذا اللواء ! إن عدو الله عمرا أخرج له رسول الله ﷺ هذه الشقة، فقال : من يأخذها بما فيها ؟ فقال عمرو : وما فيها يا رسول الله ؟ قال : فيها ألا تقاتل بها مسلما، ولا تقربها من كافر، فأخذها، فقد والله قربها من المشركين، وقاتل بها اليوم المسلمين، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكنهم استسلموا وأسروا الكفر، فلما وجدوا عليه أعوانا أظهروه^(٢).

هدم على دارنا مرتين

كان الأشعث بن قيس الكندي وجريز بن عبد الله البجلي يبغضانه، وهدم على ﷺ دار جريز بن عبد الله. قال إسماعيل بن جريز : هدم على دارنا مرتين^(٣).

ابن هبيرة المخزومي لم يستطع الكلام

واعلم إن هذا الكلام قاله امير المؤمنين ﷺ في واقعة اقتضت أن يقوله، وذلك انه امر ابن اخته جعده بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوما، فصعد المنبر، فحصر ولم يستطع الكلام، فقام امير المؤمنين ﷺ فتسنى ذروه المنبر، وخطب خطبة طويلة، ذكر الرضى رحمه الله منها هذه الكلمات^(٤).

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٤

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٣

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٠

إن من البيان لسحرا

وكان عمرو بن الاثم المنقرى والزبرقان بن بدر عند رسول الله ﷺ، فسأل ﷺ عمرا عن الزبرقان فقال : يا رسول الله ؛ انه لمانع لحوزته، مطاع في ادانيه، فقال الزبرقان : حسدني يا رسول الله فقال عمرو : يا رسول الله، انه لزمير المروعة، ضيق العطن، لثيم الخال. فنظر رسول الله ﷺ إلى وجه عمرو، فقال : يا رسول الله ؛ رضيت فقلت احسن ما علمت، وغضبت فقلت اقبح ما علمت، وما كذبت في الاولى، ولقد صدقت في الاخرى فقال ﷺ إن من البيان لسحرا^(١).

كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم

لما سار مروان إلى الزاب، حفر خندقا، فسار إليه أبو عون عبد الله بن يزيد الازدي، وكان قحطبة بن شبيب قد وجهه وأمهه أبو سلمة الخلال بأمداد كثيرة، فكان بإزاء مروان. ثم إن أبا العباس السفاح قال لاهله وهو بالكوفة حينئذ : من يسير إلى مروان من أهل بيتي وله ولاية العهد إن قتله ؟ فقال عبد الله عمه : أنا، قال : سر على بركة الله، فسار فقدم على أبي عون، فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه له بما فيه، ثم سأل عبد الله عن مخاضة في الزاب، فدل عليها، فأمر قائدا من قواده فعبرها في خمسة آلاف، فأنتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم، حتى أمسوا وتحاجزوا، ورجع القائد بأصحابه، فعبير المخاضة إلى عسكر عبد الله بن علي، وأصبح مروان، فعقد جسرا، وعبر بالجيش كله إلى عبد الله بن علي، فكان ابنه عبد الله بن مروان في مقدمته، وعلى اليمين الوليد ابن معاوية بن عبد الملك بن مروان، وعلى اليسرة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان، وعبي عبد الله بن علي جيشه، وتراءى الجمعان، فقال مروان لعبد العزيز ابن عمر : انظر، فإن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم، وإن قاتلونا قبل الزوال، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! ثم أرسل إلى عبد الله ابن علي يسأله الكف عن القتال نهار ذلك اليوم، فقال عبد الله : كذب ابن زربي إنما يريد المدافعة إلى الزوال، لا والله لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله. ثم حرك أصحابه للقتال، فنادى مروان في أهل الشام : لا تبدءوهم بالحرب، فلم يسمع الوليد ابن

معاوية منه، وحمل على ميسرة عبد الله بن علي، فغضب مروان وشتمه، فلم يسمع له واضطربت الحرب، فأمر عبد الله الرماة أن ينزلوا، ونادى : الارض الارض ! فنزل الناس، ورمت الرماة، وأشرعت الرماح وجثوا على الركب، فاشتد القتال، فقال مروان لقضاة : انزلوا، قالوا : حتى تنزل كندة، فقال لكندة انزلوا، فقالوا : حتى تنزل السكاسك، فقال لبنى سليم : انزلوا، فقالوا : حتى تنزل عامر، فقال لتميم : احملاوا، فقالوا : حتى تحمل بنو أسد، فقال لهوازن احملاوا، قالوا حتى تحمل غطفان، فقال لصاحب شرطته : احممل ويلك ! قال : ما كنت لاجعل نفسي غرضا، قال : أما والله لاسوانك، قال : وددت أن أمير المؤمنين يقدر على ذلك ! فانهزم عسكر مروان وانهزم مروان معهم، وقطع الجسر، فكان من هلك غرقا أكثر ممن هلك تحت السيف، واحتوى عبد الله بن علي على عسكر مروان بما فيه، وكتب إلى أبي العباس يخبره الواقعة.

ندم قوم كثير من الانصار على بيعته ابي بكر

لما بويع أبو بكر واستقر أمره، ندم قوم كثير من الانصار على بيعته، ولام بعضهم بعضا، وذكروا على ابن أبي طالب، وهتفوا باسمه، وإنه في داره لم يخرج إليهم، وجزع لذلك المهاجرون، وكثر في ذلك الكلام، وكان أشد قريش على الانصار نفر فيهم، وهم سهيل بن عمرو، أحد بنى عامر بن لؤى، والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان، وهؤلاء أشرف قريش الذين حاربوا النبي ﷺ، ثم دخلوا في الاسلام، وكلهم موتور قد وتره الانصار أما سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدخشم يوم بدر، وأما الحارث بن هشام، فضربه عروة بن عمرو، فجرحه يوم بدر، وهو فار عن أخيه. وأما عكرمة بن أبي جهل، فقتل أباه ابنا عفراء، وسلبه درعه يوم بدر زياد بن ليبيد وفي أنفسهم ذلك. فلما اعتزلت الانصار تجمع هؤلاء

فقام سهيل بن عمرو فقال : يا معشر قريش، إن هؤلاء القوم قد سماهم الله الانصار، وأثنى عليهم في القرآن، فلهم بذلك حظ عظيم، وشأن غالب، وقد دعوا إلى أنفسهم وإلى علي بن أبي طالب، وعلى في بيته لو شاء لردهم، فادعوهم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته، فإن أجابوكم وإلا قاتلوهم، فوالله إنى لارجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم. ثم قام الحارث بن هشام، فقال : إن يكن الانصار تبوات الدار والايمان من قبل، ونقلوا رسول الله ﷺ إلى دورهم من دورنا، فاووا ونصروا، ثم ما رضوا حتى

قاسمونا الاموال، وكفونا العمل، فإنهم قد لهجوا بأمر إن ثبتوا عليه، فإنهم قد أخرجوا مما سموا به، وليس بيننا وبينهم معاتبة إلا السيف، وإن نزعوا عنه فقد فعلوا الاولى بهم والمظنون معهم. ثم قام عكرمة بن أبي جهل، فقال: والله لولا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الائمة من قريش) ما أنكرنا إمرة الانصار، ولكانوا لها أهلا ولكنه قول لاشك فيه ولاخيار، وقد عجلت الانصار علينا، والله ما قبضنا عليهم الامر ولا أخرجناهم من الشورى، وإن الذي هم فيه من فلتات الامور ونزغات الشيطان، وما لا يبلغه المنى، ولا يحمله الامل. أعذروا إلى القوم، فإن أبوا فقاتلوهم، فوالله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله هذا الامر فيه. قال: وحضر أبو سفيان بن حرب، فقال: يا معشر قريش، إنه ليس للانصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقرؤا بفضلنا عليهم، فإن تفضلوا فحسبنا حيث انتهى بها والا فحسبهم حيث انتهى بهم، وإيم الله لئن بطروا المعيشة، وكفروا النعمة، لضربنهم على الاسلام كما ضربوا عليه فأما على بن أبي طالب فأهل والله أن يسود على قريش وتطيعه الانصار. فلما بلغ الانصار قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال: يا معشر الانصار، إنما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش، فأما إذا كان من أهل الدنيا لاسيما من أقوام كلهم موتور، فلا يكبرن عليكم، إنما الرأي

والقول مع الاخيار المهاجرين، فإن تكلمت رجال قريش، الذين هم أهل الاخرة مثل كلام هؤلاء، فعند ذلك قولوا ما أحببتهم وإلا فامسكوا، وقال حسان بن ثابت يذكر ذلك:

تنادى سهيل وابن حرب وحارث	وعكرمة الشانى لنا ابن أبى جهل
قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه	فأصبح بالبطحا أذل من النعل فأما سهيل
فاحتواه ابن دخشم	أسيرا ذليلا لا يمر ولا يحلى
وصخر بن حرب قد قتلنا رجاله	غداة لوا بدر فمرجله يغلى
وراكضنا تحت العجاجة حارث	على ظهر جرداء كباسقة النخل
يقبلها طورا وطورا يحشها	ويعدلها بالنفس والمال والاهل
أولئك رهط من قريش تبايعوا	على خطة ليست من الخطط الفضل
وأعجب منهم قابلو ذاك منهم	كأنا اشتملنا من قريش على ذحل

وكلهم ثان عن الحق عطفه
 نصرنا وآوينا النبي ولم نخف
 بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا
 ومن بعد ذلك المال أنصاف دورنا
 ونحمى ذمار الحى فهر بن مالك
 فكان جزاء الفضل منا عليهم
 فبلغ شعر حسان قريشا، فغضبوا وأمروا
 معشر الانصار خافوا ريبكم
 الفتن إننى أرهب حربا لاقحا
 جرهما سعد وسعد فتنة
 خلف برهوت خفيا شخصه
 ليس ما قدر سعد كائنا
 ليس بالقاطع منا شعرة
 ليس بالمدرک منها أبدا غير أضغاث أمانى الوسن^(١).

يقول اقتلوا الانصار يا بش من فعل
 صروف الليالى والبلاء على رجل
 كقسمة أيسار الجزور من الفضل
 وكنا أناسا لا نعير بالبخل
 ونوقد نار الحرب بالحطب الجزل
 جهالتهم حمقا وما ذاك بالعدل
 ابن أبى عزة شاعرهم أن يجيبه، فقال :
 واستجبروا الله من شر
 يشرق المرضع فيها باللبن
 ليت سعد بن عباد لم يكن
 بين بصرى ذى رعين وجدن
 ما جرى البحر وما دام حضن
 كيف يرجى خير أمر لم يحن

بأيهما ابدا بالدور ام بالنخل

قال ابن ابى الزناد : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز، فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعها، فكتب إليه : انه يخيل إلى انى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت الى : أضانا ام معزا ؟ فإذا كتبت اليك باحدهما، كتبت الى : أذكرا ام انثى وإذا كتبت اليك باحدهما، كتبت الى : صغيرا ام كبيرا فإذا كتبت اليك في مظلمة، فلا تراجعني والسلام

واخذ المنصور هذا فكتب إلى سلم بن قتيبة عامله بالبصرة يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وعقر نخلهم، فكتب إليه : بأيهما ابدا بالدور ام بالنخل يا امير المؤمنين فكتب إليه : لو قلت لك بالنخل لكتبت إلى بماذا ابدا بالشهريز ام بالبرنى وعزله، وولى محمد بن سليمان^(٢).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٦

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢٣

المتنبي

بين **اختلاف آحاد الناس**، فقال منهم من هو تام الرواء، لكنه ناقص العقل والرواء بالهمز والمد: المنظر الجميل، ومن امثال العرب: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل. وقال الشاعر:

عقله عقل طائر وهو في خلقة الجمل:

وقال أبو الطيب:

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق.

وقال الآخر:

وما ينفع الفتيان حسن وجوههم إذا كانت الاخلاق غير حسان

فلا يغرنك المرء راق رواؤه فما كل مصقول الغرار يماني

ومن شعر الحماسة:

لقومي ارعى للعلا من عصابه من الناس يا حار بن عمرو تسودها

وانتم سماء يعجب الناس رزها بأبدة تنحى شديد وثييدها

تقطع اطناب البيوت بحاصب واكذب شئ برقها ورعودها

فويل امها خيلا بهاء وشارة إذا لاقت الاعداء لو لا صدودها

ومنه ايضا:

وكاثر بسعد إن سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

يروعك من سعد بن زيد جسومها وتزهدها فيها حين تقتلها خيرا^(١).

فأعلمنا كم فيه من اسطوانة؟

أتى ابن شبرمة بقوم يشهدون على قراح نخل فشهدوا - وكانوا عدولا - فامتحنهم فقال: كم في القراح من نخله؟ قالوا: لا نعلم، فرد شهادتهم، فقال له أحدهم: أنت أيها القاضي تقضى في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلمنا كم فيه من أسطوانة؟ فسكت وأجازهم^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

حجة على المنجمين

قال بعض المتكلمين لبعض المنجمين : أخبرني ، لو فرضنا جادة مسلوكة ، وطريقا يمشى فيها الناس نهارا وليلا ، وفي تلك المحجة آبار متقاربة ، وبين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل وتوقف ، حتى يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار ، هل يجوز أن تكون سلامة من يمشى بهذا الطريق من العميان كسلامة من يمشى فيه من البصراء ، والمفروض أن الطريق لا يخلو طرفة عين من مشاة فيها عميان ومبصرون ؟ وهل يجوز أن يكون عطب البصراء مقاربا لعطب العميان ؟ فقال المنجم : هذا مما لا يجوز ، بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان . فقال المتكلم : فقد بطل قولكم ، لأن مسألتنا نظير هذه الصورة ، فإن مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم ، ويميزون مساعدتها من مناحسها ، ويتوقون بهذه المعرفة مضار الوقت والحركات ويتخطونها ويعتمدون منافعها ويقصدونها ، ومثال العميان كل من لا يحسن علم النجوم ، ولا يقبون به من أهل العلم والعامه ، وهم أضعاف أضعاف عدد المنجمين . ومثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي مضى ومر على الخلق أجمعين ، ومثال آباره مصائبه ومحنه . وقد كان يجب لو صح علم أحكام النجوم أن سلامة المنجمين أكثر ، ومصائبهم أقل ، لأنهم يتوقون المحن ويتخطونها لعلمهم بها قبل كونها ، وأن تكون محن المعرضين عن علم أحكام النجوم على كثرتهم أوفر وأظهر ، حتى تكون سلامة كل واحد منهم هي الطريقة الغربية ، والمعلوم خلاف ذلك ، فإن السلامة والمحن في الجميع متقاربة متناسبة غير متفاوتة^(١) .

عائشة وعثمان

كل من صنف في السير والخبار قال : إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان ، حتى إنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله ﷺ ، فنصبته في منزلها ، وكانت تقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنته . قالوا : أول من سمي عثمان نعثلا عائشة ، والنعثل : الكثير شعر اللحية والجسد ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلا ، قتل الله نعثلا ! وروى المدائني في كتاب الجمل ، قال : لما قتل عثمان ، كانت

عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي بشراف، فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الامر، وقالت: بعدا لنعثل وسحقا! إيه ذا الاصبع! إيه أبا شبل! إيه يابن عم! لكانى أنظر إلى إصبعه وهو يبائع له: حثوا الابل ودعدعوها. قال: وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال، وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره، ثم فسد أمره، فدفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام

* إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، أقبلت مسرعة، وهي تقول: إيه ذا الاصبع! لله أبوك، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفوا. فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي، فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان، قالت: ثم ماذا؟ قال: ثم حارت بهم الامور إلى خير محار، بايعوا عليا، فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الارض إن تم هذا، ويحك! انظر ما تقول! قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين، فولولت، فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين! والله ما أعرف بين لابتيها أحدا أولى بها منه ولا أحق، ولا أرى له نظيرا في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردت عليه جوابا. قال.

* وقد روى أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، قالت: أبعده الله! ذلك بما قدمت يداه، وما الله بظلام للعبيد.

* وقد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان وكان مع عائشة لما بلغها قتله، فتحمل إلى المدينة، قال: فسمعها تقول في بعض الطريق: إيه ذا الاصبع! وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعده الله! حتى أتاها خبر بيعة علي، فقالت: لوددت أن هذه وقعت على هذه، ثم أمرت برد ركائبها إلى مكة فردت معها، ورأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها، كأنها تخاطب أحدا: قتلوا ابن عفان مظلوما! فقلت لها: يا أم المؤمنين، ألم أسمعك آنفا تقولين: أبعده الله وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم فيه قولا! فقالت: لقد كان ذلك، ولكني نظرت في أمره، فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائما محرما في شهر حرام فقتلوه

* وروى من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله، أبعده الله! قتله ذنبه، وأقاده الله بعمله! يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان، كما سام أحمر ثمود قومه، إن أحق الناس بهذا الامر ذو الاصبع، فلما جاءت الاخبار ببيعة علي عليه السلام، قالت: تعسوا تعسوا

! لا يردون الامر في تيم أبدا^(١).

أنا منك أشد ضحكا

قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له لعمر بن العاص : يا أبا عبد الله ، لا أراك إلا ويغلبني الضحك. قال : بماذا ؟ قال : اذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين ، فأزريت نفسك فرقا من شبا سنانه ، وكشفت سواتك له : فقال عمرو : أنا منك أشد ضحكا ، إنى لا ذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك ، وربا لسانك في فمك ، وغصصت بريقك ، وارتعدت فرأئصك ، وبدا منك ما أكره ذكره لك : فقال معاوية : لم يكن هذا كله ، وكيف يكون ودوني عك والاشعريون ! قال : إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل ذلك بك ودونك عك والاشعريون ، فكيف كانت حالك لو جمعكما مآقط الحرب ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، خض بنا الهزل إلى الجد ، إن الجبن والفرار من على لا عار على أحد فيهما^(٢).

مزاح رسول الله ﷺ

* أن رسول الله ﷺ قال : (إنى أمزح ، ولا أقول إلا حقا)

* وجاء في الخبر أن رسول الله ﷺ قال لامرأة من الانصار : (الحقى زوجك فإن في عينه بياضا) ، فسعت نحوه مرعوبة ، فقال لها : ما دهاك ؟ فأخبرته ، فقال : نعم إن في عيني بياضا لا لسوء ، فخفضي عليك. فهذا من مزاح رسول الله ﷺ.

* وأت عجوز من الانصار إليه ﷺ ، فسألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنة ، فقال : (إن الجنة لا تدخلها العجز) ، فصاحت ، فتبسم ﷺ ، فقال : (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا)

* وفي الخبر أيضا : أن امرأة استحملت ، فقال : (إنا حاملوك إن شاء الله تعالى على ولد الناقة) ، فجعلت تقول : يارسول الله : وما أصنع بولد الناقة ؟ وهل يستطيع أن يحملنى ! وهو يتبسم ويقول : (لا أحملك إلا عليه) ، حتى قال لها أخيرا : (وهل يلد الابل إلا النوق !)

* وفي الخبر أنه ﷺ مر بلال وهو نائم، فضربه برجله، وقال : أناثمه أم عمرو فقال بلال مرعوباً، فضرب بيده إلى مذاكيره، فقال له : ما بالك ؟ قال : ظننت أني تحولت امرأة. قيل : فلم يمزح رسول الله بعد هذه.

* وفي الخبر أيضاً أن نغرا كان لصبي من صبيان الانصار، فطار من يده، فبكى الغلام، فكان رسول الله ﷺ يمر به فيقول : (يا أبا عمير، ما فعل النغير)؟ والغلام يبكي وكان يمازح ابني بنته مزاحاً مشهوراً،

* وكان يأخذ الحسين ﷺ، فيجعله على بطنه، وهو ﷺ نائم على ظهره ويقول له : حزقة حزقة، ترق عين بقعة^(١).

افتراءات ابن ابي الحديد على ام سلمة

كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتاباً : أن خذلي الناس عن بيعة علي، وأظهري الطلب بدم عثمان، وحملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير، فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان، وكانت أم سلمة رضى الله عنها بمكة في ذلك العام، فلما رأت صنع عائشة، قابلتها بنقبض ذلك، وأظهرت موالة علي ﷺ ونصرتة على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الصرتين^(٢).

بني زهرة في يوم احد

قلت : سألت النقيب أبا جعفر ما بال بني زهرة في يوم احد فعلوا الافاعيل برسول الله ﷺ وهم أخواله، ابن شهاب وعته بن أبي وقاص ! فقال : يا بن أخي، حركهم أبو سفيان وهاجهم على الشر لانهم رجعوا يوم بدر من الطريق إلى مكة فلم يشهدوها، فاعترض غيرهم ومنعهم عنها، وأغرى بها سفهاء أهل مكة، فعيروهم برجوعهم، ونسبوهم إلى الجبن وإلى الادهان في أمر محمد ﷺ، واتفق أنه كان فيهم مثل هذين الرجلين، فوقع منهما يوم أحد ما وقع^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٣٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢١٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٦

إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر

روى محمد بن حبيب في أماليه أن الحسن عليه السلام حج خمس عشرة حجة ماشياً تقاد الجنائب معه، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات ماله، حتى أنه كان يعطي نعلا ويمسك نعلا، ويعطي خفا، ويمسك خفا. وروى أبو جعفر محمد بن حبيب أيضاً أن الحسن عليه السلام أعطى شاعراً، فقال له رجل من جلسائه: سبحان الله! أ تعطي شاعراً يعصي الرحمن، ويقول البهتان! فقال: يا عبد الله، إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر^(١).

الشجاعة واليخل

ما رأينا شجاعاً جواداً قط، كان عبد الله بن الزبير شجاعاً وكان أبخل الناس، وكان الزبير أبوه شجاعاً وكان شحيحاً، قال له عمر: لو وليتها لظلت تلاطم الناس في البطحاء على الصاع والمد. وأراد علي عليه السلام أن يحجر على عبد الله بن جعفر لتبذيره المال، فاحتال لنفسه، فشارك الزبير في أمواله وتجارته، فقال عليه السلام: أما إنه قد لاذ بملاذ، ولم يحجر عليه. وكان طلحة شجاعاً وكان شحيحاً، أمسك عن الانفاق حتى خلف من الاموال ما لا يأتي عليه الحصر. وكان عبد الملك شجاعاً وكان شحيحاً، يضرب به المثل في الشح، وسمي رشح الحجر، لبخله. وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في الشجاعة والسخاء، كيف هي وهذا من أعاجيبه عليه السلام! ^(٢).

الهامة المضطربة

قالت الثوبية: أن النور الاعظم اضطربت عزائمه وإرادته في غزو الظلمة والاغارة عليها، فخرجت من ذاته قطعة وهي الهامة المضطربة في نفسه فخالطت الظلمة غازية لها، فاقتطعتها الظلمة عن النور الاعظم، وحالت بينها وبينه، وخرجت هامة الظلمة غازية للنور الاعظم، فاقتطعها النور الاعظم عن الظلمة، ومزجها بأجزائه، وامتزجت هامة النور بأجزاء الظلمة أيضاً، ثم ما زالت الهامتان تتقاربان وتتدانيان وهما ممتزجتان، بأجزاء هذا وهذا، حتى أنبنى منهما هذا العالم المحسوس. ولهم في الهامة

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٥٢

كلام مشهور، وهي لفظة اصطلاحوا عليها^(١).

خلق الارض في التوراة

يقال : إن في التوراة في أول السفر الأول كلاما وهو أن الله تعالى خلق جوهرًا، فنظر إليه نظر الهيبة، فذابت أجزاءه فصارت ماء، ثم ارتفع من ذلك الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات، وظهر على وجه ذلك الماء زيد، فخلق منه الارض، ثم أرساها بالجبال^(٢).

الزبير اراد اغتيال امير المؤمنين تاج

وروى الطبري أيضاً في التاريخ قال لما بايع الناس علياً عليه السلام بعد قتل عثمان جاء على إلى الزبير فاستاذن عليه قال أبو حبيبة مولى الزبير : فاعلمته به فسل السيف ووضعه تحت فراشه وقال ائذن له فاذنت له فدخل فسلم على الزبير وهو واقف ثم خرج فقال الزبير لقد دخل لامر ما قضاء قم مقامه وانظر هل ترى من السيف شيئاً ! فقامت في مقامه فرايت ذباب السيف فاخبرته وقلت إن ذباب السيف ليظهر لمن قام في هذا الموضع فقال ذاك أعجل الرجل^(٣).

امام اخطا وامرأة اصابت

خطب عمر فقال لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ارتجعت ذلك منها فقامت إليه امرأة فقالت والله ما جعل الله ذلك لك انه تعالى يقول (وأتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً) فقال عمر الا تعجبون من امام اخطا وامرأة اصابت ناضلت امامكم فضلتها^(٤).

فرار عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن يوم الفتح

هرب عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن حتى ركب البحر، قال : وجاءت زوجته أم

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٨٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٨٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٧

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٧

حكيم بنت الحارث بن هشام إلى رسول الله ﷺ في نسوة ممنهن هند بنت عتبة وقد كان رسول الله ﷺ أمر بقتلها والبغوم بنت المعدل الكنانية امرأه صفوان بن أمية، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة امرأه الحارث بن هشام، وهند بنت عتبة بن الحجاج أم عبد الله بن عمرو بن العاص، ورسول الله ﷺ بالابطح فاسلمن، ولما دخلن عليه دخلن وعنده زوجتاه وابنته فاطمة ونساء من نساء بنى عبد المطلب وسألن أن يبايعهن، فقال : إني لا أصافح النساء - ويقال : إنه وضع على يده ثوبا فمسحن عليه، ويقال : كان يؤتى بقدر من ماء فيدخل يده فيه ثم يرفعه إليهن، فيدخلن أيديهن فيه - فقالت أم حكيم امرأه عكرمة : يا رسول الله، إن عكرمة هرب منك إلى اليمن، خاف أن تقتله، فأمنه، فقال : هو آمن. فخرجت أم حكيم في طلبه، ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنيه حتى قدمت به على حى، فاستغاثت بهم عليه، فأوثقوه رباطا، وأدركت عكرمة وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة، فركب البحر، فهاج بهم، فجعل نؤتى السفينة يقول له : أن أخلص، قال : أي شئ أقول؟ قال : قل لا إله إلا الله، قال عكرمة ما هربت إلا من هذا، فجاءت أم حكيم على هذا من الامر، فجعلت تلح عليه وتقول : يا بن عم، جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبر الناس، لا تهلك نفسك، فوقف لها حتى أدركته، فقالت : إني قد استأمنت لك رسول الله (صلى الله عليه واله) فأمنك، قال : أنت فعلت؟ قالت : نعم أنا كلمته، فأمنك، فرجع معها، فقالت : ما لقيت من غلامك الرومي ! وأخبرته خبره، فقتله عكرمة، فلما دنا من مكة قال رسول الله (صلى الله عليه واله) لأصحابه : يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذى الحى. ولا يبلغ الميت. فلما وصل عكرمة ودخل على رسول الله ﷺ وثب إليه (صلى الله عليه واله) وليس عليه رداء فرحا به، ثم جلس فوق عكرمة بين يديه ومعه زوجته منقبة، فقال : يا محمد، إن هذه أخبرتني أنك أمنتني، فقال : صدقت، أنت آمن، فقال عكرمة : فإلام تدعو؟ فقال : إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة.. وعد خصال الاسلام، فقال عكرمة : ما دعوت إلا إلى حق، وإلى حسن جميل، ولقد كنت فينا من قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه، وأنت أصدقنا حديثا، وأعظمنا برا. ثم قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وإنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني اليوم شيئا أعطيه أحدا إلا أعطيتك، قال : فإنى أسألك أن تغفر لى كل عداوة عاديتكها أو مسير أوضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في

وجهك، أو أنت غائب عنه. فقال: اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إلى يريد بذلك إطفاء نورك، واغفر له ما نال مني ومن عرضي، في وجهي أو أنا غائب عنه. فقال عكرمة: رضيت بذلك يا رسول الله، ثم قال: أما والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الإسلام وفي سبيل الله، ولا اجتهدن في القتال بين يديك حتى أقتل شهيدا، قال: فرد عليه رسول الله ﷺ امرأته بذلك النكاح الاول^(١).

العاقل الحازم

بزرجمهر: العاقل الحازم إذا اشكل عليه الرأي بمتزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب، ثم التمسها حتى وجدها، وكذلك العاقل يجمع وجوه الرأي في الامر المشكل، ثم يضرب بعضها في بعض حتى يستخلص الرأي الا صوب^(٢).

ان قيس طوالا أطول الناس

أن قيسا وسهل بن حنيف، خرجا حتى قدما على الكوفة فخبره قيس الخبر وما كان بمصر فصدقه. وشهد مع علي صفين، هو وسهل بن حنيف قال إبراهيم: وكان قيس طوالا أطول الناس وأمدهم قامة، وكان سناطا أصلع شيخا شجاعا مجربا مناصحا لعلي ولولده، ولم يزل على ذلك إلى أن مات^(٣).

فلعلك شربته؟

قال: وروى هند بن القاسم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: احتجم رسول الله ﷺ، ثم دفع إلى دمه، فقال: اذهب به فواره حيث لا يراه أحد، فذهبت به فشربته، فلما رجعت قال: ما صنعت؟ قلت: جعلته في مكان اظن إنه أخفى مكان عن الناس، فقال: فلعلك شربته؟ فقلت: نعم^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٤٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٦٤

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٠٩

ما قيل في التسي عند فقدان الاحبة

ومثل قوله **﴿﴾** حتى صرت مسليا عن سواك قول الشاعر :

رزئنا ابا عمر ولا حى مثله فله در الحادثات بمن تقع

فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة ما في انسداد لها طمع

لقد جر نفعا فقدنا لك اننا امنا على كل الرزايا من الجزع

وقال آخر :

اقول للموت حين نازله والموت مقدامة على البهم

اظفر بمن شئت إذ ظفرت به ما بعد يحيى للموت من الم.

ولى في هذا المعنى كتبه إلى صديق غاب عنى من جملة ابيات :

وقد كنت اخشى من خطوب غوائل فلما ناي عنى امنت من الحذر

فاعجب لجسم عاش بعد حياته واعجب لنفع حاصل جره ضرر

وقال اسحاق بن خلف يرثى بنتا له :

امست اميمة معمورا بها الرجم لقا صعيد عليها الترب مرتكم

يا شقة النفس إن النفس والهة حرى عليك وإن الدمع منسجم

قد كنت اخشى عليها أن تقدمنى إلى الحمام فيدى وجهها العدم

فالان نمت فلا هم يؤرقني تهذا العيون إذا ما اودت الحرم

للموت عندي اياك لست اكفرها احيا سرورا وبى مما اتى الم

وقال آخر :

فلو انها احدى يدي رزيتها ولكن يدي بانث على اثرها يدي

فآليت لا آسى على إثر هالك قدى الان من حزن على هالك قدى

وقال آخر :

أجارى ما ازداد الا صباية عليك وما تزداد الا تنائيا

أجارى لو نفس فدت نفس ميت فديتك مسرورا بنفسى وماليا

وقد كنت ارجوا أن املاك حقية فجال قضاء الله دون رجائيا
الا فليمت من شاء بعدك انما عليك من الاقدار كان حذاريا
وقال آخر :

لتغد المنايا حيث شاءت فانه ا محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوه فحل الموالي بعده بمسيل^(١).

لو جئتمونا بدماعه في سبعين صرة، لعلمنا أنه لم يمت

إن جماعة من أصحاب على، منهم عبد الله بن عباس، شفَعوا في عبد الله بن سبا خاصة، وقالوا : يا أمير المؤمنين، إنه قد تاب فاعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة، فقال : أين أهب؟ قال : المدائن، فنفاه إلى المدائن، فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يوصدقونه يتبعونه، وقال لما بلغه قتل على : والله لو جئتمونا بدماعه في سبعين صرة، لعلمنا أنه لم يمت، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه. فلما بلغ ابن عباس، ذلك قال : لو علمنا أنه يرجع لما تزوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه^(٢).

وسعوها في قريش تتسع

مر المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر، وهما جالسان على باب النبي حين قبض، فقال : ما يقعدكما؟ قالا : ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه - يعنيان عليا - فقال : أتريدون أن تنظروا حبل الحيلة من أهل هذا البيت ! وسعوها في قريش تتسع. قال : فقاما إلى سقيفة بني ساعدة، أو كلاما هذا معناه^(٣).

مقتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

كان وحشي عبدا لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، ويقال : كان لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، فقالت له ابنة الحارث : ان أبي قتل يوم بدر،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٤٣

فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فانت حر : محمد، وعلي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، فإني لا أرى في القوم كفوا لابي غيرهم. فقال وحشي : أما محمد فقد علمت أني لا أقدر عليه، وإن أصحابه لن يسلموه، وأما حمزه فوالله لو وجدته نائما ما أيقظته من هيئته، وأما علي فألتمسه. قال وحشي : فكنت يوم أحد ألتسمه فيينا أنا في طلبه طلع علي، فطلع رجل حذر مرس كثير الالتفات، فقلت : ما هذا بصاحبي الذي ألتمس، إذ رأيت حمزة يفري الناس فريا، فكمنت له إلى صخره وهو مكبس له كتيت فاعترض له سباع بن أم نيار، وكانت أمه ختانة بمكة، مولاة لشريف بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفي، وكان سباع يكنى أبا نيار، فقال له حمزة : وأنت أيضاً يا بن مقطعة البظور ممن يكثر علينا ! هلم إلى، فاحتمله، حتى إذا برقت قدماه رمى به فبرك عليه، فشحطه شحط الشاة، ثم أقبل علي مكبا حين رأيته، فلما بلغ المسيل، وطئ علي جرف فزلت قدمه، فهزرت حربتي حتى رضيت منها، فأضرب بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته، وكر عليه طائفه من أصحابه فأسمعهم يقولون : أبا عمارة، فلا يجيب، فقلت : قد والله مات الرجل، وذكرت هنداً وما لقيت علي أبيها وعمها وأخيها، وانكشف عنه أصحابه حين أيقنوا بموته، ولا يروني فأكر عليه فشقت بطنه، فاستخرجت كبده، فجئت بها إلى هند بنت عتبة، فقلت ما ذا لي إن قتلت قاتل أبيك ؟ قالت : سلني، فقلت : هذه كبدة حمزة : فمضغتها ثم لفظتها، فلا أدري : لم تسفها أو قدرتها، فتزعت ثيابها وحليها فأعطتني، ثم قالت : إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير، ثم قالت أرني مصرعه، فأريتها مصرعه، فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، ثم جعلت ذلك مسكتين ومعضدين وخدمتين، حتى قدمت بذلك مكة وقدمت بكبده أيضاً معها^(١).

إن الشيطان يرانا ولا نراه

دخل الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير وكان معاوية يحب أن يغري بين قريش فقال يا أبا محمد أيهما كان أكبر سناً علي أم الزبير فقال الحسن ما أقرب ما بينهما وعلي أسن من الزبير رحم الله علياً فقال ابن الزبير رحم الله الزبير وهناك أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب فقال يا عبد الله وما يهيجك من أن يترحم

الرجل على ابيه قال وانا أيضاً ترحمت على ابي قال اتظنه ندا له وكفؤوا قال وما يعدل به عن ذلك كلاهما من قريش وكلاهما دعا إلى نفسه ولم يتم له قال دع ذلك عنك يا عبد الله إن علياً من قريش ومن الرسول ﷺ حيث تعلم ولما دعا إلى نفسه أتبع فيه وكان رأساً ودعا الزبير إلى امر وكان الرأس فيه امرأة ولما تراءت الفتتان نكص على عقبه وولى مدبراً قبل أن يظهر الحق فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه فادركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان اصغر فضرب عنقه واخذ سلبه وجاء براسه ومضى على قدما كعادته مع ابن عمه رحم الله علياً فقال ابن الزبير اما لو أن غيرك تكلم بهذا يا ابا سعيد لعلم فقال إن الذي تعرض به يرغب عنك وكفه معاوية فسكتوا. واخبرت عائشة بمقاتلتهم ومر أبو سعيد بفنائها فنادته يا ابا سعيد انت القائل لابن اختي كذا فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً فقال إن الشيطان يرانا ولا نراه فضحكت عائشة وقالت لله ابرك ما اذلق لسانك^(١).

ميسة بنت سخام الثقفية

قال معاوية لابن عباس، ولقيه بمكة: يا عجباً من وفاة الحسن! شرب علة بماء رومة ففضى نحبه، فوجم ابن عباس، فقال معاوية: لا يحزنك الله ولا يسوءك، فقال: لا يسوءني ما أبقاك الله! فأمر له بمائة ألف درهم. وروى أبو الحسن قال: أول من نعى الحسن ﷺ بالبصرة عبد الله بن سلمة، نعاه لزياد، فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفي، فنعاها، فبكى الناس - وأبو بكر يومئذ مريض، فسمع الضججة، فقال: ما هذا؟ فقالت امرأته ميسة بنت سخام الثقفية: مات الحسن بن علي، فالحمد لله الذي أراح الناس منه! فقال: اسكتي ويحك فقد أراحه الله من شر كثير، وفقد الناس بموته خيراً كثيراً، يرحم الله حسناً!^(٢).

نوادير نعيمان

* كان نعيمان، وهو من أهل بدر، أولع الناس بالمزاح عند رسول الله ﷺ وكان يكثر الضحك، فقال رسول الله ﷺ: (يدخل الجنة وهو يضحك). وخرج نعيمان هو وسويط بن عبد العزى وأبو بكر، في تجارة قبل وفاة رسول الله ﷺ هو وسويط بن عبد العزى وأبو بكر، في تجارة قبل وفاة رسول الله ﷺ بعامين، وكان سويط على الزاد.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١١١

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٩

فكان نعيمان يستطعمه فيقول : حتى يجيء أبو بكر، بعامين، وكان سويبط على الزاد، فكان نعيمان يستطعمه فيقول : حتى يجيء أبو بكر، فمر بركب من نجران، فباعه نعيمان منهم على أنه عبد له بعشر قلائص، وقال لهم : إنه ذولسان ولهجة، وعساه يقول لكم : أنا حر، فقالوا : لا عليك. وجاءوا إليه فوضعوا عمامته في عنقه، وذهبوا به، فلما جاء أبو بكر أخبر بذلك، فرده وأعاد القلائص إليهم. فضحك رسول الله ﷺ وأصحابه من ذلك سنة.

* وروى أن أعرابيا باع نعيمان عكة غسل، فاشتراها منه، فجاء بها إلى بيت عائشة في يومها وقال : خذوها، فظن رسول الله ﷺ أنه أهداها إليه، ومضى نعيمان، فنزل الأعرابي على الباب، فلما طال قعوده نادى : يا هؤلاء، إما أن تعطونا ثمن العسل أو تردوه علينا، فعلم رسول الله ﷺ بالقصة، وأعطى الأعرابي الثمن، وقال لنعيمان : ما حملك على ما فعلت؟ قال : رأيتك يا رسول الله تحب العسل، ورأيت العكة مع الأعرابي. فضحك رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه.

* ومر نعيمان وهو بدرى بمخرمة بن نوفل في خلافة عثمان، وقد كف بصره، فقال : ألا يقودني رجل حتى أبول؟ فأخذ نعيمان بيده حتى صار به إلى مؤخر المسجد، وقال : ها هنا فبل، فبال فصاح به الناس، فقال من قادني؟ قيل : نعيمان، قال : لله على أن أضربه بعصاي هذه. فبلغ نعيمان فأتاه، فقال : بلغني أنك أقسمت لتضربن نعيمان فهل لك فيه؟ قال : نعم، قال : قم، فقام معه حتى وافى به عثمان بن عفان وهو يصلى، فقال : دونك الرجل، فجمع محرمة يديه في العصا وضربه بها، فصاح الناس : ويلك، أمير المؤمنين! قال : من قادني؟ قالوا : نعيمان، قال : ومالي ولنعيمان؟ لا أعرض له^(١).

الربيع بن زياد وليس العلاء بن زياد

اعلم أن الذي روته عن الشيوخ ورايته بخط عبد الله بن أحمد بن الخشاب رحمه الله أن الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه فكانت تنتقض عليه في كل عام فاتاه على ﷺ عائدا فقال كيف تجدك أبا عبد الرحمن قال اجدني يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي إلا بذهاب بصرى لتمنيت ذهابه قال وما قيمة بصرك عندك قال لو كانت لي

الدنيا لفديته بها قال لا جرم ليعطينك الله على قدر ذلك إن الله تعالى يعطى على قدر الألم والمصيبة وعنده تضعيف كثير قال الربيع يا امير المؤمنين الا اشكوا اليك عاصم بن زياد اخي قال ما له قال لبس العباء وترك الملاء وغم اهله وحزن ولده فقال على ادعوا لى عاصما فلما اتاه عبس في وجهه وقال ويحك يا عاصم ا ترى الله اباح لك اللذات وهو يكره ما اخذت منها لانت اهون على الله من ذلك أو ما سمعته يقول (مرج البحرين يلتقيان) ثم يقول (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وقال (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) اما والله إن ابتذال نعم الله بالفعال احب إليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعتم الله يقول (واما بنعمة ربك فحدث) وقوله (من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال (يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) وقال (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبعض نسائه (مالى اراك شعشاء مرهء سلطاء). قال عاصم فلم اقتصرت يا امير المؤمنين على لبس الخشن واكل الجشب قال إن الله تعالى افترض على ائمة العدل أن يقدروا لانفسهم بالقوام كيلا يتبيغ بالفقير فقره فما قام على عليه السلام حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءه. والربيع بن زياد هو الذى افتتح بعض خراسان وفيه قال عمر دلوني على رجل إذا كان في القوم اميرا فكأنه ليس بامير وإذا كان في القوم ليس بامير فكأنه الامير بعينه وكان خيرا متواضعا وهو صاحب الواقعة مع عمر لما احضر العمال فتوحش له الربيع وتقشف واكل معه الجشب من الطعام فاقره على عمله وصرف الباقيين وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم. وكتب زياد بن ابيه إلى الربيع بن زياد وهو على قطعة من خراسان إن امير المؤمنين معاوية كتب إلى يامرك أن تحرز الصفراء والبيضاء وتقسم الخرثى وما اشبهه على اهل الحرب فقال له الربيع انى وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين ثم نادى في الناس أن اغدوا على غنائمكم فاخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين ثم دعا الله أن يميته فما جمع حتى مات. وهو الربيع بن زياد بن انس بن ديان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن وعله بن خالد بن مالك بن ادد. واما العلاء بن زياد الذى ذكره الرضى رحمه الله فلا اعرفه لعل غيرى يعرفه^(١).

إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار

خطب الحجاج فشكا سوء ضاعة أهل العراق، فقام إليه جامع المحاربي، فقال : أيها الأمير، دع ما يباعدكم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك، فلو أجبوك لاطاعوك، إنهم ما شئتوك بنسبك ولا لبأوك، ولكن لايقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك. فقال الحجاج : ما أراني أرد بنى اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف، فقال جامع : أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار، فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله، فقال : أجل، ولكنك لا تدري لمن يجعله الله، فقال : يا هناه، إيها فإنك من محارب، فقال جامع : وللحرب سميننا فكنا محاربا إذا ما ألقنا أمسى من الطعن أحمر^(١).

من شهد بدرا من المسلمين

من شهد بدرا من المسلمين قال الواقدي : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مع القوم الذين ضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وهم غائبون وعدتهم ثمانية. قال : وهذا هو الاغلب في الرواية، قال : ولم يشهد بدرا من المسلمين الا قرشي أو حليف لقرشي أو نصاري أو حليف لانصاري أو مولى واحد منهما، وهكذا من جانب المشركين، فإنه لم يشهدا إلا قرشي أو حليف لقرشي أو مولى لهم. قال : فكانت قریش ومواليها وحلفاؤها ستة وثمانين رجلا، وكانت الانصار ومواليها وحلفاؤها مائتين وسبعة وعشرين رجلا^(٢).

اختلاف الاقوال في خلق البشر

أعلم أن الناس اختلفوا في ابتداء خلق البشر كيف كان، فذهب اهل الملل من المسلمين واليهود والنصاري إلى أن مبدأ البشر هو آدم، الاب الاول ﷺ، وأكثر، ما في القرآن العزيز من قصة آدم مطابق لما في التوراة.

أما الفلاسفة، فإنهم زعموا أنه لا أول لنوع البشر، ولا لغيرهم من الانواع. وأما الهنود، ومن لم يكن منهم على رأى الفلاسفة ويقول بحدوث الاجسام لا يثبت

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢١٢

آدم، ويقول: إن الله تعالى خلق الافلاك وخلق فيها طباعا محركة لها بذاتها، فلما تحركت وحشوها أجسام لاستحالة الخلاء كانت تلك الاجسام، على طبيعة واحدة، فأختلفت طبائعها بالحركة الفلكية، فكان القريب من الفلك المتحرك أسخن والطف، والبعيد أبرد وأكثف. ثم اختلطت العناصر، وتكونت منها المركبات، ومنها تكون نوع البشر كما يتكون الدود في الفاكهة واللحم، والبق في البطائح والمواضع العفنة، ثم تكون بعض البشر من بعض بالتوالد، وصار ذلك قانونا مستمرا، ونسى التخليق الاول الذي كان بالتولد. ومن الممكن أن يكون بعض البشر في بعض الاراضي القاصية مخلوقا بالتوالد، وإنما انقطع التوالد، لان الطبيعة إذا وجدت للتكون طريقا استغنت به عن طريق ثان.

وأما المجوس فلا يعرفون آدم، ولا نوحا، ولا ساما، ولا حاما، ولا يافث. وأول متكون عندهم من البشر البشرى المسمى (كيومرث)، ولقبه (كوشاه) أي ملك الجبل، لان (كو) هو الجبل بالفهلوية، وكان هذا البشر في الجبال. ومنهم من يسميه (كلشاه)، أي ملك الطين و (كل) اسم الطين، لانه لم يكن حين إذن بشر ليملكهم. وقيل تفسير (كيومرث) حى ناطق ميت، قالوا: وكان قد رزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلا وبهت وأغمى عليه، ويزعمون أن مبدأ تكونه وحدثه أن يزدان وهو الصانع الاول عندهم أفكر في أمر أهرمن، وهو الشيطان عندهم فكرة أوجبت أن عرق جبينه، فمسح العرق ورمى به، فصار منه كيومرث. ولهم خبط طويل في كيفية تكون (أهرمن) من فكرة (يزدان) أو من إعجابه بنفسه، أو من توحشه، وبينهم خلاف في قدم (أهرمن)، وحدثه لا يليق شرحه بهذا الموضوع ثم اختلفوا في مدة بقاء كيومرث في الوجود، فقال الاكثرون: ثلاثون سنة. وقال الاقلون: أربعون سنة. وقال قوم منهم: إن كيومرث مكث في الجنة التي في السماء ثلاثة آلاف سنة، وهى ألف الحمل، وألف الثور، وألف الجوزاء. ثم أهبط إلى الارض فكان بها آمنا مطمئنا ثلاثة آلاف سنة اخرى، وهى ألف السرطان، وألف الاسد، وألف السنبله. ثم مكث بعد ذلك ثلاثين أو أربعين سنة في حرب وخصام بينه وبين أهرمن حتى هلك. واختلفوا في كيفية هلاكه مع اتفاقهم، على أنه هلك قتلا، فالاكثرون قالوا: إنه قتل ابنا لاهرمن يسمى خزوره، فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان، فلم يجد بدا من أن يقاصه به حفظا للعهد التي بينه وبين أهرمن، فقتله باهن أهرمن. وقال قوم: بل قتله أهرمن في صراع كان بينهما، قهره فيه أهرمن، وعلاه وأكله، وذكروا في

كيفية ذلك الصراع أن كيومرث كان هو القاهر لاهرمين في بادئ الحال، وأنه ركبته، وجعل يطوف به في العالم إلى أن سأله أهرمين عن أي الأشياء أخوف له وأهولها عنده، فقال له : باب جهنم، فلما بلغ به أهرمين إليها جمع به حتى سقط من فوقه، ولم يستمسك، فعلاه وسأله عن أي الجهات يبتدئ به في الأكل، فقال : من جهة الرجل لاكون ناظرا إلى حسن العالم مدة ما، فأبتدأه أهرمين فأكله من عند رأسه، فبلغ إلى موضع الخصى واوعية المنى من الصلب، فقطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض فنبت منهما ريبستان في جبل بإصطخر يعرف بجبل دام داد، ثم ظهرت على تينك الريباستين الاعضاء البشرية في أول الشهر التاسع، وتمت في آخره، فتصور منهما بشران : ذكر وأنثى، وهما (ميشى)، (وميشانه)، وهما بمنزلة آدم وحواء عند المليين. ويقال لهما أيضا : (ملهى) (وملهيانه)، ويسميها مجوس خوارزم : (مرد) و (مردانه)، وزعموا أنهما مكثا خمسين سنة مستغنين عن الطعام والشراب، متنعمين غير متأذيين بشئ إلى أن ظهر لهما أهرمين في صورة شيخ كبير، فحملهما على التناول من فواكه الأشجار وأكل منها، وهما يبصرانه شيخا، فعاد شابا، فأكلا منها حينئذ، فوقعا في البلايا والشرور، وظهر فيهما الحرص حتى تزوجا، وولد لهما ولد فأكلاه حرصا، ثم ألقى الله تعالى في قلوبهما رافة، فولد لهما بعد ذلك ستة أبطن، كل بطن ذكر وأنثى، وأسمائهم - في كتاب أپستا، وهو الكتاب الذي جاء به زرادشت - معروفة، ثم كان في البطن السابع (سياميك) و (فرواك)، فتزوجا، فولد لهما الملك المشهور الذي لم يعرف قبله ملك وهو (أوشهنج)، وهو الذي خلف جده كيومرث، وعقد التاج، وجلس على السرير، وبنى مدينتي بابل والسوس. فهذا ما يذكره المجوس في مبدأ الخلق^(١).

ثلاثة بواحدة

كان عمر يعس ليله فمر بدار سمع فيها صوتا فارتاب وتسور فراى رجلا عند امرأة وزق خمر فقال يا عدو الله اظننت أن الله يسترک وانت على معصيته فقال لا تعجل يا امير المؤمنين إن كنت اخطات في واحدة فقد اخطات في ثلاث قال : الله تعالى : (ولا تجسسوا) وقد تجسسست، وقال : (وأتوا البيوت من ابوابها) وقد تسورت وقال : (فإذا

دخلتم بيوتا فسلموا) وما سلمت. فقال: هل عندك من خير ان عفوت عنك؟ قال: نعم، والله لا اعود، فقال: اذهب فقد عفوت عنك^(١).

كان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يشتف حتى يعرض يده، وكان عبد الله بن الزبير كذلك يقال إنه لم يل ولاية من ولد عمر وال عادل^(٢).

كل هذا لعب

كان عمر ومن بعده من الولاية إذا أخذوا العصاة نزعوا عماثمهم وأقاموهم للناس، حتى جاء زياد فضربهم بالسياط فجاء مصعب فحلق مع الضرب،

فجاء بشر بن مروان، فكان يصلب تحت الابطين، ويضرب الاكف بالمسامير. فكتب إلى بعض الجند قوم من أهله يستزيرونه، ويتشوقونه وقد أخرجهم بشر إلى الري فكتب إليهم:

لو لا مخافة بشر أو عقوبته أو أن يرى شائئ كفي بمسما
إذا لعطلت ثغرى ثم زرتكم إن المحب المعنى جد زوار.
فلما جاء الحجاج قال: كل هذا لعب فقتل العصاة بالسيف^(٣).

كان عبد الله بن الزبير شديد البخل

كان عبد الله بن الزبير شديد البخل، كان يطعم جنده تمرا، ويأمرهم بالحرب، فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال لهم: أكلتم تمرى، وعصيتم أمرى فقال بعضهم: ألم تر عبد الله - والله غالب على أمره - يبغى الخلافة بالتمر وكسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج، وكلما كسر رمحا أعطاه رمحا، فشق عليه ذلك، وقال: خمسة أرماع لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا. قال: وجاءه أعرابي سائل فرده، فقال له: لقد أحرقت الرمضاء قدمى، فقال: بل عليهما بيردان^(٤).

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٤٥

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٣

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٤٤

خمس إفريقية

عن أم بكر بنت المسور، قالت : لما بنى مروان داره بالمدينة، دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور ممن دعاه، فقال مروان وهو يحدثهم : والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه، فقال المسور : لو أكلت طعامك وسكت كان خيرا لك. لقد غزوت معنا إفريقية، وإنك لاقلنا مالا ورقيقا وأعوانا، وأخفنا ثقلا، فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية، وعملت على الصدقات، فأخذت أموال المسلمين^(١).

فرار صفوان بن أمية يوم الفتح

هرب صفوان بن أمية حتى أتى الشعبة، وجعل يقول لغلامه يسار وليس معه غيره : ويحك ! انظر من ترى ! فقال : هذا عمير بن وهب، قال صفوان : ما أصنع بعمير ؟ والله ما جاء إلا يريد قتلى، قد ظاهر محمدا على، فلحقه، فقال صفوان : يا عمير، مالك ؟ ما كفاك ما صنعت، حملتني دينك وعيالك، ثم جئت تريد قتلى ! فقال : يا أبا وهب، جعلت فداك ! جئتك من عند خير الناس، وأبر الناس وأوصل الناس، وقد كان عمير قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، سيد قومي صفوان بن أمية خرج هاربا ليقذف نفسه في البحر، خاف ألا تؤمنه، فأمنه فداك أبي وأمي ! فقال : قد أمنت، فخرج في أثره، فقال : إن رسول الله (صلى الله عليه واله) قد أمنك صفوان : لا والله حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره وقال : يا رسول الله، جئته وهو يريد أن يقتل نفسه فقال : لا أرجع إلا بعلامة أعرفها، فقال : خذ عمامتي، فرجع عمير إليه بعمامة رسول الله ﷺ وهي البرد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ مكة معتجرا به، برد حبرة أحمر - فخرج عمير في طلبه الثانية حتى جاءه بالبرد فقال : يا أبا وهب، جئتك من عند خير الناس وأوصل الناس وأبر الناس وأحلم الناس، مجده مجدك، وعزه عزك، وملكه ملكك، ابن أبيك وأمك، أذكرك الله في نفسك، فقال : أخاف أن أقتل، قال : فإنه دعاك إلى الاسلام فإن رضيت وإلا سيرك شهرين فهو أوفى الناس وأبرهم، وقد بعث إليك ببرده الذي دخل به معتجرا، أتعرفه ؟ قال : نعم، فأخرجه، فقال : نعم هو هو، فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فوجده يصلى العصر بالناس، فقال : كم يصلون ؟ قالوا :

خمس صلوات في اليوم واللييلة قال : أمحمد يصلى بهم ؟ قالوا : نعم فلما سلم من صلاته صاح صفوان : يا محمد، إن عمير ابن وهب جاءني ببردك، وزعم أنك دعوتني إلى القدوم إليك، فإن رضيت أمرا، وإلا سيرتني شهرين. فقال رسول الله ﷺ : أنزل أبا وهب فقال : لا والله أوتيين لي، قال : بل سر أربعة أشهر. فنزل صفوان وخرج معه إلى حنين وهو كافر، وأرسل إليه يستعير أذراعه وكانت مائة درع فقال : أطوعا أم كرها ؟ فقال ﷺ بل طوعا عارية مؤداة، فأعاره إياها، ثم أعادها إليه بعد انقضاء حنين والطائف، فلما كان رسول الله ﷺ بالجعرانة يسير في غنائم هوازن ينظر إليها، فنظر صفوان إلى شعب هناك مملوء نعماء ورياء، فأدام النظر إليه ورسول الله (صلى الله عليه واله) يرمقه، فقال : أبا وهب : يعجبك هذا الشعب ! قال : نعم، قال : هو لك وما فيه. فقال صفوان : ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله (صلى الله عليه واله). قال الواقدي : فأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فكان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله (صلى الله عليه واله) الرحي، فربما أملى عليه رسول الله ﷺ (سميع عليم) فيكتب (عزيز حكيم) ونحو ذلك، ويقرأ على رسول الله ﷺ فيقول : كذلك الله، ويقرأ فافتتن، وقال : والله ما يدرى ما يقول : إني لاكتب له ما شئت فلا ينكر، وإنه ليوحى إلى كما يوحى إلى محمد، وخرج هاربا من المدينة إلى مكة مرتدا، فأهدر رسول الله دمه، وأمر بقتله يوم الفتح، فلما كان يومئذ جاء إلى عثمان - وكان أخاه من الرضاعة - فقال : يا أخي، إني قد أجزت فاحتبسني هاهنا واذهب إلى محمد فكلمه في، فإن محمدا إن رأني ضرب عنقي، إن جرمي أعظم الجرم، وقد جئت تائبا، فقال عثمان : قم فاذهب معي إليه، قال : كلا، والله إنه إن رأني ضرب عنقي ولم يناظرني، قد أهدر دمي وأصحابه يطلبونني في كل موضع، فقال عثمان : انطلق معي فإنه لا يقتلك إن شاء الله فلم يرع رسول الله ﷺ إلا بعثمان آخذا بيد عبد الله بن سعد واقفين بين يديه، فقال عثمان : يا رسول الله، هذا أخي من الرضاعة، أن أمة كانت تحملني وتمشي وترضعني وتفظمه وتلطفني وتركه، فهبه لي. فأعرض رسول الله ﷺ عنه، وجعل عثمان كلما أعرض رسول الله عنه استقبله بوجهه، وأعاد عليه هذا الكلام، وإنما أعرض ﷺ عنه إرادته لأن يقوم رجل فيضرب عنقه، فلما رأى ألا يقوم أحد وعثمان قد انكب عليه يقبل رأسه ويقول : يا رسول الله، بايعه فذاك أبي وأمي على الإسلام ! فقال رسول الله ﷺ : نعم، فبايعه. قال رسول الله ﷺ بعد ذلك للمسلمين : ما منعكم أن

يقوم منكم واحد إلى هذا الكلب فيقتله - أو قال : الفاسق ! فقال عباد بن بشر : والذي بعثك بالحق، إني لاتبع طرفك من كل ناحية رجاء أن تشير إلى فأضرب عنقه. ويقال : إن أبا البشير هو الذي قال هذا، ويقال : بل قاله عمر بن الخطاب، فقال ﷺ : إني لا أقتل بالإشارة، وقيل : إنه قال : إن النبي لا يكون له خائنه الاعين. قال الواقدي : فجعل عبد الله بن سعد يفر من رسول الله ﷺ كلما رآه، فقال له عثمان : بأبي أنت وأمي ! لو ترى ابن أم عبد يفر منك كلما رآك ! فتبسم رسول الله ﷺ فقال : أو لم أبايعه وأؤمنه ؟ قال : بلى، ولكنه يتذكر عظم جرمه في الاسلام، فقال إن الاسلام يجب ما قبله^(١).

اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون

من أدعية امير المؤمنين ﷺ، وهو من أدعية الصحيفة أيضا : اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون، ويا من إلى إحسانه يفرح المضطرون، ويا من لخيفته ينتحب الخاطئون، يا أنس كل مستوحش غريب، يا فرج كل مكروب حريب، يا عون كل مخذول فريد، يا عائد كل محتاج طريد، أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما، وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمتك سهما، وأنت الذي عفوه أعلى من عقابه، وأنت الذي رحمته أمام غضبه، وأنت الذي إعطاؤه أكبر من منعه، وأنت الذي وسع الخلائق كلهم بعفوه، وأنت الذي لا يرغب في غنى من أعطاه، وأنت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه. وأنا يا سيدي عبدك الذي أمرته بالدعاء. فقال : لبيك وسعديك ! وأنا يا سيدي عبدك الذي أوقرت الخطايا ظهره، وأنا الذي أفنت الذنوب عمره، وأنا الذي بجهله عصاك، ولم يكن أهلا منه لذلك، فهل أنت يا مولاي راحم من دعاك فاجتهد في الدعاء ! أم أنت غافر لمن بكى لك، فأسرع في البكاء ! أم أنت متجاوز عمن عفر لك وجهه، متذللا ! أم أنت مغن من شكا إليك فقره متوكلا ! اللهم فلا تخيب من لا يجد معطيا غيرك، ولا تخذل من لا يستغنى عنك بأحد دونك. اللهم لا تعرض عني وقد أقبلت عليك، ولا تحرمني وقد رغبت إليك، ولا تجبهني بالرد وقد انتصبت بين يديك. أنت الذي وصفت نفسك بالرحمة، وأنت الذي سميت نفسك بالعفو، فارحمني واعف عني، فقد ترى يا سيدي فيض دموعي من خيفتك، ووجيب قلبي من خشيتك، وانتفاض

جوارحي من هيبتك، كل ذلك حياء منك بسوء عملي، وخجلا منك لكثرة ذنوبي، قد كل لساني عن مناجاتك، وحمد صوتي عن الدعاء إليك يا إلهي فكم من عيب سترته على فلم تفضحني! وكم من ذنب غطيت عليه فلم تشهر بي! وكم من عائبة ألممت بها فلم تهتك عني سترها، ولم تقلدني مكروها شئارها، ولم تبد على محرمات سوانتها. فمن يلتمس معايبي من جيرتي وحسدة نعمتك عندي، ثم لم ينهني ذلك حتى صرت إلى أسوأ ما عهدت مني! فمن أجهل مني يا سيدي برشدك! ومن أغفل مني عن حظه منك! ومن أبعده مني من استصلاح نفسه حين أنفقت ما أجريت على من رزقك فيما نهيتني عنه من معصيتك! ومن أبعده غورا في الباطل، وأشد إقداما على السوء مني حين أقف بين دعوتك ودعوة الشيطان، فاتبع دعوته على غير عمى عن المعرفة به، ولا نسيان من حفظي له، وأنا حينئذ موقن أن منتهى دعوتك الجنة، ومنتهى دعوته النار! سبحانك فما أعجب ما أشهد به على نفسي، وأعدده من مكنون أمري! وأعجب من ذلك أناتك عني، وإبطاؤك عن معاجلتني، وليس ذلك من كرمي عليك، بل تأتي منك بي، وتفضلا منك على، لان ارتدع عن خطي، ولان عفوك أحب إليك من عقوبتي. بل أنا يا إلهي أكثر ذنوبا، وأقبح آثارا، وأشنع أفعالا، وأشد في الباطل تهورا، وأضعف عند طاعتك تيقظا، وأغفل لوعيدك انتباها، من أن أحصى لك عيوبي، وأقدر على تعديد ذنوبي، وإنما أوبخ بهذا نفسي طمعا في رأفتك التي بها إصلاح أمر المذنبين، ورجاء لعصمتك التي بها فكاك رقاب الخاطئين. اللهم وهذه رقبتني قد أرقتها الذنوب فأعتقها بعفوك، وقد أثقلتها الخطايا، فخفف عنها بمنك. اللهم إنني لوبكيت حتى تسقط أشفار عيني، وانتحيت حتى ينقطع صوتي، وقمت لك حتى تنتشر قدماي، وركعت لك حتى ينجذع صليبي، وسجدت لك حتى تتفقا حدقتاي، وأكلت التراب طول عمري، وشربت ماء الرماد آخر دهري، وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني، ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك، لما استوجب بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي، فإن كنت تغفر لي حين أستوجب مغفرتك، وتعفو عني حين أستحق عفوك، فإن ذلك غير واجب لي بالاستحقاق، ولا أنا أهل له على الاستيجاب، إذ كان جزائي منك من أول ما عصيتك النار، فإن تعذبتني فإنك غير ظالم. إلهي فإن تغمدتني بسترِكَ فلم تفضحني، وأمهلتنني بكرمك فلم تعاجلني، وحلمت عني بتفضلك فلم تغير نعمك علي، ولم تكدر معروفك عندي، فأرحم طول تضرعي، وشدة مسكنتي، وسوء موقفي! اللهم صل على محمد وآل محمد، وأنقذني من

المعاصي، واستعملني بالطاعة وارضقني حسن الانابة وطهرني بالتوبة، وأيدني بالعصمة، واستصلحني بالعافية، وارضقني حلاوة المغفرة، واجعلني طليق عفوك، واكتب لي أمانا من سخطك، وبشرني بذلك في العاجل دون الاجل، بشرى أعرفها، وعرفني له علامة أتبينها، أن ذلك لا يضيق عليك في وجدك، ولا يتكأءك في قدرتك، وأنت على كل شيء قدير^(١).

يئست من أن يأخذ لي بحقي منه

زيد بن أسلم، عن أبيه قال : خلا عمر لبعض شأنه وقال : أمسك على الباب فطلع الزبير فكرهته حين رأته فأراد أن يدخل فقلت هو على حاجة فلم يلتفت إلى وأهوى ليدخل فوضعت يدي في صدره فضرب أنفي فأدماه ثم رجع فدخلت على عمر فقال : ما بك ؟ قلت : الزبير !. فأرسل إلى الزبير فلما دخل جئت فقممت لانظر ما يقول له فقال : ما حملك على ما صنعت أدميتني للناس فقال الزبير : يحكيه ويمطط في كلامه (أدميتني!) أتحتجب عنا يا بن الخطاب ! فوالله ما احتجب مني رسول الله ولا أبو بكر فقال عمر : كالمعتذر إنى كنت في بعض شأني !. قال : أسلم فلما سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقي منه. فخرج الزبير فقال عمر : إنه الزبير وآثاره ما تعلم فقلت حقي حقا^(٢).

لا تمضى الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم

جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلا من بني هاشم، منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وحصروهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم، وقال : لا تمضى الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم، أو أحرقكم بالنار، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار، فالتزمه ابن مسور بن مخزومة الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بغسول وثياب بيض، فاغتسل وتلبس وتحنط، لا يشك في القتل، وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فلما نزلوا ذات

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٨٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٤٥

عرق، تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون : يا محمد، يا محمد ! وقد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم، فاستخلصوا محمد بن الحنفية ومن كان معه، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادى : من كان يرى إن الله عليه حقاً فليشم سيفه، فلا حاجة لى بأمر الناس، إن أعطيتها عفوا قبلتها، وإن كرهوا لم نبتزهم أمرهم. وفي شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن :

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم إنه غير ظالم
سمى النبي المصطفى وابن عمه وحمال أثقال وفكاك غارم
تخبر من لا قيت إنك عائد بل العائد المحبوس في سجن عارم^(١).

كان يحمى الشرف لابله وكانت ألف بعير

كان عثمان يحمى الربذة والشرف والبقيع، فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس، ولا لبنى أمية حتى كان آخر الزمان، فكان يحمى الشرف لابله وكانت ألف بعير، ولابل الحكم بن أبى العاص، ويحمى الربذة لابل الصدقة، ويحمى البقيع لخيل المسلمين وخيله وخيل بنى أمية^(٢).

ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك

روى الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات عن عبد الله بن عباس قال : إني لأمشى عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة إذ قال لى : يا بن عباس ما أرى صاحبك إلا مظلوما فقلت في نفسي : والله لا يسبقنى بها، فقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته، فقال : يا بن عباس ؟ ما أظنهم منعهم عنه إلا أنه استصغره ! قومه فقلت في نفسي : هذه شر من الأولى ! فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك. فأعرض عنى وأسرع فرجعت عنه^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٤٦

ما لقينا من ظلم قريش ايانا وتظاهروا علينا

روى أن ابا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض اصحابه يا فلان ما لقينا من ظلم قريش ايانا وتظاهروا علينا وما لقي شيعتنا ومحبوينا من الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وقد اخبر انا اولي الناس بالناس فتمالات علينا قريش حتى اخرجت الامر عن معدنه واحتجت على الانصار بحقنا وحجتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت اليها فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الامر في صعود كئود حتى قتل فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به واسلم ووئب عليه اهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل امهات اولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء اهل بيته وهم قليل حق قليل ثم بايع الحسين عليه السلام من اهل العراق عشرون الفا ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في اعناقهم وقتلوه ثم لم نزل - اهل البيت - نستذل ونستضام ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نامن على دمائنا ودماء اوليائنا ووجد الكاذبون اللاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى اوليائهم وقضاه السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدثهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليعضونا إلى الناس وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الايدي والارجل على الظنة وكان من يذكر بحبنا والانقطاع اليها سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتله واخذهم بكل ظنه وتهمه حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر احب إليه من أن يقال شيعة علي وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعله يكون ورعا صدوقا - يحدث باحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئا منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب انها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع^(١).

ننبش قبر أم محمد

كانت قريش لما مرت بالابواء، قالت إنكم قد خرجتم بالظعن معكم، ونحن نخاف على نسائنا، فتعالوا ننبش قبر أم محمد، فإن النساء عورة، فإن يصب من نسائكم أحدا

قلتكم هذه رمة أمك، فإن كان برا بأمه - كما يزعم - فلعمري لنفادينكم برمة أمه، وإن لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير إن كان بها برا فاستشار أبو سفيان بن حرب أهل الرأي من قريش في ذلك، فقالوا: لا تذكر من هذا شيئاً، فلو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا^(١).

ابن مسعود وعثمان

أن ابن مسعود كان يقول: ليتني وعثمان برمّل عالج يحشو على وأحشو عليه حتى يموت الأعجز مني ومنه! ورووا أنه كان يطعن عليه، فيقال له: ألا خرجت عليه، ليخرج معك! فيقول: لأن أزاول جبلا راسيا أحب إلى من أن أزاول ملكا مؤجلا.

وكان يقوم كل يوم جمعة بالكوفة جاهاً معلناً: (إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار). وإنما كان يقول ذلك معرضاً بعثمان، حتى غضب الوليد بن عقبة من استمرار تعريضه، ونهاه عن خطبته هذه، فأبى أن ينتهي، فكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان يستقدمه عليه.

وقد روى عنه أيضاً من طرق لا تحصى كثرة أنه كان يقول: ما يزن عثمان عند الله جناح ذباب،

وقال لما حضره الموت: من يتقبل مني وصية أوصيه بها على ما فيها! فسكت القوم، وعرفوا الذي يريد، فأعادها، فقال عمار بن ياسر رحمه الله تعالى: أنا أقبلها، فقال ابن مسعود: ألا يصلى على عثمان، قال: ذلك لك، فيقال: إنه لما دفن جاء عثمان منكراً لذلك، فقال له قائل: إن عماراً ولي الأمر، فقال لعمار: ما حملك على أن تؤذني؟ فقال: عهد إلى ألا أؤذنك، فوقف على قبره وأثنى عليه، ثم انصرف وهو يقول: رفعتم والله أيديكم عن خير من بقى، فتمثل الزبير بقول الشاعر:

لا الفينك بعد الموت تندبنى وفي حياتي ما زودتني زادي

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه، أتاه عثمان عائداً، فقال: ما تشتكى؟

فقال : ذنوبي، قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمه بي، قال : ألا أدعو لك طبيباً ؟ قال الطبيب أمرضني، قال : أفلا أمر لك بعطائك ؟ قال : منعته وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه ! قال : يكون لولدك، قال : رزقهم على الله تعالى، قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمن، قال : أسأل الله أن يأخذ لي منك حقي .

وروى أن ابن مسعود لما استقدم المدينة، دخلها ليلة الجمعة، فلما علم عثمان بدخوله، قال : أيها الناس، إنه قد طرقتكم الليلة دويبة، من تمشى على طعامه يقى ويسلج. فقال ابن مسعود : لست كذلك، ولكنني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر، وصاحبه يوم أحد، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين. قال : وصاحت عائشة : يا عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ! فقال عثمان : اسكتي، ثم قال لعبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى بن قصي : إخرجه إخراجاً عنيفاً، فأخذه ابن زمعة، فاحتمله حتى جاء به باب مسجد، فضرب به الأرض، فكسر ضلعاً من أضلاعه، فقال ابن مسعود : قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان وفي رواية أخرى إن ابن زمعة الذي فعل به ما فعل كان مولى لعثمان أسود مسدماً طوالاً. وفي رواية أخرى : إن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان. وفي رواية، إنه لما احتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبد الله : أنشدك الله، ألا تخرجني من مسجد خليلي ﷺ. قال الراوي : فكأنني أنظر إلى حموشة ساقى عبد الله بن مسعود ورجلاه تختلفان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسجد، وهو الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : (لساقا ابن أم عبد أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد)^(١).

من يذهب إلى تصويب إبليس

كان في المسلمين ممن يرمى بالزندقة من يذهب إلى تصويب إبليس في الامتناع من السجود، ويفضله على آدم، وهو بشار بن برد المرعث، ومن الشعر المنسوب إليه :

النار مشرقة والأرض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار^(٢)

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٠٦

شطحات

يروى عن أبى يزيد البسطامى منه كثير. ومما يتعلق بما نحن فيه ما رووه عنه من قوله :

فمن آدم في البين ومن إبليس لولاكا
فتنت الكل والكل مع الفتنة يهراكا^(١)

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه

اختلط أمر الناس في ليلة الهرير، وزال أهل الرايات عن مراكزهم، وتفرق أصحاب على عليه السلام عنه، فأتى ربيعة ليلاً، فكان فيهم، وتعاضم الأمر جداً، وأقبل عدى بن حاتم يطلب علياً عليه السلام في موضعه الذي تركه فيه فلم يجده، فطاف يطلبه، فأصابه بين رماح ربيعة، فقال : يا أمير المؤمنين، أما إذ كنت حياً، فالامر أمم، ما مشيت إليك إلا على قتيل، وما أبقت هذه الوقعة لهم عميداً، فقاتل حتى يفتح الله عليك، فإن في الناس بقية بعد. وأقبل الأشعث يلهث جزعاً، فلما رأى علياً عليه السلام هلّل فكبر، وقال : يا أمير المؤمنين، خيل كخيل ورجال كرجال، ولنا الفضل عليهم إلى ساعتنا هذه فعد إلى مكانك الذي كنت فيه، فإن الناس إنما يظنونك حيث تركوك. وارسل سعيد بن قيس الهمداني إلى علي عليه السلام : إنا مشتغلون بأمرنا مع القوم، وفينا فضل، فإن أردت أن نمد أحداً أمددناه. فأقبل علي عليه السلام على ربيعة، فقال : أنتم درعى ورمحي - قال : فربيعة تفخر بهذا الكلام إلى اليوم - فقال عدى بن حاتم : يا أمير المؤمنين، إن قوماً أنست بهم، وكنت في هذه الجولة فيهم، لعظيم حقهم، والله إنهم لصبر عند الموت، أشداء عند القتال - فدعا علي عليه السلام بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يقال له المرتجز، فركبه، ثم تقدم أمام الصفوف، ثم قال : بل البغلة، بل البغلة، فقدمت له بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت شهباء، فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت سوداء، ثم نادى : أيها الناس من يشر نفسه الله يربح، إن هذا ليوم له ما بعده إن عدوكم قد مسه القرع كما مسكم، فانتدبوا لنصرة دين الله. فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً، قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فشد بهم على أهل الشام، وهو يقول :

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا وأصبحوا في حربكم وبيتوا
 حتى تنالوا الثأر أو تموتوا أولا فإنى طالما عصيت
 قد قلتما لو جئتنا ا فجيت ليس لكم ما شئتم وشيت
 * بل ما يريد المحيى المميت *

وتبعه عدى بن حاتم بلوائه، وهو يقول :

أبعد عمار وبعدهاشم وابن بديل فارس الملاحم
 نرجو البقاء، ضل حلم الحالم لقد عضضنا أمس بالاباهم !
 فاليوم لا نقرع سن نادم ليس امرؤ من حتفه بسالم
 وحمل وحمل الاشتر بعدهما في أهل العراق كافة فلم يبق لاهل الشام صف إلا
 أنتقض، وأهد أهل العراق ما أتوا عليه حتى أفضى الامر إلى مضرب معاوية وعلى عليه السلام
 يضرب الناس بسيفه قدما قدما، ويقول :

أضربهم ولا أرى معاوية الاخزر العين العظيم الحاويه
 * هوت به في النار أم هاويه *

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب توقف وتلوم قليلا، ثم
 أنشد قول عمرو بن الاطنابة :

أبت لى عفتى وأبى بلائى وأخذ الحمد بالثمن الربيح
 وإقدامى على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
 وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريح
 لادفع عن مآثر صالحات وأحمى بعد عن عرض صحيح
 بذى شطب كلون الملح صاف ونفس ما تقرر على القبيح
 ثم قال : يا عمرو بن العاص، اليوم صبر وغدا فخر، قال صدقت، إنك وما أنت
 فيه، كقول القائل :

ما علتى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل
 تزل عن صفحتها المعابل الموت حق والحياة باطل فثنى معاوية رجله من الركاب،
 ونزل واستصرخ بعك والاشعريين، فوقفوا دونه، وجالدوا عنه، حتى كره كل من الفريقين

صاحبه، وتحاجز الناس^(١). (١) ما من رزق الله من رزقه

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة

سمع أبو حازم امرأة حاجة ترفث في كلامها، فقال : يا أمة الله، ألت حاجة ! أ لا تتقين الله ! فسفرت عن وجه صبيح، ثم قالت له : أنا من اللواتي قال فيهن عمر بن أبي ربيعة :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وردت على الخدين بردا مهلهلا

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرئ المغفلا.

فقال أبو حازم : فأنا أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار. فبلغ ذلك سعيد بن

المسيب، فقال : رحم الله أبا حازم ! لو كان من عباد العراق، لقال لها : اعزبي يا عدوة الله ! ولكنه ظرف نساك الحجاز^(٢).

كتاب في اللزوم

قد صنع أبو العلاء المعري كتابا في اللزوم من نظمه، فأتى فيه بالجيد والردئ، وأكثره متكلف، ومن جيده قوله :

لا تطلبن بأكة لك حالة قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل^(٣).

حملوها يوم السقيفة أوزارا

قال شاعر من شعراء الشيعة :

حملوها يوم السقيفة أوزارا تخف الجبال وهي ثقال

ثم جاءوا من بعدها يستقبلون، وهيئات عشرة لا تقال !^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٥٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٢٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٣٥

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٦٨

عمر لا يعلم ان رسول الله يموت

لما مات رسول الله ﷺ، وشاع بين الناس موته، طاف عمر على الناس قائلاً : أنه لم يموت، ولكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه، وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، يزعمون أنه مات؟ فجعل لا يمر بأحد يقول إنه مات إلا ويخبطه ويتوعده، حتى جاء أبو بكر، فقال : أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد رب محمداً، فإنه حي لم يموت، ثم تلا قوله تعالى : (أ فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)، قالوا : فوالله لكأن الناس ما سمعوا هذه الآية حتى تلاها أبو بكر. وقال عمر : لما سمعته يتلوها هويت إلى الأرض، وعلمت أن رسول الله قد مات^(١).

رافضي عن كلاله

كتاب المسترشد لمحمد بن جرير الطبري، وليس هو محمد بن جرير صاحب، التاريخ، بل هو من رجال الشيعة وأظن أن أمه من بنى جرير من مدينة أمل طبرستان، وبنو جرير الامليون شيعة مستهترون بالتشيع، فنسب إلى أخواله، ويدل على ذلك شعر مروى له وهو :

بامل مولدي وبنو جرير فأخوالي ويحكى المرء خاله
فمن يك رافضياً عن أبيه فاني رافضي عن كلاله^(٢).

زعموها فلتة فاجئة

واعلم ان الشيعة لم تسلم لعمر أن بيعة أبي بكر كانت فلتة، قال محمد بن هاني المغربي : ولكن أمرا كان أبرم بينهم وإن قال قوم فلتة غير مبرم وقال آخر : زعموها فلتة فاجئة لا ورب البيت والركن المشيد انما كانت امورا نسجت بينهم اسبابها نسج البرود^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٧٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧

اكفف من غربك، واربع على ظلعك

لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مر بنعمان، فنزل فصلى ركعتين، ثم رفع يديه يدعو، فقال: اللهم إنك تعلم إنه لم يكن بلد أحب إلى من أن أعبدك فيه من البلد الحرام، وإنني لا أحب أن تقبض روحي إلا فيه، وإن ابن الزبير أخرجني منه، ليكون الأقوى في سلطانه. اللهم فأوهن كيده، واجعل دائرة السوء عليه: فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها، فقالوا: مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه أنت والله أحب إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك، هذه منازلنا تخيرها، فانزل منها حيث أحببت، فنزل منزلا، فكان يجلس إليه أهل الطائف بعد الفجر وبعد العصر، فيتكلم بينهم، كان يحمد الله ويذكر النبي ﷺ والخلفاء بعده، ويقول ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم ولا أشباههم ولا من يدانيهم، ولكن بقى أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون جلود الضان، تحتها قلوب الذئاب والتمور، ليظن الناس إنهم من الزاهدين في الدنيا، يراءون الناس بأعمالهم، ويسخطون الله بسرائرهم، فادعوا الله أن يقضى لهذه الأمة بالخير والاحسان، فيولى أمرها خيارها وأبرارها، ويهلك فجارها وأشرارها، ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسلوه ذلك، فيفعلون. فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إليه: أما بعد، فقد بلغني إنك تجلس بالطائف العصرين فتفتيهم بالجهل، تعيب أهل العقل والعلم، وإن حلمي عليك، واستدامتي فيك جراك على، فاكفف - لا أبا لغيرك - من غربك، وأربع على ظلعك، واعقل إن كان لك معقول، وأكرم نفسك فإنك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانا، ألم تسمع قول الشاعر: فففسك أكرمها فإنك إن تهن عليك فلن تلقى لها - الدهر - مكرما. وإنى أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغني عنك لتجدن جانبي خشنا، ولتجدننى إلى ما يردعك عنى عجلا، فرأيك، فإن أشفى بك شقاؤك على الردى فلا تلم إلا نفسك. فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد بلغني كتابك، قلت: إنى أفتى الناس بالجهل، وإنما يفتى بالجهل من لم يعرف من العلم شيئا، وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك. وذكرت إن حلمك عنى، واستدامتك فى جرأى عليك، ثم قلت: اكفف من غربك، واربع على ظلعك، وضربت لى الامثال، أحاديث الضبع، متى رأيتنى كعرامك هائبا، ومن حدك ناكلا! وقلت: لئن لم تكفف لتجدن جانبي خشنا، فلا أبقي الله عليك إن أبقيت، ولا أرعى عليك إن أرعيت! فوالله انتهى عن قول الحق، وصفة أهل العدل

والفضل، وذم الاخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، والسلام^(١).

لا ولكنها معقبة لك خزيا

تعرض عمرو بن العاص لعلى عليه السلام يوما من أيام صفين، وظن أنه يطمع منه في غرة فيصبيه، فحمل عليه على عليه السلام فلما كاد ان يخالطه أذرى نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه وشعر برجله، فبدت عورته، فصرف عليه السلام وجهه عنه وارث، وقام معفرا بالتراب، هاربا على رجله، معتصما بصفوفه. فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين، أفلت الرجل ا فقال أتدرون من هو؟ قالوا: لا، قال: فإنه عمرو بن العاص، تلقاني بسوءته، فصرفت وجهي عنه، ورجع عمرو إلى معاوية، فقال: ما صنعت يا أبا عبد الله؟ فقال: لقيني على فصرعني، قال: أحمد الله وعورتك، والله إنى لاظنك لو عرفته لما أقحمت عليه، وقال معاوية في ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبني على تركي برازى
فقد لاقى أبا حسن عليا فأب الوائلي مآب خازى
فلو لم يبد عورته لطارت بمهجته قوادم أي بازى
فإن تكن المنية أخطأته فقد غنى بها أهل الحجاز !
فغضب عمرو وقال: ما أشد تعظيمك عليا أبا تراب في أمرى ! هل أنا إلا رجل لقيه
ابن عمه فصرعه ! أفترى السماء قاطرة لذلك دما ! قال: لا ولكنها معقبة لك خزيا^(٢).

سيرة عمر مزراة على الولاة مفسدة للرعية

أشرف عبد الملك على أصحابه وهم يتذكرون سيرة عمر فغاظه ذلك وقال إيها عن ذكر سيرة عمر فإنها مزراة على الولاة مفسدة للرعية^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٦٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٥١

وضع الأحاديث في فضائل عثمان والشيخين

قال كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام قتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الأفاق ألا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واکرموهم واکتبوا لى بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجئ احد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيله أو منقبه الا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينئذ. ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبرا يرويه احد من المسلمين في أبي تراب الا وتأتونني بمناقض له في الصحابة فان هذا أحب إلى وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجد الناس في رواية ما يجرى هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر والقى إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيعة انه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة اخرى من اتهمته بمولاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدمو داره فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن

الرجل من شيعة علي عليه السلام لياتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان اعظم الناس في ذلك بلية القراء المرءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث إلى ايدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون انها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق احد من هذا القبيل الا وهو خائف على دمه أو طريد في الارض. ثم تفاقم الامر بعد قتل الحسين عليه السلام وولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه اهل النسك والصلاح والدين يبغض علي وموالاة اعدائه وموالاة من يدعى من الناس انهم أيضاً اعداؤه فاكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم واكثروا من الغض من علي عليه السلام وعبه والطعن فيه والشنان^(١).

اتهمك واتهم كاتبى

في رواية أن امير المؤمنين عليه السلام لما واقف عثمان على كتابه علي اهل مصر، قال عثمان : أما الخط فخط كاتبى، وأما الخاتم فعلى خاتمي، قال : فمن تتهم ؟ قال : اتهمك واتهم كاتبى، فخرج امير المؤمنين عليه السلام مغضباً، وهو يقول : بل بأمرك، ولزم داره، وبعد عن توسط أمره، حتى جرى عليه ما جرى.

وأعجب الامور قوله لامير المؤمنين عليه السلام : (إني اتهمك) وتظاهره بذلك وتلقيه إياه في وجهه بهذا القول، مع بعده من التهمة والظنة في كل شئ، وفي أمره خاصة، فإن القوم في الدفعة الاولى أرادوا أن يعجلوا له ما أخبروه، حتى قام امير المؤمنين عليه السلام بأمره وتوسطه وأصلحه، وأشار عليه بأن يقاربهم ويعينهم، حتى انصرفوا عنه، وهذا فعل النصيح المشفق الحذب المتحنن، ولو كان عليه السلام - وحوشى من ذلك - متهما عليه لما كان للتهمة عليه مجال في أمر الكتاب خاصة، لان الكتاب بخط عدوه مروان، وفي يد

غلام عثمان، ومحمول على بعيره، ومختوم بخاتمته، فأى ظن تعلق بأمير المؤمنين عليه السلام في هذا المكان، لو لا العداوة وقلة الشكر للنعمة !^(١)

مصادر الغلاة في غلوهم

قال أصحاب المقالات : واجتمع إلى عبد الله بن سبأ بالمدائن جماعة على هذا القول منهم عبد الله بن صبرة الهمداني، وعبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وآخرون غيرهما، وتفاقم أمرهم. وشاع بين الناس قولهم، وصار لهم دعوة يدعون إليها، وشبهة يرجعون إليها، وهى ما ظهر وشاع بين الناس، من إخباره بالمغيبات حالا بعد حال، فقالوا : إن ذلك لا يمكن أن يكون إلا من الله تعالى، أو من حلت ذات الاله في جسده، ولعمري إنه لا يقدر على ذلك إلا بإقدار الله تعالى إياه عليه، ولكن لا يلزم من إقداره إياه عليه أن يكون هو الاله، أو تكون ذات الاله حالة فيه، وتعلق بعضهم بشبهة ضعيفة، نحو قول عمر وقد فقأ على عين إنسان أُلحد في الحرم : ما أقول في يد الله، فقأت عينا في حرم الله ! ونحو قول على : والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، بل بقوة إلهية ونحو قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده) والذي هزم الأحزاب هو على بن أبى طالب، لانه قتل شجاعهم وفارسهم عمرا لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هارين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم.

وقد أوما بعض شعراء الامامية إلى هذه القالة، فجعلها من فضائله، وذلك قوله :

إذا كنتم ممن يرم لحاقه فهلا برزتم نحو عمر ومرحب

وكيف فررتم يوم أحد وخيبر ويوم حنين مهربا بعد مهرب

ألم تشهدوا يوم الاخاء ويعة الغدير وكل حضر غير غيب

فكيف غدا صنو النفيلى ويحه أميرا على صنو النبي المرجب !

وكيف علا من لا يطا ثوب أحمد على من علا من أحمد فوق منكب

إمام هدى ردت له الشمس جهرة فصلى أداء عصره بعد مغرب

ومن قبله أفنى سليمان خيله رجاء فلم يبلغ بها نيل مطلب
يجل عن الافهام كنه صفاته ويرجع عنها الدهن رجعة أخيب
فليس بيان القول عنه بكاشف غطاء، ولا فصل الخطاب بمعرب
وحق لقبر ضم اعضاء حيدر وغودر منه في صفيح مغيب
يكون ثراه سر قدس ممنوع وحصباؤه من نور وحى محجب
وتغشاء من نور الاله غمامة تغاديه من قدس الجلال بصيب
وتنقض أسراب النجوم عواكفا على حجرته كوكب بعد كوكب
فلولاك لم ينج ابن متى ولاخبا سعير لابراهيم بعد تلهب
ولا فلق البحر ابن عمران بالعصا ولا فرت الاحزاب عن اهل يثرب
ولا قبلت من عابد صلواته ولا غفر الرحمن زلة مذنب
ولم يغل فيك المسلمون جهالة ولكن لسر في علاك مغيب^(١).

اضر على الفجار من حريق النار

لم يلبث محمد بن أبى بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعا لهم، فقال: يا هؤلاء، إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا. فبعثوا إليه: إنا لا نفعل، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس، فلا تعجل علينا. فأبى عليهم، فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم. ثم كانت وقعه صفيين، وهم لمحمد هائبون، فلما أتاهم خبر معاوية وأهل الشام، ثم صار الامر إلى الحكومة، وأن عليا وأهل العراق قد قفلوا عن معاوية والشام إلى عراقهم اجترءوا على محمد بن أبى بكر، وأظهروا المنابذة له، فلما رأى محمد ذلك بعث إليهم ابن جمهان البلوى، ومعه يزيد بن الحارث الكناني فقاتلهم، فقتلوهما. ثم بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا. وخرج معاوية بن حديج من السكاسك يدعو إلى الطلب بدم عثمان، فأجابه القوم وناس كثير آخرون، وفسدت مصر على محمد بن أبى بكر، فبلغ عليا توثبهم عليه، فقال: ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين: صاحبنا الذي عزلنا بالامس - يعنى قيس بن سعد بن عباد - أو

أمره، فإن أمركم بالنفر فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فاقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى. وقد آثرتكم به على نفسي، نصيحة لكم، وشدة شكيمة على عدوكم، عصمكم الله بالهدى، وثبتكم بالتقوى، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى. والسلام عليكم ورحمة الله^(١).

من الشعر الذى ارتجزت به هند بنت عتبة يوم أحد

علت هند يومئذ صخرة مشرفة، وصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخى وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشى غليل صدري
فشكر وحشى علي عمرى حتى نرم أعظمي في قبري
فأجابتها هند بنت أئانة بن المطلب بن عبد مناف :

خزيت في بدر وغير بدر يا بنت غدار عظيم الكفر
أفحمتك الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي وعلي صقري
إذ رام شيب وأبوك قهرى فحضباً منه ضواحي النحر
ومن الشعر الذى ارتجزت به هند بنت عتبة يوم أحد :

شفيت من حمزة نفسي بأحد حين بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد من لوعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤ بوب برد نقدم إقداما عليكم كالأسد

أن عمر بن الخطاب قال لحسان : يا أبا الفريعة، لو سمعت ما تقول هند ! ولو رأيت شرها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال حسان : والله إنى لا أنظر إلى الحربه تهوى وأنا على فارغ - يعنى أطمه - فقلت : والله إن هذه لسلاح ليس بسلاح العرب، وإذا بها تهوى إلى حمزة ولا أدري، ولكن أسمعني بعض قولها

أكفيكموها، فأنشده عمر بعض ما قالت، فقال حسان يهجوها:

أشرت لكاع وكان عاداتها
أخرجت مرقصة إلى أحد
ثفقال لا حنراك به
أخرجت نائرة محاربة
وبعمك المتروك منجدلا
فرجعت صاغرة بلا ترة
وقال أيضاً يهجوها :

لمن سواقط ولدان مطرحة
باتت تمخض لم تشهد قوابلها
يظل يرجمه الصبيان منعفرا
باتت تفحص في بطحاء أجياد
إلا الوحوش وإلا جنة الوادي
وخاله وأبوه سيدا النادى^(١).

كلا لست من قتلة الملوك

قدم معاوية المدينة راجعاً من حجة حجها، فكثر الناس عليه في حوائجهم، فقال لصاحب إبله : قدم إبلك ليلا حتى ارتحل، ففعل ذلك، وسار ولم يعلم بأمره إلا عبد الله بن الزبير، فإنه ركب فرسه وقفاً أثره، ومعاوية نائم في هودجه، فجعل يسير إلى جانبه، فانتبه معاوية، وقد سمع وقع حافر الفرس، فقال : من صاحب الفرس؟ قال : أنا أبو خبيب، لو قد قتلتك منذ الليلة، يمازحه، فقال معاوية : كلا لست من قتلة الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره، فقال ابن الزبير : إلى تقول هذا، وقد وقفت في الصف بازاء علي بن أبي طالب، وهو من تعلم ! فقال معاوية : لا جرم ! إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها، فقال ابن الزبير : أما والله ما كان ذاك إلا في نصر عثمان فلم نجز به، فقال معاوية : خل هذا عنك، فوالله لو لا شدة بغضك ابن أبي طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع، فقال ابن الزبير : افعلتها يا معاوية ! أما إنا قد أعطيناك عهداً، ونحن وافون لك به ما دمت حياً، ولكن ليعلمن من بعدك، فقال

معاوية : أما والله ما أخافك إلا على نفسك، ولكأني بك وأنت مشدود مربوط في الانشودة، وأنت تقول : ليت أبا عبد الرحمن كان حيا، وليتني كنت حيا يومئذ، فأحلك حلا رفيقا، ولبس المطلق والمعق والمسنون عليه أنت يومئذ !^(١).

أتكفر برب كان يؤمن به عثمان

أن عمارا نازع الحسن بن علي عليهما السلام في أمر عثمان فقال عمار : قتل عثمان كافرا، وقال الحسن عليه السلام : قتل مؤمنا، وتعلق بعضهما ببعض، فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال : ماذا تريد من ابن أخيك؟ فقال : إني قلت كذا، وقال كذا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أتكفر برب كان يؤمن به عثمان ! فسكت عمار، وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط أن عثمان لما نقم عليه ضربه عمارا احتج لنفسه، فقال : جاءني سعد وعمار، فأرسلا إلى أن ائتنا، فإننا نريد أن نذكرك أشياء فعلتها، فأرسلت إليهما : إني مشغول، فأنصرفا، فمعدكما يوم كذا، فأنصرف سعد وأبي عمار أن ينصرف، فأعدت الرسول إليه فأبى أن ينصرف، فتناوله بغير أمرى، ووالله ما أمرت به ولا رضيت، وها أنا، فليقتص منى. قال : وهذا من أنصف قول وأعدله^(٢).

ما في عثمان بحمد الله أشك، لكنى أشك في قاتله

وروى عن حذيفة أنه كان يقول : ما في عثمان بحمد الله أشك، لكنى أشك في قاتله، لا أدري أ كافر قتل كافرا، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله، وهو أفضل المؤمنين إيمانا ! فأما ما رواه من منازعة الحسن عليه السلام عمارا في ذلك، وترافعهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فهو أولا غير دافع لكون عمار مكفرا له، بل شاهد بذلك من قوله عليه السلام، ثم إن كان الخبر صحيحا فالوجه فيه أن عمارا كان يعلم من لحن كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وعدوله عن أن يقضى بينهما بصريح من القول أنه متمسك بالتقية، فأمسك عمار متابعة لغرضه^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٨

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥١

أما إن ولي أمرهم حملهم على المحجة البيضاء

قال ابن عباس : كنت عند عمر فتنفس نفساً ظننت أن أضلاعه قد انفرجت فقلت ما أخرج هذا النفس منك : إلا هم شديد ! قال إى والله يا ابن عباس ! إنى فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدى ! ثم قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلاً قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه ! قال صدقت ، ولكنه امرؤ فيه دعابه ، قلت : فأين أنت عن طلحة قال ذو البأو وبإصبعة المقطوعة ! قلت : فعبد الرحمن ؟ قال : رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته قلت : فالزبير ؟ قال شكس لقس بلاطم في النقيع في صاع من بر ! قلت : فسعد بن أبي وقاص ؟ قال صاحب سلاح ومقنب ، قلت : فعثمان ؟ قال أوه ! ثلاثاً ، والله لئن وليها ليحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس ، ثم لتنهض العرب إليه . ثم قال : يا ابن عباس ، إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا خفيف العقدة ، قليل الغرة لا تأخذه في الله لومة لائم ثم يكون شديداً من غير عنف لنا من غير ضعف سخيا من غير سرف ممسكا من غير وكف قال : ثم أقبل على بعد أن سكت هنيهة وقال : أجرؤهم والله إن وليها أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبينهم لصاحبك ! أما إن ولي أمرهم حملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم^(١) .

خطبة للإمام على خالية من حرف الالف

وهي خطبة رواها كثير من الناس له عليه السلام خالية من حرف الالف ، قالوا : تذاكر قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي حروف الهجاء أدخل في الكلام ؟ فأجمعوا على الالف ، فقال على عليه السلام : حمدت من عظمت منته ، وسبغت نعمته ، وسبقت غضبه رحمته ، وتمت كلمته ، ونفذت مشيئته ، وبلغت قضيته ، حمدته حمد مقر بربوبيته ، متخضع لعبوديته ، متنصل من خطيئته ، متفرد بتوحيده ، مؤمل منه مغفرة تنجيته ، يوم يشغل عن فصيلته وبنيه . ونستعينه ونسترشده ونستهديه ، ونؤمن به ونتوكل عليه ، وشهدت له شهود مخلص موقن ، وفردته تفريداً مؤمناً متيقناً ، ووحدته توحيداً عبد مدعناً ، ليس له شريك في ملكه ، ولم يكن له ولي في صنعه ، جل عن مشير ووزير ، وعن عون معين ونصير ونظير . علم فستر ، وبطن فخبر ، وملك فقهر ، وعصى فغفر ، وحكم فعدل ، لم يزل ولن يزل ،

(ليس كمثله شيء)، وهو بعد كل شيء رب متعزز بعزته، متمكن بقوته، متقدس بعلوه، متكبر بسموه، ليس يدركه بصر، ولم يحط به نظر، قوى منيع، بصير سميع، رؤوف رحيم. عجز عن وصفه من يصفه، وضل عن نعته من يعرفه. قرب فبعد، وبعد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفي، وبطش قوى، ورحمة موسعة، وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة موقنة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة. وشهدت ببعث محمد رسوله، وعبداه وصفيه، ونبيه ونجيه، وحببيه وخليله، بعثه في خير عصر، وحين فترة وكفر، رحمة لعبيده، ومنة لمزيده، ختم به نبوته، وشيد به حجته، فوعظ ونصح، وبلغ وكدح، رؤوف بكل مؤمن، رحيم سخى، رضى ولى زكى، عليه رحمة وتسليم، وبركة وتكريم، من رب غفور رحيم، قريب مجيب. وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم، وذكرتكم بسنة نبيكم، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تدرى دموعكم، وتقية تنجيكم قبل يوم تبليكم وتذهلكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخف وزن سيئته، ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع، وشكر وخشوع، بتوبة وتورع، وندم ورجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه، وشيئته قبل هرمه، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل تكبر وتهرم وتسقم، يمله طبيبه، ويعرض عنه حبيبه، وينقطع غمده، ويتغير عقله، ثم قيل: هو موعوك، وجسمه منهوك، ثم جد في نزع شديد، وحضره كل قريب وبعيد، فشخص بصره، وطمح نظره، ورشح جبينه، وعطف عرينه، وسكن حنينه، وحزنته نفسه، وبكته عرسه، وحفر رسمه، ويثم منه ولده، وتفرق منه عدده، وقسم جمعه، وذهب بصره وسمعته، ومدد وجرده، وعرى وغسل، ونشف وسجى، وبسط له وهى، ونشر عليه كفته، وشد منه ذقنه، وقمص وعمم، وودع وسلم، وحمل فوق سرير، وصلى عليه بتكبير، ونقل من دور مزخرقة، وقصور مشيدة، وحجر منجدة، وجعل في ضريح ملحود وضيق مرصود، بلبن منضود، مسقف بجلمود، وهيل عليه حفرة، وحشى عليه مدره، وتحقق حذره، ونسى خبره، ورجع عنه وليه وصفيه، ونديمه ونسيبه، وتبدل به قرينه وحبيبه، فهو حشو قبر، ورهين قفر، يسعى بجسمه دود قبره، ويسيل صديده من منخره، يسحق تربة لحمه، وينشف دمه، ويرم عظمه حتى يوم حشره، فنشر من قبره حين ينفخ في صور، ويدعى بحشر ونشور. فثم بعثت قبور، وحصلت سريرته صدور، وجئ بكل نبي وصديق وشهيد، وتوحد للفصل قدير بعبده خبير بصير، فكم من زفرة تضنيه، وحسرة تنضيه، في موقف مهول، ومشهد جليل، بين يدي

ملك عظيم، وبكل صغير وكبير عليم، فحينئذ يلجمه عرقه، ويحصره قلقه، عبرته غير مرحومة، وصرخته غير مسموعة، وحجته غير مقولة، زالت جريدته، ونشرت صحيفته، نظر في سوء عمله، وشهدت عليه عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وفرجه بلمسه، وجلده بمسه، فسلسل جيده، وغلت يده، وسيق فسحب وحده، فورد جهنم بكرب وشدة، فظل يعذب في جحيم، ويسقى شربه من حميم، تشوى وجهه، وتسليخ جلده، وتضربه زنيه بمقمع من حديد، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد، يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم، ويستصرخ فيلبث حقة يندم. نعوذ برب قدير، من شر كل مصير، ونسأله عفو من رضى عنه، ومغفرة من قبله، فهو ولى مسألتي، ومنجح طلبتي، فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنته بقربه، وخلد في قصور مشيدة، وملك بجور عين وحفدة، وطيف عليه بكئوس، أسكن في حظيره قدوس، وتقلب في نعيم، وسقى من تسليم، وشرب من عين سلسبيل، ومزج له بزنجبيل، مختم بمسك وعبير، مستديم للملك، مستشعر للسرور، يشرب من خمور، في روض مغدق، ليس يصدع من شربه، وليس ينزف هذه منزلة من خشى ربه، وحذر نفسه معصيته، وتلك عقوبة من جحد مشيته، وسولت له نفسه معصيته، فهو قول فصل، وحكم عدل وخبر قصص قص، ووعظ نص، (تنزيل من حكيم حميد) نزل به روح قدس مبين، على قلب نبي مهتد رشيد، صلت عليه رسل سفرة، مكرمون بررة، عدت برب عليم، رحيم كريم، من شر كل عدو لعين رجيم، فليتضرع منضرعكم، وليتهل مبتهلكم، وليستغفر كل مربوب منكم لى ولكم، وحسبي ربي وحده^(١).

أرفع طرفك، فقد أدال الله عمرا منك

عن صعصعة بن صوحان، أن أبرهة بن الصباح الحميرى قام بصفين، فقال: ويحكم يا معشر أهل اليمن! إنى لاظن الله قد أذن بفنائكم! ويحكم خلوا بين الرجلين، فليقتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا - وكان أبرهة من رؤساء أصحاب معاوية - فبلغ قوله عليا عليه السلام فقال: صدق أبرهة! والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشد سرورا منى بهذه الخطبة! قال: وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخر آخر الصفوف وقال

لمن حوله : إنى لاظن أبرهة مصابا في عقله. فأقبل أهل الشام يقولون والله إن أبرهة لاكملنا دينا وعقلا، ورأيا وبأسا، ولكن الامير كره مبارزة على، وسمع ما دار من الكلام أبو داود عروة ابن داود العامري - وكان من فرسان معاوية - فقال : إن كان معاوية كره مبارزة أبي حسن، فأنا أبارزه، ثم خرج بين الصفيين، فنادى : أنا أبو داود فابرز إلى يا أبا حسن، فتقدم على ﷺ نحوه، فناداه الناس : ارجع يا أمير المؤمنين عن هذا الكلب فليس لك بخطر، فقال : والله ما معاوية اليوم بأغيب لى منه، دعوني وإياه ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين، سقطت إحدهما يمنية والاخرى شامية فارتج العسكران لهول الضربة، وصرخ ابن عم لابي داود : واسوء صباحاه ! وقبح الله البقاء بعد أبي داود ! وحمل على على ﷺ، فطعنه فضرب الرمح فبراه، ثم قنعه ضربة فألحقه بأبي داود، ومعاوية واقف على التل، يبصر ويشاهد، فقال : تبا لهذه الرجال وقبحا ! أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة، أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع ! فقال الوليد بن عقبة : ابرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته، فقال : والله لقد دعاني إلى البراز حتى لقد استحييت من قريش، وإنى والله لا أبرز إليه، ما جعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقاية، له فقال عتبة بن أبي سفيان : الهوا عن هذا كأنكم لم تسمعوا نداءه فقد علمتم أنه قتل حريشا، وفضح عمرا ولا أرى أحدا يتحكك به إلا قتله. فقال معاوية لبسر بن أرطاة : أتقوم لمبارزته ؟ فقال : ما أحد أحق بها منك، أما إذ بيتموه فأنا له، قال معاوية : إنك ستلقاه غدا في أول الخيل وكان عند بسر ابن عم له قدم من الحجاز يخطب ابنته، فأتى بسرا، فقال له : إنى سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز عليا، أما تعلم أن الوالى من بعد معاوية عتبة ثم بعده محمد أخوه، وكل من هؤلاء قرن على، فما يدعوك إلى ما أرى ! قال : الحياء، خرج منى كلام، فأنا أستحيى أن أرجع عنه. فضحك الغلام، وقال :

تنازله يا بسر إن كنت مثله	وإلا فإن الليث للشاء آكل
كأنك يا بسر بن أرطاة جاهل	بآثاره في الحرب أو متجاهل
معاوية الوالى وصنواه بعده	وليس سواء مستعار وثاكل
أولئك هم أولى به منك إنه	على فلا تقربه، أمك هابل !
متى تلقه فالموت في رأس رمحه	وفي سيفه شغل لنفسك شاغل
وما بعده في آخر الخيل عاطف	ولا قبله في أول الخيل حامل

فقال بسر : هل هو إلا الموت ، لا بد من لقاء الله فغدا على ﷺ منقطعا من خيله ،
 ويده في يد الاشتر وهما يتسايران رويدا يطلبان التل ليقفاه عليه إذ برز له بسر مقنعا في
 الحديد ، لا يعرف فناده ابرز إلى أبا حسن ، فانحدر إليه على تؤده غير مكترث به حتى إذا
 قاربه طعنه وهو دارع فألقاه إلى الارض ، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه ، فاتقاه بسر
 بعورته ، وقصد أن يكشفها ، يستدفع بأسه ، فانصرف عنه ﷺ مستديرا له فعرفه الاشتر
 حين سقط فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بسر بن أرطاة ، هذا عدو الله وعدوك ، فقال :
 دعه عليه لعنة الله ، أبعده أن فعلها ! فحمل ابن عم بسر من أهل الشام ، شاب ، على
 على ﷺ ، وقال :

أرديت بسرا والغلام ثائره أرديت شيخا غاب عنه ناصره
 * وكلنا حام لبسر واتره *

فلم يلتفت إليه على ﷺ ، وتلقاه الاشتر فقال :

له في كل يوم رجل شيخ شاغره وعورة وسط العجاج ظاهره
 تبرزها طعنة كف واتره عمرو وبسر منيا بالفاقره
 فطعنه الاشتر ، فكسر صلبه ، وقام بسر من طعنة على ﷺ موليا ، وفرت خيله ، وناداه
 على ﷺ : يا بسر ، معاوية كان أحق بها منك ، فرجع بسر إلى معاوية فقال له معاوية :
 أرفع طرفك ، فقد أدال الله عمرا منك ، وقال الشاعر في ذلك :

أفى كل يوم فارس تندبونه	له عورة تحت العجاجة ياديه
يكف بها عنه على سنانه	ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه	وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا	سبيلكما ، لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما	هما كانتا للنفس والله واقيه
فلولاهما لم تنجوا من سنانه	وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحه	وفيهما على فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا تبلغ القنا	ونار الوغى ، إن التجارب كافييه
وإن كان منه بعد للنفس حاجة	فعودا إلى ما شئتما هي ماهيه

قال : فكان بسر بعد ذلك اليوم، إذا لقي الخيل التي فيها على يتحى ناحيه، وتحامى فرسان الشام بعدها عليا عليه السلام (١).

والله ليكون ما قال

في تاريخ أحمد بن طاهر أن الرشيد أرسل إلى يحيى بن خالد وهو في محبسه يقرعه بذنوبه، ويقول له : كيف رأيت ! ألم أخرب دارك؟ ألم أقتل ولدك جعفرًا؟ ألم أنهب مالك؟ فقال يحيى للرسول : قل له : أما إخراجك داري فستخرب دارك، وأما قتلك ولدي جعفر فسيقتل ولدك محمد، وأما نهبك مالي فسينهب مالك وخزانتك. فلما عاد الرسول إليه بالجواب وجم طويلا وحزن، وقال : والله ليكونن ما قال، فإنه لم يقل لى شيئا قط إلا وكان كما قال، فاخربت داره - وهى الخلد - في حصار بغداد، وقتل ولده محمد، ونهب ماله، وخزانته، نهبها طاهر بن الحسين (٢).

انا لا اصدق ذلك، ولا يسكن قلبى إليه

فان قلت الرواية التى رواها الطبري في حديث الايام الثلاثة، انما كانت قبل البيعة لان لفظ الخبر عن ابراهيم، وانه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائبا فجاء بعد ثلاث، ولم يتجرئ احد أن يكشف عن وجهه صلى الله عليه وسلم حتى اربد بطنه، فكشف عن وجهه وقبل عينيه، وقال بابى انت وامى طبت حيا وطبت ميتا، ثم خرج إلى الناس، فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات الحديث بطوله. قلت لعمرى إن الرواية هكذا اوردها، ولكنها مستحيلة، لان ابا بكر فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حى، ومضى إلى منزله بالسنع في يوم الاثنين، وهو اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لانه رآه بارثا صالح الحال هكذا روى الطبري في كتابه وبين السنع وبين المدينة نصف فرسخ، بل هو طائفة من المدينة، فكيف يبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء لا يعلم به أبو بكر، وبينهما غلوة ثلاثة اسهم وكيف يبقى طريحا بين اهله ثلاثة ايام لا يجترئ احد منهم أن يكشف عن وجهه، وفيهم على بن ابى طالب وهو روحه بين جنبيه، والعباس عمه القائم مقام ابيه، وابنا فاطمة، وهما كولديه، وفيهم فاطمة بضعة منه، افما كان في هؤلاء من

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٩٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٥٢

يكشف عن وجهه، ولا من يفكر في جهازه، ولا من يانف له من انتفاخ بطنه واخضرارها وينتظر بذلك حضور ابي بكر ليكشف عن وجهه انا لا اصدق ذلك، ولا يسكن قلبي إليه والصحيح إن دخول ابي بكر إليه وكشفه عن وجهه، وقوله ما قال، انما كان بعد الفراغ من البيعة، وانهم كانوا مشغولين بها كما ذكر في الرواية الاخرى^(١).

بشر الكانزين بعذاب اليم

روى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم وأسانيدهم أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول : بشر الكانزين بعذاب اليم، ويتلو قول الله تعالى : (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) فرفع ذلك مروان إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر نائلا مولاه : أن انته عما يبلغني عنك، فقال : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله ! فوالله لان أرضى الله بسخط عثمان أحب إلى وخير لى من أن أسخط الله برضاه. فأغضب عثمان ذلك، وأحفظه فتصابر^(٢).

في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها

وقام خيشمة، أبو سعد بن خيشمة فقال يا رسول الله، إن قريشا مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومن اتبعها من أحابيشها ثم جاؤونا قد قادوا الخيل، واعتلوا الابل حتى نزلوا بساحتنا، فيحسروننا في بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافرین لم يكلموا، فيجرئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا، ويصيبوا أطلالنا ويضعوا العيون والارصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئ علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبهم عن حريمنا، وعسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الاخرى، فهي الشهادة. لقد اخطأتني وقعة بدر، وقد كنت عليها حريصا، لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمه، فرزق الشهادة وقد كنت حريصا على الشهادة، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٣٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥٤

الجنة وأنها رها، وهو يقول الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا، وقد و الله يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سنى، ودق عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة، ومرافقة سعد في الجنة، فدعا له رسول الله بذلك، فقتل بأحد شهيدا^(١).

اعور يبغى أهله محلا

لما دفع على ﷺ الرايه يوم صفين إلى هاشم بن عتبة، قال له رجل من أصحابه من بكر بن وائل أقدم هاشم ! يكررها. ثم قال : مالك يا هاشم ! قد انتفخ سحرك ! أعورا وجبنا ! قال : من هذا ؟ قالوا : فلان، قال : أهلها وخير منها، إذا رأيتني قد صرعت فخذها ثم قال لأصحابه : شدوا شسوع نعالكم، وشدوا ازركم، فإذا رأيتموني قد هزرت الرايه ثلاثا، فاعلموا أن أحدا منكم لا يسبقنى إلى الحملة. ثم نظر إلى عسكر معاوية، فرأى جمعا عظيما، فقال : من أولئك ؟ قيل : أصحاب ذى الكلاع، ثم نظر فرأى جندا، فقال من أولئك ؟ قيل : قريش وقوم من أهل المدينة فقال : قومي، لا حاجه لى في قتالهم، من عند هذه القبة البيضاء ؟ قيل : معاوية وجنده، قال : فإنى أرى دونهم أسودة، قيل : ذاك عمرو بن العاص وابناه ومواليه، فأخذ الرايه فهزها، فقال رجل من أصحابه : البث قليلا ولا تعجل، فقال هاشم :

قد أكثرا لومى وما أقلنا إنى شريت النفس لن أعتلا
أعور يبغى أهله محلا قد عالج الحياه حتى ملا
لابد أن يفل أو يفلا أشلهم بذى الكعوب شلا
مع ابن عم احمد المعلى أول من صدقه وصللى^(٢)

وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم

لما كاشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم واطهر بغضهم وعابهم، وهم بما هم به في أمرهم، ولم يذكر رسول الله ﷺ في خطبه، لا يوم الجمعة ولا غيرها، عاتبه على ذلك قوم من خاصته، وتشاءموا بذلك منه، وخافوا عاقبته، فقال : والله ما تركت ذلك علانية

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٢٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١٠

إلا وأنا أقوله سرا وأكثر منه، لكنني رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره اشترأبوا وحمرت ألوانهم، وطالت رقابهم، والله ما كنت لاتي لهم سرورا وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا، فإني لا أقتل منهم إلا أنما كفارا سحارا، لا أنماهم الله ولا بارك عليهم، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر، والله ما ترك نبي الله فيهم خيرا، استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس. فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال: وفقك الله يا أمير المؤمنين! أنا أول من أعانك في أمرهم، فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي، فقال: والله ما قلت صوابا، ولا هممت برشد، أرهط رسول الله ﷺ تعيب، وإياهم تقتل، والعرب حولك! والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره. فقال: اجلس أبا صفوان فلست بناموس. فبلغ الخبر عبد الله بن العباس، فخرج مغضبا ومعه ابنه حتى أتى المسجد، فقصده قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس، إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ﷺ ولا آخر، فيا عجب كل العجب لافتراءه ولكذبه، والله إن أول من أخذ الأيلاف وحمى عيرات قريش لهاشم، وإن أول من سقى بمكة عذبا، وجعل باب الكعبة ذهابا لعبد المطلب، والله لقد نشأت ناشتتنا مع ناشئة قريش، وإن كنا لقاتلهم، إذا قالوا، وخطباءهم إذا خطبوا، وما عد مجد كمجد أولنا، ولا كان في قريش مجد لغيرنا، لأنها في كفر ماحق، ودين فاسق، وضلة وضلالة، في عشواء عمياء، حتى اختار الله تعالى لها نورا، وبعث لها سراجا، فانتجبه طيبا من طيبين، لا يسبه بمسبة، ولا يبغى عليه غائلة، فكان أحدنا وولدنا، وعمنا وابن عمنا. ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحدا بعد واحد. ثم إنا لخير الناس بعده وأكرمهم أدبا، وأشرفهم حسبا، وأقربهم منه رحما. وا عجبنا كل العجب لابن الزبير! يعيب بنى هاشم، وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم، أما والله إنه لمسلوب قريش، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبد المطلب، قيل للبعل: من أبوك يا بعل؟ فقال: خالي الفرس. ثم نزل^(١).

لى عليك وعلى كل المسلمين حقا برسول الله ﷺ

وروى عبد الله بن عمر قال : كنت عند أبي يوما ، وعنده نفر من الناس فجرى ذكر الشعر ، فقال من أشعر العرب فقالوا : فلان وفلان فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس فقال عمر قد جاءكم الخبير من أشعر الناس يا عبد الله ؟ قال : زهير ابن أبي سلمى قال فأنشدني مما تستجيده له . فقال : يا أمير المؤمنين إنه مدح قوما من غطفان ، يقال لهم بنو سنان فقال

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا مرزءون بها ليل إذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم لا بنزع الله منهم ماله حسدوا

. فقال عمر والله لقد أحسن وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول الله ﷺ فقال ابن عباس : وفقك الله يا أمير المؤمنين فلم تزل موفقا ، فقال : يا ابن عباس ، أتدرى ما منع الناس منكم ؟ قال لا يا أمير المؤمنين قال لكنى أدري قال ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجحفوا جحفا فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت فقال ابن عباس : أيमित أمير المؤمنين عنى غضبه فيسمع ! قال : قل ما تشاء قال أما قول أمير المؤمنين : إن قريشا كرهت ، فإن الله تعالى قال لقوم (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم). وأما قولك : (إنا كنا نجحف) فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ الذى قال الله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) وقال له (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين). وأما قولك (فإن قريشا اختارت) فإن الله تعالى يقول : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار ، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت قريش. فقال عمر : على رسلك يا بن عباس أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول وحقدا عليها لا يحول فقال ابن عباس : مهلا يا أمير المؤمنين ! لا تنسب هاشما إلى الغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذى طهره الله وزكاه وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

تطهيراً) وأما قولك (حقدا) فكيف لا يتخذ من غضب شيثه ويراها في يد غيره !، فقال عمر : أما أنت يا بن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي، قال : وما هو يا أمير المؤمنين أخبرني به فإن يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقا فإن منزلتي عندك لا تزول به. قال : بلغني إنك لا تزال تقول : أخذ هذا الأمر منك حسدا وظلما قال أما قولك يا أمير المؤمنين (حسدا) فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة فنحن بنو آدم المحسود. وأما قولك ظلما فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو !. ثم قال يا أمير المؤمنين، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فنحن أحق برسول الله من سائر قريش. فقال له عمر : قم الآن فارجع إلى منزلتك. فقام فلما ولى هتف به عمر : أيها المنصرف إني على ما كان منك لراع حقا !. فالتفت ابن عباس فقال : إن لى عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقا برسول الله ﷺ فمن حفظ فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع ثم مضى. فقال عمر لجلسائه واهما لابن عباس ما رأيته لاحى أحدا قط إلا خصمه !^(١).

أعمى البصر، أعمى القلب

وأثبت ذلك عندنا أبو خثيمة خرج برسول الله ﷺ، وركب فرسه، فسلك به في بني حارثة، ثم أخذ في الأموال حتى مر بحائط مربع بن قيطي، وكان أعمى البصر منافقا، فلما دخل رسول الله ﷺ حائطه، قام يحثى التراب في وجوه المسلمين، ويقول إن كنت رسول الله فلا تدخل حائطي، فلا أحله لك. قال محمد بن إسحاق : وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب، وقال : والله لو أعلم أنى لأصيب غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. قال الواقدي : فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوس يده فشججه في رأسه، فنزل الدم، فغضب له بعض بني حارثة ممن هو على مثل رأيه، فقال : هي على عداوتكم يا بني عبد الأشهل، لا تدعونها أبدا لنا فقال أسيد بن حضير : لا والله، ولكن نفاقكم، والله لو لا إني لا أدري ما يوافق النبي ﷺ لضربت عنقه وعنق من هو على مثل رأيه. قال : ونهاهم النبي ﷺ عن الكلام فاسكتوا. وقال محمد بن إسحاق : قال رسول الله ﷺ : دعوه،

فإنه أعمى البصر، أعمى القلب، يعنى مربع بن قبيظي^(١).

صفية بنت عبد المطلب تقف على ولدها

عن صفية بنت عبد المطلب، قالت : كنا قد رفعنا يوم أحد في الآطام، ومعنا حسان بن ثابت، وكان من أجبن الناس، ونحن في فارغ، فجاء نفر من يهود يرومون الاطم، فقلت : دونك يا بن الفريعة، فقال لا والله لا أستطيع القتال، ويصعد يهودي إلى الاطم، فقلت شد على يدى السيف، ثم برئت، ففعلت فضربت عنق اليهودي ورميت برأسه إليهم، فلما رأوه انكشفوا، قالت : وإنى لفي فارغ أول النهار مشرفة على الاطم، فرأيت المزراق، فقلت أومن سلاحهم المزاريق ! أفلا أراه هوى إلى أخي ولا أشعر ! ثم خرجت آخر النهار حتى جئت رسول الله ﷺ، وقد كنت أعرف انكشاف المسلمين وأنا على الاطم برجوع حسان إلى أقصى الاطم، فلما رأى الدولة للمسلمين اقبل حتى وقف على جدار الاطم. قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ومعى نسوة من الانصار لقيته وأصحابه أوزاع، فأول من لقيت علي ابن أخي فقال : ارجعي يا عمة، فإن في الناس تكشفا، فقلت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال : صالح، قلت : أدلني عليه حتى أراه، فأشار إليه إشارة خفية، فانتهيت إليه وبه الجراحة^(٢).

هل تستطيع أن تزاحمه في غيره من خصائصه

روت عائشة انهم اختلفوا في غسله هل يجرد ام لا فالقى الله عليهم السنة حتى ما منهم رجل الا وذقنه على صدره، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لا يدري من هو : غسلوا النبي وعليه ثيابه فقاموا إليه فغسلوه، وعليه قميصه فكانت عائشة تقول لو استقبلت من امرى ما استدبرت ما غسله الا نساؤه

قلت حضرت عند محمد بن معد العلوى في داره ببغداد، وعنده حسن بن معالى الحلبي المعروف بابن الباقلوى وهما يقرآن هذا الخبر، وهذه الاحاديث من تاريخ الطبري فقال محمد بن معد لحسن بن معالى : ما تراها قصدت بهذا القول قال حسدت اباك على ما كان يفتخر به من غسل رسول الله ﷺ فضحك محمد فقال هبها استطاعت أن تزاحمه

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٢٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ١٥

في الغسل، هل تستطيع أن تزاحمه في غيره من خصائصه^(١).

أول ذل دخل على العرب

وروى أبو جعفر، قال : قال ابن عباس رحمه الله : أول ذل دخل على العرب موت الحسن عليه السلام^(٢).

واخترت الذي هو أفضل

فيمن فارق عليا عليه السلام والتحق بمعاويد يزيد بن حجية التيمي، من بني تميم بن ثعلبة بن بكر بن وائل، وكان عليه السلام قد استعمله على الري ودستبني، فكسر الخوارج، واحتجج المال لنفسه، فحبسه على عليه السلام، وجعل معه سعدا مولاه، فقرب يزيد ركائبه، وسعد نائم، فالتحق بمعاوية وقال :

خادعت سعدا وارتمت بي ركائبى إلى الشام واخترت الذي هو أفضل
وغادرت سعدا نائما في عباءة وسعد غلام مستهام مضلل
ثم خرج حتى أتى الرقة، وكذلك كان يصنع من يفارق عليا عليه السلام، يبدأ بالركة حتى يستأذن معاوية في القدوم عليه، وكانت الرقة والرها وقرقيسيا وحران من حيز معاوية، وعليها الضحاك بن قيس، وكانت هيت وعانات ونصيبين ودارا وآمد وسنجان من حيز علي عليه السلام، وعليها الاشر، وكانا يقتلان في كل شهر.
وقال يزيد بن حجية وهو بالركة يهجو عليا عليه السلام :

يا طول ليلى بالرقات لم أنم من غير عشق صبت نفسي ولا سقم
لكن لذكر أمور جملة طرقت أخشى على الاصل منها زلة القدم
أخشى عليا عليهم أن يكون لهم مثل العقور الذى عفى على إرم

وسبقني وإياك إلى الجنة

قال الوليد بن عقبة لعقيل في مجلس معاوية : غلبك أخوك يا أبا يزيد على الثروة !
قال : نعم، وسبقني وإياك إلى الجنة، قال : أما والله إن شذقيه لمضمومان من دم

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٠

عثمان، فقال : وما أنت وقريش ! والله ما أنت فينا إلا كمنطرح التيس. فغضب الوليد وقال : والله لو أن أهل الارض اشتركوا في قتله لارهقوا صعودا، وإن أخاك لاشد هذه الامة عذابا، فقال : صه ! والله إنا لنرغب بعبد من عبده عن صحبة أبيك عقبه ابن أبي معيط^(١).

فلو كنت بمكة لاريتك كبر أبيك.

روى جرير بن عبد الحميد، عن محمد بن شيبه قال : شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليا عليه السلام، فنالا منه، فبلغ ذلك على ابن الحسين عليه السلام، فجاء حتى وقف عليهما، فقال : أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله، فحكم لابي علي أيبك، وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لاريتك كبر أيبك^(٢).

لو كنت في فم أسد لدخلت معك

وقد روى أن عروة بن الزبير كان يقول : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يزهو إلا على بن أبي طالب وأسامة بن زيد عن يحيى بن عروة، قال : كان أبي إذا ذكر عليا نال منه. وقال لى مرة : يا بنى، والله ما أحجم الناس عنه إلا طلبا للدنيا، لقد بعث إليه أسامة بن زيد أن ابعث إلى بعطائي، فوالله إنك لتعلم أنك لو كنت في فم أسد لدخلت معك. فكتب إليه : إن هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن لى مالا بالمدينة فأصب منه ما شئت. قال يحيى : فكنت أعجب من وصفه إياه بما وصفه به، ومن عيبه له وانحرافه عنه^(٣).

فغطوا على صماخه

روى المسيب بن نجبة الفزارى، قال : قال على عليه السلام : من وجدتموه من بنى أمية في ماء فغطوا على صماخه، حتى يدخل الماء في فيه^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٢

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٤

فرجعت نادمة ساقطة

جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها : يا بنت أبي أمية، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ﷺ، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ يقسم لنا من بيتك، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك، فقالت أم سلمة : لا مر ما قلت هذه المقالة، فقالت عائشة : إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائما في شهر حرام، وقد عزمتم على الخروج إلى البصرة ومعى الزبير، وطلحة، فاخرجى معنا، لعل الله أن يصلح هذا الامر على أيدينا بنا، فقالت أم سلمة : إنك كنت بالامس تحرضين على عثمان، وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلا، وإنك لتعرفين منزلة على بن أبي طالب عند رسول الله ﷺ، أفاذكرك؟ قالت : نعم، قالت : أتذكرين يوم أقبل ﷺ ونحن معه، حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال، خلا بعلى يناجيه، فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما، فنهيتك فعصيتني، فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكيد، فقلت : ما شأنك؟ فقلت : إنى هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعلى، ليس لى من رسول الله إلا يوم من تسعة، أيام، أفما تدعني يا بن أبي طالب ويومى ! فأقبل رسول الله ﷺ على، وهو غضبان محمر الوجه، فقال : ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتى ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الايمان، فرجعت نادمة ساقطة ! قالت عائشة : نعم أذكر ذلك^(١).

علي يقتل الحويرث بن معبد

وأما الحويرث بن معبد وهو من ولد قصي بن كلاب - فإنه كان يؤذى رسول الله ﷺ بمكة، فأهدر دمه، فبينما هو في منزله يوم الفتح وقد اغلق عليه بابه جاء على ﷺ يسأل عنه، فقيل له : هو في البادية، وأخبر الحويرث أنه جاء يطلبه وتنحى على ﷺ عن بابه فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى بيت آخر، فلتقاه على ﷺ فضرب عنقه^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢١٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠

تلقى من يحج من النساء

خرج شريك وهو على قضاء الكوفة يتلقى الخيزران، وقد أقبلت تريد الحج، وقد كان استقضى وهو كاره، فأتى شاهی، فأقام بها ثلاثا، فلم تواف، فخف زاده وما كان معه، فجعل يبيله بالماء ويأكله بالملح، فقال العلاء بن المنهال الغنوی :

فإن كان الذي قد قلت حقا بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك موضعا في كل يوم تلقى من يحج من النساء
مقيما في قرى شاهی ثلاثا بلا زاد سوى كسر وماء^(١).

جد الاصمعي يتقرب ببغض امير المؤمنين

إن انسانا وقف للحجاج - ويقال انه جد الاصمعي عبد الملك بن قريب - فصاح به ايها الامير إن اهلي عقونى فسمونى عليا وانى فقير بائس وانا إلى صلة الامير محتاج فتضحك له الحجاج وقال للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا^(٢).

فعبج على ﷺ من شعره واستحسنه

أن أم سلمة كتبت إلى على ﷺ من مكة : أما بعد، فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة، يريدون أن يخرجوا بعائشه إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز، ويذكرون أن عثمان قتل مظلوما، وإنهم يطلبون بدمه، والله كافيهم بحوله وقوته، ولو لا مانهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك، والنصرة لك، ولكني باعته نحوك ابني، عدل نفسي عمر بن أبى سلمة، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا. قال : فلما قدم عمر على على السلام أكرمه، ولم يزل مقيما معه حتى شهد مشاهده كلها، ووجهه أميرا على البحرين. وقال لابن عم له : بلغني أن عمر يقول الشعر، فابعث إلى من شعره، فبعث إليه بأبيات له أولها :

جزتك أمير المؤمنين قرابة رفعت بها ذكرى جزاء موفرا

فعبج على ﷺ من شعره واستحسنه^(٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٤٦

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢١٩

اقاموا لكل قائم مائلا

وضعت البكرية لصاحبها احاديث في مقابلة هذه الاحاديث نحو (لو كنت متخذاً خليلاً) فانهم وضعوه في مقابله حديث الاخاء ونحو سد الابواب فانه كان لعلي عليه السلام فقلبت البكرية إلى ابى بكر ونحو (اتتوني بدواة وبياض اكتب فيه لابي بكر كتابا لا يختلف عليه اثنان) ثم قال (يا بى الله تعالى والمسلمون الا ابا بكر) فانهم وضعوه في مقابلة الحديث المروى عنه في مرضه (اتتوني بدواة وبياض اكتب لكم ما لا تضلون بعده ابدا) فاختلفوا عنده وقال قوم منهم لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله ونحو حديث (انا راض عنك فهل انت عنى راض) ونحو ذلك فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية اوسعوا في وضع الاحاديث فوضعوا حديث الطوق الحديد الذى زعموا انه قتله في عنق خالد وحديث اللوح الذى زعموا انه كان في غدائر الحنفية ام محمد وحديث (لا يفعلن خالد ما أمر به) وحديث الصحيفة التى علقت عام الفتح بالكعبة وحديث الشيخ الذى صعد المنبر يوم بويج أبو بكر فسبق الناس إلى بيعته واحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من اكابر الصحابة والتابعين الاولين وكفرهم وعلى ادون الطبقات فيهم فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة في على وفي ولديه ونسبوه تارة إلى ضعف العقل وتارة إلى ضعف السياسة وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه واجترحاه ولقد كان في فضائل على عليه السلام الثابتة الصحيحة وفضائل ابى بكر المحققة المعلومة ما يغنى عن تكلف العصبية لهما فان العصبية لهما اخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوئ والمقايح ونسال الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحب العصبية وأن يجرينا على ما عودنا من حب الحق اين وجد وحيث كان سخط ذلك من سخط ورضى به من رضى^(١).

انى رجل ضخم، فلا يهولنكم مسقطي إذا سقطت

قال هاشم ابن عتبة يوم مقتله بصيفين : أيها الناس ، انى رجل ضخم ، فلا يهولنكم مسقطي إذا سقطت ، فإنه لا يفرغ منى أقل من نحر جزور ، حتى يفرغ الجزار من جزرها . ثم حمل فصرع ، فمر عليه رجل وهو صريع بين القتلى ، فناداه : اقرأ على أمير المؤمنين

السلام، وقل له : بركات الله ورحمته عليك يا أمير المؤمنين، أنشدك الله إلا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بارجل القتلى، فإن الدبرة تصبح غدا لمن غلب على القتلى. فأخبر الرجل علياً عليه السلام بما قاله، فسار في الليل بكتائبه حتى جعل القتلى خلف ظهره، فأصبح والدبرة له على أهل الشام^(١).

وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص

كان بسر من الأبطال الطغاة، وكان مع معاوية بصفين، فأمره أن يلقي علياً عليه السلام في القتال، وقال له : إني سمعتك تتمنى لقاءه، فلو أظفرك الله به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رأى علياً في الحرب، فقصده، والتقى فصرعه على عليه السلام، وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص في كشف السواة

فقد روي أن بسر بن أرطاة بارز علياً يوم صفين، فطعنه على عليه السلام فصرعه، فأنكشف له، فكف عنه، كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص. قال : وللشعراء فيهما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب، منها فيما ذكر ابن الكلبي والمدائني قول الحارث بن نصر الخثعمي، وكان عدوا لعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة

أفى كل يوم فارس لك ينتهى	وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه على سنانه	ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقتع رأسه	وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا	لنفسكما، لاتلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا خصاكما	هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه	وتلك بما فيها إلى العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحه	وفيهما على فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا	نحوركما إن التجارب كافيه ^(٢) .

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣١٢

نسب آل الزبير

إن آل الزبير بن العوام من أرض مصر من القبط وليسوا من بني اسد بن عبد العزى قال الهيثم بن عدى في كتاب (مثالب العرب) إن خويلد بن اسد بن عبد العزى كان أتى مصر ثم انصرف منها بالعوام فتبناه فقال حسنان بن ثابت يهجو آل العوام بن خويلد بنى اسد

ما بأل خويلد يحنون شوقا كل يوم إلى القبط
متى يذكروا قهقى يحنوا لذكرها وللرمث المقرون والسمك الرقط
عيون كامثال الزجاج وضعه تخالف كعبا في لحي كثة نط
يرى ذاك في الشبان والشيب منهم مينا وفي الاطفال والجلة الشمط
لعمر ابى العوام إن خويلدا غداة تبناه ليوثق في الشرط^(١).

درة عمر أهيب من سيف الحجاج

أول من ضرب عمر بالدرة أم فروة بنت أبي قحافة، مات أبو بكر فراح النساء عليه، وفيهن أخته أم فروة، فنهاهن عمر مرارا، وهن يعاودن، فأخرج أم فروة من بينهن، وعلاها بالدرة فهرين وتفرقن.

كان يقال : درة عمر أهيب من سيف الحجاج. وفي الصحيح أن نسوة كن عند رسول الله ﷺ قد كثر لغطهن، فجاء عمر فهرين هيبة له، فقال لهن : يا عديات أنفسهن ! أتهبنتى ولا تهبن رسول الله ! قلن : نعم، أنت أغلظ وأفظ^(٢).

ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبيل بعد

روى عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف، في إسناده أنه كان في بيت المال بالمدينة سفظ فيه حلى وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه فيه بكل كلام شديد، حتى أغضبوه، فخطب فقال : لناخذن حاجتنا من هذا الفئ، وإن رغمت به أنوف أقوام ! فقال له على ﷺ : إذن تمنع من

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٦٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨١

ذلك، ويحال بينك وبينه، فقال عمار : أشهد الله أن أنفى أول راغم من ذلك، فقال عثمان : أعلى يا بن ياسر تجترئ ! خذوه، فأخذ، ودخل عثمان، فدعا به فضربه حتى غشى عليه، ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة رضى الله تعالى عنها، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى، وقال : الحمد لله، ليس هذا أول يوم أودينا في الله تعالى ! فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان عمار حليفاً لبني مخزوم - : يا عثمان، أما على فاتقيته، وأما نحن فاجترأت علينا، وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، أما والله لئن مات لاقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم الشأن ! فقال عثمان : وإنك لها هنا يا بن القسرية، قال : فإنهما قسريتان - وكانت أم هشام وجدته قسريتين من بجيلة - فشتمه عثمان، وأمر به فأخرج، فإتى به أم سلمة رضى الله تعالى عنها، فإذا هي قد غضبت لعمار، وبلغ عائشة رضى الله تعالى عنها ما صنع بعمار، فغضبت أيضاً، وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ، ونعلا من نعاله، وثوباً من ثيابه، وقالت : ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبيل بعد !

وروى آخرون أن السبب في ذلك أن عثمان مر بقبر جديد، فسأل عنه، فقيل : عبد الله بن مسعود، فغضب على عمار لكتمانه إياه موته، إذ كان المتولي للصلاة عليه، والقيام بشأنه، فعنها وطى عثمان عماراً حتى أصابه الفتق

وروى آخرون أن المقداد وعماراً وطلحة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عددوا فيه أحداث عثمان، وخوفوه به، وأعلموه أنهم موثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمار الكتاب، فأتاه به. فقرأ منه صدراً، ثم قال له : أعلى تقدم من بينهم ! فقال : لاني أنصحهم لك، قال : كذبت يا بن سمية ! فقال : أنا والله ابن سمية، وابن ياسر ! فأمر عثمان غلماناً له، فمدوا يديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه - وهى في الخفين - على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشى عليه^(١).

كم بين من شك في عقيدته

وقالوا إن بكربا وشيعيا تجادلا، واحتكما إلى بعض أهل الذمة ممن لاهوى له مع أحد الرجلين في التفضيل، فأنشدهما :

كم بين من شك في عقيدته وبين من قيل انه الله! (١)

ما الشيء الملفف في البجاد؟

قال معاوية للاحنف: يا أبا بحر، ما الشيء الملفف في البجاد؟ فقال: السخينة، وإنما كنى معاوية عن رمى بنى تميم بالنهم وحب الاكل، بقول القائل:

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بتمر أو بسمن أو الشيء الملفف في البجاد
تراه يطوف في الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

وأراد الشاعر وطب اللبن، فقال الاحنف: هو السخينة، لان قريشا كانت تعير بأكل السخينة قبل الاسلام، لان أكثر زمانها كان زمان قحط والسخينة ما يسخن بالنار ويذر عليه دقيق، وغلب ذلك على قريش حتى سميت سخينة، قال حسان:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب (٢)

فدع له ما في يده

كان النبي ﷺ قد بعث أبا سفيان ساعياً فرجع من سعائته، وقد مات رسول الله ﷺ، فلقبه قوم فسألهم، فقالوا: مات رسول الله صلى الله عليه، فقال: من ولى بعده؟ قيل: أبو بكر، قال: أبو فضيل! قالوا: نعم، قال: فما فعل المستضعفان: علي والعباس! أما والذي نفسي بيده لارفعن لهما من اعضادهما.

وأن أبا سفيان قال شيئاً آخر لم تحفظه الرواة فلما قدم المدينة قال: إنى لارى عجاجة لا يطفئها إلا الدم! قال: فكلم عمر أبا بكر، فقال: إن أبا سفيان قد قدم، وأنا لا نامن شره، فدع له ما في يده، فتركه فرضى.

وروى أحمد بن عبد العزيز أن أبا سفيان، قال لما بويع عثمان: كان هذا الامر في تيم، وأنى لتيم هذا الامر! ثم صار إلى عدى فأبعد وأبعد، ثم رجعت إلى منازلها، واستقر الامر قراره، فتلقفوها تلقف الكرة (٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ١٨

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٤

ما كان يحكم إلا عن نص وتوقيف

لو قد استوت قدمای من هذه المداحض لغيرت اشیاء.
لسنا نشك إنه كان يذهب في الاحكام الشرعية والقضايا إلى اشیاء يخالف فيها أقوال الصحابة، نحو قطعه يد السارق من رءوس الاصابع، وبيعه أمهات الاولاد، وغير ذلك، وإنما كان يمنعه من تغيير أحكام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج، وإلى ذلك يشير بالمداحض التي كان يؤمل استواء قدميه منها، ولهذا قال لقضاته: (اقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة)، فلفظة (حتى) - هاهنا مؤذنة بأنه فسح لهم في اتباع عاداتهم في القضايا والاحكام التي يعهدونها إلى أن يصير للناس جماعة، وما بعد (إلى) و (حتى) ينبغى أن يكون مخالفا لما قبلهما. فأما أصحابنا فيقولون: إنه كان فيما يحاول أن يحكم بين الناس مجتهدا، ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته. والامامية تقول: ما كان يحكم إلا عن نص وتوقيف، ولا يجوز لاحد من الناس مخالفته^(١).

أقنع بعيشك

وقال الشاعر:

أقنع بعيشك ترضه واترك هواك وأنت حر

فلرب حتف فوقه ذهب وياقوت ودر

وقال آخر:

إلى متى أنا في حل وترحال من طول سعى وإدبار وإقبال!

وتنازع الدار لا أنفك مغتربا عن الا حبه لا يدرون ما حالى

بمشرق الارض طورا ثم مغربها لا يخطر الموت من حرص على بالى

ولو قنعت أتانى الرزق في دعة أن القنوع الغنى لا كثرة المال^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٦١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٦٣

أربعة تحتاج إلى أربعة

أردشير بن بابك : أربعة تحتاج إلى أربعة : الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمن، والقراة إلى المودة، والعقل إلى التجربة. الاسكندر : لا تحتقر الرأي الجزيل من الحقير، فإن الدررة لا يستهان بها لهوان غائصها^(١).

العاقل الحازم

بزرجمهر : العاقل الحازم إذا اشكل عليه الرأي بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب، ثم التمسها حتى وجدها، وكذلك العاقل يجمع وجوه الرأي في الامر المشكل، ثم يضرب بعضها في بعض حتى يستخلص الرأي الا صوب^(٢).

فلعلك شربته ؟

قال : وروى هند بن القاسم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال : احتجم رسول الله ﷺ، ثم دفع إلى دمه، فقال : اذهب به فواره حيث لا يراه أحد، فذهبت به فشربته، فلما رجعت قال : ما صنعت ؟ قلت : جعلته في مكان اظن إنه أخفى مكان عن الناس، فقال : فلعلك شربته ؟ فقلت : نعم^(٣).

خرج إلى الحجاج ابنائه : خبيب وحمزة

عن المنذر بن الجهم الاسلمي، قال : رأيت ابن الزبير، وقد خذله من معه خذلانا شديدا، وجعلوا يخرجون إلى الحجاج، خرج إليه منهم نحو عشرة آلاف، وذكر إنه كان ممن فارقه، وخرج إلى الحجاج ابنائه : خبيب وحمزة، فأخذنا من الحجاج لانفسهما أمانا^(٤).

كلام الجاحظ في ان الناس لا تخلوا من العيوب

قال الجاحظ ومتى يقدر الناس - حفظك الله - على رجل مسلم من كل ابنة ومبرأ من كل آفة في جميع آبائه وامهاته واسلافه واصهاره حتى تسلم له اخواله واعمامه وخالاته

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٤١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٤٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٠٩

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١١٨

وعماته واخواته وبناته وامهات نسائه وجميع من يناسبه من قبل جداته واجداده واصهاره واختانه ولو كان ذلك موجودا لما كان لنسب رسول الله ﷺ فضيله في النقاء والتهديب وفي التصفية والتنقيح قال رسول الله ﷺ (ما مسنى عرق سفاح قط وما زلت انقل من الاصلاب السليمة من الصوم والارحام البريئة من العيوب) فلنا نقضى لاحد بالنقاء من جميع الوجوه الا لنسب من صدقة القرآن واختاره الله على جميع الانام والا فلا بد من شئ يكون في نفس الرجل أو في طرفيه أو في بعض اسلافه أو في بعض اصهاره ولكنه يكون مغطى بالصالح ومحجوبا بالفضائل ومغمورا بالمناقب^(١).

محمد بن ابن بكر وذكر ولده

أم محمد بن أبي بكر، أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم، كانت تحت جعفر بن أبي طالب، وهاجرت معه إلى الحبشة، فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد، ثم قتل عنها يوم مؤتة، فخلف عليها أبو بكر الصديق، فأولدها محمداً، ثم مات عنها، فخلف عليها علي بن أبي طالب، وكان محمد ربيبه وخريجه، وجاريا عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أبا غير علي، ولا يعتقد لاحد فضيله غيره، حتى قال علي ﷺ : محمد ابني من صلب أبي بكر،

وكان محمد من نساك قريش، وكان ممن أعان علي عثمان في يوم الدار، واختلف : هل باشر قتل عثمان أم لا. ومن ولد محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر فقيه الحجاز وفاضلها، ومن ولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، كان من فضلاء قريش ويكنى أبا محمد، ومن ولد القاسم أيضاً أم فروة، تزوجها الباقر أبو جعفر محمد بن علي، فأولدها الصادق أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما والسلام، وإلى أم فروة أشار الرضى أبو الحسن بقوله :

يفاخرننا قوم بمن لم نلدهم بتيم إذا عد السوابق أو عدى
وينسون من لو قدموه لقدموا عذار جواد في الجياد مقلد
فتى هاشم بعد النبي وباعها لمرمى علا أو نيل مجد وسودد

ولو لا على ما علوا سرواتها ولا جمعجوا فيها بمرعى ومورد
أخذنا عليكم بالنبي وفاطم طلاع المساعي من مقام ومقعد
وظلنا بسبطي أحمد ووصيه رقاب الورى من متهمين ومنجد
وحزنا عتيقا وهو غاية فخركم بمولد بنت القاسم بن محمد
فجد نبى ثم جد خليفة فأكرم بجدينا : عتيق وأحمد
وما افتخرت بعد النبي بغيره يد صفت يوم البياع على يد
قوله : ولو لا على ما علوا سرواتها. البيت ينظر فيه إلى قول المأمون في أبيات يمدح
فيها عليا، أولها :

أم على حبي الوصي أبا الحسن وذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن
والبيت المنظور إليه منها قوله :

ولولاه ما عدت لهاشم إمرة وكان مدى الايام يعصى ويمتهن
وكان يكنى أبا القاسم في قول ابن قتيبة وقال غيره : بل كان يكنى أبا عبد
الرحمن^(١).

ولم نزد نحن في سر وفي علن على مقاتنا الله يكفينا

وقال الشاعر

لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى نواب هذا الدهر
ام كيف يحذر يرى الشئ مما يتقى فيخافه وما لا يرى مما يقى الله اكثر
وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله اجدى من توقينا وعاده الله في الاعداء تكفينا
كاد الاعدادي فما ابقوا ولا تركوا عيبا وطعنا وتقيحا وتهجينا
ولم نزد نحن في سر وفي علن على مقاتنا الله يكفينا
وكان ذاك ورد الله حاسدنا بغيظه لم ينل مامله فينا^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٥٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٨٦

حب رمان عملنا في خراجه بالعدل

وجد في خزانة بعض الاكاسرة سفظ ففتح فوجد فيه حب الرمان كل حبة كالنواة الكبيرة من منوى المشمش وفي السفظ رقعة فيها هذا حب رمان عملنا في خراجه بالعدل^(١).

خير خلق الله بعد المصطفى

قلت في الارجوزة التي شرحت فيها عقيدة المعتزلة
وخير خلق الله بعد المصطفى اعظمهم يوم الفخار شرفا
السيد المعظم الرصي بعل البتول المرتضى على^(٢).

مضر مضرها الله في النار

قرات في كتاب غريب الحديث لابي محمد عبد الله بن قتيبة في حديث حذيفة بن اليمان انه ذكر خروج عائشة فقال : تقاتل معها مضر مضرها الله في النار وازد عمان سلت الله اقدمها وإن قيسا لن تنفك تبغى دين الله شرا حتى يركبها الله بالملائكة فلا يمنعوا ذنب تلعه^(٣).

واكتحلت ابصارهم بالتراب

واخذ المتنبى قوله عليه السلام (واكتحلت ابصارهم بالتراب) فقال :
يدفن بعضنا بعضا ويمشى او اخرنا على هام الاوالى
وكم عين مقبلة النواحي كحيل بالجنادل والرمال
ومغض كان لا يغضى لخطب وبال كان يفكر في الهزال^(٤).
اشعار في وصف الموت واحوال الموتى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٢٠

(٣) شرح نهج البلاغة - ج ١١ ص ١٢١

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٦٣

ومما يناسب ما ذكر من حال الانسان قول الشاعر:
 بينا الفتى مرح الخطا فرحا بما يسعى له إذ قيل قد مرض الفتى
 إذ قيل بات بليلة ما نامها إذ قيل اصبح مثقلا ما يرتجى
 إذ قيل امسى شاخصا وموجها إذ قيل فارتهم وحل به الردى
 وقال أبو النجم العجلي:

والمرء كالحالم في المنام يقول انى مدرك امامى
 في قابل ما فاتني في العام والمرء يذنيه إلى الحمام
 مر الليالى السود والايام إن الفتى يصبح للاسقام
 كالغرض المنسوب للسهام اخطا رام واصاب رام
 . وقال عمران بن حطان:

ا في كل عام مرضه ثم نقهه وينعى ولا ينعى متى ذا إلى متى
 ولا بد من يوم يجئ وليلة يسوقان حتفا راح نحوك أو غدا .

وقال عبده بن الطبيب - ويعجبني قوله على الحال التي كان عليها فانه كان اسود
 لصا من لصوص بنى سعد بن زيد مناه بن تميم:

ولقد علمت بان قصرى حفرة غبراء يحملنى إليها شرجم
 فبكى بناتى شجوهن وزوجتى والاقربون إلى ثم تصدعوا
 وتركت في غبراء يكره وردها تسفى على الريح ثم اودع
 إن الحوادث يخترمن وانما عمر الفتى في اهله مستودع

ونظير هذه الايات في رويها وعروضها قول متمم بن نويرة اليربوعي:

ولقد علمت ولا محالة انى للحادثات فهل ترينى اجزع
 اهلكن عادا ثم آل محرق فتركهنم بلدا وما قد جمعوا

ولهن كان الحارثان كلاهما ولهن كان اخو المصانع تبع
 فعددت آبائى إلى عرق الثرى فدعوتهم فعلمت أن لم يسمعوا
 ذهبوا فلم ادركهم ودعتهم غول اتوها والطريق المهيع

لا بد من تلف مصيب فانتظر ابارض قومك ام باخرى تصرع
ولياتين عليك يوم مرة يبكي عليك مقنعا لا تسمع^(١)
قصبة على راسها رقعة

كان محمد بن عبد الله بن طاهر في قصره ببغداد على دجلة فإذا بحشيش على وجه
الماء في وسطه قصبة على راسها رقعة فامر بها فوجد هذا تاه الاعيرج واستولى به البطر
فقل لخير ما استعملته الحذر احسنت ظنك بالايام إذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به
القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر فلم ينتفع بنفسه
اياما^(٢).

كان عمر يفتي كثيرا بالحكم ثم ينقضه

كان عمر يفتي كثيرا بالحكم ثم ينقضه، ويفتي بضده وخلافه، قضى في الجدمع
الاخوة قضايا كثيرة مختلفة، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال: من أراد أن
يتقحم جرائم جهنم فليقل في الجدمع برأيه^(٣).

كان يحمي الشرف لابله وكانت ألف بعير

كان عثمان يحمي الربذة والشرف والبقيع، فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس،
ولا لبنى أمية حتى كان آخر الزمان، فكان يحمي الشرف لابله وكانت ألف بعير، ولا بل
الحكم بن أبي العاص، ويحمي الربذة لابل الصدقة، ويحمي البقيع لخيل المسلمين
وخيله وخيل بنى أمية^(٤).

فهل فتحت الموضع المقفلا

ورد إن المرأة قالت للرجل القاعد منها مقعد القابلة لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا
بحقه، فقام عنها وتركها.

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٦٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٧١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨١

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٩

وقد أخذ الصاحب بن عباد هذه اللفظة، فقال لابي العلاء الاسدي الاصفهاني، وقد دخل بزوجة له بكر :

قلبي على الجمرة يا أبا العلاء فهل فتحت الموضوع المقفلاً !

وهل فضضت الكيس عن ختمه وهل كحلت الناظر الاحولاً !

وأنشد الفرزدق في سليمان بن عبد الملك شعراً قال فيه :

دفعن إلى لم يطمئن قبلي وهن أصبح من بيض النعام

فبتن بجانبى مصرعات وبت أفض أغلاق الختام.

فاستنكر سليمان ذلك وقال له : قد أقررت بالزنا، فلاجلدتك، فقال : إني شاعر،

وإن الله يقول في الشعراء : (وأنهم يقولون ما لا يفعلون)، وقد قلت ما لم أفعل قال سليمان : نجوت بها (١).

حتى سمعنا صوت المساحي

قال أبو جعفر وقد روت عمرة بنت عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة، عن عائشة قالت ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي في جوف الليل ليلة الاربعاء قلت وهذا أيضاً من العجائب، لانه إذا مات يوم الاثنين وقت ارتفاع الضحى - كما ذكر في الرواية - ودفن ليلة الاربعاء وسط الليل، فلم يمض عليه ثلاثة ايام كما ورد في تلك الرواية.

وايضا فمن العجب كون عائشة، وهو في بيتها لا تعلم بدفنه حتى سمعت صوت المساحي، اترأها اين كانت وقد سالت عن هذا جماعة، فقالوا لعلها كانت في بيت يجاور بيتها عندها نساء كما جرت عادة اهل الميت؛ وتكون قد اعتزلت بيتها وسكنت ذلك البيت، لان بيتها مملوء بالرجال من اهل رسول الله ﷺ وغيرهم من الصحابة، وهذا قريب، ويحتمل أن يكون.

قال الطبري : ونزل في قبر رسول الله ﷺ على بن ابي طالب ﷺ، والفضل بن عباس، وقثم اخوه، وشقران مولاهم. وقال اوس بن خولى لعلى ﷺ انشدك الله يا على

وحظنا من رسول الله ﷺ فقال له انزل، فنزل مع القوم، واخذ شقران قطيفة كان رسول الله ﷺ يلبسها، فقذفها معه في القبر، وقال لا يلبسها احد بعده

قلت من تأمل هذه الاخبار، علم أن علياً ﷺ كان الاصل والجملة والتفصيل في امر رسول الله ﷺ وجهازه، الا ترى أن اوس بن خولى لا يخاطب احدا من الجماعة غيره، ولا يسأل غيره في حضور الغسل والنزول في القبر ثم انظر إلى كرم علي ﷺ وسجاجة اخلاقه وطهارة شيمته، كيف لم يضمن بمثل هذه المقامات الشريفه؛ عن اوس وهو رجل غريب من الانصار، فعرف له حقه واطلبه بما طلبه فكم بين هذه السجبة الشريفة، وبين قول من قال لو استقبلت من امرى ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ الا نساؤه ولو كان في ذلك المقام غيره من اولى الطباع الخشنة، وارباب الفظاظ والغلظة، وقد سأل اوس ذلك - لجزر وانتهر ورجع خائباً^(١).

هبار بن الاسود

وأما هبار بن الاسود، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه واله) أمر أن يحرقه بالنار، ثم قال: إنما يعذب بالنار رب النار، اقطعوا يديه ورجليه إن قدرتم عليه، ثم اقلوه، وكان جرمه أن نخس زينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت، وضرب ظهرها بالرمح وهى حبلى، فأسقطت، فلم يقدر المسلمون عليه يوم الفتح، فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة أطلع هبار بن الاسود قائلاً: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فقبل النبي ﷺ إسلامه، فخرجت سلمى مولاة النبي ﷺ فقالت: لا أنعم الله بك عينا! أنت الذى فعلت وفعلت! فقال رسول الله ﷺ وهبار يعتذر إليه؟ إن الاسلام محا ذلك، ونهى عن التعرض له. قال الواقدي: قال ابن عباس رضى الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ وهبار يعتذر إليه وهو يطأطئ رأسه استحياء مما يعتذر هبار ويقول له: قد عفوت عنك^(٢).

إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

كان قزمان من المنافقين، وكان قد تخلف عن أحد، فلما أصبح غيره نساء بنى ظفر،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٣٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠

فقلن يا قزمان، قد خرج الرجال وبقيت إستحي يا قزمان، ألا تستحي مما صنعت ما أنت إلا امرأة، خرج قومك وبقيت في الدار فأحفظنه فدخل بيته، فأخرج قوسه وجعبته وسيفه - وكان يعرف بالشجاعة - وخرج يعدو، حتى إنتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يسوى صفوف المسلمين، فجاء من خلف الصف، حتى انتهى إلى الصف الاول، فكان فيه، وكان أول من رمى بسهم من المسلمين، جعل يرسل نبلا كأنها الرماح، وإنه ليكت كتيت الجمل ثم صار إلى السيف، ففعل الافاعيل، حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه. وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره قال: من أهل النار. قال: فلما انكشف المسلمون، كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار. يا للاوس قاتلوا على الاحساب، واصنعوا مثل ما أصنع قال: فيدخل بالسيف وسط المشركين، حتى يقال قد قتل، ثم يطلع فيقول أنا الغلام الظفري، حتى قتل منهم سبعة، وأصابته الجراحة، وكثرت فيه، فوقع فمر به قتادة بن النعمان، فقال له: أبا الغيداق، قال قزمان: لبيك، قال: هنيئا لك الشهادة قال قزمان: إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين، ما قاتلت إلا على الحفاظ، أن تسير قريش إلينا فتطأ سعفنا، قال: فأذته الجراحة فقتل نفسه، فقال النبي ﷺ: (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر^(١)).

لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم

جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلا من بنى هاشم، منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، وحصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم، وقال: لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم، أو أحرقكم بالنار، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار، فالتزمه ابن مسور بن مخزومة الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بغسول وثياب بيض، فاغتسل وتلبس وتحنط، لا يشك في القتل، وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فلما نزلوا ذات عرق، تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون: يا محمد، يا محمد! وقد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم، فاستخلصوا محمد بن

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٣٤

الحنفية ومن كان معه، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادى : من كان يرى إن الله عليه حقا فليشم سيفه، فلا حاجة لى بأمر الناس، إن أعطيتها عفوا قبلتها، وإن كرهوا لم نبتزهم أمرهم. وفي شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن :

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم إنه غير ظالم
سمى النبي المصطفى وابن عمه وحمال أثقال وفكاك غارم
تخبر من لاقيت إنك عائد بل العائد المحبوس في سجن عارم^(١).

خلهم يعملون

لما توفى عبد الله بن أبي رأس المنافقين في حياة رسول الله ﷺ وسلم جاء ابنه وأهله فسألوا رسول الله ﷺ وسلم أن يصلى عليه فقام بين يدي الصف يريد ذلك فجاء عمر فجذبه من خلفه وقال ألم ينهك الله أن تصلى على المنافقين فقال إنى خبرت فاخترت فقبل لى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) ولو أنى أعلم أنى إذا زدت على السبعين غفر له لزدت ثم صلى رسول الله عليه ومشى معه وقام على قبره. فعجب الناس من جرأة عمر على رسول الله ﷺ، فلم يلبث الناس إلا أن نزل قوله تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره..) فلم يصل ﷺ بعدها على احد من المنافقين. وروى أبو هريرة قال كنا قعودا حول رسول الله ﷺ في نفر فقام من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقطع دوننا فقمنا وكنت أول من فزع فخرجت أبتغيه حتى أتيت حائطا للانصار لقوم من بنى النجار، فلم أجد له بابا إلا ربيعا فدخلت في جوف الحائط - والربيع الجدول - فدخلت منه بعد أن احتفرته فإذا رسول الله ﷺ فقال أبو هريرة ! قلت : نعم، قال : ما شأنك؟ قلت : كنت بين أظهرنا فقمتم فأبطأت عنا، فخشينا أن تقطع دوننا ففزعنا - وكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفرته كما يحتفر الثعلب، والناس من ورائي فقال يا أبا هريرة اذهب بنعلى هاتين، فمن لقيته وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة فخرجت فكان أول من لقيت عمر، فقال : ما هذان النعلان؟ قلت : نعلا رسول الله ﷺ

بعثنى بهما وقال : من لقيته يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة. فضرب عمر في صدري فخررت لاستي، وقال : ارجع إلى رسول الله ﷺ. فأجهشت بالبكاء راجعاً، فقال رسول الله : ما بالك ؟ قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثني به فضرب صدري ضربة خررت لاستي، وقال ارجع إلى رسول الله. فخرج رسول الله فإذا عمر، فقال : ما حملك يا عمر على ما فعلت فقال عمر أنت بعثت أبا هريرة بكذا قال : نعم، قال : فلا تفعل فاني أخشى أن يتكل الناس عليها فيتركوا العمل خلعهم يعملون فقال رسول الله ﷺ : خلعهم يعملون^(١).

إذا كان الامراء بنى أمية والوزراء بنى مخزوم

عن المسور بن مخزوم، قال : لقي عبد الرحمن ابن عوف عمر بن الخطاب، فقال : ألم تكن نقرأ من جملة القرآن : قاتلوهم في آخر الامر كما قاتلتموهم في أوله ؟ قال : بلى، ولكن ذاك إذا كان الامراء بنى أمية والوزراء بنى مخزوم!^(٢).

هات فلندع على من ظلمنا

عن المسيب بن نجبة، قال : بينا على ﷺ يخطب إذ قام أعرابي، فصاح : وا مظلمتاه ! فاستدناه على ﷺ، فلما دنا قال له : إنما لك مظلمة واحدة، وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر. قال : وفي رواية عباد بن يعقوب، أنه دعاه فقال له : ويحك ! وأنا والله مظلوم أيضاً، هات فلندع على من ظلمنا^(٣).

الحجاج في البصرة

خرج الناس عن الكوفة، وأتى الحجاج البصرة، فكان أشد عليهم إلحاحاً، وقد كان أتاهم خبره بالكوفة، فتحمل الناس قبل قدومه. وأتاه رجل من بنى يشكر، وكان شيخاً أعور، يجعل على عينه العوراء صوفة، فكان يلقب ذا الكرسفة، فقال : أصلح الله الامير ا إن بي فتقا، وقد عذرتني بشر بن مروان، وقد رددت العطاء، فقال : إنك عندي لصادق،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٥٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٦

ثم أمر به فضربت عنقه، ففي ذلك يقول كعب الاشقري - أو الفرزدق:

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة تقرر منها بطن كل عريف

ويروى عن أبي البثر، قال: إنا لتتغدى معه يوما، إذ جاءه رجل من بنى سليم برجل يقوده، فقال: أصلح الله الأمير! إن هذا عاص، فقال له الرجل: أنشدك الله أيها الأمير في دمي! فوالله ما قبضت ديوانا قط، ولا شهدت عسكريا قط، وإنى لحائك، أخذت من تحت الحف فقال: اضربوا عنقه. فلما أحس بالسيف سجد، فلحقه السيف وهو ساجد، فأمسكنا عن الأكل، فأقبل علينا، وقال: ما لى أراكم قد صفرت أيديكم، واصفرت وجوهكم، وحد نظركم من قتل رجل واحد! ألا إن العاصي يجمع خلا لا، يخل بمركزه، ويعصى أميره، ويغر المسلمين، وهو أجير لهم، وإنما يأخذ الأجرة لما يعمل، والوالى مخير فيه، إن شاء قتل، وإن شاء عفا^(١).

ضرب الحكماء مثالا لفرط الطمع

إن رجلا صاد قبره فقالت: ما تريد أن تصنع بى؟ قال: أذبحك وأكلك، قالت: والله ما أشفى من قرم، ولا أشبع من جوع، ولكنى أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى، أما واحدة فأعلمك إياها وأنا في يدك، وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة، أما الثالثة فإذا صرت على الجبل. فقال: هاتى الأولى، قالت: لا تلهفن على ما فات، فخلاها، فلما صارت على الشجرة قال: هاتى الثانية، قالت: لا تصدقن بما لا يكون إنه يكون، ثم طارت، فصارت على الجبل، فقالت يا شقى لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين وزن كل واحدة ثلاثون مثقالا، فعرض على يديه وتلهف تلهفا شديدا، وقال: هاتى الثالثة، فقالت: أنت قد انسيت الاثنتين، فما تصنع بالثالثة؟ ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فات، وقد تلهفت، وألم أقل لك لا تصدقن بما لا يكون إنه يكون. وأنا ولحمي ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا، فكيف صدقت أن في حوصلتي درتين كل واحدة منهما ثلاثون مثقالا! ثم طارت وذهبت^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٨١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٦٥

فما انتفع بنفسه مدة

كان محمد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد في قصره على دجلة يوماً، وإذا بحشيش على وجه الماء، في وسطه قصبه عليها رقعة، فأمر بأخذها، فإذا فيها :
 تاه الأعرج واستولى به البطر فقل له : خير ما استعملته الحذر
 أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
 ر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
 فما انتفع بنفسه مدة^(١).

هي المقادير تجرى في أعنتها

قال الشاعر :

فيا لنعيم ساعدتنا رقابه وخاست بنا أكفاله والروادف

إسحق بن إبراهيم الموصلي :

هي المقادير تجرى في أعنتها فاصبر فليس لها صبر على حال
 يوماً تريح خسيس الحال ترفعه إلى السماء ويوما تخفض العالي
 إذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث كان يأتي الخير.
 هانيء بن مسعود :

إن كسرى أبى على الملك النعمان حتى سقاه أم الرقوب

كل ملك وأن تصعد يوماً بأناس يعود للتصويب

أحيحة بن الجلاح :

وما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل

وما تدرى إذا أضربت شولا أتلقح بعد ذلك أم تحيل

وما تدرى إذا أزمعت سيرا بأى الأرض يدركك المقييل !

آخر :

فما درن الدنيا بياق لاهله ولا شره الدنيا بضربه لازم
آخر :

رب قوم غبروا من عيشهم في سرور ونعيم وغدق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق
ومن الشعر المنسوب إلى محمد الأمين بن زبيدة :
يا نفس قد حق الحذر أين الفرار من القدر
كل امرئ مما يخاف ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزمان يغص يوما بالكدر (١).

شتان بين علي وسعد

روى أن طلحة حمل علي عليه السلام، فضربه بالسيف، فاتقاه بالدرقة، فلم يصنع شيئا، وحمل علي عليه السلام وعلى طلحة درع ومغفر، فضربه بالسيف، فقطع ساقه، ثم أراد أن يذفف عليه، فسأله طلحة بالرحم ألا يفعل، فتركه ولم يذفف عليه. قال الواقدي : ويقال أن عليا عليه السلام دفف عليه، ويقال أن بعض المسلمين مر به في المعركة فذفف عليه. قال : فلما قتل طلحة سر رسول الله ﷺ وكبر تكبيرا عاليا وكبر المسلمون، ثم شد أصحاب رسول الله ﷺ على كتائب المشركين، فجعلوا يضربون وجوههم، حتى انتقضت صفوفهم، ولم يقتل إلا طلحة بن أبي طلحة وحده. قال الواقدي : ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة، وهو أبو شيبة، فارتجز وقال : إن علي رب اللواء حقا أن تخلص الصعدة أو تندقا. فتقدم باللواء، والنسوة خلفه يحرضن ويضربن بالدفوف، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله، فضربه بالسيف على كاهله، فقطع يده وكتفه، حتى انتهى إلى مؤزره فبدا سحره، ورجع فقال أنا ابن ساقى الحجيج، ثم حمل اللواء أخوهما أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص فاصاب حنجرته، وكان دراعا، وعليه مغفر لا رفرع عليه، وعلي رأسه بيضته فأدلع لسانه إدلاع الكلب. قال الواقدي : وقد روى أن أبا سعد لما حمل اللواء، قام النساء خلفه يقلن ضربا

بنى عبد الدار ضربا حماة الادبارا ضربا بكل بتاره. قال سعد بن ابي وقاص : فأحمل عليه فأقطع يده اليمنى ، فأخذ اللواء باليد اليسرى ، فأضربه على يده اليسرى ، فقطعتها ، فأخذ اللواء بذراعيه جميعا وضمه إلى صدره ، وحنى عليه ظهره. قال سعد : فأدخل سية القوس بين الدرع والمغفر ، فأقلع المغفر ، فأرمى به وراء ظهره ، ثم ضربته حتى قتله ، وأخذت أسلبه درعه ، فنهض إلى سبيع بن عبد عوف ونفر معه فمنعوني سلبه ، وكان سلبه أجود سلب رجل من المشركين ، درع فضفاضة ، ومغفر وسيف جيد ، ولكن حيل بينى وبينه. قال الواقدي : وهذا أثبت القولين.

قلت شتان بين علي وسعد هذا يجاحش على السلب ويتأسف على فواته ، وذلك يقتل عمرو بن عبدود يوم الخندق ، وهو فارس قریش وصنديدها ومبارزه ، فيعرض عن سلبه ، فيقال له كيف تركت سلبه وهو أنفس سلب فيقول كرهت أن أبز السبي ، ثيابه فكان حبيبا عناه بقوله

إن الاسود أسود الغاب همته يوم الكريهة في المسلوب لا السلب^(١).

هلكت العرب !

قال الاحنف بن قيس في صفين لاصحابه : هلكت العرب ! قالوا له : وإن غلبنا يا أبا بحر؟ قال : نعم ، قالوا : وإن غلبنا؟ قال : نعم ، قالوا : والله ما جعلت لنا مخرجا. فقال الاحنف : إنا إن غلبناهم لم نترك بالشام رئيسا إلا ضربنا عنقه وإن غلبونا لم يعرج بعدها رئيس عن معصية الله إيدا^(٢).

بأى شيء كفرتم عثمان؟

وروى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل له : بأى شيء كفرتم عثمان؟ فقال : بثلاث : جعل المال دولة بين الاغنياء ، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ بمنزلة من حارب الله ورسوله ، وعمل بغير كتاب الله^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٢٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٥٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥١

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا

* أن رسول الله ﷺ لما مات وأبو ذر غائب، وقدم وقد ولى أبو بكر فقال : أصبتم قناعه، وتركتم قرابه، لو جعلتم هذا الامر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان.

* لما توفي النبي ﷺ، وجرى في السقيفة ما جرى تمثل على :

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا ويطغون لما غال زيدا غوائله^(١).

اكفف من غربك، واربع على ظلعك

لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مر بنعمان، فنزل فصلى ركعتين، ثم رفع يديه يدعو، فقال : اللهم إنك تعلم إنه لم يكن بلد أحب إلى من أن أعبدك فيه من البلد الحرام، وإنني لا أحب أن تقبض روعي إلا فيه، وإن ابن الزبير أخرجني منه، ليكون الاقوى في سلطانه. اللهم فأوهن كيده، واجعل دائرة السوء عليه : فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها، فقالوا : مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه ! أنت والله أحب إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك، هذه منازلنا تخيرها، فانزل منها حيث أحببت، فنزل منزلا، فكان يجلس إليه أهل الطائف بعد الفجر وبعد العصر، فيتكلم بينهم، كان يحمد الله ويذكر النبي ﷺ والخلفاء بعده، ويقول ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم ولا أشباههم ولا من يدانيهم، ولكن بقى أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون جلود الضان، تحتها قلوب الذئاب والتمور، ليظن الناس إنهم من الزاهدين في الدنيا، يراءون الناس بأعمالهم، ويسخطون الله بسرائرهم، فادعوا الله أن يقضى لهذه الامة بالخير والاحسان، فيولى أمرها خيارها وأبرارها، ويهلك فجارها وأشرارها، ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسلوه ذلك، فيفعلون. فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إليه : أما بعد، فقد بلغني إنك تجلس بالطائف العصرين فتفتيهم بالجهل، تعيب أهل العقل والعلم، وإن حلمي عليك، واستدامتي فيك جراك على، فاكفف - لا أبا لغيرك - من غربك، واربع على ظلعك، واعقل إن كان لك معقول، وأكرم نفسك فإنك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانا، ألم تسمع قول الشاعر : فنفسك أكرمها فإنك إن تهن عليك فلن تلقى لها - الدهر - مكرما. وإنى أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغني عنك لتجدن جانبي خشنا،

ولتجدننى إلى ما يردعك عنى عجلا، فر رأيك، فإن أشفى بك شقاؤك على الردى فلا تلم إلا نفسك. فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد بلغني كتابك، قلت: إني أفتى الناس بالجهل، وإنما يفتى بالجهل من لم يعرف من العلم شيئا، وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك. وذكرت إن حلمك عنى، واستدامتك في جرأى عليك، ثم قلت: اكفف من غربك، واربع على ظلمك، وضربت لى الامثال، أحاديث الضيع، متى رأيتنى لعرامك هائبا، ومن حدك ناكلا! وقلت: لئن لم تكفف لتجدن جانبي خشنا، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا أرعى عليك إن أرعيت! فوالله انتهى عن قول الحق، وصفة أهل العدل والفضل، وذم الاخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، والسلام^(١).

كتاب محمد بن أبى بكر إلى معاوية وجوابه عليه

كتب محمد بن أبى بكر إلى معاوية: من محمد بن أبى بكر إلى الغاوى معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لاهل ولاية الله. أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته، خلق خلقا بلا عبث ولا ضعف في قوته، لا حاجة به إلى خلقهم، ولكنه خلقهم عبيدا، وجعل منهم شقيا وسعيدا، وغويا ورشيدا، ثم اختارهم على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمدا ﷺ، فاخصه برسالته، واختاره لوحيه، واثمنه على أمره، وبعثه رسولا مصدقا لما بين يديه من الكتب، ودليلا على الشرائع، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأجاب، وصدق ووافق فأسلم وسلم أخوه وابن عمه - على بن أبى طالب ﷺ، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الازل، ومقامات الروح، حتى برز سابقا لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاما، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم. وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع،

وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك، من بقيه الاحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ، والشاهد لعلى مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن، ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والانصار، فهم معه كتاب وعصائب، يجالدون حوله بأسيا فهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعلى، وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيه وأبو ولده، وأول الناس له اتباعا، وآخرهم به عهدا، يخبره بسر، ويشركه في أمره، وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع ما استطعت بباطلك، وليمدك لك ابن العاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا. واعلم أنك إنما تكايد ربك الذى قد أمنت كيده، وأيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور. وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغناء! والسلام على من اتبع الهدى. فكتب إليه معاوية: من معاوية بن أبى سفيان، إلى الزارى على أبية محمد بن أبى بكر. سلام على أهل طاعة الله، أما بعد، فقد أتانى كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعت، لرأيك فيه تضعيف، ولايبك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبى طالب وقديم سابقته، وقرابته من نبي الله ونصرته له، ومواساته إياه، في كل خوف وهول، واحتجاجك على، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك. فاحمد إليها صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا، نرى حق ابن أبى طالب لازما لنا، وفضله مبرزا علينا، فلما اختار الله لنبية ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه، أول من ابتزّه وخالفه، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم: وأرادا به العظيم، فبايعهما وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضا وانقضى أمرهما. ثم أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان، يهتدى بهديهما، ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك، حتى طمع فيه الاقاصى من أهل المعاصي، وبطنتما وظهرتما، وكشفتما له عداوتكما وغلكما، حتى بلغتما منه مناكما، فخذ حذرک يا بن أبى بكر، فسترى وبال أمرک، وقس شبرک بفترک، تقصر عن أن تساوى أو توازى من يزن الجبال حلمه، ولا تلين على قسر قناته ولا يدرك ذو مدى أناته، أبوك مهد له مهاده، وبني ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن

فيه صوابا فأبوك أوله، وإن يكن جورا فأبوك أسه ونحن شركاؤه، فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، رأينا أباك فعل ما فعل، فاحتدينا مثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباك بما بدا لك، أودع. والسلام على من أناب، ورجع من غوايته وناب^(١).

ثمان مسائل من مسائل التوحيد

ومن خطب لامير الممنين عليه السلام : وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الاول لا شئ قبله، والاخر لا غايه له، لا تقع الاوهام له على صفة، ولا تعقد القلوب منه على كيفية، ولا تناله التجزئة والتبعض، ولا تحيط به الابصار والقلوب.

قال ابن ابي الحديد : في هذا الفصل على قصره ثمانى مسائل من مسائل التوحيد : الاولى، أنه الاثنى اله سبحانه في الالهيّة.

والثانية، أنه قديم لا أول له. ليس يدل كلامه على القدم، لانه قال : (الاول لا شئ قبله) فيوهم كونه غير قديم بأن يكون محدثا وليس قبله شئ، لانه محدث عن عدم والعدم ليس بشئ. قلت : إذا كان محدثا كان له محدث، فكان ذلك المحدث قبله، فثبت أنه متى صدق أنه ليس شئ قبله صدق كونه قديما.

والثالثة : أنه أبدى لا انتهاء ولا انقضاء لذاته.

والرابعة : نفى الصفات عنه - أعنى المعاني.

والخامسة : نفى كونه مكيفا، لان كيف إنما يسأل بها عن ذوى الهيئات والاشكال وهو منزّه عنها.

والسادسة : أنه غير متبعض، لانه ليس بجسم ولا عرض.

والسابعة : أنه لا يرى ولا يدرك.

والثامنة : أن ماهيته غير معلومة، وهو مذهب الحكماء وكثير من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٨٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٤٥

ذم الكذب وحقارة الكذابين

* جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ : (إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك منه مسيرة ميل، من نتن ما جاء به).

* وعنه ﷺ : (إياكم والكذب، فإن الكذب، يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب، فيكتب عند الله كاذبا، وعليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر ليهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق، فيكتب عند الله صادقا).

* وروى أن رجلا قال للنبي ﷺ : أنا يا رسول الله أستسر بخلال أربع : الزنا، وشرب الخمر، والسرق، والكذب، فأيتهن شئت تركتها لك، قال : دع الكذب، فلما ولى هم بالزنا، فقال : يسألني فإن جحدت نقضت ما جعلت له، وإن أقررت حددت، ثم هم بالسرق، ثم بشرب الخمر، ففكر في مثل ذلك، فرجع إليه فقال : قد أخذت على السبيل كله، فقد تركتهن أجمع.

* ومن الحكم القديمة : إنما فضل الناطق على الآخرس بالنطق، وزين المنطق الصدق، فالكاذب شر من الآخرس.

* وجاء في بعض الاخبار : قيل له : يا رسول الله، أياكون المؤمن جباناً؟ قال : نعم، قيل : أياكون بخيلاً؟ قال : نعم، قيل أياكون كاذباً؟ قال : لا

* وقال بعضهم : من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون، أخذه شاعر فقال :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

* وكان يقال : خذوا عن أهل الشرف، فإنهم قلما يكذبون.

* وجاء في الخبر المرفوع : إن في المعارض لمندوحة عن الكذب

* وقال بعض الشعراء :

لا يكذب المرء إلا من مهانتة أو عادة السوء أو من قلة الادب

لعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء في جد وفي لعب^(١).

ما وقفت موقفا قط أعيظ إلي من هذا الموقف

قال الواقدي : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم أحد ما فعل عمي ! فخرج الحارث بن الصمة يطلبه فأبطأ فخرج على ﷺ يطلبه فيقول : يا رب إن الحارث بن الصمة كان رفيقا وبنا ذا ذمة قد ضل في مهامه مهمه يلتمس الجنة فيها ثمه حتى انتهى إلى الحارث، ووجد حمزة مقتولا، فجاء فأخبر النبي ﷺ، فأقبل يمشى حتى وقف عليه فقال : ما وقفت موقفا قط أعيظ إلي من هذا الموقف. فطلعت ضفية، فقال يا زبير، اغن عني أمك، وحمزة يحضر له، فقال الزبير : يا أمه، إن في الناس تكشفا، فارجعي، فقالت : ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله ﷺ، فلما رآته قالت : يا رسول الله، أين ابن أمي حمزة؟ فقال : هو في الناس، قالت : لا أرجع حتى أنظر إليه، قال الزبير : فجعلت أظدها إلى الأرض حتى دفن وقال رسول ﷺ : لو لا أن تحزن نساؤنا لذلك لتركناه للعافية، يعنى السباع والطيور حتى يحشر يوم القيامة من بطونها وحواصلها^(١).

ما في عثمان بحمد الله أشك، لكنى أشك في قاتله

وروى عن حذيفة أنه كان يقول : ما في عثمان بحمد الله أشك، لكنى أشك في قاتله، لا أدري أ كافر قتل كافرا، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله، وهو أفضل المؤمنين إيمانا ! فأما ما رواه من منازعة الحسن ﷺ عمارا في ذلك، وترافعهما إلى أمير المؤمنين ﷺ، فهو أولا غير دافع لكون عمار مكفرا له، بل شاهد بذلك من قوله ﷺ، ثم إن كان الخبر صحيحا فالوجه فيه أن عمارا كان يعلم من لحن كلام أمير المؤمنين ﷺ، وعدوله عن أن يقضى بينهما بصريح من القول أنه متمسك بالتقية، فأمسك عمار متابعة لغرضه^(٢).

من الشعر الجيد في النهوض والحرب

ومن الشعر الجيد في تحسين الأباء والحمية والتحريض على النهوض والحرب

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥١

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ١٦

وطلب الملك والرياسة، قصيدة عمارة اليمنى شاعر المصريين في فخر الدين توران شاه بن أيوب، التي يغريه فيها بالنهوض إلى اليمن، والاستيلاء على ملكها، وصادفت هذه القصيدة محلا قابلا، وملك توران شاه اليمن بماهزت هذه القصيدة من عطفه، وحركت من عزمه، وأولها :

العلم مذ كان محتاج إلى العلم وشفرة السيف تستغنى عن القلم
وخير خيلك إن غامرت في شرف عزم يفرق بين الساق والقدم
إن المعالي عروس غير واصلة ما لم تخلق رادئها بنضح دم
ترى مسامع فخر الدين تسمع ما أملاه خاطر أفكارى على قلمي
فإن أصبت فلى حظ المصيب وإن أخطأت قصدك فاعذرني ولا تلم
كم تترك البيض في الاجفان ظامئة إلى الموارد في الاعناق والقمم
ومقلة المجد نحو العزم شاخصة فاترك قعودك عن إدراكها وقم
فعمك الملك المنصور سومها من الفرات إلى مصر بلا سأم
واخلق لنفسك أمرا لا تضاف به إلى سواك، وأور النار في العلم
وانه المشيرين إن لجت نصيحتهم أولا، فأنعم على العميان بالصمم
واعزم وصمم فقد طالت وقد سمجت قضية لفظتها ألسن الامم
فرب أمر يهاب الناس غايته والامر أهون فيه من يد لقم
فكيف إن نهضت فيما هممت به أسد تسير من الخطى في أجم
لا يدرك المجد إلا كل مقتحم في موج ملتطم أو فوج مضطرم
لا ينقض الخطوة الاولى بثانية ولا يفكر في العقبى من الندم
كأنما السيف أفتاه بقتلهم في فتح مكة حل القتل في الحرم
ولم يراعوا لعثمان ولا عمر ولا الحسين ذمام الأشهر الحرم
فما تروم سوى فتح صوارمه يضحكن في كل يوم عابس البهم
حتى كأن لسان السيف في يده يروى الشريعة عن عاد وعن إرم
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته فيما يقول الورى لحما على وضم

وقد ترقى إلى أن صار طالعه من الكواكب بالانفاس والكظم
 وكان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دعوه سيد الامم
 والبدر يبدو هلالا ثم يكشف بالانوار ما سترته شملة الظلم
 والغيث فهو كما قد قيل أوله قطر وبدء خراب السد بالعرم
 تنمو قوى الشئ بالتدرج إن رزقت لطفًا ويقوى شرار النار بالضم
 حاسب ضميرك عن رأى أتك وقل نصيحة وردت من غير متهم
 أقسمت ما أنت ممن جل همته ما راق من نعم أورق من نعم
 وإنما أنت مرجو لواحدة بنى بها الدهر مجدا غير منهدم
 كأننى بالليالى وهى هاتفة قد صم سمع رجال دونها وعمى
 وبالعلا كلما لاقتك قائلة أهلا بمنشر آمالى من الرمم (١).

لا ونعمى عين بل للناس عامة

روى ابن عباس رضى الله عنه أن رجلا أتى رسول الله ﷺ يذكر له ذنبا أذنبه فأنزل
 الله تعالى في أمره (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات
 ذلك ذكرى للذاكرين) فقال يارسول الله، لى خاصة أم للناس عامة. فضرب عمر صدره
 بيده وقال لا ونعمى عين بل للناس عامة فقال رسول الله ﷺ : بل للناس عامة (٢).

بشر الكانزين بعذاب اليم

روى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم وأسانيدهم أن عثمان لما أعطى مروان
 بن الحكم ما أعطاه وأعطى الحارث بن الحكم بن أبى العاص ثلثمائة ألف درهم،
 وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول : بشر الكانزين بعذاب اليم،
 ويتلو قول الله تعالى : (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
 بعذاب اليم) فرفع ذلك مروان إلى عثمان، فأرسل إلى أبى ذر نائلا مولاه : أن انته عما
 يبلغني عنك، فقال : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله أفو

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٥٧

الله لان أَرْضَى الله بسخط عثمان أحب إلى وخير لى من أن أسخط الله برضاه. فأغضب عثمان ذلك، وأحفظه فتصابر^(١).

أصبتُم الخيرة وأخطاتم المعدن

عن جرير بن المغيرة أن سلمان والزيبر والانصار كان هواهم أن يبايعوا عليا بعد النبي ﷺ، فلما بويح أبو بكر، قال سلمان: أصبتُم الخيرة وأخطاتم المعدن. عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قال سلمان يومئذ: أصبتُم ذا السن منكم وأخطاتم أهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم إثنان،^(٢).

أتراشونني عن ديني

لما اجتمع الناس على أبي بكر قسم قسما بين نساء المهاجرين والانصار، فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا؟ قال: قسم قسمه أبو بكر للنساء، قالت: أتراشونني عن ديني! والله لا أقبل منه شيئا! فردته عليه^(٣).

والله ما ندرى أنت أمير أم عمر

جاء عيينه بن حصن والاقرع بن حابس إلى أبي بكر، فقالا: يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضا سبخه ليس فيها كلا ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحريها أو نزرعها! ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم! فقال أبو بكر لمن حوله من الناس المسلمين: ما ترون؟ قالوا: لا بأس فكتب لهما بها كتابا وأشهد فيه شهودا. وعمر ما كان حاضرا، فانطلقا إليه ليشهد في الكتاب، فوجداه قائما يهنا بعيرا، فقالا إن خليفة رسول الله ﷺ عكتب لنا هذا الكتاب وجئناك لتشهد على ما فيه أفقرؤه أم نقرؤه عليك؟ قال: أعلى الحال التي تريان! إن شئتما فاقراه، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ. قال بل نقرؤه عليك، فلما سمع ما فيه، أخذه منهما، ثم تفل فيه، فمجاه، فتدامرا وقالوا مقالة سيئة. فقال إن رسول الله ﷺ وسلم كان يتألفكما والاسلام يومئذ ذليل، وإن الله تعالى قد أعز

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٣

الاسلام، فاذهبوا فاجهدوا جهدكما، لارعى الله عليكما إن رعيتما ! فذهبوا إلى أبي بكر، وهما يتذمران، فقالا : والله ما ندرى أنت أمير أم عمر؟ فقال : بل هو لو شاء كان. وجاء عمر وهو مغضب، حتى وقف على أبي بكر فقال أخبرني عن هذه الارض التي أقطعتها هذين الرجلين أهى لك خاصة أم بين المسلمين عامة ! فقال : بين المسلمين عامة قال : فما حملك على أن تخصص بها هذين دون جماعة المسلمين قال : استشرت الذين حولي فأشاروا بذلك، فقال أفكل المسلمين أوسعهم مشورة ورضا ! فقال أبو بكر فلقد كنت قلت لك : إنك أقوى على هذا الامر منى لكنك غلبتني !^(١).

والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبى

عن موسى بن ميسرة أن أبا الاسود الدؤلى، قال : كنت أحب لقاء أبى ذر لاسأله عن سبب خروجه، فنزلت الربذة، فقلت له : ألا تخبرني ؟ أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت مكرها ؟ فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين، أغنى عنهم، فأخرجت إلى مدينة الرسول ﷺ، فقلت : أصحابي ودار هجرتي، فأخرجت منها إلى ما ترى، ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد إذ مر بى رسول الله صلى الله عليه، فضربني برجله وقال : لا أراك نائما في المسجد، فقلت : بأبى أنت وأمى ! غلبتني عيني، فنمت فيه، فقال : كيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ فقلت : إذن ألحق بالشام، فإنها أرض مقدسة، وأرض بقية الاسلام، وأرض الجهاد، فقال : فكيف تصنع إذا أخرجت منها ؟ فقلت : أرجع إلى المسجد، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : آخذ سيفى فأضرب به، فقال ﷺ : (ألا أدلك على خير من ذلك، أنسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع)، فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبى^(٢).

قينتان يغنيان بهجاء النبي

قال الواقدي : وأما ابن خطل فإنه خرج حتى دخل بين أستار الكعبة، فأخرجه أبو برزه الاسلمي منها، فضرب عنقه بين الركن والمقام ويقال بل قتله عمار بن ياسر، وقيل : سعد بن حريث المخزومي، وقيل : شريك بن عبده العجلاني، والاثبت أنه أبو برزة -

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٥٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥٧

قال : وكان جرمه أنه أسلم وهاجر إلى المدينة وبعثه رسول الله (صلى الله عليه واله) ساعيا، وبعث معه رجلا من خزاعة فقتله، وساق ما أخذ من مال الصدقة، ورجع إلى مكة، فقالت له قريش : ما جاء بك ؟ قال : لم أجد دينا خيرا من دينكم، وكانت له قبتان إحداهما قريني، والاخرى قرينة أو أرنب، وكان ابن خطل يقول الشعر يهجو به رسول الله ﷺ ويغنيان به، ويدخل عليه المشركون بيته فيشربون عنده الخمر، ويسمعون الغناء بهجاء رسول الله ﷺ (١).

كذب المغيرة

قال الطبري وكان المغيرة بن شعبة يدعى انه احدث الناس عهدا برسول الله ﷺ، ويقول للناس اننى اخذت خاتمي فالقيته في القبر، وقلت إن خاتمي قد سقط منى، وانما طرحته عمدا ؛ لأمس رسول الله ﷺ، فاكون آخر الناس به عهدا

قال الطبري فروى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال اعتمرت مع على بن ابي طالب ﷺ في زمان عمر - أو عثمان - فنزل على اخته ام هانئ بنت ابي طالب، فلما فرغ من عمرته رجع وقد سكب له غسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من اهل العراق، فقالوا يا ابا الحسن، جئناك نسالك عن امر نحب أن نخبرنا به فقال اظن المغيرة يحدثكم انه احدث الناس عهدا برسول الله ﷺ قالوا اجل، عن ذا جئنا نسالك قال كذب احدث الناس عهدا برسول الله ﷺ فثم بن العباس، كان آخرنا خروجنا من قبره

قلت بحق ما عاب اصحابنا رحمهم الله المغيرة وذموه وانتقصوه فانه كان على طريقة غير محمودة، وابي الله الا أن يكون كاذبا على كل حال، لانه إن لم يكن احدثهم بالنبي عهدا، فقد كذب في دعواه انه احدثهم به عهدا، وان كان احدثهم به عهدا كما يزعم فقد اعترف بانه كذب في قوله لهم (سقط خاتمي منى)؛ وانما القاه عمدا، واين المغيرة ورسول الله ﷺ ليدعى القرب منه، وانه أحدث الناس عهدا به وقد علم الله تعالى والمسلمون انه لو لا الحدث الذي احدث، والقوم الذين صحبهم فقتلهم غدرا، واتخذ اموالهم؛ ثم التجأ إلى رسول الله ﷺ ليعصمه لم يسلم، ولا وطئ حصا المدينة (٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٣٩

إذا ذات دل كلمته لحاجه

وتقدمت كلثم بنت سريغ مولى عمرو بن حريث - وكانت جميلة - وأخوها الوليد بن سريغ إلى عبد الملك بن عمير، وهو قاض بالكوفة، ف قضى لها على أخيها، فقال هذيل الأشجعي :

أتاه وليد بالشهود يسوقهم	على ما ادعى من صامت المال
والخول وجاءت إليه كلثم وكلامها	شفاء من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليد عند ذاك بحقه	وكان وليد ذا مرء وذا جدل
فدلتهت القبطى حتى قضى لها	بغير قضاء الله في محكم الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه	لما استعمل القبطى فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تخاوص	وكان وما فيه التخاوص والحوول
إذا ذات دل كلمته لحاجه	فهم بأن يقضى تنحنح أو سعل
وبرق عينيه ولاك لسانه	يرى كل شئ ما خلا وصلها جلل

وكان عبد الملك بن عمير يقول لعن الله الأشجعي، والله لربما جاءتني السعلة والنحنحة وأنا في المتوضأ فأردهما لما شاع من شعره^(١).

حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله

وروى أن صفية لما جاءت يوم احد تسال عن ولدها الحمزة حالت الانصار بينها وبين رسول الله ﷺ، فقال : دعوها، فجلست عنده، فجعلت إذا بكت يبكي رسول الله ﷺ، وإذا نشجت ينشج رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعلت فاطمه عليها السلام تبكي، فلما بكت بكى رسول الله ﷺ ثم قال : لن أصاب بمثل حمزة أبدا، ثم قال صلى الله عليه وآله لصفية وفاطمة : أبشرا، أتاني جبرائيل ﷺ فأخبرني أن حمزه مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ١٧

كلا لست من قتلة الملوك

قدم معاوية المدينة راجعا من حجة حجها، فكثر الناس عليه في حوائجهم، فقال لصاحب إبله : قدم إبلك ليلا حتى ارتحل، ففعل ذلك، وسار ولم يعلم بأمره إلا عبد الله بن الزبير، فإنه ركب فرسه وقفا أثره، ومعاوية نائم في هودجه، فجعل يسير إلى جانبه، فانتبه معاوية، وقد سمع وقع حافر الفرس، فقال : من صاحب الفرس ؟ قال : أنا أبو خبيب، لو قد قتلتك منذ الليلة، يمازحه، فقال معاوية : كلا لست من قتلة الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره، فقال ابن الزبير : إلى تقول هذا، وقد وقفت في الصف بازاء على بن أبي طالب، وهو من تعلم ! فقال معاوية : لا جرم ! إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها، فقال ابن الزبير : أما والله ما كان ذاك إلا في نصر عثمان فلم نجز به، فقال معاوية : خل هذا عنك، فوالله لو لا شدة بغضك ابن أبي طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع، فقال ابن الزبير : افعلتها يا معاوية ! أما إنا قد أعطيناك عهدا، ونحن وافون لك به ما دمت حيا، ولكن ليعلمن من بعدك، فقال معاوية : أما والله ما أخافك إلا على نفسك، ولكأني بك وأنت مشدود مربوط في الانشودة، وأنت تقول : ليت أبا عبد الرحمن كان حيا، وليتني كنت حيا يومئذ، فأحلك حلا رفيقا، ولبس المطلق والمعتك والمسنون عليه أنت يومئذ !^(١).

إمام أخطأ وامرأة أصابت

قال عمر مرة : لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها، فقالت له امرأة : ما جعل الله لك ذلك، إنه تعالى قال : (وَأْتَيْتُم مِّن دُونِهَا قُلُوبًا فَلَا تَأْخُذُوا مَن مِّنْهُنَّ بِمَا تَأْخُذُونَ بِيَهُنَّ إِذْ هُنَّ حَمِيمَاتٌ) فقال : كل النساء أفقه من عمر، حتى ربات الحجال ! أ لا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فاضلت إمامكم فضلته !^(٢).

يخبرنا ابن كبشة أن سنحيا

أما مقيس بن صبابة فإن أمه سهمية، وكان يوم الفتح عند أخواله بني سهم، فاصطحب الخمر ذلك اليوم في ندامى له وخرج ثملا يتغنى ويتمثل بأبيات منها :

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٢

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٦

دعيني أصطبح يا بكر إني رأيت الموت نقب عن هشام
 ونقب عن أبيك أبي يزيد أخى القينات والشرب الكرام
 يخبرنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام !
 إذا ما الرأس زال بمنكبيه فقد شبع الانيس من الطعام
 أتقتلني إذا ما كنت حيا وتحييني إذا رمت عظامي !
 فلقية نميلة بن عبد الله الليثي وهو من رهطه، فضربه بالسيف حتى قتله، فقالت أخته
 ترثيه :

لعمري لقد أخزى نميلة رهطه وفجع أصناف النساء بمقيس
 فله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تخرس
 وكان جرم مقيس من قبل أن أخاه هاشم بن صبابة أسلم وشهد المريسيع مع رسول
 الله ﷺ، فقتله رجل من رهط عبادة بن الصامت - وقيل من بنى عمرو ابن عوف وهو لا
 يعرفه - فظنه من المشركين، ففضى له رسول الله ﷺ بالدية على العاقلة، فقدم مقيس
 أخوه المدينة فأخذ ديته، وأسلم، ثم عدا على قاتل أخيه، فقتله، وهرب مرتدا كافرا
 يهجو رسول الله ﷺ بالشعر، فأهدر دمه^(١).

ودسوا في فيه التراب

أخذ أبو بكر بيد عمر، ويد رجل من المهاجرين - يروونه أبا عبدة - حتى انطلقوا
 إلى الانصار، وقد اجتمعوا عند سعد في سقيفة بنى ساعدة، فقال عمر : قلت لابي بكر
 دعني أتكلم، وخشيت جد أبي بكر. وكان ذا جد. فقال أبو بكر : لا، بل أنا أتكلم، فما
 هو والله إلا أن انتهينا إليهم، فما كان في نفسي شئ أريد أن أقوله إلا أتى أبو بكر عليه،
 فقال لهم : يا معشر الانصار، ما ينكر حقكم مسلم، إنا والله ما أصبنا خيرا قط إلا شر
 كتمونا فيه، لقد آويتم ونصرتم، وأزرتم وواسيتم، ولكن قد علمتم أن العرب لا تقر ولا
 تطيع إلا لامرئ من قريش، هم رهط النبي ﷺ، أوسط العرب وشيخة رحم، وأوسط
 الناس دارا، وأعرب الناس ألسنا وأصبح الناس أوجها، وقد عرفتم بلاء ابن الخطاب في
 الاسلام وقدمه، هلم فلنبايعه. قال عمر : بل إياك نبايع، قال عمر : فكنت أول الناس مد

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠

يده إلى أبي بكر فبايعه، إلا رجلا من الانصار أدخل يده بين يدي ويد أبي بكر فبايعه قبلى. ووطى الناس فراش سعد، فقيل : قتلتم سعدا. فقال عمر : قتل الله سعدا ! فوثب رجل من الانصار، فقال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب. فأخذ ووطى في بطنه ودسوا في فيه التراب^(١).

هذا الذى كنت وعدتكم به

لما كتب النبي ﷺ كتاب الصلح في الحديدية بينه وبين سهيل ابن عمرو كان في الكتاب أن من خرج من المسلمين إلى قريش لا يرد ومن خرج من المشركين إلى النبي ﷺ يرد عليهم فغضب عمر وقال لا بى بكر : ما هذا يا أبا بكر ! أيرد المسلمون إلى المشركين ! ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه وقال يا رسول الله أأست رسول الله حقا ! قال بلى قال : ونحن المسلمون حقا ! قال : نعم قال : وهم الكافرون حقا ! قال : نعم، قال : فعلام نعطى الدنية في ديننا فقال رسول الله : أنا رسول الله افعل ما يأمرنى به ولن يضيعني. فقام عمر مغضبا وقال لو أجد أعوانا ما أعطيت الدنية أبدا وجاء إلى أبي بكر فقال له : يا أبا بكر، ألم يكن وعدنا أننا سندخل مكة، فأين ما وعدنا به ؟ فقال أبو بكر : أقال لك : إنه العام يدخلها ؟ قال : لا قال : فسيدخلها، فقال : فما هذه الصحيفة التي كتبت ؟ وكيف نعطى الدنية من أنفسنا ! فقال أبو بكر : يا هذا الزم غرزه فوالله انه لرسول الله وإن الله لا يضيعه. فلما كان يوم الفتح وأخذ رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة قال : ادعوا لى عمر، فجاء فقال : هذا الذى كنت وعدتكم به^(٢).

حتى كأنك ضربك أحد المشركين

روى رافع، قال : أتينا من قبل أنفسنا، ومعصية نبينا، واختلط المسلمون، وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا، وما يشعرون بما يصنعون من الدهش والعجل، وقد جرح يومئذ أسيد بن حضير جرحين، ضربه احدهما أبو بردة بن نيار، وما يدرى، يقول خذها وأنا الغلام الانصاري، وكر أبو زعنة في حومة القتال، فضرب أبا بردة ضربتين، ما يشعر أنه هو يقول خذها وأنا أبو زعنة، حتى عرفه بعد، فكان إذا لقيه قال : انظر ما صنعت

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٥٩

بى، فيقول أبو زعنة : وأنت فقد ضربت أسيد بن حضير ولا تشعر ولكن هذا الجرح في سبيل الله، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال هو في سبيل الله يا أبا بردة، لك أجره، حتى كأنك ضربك أحد المشركين، ومن قتل فهو شهيد^(١).

سبب اختلاف الخوارج

كان المهلب يقول لبنيه : لا تبدءوا الخوارج بقتال حتى يبدءوكم، ويبغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا عليكم نصرتم عليهم. فشخص عتاب إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين، فوجهه إلى شبيب فقتله شبيب. وأقام المهلب على حربهم، فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وافتقرت كلمتهم. وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الازارقة، كان يعمل نصالا مسمومة، فيرمى بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك إلى المهلب، فقال : أنا أكفيكموه إن شاء الله، فوجه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى، فقال له : ألق هذا الكتاب في العسكر والدراهم، واحذر على نفسك - وكان الحداد يقال له أبزى - فمضى الرجل. وكان في الكتاب : أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلى، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال. فوقع الكتاب إلى قطرى، فدعا بأبزى، فقال : ما هذا الكتاب؟ قال : لا أدري، قال : فما هذه الدراهم؟ قال : لا أعلم، فأمر به فقتل. فجاءه عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة، فقال له : أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبين ! قال قطرى : فما حال هذه الالف؟ قال : يجوز أن يكون أمرها كذبا، ويجوز أن يكون حقا، فقال قطرى : إن قتل رجل في صلاح الناس غير منكر، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحا، وليس للرعية أن تعترض عليه. فتنكر له عبد ربه في جماعة معه، ولم يفارقوه. وبلغ ذلك المهلب فدرس إليهم رجلا نصرانيا، جعل له جعلاً يرغب في مثله، وقال له : إذا رأيت قطريا فاسجد له، فإذا نهاك فقل : إنما سجدت لك، ففعل ذلك النصراني، فقال قطرى : إنما السجود لله تعالى، فقال ما سجدت إلا لك، فقال رجل من الخوارج : إنه قد عبدك من دون الله، وتلا : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون)، فقال قطرى : إن النصراني قد عبدوا عيسى بن مريم، فما ضر عيسى ذلك شيئا. فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله، فأنكر قطرى ذلك

عليه، وأنكر قوم من الخوارج إنكاره. وبلغ المهلب ذلك، فوجه إليهم رجلا يسألهم، فأتاهم الرجل، فقال : أرايتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم، فمات أحدهما في الطريق، وبلغ الآخر إليكم فامتحنتموه فلم يجز المحنة، ما تقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أما الميت فمؤمن من أهل الجنة، وأما الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيز المحنة. وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يجيز المحنة، فكثرت الاختلاف. وخرج قطري إلى حدود إصطخر، فأقام شهرا، والقوم في اختلافهم. ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق : يا قوم، إنكم أقررتهم عين عدوكم، وأطمعتموه فيكم بما يظهر من خلافكم، فعودوا إلى سلامة القلوب، واجتماع الكلمة. وخرج عمرو القنا - وهو من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم - فنادى : يا أيها المحلون، هل لكم في الطراد فقد طال عهدي به ! ثم قال :

ألم تر أنا مذ ثلاثين ليلة جديب وأعداء الكتاب على خفض

فتهايج القوم، وأسرع بعضهم إلى بعض، وكانت الوقعة، وأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب، وصار في وسط الأزارقة، فجعلت الرماح تحطه وترفعه، واعتورت رأسه السيوف، وعليه ساعد حديد، فوضع يده على رأسه، فلم يعمل السيف فيه شيئا، واستنقذه فرسان من الأزد بعد أن صرع، وكان الذي صرعه عبيدة بن هلال بن يشكر بن بكر بن وائل، وكان يقول يومئذ :

أنا ابن خير قومه هلال شيخ على دين أبي بلال

وذاك ديني آخر الليالي

فقال رجل للمغيرة : كنا نعجب كيف تصرع، والآن نعجب كيف تنجو ! وقال المهلب لبيه : إن سرحكم لغار، ولست آمنهم عليه، أ فوكلتم به أحدا ؟ قالوا : لا، فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت، فقال : إن صالح بن مخراق قد أغار على السرح، فشق على المهلب، وقال : كل أمر لا إليه بنفسى فهو ضائع، وتذمر عليهم، فقال له بشر بن المغيرة : أرح نفسك، فإن كنت إنما تريد مثلك فوالله ما يعدل خيرنا شسع نعلك، فقال : خذوا عليهم الطريق، فبادر بشر بن المغيرة، ومدرك والمفضل ابنا المهلب، فسبق بشر إلى الطريق، فإذا رجل أسود من الأزارقة يشل السرح، وهو يقول :

نحن قمعناكم بشل السرح وقد نكأنا القرع بعد القرع

ولحقه المفضل ومدرك، فصاحا برجل من طيئ : اكفنا الأسود، فاعتوره الطائي

ويشير ابن المغيرة فقتلاه، وأسرا رجلا من الأزارقة من همدان^(١).

ما شممت اطيب من ريحه

وروى محمد بن حبيب في اماليه قال تولى غسل النبي ﷺ على ﷺ والعباس رضى الله عنه. وكان على ﷺ يقول بعد ذلك ما شممت اطيب من ريحه، ولا رايت اضوا من وجهه حينئذ، ولم اره يعتاد فاه ما يعتاد افواه الموتى. قال محمد بن حبيب فلما كشف الازار عن وجهه بعد غسله انحنى عليه فقبله مرارا؛ وبكى طويلا وقال بابي انت وامى طبت حيا وطبت ميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد سواك من النبوة والانبياء واخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عن سواك؛ وعممت حتى صارت المصيبة فيك سواء ولو لا انك امرت بالصبر، ونهيت عن الجزع لانقذنا عليك ماء الشئون؛ ولكن اتى ما لا يدفع اشكو اليك كمدا وادبارا مخالفين وداء الفتنة، فانها قد استعرت نارها وداؤها الداء الاعظم بابي انت وامى اذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك وهمك. ثم نظر إلى قذاه في عينه فلفظها بلسانه، ثم رد الازار على وجهه^(٢).

لو قنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان

وراي رجل حكيمما ياكل ما تساقط من البقل على راس الماء فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج إلى اكل هذا فقال وانت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان^(٣).

شعر صوفي

سمع الشبلى هو ينشد:

ذكرتك لا انى نسيك لمحة وايسر ما في الذكر ذكر لساني
فكدت بلا وجد اموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان
فلما ارانى الوجد انك حاضرى شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ولاحظت معلوما بغير عيان^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٩٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٤٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٠٠

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢١٦

الكلاب عندنا بالمدينة هذا شأنها

سال شقيق البلخي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الفتوه فقال ما تقول انت قال إن اعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا قال إن الكلاب عندنا بالمدينة هذا شأنها ولكن قل إن اعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا^(١).

مغنية نواحه بمكة

سارة مولاة بني هاشم كانت مغنية نواحه بمكة، وكانت، قد قدمت على رسول الله (صلى الله عليه واله) المدينة تطلب أن يصلها، وشكت إليه الحاجة وذلك بعد بدر وأحد - فقال لها : أما كان لك في غنائك ونياحك ما يغنيك ! قالت : يا محمد، إن قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا استماع الغناء، فوصلها رسول الله ﷺ وأوقر لها بعيرا طعاما، فرجعت إلى قريش وهي على دينها، وكانت يلقي عليها هجاء رسول الله ﷺ فتغنى به، فامر بها رسول الله (صلى الله عليه واله) يوم الفتح أن تقتل، فقتلت، وأما قيتنا ابن خطل فقتل يوم الفتح إحداهما، وهي أرنب أو قرينة، وأما قريني فاستؤمن لها رسول الله ﷺ، فأمنها وعاشت حتى ماتت في أيام عثمان^(٢).

قد كان بعدك أنباء وهينمة

لما أكر في تخلف على عن البيعة واشتد أبو بكر وعمر في ذلك، خرجت أم مسطح بن أثاثة، فوقفت عند قبر النبي ﷺ ونادته :

يا رسول الله قد كان بعدك أنباء وهينمة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها فاختل قومك، فاشهدهم ولا تغب^(٣)

ولكن له أهيل سوء

قطع عبد الله بن الزبير في الخطبة ذكر رسول الله ﷺ جمعا كثيرة، فاستعظم الناس ذلك، فقال : إنى لا أرغب عن ذكره، ولكن له أهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم، فأنا أحب أن أكتبهم^(٤).

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٤٣

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢١٧

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٦

إن للزوج من المرأة مكانا ما هو لآحد

كان عبد الله بن جحش قبل أن تقع الحرب يوم أحد قال : يا رسول الله، إن هؤلاء القوم قد نزلوا بحيث ترى، فقد سألت الله فقلت : اللهم أقسم عليك أن نلقى العدو غدا فيقتلونني ويبقروا بطني ويمثلوا بي، فتقول لي : فيم صنع بك هذا؟ فأقول : فيك. قال : وأنا أسألك يا رسول الله أخرى، أن تلي تركتي من بعدي. فقال له : نعم، فخرج عبد الله فقتل ومثل به كل المثل، ودفن هو وحمزة في قبر واحد، وولي تركته رسول الله ﷺ، فاشتري لأمه مالا بخبير. وقد أقبلت يومئذ أخته حمنة بنت جحش، فقال لها رسول الله ﷺ : يا حمن، احتسبي، قالت : من يارسول الله؟ قال : خالك حمزة، قالت : (إنا لله وإنا إليه راجعون) غفر الله له ورحمه، وهنيئا له الشهادة، ثم قال لها : احتسبي. قالت : من يارسول الله؟ قال : أخوك عبد الله، قالت : (إنا لله وإنا إليه راجعون) غفر الله له ورحمه وهنيئا له الشهادة، ثم قال : احتسبي، قالت : من يارسول؟ قال : بعلك مصعب بن عمير، فقالت واحزنه! ويقال : إنها قالت : واعقره. فصرخت وولولت. فقال رسول الله ﷺ : إن للزوج من المرأة مكانا ما هو لآحد. وهكذا روى ابن إسحاق أيضا. قال الواقدي : ثم قال لها رسول الله ﷺ : لم قلت هذا؟ قالت ذكرت يتم بنيه فراعني. فدعا رسول الله ﷺ لولده أن يحسن الله عليهم الخلف، فتزوجت طلحة بن عبيد الله، فولدت منه محمد بن طلحة فكان أوصل الناس لولد مصعب بن عمير^(١).

في ذكر أمور غيبية، أخبر بها الامام ثم تحققت

واعلم أنه ﷺ قد أقسم في هذا الفصل بالله الذي نفسه بيده، أنهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلا أخبرهم به، وأنه ما صح من طائفة من الناس يهتدى بها مائه وتضل بها مائة، إلا وهو مخبر لهم - إن سألوه - برعاتها، وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخبولها، ومن يقتل منها قتلا، ومن يموت منها موتا، وهذه الدعوى ليست منه عليه ﷺ ادعاء الربوبية، ولا ادعاء النبوة، ولكنه كان يقول : إن رسول الله ﷺ أخبره بذلك، ولقد امتحنا إخباره فوجدناه موافقا، فاستدلنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة، كإخباره عن الضربة التي يضرب بها في رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل

الحسين ابنه عليهما السلام، وما قاله في كربلاء حيث مر بها، وإخباره بملك معاوية الامر من بعده، وإخباره عن الحجاج، وعن يوسف بن عمر، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان، وما قدمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم، وصلب من يصلب، وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وإخباره بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص ﷺ إلى البصرة لحرب أهلها، وإخباره عن عبد الله بن الزبير، وقوله فيه : " خب صب، يروم أمرا ولا يدركه، ينصب حباله الدين لاصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش ". وإخباره عن هلاك البصرة، بالغرق وهلاكها تارة أخرى بالزنج، وهو الذي صحفه قوم فقالوا : بالريح، وإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان، وتنصيبه على قوم من أهلها يعرفون بنى رزيق، بتقديم المهملة، وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده وإسحاق بن إبراهيم، وكانوا هم وسلفهم دعاة الدولة العباسية، وإخباره عن الائمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان، كالناصر والداعي وغيرهما، في قوله ﷺ : " وإن لآل محمد بالطالقان لكنزا سيظهره الله إذا شاء دعاؤه حتى يقوم بإذن الله فيدعو إلى دين الله " ، وكأخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة، وقوله : " إنه يقتل عند أحجار الزيت " ، وكقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباب حمزة : " يقتل بعد أن يظهر، ويقهر بعد أن يقهر " ، وقوله فيه أيضا : " يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته فيا بؤسا للرامي ! شلت يده، ووهن عضده " ، وإخباره عن قتلى وج، وقوله فيهم : " هم خير أهل الارض ". وإخباره عن المملكة العلوية بالغرب، وتصريحه بذكر كتامة، وهم الذين نصرُوا أبا عبد الله الداعي المعلم. وكقوله وهو يشير إلى أبي عبد الله المهدي : وهو أولهم ثم يظهر صاحب القيروان الغض البض، ذو النسب المحض، المنتجب من سلالة ذي البداء، المسجى بالرداء، وكان عبيد الله المهدي أبيض مترفا مشربا بحمرة، رخص البدن، تار الاطراف. وذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمد عليهما السلام، وهو المسجى بالرداء، لان أباه أبا عبد الله جعفرًا سجاه بردائه لما مات، وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه، ليعلموا موته، وتزول عنهم الشبهة في أمره. وإخباره عن بنى بويه وقوله فيهم : " ويخرج من ديلمان بنو الصياد " ، إشارة إليهم. وكان أبوهم صياد السمك يصيد منه بيده ما يتقوت هو وعياله بثمانه، فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكا ثلاثة، ونشر ذريتهم حتى ضربت الامثال بملكهم. وكقوله ﷺ فيهم : " ثم يستشري أمرهم حتى يملكوا الزوراء، ويخلعوا الخلفاء ". فقال له قائل : فكم مدتهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال :

" مائة أو تزيد قليلا ". وكقوله فيهم : و " المترف ابن الاجذم، يقتله ابن عمه على دجلة " ، وهو إشارة إلى عز الدولة بختيار بن معز الدولة أبي الحسين، وكان معز الدولة أقطع اليد، قطعت يده للنكوص في الحرب، وكان ابنه عز الدولة بختيار مترفا، صاحب لهو وشرب، وقتله عضد الدولة فناخسرو، ابن عمه بقصر الجص على دجلة في الحرب، وسلبه ملكه، فأما خلعتهم للخلفاء فإن معز الدولة خلع المستكفي، ورتب عوضه المطيع، وبهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة، خلع الطائع ورتب عوضه القادر، وكانت مدة ملكهم كما أخبر به عليه السلام.. وإخباره عليه السلام لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الامر إلى أولاده، فإن على بن عبد الله لما ولد، أخرجه أبوه عبد الله إلى على عليه السلام، فأخذه وتفعل في فيه وحنكه بتمرة قد لأكها، ودفعه إليه، وقال : خذ إليك أبا الاملاك، هكذا الرواية الصحيحة، وهي التي ذكرها أبو العباس المبرد في الكتاب الكامل ^(١).

إن عامة من معي اليوم يعصيني،

جاء عدى بن حاتم يلتمس عليا عليه السلام، ما يظاً إلا على قتيل أو قدم أو ساعد فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال : يا أمير المؤمنين، ألا تقوم حتى نقاتل إلى أن نموت ! فقال له على عليه السلام : ادن فدنا حتى وضع أذنه عند أنفه، فقال : ويحك ! إن عامة من معي اليوم يعصيني، وإن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه ! قال نصر : وجاء المنذر بن أبي حميصة الوداعي - وكان شاعر همدان وفارسها - عليا عليه السلام، فقال : يا أمير المؤمنين، إن عكا والاشعريين طلبوا إلى معاوية الفرائض والعطاء فأعطاهم، فباعوا الدين بالدنيا، وأنا قد رضينا بالآخرة من الدنيا، وبالعراق من الشام، وبك من معاوية، والله لاخرتنا خير من دنياهم، ولعراقنا خير من شامهم، ولأمامنا أهدى من إمامهم، فاستفتحنا بالحرب، وثق منا بالنصر، واحملنا على الموت، وأنشده : إن عكا سألوا الفرائض والاشعر سالوا جوائزاً بثنيه تركوا الدين للعطاء وللفرض، فكانوا بذاك شر البريه وسألنا حسن الثواب من الله وصبرا على الجهاد ونيه

فلكل ما سأله ونواه كلنا يحسب الخلاف خطيه

ولاهل العراق أحسن في الحر ب إذا ما تدانت السمهرية

ولاهل العراق أحمل للثقل إذا عمت البلاد بليه

ليس منا من لم يكن في الله وليا يا ذا الولا والرصيه
فقال على عليه السلام : حسبك الله يرحمك الله ! وأثنى عليه وعلى قومه خيرا. وانتهى
شعره إلى معاوية، فقال : والله لاستميلن بالدنيا ثقات على، ولاقسمن فيهم الاموال حتى
تغلب دنياى آخرته. قال نصر : فلما أصبح الناس غدوا على مصافهم، وأصبح معاوية
يدور في أحياء اليمن وقال : عبوا إلى كل فارس مذكور فيكم، أتقوى به على هذا الحى
من همدان فخرجت خيل عظيمة فلما رآها على عليه السلام وعرف أنها عيون الرجال، فنادى :
يا لهمدان ! فأجابه سعيد بن قيس، فقال له على عليه السلام : أحمل، فحمل حتى خالط الخيل
بالخيل، واشتد القتال، وحطمتهم همدان حتى ألحقتهم بمعاوية : فقال معاوية : ما لقيت
من همدان ! وجزع جزعا شديدا، وأسرع القتل في فرسان الشام، وجمع على عليه السلام
همدان، فقال لهم : يا معشر همدان، أنتم درعى ورمحي ومجني، يا همدان ما نصرتم إلا
الله، ولا أجبتم غيره. فقال سعيد بن قيس : أجبنا الله وأجبناك، ونصرنا رسول الله في
قبره، وقاتلنا معك من ليس مثلك، فارمنا حيث شئت. قال نصر : وفي هذا اليوم قال
على عليه السلام :

ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

فقال على عليه السلام لصاحب لواء همدان : اكفني أهل حمص، فإنى لم ألق من أحد ما
لقيت منهم. فتقدم وتقدمت همدان، وشدوا شدة واحدة على أهل حمص، فضربوهم ضربا
شديدا متداركا، بالسيوف وعمد الحديد، حتى ألجئوهم إلى قبة معاوية، وارتجز من
همدان رجل، عداه في أرحب، فقال :

قد قتل الله زجال حمص غروا بقول كذب وحرص

حرصا على المال وأى حرص ! قد نكص القوم وأى نكص !

* عن طاعة الله وفحوى النص *

قال نصر : فحدثنا عمر بن سعد، قال : لما ردت خيول معاوية أسف، فجرد سيفه
وحمل في كماه أصحابه، فحملت عليه فوارس همدان، ففاز منها ركضا، وانكسرت
كماته ورجعت همدان إلى مراكزها، فقال حجر بن قحطان الهمداني، يخاطب سعيد ابن
قيس :

ألا يا بن قيس قوت العين إذا رأت
على عارفات للقاء عوابس
معمودة للطعن في ثغراتها
عباها على لابن هند وخيله
وكانت له في يومه عند ظنه
وكانت بحمد الله في كل كربة
فقل لامير المؤمنين أن ادعنا
ونحن حطمنا السمر في حى حمير
وعك ولخم شائلين سياتهم
فوارس همدان بن زيد بن مالك
طوال الهوادي مشرفات الحوارك
يجلن فيحطمن الحصى بالسنايك
فلو لم يفتها كان أول هالك
وفي كل يوم كاسف الشمس حالك
حصونا وعزا للرجال الصعالك
متى شئت إنا عرضه للمهالك
وكندة والحي الخفاف السكاسك
حذار العوالي كالاماء العوارك (١)

ولد مالك بن نويرة

فقال المهلب للامين الاخر وهو احد رسل الحجاج اليه اثناء حرب الخوارج : ينبغي
أن تتوجه مع ابني حبيب في ألف رجل، حتى تبيتوا عسكرهم فقال : ما تريد أيها الامير
إلا أن تقتلني كما فعلت بصاحبي ! فضحك المهلب، وقال : ذاك إليك. ولم يكن للقوم
خنادق، فكان كل حذرا من صاحبه، غير أن الطعام والعدة مع المهلب، وهو في زهاء
ثلاثين ألفا، فلما أصبح أشرف على واد فإذا هو برجل معه رمح مكسور مخضوب بالدم،
وهو ينشد :

وانى لاعفى ذا الخمار وصنعتي إذا راح أطواء بنى الاصاغر
أخادعهم عنه ليغبق دونهم وأعلم غير الظن إنى مغاور
كأنى وأبدان السلاح عشية يمر بنا في بطن فيحان طائر
فقال له : أ تميمي أنت ؟ قال : نعم، قال : أ حنظلي ؟ قال : نعم، قال : أ
يربوعى ؟ قال : نعم، قال : أ من آل نويرة ؟ قال : نعم، أنا ولد مالك بن نويرة، قال : قد
عرفتك بالشعر. قال أبو العباس : وذو الخمار فرس مالك بن نويرة. (٢)

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٧٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٢١٠

والله لئن ظفرت بك يوما من الدهر لاضربن عنقك

روى زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أن أمير المؤمنين عليه السلام أتى عثمان، بعد ما استخلف، فكلمه في عييد الله ولم يكلمه أحد غيره، فقال: اقتل هذا الفاسق الخبيث الذي قتل أميرا مسلما، فقال عثمان: قتلوا أباه بالامس، وأقتله اليوم! وإنما هو رجل من أهل الارض، فلما أبى عليه مر عييد الله على عليه السلام، فقال: له إيه يا فاسق! أما والله لئن ظفرت بك يوما من الدهر لاضربن عنقك، فلذلك خرج مع معاوية عليه^(١).

رزية يوم الخميس

وفي الصحيحين أيضاً خرجاه معا عن ابن عباس أنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بل دمه الحصى فقلنا: يا ابن عباس وما يوم الخميس؟ قال: إشتد برسول الله ص وجعه فقال: إئتوني بكتاب أكتبه لكم لا تضلوا بعدى أبدا. فتنازعوا فقال: إنه لا ينبغي عندي تنازع فقال قائل: ما شأنه؟ أهجر؟ إستفهموه. فذهبوا يعيدون عليه فقال: دعوني والذي إنا فيه خير من الذي أنتم فيه ثم أمر بثلاثة أشياء فقال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. وسئل ابن عباس عن الثالثة فقال: إما ألا يكون تكلم بها وإما أن يكون قالها فنسيت

وفي الصحيحين أيضاً خرجاه معا عن ابن عباس رحمه الله تعالى قال: لما إحتضر رسول الله ص وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب قال النبي ص: هلم أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده فقال عمر: إن رسول الله ص: قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف القوم وإختصموا فمنهم من يقول: قربوا إليه يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول: القول ما قاله عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عنده قال لهم: قوموا فقاموا فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ص وبين أن يكتب لكم ذلك الكتاب^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٦١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٤

ما بنى هذا الدير إلا بذلك الماء

أبو سعيد التيمي المعروف بعقيصى، قال : كنا مع على عليه السلام في مسيره إلى الشام، حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء، فانطلق بنا على عليه السلام حتى أتى بنا إلى صخرة ضرس في الارض، كأنها روضة عتر، فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لنا من تحتها ماء، فشرب الناس منه، وارتووا. ثم أمرنا فأكفأناها عليه. وسار الناس حتى إذا مضى قليلا، قال عليه السلام : أمنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذى شربتم منه ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين، قال : فانطلقوا إليه، فانطلق منا رجال ركبانا ومشاة، فاقتصصنا الطريق إليه، حتى انتهينا إلى المكان الذى نرى أنه فيه، فطلبناه، فلم نقدر على شئ، حتى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منا، فسألناهم : أين هذا الماء الذى عندكم ؟ قالوا : ليس قربنا ماء، فقلنا : بلى إنا شربنا منه، قالوا : أنتم شربتم منه ! قلنا : نعم، فقال صاحب الدير : والله ما بنى هذا الدير إلا بذلك الماء، وما استخراجة إلا نبى أو وصى نبى ^(١).

لعن الله الصوفية

أذن الشبلى مرة فلما انتهى إلى الشهادتين قال وحققك لو لا انك امرتني ما ذكرت معك غيرك.

وكان بعض العارفين يقول لا اله الا الله من داخل القلب محمد رسول الله من قرط الاذن ^(٢).

ايات

وفي ذلك انشدوا:

ايا من يعول في المشكلات على ما رآه وما دبره
إذا اعضل الامر فافزع به إلى من يرى منه ما لم تره
تكن بين عطف يقيل الخطوب ولطف يهون ما قدره

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٠٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٢٥

إذا كنت تجهل عقبى الامور وما لك حول ولا مقدرة
فلم ذا العنا وعلام الاسى ومم الحذار وفي م الشره.
وانشدوا في هذا العنى :

يا رب مغتبط ومغبوط بامر فيه هلكة
ومنافس في ملك ما يشقيه في الدارين ملكه
علم العواقب دونه ستر وليس يرام هتكه
ومعارض الاقدار بالاراء سئ الحال ضنكه
فكن امرا محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده وعناده المقدار شركه^(١).

قصة الحديدية المحممة

سال معاوية عقيلاً عن قصة الحديدية المحممة المذكورة فبكى وقال انا احدثك يا معاوية عنه ثم احدثك عما سالت نزل بالحسين ابنه ضيف فاستسلف درهما اشترى به خبزاً واحتاج إلى الادام فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن فاخذ منه رطلا فلما طلبها عليه السلام ليقسمها قال يا قنبر اظن انه حدث بهذا الزق حدث فاخبره فغضب عليه السلام وقال على بحسين فرفع عليه الدرة فقال بحق عمى جعفر - وكان إذا سئل بحق جعفر سكن - فقال ما حملك أن اخذت منه قبل القسمة قال إن لنا فيه حقا فإذا اعطيناه رددناه قال فداك ابوك وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم اما لو لا انى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ثنيتك لا وجعتك ضربا ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا في ردايه وقال اشتر به خير عسل تقدر عليه قال عقيل والله لكانى انظر إلى يدى على وهى على قم الزق وقنبر يقلب العسل فيه ثم شده وجعل يبكى ويقول اللهم اغفر لحسين فانه لم يعلم. فقال معاوية ذكرت من لا ينكر فضله رحم الله ابا حسن فلقد سبق من كان قبله واعجز من ياتي بعده هلم حديث الحديدية. قال نعم اقويت واصابتني مخمصة شديدة فسألته فلم تند صفاته فجمعت صبياني وجئته بهم والبؤس

والضر ظهران عليهم فقال ائتنى عشية لادفع اليك شيئا فجئته بقودني احد ولدي فأمره بالتنحي ثم قال لا فدونك فاوهيت حريصا - قد غلبني الجشع اظنها صرة - فوضعت يدي على حديدة تلتهب نارا فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره فقال لي ثكلتك امك هذا من حديدة لها نار الدنيا فكيف بك وبى غدا إن سلكتنا في سلاسل جهنم ثم قرا (إذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون). ثم قال ليس لك عندي فوق حقتك الذي فرضه الله لك الا ما ترى فانصرف إلى اهلك. فجعل معاوية يتعجب ويقول هيهات هيهات عقت النساء أن يلدن مثله^(١).

الدين الذي لم يقضه داود، قضاه أبو جعفر المنصور

* قال أبو الفرج : وحدثني محمد بن معن، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان، قال : استحلف أخى عبد الله بن الحسن داود بن على - وقد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بطلاق امرأته مليكة بنت داود بن الحسن، ألا يقتل أخويه محمدا والقاسم ابني عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال : فكنت أختلف إليه آمنا، وهو يقتل بنى أمية، وكان يكره أن يرانى أهل خراسان، ولا يستطيع إلى سبيلا ليمينه، فاستدنانى يوما، فدنوت منه، فقال : ما أكثر الغفلة، وأقل الحزمة ! فأخبرت بها أخى عبد الله ابن الحسن، فقال : يا بن أم، تغيب عن الرجل، وأقل عنه، فتغيب حتى مات. قلت : إلا أن ذلك الدين الذي لم يقضه داود، قضاه أبو جعفر المنصور^(٢).

من اشعار ابن أبي الحديد في المناجاة

والله لا موسى ولا	عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل وهو	الى محل القدس يتصعد
كلا ولا النفس البسيطة	لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير انك	واحدى الذات سرمد
وجدوا اضافات وسلبا	والحقيقة ليس توجد
وراوا وجودا واجبا يفنى	الزمان وليس ينفد

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٥٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٤٢

فلتخسا الحكماء عن جرم له الافلاك تسجد
 من انت يا رسطو ومن افلاط قبلك يا مبلد
 ومن ابن سيننا حين قرر ما بنيت له وشيد
 هل انتم الا الفراش راى الشهاب وقد توقد
 فدنا فاحرق نفسه ولو اهتدى رشدا لا بعد.
 ومما قلته أيضاً في قصور العقل عن معرفته سبحانه وتعالى :

فيك يا اعجوبة الكون غدا الفكرة كليل
 انت حيرت ذوى اللب ويلبلت العقولا
 كلما اقدم فكرى فيك شبرا فرميلا
 ناكصا يخبط في عمياء لا يهدى السبيلا
 ولى في هذا المعنى :

فيك يا اغلوطة الفكر تاه عقلي وانقضى عمري
 سافرت فيك العقول فما ربحت الا اذى السفر
 رجعت حسرى وما وقفت لا على عين ولا اثر
 فلحى الله الالى زعموا انك المعلوم بالنظر
 كذبوا ان الذي طلبوا خارج عن قوة البشر
 وقلت أيضاً في المعنى :

أفنت خمسين عاما معملا نظرى فيه فلم ادر ما أتى وما اذر
 من كان فوق عقول القايسين فما ذا يدرك الفكر أو ما يبلغ النظر
 ولى ايضاً :

حبيبي انت لا زيد وعمرو وان حيرتني وفتنت ديني
 طلبتك جاهدا خمسين عاما فلم احصل على برد اليقين
 فهل بعد الممات بك اتصال فاعلم غامض السر المصون
 نوى قذف وكم قدمات قبلى بحسرتة عليك من القرون
 ومن شعري أيضاً في المعنى :

يا مدهش الالباب والفظن
 افنيت فيك العمر انفقه
 اتتبع العلماء اسالهم
 واخالط الملل التي اختلفت
 وظننت انى بالغ غرضي
 ومظهر من كل رجس هوى
 فإذا الذى استكثرت منه هو
 فضلت في تيه بلا علم
 ورجعت صفر الكف مكتئبا
 ابكى وانكت في الثرى بيدي
 واصيح يا من ليس يعرفه
 يا من له عنت الوجوه
 آمننت يا جذر الاصم من
 أن ليس تدركك العيون
 والكل انت فكيف يدركه
 ومما قلته في المعنى :

ناجيته ودعوته اكشف عن عشا
 وارفع حجابا قد سدلت ستوره
 فأجابني صه يا ضعيف فبعض
 اعجبني هذا المعنى، فنقلته إلى لفظ آخر

قلبي وعن بصرى وانت النور
 دوني وهل دون المحب ستور
 ذا قد رامه موسى فدك الطور
 فقلت :
 وإن لم احظ منك بما اريد
 حال فقيل ارجع فمطلبها بعيد
 موسى وليس علي مكانته مزيد
 فدك الصخر واضطرم الصعيد
 ولى في هذا المعنى ايضا :

قد حار في النفس جميع الورى والفكر فيها قد غدا ضائعا
 وبرهن الكل على ما ادعوا وليس برهانهم قاطعا
 من جهل الصنعة عجزا فما اجدره أن يجهل الصانعا
 ولى أيضاً في الرد على الفلاسفة الذين عللوا حركة الفلك بانه اراد استخراج الوضع
 اولاً؛ ليتشبه بالعقل المجرد في كماله، وان كل ما له بالقوة فهو خارج إلى الفعل :

تحير ارباب النهى وتعجبوا من الفلك الاقصى لما ذا تحركا
 فليل بطبع كالثقل إذا هوى وقيل اختيارا والمحقق شككا
 فرد حديث الطبع إذ كان دائرا وليس على سمت قويم فيسلكا
 وقيل لمن قال اختيارا فما الذى دعاه إلى أن دار ركضا فاوشكا
 فقالوا لوضع حادث يستجده يعاقب منه مطلباً ثم متركا
 فليل لهم هذا الجنون بعينه ولو رامه منا امرؤ كان اعفكا
 ولو أن انسانا غدا ليس قصده سوى الوضع واستخراجه عد مضحكا

ولى أيضاً في الرد على من زعم أن النبي ﷺ رأى الله سبحانه بالعين،

عجبت لقوم يزعمون نبينهم رأى ربه بالعين تبا لهم تبا
 وهل تدرك الابصار غير مكيف وكيف تبيع العين ما يمنع القلب
 إذا كان طرف القلب عن كنهه نبا رحسيرا فطرف العين عن كنهه انبى^(١)

عجائب خلق النملة

واعلم أن شيخنا ابا عثمان قد اورد في كتاب الحيوان في باب النملة والذرة - وهى
 الصغيره جدا من النمل - كلاما يصلح أن يكون كلام امير المؤمنين عليه السلام اصله ولكن ابا
 عثمان قد فرع عليه. قال الذرة تدخر في الصيف للشتاء، وتتقدم في حال المهلة، ولا
 تضع اوقات امكان الحزم، ثم يبلغ من تفقدها وصحة تمييزها، والنظر في عواقب
 امورها؛ انها تخاف على الحبوب التى ادخرتها للشتاء في الصيف، أن تعفن وتسوس في
 بطن الارض فتخرجها إلى ظهرها لتشرها وتعيد إليها جفوفها، ويمر بها النسيم فينفي عنها

اللخن والفساد. ثم ربما - بل في الاكثر - تختار ذلك العمل ليلا، لان ذلك اخفى، وفي القمر لانها فيه ابصر، فان كان مكانها نديا وخافت أن تنبت الحبة نقرت موضع القطمير من وسطها؛ لعلمها انها من ذلك الموضع تنبت، وربما فلقت الحبة نصفين. فاما إن كان الحب من حب الكزبرة فانها تفلقه ارباعا، لان انصاف حب الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب، فهي من هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوانات، حتى ربما كانت في ذلك احزم من كثير من الناس، ولها مع لطافة شخصها وخفة وزنها في الشم والاسترواح ما ليس لشيء، فربما اكل الانسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد، فيسقط من يده الواحدة أو صدر واحدة، وليس بقربه ذرة ولا له عهد بالذر في ذلك المنزل، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة، فترومها وتحاول نقلها وجرها إلى جحرها، فإذا اعجزتها بعد أن تبلى عذرا مضت إلى جحرها راجعه، فلا يلبث ذلك الانسان أن يجدها قد اقبلت وخلفها كالخييط الاسود الممدود، حتى يتعاون عليها فيحملنها. فاعجب من صدق الشم لما لا يشمه الانسان الجائع ثم انظر إلى بعد الهمة والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة، واكثر من مائة مرة، بل اضعاف اضعاف المائة، وليس شيء من الحيوان يحمل ما يكون اضعاف وزنه مرارا كثيرة غيرها^(١).

قم وغيب عنى وجهك

روى أن رسول الله ﷺ أمر بقتل وحشى يوم الفتح، فهرب إلى الطائف، فلم يزل بها مقيما حتى قدم مع وفد الطائف على رسول الله ﷺ، فدخل عليه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، فقال: أوحشي؟ قال: نعم، قال: اجلس وحدثني كيف قتلت حمزه؟ فلما أخبره قال: قم وغيب عنى وجهك، فكان إذا رآه تواري عنه^(٢).

لو لا أن أهلك أخرجوني ما خرجت

عن ابي عمرو بن عدى بن ابي الحمراء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بعد فراغه من أمر الفتح وهو يريد الخروج من مكة: أما والله إنك لخير أرض الله، وأحب بلاد الله إلى، ولو لا أن أهلك أخرجوني ما خرجت^(٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٦

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٥٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٦

قاتله وسالبه في النار

عن السدي، أن رجلين بصفين اختصما في سلب عمار وفي قتله، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: ويحكما اخرجنا عنى! فإن رسول الله صلى الله عليه قال: ما لقريش ولعمار! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار. قاتله وسالبه في النار^(١).

كويفة بن عمر

روى أن المسلمين لما قال عثمان: إني قد عفوت عن عبيد الله بن عمر، قالوا: ليس لك أن تعفو عنه، قال: بلى إنه ليس لجفينة والهرمزان قرابة من أهل الإسلام، وأنا ولي أمر المسلمين، وأنا أولى بهما، وقد عفوت، فقال علي عليه السلام: إنه ليس كما تقول، إنما أنت في أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين، إنه قتلها في إمرة غيرك، وقد حكم الوالي الذي قتلها في إمارته بقتله، ولو كان قتلها في إمارتك لم يكن لك العفو عنه، فاتق الله، فإن الله سائلك عن هذا! فلما رأى عثمان أن المسلمين قد أبوا إلا قتل عبيد الله، أمره فارتحل إلى الكوفة، وأقطعها بها دارا وأرضا، وهى التى يقال لها: كويفة بن عمر، فعظم ذلك عند المسلمين وأكبروه، وكثر كلامهم فيه^(٢).

فلم يهو رسول الله ما قاله عمر

لما قتل المشركون يوم بدر أسر منهم سبعون أسيرا، فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبا بكر وعمر فقال أبو بكر يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان، وأرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على المشركين وعسى أن يهديهم الله بعد اليوم، فيكونوا لنا عذرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تقول أنت يا عمر؟ قال: أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل، فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين. اقتلهم يا رسول الله، فإنهم صناديدهم وقادتهم فلم يهو رسول الله ما قاله عمر. قال عمر: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدته قاعدا وأبو بكر وهما يبكيان، فقلت: ما يبكيكما؟ حدثاني، فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبكى

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٦١

لاخذ الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة منه. قال عبد الله بن عمر : فكان رسول الله ﷺ يقول : كدنا أن يصيبنا شر في مخالفة عمر (١).

ما غنم يوم احد

عن عمر بن الحكم، قال : ما علمنا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أغاروا على النهب فأخذوا ما أخذوا من الذهب بقي معه من ذلك شيء يرجع به حيث غشيننا المشركون، واختلفوا إلا رجلين أحدهما عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح، جاء بمنطقة وجدها في العسكر، فيها خمسون دينارا فشدتها على حقويه من تحت ثيابه، وجاء عباد بن بشر بصرة فيها ثلاثة عشر مثقالا ألقاها في جيب قميصه، وفوقها الدرع وقد حزم وسطه، فأتيا بذلك رسول الله ﷺ فلم يخمسه و نقلهما إياه (٢).

فإن الله قتله وأنا معه

عن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، قال : رأيت عليا عليه السلام على منبر رسول الله ﷺ حين قتل، وهو يقول : ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به، ولا نهيت عنه. وعن أبي جلدة، أنه سمع عليا عليه السلام، يقول وهو يخطب، فذكر عثمان، وقال : والله الذي لا إله إلا هو، ما قتله ولا مالات على قتله ولا ساءنى.

وعن عبيدة السلماني، قال : سمعت عليا عليه السلام يقول : من كان سائلي عن دم عثمان، فإن الله قتله وأنا معه.

و عن أبي حمزة الضبعي، قال : قلت لابن عباس : إن أبي أخبرني أنه سمع عليا، يقول : ألا من كان سائلي على دم عثمان، فإن الله قتله وأنا معه - فقال : صدق أبوك، هل تدري ما معنى قوله ! إنما عنى : الله قتله وأنا مع الله (٣).

أصيبت يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته

رمى رسول الله ﷺ عن قوسه يومئذ حتى صارت شظايا، فأخذها قتادة بن النعمان،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٦٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٤٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٦٥

وكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته. قال قتادة : فجئت إلى رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله، إن تحتي امرأة شابة جميلة، أحبها وتحبني، وأنا أخشى أن تقدر مكان عيني، فأخذها رسول الله ﷺ فردها وانصرف بها، وعادت كما كانت، فلم تضرب عليه ساعة من ليل ونهار، وكان يقول بعد أن أسن هي أقوى عيني - وكانت أحسنهما^(١).

وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم

لما كاشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم وظهر بغضهم وعابهم، وهم بما هم به في أمرهم، ولم يذكر رسول الله ﷺ في خطبه، لا يوم الجمعة ولا غيرها، عاتبه على ذلك قوم من خاصته، وتشاءموا بذلك منه، وخافوا عاقبته، فقال : والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سرا وأكثر منه، لكني رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره اشربوا وحمرت ألوانهم، وطالت رقابهم، والله ما كنت لاتي لهم سرورا وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا، فإني لا أقتل منهم إلا آثما كفارا سحارا، لا أنماهم الله ولا بارك عليهم، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر، والله ما ترك نبي الله فيهم خيرا، استفرغ نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس. فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين ! أنا أول من أعانك في أمرهم، فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي، فقال : والله ما قلت صوابا، ولا هممت برشد، أرهط رسول الله ﷺ تعيب، وإياهم تقتل، والعرب حولك ! والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره. فقال : اجلس أبا صفوان فلست بناموس. فبلغ الخبر عبد الله بن العباس، فخرج مغضبا ومعه ابنه حتى أتى المسجد، فقصد قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس، إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ﷺ ولا آخر، فيا عجايب كل العجب لافتراءه ولكذبه، والله إن أول من أخذ الأيلاف وحمى عيرات قريش لهاشم، وإن أول من سقى بمكة عذبا، وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب، والله لقد نشأت ناشتتا مع ناشئة قريش، وإن كنا لقاتلهم، إذا قالوا، وخطباءهم إذا خطبوا، وما عد مجد

كمجد أولنا، ولا كان في قريش مجد لغيرنا، لأنها في كفر ماحق، ودين فاسق، وضلة وضلالة، في عشواء عمياء، حتى اختار الله تعالى لها نورا، وبعث لها سراجا، فانتجبه طيبا من طيبين، لا يسبه بمسبة، ولا يبغى عليه غائلة، فكان أحدنا وولدنا، وعمنا وابن عمنا. ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحدا بعد واحد. ثم إنا لخير الناس بعده وأكرمهم أدبا، وأشرفهم حسبا، وأقربهم منه رحما. وا عجبنا كل العجب لابن الزبير! يعيب بنى هاشم، وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم، أما والله إنه لمسلوب قريش، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبد المطلب، قيل للبلغل: من أبوك يا بلغل؟ فقال: خالي الفرس. ثم نزل^(١).

ميسة بنت سخام الثقفية

قال معاوية لابن عباس، ولقيه بمكة: يا عجبنا من وفاة الحسن! شرب علة بماء رومة ففضى نحيبه، فوجم ابن عباس، فقال معاوية: لا يحزنك الله ولا يسوءك، فقال: لا يسوءني ما أبقاك الله! فأمر له بمائة ألف درهم. وروى أبو الحسن قال: أول من نعى الحسن عليه السلام بالبصرة عبد الله بن سلمة، نعاه لزياد، فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفي، فنعاها، فبكى الناس - وأبو بكر يومئذ مريض، فسمع الضججة، فقال: ما هذا؟ فقالت امرأته ميسة بنت سخام الثقفية: مات الحسن بن علي، فالحمد لله الذي أراح الناس منه! فقال: اسكتي ويحك فقد أراحه الله من شر كثير، وفقد الناس بموته خيرا كثيرا، يرحم الله حسنا!^(٢).

وكان فظا يتعبنى إذا عملت، ويضربني إذا قصرت

حج عمر فلما كان بضجنان قال لا إله إلا الله العلي العظيم، المعطى ما يشاء لمن يشاء أذكر وأنا أرعى إيل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف - وكان فظا يتعبنى إذا عملت، ويضربني إذا قصرت - وقد أمسيت اليوم وليس بيني وبين الله أحد ثم تمثل: لا شئ مما يرى تبقى بشاشته يبقى الاله، ويودى المال والولد لم تغن عن هرمز يوما خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا ولا سليمان إذ تجرى الرياح له والانس والجن فيما

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١١

بينها يرد أين الملوك التي كانت منازلها من كل أوب إليها راكب يفد حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوما كما وردوا^(١).

حصار على ذرة وقد وجدت ما تشتهى

قال أبو عثمان وحدثني أبو عبيد الله الأفوه، قال قد كنت القى من الذر والنمل في الرطب يكون عندي وفي الطعام عنتا كثيرا، وذلك لاني كنت لا استقدر النملة ولا الذرة، ثم وجدت الواحدة منهما إذا وقعت في قارورة بان أو زئبق أو خيري، فسد ذلك الدهن وزنخ، فقذرتها ونفرت منها، وقلت اخلق بطبيعتها أن تكون فاسدة خبيثة، وكنت ارى لها عضا منكرا، فاقول انها من ذوات السموم، ولو إن بدن النملة زيد في اجزائه حتى يلحق ببدن العقرب، ثم عضت انسانا لكانت عضتها اضر عليه من لسعة العقرب. قال فاتخذت عند ذلك لطعامي منملة وقيرتها، وصببت في خندقتها الماء، ووضعت سلة الطعام على راسها، فغربت اياما اكشف راس السلة بعد ذلك، وفيها ذر كثير، ووجدت الماء في الخندق على حاله، فقلت عسى أن يكون بعض الصبيان انزلها، واكل مما فيها وطال مكثها في الارض، وقد دخلها الذر ثم اعيدت على تلك الحال، وتكلمت في ذلك وتعرفت الحال فيه، فعرفت البراءة في عذرهم، والصدق في خبرهم، فاشتد تعجبي، وذهبت بي الظنون والخواطر كل مذهب، فعزمت على أن ارصدها واحرسها، واتثبت في امرى، واتعرف شانى، فإذا هي بعد أن رامت الخندق فامتنع عليها تركته جانبا، وصعدت في الحائط، ثم مرت على جذع السقف، فلما صارت محاذية للسلة ارسلت نفسها فقلت في نفسي انظر كيف اهدت إلى هذه الحيلة ولم تعلم انها تبقى محصورة. ثم قلت وما عليها أن تبقى محصورة بل أي حصار على ذرة وقد وجدت ما تشتهى^(٢).

إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق

عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود، فقال : إن الله تعالى قد آمننا أن يظلمنا، ولم يؤمننا أن يفتننا، رأيت إذا أنزلت فتنة، كيف أصنع؟ فقال : عليك كتاب الله تعالى، قال : أفأرأيت إن جاء قوم كلهم يدعو إلى كتاب الله

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٦٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٥٩

تعالى؟ فقال ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق)، يعني عماراً^(١).

لتقاتلن قتالا أهونه الشديد

لما انتهت عائشة في مسيرها إلى الحوآب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، نبحتها الكلاب، حتى نفرت صعاب إبليها، فقال قائل من أصحابها: ألا ترون، ما أكثر كلاب الحوآب، وما أشد نباحها! فأمسكت زمام بعيرها، وقالت: وإنما لكلاب الحوآب ردوني ردوني، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول... وذكرت الخبر، فقال لها قائل: مهلا يرحمك الله! فقد جزنا ماء الحوآب، فقالت: فهل من شاهد؟ فلفقوا لها خمسين أعرابيا، جعلوا لهم جعلاً، فحلفوا لها إن هذا ليس بماء الحوآب، فسارت لوجهها. لما انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حفر أبي موسى قريبا من البصرة، أرسل عثمان بن حنيف وهو يومئذ عامل على ﷺ على البصرة - إلى القوم أبا الاسود الدؤلي يعلم له علمهم، فجاء حتى دخل على عائشة، فسألها عن مسيرها، فقالت: أطلب بدم عثمان، قال: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد، قالت: صدقت، ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة، وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم! فقال لها: ما أنت من السوط والسيف! إنما أنت حبيس رسول الله ﷺ، أمرك أن تقرى في بيتك، وتلى كتاب ربك، وليس على النساء قتال، ولا لهن الطلب بالدماء، وإن عليا لاولى بعثمان منك، وأمس رحما، فإنهما ابنا عبد مناف، فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضى لما قدمت له، أفظن يا أبا الاسود أن أحدا يقدم على قتالي! قال: أما والله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد. ثم قام فأتى الزبير، فقال: يا أبا عبد الله، عهد الناس بك، وأنت يوم بويج أبو بكر آخذ بقائم سيفك، تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب، وأين هذا المقام من ذلك! فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا! قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول، فذهب إلى طلحة، فوجده سادرا في غية، مصرا على الحرب والفتنة، فرجع إلى عثمان بن حنيف، فقال: إنها الحرب، فتاهب لها^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢٢٥

على لا يرضى بالعراق دون الشام

قال الحجاج : يا أمير المؤمنين - ولم يخاطب معاوية بأمر المؤمنين قبلها - إني كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد القسري، مغيثا لعثمان، فقدمت أنا وزفر بن الحارث، فلقينا رجلا زعم أنه ممن قتل عثمان، فقتلناه، وإني أخبرك يا أمير المؤمنين أنك لتقوى على على بدون ما يقوى به عليك، لأن معك قوما لا يقولون إذا قلت، ولا يسألون إذا أمرت، وإن مع على قوما يقولون إذا قال، ويسألون إذا أمر، فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه. واعلم أنه لا يرضى على إلا بالرضا، وأن رضا سخطك، ولست وعلى سواء، على لا يرضى بالعراق دون الشام، وأنت ترضى بالشام دون العراق^(١).

كل الناس أفقه من عمر !

ومر يوما عمر بشاب من فتیان الانصار وهو ظمان، فاستسقاها، فجدح له ماء بعسل فلم يشربه، وقال : إن الله تعالى يقول : (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) فقال له الفتى : يا أمير المؤمنين، إنها ليست لك ولا لاحد من هذه القبيلة، اقرأ ما قبلها : (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)، فقال عمر : كل الناس أفقه من عمر !^(٢).

قصة ابي ذر الغفاري وعثمان

أن الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الاخبار والنقل، أن عثمان نفى أبا ذر أولا إلى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكوا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. أصل هذه الواقعة، أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الاموال، واختص زيد بن ثابت بشئ منها، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع : بشر الكافرين بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى : (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)، فرفع ذلك إلى عثمان مرارا وهو ساكت. ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه : أن انته عما بلغني عنك، فقال أبو ذر : أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى، وعيب من ترك

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٢

أمر الله تعالى فوالله لان أرضى الله بسخط عثمان أحب إلى وخير لى من أن أسخط الله برضا عثمان. فأغضب عثمان ذلك وأحفظه، فتصابر وتماسك، إلى أن قال عثمان يوماً، والناس حوله : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضي ؟ فقال كعب الاحبار : لا بأس بذلك فقال أبو ذر : يا ابن اليهوديين، أتعلمنا ديننا ! فقال عثمان : قد كثر أذاك لى وتولعك بأصحابى، الحق بالشام. فأخرجه إليها. فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر لرسوله : إن كانت من عطائي الذى حرمتومنيه عامى هذا أقبلها، وإن كانت صلة فلا حاجة لى فيها، وردها عليه. ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر : يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهى الخيانة، وإن كانت من مالك فهى الاسراف. وكان أبو ذر يقول بالشام والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ماهى فى كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ، والله إنى لارى حقاً يظفأ وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذباً، وأثره بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه. قال حبيب بن مسلمة الفهرى لمعاوية : إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة (١).

وانك لهند !

روى أن هند بنت عتبة جاءت إلى رسول الله ﷺ مع نساء قريش متنكرة متنقبة لحدثها الذى كان فى الاسلام، وما صنعت بحمزة حين جدعته وبقرت بطنه عن كبده، فهى تخاف أن يأخذها رسول الله (صلى الله عليه واله) بحدثها ذلك، فلما دنت منه، وقال حين بايعنه على ألا يشركن بالله شيئاً قلن : نعم، قال : ولا يسرقن، فقالت هند : والله أنا كنت لاصيب من مال أبى سفيان الهنة والهنهية فما أعلم أحلال ذلك أم لا ! فقال رسول الله ﷺ : وانك لهند ! قالت، نعم، أنا هند، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال رسول الله ﷺ : ولا يزنين، فقالت هند : وهل تزني الحرة ! فقال : لا ولا يقتلن أولادهن، فقالت هند : قد لعمرى ربناهم صغاراً وقتلتهم كباراً ببدر، فأنت وهم أعرف. فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى أسفرت نواجذها، قال : ولا يأتين ببهتان يفتريه، فقالت هند : إن إتيان البهتان

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٢٥٥

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ٢٥٥

لقبيح، فقال : ولا يعصينك في معروف، فقالت ما جلسنا هذه الجلسة ونحن نريد أن نعصيك^(١).

اعتراه نسيان حتى كان ينسى عدد ركعات الصلاة

وروى محمد بن سيرين أن عمر في آخر أيامه اعتراه نسيان حتى كان ينسى عدد ركعات الصلاة، فجعل أمامه رجلا يلقنه فإذا أومى إليه أن يقوم أو يركع، فعل^(٢).

لو أن ثوبك في تنور أهلك لكان خيرا لك

ورأى عبد الله بن سلام على إنسان ثوبا معصفرا، فقال : لو أن ثوبك في تنور أهلك لكان خيرا لك، فذهب الرجل فأحرق ثوبه في تنور أهله، وظن أنه أراد الظاهر، ولم يرد ابن سلام ذلك، وإنما أراد : لو صرف ثمنه في دقيق يخبزه في تنور أهله^(٣).

لحقا بالدرهم

ما ورد أن أبا غسان المسمعى مر بأبى غفار السدوسى، فقال : يا غفار، ما فعل الدرهمان؟ فقال : لحقا بالدرهم، أراد بالدرهمين قول الاخطل :

فإن تبخل سدوس بدرهميها فإن الريح طيبة قبول
وأراد الآخر قول بشار :

وفى جحدر لؤم وفى آل مسمع صلاح ولكن درهم القوم كوكب^(٤).

نحن أبصر بالتمر منا بالسيوف

كان محمد بن عقال المجاشعى عند يزيد بن يزيد الشيباني، وعنده سيوف تعرض عليه، فدفع سيفا منها إلى يد محمد، فقال : كيف ترى هذا السيف؟ فقال : نحن أبصر بالتمر منا بالسيوف، أراد يزيد قول جرير في الفرزدق :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٦٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ١٨

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٢

ضربت به عند الامام فأرعشت يداك، وقالوا محدث غير صارم
وأراد محمد قول مروان بن أبي حفصة :
لقد أفسدت أسنان بكر بن وائل من التمر مالو أصلحته لمارها (١).

ان القوم مصنوع لهم

إن العرب لما عبرت دجلة إلى القصر الأبيض الشرقي بالمدائن عبرتها في أيام مدها،
وهي كالبحر الزاخر على خيولها وبأيديها رماحها، ولا دروع عليها ولا بيض، فهربت
الفرس بعد رمى شديد منها للعرب بالسهم، وهم يقدمون ويحملون، ولا تهولهم السهام،
فقال فلاح نبطي، بيده مسحاته وهو يفتح الماء إلى زرعه لاسوار من الاساوره معروف
بالبأس وجودة الرماية : ويلكم ! أمثلكم في سلاحكم يهرب من هؤلاء القوم الحاسرين !
ولذعه باللوم والتعنيف : فقال له : أقم مسحاتك، فأقامها فرماها، فخرق الحديد حتى
عبر النصل إلى جانبها الآخر، ثم قال : انظر الآن، ثم رمى بعض العرب المارين عليه
عشرين سهما لم يصبه ولا فرسه منها بسهم واحد، وإنه لقريب منه غير بعيد. ولقد كان
بعض السهام يسقط بين يدي الاسوار، فقال له بالفارسية : أعلمت أن القوم مصنوع لهم !
قال : نعم (٢).

إذا كان يصيد القطا

قال محمد بن عمير بن عطاء التميمي لشريك النميري، وعلى يده صقر : ليس في
الجوارح أحب إلى من البازي. فقال شريك : إذا كان يصيد القطا، أراد محمد قول
جرير :

أنا البازي المطل على نمير أتيج من السماء له انصبابا
وأراد شريك قول الطرماح :
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت (٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٧٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٣

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٧٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٣

بيعتى لا تكون خفياً

لم يكن له ﷺ في الخلافة رغبة ولا اربة روى الطبري في التاريخ ورواه غيره أيضاً أن الناس غشوة وتكاثروا عليه يطلبون مبايعته وهو يابى ذلك ويقول دعوني والتمسوا غيرى فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تثبت عليه العقول ولا تقوم له القلوب قالوا ننشدك الله الا ترى الفتنة الا ترى إلى ما حدث في الاسلام الا تخاف الله فقال قد اجبتكم لما ارى منكم واعلموا انى إن اجبتكم ركبت بكم ما اعلم وإن تركتمونى فانما انا كاحدكم بل انا اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم إليه فقالوا ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك قال إن كان لا بد من ذلك ففى المسجد فان بيعتى لا تكون خفياً ولا تكون الا عن رضا المسلمين وفى ملا وجماعة فقام والناس حوله فدخل المسجد وانثال عليه المسلمون فبايعوه وفيهم طلحة والزبير^(١).

فهل أكرهوك على أخذ الاجر

شهد رجل عند سوار القاضى فقال : ما صناعتك ؟ فقال : مؤدب، قال : أنا لا أجزى شهادتك، قال : ولم ؟ قال لانك تأخذ على تعليم القرآن أجراً، قال : وأنت أيضاً تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً، قال : إنهم أكرهونى، قال نعم أكرهوك على القضاء، فهل أكرهوك على أخذ الاجر ! قال هلم شهادتك^(٢).

وإن حفروا بشرى حفرت بثارهم

ودخل أبو دلامة ليشهد عند أبى ليلى، فقال حين جلس بين يديه :
إذا الناس غطوني تغطيت عنهم وان بحشوا عنى ففبهم
وإن حفروا بشرى حفرت بثارهم ليعلم ما تخفيه تلك النبائث
فقال بل نغطيك يا أبا دلامة ولا نبحتك، وصرفه راضياً، وأعطى المشهود عليه من عنده قيمه ذلك الشئ^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

اتبعه مباله وخلاك ذم

كان عامر بن الظرب العدواني حاكم العرب وقاضيها، فنزل به قوم يسيقتونه في الخنثى وميرائه، فلم يدر ما يقضى فيه، وكان له جارية اسمها خصيلة، ربما لامها في الابطاء عن الرعى وفي الشئ يجده عليها، فقال لها: يا خصيلة لقد أسرع هؤلاء القوم في غنمي، وأطالوا المكث، قالت: وما يكبر عليك من ذلك؟ اتبعه مباله وخلاك ذم، فقال لها: مسى خصيل بعدها أو روعي^(١).

أو ما هو خير من الحق؟

وقال أعرابي لقوم يتنازعون: هل لكم في الحق أو ما هو خير من الحق؟ قيل: وما الذي هو خير من الحق؟ قال: التحاط والهضم، فإن أخذ الحق كله مر^(٢).

وأخرجه من الشام كي لا يفسد علينا الناس

ودخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام، فقدم خصما إلى باب القاضي في أيام عبد الملك، فقال القاضي: أما تستحي! تخاصم وأنت غلام شيخا كبيرا فقال الحق أكبر منه، فقال اسكت ويحك! قال فمن ينطق بحجتي إذا! قال ما أظنك تقول اليوم حقا حتى تقوم، فقال: لا إله إلا الله. فقام القاضي ودخل على عبد الملك وأخبره، فقال: اقض حاجته وأخرجه من الشام كي لا يفسد علينا الناس^(٣).

إنه وإن هملج إلى الباطل

واختصم أعرابي وحضري إلى قاض، فقال الاعرابي: أيها القاضي، إنه وإن هملج إلى الباطل، فإنه عن الحق لعطوف^(٤).

كنيتني بحضرة خصمي

واستعدى رجل على علي بن أبي طالب عليه السلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

جالس فالتفت عمر إليه، فقال : قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا، ثم انصرف الرجل ورجع على ﷺ إلى محله، فتبين عمر التغير في وجهه، فقال : يا أبا الحسن، ما لى أراك متغيرا ! أكرهت ما كان؟ قال نعم قال : وما ذاك قال : كنتني بحضرة خصمى، هلا قلت : قم يا على فاجلس مع خصمك ! فاعتنق عمر عليا، وجعل يقبل وجهه، وقال بأبى أنتم ! بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور^(١).

كتم حب الدنيا أربعين سنة

كان ببغداد رجل يذكر بالصلاح والزهد يقال له رويم، فولى القضاء، فقال الجنيد : من أراد أن يستودع سره من لا يفشيه فعليه برويم، فإنه كتم حب الدنيا أربعين سنة إلى أن قدر عليها^(٢).

نوح بن دراج

قال الأشهب الكوفى :

يا أهل بغداد قد قامت قيامتكم مذ صار قاضيكم نوح بن دراج
لو كان حيا له الحجاج ما سلمت صحيحة يده من وسم حجاج
وكان الحجاج يسم أيدي النبط بالمشرط والنيل^(٣).

وقع السابح في البحر كم عسى أن يسبح !

قيل لابي قلابة وقد هرب من القضاء : لو أجبت؟ قال : أخاف الهلاك، قيل : لو اجتهدت لم يكن عليك بأس، قال : ويحكم ! إذا وقع السابح في البحر كم عسى أن يسبح !^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

خذ أموال الاغنياء أسهل من أخذ أموال الايتام

دعا رجل لسليمان الشاذكوني، فقال : أرائيك الله يا أبا أيوب على قضاء إصبهان ! قال : ويحك ! إن كان ولا بد فعلى خراجها، فإن أخذ أموال الاغنياء أسهل من أخذ أموال الايتام^(١).

فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها

ارتفعت جميلة بنت عيسى بن جراد وكانت جميلة كاسمها مع خصم لها إلى الشعبي وهو قاضي عبد الملك فقضى لها، فقال هذيل الأشجعي :

فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها
فتنته بثناياها وقوسى حاجبيها
ومشت مشيا رويدا ثم هزت منكبيها
فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطا. قال ابن أبي ليلي : ثم انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء وقد شاعت الابيات وتناشدها الناس، ونحن معه، فمررنا بخادم تغسل الثياب، وتقول : فتن الشعبي لما، ولا تحفظ تمة البيت، فوقف عليها ولقنها، وقال : رفع الطرف إليها، ثم ضحك وقال : أبعد الله ! والله ما قضينا لها إلا بالحق^(٢).

ولبنى عمه الذلة

جاءت امرأة إلى قاض فقالت : مات بعلى وترك أبوين وابنا وبنى عم، فقال القاضي : لأبويه الثكل، ولابنه اليتيم، ولك اللائمة، ولبنى عمه الذلة، واحملي المال إلينا إلى أن ترتفع الخصوم!^(٣).

ولا بد يا أبا عبد الله للناس من شرطى.

لقى سفيان الثوري شريكا بعد ما استقضى، فقال له يا أبا عبد الله، بعد الاسلام

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦٧.

والفقه والصلاح تلى القضاء ! قال، يا أبا عبد الله، فهل للناس بد من قاض ! قال : ولا بد يا أبا عبد الله للناس من شرطى^(١).

لو سرقت ما نمت هذا النوم

قال بعض الاكاسرة لعامل من عماله : كيف نومك بالليل ؟ قال : أنامه كله، قال : أحسنت ! لو سرقت ما نمت هذا النوم^(٢).

لا يكون عمران، حيث يجور السلطان

رفع إلى أنوشروان أن عامل الاهواز قد حمل من مال الخراج ما يزيد على العادة وربما يكون ذلك قد أجحف بالرعية، فوقع : يرد هذا المال على من قد استوفى منه فإن تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه. وكان على خاتم انوشروان : لا يكون عمران، حيث يجور السلطان^(٣).

ما دام هذا الشط بحاله ما تخرب واسط والبصره

كان ابو محمد بن خليد صاحب ديوان الخراج في أيام الناصر لدين الله - يقول لمن قال له : قد قيل عنك : إن واسط والبصرة قد خربت لشده العنف بأهلها في تحصيل الاموال ! فقال أبو محمد : ما دام هذا الشط بحاله، والنخل نابتا في منابته بحاله، ما تخرب واسط والبصرة أبدا^(٤).

عده من جفاة الاعراب واسترح

قال ابن أبي الحديد : قال عمر : متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا محرمهما، ومعاقب عليهما : متعة النساء ومتعة الحج.

وهذا الكلام وإن كان ظاهره منكرا فله عندنا مخرج وتأويل، وقد ذكره أصحابنا الفقهاء في كتبهم. وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة، يحسبه السامع لها

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٧٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٧١

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٧٣

أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهم من تحكى له أنه قصد بها ظاهرا ما لم يقصده، فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ. ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها ! ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته، ولم يتحفظ منها. وكان الاحسن أن يقول : (مغمور) أو (مغلوب بالمرض)، وحاشاه أن يعنى بها غير ذلك

ولجفاة الاعراب من هذا الفن كثير، سمع سليمان بن عبد الملك أعرابيا يقول في سنة قحط :

رب العباد ما لنا وما لكا ! قد كنت تسقينا فما بدا لكا !

أنزل علينا القطر لا أبا لكا !

فقال سليمان : أشهد أنه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد، فأخرجه أحسن مخرج (١).

شعر عبد الله بن الزبعرى الذى اعتذر به إلى رسول الله

من جيد شعر عبد الله بن الزبعرى الذى اعتذر به إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حين قدم عليه :

منع الرقاد بلابل وهموم	فالليل ممتد الرواق بهيم
مما أتانى أن أحمد لامنى	فيه، فبت كأننى محموم
يا خير من حملت على أوصالها	عيرانة سرح اليدين سعوم *
إنى لمعتذر إليك من الذى	أسديت إذ أنا في الضلال أميم
أيان تأمرنى بأغوى خطة	سهم، وتأمرنى به مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودنى	أمر الغواية وأمرهم مشئوم
فاليوم آمن بالنبي محمد	قلبي، ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها	ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدى كلاهما	زلى، فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة	نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه	شرفا ويرهان الاله عظيم

ولقد شهدت بأن دينك صادق بر وشأنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى متقبل في الصالحين كريم
فرع علا بنيانه من هاشم دوح تمكن في العلا وأروم^(١).

وأما المتعة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردى عوسجة

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال: إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله، ويفتى في القملة والنملة، وقد احتمل بيت مال البصرة بالامس، وترك المسلمين بها يرتضخون النوى، وكيف ألومه في ذلك، وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ، ومن وقاه بيده! فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بنى أسد بن خزيمة، استقبل بى وجه ابن الزبير، وأرفع من صدري، وكان ابن عباس قد كف بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير، وأقام قامته فحسر عن ذراعيه، ثم قال: يا بن الزبير قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولها على أخراها حتى تصير حرضا دعواها يا بن الزبير، أما العمى فإن الله تعالى يقول: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)، وأما فتياى في القملة والنملة، فإن فيها حكيمين لا تعلمها أنت ولا أصحابك، وأما حملي المال فانه كان ما لا جبيناه فأعطينا كل ذى حق حقه، وبقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا، وأما المتعة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردى عوسجة. وأما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك، فانطلق أبوك خالك إلى حجاب مده الله عليها، فهتكاه عنها، ثم اتخذها فتنة يقاتلان دونها، وصانا حلائلها في بيوتها، فما أنصفا الله ولا محمدا من أنفسهما إن ابرزا زوجة نبيه وصانا حلائلها. وأما قتالنا إياكم فإننا لقينا زحفا، فإن كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا، وأيم الله لو لا مكان صفية فيكم، ومكان خديجة فينا، لما تركت لبنى أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرته. فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألها عن بردى عوسجة، فقالت ألم أنك عن ابن عباس وعن بنى هاشم! فإنهم كعم الجواب إذا بدهوا، فقال: بلى، وعصيتك. فقالت يا بنى، احذر هذا

الاعمى الذي ما أطاقته الانس والجن، واعلم إن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها،
فإياك وإياه آخر الدهر،^(١)

والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك

قال عمر يوما، والناس حوله : والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك ! فإن كنت ملكا،
فقد ورطت في أمر عظيم فقال له قائل : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا، وإنك إن شاء
الله لعلى خير، قال كيف قال : إن الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق، وأنت
بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس ويأخذ مال هذا فيعطيه هذا. فسكت عمر وقال :
أرجو أن أكونه^(٢).

عهد سابور بن أردشير لابنه

وقد وجدت في عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاما يشابه كلام أمير المؤمنين عليه السلام
في هذا العهد، وهو قوله : واعلم أن قوام أمرك بدرور الخراج، ودرور الخراج بعمارته
البلاد وبلوغ الغاية في ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم، والمعونه لهم، فإن بعض
الامور لبعض سبب، وعوام الناس لخواصهم عدة، وبكل صنف منهم إلى الآخر حاجة،
فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك، وليكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية،
واسترسل إلى كل امرئ منهم شخصا يظطلع به ويمكنه تعجيل الفراغ منه، فإن اطلعت على
أن أحدا منهم خان أو تعدى فنكل به، وبالغ في عقوبته، واحذر أن تستعمل على الأرض
الكثير خراجها إلا البعيد الصوت، العظيم شرف المنزلة. ولا تولين أحدا من قواد جنحك
الذين هم عده للحرب، وجنة من الاعداء، شيئا من أمر الخراج، فلعلك تهجم من
بعضهم على خيانة في المال، أو تضييع للعمل، فإن شوغته المال، وأغضبت له على
التضييع، كان ذلك هلاكا وإضرارا بك وبرعيتك، وداعية إلى فساد غيره، وإن أنت كافأته
فقد استفسدته، واضقت صدره، وهذا أمر توقيه حزم، والاقدام عليه خرق والتقصير فيه
عجز. واعلم أن من أهل الخراج من يلجئ بعض أرضه وضياعه إلى خاصة الملك
وبطانته، لاحد أمرين انت، حرى بكراهما : إما لامتناع من جور العمال وظلم الولاة،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٦٦

وتلك منزله يظهر بها سوء أثر العمال وضعف الملك وإخلاله بما تحت يده، وإما للدفع عما يلزمهم من الحق والتيسر له وهذه خلة تفسد بها آداب الرعية، وتنتقص بها أموال الملك، فاحذر ذلك، وعاقب الملتجئين والملجأ إليهم^(١).

وحرّمهم ولم يعطهم شيئاً

قول النبي ﷺ : (ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تقدموا على الحوض)، وهذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به، وذلك أن النعمان بن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية، فشكوا إليه فقرهم، وقالوا لقد صدق رسول الله ﷺ في قوله لنا : (ستلقون بعدى أثره)، فقد لقيناها. قال معاوية : فماذا قال لكم ؟ قالوا : قال لنا (فاصبروا حتى تردوا على الحوض)، قال : فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غدا عند الحوض كما أخبركم، وحرّمهم ولم يعطهم شيئاً^(٢).

ناحية جلا اهلها عنها لغلبة النمل والذر عليها

حدثني بعض من اصدق خبره، قال سالت رجلا كان ينزل ببغداد في بعض الدروب التي في ناحية باب الكوفة التي جلا اهلها عنها، لغلبة النمل والذر عليها، فسألته عن ذلك، فقال وما تصنع بالحديث امض معي إلى داري التي اخرجني منها النمل. قال فدخلتها معه فبعث غلامه، فاشترى رؤوسا من الراسين ليتغذى بها، فانتقلنا هربا من النمل في اكثر من عشرين مكانا، ثم دعا بطست ضخمة، وصب فيها ماء صالحا، ثم فرق عظام الرؤوس في الدار، ومعه غلمان، فكان كلما اسود منها عظم لكثرة النمل واجتماعه عليه - وذلك في اسرع الاوقات - اخذه الغلام ففرغه في الطست بعود ينثر به ما عليه في جوف الطست، فما لبثنا مقدار ساعة من النهار حتى فاضت الطست نملا، فقال كم تظن اني فعلت مثل هذا قبل الجلاء طمعا في أن اقطع اصلها فلما رايت عددها اما زائدا، واما ثابتا، وجاءنا ما لا يصبر عليه احد، ولا يمكن معه مقام، خرجت عنها^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٧٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٦١

إن قرأته أن ينخب قلبى

كان في كتاب عبد الحميد إلى ابي مسلم لو اراد الله بالنملة صلاحا، لما اثبت لها جناحا، فيقال إن ابا مسلم لما قرا هذا الكلام في اول الكتاب لم يتم قراءته والقاء في النار، وقال اخاف إن قرأته أن ينخب قلبى^(١).

دليل اخذه المتكلمون عنه

قوله ﷺ (لا تجرى عليه الحركة والسكون)، هذا دليل اخذه المتكلمون عنه ﷺ فنظموه في كتبهم وقرروه، وهو إن الحركة والسكون معان محدثة، فلو حلت فيه لم يخل منها، وما لم يخل من المحدث فهو محدث. فان قلت انه ﷺ لم يخرج كلامه هذا المخرج، وانما قال كيف يجرى عليه ما هو اجراه، وهذا نمط آخر غير ما يقرره المتكلمون. قلت بل هو هو بعينه، لانه إذا ثبت انه هو الذى اجرى الحركة والسكون، أي احدهما لم يجز أن يجريا عليه، لانهما لو جريا عليه لم يخل اما أن يجريا عليه على التعاقب، وليسا ولا واحد منهما بقديم، أو يجريا عليه على أن احدهما قديم ثم تلاه الاخر، والاول باطل بما يبطل به حوادث لا اول لها، والثانى باطل بكلامه ﷺ، وذلك لانه لو كان احدهما قديما معه سبحانه لما كان اجراه، لكن قد قلنا انه اجراه، أي احده، وهذا خلف محال. وايضا فإذا كان احدهما قديما معه لم يجز أن يتلوه الاخر، لان القديم لا يزول بالمحدث^(٢).

سخافات ابن ابي الحديد

قوله ﷺ : انه يريد ولا يضر، اما كونه مريدا فقد ثبت بالسمع نحو قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر)، وبالعقل لاختصاص افعاله باوقات مخصوصة، وكيفيات مخصوصة، جاز أن تقع على خلافها، فلا بد من مخصص لها بما اختصت به؛ وذلك كونه مريدا، واما كونه لا يضر فهو اطلاق لفظي لم ياذن فيه الشرع، وفيه ايهام كونه ذا قلب، لان الضمير في العرف اللغوى ما استكن في القلب، والبارى ليس بجسم^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٦٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٧٨

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٨٥

تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة

روى مالك عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا. وروى أنس قال : كان يطرح لعمر كل يوم صاع من تمر فيأكله حتى حشفه^(١).

ذهب بها ابن أكلة الاكباد

لما عزم على ﷺ على المسير إلى الشام، دعا رجلا، فأمره أن يتجهز ويسير إلى دمشق، فإذا دخل أناخ راحلته بباب المسجد، ولا يلقي من ثياب سفره شيئا، فإن الناس إذا رأوه عليه آثار الغربة سألوه، فليقل لهم : تركت عليا قد نهد إليكم بأهل العراق. فانظر ما يكون من أمرهم. ففعل الرجل ذلك، فاجتمع الناس وسألوه، فقال لهم، فكثروا عليه يسألونه فأرسل إليه معاوية بالاعور السلمى يسأله، فأتاه فسأله، فقال له، فأتى معاوية فأخبره، فنادى : الصلاة جامعة، ثم قام فخطب الناس، وقال لهم إن عليا قد نهد إليكم في أهل العراق، فما ترون؟ فضرب الناس بأذقانهم على صدورهم، لا يتكلمون، فقام ذو الكلاع الحميري فقال : عليك أم رأى وعلينا أم فعال، وهي لغة حمير فنزل، ونادى في الناس بالخروج إلى معسكرهم، وعاد إلى علي ﷺ، فأخبره فنادى : الصلاة جامعة، ثم قام فخطب الناس، فأخبرهم أنه قدم عليه رسول كان بعثه إلى الشام، وأخبره أن معاوية قد نهد إلى العراق في أهل الشام، فما الرأي؟ قال : فاضطرب أهل المسجد، هذا يقول : الرأي كذا، وهذا يقول : الرأي كذا، وكثر الغط واللجب، فلم يفهم علي ﷺ من كلامهم شيئا، ولم يدر المصيب من المخطئ، فنزل عن المنبر، وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهب بها ابن أكلة الاكباد يعني معاوية^(٢).

يأبى ذلك إطعامهم الضيف

في يوم الفتح سمى رسول الله ﷺ أهل مكة الذين دخلها عليهم الطلقاء، لمنه عليهم بعد أن أظفره الله بهم، فصاروا أرقاء له. وقد قيل له يوم الفتح : قد أمكنك الله تعالى فخذ ما شئت من أعمار على غصون - يعنون النساء، فقال عليه ﷺ : يأبى ذلك إطعامهم

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٦٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٥

الضيف وإكرامهم البيت ووجوه من ملاحر الهدى^(١)؛

بيت سلمان

قال : وقد ذكر ابن وهب وابن نافع أن سلمان لم يكن له بيت، إنما كان يستظل بالجدر والشجر، وإن رجلا قال له : ألا أبني لك بيتا تسكن فيه ؟ قال : لا حاجة لي في ذلك فما زال به الرجل حتى قال له : أنا أعرف البيت الذي يوافقك، قال : فصفه لي، قال : أبني لك بيتا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه، وإن أنت مدت فيه رجلك أصابهما الجدار؟ قال : نعم، فبنى له^(٢).

إنى منيت بشرار خلق الله

عن الاعمش، قال : كان أبو مريم صديقا لعلي عليه السلام، فسمع بما كان فيه علي عليه السلام من اختلاف أصحابه عليه، فجاءه، فلم يرع عليا عليه السلام إلا وهو قائم على رأسه بالعراق، فقال له : أبا مريم، ما جاء بك نحري؟ قال : ما جاء بي غيرك، عهدي بك لو وليت أمر الامة كفيتهم، ثم سمعت بما أنت فيه من الاختلاف ! فقال : يا أبا مريم، إنى منيت بشرار خلق الله، أريدهم على الامر الذي هو الرأي، فلا يتبعونني^(٣).

لم يممت عمر حتى ملته قريش

روى أبو جعفر الطبري عن الشعبي قال لم يممت عمر حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة وسألوه أن يأذن لهم في الخروج إلى البلاد فامتنع عليهم وقال إن اخوف ما اخاف على هذه الامة انتشاركم في البلاد حتى إن الرجل كان يستأذنه في غزو الروم أو الفرس وهو ممن حبسه بالمدينة من قريش ولا سيما من المهاجرين فيقول له إن لك في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكفيك ويبلغك ويحسبك فلما مات عمر وولى عثمان خلى عنهم فانتشروا في البلاد واضطربوا وانقطع إليهم الناس وخالطوهم فلذلك كان عثمان احب إلى قريش من عمر^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٦

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٢

دعنا منك يا بن عباس

لما خرج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير، وقال : يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري ونقرى ما شئت أن تنقري هذا الحسين سائر فأبشري. خلا الجو والله لك يا بن الزبير ! وسار الحسين إلى العراق، فقال ابن الزبير : يا بن عباس، والله ما ترون هذا الامر إلا لكم، ولا ترون إلا إنكم أحق به من جميع الناس، فقال ابن عباس : إنما يرى من كان في شك، ونحن من ذلك على يقين ولكن أخبرني عن نفسك، بماذا تروم هذا الامر؟ قال : بشرفي، قال : وبما ذا شرفت إن كان لك شرف؟ فإنما هو بنا، فنحن أشرف منك، لأن شرفك منا. وعلت أصواتهما، فقال غلام من آل الزبير : دعنا منك يا بن عباس، فوالله لا تحبوننا يا بني هاشم ولا نحبك أبدا، فلطمه عبد الله بن الزبير بيده وقال : أتتكلم وأنا حاضر، فقال ابن عباس : لم ضربت الغلام، والله أحق بالضرب منه من مزق ومرق، قال : ومن هو؟ قال : أنت. قال : واعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما^(١).

تنصرت الاشراف من أجل لطمة

قال ابن أبي الحديد : وعمر هو الذي أغلظ على جبلة بن الايهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة، بل مفارقة دار الاسلام كلها، وعاد مرتدا داخلا في دين النصرانية، لاجل لطمة لطمها. وقال جبلة بعد ارتداده متندا على ما فعل :

تنصرت الاشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر !

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قاله عمر^(٢).

الحق حقهم، فمن اتاك منهم فاحث له

وروى ابن عباس، قال : دخل الحسن بن علي عليه السلام على معاوية بعد عام الجماعة وهو جالس في مجلس ضيق، فجلس عند رجليه، فتحدث معاوية بما شاء أن يتحدث، ثم قال : عجبا لعائشة ! تزعم أني في غير ما أنا أهله. وأن الذي أصبحت فيه ليس لي بحق،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٣٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٣

ما لها ولهذا ! يغفر الله لها، إنما كان ينازعني في هذا الامر أبو هذا المجلس، وقد استأثر الله به، فقال الحسن : أ وعجب ذلك يا معاوية ! قال : إى والله، قال : أ فلا أخبرك بما هو أعجب من هذا ؟ قال : ما هو ؟ قال : جلوسك في صدر المجلس وأنا عند رجلك، فضحك معاوية، وقال : يا بن أخي، بلغني أن عليك ديناً، قال : إن لعلي ديناً، قال : كم هو ؟ قال : مائة ألف، فقال : قد أمرنا لك بثلثمائة ألف، مائة منها لديك، ومائة تقسمها في أهل بيتك، ومائة لخاصة نفسك، فقم مكرماً، واقبض صلتك. فلما خرج الحسن عليه السلام، قال يزيد بن معاوية لايه : تالله ما رأيت رجلاً استقبلك بما استقبلك به، ثم أمرت له بثلثمائة ألف ! قال : يا بني، إن الحق حقهم، فمن أتاك منهم فاحث له ^(١).

فضائل سلمان

وقد روى عن رسول الله ﷺ من وجوه أنه قال : (لو كان الدين في الشريا لناله سلمان)، وفي روايه أخرى (لناله رجل من فارس).

و عن عائشة قالت : كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ يفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ.

و عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : (أمرنى ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم : على، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان).

وروى قتادة عن أبي هريرة، قال : سلمان صاحب الكتابين يعني الانجيل والقرآن.

على عليه السلام أنه سئل عن سلمان فقال : علم العلم الاول، والعلم الاخر، ذاك بحر لا ينزف، وهو منا أهل البيت. قال :

وفي رواية زاذان، عن على عليه السلام : سلمان الفارسي كلقمان الحكيم

وقال فيه كعب الاحبار : سلمان حشى علما وحكمة ^(٢).

وكنبياً يا أبا خبيب !

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية، فقال : اسمع أبياتاً قلتها عاتبتك، فيها قال :
هات، فأنشده :

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٦

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٢

لعمري ما أدري وإنى لاوجل على إينا تعدو المنية أول
 وإنى أخوك الدائم العهد لم أزل إن أعياك خصم أو نبا بك منزل
 أحارب من حاربت من ذى عداوة واحبس يوما إن حبست فاعقل
 وإن سؤتى يوما صفحت إلى غد ليعقب يوم منك آخر مقبل
 ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني يمينك فانظر أي كف تبدل
 إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
 ويركب حد السيف من ان تضيئه إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل
 وكنت إذا ما صاحب مل صحبتي وبدل شرا بالذى كنت أفعل
 قلبت له ظهر المجن ولم أقم على الضيم إلا ريثما أتحول
 وفي الناس إن رثت حبالك واصل وفي الارض عن دار القلى متحول
 إذا انصرفت نفسي عن الشئ لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل.

فقال معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا خبيب، وبينما هما في ذلك دخل معن بن
 أوس المزني، فقال له معاوية : إيه ! هل أحدثت بعدنا شيئا ؟ قال : نعم، قال قل، فأشدد
 هذه الابيات، فعجب معاوية وقال لابن الزبير : ألم تنشدها لنفسك آنفا، فقال : أنا
 سويت المعاني، وهو ألف الالفاظ ونظمها، وهو بعد ظئرى، فما قال من شئ فهو لى -
 وكان ابن الزبير مسترضعا في مزينه - فقال معاوية : وكذبا يا أبا خبيب ! فقام عبد الله
 فخرج (١).

أنت رأس الحطم، ومفتاح الظلم

عن الحكم بن عمير الشمالى - وكانت أمه بنت أبى سفيان بن حرب - قال : قال
 رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم : كيف بك يا أبا بكر إذا وليت ؟ قال : لا يكون ذلك
 أبدا، قال : فكيف بك يا عمر إذا وليت ؟ فقال : آكل حجرا، لقد لقيت إذن شرا، قال :
 فكيف بك يا عثمان إذا وليت ؟ قال : آكل وأطعم وأقسم ولا أظلم، قال : فكيف بك يا
 على إذا وليت ؟ قال : آكل الفوت وأحمى الجمرة، وأقسم التمرة، وأخفى الصور -

قال : أي العورة - فقال ﷺ : (أما إنكم كلكم سبلى ، وسيرى الله أعمالكم) ، ثم قال : يا معاوية ، كيف بك إذا وليت ؟ قال : الله ورسوله أعلم فقال : (أنت رأس الحطم ، ومفتاح الظلم ، حصبا وحقبا ، تتخذ الحسن قبيحا ، والسيئة حسنة ، يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، أجلك يسير ، وظلمك عظيم) (١).

اللهم اشدد وطأتك على الانصار

عن جعفر بن محمد ﷺ انه وقف مستترا في خفية ، يشاهد المحامل التي حمل عليها عبد الله ابن الحسن وأهله في القيود والحديد من المدينة إلى العراق ، فلما مروا به بكى ، وقال : ماوفت الانصار ولا ابناء الانصار لرسول الله ﷺ ، بايعهم على أن يمعنوا محمدا وأبناءه وأهله وذريته مما يمتنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذرايرهم فلم يفوا. اللهم اشدد وطأتك على الانصار (٢).

الزبير اول امر لم يكن الا علوى الرأى شديد الولاء

اما الزبير فلم يكن الا علوى الرأى شديد الولاء جاريا من الرجل مجرى نفسه ويقال انه ﷺ لما استنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة وما جرى فيه وكان يحمل فاطمة عليها السلام ليلا على حمار وابناها بين يدي الحمار ، وهو ﷺ يسوقه فيطرق بيوت الانصار وغيرهم ، ويسألهم النصرة والمعونة ، أجابه اربعون رجلا فبايعهم على الموت وامرهم أن يصبخوا بكرة محلقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم فاصبح لم يوافه منهم الا اربعة الزبير والمقداد وابو ذر وسلمان ثم اتاهم من الليل فناشدهم فقالوا نصبحك غدوة فما جاءة منهم الا اربعة وكذلك في الليلة الثالثة وكان الزبير اشدهم له نصرة وانفذهم في طاعته بصيرة حلق راسه وجاء مرارا وفي عنقه سيفه وكذلك الثلاثة الباقيون الا أن الزبير هو كان الراس فيهم وقد نقل الناس خبر الزبير لما هجم عليه بيت فاطمة ﷺ وكسر سيفه في صخرة ضربت به ونقلوا اختصاصه بعلى ﷺ وخلواته به ولم يزل مواليا له متمسكا بحبه ومودته حتى نشأ ابنه عبد الله وشب فتزع به عرق من الام ومال إلى تلك الجهة وانحرف عن هذه ومحبة الوالد للولد معروفة فانحرف الزبير لانحرافه على انه قد كانت جرت بين على ﷺ

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٤٤

والزبير هنات في ايام عمر كدرت القلوب بعض التكدير وكان سببها قصة موالى صفية ومنازعة على للزبير في الميراث فقاضى عمر للزبير فاذعن على ﷺ لقضائه بحكم سلطانه لا رجوعا عما كان يذهب إليه من حكم الشرع في هذه المسألة وبقيت في نفس الزبير^(١).

احببت ان أطاطى منك

كان عمر قاعدا والدرة معه، والناس حوله إذ أقبل الجارود العامري، فقال رجل : هذا سيد ربيعة، فسمعها عمر ومن حوله، وسمعها الجارود، فلما دنا منه، خفقه بالدرة ! فقال : ما لى ولك يا أمير المؤمنين قال ويملك ! سمعتها ! قال : وسمعتها فمه ! قال : خشيت أن تخالط القوم ويقال : هذا أمير فأحببت أن أطاطى منك^(٢).

لاظهر للناس مناقضة فعله لروايته

روى القطب الراوندي أن عمر لما قال : كونوا مع الثلاثة التى عبد الرحمن فيها، قال ابن عباس لعلى ﷺ : ذهب الامر منا، الرجل يريد أن يكون الامر في عثمان، فقال على ﷺ : وأنا أعلم ذلك، ولكني أدخل معهم في الشورى، لان عمر قد أهلني الآن للخلافة، وكان قبل ذلك يقول : إن رسول الله صلى الله عليه قال : إن النبوة والامامة لا يجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لاظهر للناس مناقضة فعله لروايته^(٣).

لقد ذهبت فيها عريضة

قد اختلف في عمر بن الخطاب هل ثبت يوم احد أم لا، مع اتفاق الرواة كافة على أن عثمان لم يثبت، فالواقدي ذكر أنه لم يثبت، وأما محمد بن إسحاق والبلاذري فجعلاه مع من ثبت ولم يفر، واتفقوا كلهم على أن ضرار بن الخطاب الفهرى قرع رأسه بالرمح وقال : إنها نعمة مشكورة يا بن الخطاب، إنى آليت ألا أقتل رجلا من قريش. وروى ذلك محمد بن إسحاق وغيره، ولم يختلفوا في ذلك، وإنما اختلفوا، هل قرعه بالرمح وهو فار هارب، أم مقدم ثابت ! والذين رووا أنه قرعه بالرمح وهو هارب لم يقل أحد منهم أنه

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٧٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٩

هرب حين هرب عثمان ولا إلى الجهة التي فر إليها عثمان، وإنما هرب معتصماً بالجبل، وهذا ليس بعيب ولا ذنب، لأن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ اعتصموا بالجبل كلهم وأصعدوا فيه، ولكن يبقى الفرق بين من أصعد في الجبل في آخر الامر ومن أصعد فيه والحرب لم تضع أوزارها، فإن كان عمر أصعد فيه آخر الامر، فكل المسلمين هكذا صنعوا حتى رسول الله ﷺ، وإن كان ذلك والحرب قائمة بعد تفرق. ولم يختلف الرواة من أهل الحديث في أن أبا بكر لم يفر يومئذ، وأنه ثبت فيمن ثبت، وإن لم يكن نقل عنه قتل أو قتال، والثبوت جهاد وفيه وحده كفاية. وأما رواية الشيعة فانهم يروون أنه لم يثبت إلا علي وطلحة والزبير وأبو دجانة وسهل بن حنيف وعاصم بن ثابت، ومنهم من روى أنه ثبت معه أربعة عشر رجلاً من المهاجرين والانصار، ولا يعدون أبا بكر وعمر منهم. روى كثير من أصحاب الحديث أن عثمان جاء بعد ثلاثة إلى رسول الله ﷺ فسأله إلى أين انتهيت؟ فقال: إلى الاعرض، فقال: لقد ذهبت فيها عريضة. واحتج من روى أن عمر فر يوم أحد بما روي أنه جاءته في أيام خلافته امرأة تطلب برداً من برد كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر تطلب برداً أيضاً فأعطى المرأة ورد ابنته، فقيل له في ذلك، فقال: إن أبا هذه ثبت يوم أحد وأبا هذه فر يوم أحد ولم يثبت^(١).

أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها

روى أن أبا سفيان مر على سلمان وصهيب ويلال في نفر من المسلمين فقالوا: ما أخذت السيوف من عنق عدو الله مأخذها - وأبو سفيان يسمع قولهم - فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها! وأتى النبي ﷺ وأخبره فقال: يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله^(٢).

أضلوا الليلة برقعا

دخل عبد الله بن ثعلبة المحاربي على عبد الملك بن يزيد الهلالي، وهو يومئذ والي إرمينية، فقال له: ماذا لقينا الليلة من شيوخ محارب! منعونا النوم بضوضائهم ولغظهم، فقال عبد الله بن ثعلبة: إنهم أصلح الله الامير! أضلوا الليلة برقعا، فكانوا يطلبونه. أراد

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٧

عبد الملك قول الشاعر :

تكش بلا شئ شيوخ محارب وما خلقتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت قدل عليها حية البحر
وأراد الله قول القائل :

لكل هلالى من اللؤم برقع ولا بن يزيد برقع وجلال (١)

إذا أعيتكم الامور من رؤوسها فخذوها من أذناها

رئى عبد الله بن الزبير في أيام معاوية واقفا بباب مية مولاة معاوية، فقيل له : يا أبا بكر، مثلك يقف بباب هذه ! فقال : إذا أعيتكم الامور من رؤوسها فخذوها من أذناها (٢).

إذا أراد أن يطلق امرأة

قال على عليه السلام : لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يثير عداوة، قال أبو جعفر : وكان الحسن إذا أراد أن يطلق امرأة جلس إليها، فقال : أيسرك أن أهب لك كذا وكذا؟ فتقول له ما شئت، أو نعم، فيقول : هو لك، فإذا قام أرسل إليها بالطلاق، وبما سمي لها (٣).

هذه كناية عنهما

قال ابن ابي الحديد : حضرت عند محمد بن معد العلوى الموسوي الفقيه على رأي الشيعة الامامية رحمه الله في داره بدرب الدواب ببغداد في سنة ثمان وستمائة، وقارئ يقرأ عنده مغازى الواقدي، فقرأ : حدثنا الواقدي قال : حدثنى ابن أبى سبرة، عن خالد بن رباح، عن أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد قال : سمعت محمد بن مسلمة يقول : سمعت أذناي وأبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد وقد انكشف الناس إلى الجبل، وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه، سمعته يقول : إلي يا فلان، إلي يا فلان، أنا

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٢

رسول الله، فما عرج عليه واحدا منهما ومضيا، فأشار ابن معد إلي أن اسمع، فقلت : وما في هذا؟ قال هذه كناية عنهما، فقلت : ويجوز ألا يكون عنهما، لعله عن غيرهما. قال : ليس في الصحابة من يحتشم ويستحيا من ذكره بالفرار وما شابهه من العيب فيضطر، القائل إلى الكناية إلا هما قلت له : هذا وهم، فقال : دعنا من جدلك ومنعك، ثم حلف أنه ما عنى الواقدي غيرهما، وإنه لو كان غيرهما لذكره صريحا، وبان في وجه التنكر من مخالفتي له^(١).

دعوه فإن الغناء زاد الراكب

خرج عمر للحج فسمع غناء راكب يغنى وهو محرم، فقيل : يا أمير المؤمنين، ألا تنهاه عن الغناء وهو محرم فقال : دعوه فإن الغناء زاد الراكب^(٢).

إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق

عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود، فقال : إن الله تعالى قد آمننا أن يظلمنا، ولم يؤمننا أن يفتننا، أرأيت إذا أنزلت فتنة، كيف أصنع؟ فقال : عليك كتاب الله تعالى، قال : أفأرأيت إن جاء قوم كلهم يدعوا إلى كتاب الله تعالى؟ فقال ابن مسعود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق)، يعنى عمارا^(٣).

فإن جبريل أخبرني بذلك

عن زيد بن أرقم، قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا؟ إن وليكم الله، وإن إمامكم على بن أبي طالب، فناصحوه وصدقوه، فإن جبريل أخبرني بذلك)^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٧٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٨

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٨

فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتنقل إليهما

أن عمر بن الخطاب قال لما طعن : يا أصحاب محمد تناصحوا، فإنكم إن لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان. قلت : إن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد أحد الامامية قال في بعض كتبه : إنما أراد عمر بهذا القول إغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة وإطماعهما فيها، لان معاوية كان عامله وأميره على الشام، وعمرو بن العاص عامله وأميره على مصر، وخاف أن يضعف عثمان عنها، وأن تصير إلى علي عليه السلام، فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتنقل إليهما - وهما بمصر والشام - فيتغلبا على هذين الاقليمين إن أفضت إلى علي عليه السلام ^(١).

فما عسى أن أقول في حسبه ! وأما بأسه فهو الشجاع المطرق

: لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص : إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدم عبيد الله بن عمر، وقد رأيت أن أقيمه خطيبا يشهد على علي بقتل عثمان، وينال منه، فقال : الرأي ما رأيت، فبعث إليه، فأتاه، فقال له معاوية : يا بن أخي، إن لك اسم أبيك فانظر بملء عينيك، وانطق بملء فيك، فأنت المأمون المصدق، فاصعد المنبر واشتم عليا، واشهد عليه أنه قتل عثمان. فقال : أيها الامير، أما شتمه، فإن أباه أبو طالب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه ! وأما بأسه فهو الشجاع المطرق، وأما أيامه فما قد عرفت، ولكني ملزمه دم عثمان، فقال عمرو بن العاص : قد وأبيك إذن نكأت القرحة. فلما خرج عبيد الله بن عمر، قال معاوية : أما والله لو لا قتله الهرمزان، ومخافته عليا على نفسه ما أتانا أبدا، ألا ترى إلى تقرظه عليا ! فقال عمرو : يا معاوية، إن لم تغلب فاخلب، قال : وخرج حديثهما إلى عبيد الله، فلما قام خطيبا تكلم بحاجته، فلما انتهى إلى أمر علي أمسك ولم يقل شيئا، فلما نزل بعث إليه معاوية : يا بن أخي، إنك بين عي وخيانة، فبعث إليه : إنني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أن الناس محتملوها عني فتركتها. قال : فهجره معاوية واستخف به وفسقه، فقال عبيد الله :

معاوي لم أحرض بخطبة خاطب ولم أك عيا في لؤي بن غالب

ولكنني زاوت نفسا أبية على قذف شيخ بالعراقين غائب
وقذفي عليا بابن عفان جهرة كذاب، وما طيب سجايا المكاذب
ولكنه قد قرب القوم جهده ودبوا حواليه ديب العقارب
فما قال : أحستم ولا قد أساتم وأطرق إطراق الشجاع الموائب
فأما ابن عفان فأشهد أنه أصيب بريثا لابسا ثوب تائب
وقد كان فيها للزبير عجاجة وطلحة فيها جاهد غير لاعب
وقد أظهرنا من بعد ذلك توبة فياليت شعري ما هما في العواقب !
قال : فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه، وقال : حسبي هذا منك^(١).

اكتبوا تاريخكم منذ خرج رسول الله ﷺ

دفع إلى عمر صك محلة في شعبان، فقال : أي شعبان؟ الذي مضى أم الذي نحن
فيه؟ ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ، وقال : ضعوا للناس تاريخا يرجعون إليه، فقال
قائل منهم : اكتبوا على تاريخ الروم، فقيل : إنه يطول، وإنه مكتوب من عهد ذي القرنين.
وقال قائل : بل اكتبوا على تاريخ الفرس، فقيل إن الفرس كلما قام ملك طرحوا ما كان
قبله فقال علي عليه السلام : اكتبوا تاريخكم منذ خرج رسول الله ﷺ وسلم من دار الشرك إلى
دار النصر وهي دار الهجرة فقال عمر : نعم ما أشرت به، فكتب للهجرة، بعد مضى
ستين ونصف من خلافة عمر^(٢).

درة عمر أهيب من سيف الحجاج

قال المؤرخون : إن عمر أول من سن قيام رمضان في جماعة وكتب به إلى البلدان
وأقام الحد في الخمر ثمانين، وأحرق بيت رويشد الثقفي، وكان نباذا، وأقام في عمله
بنفسه. وأول من حمل الدرة وأدب بها. وقيل بعده : كانت درة عمر أهيب من سيف
الحجاج^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٧٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٧٥

إسلام سلمان

كثير من المحدثين ورووه عنه، قال : كنت ابن دهقان قرية جى من أصبهان، وبلغ من حب أبى لى أن حبسني في البيت كما تحبس الجارية، فاجتهدت في المجوسية حتى صرت قطن بيت النار، فأرسلني أبى يوما إلى ضيعة له، فمررت بكنيسة النصرى، فدخلت عليهم، فأعجبني صلاتهم، فقلت : دين هؤلاء خير من دينى، فسألتهم : أين أصل هذا الدين؟ قالوا : بالشام، فهربت من والدى حتى قدمت الشام، فدخلت على الاسقف فجعلت أخدمه وأتعلم منه، حتى حضرته الوفاة، فقلت : إلى من توصى بى؟ فقال : قد هلك الناس وتركوا دينهم إلا رجلا بالموصل فالحق به، فلما قضى نحبه لحقت بذلك الرجل فلم يلبث إلا قليلا حتى حضرته الوفاة، فقلت : إلى من توصى بى؟ فقال : ما أعلم رجلا بقى على الطريقة المستقيمة إلا رجلا بنصيبين، فلحقت بصاحب نصيبين. قالوا : وتلك الصومعة اليوم باقية، وهى التى تعبد فيها سلمان قبل الاسلام، قال : ثم احتضر صاحب نصيبين، فبعثني إلى رجل بعمورية من أرض الروم، فأتيته وأقمت عنده، واكتسبت بقيات وغنيمات، فلما نزل به الموت قلت له : بمن توصى بى؟ فقال : قد ترك الناس دينهم، وما بقى أحد منهم على الحق، وقد أظل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين، لها نخل، قلت : فما علامته؟ قال : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، قال : ومر بى ركب من كلب، فخرجت معهم، فلما بلغوا بى وادى القرى ظلموني وباعوني من يهودى، فكنت أعمل له في زرعه ونخله، فبينما أنا عنده إذ قدم ابن عم له، فابتاعنى منه، وحملنى إلى المدينة، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها، وبعث الله محمدا بمكة، ولا أعلم بشئ من أمره، فبينما أنا في رأس نخلة إذ أقبل ابن عم لسيدى، فقال : قاتل الله بنى قيلة، قد اجتمعوا على رجل بقاء قدم عليهم من مكة، يزعمون أنه نبى، قال : فأخذني القر والانتفاض، ونزلت عن النخلة، وجعلت أستقصى في السؤال، فما كلمني سيدى بكلمة، بل قال : أقبل على شأنك، ودع مالا يعينك. فلما أمسيت أخذت شيئا كان عندي من التمر، وأتيت به النبي ﷺ فقلت له : بلغني أنك رجل صالح، وأن لك أصحابا غرباء ذوى حاجة، وهذا شئ عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، فقال ﷺ لأصحابه : كلوا، وأمسك فلم يأكل، فقلت في نفسي : هذه واحدة وانصرفت، فلما كان من الغد أخذت ما كان بقى

عندي وأتيته به، فقلت له : إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية، فقال : كلوا وأكل معهم، فقلت إنه لهور، فأكبت عليه أقبله وأبكى، فقال : مالك ؟ فقصصت عليه القصة فأعجبه، ثم قال : يا سلمان، كاتب صاحبك، فكاتبته على ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ للانصار : أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل حتى جمعت ثلاثمائة ودية، فوضعها رسول الله ﷺ بيده، فصحت كلها، وأتاه مال من بعض المغازي، فأعطاني منه، وقال : أد كتابتك، فأديت وعتقت^(١).

إني أستعيذ بالله من بيعتك

لما بنى عثمان قصره طمار بالزوراء، وصنع طعاما كثيرا، ودعا الناس إليه، كان فيهم عبد الرحمن، وقلما نظر للبناء والطعام قال : يا بن عفان، لقد صدقنا عليك، ما كنا نكذب فيك، وإني أستعيذ بالله من بيعتك. فغضب عثمان، وقال : أخرجني يا غلام، فأخرجوه، وأمر الناس ألا يجالسوه، فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس، كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض. ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان، وكلمه فلم يكلمه حتى مات^(٢).

من وثق بماء لم يظما

قوله ﷺ : (من وثق بماء لم يظما)، هذا كقول أبي الطيب :
وما صبابة مشتاق على أمل من اللقاء كمشتاق بلا أمل^(٣).

ماء الملام

لما قال أبو تمام :

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي
يقال : إن مخلدا الموصلي بعث إليه بقارورة يسأله أن يبعث له فيها قليلا من ماء الملام، فقال لصاحبه : قل له يبعث إلى بريشة من جناح الذل لاستخرج بها من القارورة ما أبعثه إليه^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢١١

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢١٦

أنا أسن منه

قيل لابي قحافة يوم ولى الامر ابنه : قد ولى ابنك الخلافة، فقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء)، ثم قال : لم ولوه؟ قالوا : لسنه قال أنا أسن منه ^(١).

خروج طارق بن شهاب لاستقبال على بن أبي طالب

خرج طارق بن شهاب الاحمسي يستقبل عليا عليه السلام وقد صار بالريذة طالبا عائشة وأصحابها، وكان طارق من صحابة علي عليه السلام وشيعته، قال : فسألت عنه قبل أن القاه : ما أقدمه؟ فقيل : خالفه طلحة والزبير وعائشة فأتوا البصرة، فقلت في نفسي : إنها الحرب ! أفاقتل أم المؤمنين ! وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إن هذا لعظيم، ثم قلت : أأدع عليا، وهو أول المؤمنين إيمانا بالله، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيه ! هذا أعظم ! ثم أتيته فسلمت عليه، ثم جلست إليه، فقصص على قصة القوم وقصته، ثم صلى بنا الظهر فقال صلى الله عليه وسلم : والله لا أكون كالضبع تنام على الدم حتى يدخل إليها طالبا فيعلق الجبل برجلها، ويقول لها دباب دباب، حتى يقطع عرقوبها. وذكر تمام الفصل. فكان طارق بن شهاب يبكي إذا ذكر هذا الحديث ^(٢).

كتاب أم سلمة إلى عائشة

ومن الكلام المشهور الذى قيل : إن أم سلمة رحمها الله، كتبت به إلى عائشة : إنك جنه بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته، وإن الحجاب دونك لمضروب على حرمة، وقد جمع القرآن ذلك فلا تندحيه، وسكن عقيرك فلا تصحريها، لو أذكرتك قولة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفينها لنهشت بها نهش الرقشاء المطرقة. ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو لقيك ناصة قلوب من منهل إلى منهل قد تركت عهيداه، وهتكت ستره، إن عمود الدين لا يقوم بالنساء، وصدعه لا يرأب بهن، حماديات النساء خفض الاصوات وخفر الاعراض، اجعلي قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه، وأنت على ذلك. فقالت عائشة : ما أعرفني بنصحك، وأقبلني لوعظك ! وليس الامر حيث تذهبين، ما أنا بعمية عن رأيك، فإن أقم

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢٦

ففي غير حرج، وإن أخرج ففي إصلاح بين فئتين من المسلمين. وقد ذكر هذا الحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث في باب أم سلمة، على ما أورده عليك، قال: لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة، أتتها أم سلمة، فقالت لها: إنك سدة بين محمد رسول الله ﷺ وبين أمته، وحجابك مضروب على حرمة، قد جمع القرآن ذلك فلا تندحيه، وسكن عقيرك فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، لو أراد رسول الله ﷺ أن يعهد إليك عهدا علت علت، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد، إن عمود الإسلام لا يثاب بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء غض الاطراف وخفر الاعراض وقصر الرواهزة، ما كنت قائلة لو أن رسول الله ﷺ عارضك بعد الفلوات، ناصة قلوفا، من منهل إلى آخر، إن بعين الله مهواك، وعلى رسوله تردين، وقد وجهت سدافته - ويروى سجافته - وتركت عهدها. لوسرت مسيرك هذا ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أن القي محمدا ﷺ هاتكه حجابا، وقد ضربه على، اجعلي حصنك بيتك، ووقاعة الستر قبرك، حتى تلقينه، وأنت على تلك أطوع ما تكونين لله بالرقبة، وأنصر ما تكون للدين ما حلت عنه. لو ذكرتك قولا تعرفينه لنهشت به نهش الرقشاء المطر قد. فقالت عائشة: ما أقبلني لوعظك! وليس الأمر كما تظنين، ولنعم المسير مسير فزعت فيه إلى فئتان متناجزتان - أو قالت متناحرتان - إن أقعد ففي غير حرج وإن أخرج فإلى ما لا بد لي من الأزياد منه^(١).

ولا يزداد على ما قدر له

* دخل على ﷺ المسجد، وقال لرجل: أمسك على بغلتي، فخلع لجامها، وذهب به، فخرج على ﷺ بعد ما قضى صلاته، وبيده درهماً ليدفعهما إليه مكافأة له، فوجد البغلة عطلا، فدفع إلى أحد غلمانة الدرهمين، ليشتري بهما لجاما، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق، قد باعه الرجل بدرهمين، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه، فقال على ﷺ: (إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قدر له^(٢)).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢١٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٣

لو كان لنا في ملحنا هذا سعتر!

* قال أبو وائل : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي، فجلسنا عنده، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه نهى عن التكلف لتكلفنا لكم، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا أضرار عليه، فقال صاحبي : لو كان لنا في ملحنا هذا سعتر! فبعث سلمان بمطهرته، فرهنها على سعتر، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان : لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة! (١).

الطير أحسن ظنا منك بالله عزوجل

* قيل للحسن عليه السلام : إن أبا ذر كان يقول : الفقر أحب إلى من الغنى، والسقم أحب إلى من الصحة، فقال : رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول : من اتكل إلى حسن الاختيار من الله لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له، لعمرى يا بن آدم، الطير لا تأكل رغداً، ولا تخبأ لغد، وأنت تأكل رغداً، وتخبأ لغد، فالطير أحسن ظنا منك بالله عزوجل (٢).

في مدح القناعة ودم الطمع

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسلم لاخوين من الانصار : (لا تبيثسا من روح الله ما تهزهزت رؤسكما، فإن أحدكم يولد لا قشر عليه، ثم يكسوه الله ويرزقه).

* وعنه صلى الله عليه وسلم : وسلم ويعزى إلى أمير المؤمنين عليه السلام : (القناعة كنتزلا ينفد). وما يقال إنه من كلام لقمان الحكيم : (كفى بالقناعة عزا، وبطيب النفس نعيما).

* ومن كلام عيسى عليه السلام : اتخذوا البيوت منازل، والمساجد مساكن، وكلوا من بقل البرية، واشربوا من الماء القراح، واخرجوا من الدنيا بسلام. لعمرى لقد انقطعتم إلى غير الله فما ضيعكم، أفتحافون الضيعة إذا انقطعتم إليه!

* وفي بعض الكتب الالهية القديمة : يقول الله تعالى : يا بن آدم، أتخاف أن أقتلك بطاعتي هزلا، د وأنت تفتق بمعصيتي سمنا!

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٣

* الخليل بن أحمد : كان الناس يكتسبون الرغائب بعلمه، وهو بين أخصاص البصرة، لا يلتفت إلى الدنيا ولا يطلبها.

* يقال من جملة ما أوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ : قل لعبادي المتسخطين لرزقي، إياكم أن أغضب فأبسط عليكم الدنيا.

* المسيح ﷺ : أنا الذي كبيت الدنيا على وجهها، وقدرتها بقدرها، ليس لى ولد يموت، ولا بيت يخرب، وسادى الحجر، وفراشى المدر، وسراجى القمر.

* أمير المؤمنين ﷺ : أكل تمر دقل، ثم شرب عليه ماء، ومسح بطنه، وقال : من أدخلته بطنه النار، فأبعده الله، ثم أنشد : فإنك إن أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الدم أحمعا

* في الحديث الصحيح المرفوع : (إن روح القدس نفث في روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فأجملوا في الطلب).

* من كلام الحكماء : من ظفر بالقناعة فقد ظفر بالكيمياء الاعظم

* ابن مسعود، رفعه : (إنه ليس أحد بأكيس من أحد، قد كتب النصيب والاجل، وقسمت المعيشة والعمل، والناس يجرون منهما إلى منتهى معلوم).

* المسيح ﷺ : انظروا إلى طير السماء تغدو وتروح، ليس معها شىء، من أرزاقها، لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها، فإن زعمتم أنكم أوسع بطونا من الطير، فهذه الوحوش من البقر والحمر، لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها.

* أهدى لرسول الله ﷺ طائران، فأكل أحدهما عشية، فلما أصبح طلب غداء، فأنته بعض أزواجه بالطائر الاخر، فقال : (ألم أنهك أن ترفعى شيئا لغد، فإن من خلق الغد خلق رزقه)

* وفي الحديث : (قد أفلح من رزق كفافا وقنعه الله بما آتاه).

* من حكمة سليمان ﷺ : قد جربنا لين العيش وشدته، فوجدنا أنهأه أدناه. في قوله تعالى : (فلنحيينه حياة طيبة)، قال : القناعة.

بعض حكماء الشعراء :

فلا تجزع إذا أعسرت يوما فقد أيسرت في الدهر الطويل

ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل
وإن العسر يتبعه يسار وقيل الله أصدق كل قيل
ولو أن العقول تجر رزقا لكان المال عند ذوى العقول

* يقال : إن جبرائيل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الدنيا، فقال : (لا حاجة لى فيها، بل جوعتان وشبعة).

* وجد مكتوبا على صخرة عادية: يا بن آدم، لست ببالغ أملك، ولا سابق أجلك،
ولا مغلوب على رزقك، ولا مرزوق ما ليس لك، فعلا م تقتل نفسك !

* أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : أتدرى لم رزقت الاحمق ؟ قال : لا، قال :
ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتمال. قنط

* يوسف بن يعقوب عليه السلام في الجب لجوع اعتراه، فأوحى إليه : انظر إلى حائط
البشر، فنظر فانفرج الحائط عن ذرة على صخرة، معها طعامها، فقيل له : أتراني لا أغفل
عن هذه الذرة، وأغفل عنك، وأنت نبي ابن نبي !

* وقف بعض الملوك على سقراط وهو في المشرقة، فقال له : سل حاجتك، قال :
حاجتى أن تزيل عنى ظلك، فقد منعتني الرفق بالشمس، فأحضر له ذهباً وكسوة دياج،
فقال : إنه لا حاجة بسقراط إلى حجارة الارض ولعاب الدود، إنما حاجته إلى أمر
يصحبه حيثما توجه^(١).

* قال الشاعر :

ولا تهلكن النفس وجدا وحسرة على الشئ أسداه لغيرك قادره
ولا تياسن من صالح أن تناله وإن كان نهبا بين أيد تبادره
فإنك لا تعطى امراً حظ نفسه ولا تمنع الشق الذى الغيث ناصره
* وقال بعض شعراء العجم :

غلا السعر في بغداد من بعد رخصه وإنى في الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع غناه، ولا الحرمان والله رازق

* قيل لعلي عليه السلام : لو سد على رجل باب بيت وترك فيه، من أين كان يأتيه رزقه ؟
قال : من حيث كان يأتيه أجله.

* قال بعض الشعراء :

صبرت النفس لا أجزع من حادثة الدهر رأيت الرزق لا يكسب بالعرف ولا النكر
ولا بالسلف الا مثل أهل الفضل والذكر ولا بالسمر اللدن ولا بالخدم البستر
ولا بالعقل والدين ولا الجاه ولا القدر ولا يدرك بالطيش ولا الجهل
ولا الهذر ولكن قسم تجرى بما ندرى ولا ندرى
* منصور الفقيه :

الموت أسهل عندي بين القنا والاسنه
والخيل تجرى سراعا مقطعات الاعنه
من أن يكون لنذل على فضل ومنه
* أعرابي :

أتيئس أن يقارنك النجاح فأين الله والقدر المتاح

* قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصني، قال : (إياك والطمع، فإنه فقر حاضر،
وعليك باليأس مما في أيدي الناس).

* حكيم : أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك، ولا يحقرك لها من فوقك.

* أبو العلاء المعري :

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطا فعند التناهي يقصر المتناول
توقى البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان، وهي كوامل^(١).

في الدعاء

* كان موسى بن جعفر عليه السلام يقول في سجوده آخر الليل : إلهي عظم الذنب من
عبدك، فليحسن العفو من عندك.

* عن علي عليه السلام : الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والارض وقيل : أن فيما أنزله الله تعالى من الكتب القديمة : إن الله يتلى العبد وهو يحبه، ليسمع دعاءه وتضرعه.

* وعن علي عليه السلام : الداعي بغير عمل كالرامي بغير وتر.

* وعن علي عليه السلام : جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شاييب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، وربما أخرت عنك الاجابة، ليكون ذلك أعظم لاجر السائل، وأجزل لعطاء الامل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه، وأوتيت خيرا منه، أو صرف عنك بما هو لك خير. واعلم أنه رب أمر قد طلبت، فيه هلاك دينك لو أوتيته

* وقال موسى عليه السلام : يا رب إنك لتعطيني أكثر من أملى، قال : لانك تكثر من قول : ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

* ومن الدعاء المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اغفر لى ذنوبي وخطاياى كلها. اللهم أنعشني وأجزني وانصرني واهدني لصالح الاعمال والاخلاق، إنه لا يهدى لصالحها، ولا يصرف عن سيئها إلا أنت. اللهم إنى أسألك الثبات في الامر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب

* وعن النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة، فليقل : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات. ومن أبطأ عنه شئ من ذاك فليقل : الحمد لله على كل حال). ومن الاداب أن يفتح بالذكر وألا يبتدئ بالمسألة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدعو يقول : (سبحان ربي العلى الوهاب).

* ومن دعاء علي عليه السلام : (اللهم صن وجهى باليسار، ولا تبذل جاهى بالاقتار، فأسترز طالبى رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وأبتلى بحمد من أعطاني، وأفتن بدم من منعنى، وأنت من وراء ذلك كله ولى الاعطاء والمنع، إنك على كل شئ قدير.

* ومن دعاء أهل البيت عليهم السلام ، وفيه رائحة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى نحن في شرحه : اللهم إنى أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه، وأستغفرك لما وعدتك من

نفسي ثم أخلفتك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي، فتقويت علي معصيتك، وأستغفرك من كل ذنب تمكنت منه بعافيتك، ونالته يدي بفضل نعمتك، وانبسطت إليه بسعة رزقك، واحتجبت فيه عن الناس بستر، واتكلت فيه علي أكرم عفوك. اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقا ليس فيه رضاك، ألتمس به أحدا سواك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشئ يشينني عندك، وأعوذ بك أن أكون عبرة لاحد من خلقك، وأن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني، وأعوذ بك أن أستعين بمعصية لك علي ضريصيني

* ومن دعاء علي عليه السلام : اللهم إن تهت عن مسألتي وأعميت عن طلبتي، فدلني علي مصالحي، وخذ بقلبي إلى مراشدي. اللهم احملني علي عفوك ولا تحملني علي عدلك^(١).

طريق علي عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية

قال نصر : لما وضع علي عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين، قال : بسم الله، فلما جلس علي ظهرها، قال : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)، اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر... إلى آخر الفصل. وزاد فيه نصر : (ومن الحيرة بعد اليقين). قال : ثم خرج أمامه الحر بن سهم بن طريف، وهو يرتجز ويقول :

يا فرسى سيرى وأمي الشاما وقطعي الحزون والاعلاما

ونابذي من خالف الاماما إني لارجو إن لقينا العاما

جمع بنى أمية الطغاما أن نقتل العاصي والهاما

وأن نزيل من رجال هاما

قال : وقال حبيبن مالك، وهو علي شرطه علي عليه السلام، وهو أخذ بعنان دابته : يا أمير المؤمنين، أتخر بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد بالقتال، وتخلفني بالكوفة لحشر الرجال ! فقال عليه السلام : إنهم لن يصيبوا من الاجر شيئا إلا كنت شريكهم فيه، وأنت هاهنا أعظم غناء عنهم منك لو كنت معهم. فخرج علي عليه السلام، حتى إذا حاذى الكوفة صلى ركعتين.

وعن أبي الحسين زيد بن علي عليه السلام، عن آبائه : أن عليا عليه السلام خرج وهو يريد صفيين، حتى إذا قطع النهر، أمر مناديه، فنادى بالصلاة، فتقدم فصلي ركعتين، حتى إذا قضى الصلاة، أقبل على الناس بوجهه، فقال : أيها الناس، ألا من كان مشيعا أو مقيما فليتم الصلاة، فإننا قوم سفر، ألا ومن صحبنا فلا يصوم من المفروض. والصلاة المفروضة ركعتان. قال نصر : ثم خرج حتى نزل دير أبي موسى - وهو من الكوفة على فرسخين - فصلي به العصر، فلما انصرف من الصلاة، قال : سبحان الله ذي الطول والنعمة ! سبحان الله ذي القدرة والافضال، أسأل الله الرضا بقضائه، والعمل بطاعته، والانابة إلى أمره، إنه سميع الدعاء. قال نصر : ثم خرج عليه السلام حتى نزل على شاطئ نرس بين موضع حمام أبي بردة وحمام عمر، فصلي بالناس المغرب، فلما انصرف، قال : الحمد لله الذي يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، والحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق. ثم أقام حتى صلى الغداة، ثم شخص حتى بلغ إلى قبه قبين، وفيها نخل طوال إلى جانب البيعة من وراء النهر، فلما رآها، قال : (والنخل باسقات لها طلع نضيد). ثم أقحم دابته النهر، فعبر إلى تلك البيعة فنزلها، ومكث قدر الغداء. قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد، عن محمد بن مخنف بن سليم قال : إنني لأنظر إلى أبي وهو يسير عليا عليه السلام، وعلى يقول له : إن بابل أرض قد خسف بها، فحرك دابتك لعلنا نصلي العصر خارجا منها. فحرك دابته، وحرك الناس دوابهم في أثره، فلما جاز جسر الفرات، نزل فصلي بالناس العصر. قال : حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مره الثقفي، عن أبيه، عن عبد خير، قال : كنت مع علي أسير في أرض بابل، قال : وحضرت الصلاة صلاة العصر، قال : فجعلنا نأتى مكانا إلا رأيناه أفيح من الآخر، قال : حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب. قال : فنزل علي عليه السلام، فنزلت معه، قال : فدعا الله، فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر. قال : فصليت العصر، ثم غابت الشمس، ثم خرج حتى أتى دير كعب ثم خرج منه فبات بسباط، فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزل والطعام، فقال : لا، ليس ذلك لنا عليكم. فلما أصبح وهو بمظلم سباط قرأ : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون). قال نصر : وبلغ عمرو بن العاص مسيره فقال :

لا تحسبني يا علي غافل لاوردن الكوفة القنابلا

بجمعي العام وجمعي قابلا

قال : فبلغ ذلك عليا عليه السلام ، فقال :

لاوردن العاصي ابن العاصي سبعين ألفا عاقدي النواصي
مستحقين حلق الدلاص قد جنبوا الخيل مع القلاص
أسود غيل حين لا مناص ^(١) .

إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر

إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر، أو ويكلموه. فمكث كذلك أياما، ثم أتى به فوقف بين يديه، فقال أبو ذر : ويحك يا عثمان ! أما رأيت رسول الله صلى الله عليه، ورأيت أبا بكر وعمر ! هل هديك كهديهم ! أما إنك لتبطش بي بطش جبار. فقال عثمان : أخرج عنا من بلادنا، فقال أبو ذر، ما أبغض إلى جوارك ! فإلى أين أخرج ؟ قال : حيث شئت قال : أخرج إلى الشام أرض الجهاد ؟ قال : إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها ! قال : فأخرج إلى العراق ؟ قال : لا، إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولى شبه وطعن على الأئمة والولاة، قال : فأخرج إلى مصر ؟ قال لا، قال : فإلى أين أخرج ؟ قال : إلى البادية قال أبو ذر : أصير بعد الهجرة أعرابيا ! قال : نعم، قال أبو ذر : فأخرج إلى بادية نجد ؟ قال عثمان : بل إلى الشرق الأبعد، أقصى فأقصى، أمض على وجهك هذا فلا تعدون الربذة. فخرج إليها ^(٢) .

واری بطرف لا يرى بسوائه

قال عليه السلام : اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا، واتخذهم له أشراكا، فباض وفرخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، قال ابو الطيب :

ما الخل إلا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه
وقال آخر :

جبلت نفسك في نفسي كما تجبل الخمرة بالماء الزلال

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٦٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٥٩

فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال^(١).

عز سلطانك عزا لا حد له ولا منتهى لاخره

من أدعية امير المؤمنين عليه السلام، وهو من أدعية الصحيفة : عز سلطانك عزا لا حد له ولا منتهى لاخره، واستعلى ملكك علوا سقطت الاشياء دون بلوغ أمدته، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك نعوت أقصى نعت الناعتين، ضلت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت، وحاترت في كبرياتك لطائف الاوهام. كذلك أنت الله في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول، وكذلك أنت الله في آخريتك، وكذلك أنت ثابت لا تحول. وأنا العبد الضعيف عملا، الجسيم أملا، خرجت من يدى أسباب الوصلات إلى رحمتك، وتقطعت عنى عصم الامال إلا ما أنا معتصم به من عفوك. قل عندي ما أعتد به من طاعتك، وكثر عندي ما أبوء به من معصيتك، ولن يفوتك عفو عن عبدك وإن أساء. فاعف عنى. اللهم قد أشرف على كل خطايا الاعمال علمك، وانكشف كل مستور عند خبرك، فلا ينطوى عنك دقائق الامور، ولا يعزب عنك خفايا السرائر، وقد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة، وكبائر أعمال مردية، فلا شفيع يشفع لى إليك، ولا خفير يؤمننى منك، ولا حصن يحجبني عنك، ولا ملاذ ألجا إليه غيرك. هذا مقام العائذ بك، ومحل المعترف لك، فلا يضيعن عنى فضلك، ولا يقصرون دوني عفوك، ولا أكون أخيب عبادك التائبين، ولا أقنط وفودك الاملين، واغفر لى إنك خير الغافرين. اللهم إنك أمرتني فغفلت، ونهيتني فركبت، وهذا مقام من استحيا لنفسه منك، وسخط عليها ورضى عنك، وتلقاك بنفس خاشعة، وعين خاضعة، وظهر مثقل من الخطايا، واقفا بين الرغبة إليك والرغبة منك، وأنت أولى من رجاء، وأحق من خشية واتقاه فأعطني يا رب ما رجوت، وأمنى ما حذرت، وعد على بفضلك ورحمتك، إنك أكرم المسئولين. اللهم وإذ سترتني بعفوك، وتعمدتنى بفضلك في دار الفناء، فأجرنى من فضيحات دار البقاء عند مواقف الشهداء، من الملائكة المقربين، والرسل المكرمين، والشهداء الصالحين، من جار كنت أكاتمه سيئاتي، ومن ذى رحم كنت أحشم منه لسريراتي، لم أثق بهم في السر على، ووثقت بك في المغفرة لى، وأنت أولى من وثق به، وأعطى من رغب إليه وأرأف من استرحم، فارحمني. اللهم إنى أعوذ

بك من نار تغلظت بها على من عصاك، وأوعدت بها من ضارك وناواك، وصدف عن رضاك. ومن نار نورها ظلمة، وهينها صعب، وقريبها بعيد. ومن نار يأكل بعضها بعضا، ويصول بعضها على بعض، ومن نار تذر العظام رميما، وتسقى أهلها حميما، ومن نار لا تبقى على من تضرع، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عن خشع لها، واستبتل إليها، تلقى سكانها بأحر ما لديها من إليم النكال، وشديد الوبال. اللهم بك أعوذ من عقاربها الفاغرة أفواهها، وحياتها الناهشة بأنبيائها، وشرابها الذي يقطع الامعاء، ويذيب الاحشاء، وأستهديك لما باعد عنها، وأنقذ منها، فأجرني بفضل رحمتك، وأقلني عثرتي بحسن إقالتك ولا تخذلني يا خير المجيرين. اللهم صل على محمد وآل محمد إذا ذكر الأبرار، وصل على محمد وآل محمد ما اختلف الليل والنهار، صلاة لا ينقطع مددها، ولا يحصى عددها، صلاة تشحن الهواء، وتملا الأرض والسماء. صل اللهم عليه وعليهم حتى ترضى، وصل عليه وعليهم بعد الرضا صلاة لاحد لها، ولا منتهى، يا أرحم الراحمين! (١).

فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية

لما بويح على ﷺ كتب إلى معاوية : أما بعد فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني وبإيعوني عن مشورة منهم واجتماع، فإذا أتاك كتابي فبايع لي، وأوفد إلى أشرف أهل الشام قبلك. فلما قدم رسوله على معاوية، وقرأ كتابه، بعث رجلا من بني عميس، وكتب معه كتابا إلى الزبير بن العوام، وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان : سلام عليك، أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما ! فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سر به، وأعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف على ﷺ (٢).

(١) شرح نهج البلاغة - ج ٦ ص ١٨٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٠

نبلوا سهلا فإنه سهل

يروى أن سهل بن حنيف، جعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ، فقال نبلوا سهلا فإنه سهل، ونظر رسول الله ﷺ إلى أبي الدرداء، والناس منهزمون في كل وجه، فقال نعم الفارس عويمر، غير أنه لم يشهد أحدا^(١).

شكوت إلى وكيع سوء حفظي

قال الشاعر:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: لان حفظ العلم فضل وفضل الله لا يؤتیه عاصي

وقال رجل لحكيم ما خير الأشياء لي؟ قال: أن تكون عالما، قال: فإن لم أكن؟

قال: أن تكون مثرى، قال: فإن لم أكن؟ قال: أن تكون شاريا، قال: فإن لم أكن؟

قال: فإن تكون ميتا.

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال:

إذا فاتك العلم جد بالقرى وإن فاتك المال سد بالقراع

فإن فات هذا وهذا وذاك فمت فحياتك شر المتاع

وقال أيضاً في المعنى بعينه:

ولو لا الحجا والقرى والقراع لما فضل الاخر الاولا

ثلاث متى يخل منها الفتى يكن كالبهيمة أو أرذلا^(٢).

من هو هذا الاخ المشار إليه

قال ﷺ: كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في

عينه، وكان خارجا من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان

أكثر دهره صامتا، فان قال بذ القائلين، ونقع غليل السائلين، وكان ضعيفا مستضعفا، فإن

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٥٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٨٢

جاء الجدد فهو ليث عاد، وصل واد، لا يدلى بحجة حتى يأتي قاضيا، كان لا يلوم أحدا على ما لا يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعا الا عند برئه، وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل، وكان أن غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على أن يسمع احرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بدده أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه، فعليكم بهذه الخلائق فالزموها، وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا إن أخذ القليل خير من ترك الكثير.

قد اختلف الناس في المعنى بهذا الكلام، ومن هو هذا الاخ المشار إليه؟ فقال قوم: هو رسول الله ﷺ، واستبعده قوم لقوله: (وكان ضعيفا مستضعفا)، فإن النبي ﷺ لا يقال في صفاته مثل هذه الكلمة، وإن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه، إلا انها غير لائقة به ﷺ. وقال قوم: هو أبو ذر الغفاري واستبعده قوم (لقوله: فإن جاء الجدد فهو ليث عاد، وصل واد)، فإن أبا ذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة، والمعروفين بالبسالة. وقال قوم: هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الاسود، وكان من شيعة علي ﷺ المخلصين، وكان شجاعا مجاهدا حسن الطريقة، وقد ورد في فضله حديث صحيح مرفوع. وقال قوم: إنه ليس بإشارة إلى أخ معين، ولكنه كلام خارج مخرج المثل^(١).

أكثرُوا لابي موسى من الطعام

قال عمرو بن العاص لأصحابه يوم حكم الحكمان: أكثرُوا لابي موسى من الطعام الطيب فوالله ما بطن قوم قط إلا فقدوا عقولهم أو بعضها، وما مضى عزم رجل بات بطينا. وكان يقال: أقلل طعاما تحمد مناما^(٢).

اسباب المادية الغلظة والفظاظة

قال ابن ابي الحديد: ونحن نذكر بعد كلاما كليا في سبب الغلظة والفظاظة، وهو الخلق المنافي للخلق الذي كان عليه أمير المؤمنين، فنقول: إنه قد يكون لامر عائد إلى المزاج الجسماني، وقد يكون لامر راجع إلى النفس: فأما الاول، فإنما يكون من غلبة

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٨٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٨٦

الاخلاق السوداوية وترمدها، وعدم صفاء الدم وكثرة كدرته وعكسه، فإذا غلظ الدم وثنخ غلظ الروح النفساني وثنخ أيضاً، لانه متولد من الدم، فيحدث منه نوع مما يحدث لاصحاب الفطرة، من الاستيحاش والنبوة عن الناس وعدم الاستثناس والبشاشة، وصار صاحبه ذا جفاء وأخلاق غليظة، ويشبهه أن يكون هذا سببا ماديا، فإن الذي يقوى في نفسي أن النفوس إن صحت وثبتت مختلفة بالذات. وأما الراجع إلى النفس فإن يجتمع عندها أسقاط وأنصباء من قوى مختلفة مذمومة، نحو أن تكون القوة الغضبية عندها متوافرة، وينضاف إليها تصور الكمال في ذاتها و توهم النقصان في غيرها، فيعتقد أن حركات غيره واقعة على غير الصواب، وأن الصواب ما توهمه. وينضاف إلى ذلك قلة أدب النفس وعدم الضبط لها واستحقارها للغير، ويقل التوقير له، وينضاف إلى ذلك لججاج وضيق في النفس وحدة واستشاشة وقلة صبر عليه، فيتولد من مجموع هذه الامور خلق دنى، وهو الغلظة والفظاظة والوعورة والبادرة المكروهة، وعدم حبه الناس، ولقاؤهم بالاذى وقلة المراقبة لهم، واستعمال القهر في جميع الامور، وتناول الامر من السماء، وهو قادر على أن يتناوله من الارض. وهذا الخلق خارج عن الاعتدال، وداخل في حيز الجور، ولا ينبغي أن يسمى بأسماء المدح، وأعنى بذلك أن قوما يسمون هذا النوع من العنف والخلق الوعر رجولية، وشدة وشكيمة، ويذهبون به مذهب قوه النفس وشجاعته، الذي هو بالحقيقة مدح. وشتان بين الخلقين، فإن صاحب هذا الخلق الذي ذمناه تصدر عنه أفعال كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على إخوانه، على الاقرب فالاقرب من معامليه، حتى ينتهي إلى عبده وحرمة، فيكون عليهم سوط عذاب، لا يقلهم عشرة، ولا يرحم لهم عبرة، وإن كانوا برآء الذنوب، غير مجرمين ولا مكتسبي سوء، بل يتجرم عليهم، ويهيج من أدنى سبب يجد به طريقا إليهم، حتى يبسط يده ولسانه، وهم لا يمتنعون منه، ولا يتجاسرون على رده عن أنفسهم، بل يدعون له ويقرون بذنوب لم يقترفوها، استكفافا لعادته وتسكينا لغضبه، وهو في ذلك يستمر على طريقته لا يكف يدا ولا لسانا. وأصل هذا الخلق الذي ذكرناه أنه مركب من قوى مختلفة : من شدة القوة الغضبية، فهي الحاملة لصاحب هذا الخلق على ما يصدر عنه من البادرة المكروهة والجهه والقحة، وقد رأينا وشاهدنا من تشتد القوة الغضبية فيه، فيتجاوز الغضب على نوع الانسان إلى البهائم التي لاتعقل وإلى الاواني التي لا تحس، وربما قام إلى الحمار وإلى البرذون فضربهما ولكمهما، وربما كسر الانية لشدة غضبه، وربما عض القفل إذا تعسر

عليه، وربما كسر القلم إذا تعلقته به شعرة من الدواة واجتهد في إزالتها فلم تزل ويحكى عن بعض ملوك اليونان المتقدمين : أنه كان يغضب على البحر إذا هاج واضطرب، وتأخرت سفنه عن النفوذ فيه، فيقسم بمعبوده ليطمئه وليطرحن الجبال فيه حتى يصير أرضاً، ويقف بنفسه على البحر، ويهدده بذلك، ويذره زجراً عنيفاً، حتى تدر أوداجه ويشتد احمرار وجهه، ومنهم من لا يسكن غضبه حتى يصب عليه ماء بارد أو حتى يبول، ولهذا ورد في الشريعة الأمر لمن اشتد غضبه أن يتوضأ للصلاة ويصلي.

وكان عمر بن الخطاب إذا غضب على واحد من أهله لا يسكن غضبه، حتى يعض يده عضاً شديداً حتى يدميها.

وذكر أن سرية جاءت لعبد الرحمن أو لعبيد الله ابن عمر بن الخطاب إليه تشكوه فقالت : يا أمير المؤمنين، ألا تعذرني من أبي عيسى؟ قال : ومن أبو عيسى؟ قالت : ابنك عبيد الله، قال : ويحك ! وقد تكنى بأبي عيسى ! ثم دعاه فقال : إيها اكنيت بأبي عيسى ! فحذر وفزع، وأخذ يده فعضها، ثم ضربه، وقال : ويلك ! وهل لعيسى أب؟ أتدرى ما كنى العرب؟ أبو سلمة، أبو حنظلة، أبو عرفة أبو مرة.

وكان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده عضاً شديداً. وكان عبد الله بن الزبير كذلك، ولقوة هذا الخلق عنده أضمر عبد الله بن عباس في خلافته إبطال القول بالعول وأظهره بعده، فقيل له : هلا قلت هذا في أيام عمر ! فقال : هبته، وكان أميراً مهيباً.

ولذلك قال أيضاً أبو سفيان في استلحاق زياد : أخاف من هذا العير الجالس أن يخرق على إهابي، فإذا هابه أبو سفيان، وهو من بني عبد مناف في المنزلة التي تعلم، وحوله بنو عبد شمس، وهم جمرة قريش، فما ظنك بمن هو دونه !

وقد علمت حال جبلة بن الأيهم وارتداده عن الإسلام لتهدده له ووعيده إياه أن يضربه بالدرّة،

وفساد الحال بينه وبين خالد بن الوليد بعد أن كان ولياً مصافياً، ومنحرفاً عن غيره

قاليا

والشأن الذي كان بينه وبين طلحة حتى هم أن يوقع به، وحتى هم طلحة أن يجاهره، وطلحة هو الذي قال لابي بكر عند موته : ماذا تقول لربك وقد وليت فينا فظاً غليظاً !

وهو القائل له : يا خليفة رسول الله، إنا كنا لا نحتمل شراسته وأنت حتى تأخذ علي يديه، فكيف يكون حالنا معه وأنت ميت وهو الخليفة؟^(١)

ما قاتل عليا أحد إلا وعلى أولى بالحق منه

عن عبيد الله بن موسى، قال : سمعت سفيان بن سعيد المعروف بسفيان الثوري، يقول : ما أشك أن طلحة والزبير بايعا عليا، وما نقما عليه جورا في حكم ولا استئثارا بفيء، وما قاتل عليا أحد إلا وعلى أولى بالحق منه^(٢).

قصر الخبال، لا تنزلوا فيه

قدم علي عليه السلام إلى الكوفة نزل على باب المسجد، فدخل فصلى، ثم تحول فجلس إليه الناس، فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة، فقال قائل : استأثر الله به، فقال علي عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى لا يستأثر بأحد من خلقه، إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه، وإذلال خلقه، وقرأ : (كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم، قال نصر : فلما لحقه عليه السلام ثقله قالوا : أنزل القصر؟ فقال : قصر الخبال، لا تنزلوا فيه^(٣).

سليمان بن سرد الخزاعي

دخل سليمان بن سرد الخزاعي على علي عليه السلام، مرجعه من البصرة، فعاتبه وعذله، وقال له : ارتبت وتربصت وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي، وأسرعهم فيما أظن إلى نصرتي، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك؟ وما زهدك في نصرتهم؟ فقال : يا أمير المؤمنين، لا تردن الأمور على أعقابها، ولا تؤنبنني بما مضى منها، واستبق مودتي تخلص لك نصيحتي، فقد بقيت أمور تعرف فيها عدوك من وليك. فسكت عنه، وجلس سليمان قليلا، ثم نهض، فخرج إلى الحسن بن علي عليه السلام، وهو قاعد في باب المسجد، فقال : ألا أعجبك من أمير المؤمنين، وما لقيت منه من التوبيخ والتبكيك؟ فقال

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٤٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٥

الحسن : إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته، فقال : لقد وثبت أمور مستشرع فيها القناء، وتنتضى فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى اشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تتهموا نصحي. فقال الحسن : رحمك الله، ما أنت عندنا بظنين. ودخل عليه سعيد بن قيس الأزدي، فسلم عليه، فقال : وعليك السلام وإن كنت من المتربصين ! قال : حاش لله يا أمير المؤمنين ! فإني لست من أولئك. فقال : لعل الله فعل ذلك^(١).

فرار الخلفاء يوم احد

لما صاح إبليس : أن محمدا قد قتل، تفرق الناس فمنهم من ورد المدينة، فكان أول من وردها يخبر أن محمدا قد قتل، سعد بن عثمان أبو عبادة، ثم ورد بعده رجال حتى دخلوا على نساءهم حتى جعل النساء يقلن : أعن رسول الله تفرون ! ويقول لهم ابن أم مكتوم : أعن رسول الله تفرون؟ يؤنب بهم، وقد كان رسول الله ﷺ خلفه بالمدينة يصلي بالناس، ثم قال دلوني على الطريق - يعني طريق أحد - فدلوه، فجعل يستخبر كل من لقي في الطريق حتى لحق القوم، فعلم بسلامة النبي ﷺ، ثم رجع. وكان ممن ولى عمر وعثمان والحارث بن حاطب وثعلبة بن حاطب وسواد بن غزيرة وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان وخارجة بن عمر بلغ ملل، وأوس بن قيثي في نفر من بني حارثة بلغوا الشقرة ولقيتهم أم أيمن تحثي في وجوههم التراب وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به، وهلم. واحتج من قال بفرار عمر بما رواه الواقدي في كتاب المغازي في قصة الحديدية، قال : قال عمر يومئذ : يا رسول الله، أ لم تكن حدثتنا أنك ستدخل المسجد الحرام وتأخذ مفتاح الكعبة وتعرف مع المعرفين، وهدينا لم يصل إلى البيت ولا نحر ! فقال رسول الله ﷺ : أ قلت لكم في سفركم هذا؟ قال عمر : لا، قال : أما إنكم ستدخلونه وأخذ مفتاح الكعبة وأحلق رأسي ورؤوسكم ببطن مكة وأعرف مع المعرفين، ثم أقبل على عمر وقال : أ نسيتم يوم أحد، (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد) وأنا أدعوكم في أخراكم ! أ نسيتم يوم الاحزاب (إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) أ نسيتم يوم كذا ! وجعل يذكرهم أمورا، أ نسيتم يوم كذا ! فقال المسلمون : صدق الله وصدق رسوله، أنت يا رسول الله أعلم بالله منا، فلما

دخل عام القضية وحلق رأسه قال : هذا الذي كنت وعدتكم به ، فلما كان يوم الفتح وأخذ مفتاح الكعبة قال : ادعوا إلي عمر بن الخطاب ، فجاء فقال : هذا الذي كنت قلت لكم . قالوا : فلو لم يكن فر يوم أحد لما قال له : أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون . واحتج من روى أن عمر فر يوم أحد بما روي أنه جاءته في أيام خلافته امرأة تطلب بردا من برود كانت بين يديه ، وجاءت معها بنت لعمر تطلب بردا أيضاً فأعطى المرأة ورد ابنته ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن أبا هذه ثبت يوم أحد وأبا هذه فر يوم أحد ولم يثبت^(١) .

كرديد ونكرديد

وما يذكره المحدثون من قول سلمان للمسلمين يوم السقيفة : كريد ونكرديد محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتهم شيئاً وما صنعتهم ، أي استخلفتهم خليفة ونعم ما فعلتم ، إلا أنكم عدلتهم عن أهل البيت ، فلو كان الخليفة منهم كان أولى والامامية تقول : معناه : أسلمتم وما أسلمتم واللفظة المذكورة في الفارسية لا تعطى هذا المعنى ، وإنما تدل على الفعل والعمل لا غير ، ويدل على صحة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر على المدائن ، فلو كان ما تنسبه الامامية إليه حقاً لم يعمل له^(٢) .

فهو عندي أحقق

وقال الحسن عليه السلام : من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كاذب ، فإن علمت صدقه فهو عندي أحقق^(٣) .

الاحسان إلى الناس

في الخبر المرفوع : إذا وسعتم الناس ببسط الوجوه ، وحسن الخلق ، وحسن الجوار ، فكأنما وسعتموهم بالمال .
وقال أبو الدرداء : إنا لنهش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتقليهم .

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٨٩

وقال محمد بن الفضل الهاشمي لابيهِ : لم تجلس إلى فلان وقد عرفت عداوته ؟
قال : أخبئ نارا، وأقدح عن ود.

وقال المهاجر بن عبد الله :

وإني لأقصى المرء من غير بغضة وأدنى أخا البغضاء مني

على عمد ليحدث ودا بعد بغضاء أو أرى له مصرعا يردى به الله من يردى

وقال عقال : بن شبة التيمي : كنت ردف أبي، فلقية جرير بن الخطفي على بغله

فحياة أبي والطفه، فلما مضى قلت له : أبعث أن قال لنا ما قال ! يا بني أفوسع

جرحي ! وقال محمد بن الحنفية عليه السلام : قد يدفع باحتمال المكروه ما هو أعظم منه. وقال

الحسن عليه السلام : حسن السؤال نصف العلم، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في
المعيشة نصف المؤونة.

ومدح ابن شهاب شاعرا فأعطاه، وقال : إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر.

وقال الشاعر : وأنزلي طول النوى دار غربتي شئت لاقيت أمأ لا أشاكله

أخا ثقة حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وفي الحديث المرفوع : للمسلم على المسلم ست : يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا

دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويحب له ما يحب لنفسه، ويشيع جنازته إذا
مات

ووقف عليه السلام على عجوز فجعل يسألها ويتحفاها، وقال : إن حسن العهد من

الايمان، إنها كانت تأتينا أيام خديجة ^(١).

الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة

لما بويع أبو العباس جاءه ابن عياش المنتوف، فقبل يده وباعه، وقال : الحمد لله

الذي أبدلنا بحمار الجزيرة، وابن أمة النخع، ابن عم رسول الله عليه السلام، وابن عبد
المطلب ^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٠٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٥٧

شعر بن ابي الحديد

قال عليه السلام: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه
قد أخذت أنا هذا المعنى، فقلت في قطعة لي :

إن الامانى أكساب الجهول فلا تقنع بها واركب الاهوال والخطرا
واجعل من العقل جهلا واطرح نظرا في الموبقات ولا تستشعر الحذرا
وإن قدرت على الاعداء منتصرا فاشكر بعفوك عن أعدائك الظفرا^(١).

مما قيل في الشيب والخضاب

فأما القول في الخضاب فقد روى قوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا شيب يسير في لحيته،
فغيره بالخضاب، خضب بالحناء والكتم،

وقتل الحسين عليه السلام يوم الطف وهو مخضوب.

وفي الحديث: عليكم بالحناء، فإنه خضاب الاسلام إنه يصفى البصر ويذهب
بالصداع، ويزيد في الباه، وإياكم والسواد، فإنه من سود، سود الله وجهه يوم القيامة.

وعنه عليه السلام عليكم بالخضاب، فإنه أهيب لعدوكم وأعجب إلى نساءكم

ويقال في أبواب الكناية للمختضب، هو يسود وجه النذير، لان النذير الشيب، قيل
في قوله تعالى: (وجاءكم النذير): إنه الشيب.

كان انس بن مالك يخضب وينشد:

نسود أعلاها وتأبى أصولها وليس إلى رد الشباب سبيل.

وروى أن عبد المطلب وفد على سيف بن ذى يزن، فقال له: لو خضبت! فلما عاد
إلى مكة خضب، فقالت له امرأته نثيلة أم العباس وضرار: ما أحسن هذا: الخضاب لو
دام! فقال:

فلو دام لي هذا الخضاب حمدته وكان بديلا من خليل قد انصرم

تمتعت منه والحياة قصيرة ولا بد من موت - نثيلة - أو هرم

وموت جهيز عاجل لا شوى له أحب إلينا من مقالكم حكم

قال : يعنى أنه صار شيخا، فصار حكما بين الناس،

من قوله :

لا تغبط المرء أن يقال له أضحى فلان لسنه حكما

وقال أسماء بن خارجة لجارته : اخضيني، فقالت حتى متى أرقعك ! فقال :

عيرتني خلقا أبليت جدته وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا.

وأما من يروى ان عليا عليه السلام ما خضب، فيحتج بقوله، وقد قيل له : لو غيرت شيبك

يا امير المؤمنين فقال : الخضاب زينه، ونحن في مصيبة - يعنى برسول الله (صلى الله عليه واله).

وسئل الحسن عليه السلام عن الخضاب، فقال : هو جزع قبيح.

وقال محمود الوراق :

يا خاضب الشيب الذى فى كل ثالثة يعود

إن الخضاب إذا مضى فكأنه شيب جديد

فدع المشيب وما يريد فلن تعود كما تريد

وقد روى قوم عن النبي صلى الله عليه وآله كراهية الخضاب، وأنه قال : لو استقبلتم الشيب

بالتواضع لكان خيرا لكم.

قال الشاعر :

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم صبغى ودامت صبغة الايام.

وقال آخر :

يأيها الرجل المغير شيبه كيما تعد به من الشبان

أقصر فلو سودت كل حمامة بيضاء ما عدت من الغربان

ويقولون في ديوان عرض الجيش ببغداد لمن يخضب إذا ذكروا حليته : مستعار،

وهى كناية لطيفة.

وأنا أستحسن قول البحترى : خضبت بالمقراض : كناية عن قص الشعر الابيض،

فجعل ذلك خضابه عوضا عن الصبغ، والايات هذه :

لابس من شبيبة أم ناض ومليح من شيبه أم راض

وإذا ما امتعضت من ولع الشيب
ليس يرضى عن الزمان امرؤ فيه
والبواقي من الليالي وإن خالفن
وأبت تركي الغديات والا
ودواء المشيب كالبخص في عيني
طال حزني على الشباب وما بيض
فهل الحادثات يابن عويف
برأسي لم يثن ذاك امتعاضي
إلا عن غفلة أو تغاضي
شيئا شبيهة بالمواضي
صال حتى خضبت بالمقراض
فقل فيه في العيون المراض
من لون صبغه الفضفاض
تاركاتي ولبس هذا البياض!^(١)

لا ترونهما إلا في فتنة يقتتلان فيها

دخل الزبير وطلحة على علي عليه السلام، فاستأذناه في العمرة، فقال: ما العمرة تريدان، فحلفا له بالله أنهما ما يريدان غير العمرة، فقال لهما: ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان، وما رأيهما غير العمرة. قال لهما: فأعيدا البيعة لى ثانية، فأعادها بأشد ما يكون من الايمان والمواثيق، فأذن لهما، فلما خرجا من عنده، قال لمن كان حاضرا: والله لا ترونهما إلا في فتنة يقتتلان فيها. قالوا: يا أمير المؤمنين، فمر بردهما عليك، قال: ليقضى الله أمرا كان مفعولا^(٢).

وكم ثمانمائة ألف درهم؟

روى أبو هريرة قال: قدمت على عمر من عند أبي موسى بثمانمائة ألف درهم، فقال لى: بما ذا قدمت؟ قلت بثمانمائة ألف درهم فقال ألم أقل لك إنك يمان أحمق ويحك! إنما قدمت بثمانين ألف درهم فقلت: يا أمير المؤمنين إنما قدمت بثمانمائة ألف درهم فجعل يعجب ويكررها، فقال: ويحك! وكم ثمانمائة ألف درهم؟ فعددت مائة ألف ومائة ألف حتى بلغت ثمانية، فاستعظم ذلك، وقال أطيب هو ويحك! قلت: نعم فبات عمر ليلته تلك أرقا حتى إذا نودي لصلاة الصبح قالت له امرأته: ما نمت هذه الليلة،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٢

قال : وكيف أنام وقد جاء الناس ما لم يأتهم مثله منذ قام الاسلام، فظنت المرأة أنها داهية، فسألته فقال : مال جم، حملة أبو موسى، قالت : فما بالك؟ قال : ما يؤمنني لومت وهذا المال عندي لم أضعه في حقه ! فخرج يصلى الصبح واجتمع الناس إليه، فقال لهم : قد رأيت في هذا المال رأيا فأشيروا علي، رأيت أن أكيه للناس بالمكيال، قالوا : لا يا أمير المؤمنين، قال : لا بل أبدأ برسول الله ﷺ وبأهله ثم الاقرب فالاقرب فبدأ بنبي هاشم، ثم بنبي المطلب، ثم بعبد شمس ونوفل، ثم بسائر بطون قريش^(١).

يعيدها لا لكذا ولا لكذا

ذكر ﷺ انه تعالى (سيفنيها بعد ايجادها) لا لضجر لحقه في تدبيرها، ولا لراحة تصله في اعدامها، ولا لثقل شئ منها عليه حال وجودها، ولا لملل اصابه فبعثه على اعدامها. ثم عاد ﷺ فقال انه سبحانه سيعيدها إلى الوجود بعد الفناء، لا لحاجة إليها ولا ليستعين ببعضها على بعض، ولا لانه استوحش حال عدمها فاحب أن يستانس باعادتها، ولا لانه فقد علما عند اعدامها فاراد باعادتها استجداد ذلك العلم، ولا لانه صار فقيرا عند اعدامها فاحب أن يتكثر ويثري باعادتها، ولا لذل اصابه بافنائها فاراد العز باعادتها. فان قلت إذا كان يفنيها لا لكذا ولا لكذا، وكان من قبل اوجدها لا لكذا ولا لكذا، ثم قلت انه يعيدها لا لكذا ولا لكذا، فلاي حال اوجدها اولا، ولاي حال افناها ثانيا، ولاي حال اعادها ثالثا خبرونا عن ذلك، فانكم قد حكيتم عنه ﷺ الحكم ولم تحكوا عنه العلة. قلت : انما اوجدها اولا للاحسان إلى البشر ليعرفوه، فانه لو لم يوجد لهم لبقى مجهولا لا يعرف، ثم كلف البشر ليعرضهم للمنزلة الجليلة التي لا يمكن وصولهم إليها الا بالتكليف وهي الثواب، ثم يفنيهم لانه لا بد من انقطاع التكليف ليخلص الثواب من مشاق التكليف؛ وإذا كان لا بد من انقطاعه فلا فرق بين انقطاعه بالعدم المطلق، أو بتفريق الاجزاء، وانقطاعه بالعدم المطلق قد ورد به الشرع، وفيه لطف زائد للمكلفين، لانه اردع واهيب في صدورهم من بقاء اجزائهم، واستمرار وجودها غير معدومة. ثم انه سبحانه يبعثهم ويعيدهم ليوصل إلى كل انسان ما يستحقه من ثواب أو عقاب، ولا يمكن ايصال هذا المستحق الا بالاعادة، وانما لم يذكر امير المؤمنين ﷺ هذه التعليقات، لانه

قد اشار إليها فيما تقدم من كلامه، وهى موجودة في فرش خطبه، ولان مقام الموعدة غير مقام التعليل، وامير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة يسلك مسلك الموعدة في ضمن تمجيد الباري سبحانه وتعظيمه، وليس ذلك بمظنة التعليل والحجاج^(١).

انزل عن منبر أبى

عن الشعبي، قال : قام الحسن ابن على عليه السلام إلى أبى بكر وهو يخطب على المنبر فقال له : انزل عن منبر أبى، فقال أبو بكر : صدقت، والله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبى فبعث على إلى أبى بكر، إنه غلام حدث، وأنا لم نأمره فقال أبو بكر : صدقت، إنا لم نتهمك^(٢).

حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطى

قوله عليه السلام (ذاك حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطى)، معناه أن اكثر من يعطى ويتصدق في ذلك الزمان يكون ماله حراما فلا اجر له في التصدق به، ثم اكثرهم يقصد الرياء والسمعة بالصدقة أو لهوى نفسه، أو لخطرة من خطراته، ولا يفعل الحسن لانه حسن، ولا الواجب لوجوبه، فتكون اليد السفلى خيرا من اليد العليا، عكس ما ورد في الاثر، واما المعطى فانه يكون فقيرا ذا عيال، لا يلزمه أن يبحث عن المال احرام هو ام حلال ! فإذا اخذه ليسد به خلته، ويصرفه في قوت عياله، كان اعظم اجرا ممن اعطاه. وقد خطر لى فيه معنى آخر، وهو أن صاحب المال الحرام انما يصرفه في اكثر الاحوال واغلبها في الفساد وارتكاب المحظور كما قال (من اكتسب مالا من نهاوش اذهب الله في نهاير) فإذا اخذه الفقير منه على وجه الصدقة فقد فوت عليه صرفه في تلك القبائح والمحضورات التى كان بعرضته صرف ذلك القدر فيها لو لم ياخذ الفقير، فإذا قد احسن الفقير إليه بكفه عن ارتكاب القبيح، ومن العصمة الا يقدر فكان المعطى اعظم اجرا من المعطى^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٩٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٤٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٩٦

قصة وقعت لأحد الوعاظ ببغداد

وعلى ذكر قوله ﷺ (سلونى)، حدثنى من اثنى به من اهل العلم حديثاً، وان كان فيه بعض الكلمات العامية، الا انه يتضمن ظرفاً ولطفاً، ويتضمن أيضاً ادباً. قال كان ببغداد في صدر ايام الناصر لدين الله ابى العباس احمد بن المستضى بالله، واعظ مشهور بالحذق ومعرفة الحديث والرجال، وكان يجتمع إليه تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد ومن فضلائها أيضاً، وكان مشتهراً بزم اهل الكلام وخصوصاً المعتزلة واهل النظر، على قاعدة الحشوية، ومبغضى ارباب العلوم العقلية، وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة برضا العامة بالميل عليهم، فاتفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يبيكته ويساله تحت منبره، ويخجله ويفضح به بين الناس في المجلس، وهذه عادة الوعاظ؛ يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها، وسالوا عن يبتدب لهذا، فاشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف باحمد بن عبد العزيز الكزى، كان له لسن، ويشغل بشئ يسير من كلام المعتزلة، ويتشيع، وعنده قحة، وقد شدا اطرافاً من الادب، وقد رايت انا هذا الشخص في آخر عمره، وهو يومئذ شيخ والناس يختلفون إليه في تعبير الرؤيا، فاحضروه وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك، فأجابهم، وجلس ذلك الواعظ في يومه الذى جرت عادته بالجلوس فيه، واجتمع الناس عنده على طبقاتهم، حتى امتلات الدنيا بهم، وتكلم على عادته فاطال، فلما مر في ذكر صفات البارئ سبحانه في اثناء الوعظ، قام إليه الكزى، فسأله اسئلة عقلية، على منهاج كلام المتكلمين من المعتزلة، فلم يكن للواعظ عنها جواب نظرى، وانما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الالفاظ؛ وتردد الكلام بينهما طويلاً، وقال الواعظ في آخر الكلام اعين المعتزلة حول، وصرتي في مسامعهم طبول، وكلامي في افئدتهم نصول، يا من بالاعتزال يصول، ويحك كم تحوم وتجول، حول من لا تدركه العقول! كم اقول، كم اقول! خلوا هذا الفضول! فارتج المجلس، وصرخ الناس، وعلت الاصوات، وطاب الواعظ وطرب، وخرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفية، وقال سلونى قبل أن تفقدونى، وكررها؛ فقام إليه الكزى، فقال يا سيدى ما سمعنا انه قال هذه الكلمة الا على بن ابى طالب ﷺ، وتمام الخبر معلوم، واران الكزى بتمام الخبر قوله ﷺ (لا يقولها بعدى الا مدع). فقال الواعظ وهو في نشوة طربه، واران اظهار فضله ومعرفة رجال الحديث والرواة من على بن ابى طالب؟ اهو على بن

ابى طالب بن المبارك النيسابوري ام على بن ابى طالب ابن اسحاق المروزي ام على بن ابى طالب بن عثمان القيرواني ام على بن ابى طالب ابن سليمان الرازي وعد سبعة أو ثمانية من اصحاب الحديث، كلهم على بن ابى طالب فقام الكزى، وقام من يمين المجلس آخر، ومن يسار المجلس ثالث، انتدبوا له، وبذلوا انفسهم للحمية ووطنوها على القتل. فقال الكزى اشأ يا سيدى فلان الدين، اشأ صاحب هذا القول هو على بن ابى طالب زوج فاطمة سيدة نساء العالمين عليه السلام، وان كنت ما عرفته بعد بعينه، فهو الشخص الذى لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والاذناب آخى بينه وبين نفسه، واسجل على انه نظيره ومماثله، فهل نقل في جهازكم انتم من هذا شئ أو نبت تحت خبكم من هذا شئ. فاراد الواعظ أن يكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الايمن، وقال يا سيدى فلان الدين، محمد بن عبد الله كثير في الاسماء، ولكن ليس فيهم من قال له رب العزة (ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى) وكذلك على بن ابى طالب كثير في الاسماء، ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة (انت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى). وقد تلتقى الاسماء في الناس والكنى كثيرا ولكن ميزوا في الخلائق. فالتفت إليه الواعظ ليكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الايسر، وقال يا سيدى فلان الدين، حقك تجهله، انت معذور في كونك لا تعرفه : وإذا خفيت على الغبى فعاذر الا تراني مقلة عمياء. فاضطرب المجلس وماج كما يموج البحر، وافتتن الناس، وتواثبت العامة بعضها إلى بعض، وتكشفت الرؤوس، ومزقت الشياب، ونزل الواعظ، واحتمل حتى ادخل دارا اغلق عليه بابها، وحضر اعوان السلطان فسكنوا الفتنة، وصرفوا الناس إلى منازلهم واشغالهم، وانفذ الناصر لدين الله في آخر نهار ذلك اليوم، فاخذ احمد بن عبد العزيز الكزى والرجلين اللذين قاما معه، فحبسهم اياما لتطفا نائرة الفتنة. ثم اطلقهم^(١).

عمرو بن العاص ومعاوية

دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجد، وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه فكره قضاءها، وتشاغل، فقال عمرو: يا معاوية، إن السخاء فطنة واللؤم تغافل، والجفاء

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٠٧

ليس من أخلاق المؤمنين، فقال معاوية: يا عمرو: بماذا تستحق منا قضاء الحوائج العظام؟ فغضب عمرو وقال: بأعظم حق وأوجب، إذ كنت في بحر عجاج، فلولا عمرو لغرقت في أقل مائه وأرقه، ولكنني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه، ثم دفعتك فيه أخرى فصرت في أعلى المواضع منه، فمضى حكمك، ونفذ أمرك وانطلق لسانك بعد تلجلجه، وأضاء وجهك بعد ظلمته، وطمست لك الشمس بالعهن المنفوش، وأظلمت لك القمر بالليله المدلهمة. فتناوم معاوية وأطبق جفنيه مليا، فخرج عمرو، فاستوى معاوية جالسا وقال لجلسائه: رأيتم ما خرج من فم ذلك الرجل؟ ما عليه لو عرض، ففى التعريض ما يكفى! ولكنه جبهنى بكلامه، ورماني بسموم سهامه. فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين: إن الحوائج لتقضى على ثلاث خصال: إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقا فتقضى له بحقه، وإما أن يكون السائل لئىما فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيقضى حاجته، وإما أن يكون المسئول كريما فيقضيها لكرمه، صغرت أو كبرت. فقال معاوية: لله أبرك! ما أحسن ما نطقت، وبعث إلى عمرو فأخبره، وقضى حاجته ووصله بصلة جليلة، فلما أخذها ولى منصرفا. فقال معاوية: (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) فسمعها عمرو، فالتفت إليه مغضبا وقال: والله يا معاوية، لا أزال آخذ منك قهرا، ولا أطيع لك أمرا، وأحفر لك بئرا عميقا، إذا وقعت فيه لم تدرك إلا رميما. فضحك معاوية، فقال: ما أريدك يا أبا عبد الله بالكلمة، وإنما كانت آية تلوتها من كتاب الله عرضت بقلبي فاصنع ما شئت^(١).

هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك!

فأما الكعبة فإن الحجاج في أيام عبد الملك هدمها، وكان الوليد بن يزيد يصلى إذا صلى أوقات إفاقة من السكر إلى غير القبلة، فقيل له، فقرا: (فأيما تولوا فشم وجه الله). وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال: تبا لهم! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله!^(٢)

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢٩٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٢

امهلوا حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة

وقد روى الشعبي عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قدم من سفر، فأراد الرجال أن يطرقوا النساء ليلاً، فقال: امهلوا حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة، فإذا قدمتم فالكيس الكيس. قالوا: ذهب إلى طلب الولد^(١).

مدح العرب لكثرة الولد

كانت العرب تفخر بكثرة الولد، وتمدح الفحل القيس، وتذم العاقر والعقيم.
وقال عامر بن الطفيل يعنى نفسه:

لبش الفتى إن كنت أعور عاقراً جباناً فما عذري لدى كل محضر !
وقال علقمة بن علاثة يفخر على عامر:
أمنت وكفر، ووفيت وغدر، وولدت وعقر.
وقال الزبيرقان:

فاسأل بني سعد وغيرهم يوم الفخار فعندهم خبري
أي امرئ أنا حين يحضرنى رقد العطاء وطالب النصر
وإذا هلكت تركت وسطهم ولدي الكرام ونابه الذكر
وقال طرفة بن العبد:

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وعادني بنون كرام سادة لمسود
ومدح النابغة الذبياني ناساً فقال:

لم يحرموا طيب النساء وأهمهم طفحت عليك بناتق مذكور
وقال نهشل بن حري:

على بني يشد الله عظمهم والنبع ينبت قضباناً فيكتهل
ومكث الفرزدق زماناً لا يولد له فغيرته امرأته، فقال:

قالت أراه واحداً لا أخاله يؤمله في الوارثين الأبعاد

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٣

لعمرك يوماً أن ترينني كأنما بني حواري النبيك الحوارد
 فإن تميماً قبل أن يلد الحصار أقام زماناً وهو في الناس واحد
 وقال الآخر، وقد مات إخوته، وملا حوضه ليسقي، فجاء رجل صاحب عشيرة
 وعتره، فأخذ بضبعه فنحاه، ثم قال لراعيه : اسق إيلك :

لو كان حوض حمار ما شربت به إلا بإذن حمار آخر الأبد
 لكنه حوض من أودى بإخوته ريب المنون فأمسى بيضة البلد
 لو كان يشكى إلى الأموات ما لقي ال أحياء بعدهم من قلة العدد
 ثم اشتكيت لاشكاني وأنجديني قبر بسنجار أو قبر على فحد
 وقال الأعشى وهو يذكر الكثرة :

ولست بالأكثر منهم حصي وإنما العزة للكائر^(١).

ولكن مخنف بن مسلم وقومه لم يتخلفوا

عن محمد بن مخنف، قال : دخلت مع أبي علي عليه السلام، مقدمه من البصرة، وهو
 عام بلغت الحلم، فإذا بين يديه رجال يؤنبهم، ويقول لهم : ما أبطأ بكم عني، وأنتم
 أشرف قومكم ! والله إن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة، إنكم لبور، وإن كان من
 شك في فضلي ومظاهرة علي، إنكم لعدو. فقالوا : حاش لله يا أمير المؤمنين ! نحن
 سلمك وحرب عدوك. ثم اعتذر القوم فمنهم من ذكر عذراً، ومنهم من اعتل بمرض،
 ومنهم من ذكر غيبة، فنظرت إليهم فعرفتهم، فإذا عبد الله المعتم العبسي، وحنظلة بن
 الربيع التميمي، وكلاهما كانت له صحبة، وإذا أبو بردة بن عوف الأزدي، وإذا غريب بن
 شرحبيل الهمداني. قال : ونظر علي عليه السلام إلى أبي، فقال : ولكن مخنف بن مسلم وقومه
 لم يتخلفوا، ولم يكن مثلهم كمثل القوم الذين قال الله تعالى فيهم : (وإن منكم لمن
 ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم
 فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا
 عظيماً)^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٦

سيان عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذى الجحفة

لما انصرف الزبير عن حرب على ﷺ، مر بوادي السباع، والاحنف ابن قيس هناك في جمع من بني تميم قد اعتزل الفريقين، فأخبر الاحنف بمرور الزبير، فقال رافعا صوته : ما أصنع بالزبير ! لف غارين من المسلمين، حتى أخذت السيوف منهما مأخذها، انسل وتركهم. أما إنه لخليق بالقتل، قتله الله ! فاتبعه عمرو بن جرموز - وكان فاتكا - فلما قرب منه وقف الزبير، وقال : ما شأنك؟ قال : جئت لاسالك عن أمر الناس، قال الزبير : إني تركتهم قياما في الركب، يضرب بعضهم وجه بعض بالسيف. فسار ابن جرموز معه، وكل واحد منهما يتقى الآخر. فلما حضرت الصلاة، قال الزبير : يا هذا، إنا نريد أن نصلى. فقال ابن جرموز : وأنا أريد ذلك، فقال الزبير : فتؤمنني وأؤمنك؟ قال : نعم، فثنى الزبير رجله، وأخذ وضوءه. فلما قام إلى الصلاة شد ابن جرموز عليه فقتله، وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه، وحثا عليه ترابا يسيرا، ورجع إلى الاحنف، فأخبره، فقال : والله ما أدري أسأت أم أحسنت؟ اذهب إلى علي ﷺ فأخبره، فجاء إلى علي ﷺ، فقال للآذن : قل له : عمرو بن جرموز بالباب ومعه رأس الزبير وسيفه، فأدخله. وفي كثير من الروايات أنه لم يأت بالرأس بل بالسيف، فقال له : أنت قتلته؟ ! قال : نعم، قال : والله ما كان ابن صفية جبانا ولا لثيما، ولكن الحين ومصارع السوء، ثم قال : ناولني سيفه، فناوله فهزه، وقال : سيف طالما به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ. فقال ابن جرموز : الجائزة يا أمير المؤمنين، فقال : أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار، فخرج ابن جرموز خائبا، وقال :

أتيت عليا برأس الزبير أبغى به عنده الزلفه

فبشر بالنار يوم الحساب فبئست بشارة ذى التحفه

فقلت له إن قتل الزبير لو لا رضاك من الكلفه

فإن ترض ذلك فمك الرضا وإلا فدونك لى حلفه

ورب المحلين والمحرمين ورب الجماعة والالفه

لسيان عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذى الجحفه

ثم خرج ابن جرموز على علي عليه السلام، مع أهل النهر، فقتله معهم فيمن قتل ^(١)

بطلان قول الاصمعي

من كلام له عليه السلام :

وقد أرعذوا وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نسيل نمطر.

أرعد الرجل وأبرق، إذا أوعد وتهدد، وكان الاصمعي ينكره، ويزعم أنه لا يقال : إلا رعد وبرق، ولما احتج عليه بيت الكميت : أوعد وأبرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر قال : الكميت قروي لا يحتج بقوله

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام حجة دالة على بطلان قول الاصمعي ^(٢).

وأبى الحسين عليه السلام أن يدفنه إلا مع جده

عن هشام بن عروة، قال : قال الحسن عند وفاته : ادفنوني عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر، فلما أرادوا دفنه، قال مروان بن الحكم : لا يدفن عثمان في حش كوكب، ويدفن الحسن ها هنا، فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية، وأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، وجاءوا بالسلاح، فقال أبو هريرة لمروان : أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة " ! قال مروان : دعنا منك، لقد ضاع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري ! وإنما أسلمت أيام خيبر، قال أبو هريرة : صدقت، أسلمت أيام خيبر، ولكنني لزممت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أكن أفارقه، وكنت أسأله، وعנית بذلك حتى علمت من أحب ومن أبغض، ومن قرب ومن أبعده، ومن أقر ومن نفى، ومن لعن ومن دعا له، فلما رأيت عائشة السلاح والرجال، وخافت أن يعظم الشر بينهم، وتسفك الدماء، قالت : البيت بيتي، ولا آذن لاحد أن يدفن فيه، وأبى الحسين عليه السلام أن يدفنه إلا مع جده، فقال له محمد بن الحنفية : يا أخي، إنه لو أوصى أن ندفنه لدفناه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى، وقال : إلا أن تخافوا الشر، فأبى شر

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٧

يرى أشد مما نحن فيه ! فدفنوه في البقيع^(١).

خرجت وفي قلبي قرحة منك

عن عبد الله بن عبد الرحمن، أن رسول الله ﷺ في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والانصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، وأمره أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين. فتناقل أسامة وتناقل الجيش بشاقله، وجعل رسول الله ﷺ في مرضه يثقل ويخف، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتى قال له أسامة : بأبي أنت وأمي ! أتأذن لي أن أمكث أياما حتى يشفيك الله تعالى ! فقال : اخرج وسر على بركة الله، فقال : يا رسول الله، إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك، فقال : سر على النصر والعافية، فقال : يا رسول الله إنى أكره أن أسال عنك الركبان، فقال : انفذ لما أمرتك به، ثم أغمى على رسول الله صليبه الله عليه وآله، وقام أسامة فتجهز للخروج، فلما أفاق رسول الله ﷺ سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنهم يتجهزون، فجعل يقول : أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عنه وكرر (١) ذلك، فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين، ومن الانصار أسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه، فجاءه رسول أم أيمن يقول له : ادخل فإن رسول الله يموت، فقام من فوره، فدخل المدينة واللواء معه، فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله، ورسول الله قد مات في تلك الساعة. قال : فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان أسامة إلى أن ماتا إلا بالامير^(٢).

تعداد العلويون في عصر ابن ابي الحديد

ولد الحسن والحسين اليوم ﷺ أكثر من جميع العرب الذين كانوا في الجاهلية على عصر النبي ﷺ المسلمين منهم والكافرين، لانهم لو أحصوا لما نقص ديوانهم عن مائتي ألف إنسان^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٥٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٦

خمس إفريقية

عن أم بكر بنت المسور، قالت : لما بنى مروان داره بالمدينة، دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور ممن دعاه، فقال مروان وهو يحدثهم : والله ما أنفقت في ذاري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه، فقال المسور : لو أكلت طعامك وسكت كان خيرا لك. لقد غزوت معنا إفريقية، وإنك لاقلنا مالا ورقيقا وأعوانا، وأخفنا ثقلا، فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية، وعملت على الصدقات، فأخذت أموال المسلمين^(١).

غلبة خبث طينة البصرة على الجاحظ

قال ابن ابي الحديد : قال الجاحظ : إن كان الفخر بنبل الرأي، وصواب القول، فمن مثل عباس بن عبد المطلب وعبد الله بن العباس ! وإن كان في الحكم والسؤدد وأصالة الرأي والغناء العظيم فمن مثل عبد المطلب، وإن كان إلى الفقه والعلم بالتأويل ومعرفة التأويل وإلى القياس السديد وإلى اللسنة الحداد والخطب الطوال، فمن مثل علي بن أبي طالب عليه السلام وعبد الله بن عباس ! قالوا : خطبنا عبد الله بن عباس خطبة بمكة أيام حصار عثمان لو شهدها الترك والديلم لاسلموا. وفي عبد الله بن العباس يقول حسان بن ثابت : إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتنقطات لا ترى بينها فضلا شفى وكفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جدا ولا هزلا وهو البحر، وهو الحبر، وكان عمر يقول له في حديثه عند إجماله الرأي : غص يا غواص (١)، وكان يقدمه على جلة السلف. قلت : أبا عثمان إلا إعراضا عن علي عليه السلام، هلا قال فيه كما قال في عبد الله ! فلعمري لو أراد لوجد مجالا، ولالفي قولا وسيعا، وهل تعلم الناس الخطب والعهود والفصاحة إلا من كلام علي عليه السلام ! وهل أخذ عبد الله رحمه الله الفقه وتفسير القرآن إلا عنه ! فرحم الله أبا عثمان، لقد غلبت البصرة وطينتها على إصابة رأيه^(٢).

شجاعة بني هاشم

قال الجاحظ : وإن كان الفخر في البسالة والنجدة وقتل الاقران وجزر الفرسان، فمن كحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ! وكان الاحنف إذا ذكر حمزة قال :

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٦

أكيس، وكان لا يرضى أن يقول : شجاع، لأن العرب كانت تجعل ذلك أربع طبقات، فتقول : شجاع، فإذا كان فوق ذلك قالت : بطل، فإذا كان فوق ذلك قالت : بهمة، فإذا كان فوق ذلك قالت : أكيس.

وقال العجاج :

أكيس عن حوياته سخي

وهل أكثر ما يعد الناس من جرحاهما وصرعاهما إلا سادتكم وأعلامكم ! قتل حمزة وعلي عليهما السلام عتبة والوليد، وقتلا شيبه أيضاً، شركا عبيدة بن الحارث فيه، وقتل علي عليه السلام حنظلة بن أبي سفيان، فأما آباء ملوككم من بني مروان فإنهم كما قال عبد الله بن الزبير لما أتاه خبر المصعب :

أنا والله ما نموت حبجا كما يموت آل أبي العاص، والله ما قتل منهم قتيل في جاهلية ولا إسلام، وما نموت إلا قتلا، قعصا بالرماح، وموتا تحت ظلال السيوف^(١).

أعر الله جمجمتك

قوله عليه السلام : (أعر الله جمجمتك)، معناه ابذلها في طاعة الله

أخذ يزيد بن المهلب هذه اللفظة فخطب أصحابه بواسط، فقال : إنى قد أسمع قول الرعاع : جاء مسلمة، وجاء العباس، وجاء أهل الشام، ومن أهل الشام ! والله ما هم إلا تسعة أسياف، سبعة منها معي، واثنان على، وأما مسلمة فجرادة صفراء، وأما العباس فنسطوس ابن نسطوس، أتاكم في برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأخلاق، إنما أقبل إليكم الفلاحون وأوباش كأشلاء اللحم. والله ما لقوا قط كحديدكم وعديدكم، أعيروني سواعدكم ساعة تصفقون بها خراطيمهم، فإنما هي غدوة أو روحة، حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين^(٢).

أو كلما أراد رسول الله ﷺ وسلم كان !

روى ابن عباس، قال : خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته، فانفرد يوما

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٤٢

يسير على بعيره فاتبعته، فقال لى : يا بن عباس، أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معى فلم يفعل ولم أزل أراه واجدا، فيم تظن موجدته؟ قلت : يا أمير المؤمنين إنك لتعلم، قال أظنه لا يزال كثيبا لفوت الخلافة قلت : هو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له، فقال : يا بن عباس، وأراد رسول الله ﷺ الأمر له فكان ما إذا لم يرد الله تعالى ذلك ! إن رسول الله ﷺ أراد أمرا، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله أو كلما أراد رسول الله ﷺ كان ! إنه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم! (١).

حتى ضاعت النعل و سقط الرداء

قام عدى بن حاتم الطائى إلى على ﷺ، فقال : يا أمير المؤمنين إن عندي رجلا لا يوازى به رجل، وهو يريد أن يزور ابن عمه حابس بن سعد الطائى بالشام، فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام، فقال على ﷺ : نعم، فأمره عدى بذلك - وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله. فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام - وحابس سيد طى بها - فحدث خفاف حابسا أنه شهد عثمان بالمدينة، وسار مع على إلى الكوفة، وكان لخفاف لسان وهيئة وشعر، فغدا حابس بخفاف إلى معاوية، فقال : إن هذا ابن عم لى، قدم الكوفة مع على، وشهد عثمان بالمدينة، وهو ثقة. فقال له معاوية : هات، حدثنا عن عثمان، فقال : نعم حصره المكشوح وحكم فيه حكيم، ووليه عمار، وتجرد في أمره ثلاثة نفر : عدى بن حاتم والاشتر النخعي، وعمرو بن الحمق، وجد في أمره رجلان وطلحة والزبير، وأبرأ الناس منه على. قال : ثم مه، قال : ثم تهافت الناس على على بالبيعة تهافت الفراش، حتى ضاعت النعل و سقط الرداء، ووطئ الشيخ. ولم يذكر عثمان ولم يذكر له، ثم تهيأ للمسير، وخف معه المهاجرون والانصار، وكره القتال معه ثلاثة نفر : سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، فلم يستكره أحدا، واستغنى بمن خف معه عن ثقل. ثم سار حتى أتى جبل طى، فأتته منا جماعة كان ضاربا بهم الناس، حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فسرح رجالا إلى الكوفة يدعونهم، فأجابوا دعوته، فسار إلى البصرة، فإذا هي

في كفه، ثم قدم الكوفة فحمل إليه الصبي، ودبت إليه العجوز، وخرجت إليه العروس فرحا به وشوقا إليه، وتركته وليس له همة إلا الشام. فذعر معاوية من قوله، وقال حابس : أيها الأمير، لقد أسمعني شعرا غير به حالي في عثمان، وعظم به عليا عندي فقال معاوية : أسمعنيه يا خفاف، فأنشده شعرا أوله :

قلت والليل ساقط الاكناف ولجني عن الفراش تجاف

قد مضى ما مضى ومر به الدهر كما مر ذاهب الاسلاف

إنني والذي يحجج له الناس على لحق البطون عجاف

تتبارى مثل القسي من النبع بشعث مثل السهام نحاف

ارهب اليوم إن أتاكم على صيحة مثل صيحة الاحقاف

إنه الليث غاديا وشجاع مطرق نافث بسم زعاف

واضع السيف فوق عاتقه الايمن يفري به شئون القحاف

سوم الخيل ثم قال لقوم بايعوه إلى الطعان خفاف

استعدوا لحرب طاغية الشام فلبوه كاليدنين اللطاف

ثم قالوا أنت الجناح لك الريش القدامى ونحن منه الخوافى

فانظر اليوم قبل بادرة القوم بسلم تهم أم بخلاف

قال : فانكسر معاوية، وقال : يا حابس إنى لاظن هذا عينا لعلى، أخرجه عنك لئلا

يفسد علينا أهل الشام^(١).

ولكنني قاتلتكم لاتأمر عليكم وعلى رقابكم

خرج على معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح الحسن عليه السلام له فأرسل معاوية إلى الحسن عليه السلام يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج، فقال الحسن : سبحان الله ! تركت قتالك وهولي حلال لصلاح الامة وألفتهم، أفتراني أقاتل معك ! فخطب معاوية أهل الكوفة، فقال : يا أهل الكوفة أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكنني قاتلتكم لاتأمر عليكم وعلى رقابكم، وقد

أتاني الله ذلك وأنتم كارهون» ألا إن كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلوب، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس إلا ثلاث: إخراج العطاء عند محله، وإقبال الجنود لوقتها، وغزو العدو في داره، فإنهم إن لم تغزوهم غزوكم. ثم نزل (١).

أرادك الحق ولكن أبي قومك

وحدثني الحسين بن محمد السيني، قال: قرأت على ظهر كتاب، أن عمر نزلت به نازلة، فقام لها وقعد، وترنج لها وتقطر وقال لمن عنده معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الامر؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين انت المفزع والمنتزع، فغضب وقال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا)، ثم قال: أما والله إنى وإياكم لنعلم ابن بجدتها والخبير بها، قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب! قال: وأنى يعدل بي عنه، وهل طفحت حرة مثله قالوا: فلو دعوت به يا أمير المؤمنين! قال هيهات! إن هناك شمخا من هاشم وأثره من علم، ولحمة من رسول الله ﷺ، يؤتى ولا يأتي، فامضوا بنا إليه فانقصفوا نحوه وأفضوا إليه فألقوه في حائط له، عليه تبيان وهو يترك على مسحاته، ويقرأ: (أيحسب الانسان أن يترك سدى) إلى آخر السورة، ودموعه تهمى على خديه، فأجهش الناس لبكائه فبكوا، ثم سكت وسكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها، فقال عمر: أما والله لقد أرادك الحق ولكن أبي قومك، فقال: يا أبا، حفص خفض عليك من هنا ومن هنا (إن يوم الفصل كان ميقاتا) فوضع عمر إحدى يديه على الأخرى وأطرق إلى الأرض، وخرج كأنما ينظر في رماد (٢).

إذا شبعت نسيت الجائعين

قال عيسى عليه السلام: يا بني إسرائيل، لا تكثروا الأكل، فإنه من أكثر من الأكل أكثر من النوم، ومن أكثر النوم أقل الصلاة، ومن أقل الصلاة كتب من الغافلين: وقيل ليوסף عليه السلام: ما لك لا تشبع وفي يدك خزائن مصر؟ قال: إنى إذا شبعت نسيت الجائعين (٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٧٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٨٨

ألد من تمره تحشى بزنبور

قال الشاعر :

وأكلة أوقعت في الهلك صاحبها كحبة القمح دقت عنق عصفور
لكسرة بجريش الملح أكلها ألد من تمره تحشى بزنبور^(١).

كان إلى أموال الرعية أشره

وصف لسابور ذى الاكتاف رجل من اصطخر للقضاء، فاستقدمه، فدعاه إلى الطعام، فاخذ الملك دجاجة من بين يديه فنصفها، وجعل نصفها بين يدي ذلك الرجل، فأتى عليه قبل أن يفرغ الملك من أكل النصف الاخر، فصرفه إلى بلده، وقال : إن سلفنا كانوا يقولون : من شره إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشره^(٢).

جارتنا تشم رائحة الامانى

قال الجاحظ جلسنا في دار فجعلنا نتشهى الاطعمة، فقال واحد : وأنا أشتهى سكباجا كثيرة الزعفران. وقال آخر : أنا أشتهى طباهجة ناشفة، وقال آخر : أنا أشتهى هريسة كثيرة الدارصينى، وإلى جانبنا امرأة بيننا وبينها بثر الدار، فضربت الحائط وقالت : أنا حامل، فأعطوني ملء هذه الغضارة من طبيخكم، فقال ثمامة : جارتنا تشم رائحة الامانى^(٣).

من التعازى الجيدة

قول القائل :

ومن لم يزل غرضا للمنون يتركه كل يوم عميدا
فإن هن اخطأته مرة فيوشك مخطئها أن يعودا
فبينما يحيد واخطأته قصدن فاعجلنه أن يحيدا
وقال آخر :

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٨٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٨٨

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٩٠

هو الدهر قد جربته وعرفته فصبوا علي مكروهة وتجلداً بآياتها
وما الناس إلا سابق ثم لاحق وفاتت موت سوف يلحقه غدا
وقال آخر :

أينا قدمت صروف الليالي فالذي أخرت سريع اللحاق
غدرات الايام منتزعات عنقينا من أنس هذا العناق
ابن نباتة السعدي

نعلل بالدواء إذا مرضنا وهل يشفى من الموت الدواء !
ونختار الطيب وهل طيب يؤخر ما يقدمه القضاء !
وما أنفاسنا إلا حساب وما حركاتنا إلا فناء

البحترى إن الرزية في الفقيد فإن هفا جزع بلبك فالرزية فيكا
ومتى وجدت الناس إلا تاركا لحميمة في التراب أو متروكا
لو ينجلى لك ذخرها من نكبه جلال لاضحكك الذي بيكيكا .
قال شاعر في رثاء ولده :

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل
تخيرت فيه الفأل حين رزقته ولم ادر أن الفأل فيه يفيل
وقال آخر :

وهون وجدى بعد فقدك إننى إذا شئت لاقيت أمرا مات صاحبه
آخر :

وقد كنت أرجو لو تمليت عيشه عليك الليالي مرها وانتقالها
فأما وقد أصبحت في قبضة الردى فقل لليالي فلتصب من بدا لها
أخذه المتنبى فقال :

قد كنت أشفق من دمعى على بصرى فالיום كل عزيز بعدكم هانا
ومثله لغيره

فراقك كنت أخشى فافترقنا فمن فارقت بعدك لا ابالي

وقال أبو تمام :

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فقد صار يدعى حازما حين يجزع

وقال أبو الطيب :

أجد الجفاء على سواك مروءة والصبر إلا في نواك جميلا

وقال أبو تمام أيضا :

الصبر أجمل غير أن تلذذا في الحب أولى أن يكون جميلا

وقالت خنساء اخت عمرو بن الشريد :

ألا يا صخر إن ابكيت عيني لقد اضحككتني دهرا طويلا

بكيك في نساء معولات وكنت أحق من أبدى العويلا

دفعت بك الجليل وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

قول بعضهم :

قد قلت للموت حين نازلة والموت مقدامه على ألهم

إذهب بمن شئت إذ ظفرت به ما بعد يحيى للموت من الم

وقال الشمردل اليروعي يرثي أخاه :

إذا ما أتى يوم من الدهر بيننا فحياك عنا شرقه وأصائله

أبي الصبر إن العين بعدك لم تزل يحالف جفنيها قذى ما تزايله

وكنت أعير الدمع قبلك من يكي فأنت على من مات بعدك شاغله

أعيني إذ أبكاكما الدهر فابكيا لمن نصره قد بان عنا ونائله

وكنت به أغشى القتال فعزني عليه من المقدار من لا أقاتله

لعمرك إن الموت منا لمولع بمن كان يرجى نفعه وفواضله

وقال آخر يرثي رجلا اسمه جارية :

أجاري ما أزداد إلا لصباة عليك وما تزداد إلا تنائيا
 أجاري لو نفس قدت نفس ميت فديتك مسرورا بنفسي وماليا
 وقد كنت أرجو أن أراك حقيقة فحال قضاء الله دون قضائيا
 ألا فليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا
 ومن الشعر المنسوب إلى علي عليه السلام - ويقال : إنه قاله يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 كنت السواد لناظري فبكي عليك الناظر
 من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر
 ومن شعر الحماسة :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض فحسبك مني ما تجن الجوانح
 كان لم يمت حتى سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوائح
 لئن حسنت فيك المراثي بوصفها لقد حسنت من قبل فيك المدائح
 فما أنا من رزء وإن جل جازع ولا بسرور بعد موتك فارح ^(١).

والكلاب تجرهم بأرجلهم

* عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه، عن عمومته، أنهم حضروا
 سليمان بن علي بالبصرة، وقد حضر جماعة من بني أمية عنده، عليهم الثياب الموشاة
 المرتفعة - قال أحد الرواة المذكورين : فكأنني أنظر إلى أحدهم وقد أسود شيب في
 عارضيه من الغالية - فأمر بهم فقتلوا وجروا بأرجلهم، فألقوا على الطريق، وإن عليهم
 لسروايلات الوشى والكلاب تجرهم بأرجلهم ^(٢).

فكان لا يرى إلا متبرقا

قال عليه السلام لانس بن مالك، وقد كان بعثه إلى ظلحة والزبير لما جاء إلى البصرة
 يذكرهما شيئا قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنهما، فلوى عن ذلك فرجع إليه،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ١٩٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٤٢

فقال : إنى أنسيت ذلك الامر، فقال ﷺ : إن كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا توارىها العمامة. قال : يعنى البرص، فأصاب أنسا هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى إلا متبرقعا .

المشهور أن عليا ﷺ ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة، فقال : أنشدكم الله رجلا سمع رسول الله ﷺ يقول لى وهو منصرف من حجة الوداع : (من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه) فقام رجال فشهدوا بذلك، فقال ﷺ لانس بن مالك : لقد حضرتها، فما بالك ! فقال : يا أمير المؤمنين كبرت سنى، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره، فقال له : إن كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لا توارىها العمامة، فما مات حتى أصابه البرص^(١).

ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

قال الشاعر :

المال أنفع للفتى من علمه والفقر أقتل للفتى من جهله
ما ضر من رفع الدراهم قدره جهل يناط إلى دناءة أصله
وقال آخر :

دعوت أخى فولى مشمئزا ولبى درهمى لما دعوت
وقال آخر :

ولم أر أوفى ذمة من دراهمي وأصدق عهدا في الامور العظام
فكم خاننى خل وثقت بعهده وكان صديقا لى زمان الدراهم
وقال آخر :

أبو الاصفر المنقوش انفع للفتى من الاصل والعلم الخطير المقدم
وما مدح العلم امرؤ ظفرت به يدها ولكن كل مقو ومعدم
وقال الشاعر :

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر^(١).

تحامل الجاحظ على آل علي

قال الجاحظ: في آل الزبير خاصة سبعة مقتولون في نسق ولم يوجد ذلك في غيرهم، قتل عمارة وحمزة ابنا عبد الله بن الزبير يوم قديد في المعركة، قتلها اباضية، وقتل عبد الله بن الزبير في محاربة الحجاج، وقتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق في المعركة أكرم قتل، وبإزائه عبد الملك بن مروان، وقتل الزبير بوادي السباع منصرفه عن وقعة الجمل، وقتل العوام بن خويلد في حرب الفجار، وقتل خويلد بن أسد بن عبد العزى في حرب خزاعة، فهؤلاء سبعة في نسق.

قلت: هذا من تحامل أبي عثمان، هلا ذكر قتلى الطف وهم عشرون سيدا من بيت واحد قتلوا في ساعة واحدة! وهذا ما لم يقع مثله في الدنيا لا في العرب ولا في العجم. ولما قتل حذيفة بن بدر يوم الهباءة وقتل معه ثلاثة أو أربعة من أهل بيته ضربت العرب بذلك الامثال واستعظموه، فجاء يوم الطف، جرى الوادي فطم على القرى. وهلا عدد القتلى من آل أبي طالب فإنهم إذا عدوا إلى أيام أبي عثمان كانوا عددا كثيرا أضعاف ما ذكره من قتلى الاسديين!^(٢).

كان ما يدبر أمرا إلا كان فيه خلل

كان مروان حازما، فلما ظهرت المسودة، ولقيهم كان ما يدبر أمرا إلا كان فيه خلل، ولقد وقف يوم الزاب، وأمر بالاموال فأخرجت، وقال للناس: اصبروا وقاتلوا، وهذه الاموال لكم، فجعل ناس يصيبون من ذلك المال ويشغلون به عن الحرب، فقال لابنه عبد الله: سر في أصحابك فامنع من يتعرض لاختذ المال، فمال عبد الله برايته، ومعه أصحابه، فتنادى الناس: الهزيمة! الهزيمة! فانهزموا، وركب أصحاب عبد الله بن علي أكتافهم^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٢٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٨

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٥١

الموازنة بين ملوك بني العباس وملوك بني أمية في العطاء

وإن أريد الموازنة بين ملوك بني العباس وملوك بني أمية في العطاء افتضح بنو أمية وناصروهم فضيحة ظاهرة، فإن نساء خلفاء بني عباس أكثر معروفاً من رجال بني أمية، ولو ذكرت معروف أم جعفر وحدها لآتى ذلك على جميع صنائع بني مروان، وذلك معروف، ولو ذكر معروف الخيزران وسلسبيل لملئت الطوامير الكثيرة به، وما نظن خالصة مولاتهم إلا فرق أجواد أجوادهم، وإن شئت أن تذكر مواليهم وكتابهم فاذكر عيسى بن ماهان، وابنه عليا، وخالد بن برمك وابنه يحيى، وابنه جعفرا والفضل وكتابهم منصور بن زياد ومحمد بن منصور وفتى العسكر، فإنك تجد لكل واحد من هؤلاء ما يحيط بجميع صنائع بني عبد شمس. فأما ملوك الأموية فليس منهم إلا من كان يبخل على الطعام، وكان جعفر بن سليمان كثيرا ما يذكر ذلك، وكان معاوية يبغض الرجل النهم على مائدته، وكان المنصور إذا ذكرهم يقول: كان عبد الملك جبارا لا يبالي ما صنع، وكان الوليد مجنوناً، وكان سليمان همه بطنه وفرجه، وكان عمر أعور بين عميان، وكان هشام رجل القوم، وكان لا يذكر ابن عاتكة، ولقد كان هشام مع ما استثناه به يقول: هو الاحول السراق، ما زال يدخل إعطاء الجند شهرا في شهر وشهرا في شهر، حتى أخذ لنفسه مقدار رزق سنة، وأنشده أبو النجم العجلي أرجوزته التي أولها:

* الحمد لله الوهوب المجزل

فما زال يصفق بيديه استحسانا لها حتى صار إلى ذكر الشمس، فقال:

والشمس في الافق كعين الاحول

فأمر بوجء عنقه وإخراجه، وهذا ضعف شديد وجهل عظيم. وقال خاله إبراهيم بن هشام المخزومي: ما رأيت من هشام خطأ قط إلا مرتين: حدا به الحادي مرة فقال:
 إن عليك أيها البختي أكرم من تمشي به المطي
 فقال: صدقت. وقال مرة: والله لاشكون سليمان يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك. وهذا ضعف شديد وجهل مفرط^(١).

مخازي عمر بن عبد العزيز

قدم المنصور على بني أمية عمر بن عبد العزيز بقوله : أعور بين عميان، وزعمتم أنه كان ناسكا ورعا تقيا، فكيف وقد جلد خبيب بن عبد الله بن الزبير مائة جلدة، وصب على رأسه جرة من ماء بارد في يوم شات، حتى كز فمات، فما أقر بدمه، ولا خرج إلى وليه من حقه، ولا أعطى عقلا ولا قودا، ولا كان خبيب ممن أتت عليه حدود الله وأحكامه وقصاصه، فيقال كان مطيعا بإقامتها، وأنه أزهق الحد نفسه ! واحتسبوا الضرب كان أدبا وتعزيرا، فما عذره في الماء البارد في الشتاء، على أثر جلد شديد ! ولقد بلغه أن سليمان بن عبد الملك يوصي، فجاء حتى جلس على طريق من يجلس عنده أو يدخل إليه، فقال لرجاء بن حيوة في بعض من يدخل ومن يخرج : نشدتك الله أن تذكرني لهذا الامر، أو تشير بي في هذا الشأن، فوالله ما لي عليه من طاقة ! فقال له رجاء : قاتلك الله، ما أحرصك عليها !^(١).

أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله ﷺ

لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة، وحمل على ﷺ بالراية، فضضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الراية، وقال : امح الاولى بالاخري، وهذه الانصار معك. وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، في جمع من الانصار، كثير منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة، أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسنا. فقال خزيمة بن ثابت لعلي ﷺ : أما إنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه، وإن كنت أردت ان تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال. وقالت الانصار : يا أمير المؤمنين، لو لا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين ﷺ لما قدمنا على محمد أحدا من العرب. فقال علي ﷺ : أين النجم من الشمس والقمر ! أما إنه قد أغنى وأبلى، وله فضله، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه، فقالوا : يا أمير المؤمنين، إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلّمهما له، ولا نظلّمه - لفضلهما عليه - حقه، فقال علي ﷺ : أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله ﷺ ! فقال خزيمة بن ثابت فيه :

محمد ما في عودك اليوم وصمة ولا كنت في الحرب الضروس معردا
 أبوك الذي لم يركب الخيل مثله على، وسماك النبي محمدا
 فلو كان حقا من أبيك خليفة لكنت، ولكن ذاك ما لا يرى بدا
 وأنت بحمد الله أطول غالب لسانا، وأنداها بما ملكت يدا
 وأقربها من كل خير تريده قريش وأوفاها بما قال موعدا
 وأطعنهم صدر الكمي برمحه وأكساهم للهام عضبا مهندا
 سوى أخويك السيدين، كلاهما إمام الوري والداعيان إلى الهدى
 أبى الله أن يعطى عدوك مقعدا من الارض أو في الاوج مرقى ومصعدا^(١).

مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لعلی

لما رجع جرير إلى علی عليه السلام، كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية فاجتمع جرير والاشتر عند علی عليه السلام، فقال الاشتر: أما والله يا أمير المؤمنين، أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية، لكنت خيرا لك من هذا الذي أرخى خناقة، وأقام عنده، حتى لم يدع بابا يرجو فتحه إلا فتحه، ولا بابا يخاف أمره إلا سده. فقال جرير: لو كنت والله أتيتهم لقتلوك - وخوفه بعمره، وذى الكلاع، وحوشب وقال: إنهم يزعمون أنك من قتله عثمان. فقال الاشتر: والله لو أتيتهم يا جرير لم يعينى جوابها، ولم يثقل على محملها، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر. قال: فائتهم إذا. قال: الان وقد أفسدتهم ووقع بينهم الشر! وروى نصر، عن نمير بن وعله، عن الشعبي قال: اجتمع جرير والاشتر عند علی عليه السلام، فقال الاشتر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرا، وأخبرتك بعداوته وغشه! وأقبل الاشتر يشتمه، ويقول: يا أخا بجيلة، إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان، والله ما أنت بأهل أن تترك تمشى فوق الارض، إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم، وأنت والله منهم، ولا أرى سعيك إلا لهم، لئن أطاعنى فيك أمير المؤمنين ليحبسك وأشباهك في حبس لا تخرجون منه حتى تستتم هذه الامور، ويهلك الله الظالمين. قال جرير: وددت

والله أن لو كنت مكاني بعثت، إذن والله لم ترجع قال: فلما سمع جرير مثل ذلك من قوله، فارق علياً عليه السلام، فلحق بقرقيسياء ولحق به ناس من قسر من قومه، فلم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر رجلاً، ولكن شهدها من أحسن سبعمئة رجل.

وقال الاشر فيما كان من تخويف من جرير إياه بعمرو وحوشب وذى الكلاع: لعمرك يا جرير لقول عمرو وصاحبه معاوى بالشام وذى كلع وحوشب ذى ظليم أخف على من ريش النعام إذا اجتمعوا على فخل عنهم وعن باز مخالفه دوامى ولست بخائف ما خوفوني وكيف أخاف أحلام النيام! وهمهم الذى حاموا عليه من الدنيا، وهمى ما أمامى فإن أسلم أعمهم بحرب يشيب لهولها رأس الغلام وإن أهلك فقد قدمت أمرا أفوز بفلجه يوم الخصام وقد زادوا على وأوعدوني ومن ذا مات من خوف الكلام!

ويذكر أهل السير أن علياً عليه السلام هدم دار جرير ودور قوم ممن خرج معه، حيث فارق علياً عليه السلام، منهم أبو أراكة بن مالك بن عامر القسرى، كان ختنه على ابنته، وموضع داره بالكوفة كان يعرف بدار أبى أراكة قديماً، ولعله اليوم نسي ذلك الاسم^(١).

لكنه لا يطلع على الكنائن

عرض على معاوية فرس وعنده عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص، فقال: كيف ترى هذا الفرس يا أبى مطرف؟ قال: أراه أجش هزيماً، قال معاوية: أجل، لكنه لا يطلع على الكنائن، قال: يا أمير المؤمنين، ما استوجبت منك هذا الجواب كله، قال: قد عوضتك عنه عشرين ألفاً. قال أبو بكر بن دريد: أراد عبد الرحمن التعريض بمعاوية بما قاله النجاشي في أيام صفين:

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة أجش هزيم والرماح دوانى
إذا قلت أطراف الرماح تنوشه مرته له الساقان والقدمان
فلم يحتمل معاوية منه هذا المزاح، وقال:

لكنه لا يطلع على الكنائن، لان عبد الرحمن كان يتهم بنساء إخوته^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١١٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٤

كان عبد الله بن الزبير شديد البخل

كان عبد الله بن الزبير شديد البخل، كان يطعم جنده تمرا، ويأمرهم بالحرب، فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال لهم: أكلتم تمرى، وعصيتم أمرى فقال بعضهم: ألم تر عبد الله - والله غالب على أمره - يبغى الخلافة بالتمر وكسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج، وكلما كسر رمحا أعطاه رمحا، فشق عليه ذلك، وقال: خمسة أرماع! لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا. قال: وجاءه أعرابي سائل فرده، فقال له: لقد أحرقت الرمضاء قدمى، فقال: بل عليهما يبردان^(١).

مد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال.

كان قيس بن سعد مع أبي بكر وعمر في سفر في حياة رسول الله ﷺ، فكان ينفق عليهما وعلى غيرهما ويفضل. فقال له أبو بكر: إن هذا لا يقوم به مال أبيك، فأمسك يدك، فلما قدموا من سفرهم، قال سعد بن عبادة لأبي بكر: أردت أن تبخل ابني، إنا لقوم لا نستطيع البخل. قال: وكان قيس بن سعد يقول في دعائه: اللهم ارزقني حمدا ومجدا وشكرا، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال. اللهم وسع على فإن القليل لا يسعنى ولا أسعه^(٢).

تنقص عمرو بن العاص للانصار

قدم عمرو بن العاص من سفر كان فيه، فجاء إليهم فأفاضوا في ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الامر، فقال عمرو بن العاص: والله لقد دفع الله عنا من الانصار عزيمة، ولما دفع الله عنهم أعظم، كادوا والله أن يحلوا جبل الاسلام كما قاتلوا عليه، ويخرجوا منه من أدخلوا فيه، والله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله ﷺ: (الائمه من قريش)، ثم ادعوا، لقد هلكوا وأهلكوا، وإن كانوا لم يسمعوا فما هم كالمهاجرين ولا سعد كأبي بكر، ولا المدينة كمكة، ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء، ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٦٥

على العاقبة. فلم يجبه أحد، وانصرف إلى منزله وقد ظفر، فقال :

ألا قل لاوس إذا جئتها وقل إذا ما جئت للخزرج
تمنيتم الملك في يشرب فأنزلت القدر لم تنضج
واخذتكم الامر قبل التمام وأعجب بذا المعجل المخدج
تريدون نتج الحيال العشار ولم تلقحوه فلم ينتج
عجبت لسعد وأصحابه ولو لم يهيجوه لم يهتج
رجا الخزرجي رجاء السراب وقد يخلف المرء ما يرتجى
فكان كمنح على كفه بكف يقطعها أهوج

فلما بلغ الانصار مقالته وشعره، بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن العجلان، وكان رجلا أحمر، قصيرا تزدرية العيون، وكان سيذا فخما فأتى عمرا وهو في جماعة من قريش، فقال : والله يا عمرو ما كرهتم من حربنا إلا ما كرهنا من حربكم، وما كان الله ليخرجكم من الاسلام بمن أدخلكم فيه، إن كان النبي ﷺ قال : (الائمة من قريش)، فقد قال : (لو سلك الناس شعبا، وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار)، والله ما أخرجناكم من الامر إذ قلنا : منا أمير ومنكم أمير. وأما من ذكرت، فأبو بكر لعمرى خير من سعد، لكن سعدا في الانصار أطوع من أبى بكر في قريش، فأما المهاجرون والانصار، فلا فرق بينهم أبدا، ولكنك يابن العاص، وترت بنى عبد مناف بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه، وترت بنى مخزوم بإهلاك عمارة ابن الوليد. ثم انصرف فقال :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ويوم حنين والفوارس في بدر
وأصحاب أحد والنضير وخبير ونحن رجعنا من قريظة بالذكر
ويوم بأرض الشام أدخل جعفر وزيد وعبد الله في علق يجرى
وفى كل يوم ينكر الكلب أهله نطاعن فيه بالمشقفه السمر
ونضرب في نقع العجاجة أرؤسا ببيض كأمثال البروق إذا تسرى
نصرنا وأوينا النبي ولم نخف صروف الليالى والعظيم من الامر
وقلنا لقوم هاجروا قبل : مرحبا وأهلا وسهلا قد أمنت من الفقر

نقاسمكم أموالنا وبيوتنا كقسمة أيسار الجزور على الشطر
ونكفيكم الامر الذي تكرهونه وكنا أناسا نذهب العسر باليسر
وقلتم : حرام نصب سعد ونصبكم عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خير قائم وإن عليا كان أخلق بالامر
وكان هوانا في علي وإنه لاهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى وينهى عن الفحشاء والبغى والنكر

وصى النبي المصطفى وابن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر
وهذا بحمد الله يهدي من العمى ويفتح آذاننا ثقلن من الوقر
نجى رسول الله في الغار وحده وصاحبه الصديق في سالف الدهر
فلو لا اتقاء الله لم تذهبوا بها ولكن هذا الخير أجمع للصبر
ولم نرض إلا بالرضا ولربما ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر

فلما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش، غضب كثير منها، والفي ذلك قدوم خالد ابن سعيد بن العاص من اليمن، وكان رسول الله استعمله عليها، وكان له ولاخيه أثر قديم عظيم في الاسلام، وهما من أول من أسلم من قريش، ولهما عبادة وفضل. فغضب للانصار، وشم عمرو بن العاص، وقال : يا معشر قريش، إن عمرا دخل في الاسلام حين لم يجد بدا من الدخول فيه، فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه وإن من كيده الاسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والانصار. والله ما حاربناهم للدين ولا للدنيا، لقد بذلوا دماءهم لله تعالى فينا، وما بذلنا دماءنا لله فيهم، وقاسمونا ديارهم وأموالهم، وما فعلنا مثل ذلك بهم، وآثرونا على الفقر، وحرمانهم على الغنى، ولقد وصى رسول الله بهم، وعزاهم عن جفوة السلطان، فاعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيع، والسلطان الجاني. قلت : هذا خالد بن سعيد بن العاص، هو الذي امتنع من بيعة أبي بكر وقال : لا أباع إلا عليا، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم.

وأما قوله في الانصار : (وعزاهم عن جفوة السلطان)، فإشارة إلى قول النبي ﷺ :
(ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتى تقدموا على الحوض)

قال الزبير : وقال خالد بن سعيد بن العاص في ذلك :

تفوه عمرو بالذي لا نريده
فإن تكن الانصار زلت فإئنا
فلا تقطعن يا عمرو ماكان بيننا
أتنسى لهم يا عمرو ما كان منهم
وقسمتنا الاموال كاللحم بالمدى
ليالى كل الناس بالكفر جهرة
فساؤوا وآؤوا وانتهينا إلى المنى
وضرح للانصار عن شناة البغض
ثقل ولا تجزيهم القرض بالقرض
ولا تحملن يا عمرو بعضا على بعض
ليالى جئناهم - من النفل والقرض
وقسمتنا الاوطان كل به يقضى
ثقال علينا مجمعون على البغض
وقر قرارانا من الامن والخفض

قال الزبير : ثم إن رجالا من سفهاء قريش ومثيري الفتن منهم، اجتمعوا إلى عمر
وبن العاص، فقالوا له : إنك لسان قريش ورجلها في الجاهلية والاسلام، فلا تدع
الانصار وما قالت وأكثروا عليه من ذلك، فراح إلى المسجد، وفيه ناس من قريش
وغيرهم، فتكلم وقال : إن الانصار ترى لنفسها ما ليس لها، وايم الله لو ددت أن الله
خلي عنا وعنهم، وقضى فيهم وفينا بما أحب ولنحن الذين أفسدنا على أنفسنا، أحرزناهم
عن كل مكروه، وقدمناهم إلى كل محبوب، حتى أمنوا المخوف، فلما جاز لهم ذلك
صغروا حقنا، ولم يراعوا ما أعظمتنا من حقوقهم.

ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب، وندم على قوله، للخثولة التي
بين ولد عبد المطلب وبين الانصار، ولأن الانصار كانت تعظم عليا، وتهتف باسمه
حينئذ، فقال الفضل : يا عمرو، إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك، وليس لنا أن
نجيبك، وأبو الحسن شاهد بالمدينة إلا أن يأمرنا فنفعل.

ثم رجع الفضل إلى علي فحدثه، فغضب وشتم عمرا، وقال آذى الله ورسوله، ثم
قام فأتى المسجد، فاجتمع إليه كثير من قريش وتكلم مغضبا، فقال : يا معشر قريش، إن
حب الانصار إيمان، وبغضهم نفاق، وقد قضاوا ما عليهم، وبقي ما عليكم، واذكروا أن
الله رغب لنبيكم عن مكة، فنقله إلى المدينة، وكره له قريشا، فنقله إلى الانصار، ثم
قدمنا عليهم دارهم، فقاسمونا الاموال، وكفونا العمل، فصرنا منهم بين بذل الغنى وإيثار
الفقير، ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم، وقد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن، جمع
لهم فيها بين خمس نعم، فقال : والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون، ألا وإن عمرو بن العاص قد قام مقاماً أذى فيه الميت والحي، ساء به الواتر وسر به الموتور، فاستحق من المستمع الجواب، ومن الغائب المقت، وإنه من أحب الله ورسوله أحب الانصار، فليكفف عمرو عنا نفسه. قال الزبير : فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص، فقالوا : أيها الرجل، أما إذا غضب على فا كفف.

وقال خزيمة بن ثابت الانصاري يخاطب قريشا :

أيال قريش أصلحوا ذات بيننا وبينكم قد طال حبل التماحك
فلا خير فيكم بعدنا فارقوا بنا ولا خير فينا بعد فهر بن مالك
كلانا على الاعداء كف طويلة إذا كان يوم فيه جب الحوارك
فلا تذكروا ما كان منا ومنكم ففي ذكر ما قد كان مشى التساوك
قال الزبير : وقال على للفضل : يا فضل، انصر الانصار بلسانك ويدك فإنهم منك
وإنك منهم، فقال الفضل :

قلت يا عمرو مقالا فاحشا إن تعد يا عمرو الله فلك
إنما الانصار سيف قاطع من تصبه ظبة السيف هلك
وسيوف قاطع مضربها وسهام الله في يوم الحلك
نصروا الدين وآووا أهله منزل رحب ورزق مشترك
وإذا الحرب تلظت نارها بركوا فيها إذا الموت برك
ودخل الفضل على على فأسمعه شعره، ففرح به، وقال : وريت بك زنادى يا فضل،
أنت شاعر قريش وفتاها، فأظهر شعرك وابعث به إلى الانصار، فلما بلغ ذلك الانصار،
قالت : لا أحد يجيب إلا حسان الحسام، فبعثوا إلى حسان بن ثابت، فعرضوا عليه شعر
الفضل، فقال : كيف أصنع بجوابه ! إن لم أتحر قوافيه فضحني، فرويدا حتى أقفو أثره
في القوافي. فقال له خزيمة بن ثابت : اذكر عليا وآله يكفك عن كل شيء فقال :

جزى الله عنا والجزاء بكفه أبا حسن عنا ومن كأبى حسن
سبقت قريشا بالذى أنت أهله فصدرك مشروح، وقلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزة مكانك، هيهات الهزال من السمن !

وأنت من الاسلام في كل موطن
 بمنزلة الدلو البطين من الرمن
 غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة
 أمات بها التقوى وأحيا بها الاجن
 فكنت المرجى من لوى بن غالب
 لما كان منهم، والذي كان لم يكن
 حفظت رسول الله فينا وعهده
 إليك ومن أولى به منك من ومن !
 ألت أخاه في الهدى ووصيه
 وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن
 فحقت مادامت بنجد وشيخة
 عظيم علينا ثم بعد على اليمن

قال الزبير : وبعثت الانصار بهذا الشعر إلى على بن أبى طالب، فخرج إلى المسجد، وقال لمن به من قريش وغيرهم : يا معشر قريش، إن الله جعل الانصار أنصارا، فأثنى عليهم في الكتاب، فلا خير فيكم بعدهم، إنه لا يزال سفهاء قريش وتره الاسلام، ودفعه عن الحق، وأطفا شرفه وفضل غيره عليه، يقوم مقاما فاحشا فيذكر الانصار، فاتقوا الله وارعوا حقهم، فوالله لو زالوا لزلت معهم، لان رسول الله قال لهم : (أزول معكم حيثما زلتم)، فقال المسلمون جميعا : رحمك الله يا أبا الحسن ! قلت قولاً صادقا.

وترك عمرو بن العاص المدينة، وخرج عنها حتى رضى عنه على والمهاجرون. قال الزبير : ثم إن الوليد بن عقبة بن أبى - معيط - وكان يبغض الانصار، لانهم أسروا أباه يوم بدر، وضربوا عنقه بين يدي رسول الله - قام يشتم الانصار، وذكرهم بالهجر، فقال : إن الانصار لترى لها من الحق علينا ما لا نراه، والله لئن كانوا آووا لقد عزوا بنا، ولئن كانوا آسوا لقد منوا علينا، والله ما نستطيع مودتهم، لانه لا يزال قاتل منهم يذكر لنا بمكة، وعزنا بالمدينة، ولا ينفكون يعيرون موتانا، ويغيظون أحياءنا، فإن أجنبناهم قالوا : غضبت قريش على غاربها، ولكن قد هون على ذلك منهم حرصهم على الدين أمس، واعتذارهم من الذنب اليوم، ثم قال :

تباذخت الانصار في الناس باسمها
 ونسبتها في الازد عمرو بن عامر
 وقالوا : لنا حق عظيم ومنة
 على كل باد من معد وحاضر
 فإن يك للانصار فضل فلم تنل
 بحرمة الانصار فضل المهاجر
 وإن تكن الانصار آوت وقاسمت
 معايشها من جاء قسمة جازر
 فقد أفسدت ما كان منها بمنها
 وما ذاك فعل الاكرمين الا كابر

إذا قال حسان وكعب قصيدة بثتم قريش غنيت في المعاشر وسار
بها الركبان في كل وجهة وأعمل فيها كل خوف وحافر
فهذا لنا من كل صاحب خطبة يقوم بها منكم ومن كل شاعر
وأهل بأن يهجو بكل قصيدة وأهل بأن يرموا بنبل فواقر

قال : ففشا شعره في الناس، فغضبت الانصار، وغضب لها من قريش قوم، منهم ضرار بن الخطاب الفهرى، وزيد بن الخطاب، ويزيد بن أبى سفيان، فبعثوا إلى الوليد فجاء. فتكلم زيد بن الخطاب، فقال : يا بن عقبة بن أبى معيط، أما والله لو كنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، لاحبت الانصار، ولكنك من الجفافة في الاسلام البطاء عنه، الذين دخلوا فيه بعد أن ظهر أمر الله وهم كارهون، إنا نعلم أنا أتيناهم ونحن فقراء، فاغنونا، ثم أصبنا الغنى فكفوا عنا. ولم يرزءونا شيئا. فأما ذكرهم ذلة قريش بمكة وعزها بالمدينة، فكذلك كنا، وكذلك قال الله تعالى : (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس) فنصرنا الله تعالى بهم، وآوانا إلى مدينتهم. وأما غضبك لقريش فإننا لا ننصر كافرا، ولا نواد ملحدا ولا فاسقا، ولقد قلت وقالوا فقطعك الخطيب، وأجمك الشاعر. وأما ذكرك الذي كان بالامس، فدع المهاجرين والانصار فإنك لست من ألسنتهم في الرضا، ولا نحن من أيديهم في الغضب. وتكلم يزيد بن أبى سفيان فقال : يا بن عقبة، الانصار أحق بالغضب لقتلى أحد، فاكفف لسانك، فإن من قتله الحق لا يغضب له. وتكلم ضرار بن الخطاب، فقال : أما والله لو لا أن رسول الله ﷺ قال (الائمة من قريش) لقلنا : الائمة من الانصار، ولكن جاء أمر غلب الرأي، فاقمع شرتك أيها الرجل، ولا تكن أمرا سوء فإن الله لم يفرق بين الانصار والمهاجرين في الدنيا، وكذلك الله لا يفرق بينهم في الآخرة. وأقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبة وشعره، فدخل المسجد وفيه قوم من قريش، فقال : يا معشر قريش، إن أعظم ذنبا إليكم قتلنا كفاركم، وحمایتنا رسول الله صلى الله عليه سلم، وإن كنتم تنقمون منا مئة كانت بالامس، فقد كفى الله شرها، فما لنا وما لكم، والله ما يمنعنا من قتالكم الجبن، ولا من جوابكم العى. إنا لحي فعال ومقال، ولكننا قلنا : إنها حرب، أولها عار وآخرها ذل، فاغضينا عليها عيوننا، وسحبنا ذبولنا، حتى نرى وتروا، فإن قلتنا قلنا، وإن سكتكم سكتنا.

فلم يجبه أحد من قريش، ثم سبكت كل من الفريقين عن صاحبه، ورضى القوم أجمعون، وقطعوا الخلاف والعصية^(١).

أصون دراهمي وأذب عنها لعلمي إنها سيفي وترسي

قال بعض الشعراء الظرفاء، وأحسن كل الاحسان مع خلاعته

أصون دراهمي وأذب عنها لعلمي إنها سيفي وترسي

وأذخرها واجمعها بجهدني ويأخذ وارثي منها وعرسي

فيأكلها ويشربها هنيئا على النغمات من نقر وجس

ويقعد فوق قبري بعد موتي ولا يتصدقن عني بفلس

أحب إلى من قصدي عظيما كبيرا أصله من عبد شمس

أمد إليه كفى مستميحا وأصبح عبد خدمته وأمسي

ويتركني أجر الرجل مني وقد صارت كنفس الكلب نفسي^(٢).

إن من العصمة الا تجد

قال محمود البقال الفخر خير فاتسع واقتصد إن من العصمة الا تجد كم واجد اطلق وجدانه عنانه في بعض ما لم يرد ومدمن للخمر غاد على سماع عود وغناء غرد لو لم يجد خمرا ولا مسمعا يرد بالماء غليل الكبد^(٣).

من حق العالم

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تضع له غامضات المسائل، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بشوبه إذا نهض، ولا تفش له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا تنقلن إليه حديثا، ولا تطلبن عشرته، وإن زل قبلت معذرتة، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام حافظا أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإذا كانت له حاجة فاسبق أصحابك إلى خدمته^(٤).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٣٠

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢٩

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٢٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٢٩

فليس بلاحق أخرى الليالي

وقال بعضهم :

إذا ما المرء قصر ثم مرت عليه الاربعون عن الرجال
ولم يلحق بصالحهم فدعه فليس بلاحق أخرى الليالي (١).

أخذ هذا اللفظ عبد الله بن الزبير

أقسم امير المؤمنين عليه السلام أنه يود أن معاوية صارفه بهم (أي اصحابه)، فأعطاه من أهل الشام واحدا، وأخذ منه عشرة، صرف الدينار بالدرهم، أخذ هذا اللفظ عبد الله بن الزبير لما وفد إليه أهل البصرة، وفيهم، الاحنف فتكلم منهم أبو حاضر الاسدي، وكان خطيبا جميلا، فقال له عبد الله بن الزبير : اسكت، فوالله لو ددت أن لى بكل عشرة من أهل العراق واحدا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم، فقال : يا أمير المؤمنين، إن لنا ولك مثلا، أفتأذن في ذكره؟ قال : نعم. قال : مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الاعشى : علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري، وعلق أخرى غيرها الرجل أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك فما تصنع؟ ثم ذكر عليه السلام أنه منى، أي بلى منهم بثلاث واثنين، إنما لم يقل بخمس، لان الثلاث إيجابية والاثنين سلبية، فأحب أن يفرق بين الاثبات والنفي (٢).

لا تنسى الشيباء أبا عذرها

كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الانصاري، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان سيدا معظما من سادات الانصار، وكان من شيعة علي عليه السلام - كتابا، وكتب إلى زياد بن سمية - وكان عاملا لعلي عليه السلام على بعض فارس - كتابا ثانيا. فأما كتابه إلى أبي أيوب فكان سطرا واحدا : ' حاجيتك ! لا تنسى الشيباء أبا عذرها، ولا قاتل بكرها '، فلم يدر أبو أيوب ما هو ! قال : فأتى به عليا عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين، إن معاوية كهف المنافقين، كتب إلى بكتاب لا أدري ما هو. قال علي عليه السلام : فأين الكتاب؟ فدفعه

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٣٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٧٥

إليه، فقراه، وقال : نعم، هذا مثل ضربه لك، يقول : لا تنسى الشيباء أبا عذرها. والشيباء : المرأة البكر ليلة اقتضاها، لا تنسى بعلمها الذي اقترعها أبدا، ولا تنسى قاتل بكرها، وهو أول ولدها، كذلك لا أنسى أنا قتل عثمان. وأما الكتاب الذي كتبه إلى زياد، فإنه كان وعيدا وتهديدا، فقال زياد : ويلى على معاوية، كهف المنافقين وبقية الاحزاب ! يتهددني ويتوعدني، وبينى وبينه ابن عم محمد، معه سبعون ألفا، سيوفهم على عواتقهم، يطيعونه في جميع ما يأمرهم به، لا يلتفت رجل منهم وراءه حتى يموت ! أما والله لو ظفر ثم خلص إلى ليجدني أحمر ضرابا بالسيف. قال نصر : أحمر أي مولى. فلما ادعاه معاوية عاد عربيا مثاقيا.

و أن معاوية كتب في أسفل كتابه إلى أبي أيوب :

أبلغ لديك أبا أيوب مالكة	أنا وقومك مثل الذئب والنقد
إما قتلتم أمير المؤمنين فلا	ترجوا الهوادة منا آخر الأبد
إن الذي نلتموه ظالمين له	أبقت حزازته صدعا على كبدي
إنى حلفت يمينا غير كاذبة	لقد قتلتم إماما غير ذى أود
لا تحسبوا أننى أنسى مصيبتة	وفى البلاد من الانصار من أحد
قد أبدل الله منكم خير ذى كلع	واليحصيين أهل الخوف والجند
إن العراق لنا فقع بقرقرة	أو شحمة بزها شاو ولم يكد
والشام ينزلها الأبرار، بلدتها	أمن، وبيضتها عريسة الأسد

فلما قرئ الكتاب على على ﷺ، قال لشد ما شحذكم معاوية ! يا معشر الانصار أجيئوا الرجل، فقال أبو أيوب : يا أمير المؤمنين، إنى ما أشاء أن أقول شيئا من الشعر يعيا به الرجال إلا قلته، فقال : فأنت إذا أنت. فكتب أبو أيوب إلى معاوية : أما بعد، فإنك كتبت : " لا تنسى الشيباء أبا عذرها ولا قاتل بكرها "، فضربتها مثلا بقتل عثمان، وما نحن وقتل عثمان ! إن الذى تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام عن نصرته لانت، وإن الذين قتلوه لغير الانصار، وكتب في آخر كتابه :

لا توعدنا ابن حرب إننا نفر	لا نبتغى ود ذى البغضاء من أحد
واسعوا جميعا بنى الاحزاب كلكم	لسنا نريد رضاكم آخر الأبد
نحن الذين ضربنا الناس كلهم	حتى استقاموا وكانوا عرضة الأود

والعام قصرک منا إن ثبت لنا ضرب يزيل بين الروح والجسد
 أما على فإننا لا نفارقه ما رفر ف الال في الدوية الجرد
 إما تبدلت منا بعد نصرتنا دين الرسول أناسا ساكنى الجند
 لا يعرفون أضل الله سعيهم إلا اتباعكم، يا راعى النقد
 فقد بغى الحق هضما شر ذى كلع واليحصبيون طرا بيضة البلد
 قال : فلما أتى معاوية كتاب أبى أيوب كسره^(١).

أن للاديان سقما وطبا وشفاء

لقد ظرف وأبدع امير المؤمنين عليه السلام في قوله : " ونسأله المعافاة في الاديان، كما نسأله المعافاة في الابدان " ، وذلك أن للاديان سقما وطبا وشفاء، كما أن للابدان سقما وطبا وشفاء، قال محمود الوراق : وإذا مرضت من الذنوب فداوها بالذكر إن الذكر خير دواء والسقم في الابدان ليس بضائر والسقم في الاديان شر بلاء^(٢).

قول أبى الطيب

* قوله عليه السلام : الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها معنى حسن،

ومنه قول أبى الطيب :

كل دمع يسيل منها عليها ويفك اليدين عنها تخلى^(٣).

* قال عليه السلام : سريع إذا قام " ، أي هو متأن مثبت في أحواله، فإذا نهض جد وبالغ،

وهذا المعنى كثير جدا، قال أبو الطيب :

وما قلت للبدر أنت اللجين ولا قلت للشمس أنت الذهب

فيقلق منه البعيد الاناة ويغضب منه البطئ الغضب^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٤٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٨١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٨٢

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٨٥

وصية آدم ﷺ ولده عند موته

ويقال : إن آدم ﷺ أوصى ولده عند موته فقال : كل عمل تريدون أن تعملوه فتوقفوا فيه ساعة، فإنني لو توقفت لم يصبنى ما أصابني^(١).

في العجلة

قال بعض الاعراب يوصى ولده : إياكم والعجلة، فإن أبي كان يكتنيتها : أم الندم. وكان يقال : من ورد عجلا صدر خجلا.

وقال ابن هانئ المغربي :

وكل أناة في المواطن سؤدد ولا كآناة من قدير محكم
ومن يتبين أن للصفح موضعا من السيف يصفح عن كثير ويحلم
وما الرأي إلا بعد طول تثبيت ولا الحزم إلا بعد طول تلوم^(٢).

قد أرحنا واسترحنا

وقال ابن الفضل :

لا أمدح اليأس ولكنه أروح للقلب من المطمع
أفلح من أبصر روض المنى يرعى فلم يرع ولم يرتع
ومما يروى لعبد الله بن المبارك الزاهد :

قد أرحنا واسترحنا من غدو ورواح

واتصال بأمير ووزير ذي سماح

بعفاف وكفاف وقنوع وصلاح

وجعلنا اليأس مفتاحا لايواب النجاح^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٨٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٨٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٤٦

ذهبت والله دولتنا

اجتمع بنو برمك عند يحيى بن خالد في آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة، فأداروا بينهم الرأي في أمر فلم يصلح لهم، فقال يحيى : إنا لله ! ذهبت والله دولتنا ! كنا في إقبالنا يرم الواحد منا عشرة آراء مشكلة في وقت واحد، واليوم نحن عشرة في أمر غير مشكل، ولا يصح لنا فيه رأى ! الله نسأل حسن الخاتمة^(١).

ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة

قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب:

وهز على بالعراقين لحية مصيبتها جلت على كل مسلم
وقال سيأتيها من الله نازل ويخضبها أشقى البرية بالدم
فعاجله بالسيف شلت يمينه لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم
فياضربة من خاسر ضل سعيه تبوأ منها مقعدا في جهنم
ففاز أمير المؤمنين بحظه وإن طرقت إحدى الليالي بمعظم
ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة حلاوتها شيبت بصاب وعلقم
ولبعض بنى عبد المطلب، يرثى عليا عليه السلام:

يا قبر سيدنا المجن سماحة صلى الاله عليك يا قبر
ماضر قبرا أنت ساكنه ألا يحل بأرضه القطر
فليندين سماح كفك بالشرى وليورقن بجنبك الصخر
والله لوبك لم أجد أحدا إلا قتلت، لفاتني الوتر^(٢).

جدع الله أنف من ينقذك منها

لقي علي عليه السلام عمر، فقال له علي عليه السلام : أنشدك الله ! هل أستخلفك رسول الله ص ؟ قال : لا، قال : فكيف تصنع أنت وصاحبك ؟ قال : أما صاحبي فقد مضى لسبيله، وأما أنا فساخلعها من عنقي إلى عنقك، فقال : جدع الله أنف من ينقذك منها ! لا ولكن

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٥٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٢٥

جعلني الله علما، فإذا قمت فمن خالفني ضل^(١) حدثنا أبو بصير

ما كان سبب زوال ملككم؟

* سئل بعض شيوخ بني أمية عقيب زوال الملك عنهم : ما كان سبب زوال ملككم؟ فقال : جار عمالنا على رعيتنا، فتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا فجلوا عنا، وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فأثرو مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أمورنا دوننا، أخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جنودنا فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم عدونا فظافروه على حربنا، وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلّة أنصارنا، وكان استتار الاخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا^(٢).

أنتم الظهر والبطن والشعار دون الدثار

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد، عن هارون بن عمر، عن محمد بن سعيد بن الفضل عن أبيه، عن الحارث بن كعب، عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي، قال : كان خالد ابن سعيد بن العاص من عمال رسول الله ص على اليمن، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء المدينة، وقد بايع الناس أبا بكر، فإحتبس عن أبي بكر فلم يبايعه أياما، وقد بايع الناس، وأتى بني هاشم، فقال : أنتم الظهر والبطن والشعار دون الدثار، والعصا دون اللحاء، فإذا رضيتم رضينا، وإذا أسخطتم أسخطنا. حدثوني إن كنتم قد بايعتم هذا الرجل ! قالوا : نعم، قال فأنا أرضى وأبايع إذا بايعتم. أما والله يا بني هاشم، إنكم الطوال الشجر الطيبو الثمر. ثم إنه بايع أبا بكر، وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها، وإضطغنها عليه عمر، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام قال له عمر : أتولى خالدا وقد حبس عليك بيعته، وقال لبني هاشم ما قال ! وقد جاء بورق من اليمن وعبيد وحبشان ودروع ورماح ! ما أرى أن توليه، وما آمن خلفه فانصرف عنه أبو بكر، وولى أبا عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٤٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٨

ما زال عمرو بن العاص ملحداً، وكان معاوية مثله

قال : معاوية لعمرو : يا أبا عبد الله، إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة وقطع الرحم، فقال عمرو : من هو؟ قال : علي قال : والله يا معاوية ما أنت وعلي بحملي بغير، ليس لك هجرته ولا سابقته، ولا صحبته ولا جهاده، ولا فقهه ولا علمه. ووالله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لاحد غيره، ولكني قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاءً جميلاً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربيه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال : حكمك، فقال : مصر طعمة. فتلكأ عليه معاوية. قال نصر : وفي حديث غير عمر بن سعد : فقال له معاوية : يا أبا عبد الله، إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا، قال عمرو : دعني عنك، فقال معاوية : إني لو شئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت، قال عمرو : لا، لعمر الله ما مثلي يخدع، لانا أكيس من ذلك، قال معاوية : أذن مني أسارك، فدنا منه عمرو ليساره، فعض معاوية أذنه، وقال : هذه خدعة ! هل ترى في البيت أحداً ليس غيري وغيرك ا قلت : قال شيخنا أبو القاسم البلخي : قول عمرو له : دعني عنك كناية عن الالحاد، بل تصریح به، أي دع هذا الكلام لا أصل له، فإن إعتقاد الآخرة. أنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات. وقال رحمه الله تعالى : وما زال عمرو بن العاص ملحداً، ما ترددت في الالحاد والزندقة، وكان معاوية مثله، ويكفي من تلاعبهما بالاسلام حديث السرار المروي، وأن معاوية عض أذن عمرو، أين هذا من سيرة عمرو؟ وأين هذا من أخلاق علي عليه السلام، وشدته في ذات الله، وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة ! ^(١).

فكسر حلبة السيف وضعها لك خلخلا

قد يسير البيت في واحد، ويرى أثره عليه أبداً، كقول أبي العتاهية في عبد الله بن معن بن زائدة :

فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

فكسر حلبة السيف وضعها لك خلخلا

وكان عبد الله بن معن إذا تقلد السيف ورأى من يرمقه بان أثره عليه، فظهر الخجل منه (١).

خيزران

استحسن الرشيد قول عبد الملك بن صالح، وقد أهدى إليه باكورة فاكهة في أطباق خيزران: بعثت إلى أمير المؤمنين في أطباق قضبان تحمل من جنايا باكورة بستانه ما راج وأينع. فقال الرشيد لمن حضر: ما أحسن ما كني عن اسم أمنا ويقال: إن عبد الملك سبق بهذه الكناية،

وإن الهادي قال لابن داب، وفي يده عصا: ما جنس هذه؟ فقال: من أصول القنا - يعنى الخيزران.

والخيزران أم الهادي والرشيد معا.

وشبيه بذلك ما يقال: إن الحسن بن سهل كان في يده ضغث من أطراف الأراك، فسأله المأمون عنه: ما هذه؟ فقال: (محاسنك) يا أمير المؤمنين، تجنبا لأن يقول: (مساويك)، وهذا لطيف (٢).

فما تزود مما كان يجمعه إلا حنوطا

نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن الاغترار بكثرة العجب من الدنيا، وعلل حسن هذا النهي، وقبح الاغترار بما نشاهده عيانا من قلة ما يصحب مفارقيها منها. وقال الشاعر:

فما تزود مما كان يجمعه إلا حنوطا غداة البين في خرق
وغير نفحة أعواد شبين له وقل ذلك من زاد لمنطلق (٣).

أن بعض أعرافه ينزع إلى العجم

خطب إلى عقيل بن علفة المرى ابنته هشام بن اسمعيل المخزومي وكان والي

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٥٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٠٧

المدينة، ونخال هشام بن عبد الملك - فرده، لانه كان أبيض شديد البياض، وكان عقيل أعرايا جافيا غيورا مفرط الغيرة، وقال :

رددت صحيفة القرشى لما أبت أعراقه إلا احمرارا

فرده، لانه توسم فيه أن بعض أعراقه ينزع إلى العجم، لما رأى من بياض لونه وشقرته^(١).

من يساجلنى

يقال إن الفرزدق مر بالفضل وهو ينشد : (من يساجلنى)، فقال : أنا أساجلك ونزع ثيابه، فقال الفضل : (برسول الله وابن عمه)، فلبس الفرزدق ثيابه، وقال : أعض الله من يساجلك بما نفت المواسى من بظر أمه^(٢).

لا يرى قد القميص بخصره

من الكنايات الداخلة في باب الايماء قول الشاعر :

فتى لا يرى قد القميص بخصره ولكنما يوهى القميص عواتقه

. لما كان سلامة القميص من الخرق في موضع الخصر، تابعا لدقة الخصر، ووهنه في الكاهل تابعا لعظم الكاهل، ذكر ما دل بهما على دقة خصر هذا الممدوح وعظم كاهله ومنه قول مسلم بن الوليد :

فرعاء في فرعها ليل على قمر على قضيب على حقف النقا الدعس

كأن قلبى وشاحاها إذا خطرت وقلبها قلبها في الصمت والخرس

تجرى محبتها في قلب عاشقها مجرى السلامة في أعضاء متكس^(٣).

أيا شجر الخابور ما لك مورقا

خرج الوليد بن طريف الشيباني في أيام الرشيد بن المهدي، فأشخص إليه يزيد بن مزيد الشيباني فقتله، وحمل رأسه إلى الرشيد، وقالت أخته ترثيه، وتذكر أنه كان من أهل

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٥٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٥٥

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٥٧

التقى والدين، على قاعدة شعراء الخوارج، ولم يكن الوليد كما زعمت :
 أيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف
 فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف
 ولا الذخر إلا كل جرداء شطبة وكل رقيق الشفرتين خفيف
 فقدناك فقدان الربيع وليتنا فدينك من ساداتنا بألوف^(١).

سربت فاردده لنا سملا

من كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبي
 بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى
 الشام، فقال : قبح الله مصقلة ! فعل فعل السادة، وفر فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى
 أسكته، ولا صدق واصفه حتى بكته، ولو أقام لاخذنا ميسوره، وانتظرنا بماله وفوره،
 وقد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال :

يا من مدحناه فأكذبنا بفعاله وأثابنا خجلا

بردا قشيبا من مدائننا سربت فاردده لنا سملا

إن التجارب تهتك المستور من أبنائها وتبهرج الرجال^(٢).

ولا يزداد على ما قدر له

* دخل على عليه السلام المسجد، وقال لرجل : أمسك على بغلتي، فخلع لجامها، وذهب
 به، فخرج على عليه السلام بعد ما قضى صلاته، ويده درهمان ليدفعهما إليه مكافأة له، فوجد
 البغلة عطلا، فدفع إلى أحد غلمانه الدرهمين، ليشتري بهما لجاما، فصادف الغلام
 اللجام المسروق في السوق، قد باعه الرجل بدرهمين، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى
 مولاه، فقال على عليه السلام : (إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على
 ما قدر له^(٣)).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٧٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١١٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٣

لو كان لنا في ملحنا هذا سعترا!

* قال أبو وائل : ذهبت أنا وصاحب لى إلى سلمان الفارسي ، فجلسنا عنده ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه نهى عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا أضرار عليه ، فقال صاحبي : لو كان لنا في ملحنا هذا سعترا! فبعث سلمان بمطهرته ، فرهنها على سعترا ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتى مرهونة! ^(١).

لم يكن عند عمر بن عبد العزيز أحد من هاشم يصلح للشورى

لما جاء الوليد بن عبد الملك بنعي الحجاج ، قال الوليد لعمر بن عبد العزيز : مات الحجاج يا أبا حفص ؟ فقال : وهل كان الحجاج إلا رجلا منا أهل البيت ! وقال في خلافته : لو لا بيعة في أعناق الناس ليزيد بن عاتكة لجعلت هذا الامر شورى بين صاحب الاعوص إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد الاشدق وبين أحمس قريش القاسم بن محمد بن أبى بكر ، وبين سالم بن عبد الله بن عمر ، فما كان عليه من الضرر والحر ، وما كان عليه من الوكف والنقص أن لو قال : بين علي بن العباس وعلي بن الحسين بن علي ! وعلى أنه لم يرد التيمز ولا العدوي ، وإنما دبر الامر للاموي ، ولم يكن عنده أحد من هاشم يصلح للشورى ، ثم دبر الامر ليبايح لآخيه أبى بكر بن عبد العزيز من بعده حتى عوجل بالسم ^(٢).

كعب بن سور القاضى

لما انهزم أهل البصرة ركب على علي بـغلة رسول الله ﷺ الشهباء ، وكانت باقية عنده ، وسار في القتلى يستعرضهم ، فمر بكعب بن سور القاضى ، قاضى البصرة ، وهو قتيل ، فقال : أجلسوه فأجلس ، فقال له : ويلمك أمك كعب ابن سور ! لقد كان لك علم لو نفعك ! ولكن الشيطان أضلك فأزلك ، فعجلك إلى النار ، أرسلوه . ثم مر بطلحة بن عبيد الله قتيلا ، فقال : أجلسوه ، فأجلس - قال أبو مخنف في كتابه : فقال ! ويلمك أمك طلحة ! لقد كان لك قدم لو نفعك ! ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار ^(٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٥٤

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٤٨

وذاكرنا بآداب الفرس والهند

قال الرشيد للكسائي : يا علي بن حمزة، قد أحللتناك المحل الذي لم تكن تبلغه همتك، فرونا من الأشعار أعفها، ومن الأحاديث أجمعها لمحاسن الأخلاق وذاكرنا بآداب الفرس والهند، ولا تسرع علينا الرد في ملا، ولا تترك تثقيفنا في خلاء^(١).

تنبيه بطريق الاستدلال النظري على أن الدنيا زائلة ومنصرفة

قال امير المؤمنين عليه السلام : إن الذي هو كائن وموجود من الآخرة سيصير عن قليل - أي بعد زمان قصير أيضاً - كأنه لم يزل، والزمان القصير هاهنا هو حضور القيامة، وهي وإن كانت تأتي بعد زمان طويل، إلا أن الميت لا يحس بطوله، ولا فرق بين ألف سنة عنده إذا عاد حيا، وبين يوم واحد، لأن الشعور بالبطء في الزمان مشروط بالعلم بالحركة، ويدل على ذلك حال النائم. ثم قال : كل معدود منقضى، وهذا تنبيه بطريق الاستدلال النظري على أن الدنيا زائلة ومنصرفة، وقد استدل المتكلمون بهذا على أن حركات الفلك يستحيل ألا يكون لها أول، فقالوا لأنها داخلية تحت العدد، وكل معدود يستحيل أن يكون غير متناه، والكلام في هذا مذكور في كتبنا العقلية^(٢).

من آداب ابن المقفع

لا تكونن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك، فإن كنت حافظا إذا ولوك. حذرا إذا قربوك، أمينا إذا ائتمنوك، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم، وتأديبهم وكأنك تتأديبهم، وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر، ذليلا إن صرموك، راضيا إن أسخطوك، وإلا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر، وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن عنه، فإنه من يخدم السلطان حق خدمته يخلى بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة، ومن يخدمه غير حق الخدمه فقد احتمل وزر الآخرة، وعرض نفسه للهلكة والفضيحة في الدنيا. فإذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة من غير إملال، وإذا نزلت منه بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق، ولا تكثر له من الدعاء، ولا تردن عليه كلاما في حفل وإن

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٧٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٠٦

أخطأ، فإذا خلوت به فبصره في رفق، ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسألة، ولا تستبطنه وإن أبطأ، ولا تخبرنه أن لك عليه حقا، وأنتك تعتمد عليه ببلاء، وإن استطعت ألا تنسى حقك وبلاءك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل، ولا تعطينه المجهود كله من نفسك في أول صحبتك له، وأعد موضعا للمزيد. وإذا سأل غيرك عن شيء فلا تكن المجيب. واعلم أن استلابك الكلام خفة فيك واستخفاف منك بالسائل والمسئول، فما أنت قائل إن قال لك السائل: ما إياك سألت، أو قال المسئول: أجب بمجالسته ومحادثته أيها المعجب بنفسه، والمستخف بسلطانه. وقال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه بمجالسته ومحادثته: يا عبد الله، كن على التماس الحظ فيك بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام، فإنهم قالوا: إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم. وأعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد، فإن ابتليت بصحبته فاحترس، وإن عوفيت فاشكر الله على السلامة، فإن السلامة أصل كل نعمه. لا تساعدني على ما يقبح بي. ولا تردن على خطا في مجلس، ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة، ودع عنك: كيف أصبح الأمير، وكيف أمسى! وكلمني بقدر ما أستنطقك، وأجعل بدل التقريظ لي صواب الاستماع مني. وأعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول، فإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتك منه شيء، وأنى فهمك إياه في طرفك ووجهك، فما ظنك بالملك وقد أحلك محل المعجب بما يسمعك إياه، وأحللته محل من لا يسمع منه! وكل من هذا يحبط إحسانك، ويسقط حق حرمتك، ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من استحسان ما يكون مني، فمن أسوأ حالا ممن يستكدر الملوك بالباطل، وذلك يدل على تهاونه بقدر ما أوجب الله تعالى من حقهم. واعلم أنى جعلتك مؤدبا، بعد أن كنت معلما، وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعدا، فمتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه، لم تعرف رجحان ما دخلت فيه، وقد قالوا: من لم يعرف سوء ما أولى، لم يعرف حسن ما أبلى^(١).

في الكتاب

يقال: للكاتب على الملك ثلاث: رفع الحجاب عنه، واتهام الوشاة عليه، وإفشاء السر إليه.

يقال : صاحب السلطان نصفه ، وكاتبه كله

وينبغي لصاحب الشرطة أن يطيل الجلوس ، ويدبم العبوس ، ويستخف بالشفاعات وكان يقال إذا كان الملك ضعيفا ، والوزير شرها ، والقاضي جاثرا ، فرقوا الملك شعاعا وكان يقال : لا تخف صوله الامير مع رضا الكاتب ، ولا تثقن برضا الامير مع سخط الكاتب ، وأخذ هذا المعنى أبو الفضل بن العميد فقال :

وزعمت أنك لست تفكر بعد ما علق يداك بدمه الامراء

هيهات قد كذبتك فكرتك التي قد أوهمتك غنى عن الوزراء

لم تغن عن أحد سماء لم تجد أرضا ولا أرض بغير سماء

وكان يقال : إذا لم يشرف الملك على أموره ، صار أغش الناس إليه وزيره .

وكان يقال : ليس الحرب الغشوم بأسرع في اجتياح الملك من تضييع مراتب الكتاب حتى يصيبها أهل النذالة ، ويزهد فيها أولو الفضل^(١) .

ما نصحت به الاوائل الوزراء

كان يقال : لا شيء أذهب بالدول من استكفاء الملك الاسرار .

وكان يقال : من سعادة جد المرء ألا يكون في الزمان المختلط وزيرا للسلطان .

وكان يقال : كما أن أشجع الرجال يحتاج إلى السلاح ، وأسبق الخيل يحتاج إلى السوط ، وأحد السفار يحتاج إلى المسن ، كذلك أحزم الملوك وأعقلهم يحتاج إلى الوزير الصالح وكان يقال : صلاح الدنيا بصلاح الملوك ، وصلاح الملوك بصلاح الوزراء وكما لا يصلح الملك إلا بمن يستحق الملك ، كذلك لا تصلح الوزارة إلا بمن يستحق الوزارة .

وكان يقال : الوزير الصالح لا يرى أن صلاحه في نفسه كائن صلاحا حتى يتصل بصلاح الملك وصلاح رعيته ، وأن تكون عنايته فيما عطف الملك على رعيته ، وفيما استعطف قلوب الرعية والعامه على الطاعة للملك ، وفيما فيه قوام أمر الملك من التدبير الحسن ، حتى يجمع إلى أخذ الحق تقديم عموم الامن . وإذا طرقت الحوادث ، كان للملك عدة وعتادا ، وللرعية كافيا محتاطا ، ومن ورائها محاميا ذابا ، يعنيه من صلاحها ما

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٧٩

لا يعنيه من صلاح نفسه دونها.

وكان يقال : مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء العذب الصافي وفيه التمساح، لا يستطيع الانسان - وإن كان سابحا، وإلى الماء ظامئا - دخوله، حذرا على نفسه.

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي حين استخلف : لو كنت كاتبى وردءا لى على ما دفعت إليه ! قال : لا أفعل، ولكني سأرشدك، أسرع الاستماع، وأبطئ في التصديق حتى يأتيك واضح البرهان، ولا تعملن ثبجتك فيما تكتفى فيه بلسانك، ولا سوطك فيما تكتفى فيه بثبجتك، ولا سيفك فيما تكتفى فيه بسوطك.

وكان يقال : التقاط الكاتب للرشا وضبط الملك لا يجتمعان^(١).

يسبون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم

كان بنو أمية يسبون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم، لما قتل قريب وزحاف الخارجيان، سبى زياد ذراريهما، فأعطى شقيق بن ثور السدوسي إحدى بناتهما، وأعطى عباد بن حصين الأخرى، وسببت بنت لعبيدة بن هلال اليشكري، وبنت لقطري بن الفجاءة المازني، فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك، واسمها أم سلمة، فوطئها بملك اليمين على رأيهم، فولدت له المؤمل، ومحمدا، وإبراهيم، وأحمد، وحصينا، بنى عباس بن الوليد بن عبد الملك. وسبى واصل بن عمرو القنا واسترق، وسبى سعيد الصغير الحروري واسترق، وأم يزيد بن عمر بن هبيرة، وكانت من سبى عمان الذين سباهم مجاعة، وكانت بنو أمية تبيع الرجل في الدين يلزمه وترى أنه يصير بذلك رقيقا. كان معن أبو عمير بن معن الكاتب حرا مولى لبني العنبر، فبيع في دين عليه، فاشتراه أبو سعيد بن زياد بن عمرو العتكي، وباع الحجاج علي بن بشير بن الماحوز لكونه قتل رسول المهلب على رجل من الأزد^(٢).

العالم من عرف قدره

قال امير المؤمنين عليه السلام : العالم من عرف قدره، من الامثال المشهورة عنه عليه السلام، وقد

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤١

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٨٠

قال الناس بعده في ذلك فأكثروا، نحو قولهم : إذا جهلت قدر نفسك فأنت لقدر غيرك أجهل، ونحو قولهم : من لم يعرف قدر نفسه، فالناس أعذر منه إذا لم يعرفوه، ونحو قول الشاعر أبي الطيب : ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى (١).

رجال من العرب كل منهم يلد لصلبه أكثر من مائة

ولد رجال من العرب كل منهم يلد لصلبه أكثر من مائة فصاروا بذلك مفخرا، منهم عبد الله بن عمير الليثي، وأنس بن مالك الانصاري، وخليفة بن بر السعدي، أتى على عامتهم الموت الجارف. ومات جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن العباس عن ثلاثة وأربعين ذكرا وخمس وثلاثين امرأة كلهم لصلبه، فما ظنك بمن مات من ولده في حياته ! وليس طبقة من طبقات الاسنان الموت إليها أسرع، وفيها أعم وأفشى من سن الطفولية، وأمر جعفر بن سليمان قد عاينه عالم من الناس، وعامتهم أحياء، وليس خبر جعفر كخبر غيره من الناس (٢).

ومن لي بالشهادة

أن معاوية لما تم له الامر بعد وفاة علي عليه السلام، بعث زيادا على البصرة ونادى منادى معاوية : أمن الاسود والاحمر بأمان الله، إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة ! فمكث معاوية يطلبه أشد الطلب، ولا يعرف له خيرا، حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة، فقال له : أنا أدلك على عبد الله ابن هاشم بن عتبة، اكتب إلى زياد، فإنه عند فلانة المخزومية، فدعا كاتبه فكتب : من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان، أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا، فاعمد إلى حى بنى مخزوم، ففتشه دارا دارا، حتى تأتي إلى دار فلانة المخزومية، فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها، فاحلق راسه، وألبسه جبة شعر، وقيده، وغل يده إلى عنقه، واحمله على قتب بغير بغير وطاء ولا غطاء، وانفذ به إلى. قال المرزبانى : فأما الزبير بن بكار فإنه قال : إن معاوية قال لزياد لما بعثه إلى البصرة إن عبد الله بن المرقال في بنى ناجية بالبصرة عند امرأة منهم يقال لها فلانة وأنا أعزم عليك إلا حططت رحلك ببابها، ثم اقتحمت الدار واستخرجته منها، وحملته إلى.

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٠٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٥

فلما دخل زياد إلى البصرة سأل عن بنى ناجية، وعن منزل المرأة فاقتحم الدار، واستخرج عبد الله منها، فأنفذه إلى معاوية فوصل إليه يوم الجمعة وقد لاقى نصبا كثيرا، ومن الهجير ما غير جسمه، وكان معاوية يأمر بطعام فيتخذ في كل جمعة لاشراف قريش ولاشراف الشام ووفود العراق، فلم يشعر معاوية إلا وعبد الله بين يديه، وقد ذبل وسهم وجهه، فعرفه ولم يعرفه عمرو بن العاص، فقال معاوية يا أبا عبد الله، أتعرف هذا الفتى؟ قال لا، قال: هذا ابن الذي كان يقول في صفين:

أعور يبغى أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد أن يفل أو يفلأ

قال عمرو: وإنه لهو! دونك الضب المضب فاشخب أوداجه، ولا ترجعه إلى

العراق فإنهم أهل فتنة ونفاق، وله مع ذلك هوى يريده، وبطانة تغويه فوالذي نفسي بيده لئن أفلت من حباتك، ليجهنز إليك جيشا تكثر صواهله، لشر يوم لك. فقال عبد الله و هو في القيد: يا بن الأبر، هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين، ونحن ندعوك إلى البراز، وتلوذ بشمائل الخيل كالامة السوداء والنعجة القوداء! أما إنه إن قتلني قتل رجلا كريم المخبرة، حميد المقدر، ليس بالجيس المنكوس، ولا الثلب (٣) المركوس. فقال عمرو: دع كيت وكيت، فقد وقعت بين لحيي لهزم فروس للاعداء، يسعطك إسعاط الكودن الملجم. قال عبد الله: أكثر إكثارك، فإني أعلمك بطرا في الرخاء، جبانا في اللقاء هيابة عند كفاح الاعداء، ترى أن تقى مهجتك بأن تبدي سواتك. أنسيت صفين وأنت تدعى إلى النزال، فتعيد عن القتال، خوفا أن يغمرك رجال لهم أبدان شداد، وأسنة حداد، ينهبون السرح، ويذلون العزيز! قال عمرو: لقد علم معاوية أني شهدت تلك المواطن، فكنت فيها كمدرة الشوك، ولقد رأيت أباك في بعض تلك المواطن تخفق أحشاؤه، وتنق أمعاؤه. قال: أما والله لو لقيك أبي في ذلك المقام، لارتعدت منه فرائصك، ولم تسلم منه مهجتك، ولكنه قاتل غيرك فقتل دونك. فقال معاوية ألا تسكت لا أم لك! فقال: يا بن هند، أتقول لي هذا! والله لئن شئت لاعرقن جبينك، ولاقيمك وبين عينيك وسم يلين له أخدعاك. أبأكثر من الموت تخوفني! فقال معاوية أو تكف يا بن أخي! وأمر به إلى السجن. فقال عمرو: وذكر الابيات، فقال عبد الله: وذكر الابيات أيضا، وزاد: " فأطرق معاوية طويلا حتى ظن أنه لن يتكلم ثم قال:

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة إلى الله في اليوم العبوس القماطر
ولست أرى قتلى فتى ذا قرابة له نسب في حي كعب وعامر
بل العفو عنه بعد ما خاب قدحه وزلت به إحدى الجدود العوائر
وكان أبوه يوم صفين محنقا علينا فأردته رماح يحابر
ثم قال له : أتراك فاعلا ما قال عمرو من الخروج علينا ! قال، لا تسل عن عقيدات
الضمائر، لا سيما إذا أرادت جهادا في طاعة الله. قال : إذن يقتلك الله كما قتل أباك،
قال : ومن لى بالشهادة !^(١)

عمر بن عبد العزيز أعظم الخلق قولا بالجبر

قدم على عمر بن عبد العزيز عبد الله بن حسن بن حسن، فلما رأى كماله وبيانه
وعرف نسبه ومركبه وموضعه وكيف ذلك من قلوب المسلمين وفي صدور المؤمنين لم
يدعه بيت بالشام ليلة واحدة، وقال له : الحق بأهلك، فإنك لم تغنهم شيئا هو أنفس
منك ولا أرد عليهم من حياتك. أخاف عليك طواعين الشام، وستلحقك الحوائج على ما
تشتهي وتحب. وإنما كره أن يروه ويسمعوا كلامه، فلعله يبذر في قلوبهم بذرا، ويغرس
في صدورهم غرسا، وكان أعظم الخلق قولا بالجبر حتى يتجاوز الجهمية، ويربي على
كل ذي غاية، صاحب شناعة، وكان يصنع في ذلك الكتب، مع جهله بالكلام وقلة اختلافه
إلى أهل النظر. وقال له شوذب الخارجي : لم لا تلعن رهطك وتذكر أباك إن كانوا عندك
ظلمة فجرة ؟ فقال عمر : متى عهدك بلعن فرعون ! قال ما لي به عهد. قال : أفيسمعك أن
تمسك عن لعن فرعون، ولا يسعني أن أمسك عن لعن آبائي ! فرأى أنه قد خصمه وقطع
حجته، وكذلك يظنه كل من قصر عن مقدار العالم، وجاوز مقدار الجاهل، وأي شبه
لفرعون بأل مروان وآل أبي سفيان ! هؤلاء قوم لهم حزب وشيعة، وناس كثير يدينون
بتفضيلهم وقد اعتورتهم الشبه في أمرهم، وفرعون على خلاف ذلك، وضده لا شيعة له
ولا حزب ولا نسل ولا موالى ولا صنائع ولا في أمره شبهة. ثم إن عمر ظنين في أمر
أهله فيحتاج إلى غسل ذلك عنه بالبراءة منهم، وشوذب ليس بظنين في أمر فرعون، وليس
الأمسك عن لعن فرعون والبراءة منه مما يعرفه الخوارج، فكيف استويا عنده !^(٢)

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٥٤

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٢

الامل

قال عليه السلام : من جرى في عنان أمله عشر بأجله.

قال الحسن عليه السلام : لو رأيت الأجل ومسيره، لنسيت الأمل وغروره، ويقدر المقدرين والقضاء يضحك.

وروى أبو سعيد الخدري أن أسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر، فقال رسول الله ﷺ : ألا تعجبون من أسامة يشتري إلى شهر ! إن أسامة لطويل الأمل.

أبو عثمان النهدي : قد بلغت نحو من ثلاثين ومائة سنة فما من شيء إلا قد عرفت فيه النقص إلا أملى، فإنه كما كان.

قال الشاعر :

أراك تزيدك الأيام حرصاً على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبى قد رضيت !
وقال آخر :

من تمنى المنى فأغرق فيها مات من قبل أن ينال منها
ليس في مال من تتابع في اللذات فضل عن نفسه لسواه^(١).

مما قيل في المروءة

أحسن ما قيل في المروءة قولهم : اللذة ترك المروءة والمروءة ترك اللذة.

وفي الحديث أن رجلاً قام إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا رسول الله، أأست أفضل قومي ! فقال : إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك تقى فلك دين.

وسئل الحسن عن المروءة فقال : جاء في الحديث المرفوع : إن الله تعالى يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها.

وكان يقال : من مروءة الرجل جلوسه بباب داره.

- وقال الحسن : لا دين إلا بمروءة.
- وقيل لابن هبيرة : ما المروءة ؟ فقال : إصلاح المال، والرزانة في المجلس، والغداء والعشاء بالفناء.
- وجاء أيضاً في الحديث المرفوع : حسب الرجل ماله، وكرمه دينه، ومرءته خلقه. وكان يقال : ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق.
- ويقال : سرعة المشى تذهب بمروءة الرجل.
- وكان عروة بن الزبير يقول لبنيه : يا بني العبوا، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب. وقيل للاحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة والحرفة، تعف عما حرم الله، وتحترف فيما أحل الله.
- وقال محمد بن عمران التيمي لا أشد من المروءة، وهي ألا تعمل في السر شيئاً تستحيى منه في العلانية
- . وسئل النظام عن المروءة، فأنشد بيت زهير :
- الستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من ستر
- وقال ميمون بن مهران : أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد إلى الناس، والثالث قضاء الحوائج.
- وقال مسلمة بن عبد الملك : مرءتان ظاهرتان : الرياش والفصاحة.
- وكان يقال : تعرف مرءة الرجل بكثرة ديونه.
- وكان يقال : العقل يأمرك بالانفع، والمرءة تأمرك بالاجمل^(١).

إسقاط المروءة

قال معاوية لعمره : ما ألد الأشياء ؟

قال : مرفتيان قريش أن يقوموا، فلما قاموا قال : إسقاط المرءة^(٢)..

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٢٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٢٨

وارسلت إلى حفصة تسألها الخروج والمسير معها

لما عازمت عائشة، على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيرا أيذا يحمل هودجها، فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكرا، وكان عظيم الخلق شديدا، فلما رآته أعجبها، وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته، ويقول في أثناء كلامه : (عسكرا)، فلما سمعت هذه اللفظة، استرجعت، وقالت : ردوه لا حاجة لي فيه، وذكرت حيث سئلت أن رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم، ونهاها عن ركوبه، وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه، فغير لها بجلال غير جلاله، وقيل لها : قد أصبنا لك أعظم منه خلقا، وأشد قوة، وأتيت به فرضيت. قال أبو مخنف : وأرسلت إلى حفصة تسألها الخروج والمسير معها، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر، فأتى أخته فعزم عليها، فأقامت وحطت الرحال بعد ما همت^(١).

فارضوا بقدر الله وقضائه

قال المسيب بن نجبة للحسن ﷺ : ما ينقض عجبى منك ! بايعت معاوية ومعك أربعون ألفا، ولم تأخذ لنفسك وثيقة وعقدا ظاهرا، أعطاك أمرا فيما بينك وبينه، ثم قال ما قد سمعت، والله ما أراد بها غيرك، قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن ترجع إلى ما كنت عليه، فقد نقض ما كان بينه وبينك. فقال : يا مسيب، إني لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب منى، ولكني أردت صلاحكم، وكف بعضكم عن بعض، فارضوا بقدر الله وقضائه، حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر^(٢).

لعن الله من يسب عليا وحسينا من سوقة وإمام

كان عمال عمر بن عبد العزيز على البلاد عماله وأصحابه. والذي حسن أمره، وشبه على الاغبياء حاله، أنه قام بعقب قوم قد بدلوا عامة شرائع الدين وسنن النبي ﷺ، وكان الناس قبله من الظلم والجور والتهاون بالاسلام في أمر صغر في جنبه ما عاينوا منه، وألقوه عليه، فجعلوه بما نقص من تلك الامور الفظيعة في عداد الائمة الراشدين،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢٢٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٥

وحسبك من ذلك أنهم كانوا يلعنون علياً عليه السلام على منابرهم، فلما نهى عمر عن ذلك عد محسناً، ويشهد لذلك قول كثير فيه :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف برياً ولم تتبع مقالة مجرم
وهذا الشعر يدل على أن شتم علي عليه السلام قد كان لهم عادة، حتى مدح من كف عنه،
ولما ولي خالد بن عبد الله القسرى مكة - وكان إذا خطب بها لعن علياً والحسن
والحسين عليهم السلام - قال عبيد الله بن كثير السهمي :

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام
أيسب المطهرون جدوداً والكرام الأبناء والأعمام
يأمن الطير والحمام ولا يأمن آل الرسول عند المقام !
طبت بيتاً وطاب أهلك أهلاً أهل بيت النبي والاسلام !
رحمة الله والسلام عليهم كلما قام قائم بسلام^(١).

قتل جدي جميعاً، الزبير وعثمان

قام عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان - وكان ممن يناله بزعمهم إلى هشام بن عبد الملك، وهو يخطب على المنبر بعرفة - فقال : يا أمير المؤمنين، هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب، فقال هشام : ليس لهذا جثنا، ألا ترى أن ذلك يدل على أنه قد كان لعنه فيهم فاشياً ظاهراً، وكان عبد الله بن الوليد هذا يلعن علياً عليه السلام ويقول : قتل جدي جميعاً، الزبير وعثمان^(٢).

فقتل وأخذ الكتاب

الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه، ويفتى به ويقضى بقضاياه وأحكامه هو عهد علي عليه السلام إلى الأشر، فإنه نسيج وحده، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة، وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشر ومات قبل وصوله إلى مصر، فكان ينظر فيه ويعجب منه، وحقيق من مثله أن يقتنى في خزائن الملوك. فلما بلغ

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٥٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٥٦

علياً عليه السلام أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية، اشتد عليه حزنا
 عن عبد الله بن سلمة، قال : صلى بنا علي عليه السلام، فلما انصرف قال :
 لقد عثرت عشرة لأعتذر سوف أكيس بعدها وأستمر
 * وأجمع الامر الثنيت المنتشر *

فقلنا : ما بالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني استعملت محمد بن أبي بكر علي
 مصر، فكتب إلي أنه لا علم لي بالسنة، فكتبت إليه كتابا فيه أدب وسنة، فقتل وأخذ
 الكتاب^(١).

قم فالعن عليا

قال المغيرة وهو عامل معاوية يومئذ لصعصعة بن صوحان : قم فالعن عليا، فقام
 فقال : إن أميركم هذا أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنة الله ! وهو يضمير المغيرة^(٢).

الخليفة المستضعف والخليفة المداهن، والخليفة المأفون

أما عبد الملك فحسبك من جهله تبديله شرائع الدين والاسلام، وهو يريد أن يلي
 أمور أصحابها بذلك الدين بعينه، وحسبك من جهله أنه رأى من أبلغ التدبير في منع بني
 هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبي طالب عليه السلام على منابره، ويرمى بالفجور في مجالسه،
 وهذا قرّة عين عدوه، وعير وليه، وحسبك من جهله قيامه على منبر الخلافة قائلا : إني
 والله ما أنا بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المداهن، ولا بالخليفة. وهؤلاء سلفه
 وأئمته، وبشفعتهم قام ذلك المقام، وبتقدمهم وتأسيسهم نال تلك الرياسة، ولو لا العادة
 المتقدمة، والاجناد المجندة، والصنائع القائمة، لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام،
 وأقربهم إلى المهلكة إن رام ذلك الشرف. وعنى بالمستضعف عثمان، وبالمداهن معاوية،
 وبالمأفون يزيد بن معاوية، وهذا الكلام نقض لسلطانه، وعداوة لاهله، وإفساد لقلوب
 شيعته، ولو لم يكن من عجز رأيه إلا أنه لم يقدر على إظهار قوته، إلا بأن يظهر عجز
 أئمته لكفك ذلك منه^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٧٢
 (٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٥٧
 (٣) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٥٧

مرأة أبوها خليفة، وجدها خليفة، وابنها خليفة، وأخوها خليفة، وبعلاها خليفة

مرأة أبوها خليفة، وجدها خليفة، وابنها خليفة، وأخوها خليفة، وبعلاها خليفة، فهؤلاء خمسة، وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبوها يزيد بن معاوية خليفة، وجدها معاوية بن أبي سفيان خليفة، وابنها يزيد بن عبد الملك بن مروان خليفة، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة، وبعلاها عبد الملك بن مروان خليفة^(١).

الذي سن للعرب الآباء

الفقه والعلم والتفسير والتاويل لم يكن فيه مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن العباس، وزيد بن علي، ومحمد بن علي، ابني علي بن الحسين بن علي، وجعفر بن محمد الذي ملا الدنيا علمه وفقهه. ويقال: أن أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب، ولذلك نسب سفيان إلى أنه زيدي المذهب، وكذلك أبو حنيفة. ومن مثل علي بن الحسين زين العابدين! وقال الشافعي في الرسالة في إثبات خبر الواحد: وجدت علي بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة يعول علي أخبار الاحاد. ومن مثل محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم الذي قرر علوم التوحيد والعدل! وقالت المعتزلة: غلبنا الناس كلهم بأبي هاشم الاول، وأبي هاشم الثاني! وإن ذكرت النجدة والبسالة والشجاعة فمن مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد وقع اتفاق أوليائه وأعدائه على أنه أشجع البشر! ومن مثل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسود رسوله! ومن مثل الحسين بن علي عليهما السلام! قالوا يوم الطف: ما رأينا مكثورا قد أفرد من أخوته وأهله وأنصاره أشجع منه، كان كالليث المحرب، يحطم الفرسان حطما. وما ظنك برجل أبت نفسه الدنية وأن بيده، فقاتل حتى قتل هو وبنوه وإخوته وبنو عمه بعد بذل الامان لهم، والتوثقة بالايامن المغلظة، وهو الذي سن للعرب الآباء. واقتدى بعده أبناء الزبير وبنو المهلب وغيرهم^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٦٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٧٤

غري غري

قال أبو الأسود الدؤلي، لما ظهر على ﷺ يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والانصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال : غري غري، مرارا، ثم نظر إلى المال، وصعد فيه بصره وصوب، وقال : اقسموه بين أصحابي خمسمائة، فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمدا بالحق ما نقص درهما ولا زاد درهما، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفا^(١).

تأمر بإنزال جيفة أبي بكر فإن النساء يجزعن

وروى أبو العباس في الكامل إن عروة لما صلب عبد الله جاء إلى عبد الملك فوقف ببابه، وقال للحاجب : أعلم أمير المؤمنين إن أبا عبد الله بالباب، فدخل الحاجب فقال : رجل يقول قولا عظيما. قال : وما هو؟ فتهيب، فقال : قل. قال : رجل يقول : قل لامير المؤمنين : أبو عبد الله بالباب، فقال عبد الملك : تل لعروة يدخل، فدخل فقال : تأمر بإنزال جيفة أبي بكر فإن النساء يجزعن، فأمر بإنزاله. قال : وقد كان كتب الحجاج إلى عبد الملك يقول : إن خزائن عبد الله عند عروة، فمره فليسلمها، فدفع عبد الملك إلى عروة، وظن أنه يتغير، فلم يحفل بذلك كأنه ما قرأه، فكتب عبد الملك إلى الحجاج ألا يعرض لعروة^(٢).

أنا محبوس، والمحبوس محبوس الرأي

أرسل المنصور لما هاضه أمر إبراهيم إلى عمه عبد الله بن علي وهو في السجن يستشيريه ما يصنع ! وكان إبراهيم قد ظهر بالبصرة، فقال عبد الله : أنا محبوس، والمحبوس محبوس الرأي، قال : له فعلى ذاك؟ قال : يفرق الاموال كلها على الرجال ويلقاه، فإن ظفر فذاك، وإلا يتوجه إلى أبيه محمد بجرجان، ويتركه يقدم على بيوت أموال فارغة، فهو خير له من أن تكون الدبرة عليه، ويقدم عدوه على بيوت أموال مملوءة^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٤٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٣٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٥٤

رايتنى والامر عنى مدبر

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن أبى مسلم صاحب شرطة الحجاج يوماً: لعن الله رجلاً أجرك رسنه، وخرب لك آخرته. قال: يا أمير المؤمنين، رايتنى والامر عنى مدبر ولو رايتنى والامر على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت، ولا استعظمت منى ما استحققت^(١).

فى العفاف

قال عبد الصمد بن المعذل فى العفاف:
ساقنى العفاف وارضى الكفاف وليس غنى النفس حوز الجزيل
ولا اتصدى لشكر الجواد ولا استعد لدم البخيل
واعلم أن بنات الرجاء تحل العزيز محل الذليل
وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل^(٢).

يؤمل أن يعمر عمر نوح

وما أحسن قول القائل:
واحسرتا مات حظى من وصالكم وللحظوظ كما للناس آجال
إن مت شوقاً ولم أبلغ مدى أملى كم تحت هذى القبور الخرس آمال
وقال الشاعر:

ألم تر حوشباً بالامس يبنى بناء نفعه لبنى نفيلة
يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يطرق كل ليلة
قال الشاعر:

وذى إبل يسعى ويحسبها له أخو تعب فى رعيها ودءوب
غدت وغدا رب سواه يسوقها ويدل أحجاراً وجال قلب^(٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٥٥

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٥٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٥٩

فرجعت وهى راضية

كان أبو ذر - رضى الله عنه - جالسا بين الناس فأتته امرأته فقالت : انت جالس بين هؤلاء، ولا والله ما عندنا في البيت هفة ولا سفه، فقال : يا هذه، إن بين ايدينا عقبه كؤودا، لا ينجو منها إلا كل مخف، فرجعت وهى راضية^(١).

رب كلمه تقول

رب كلمه تقول : دعني. وقالوا أصلها إن بعض ملوك الحيرة كان قد استراب ببعض خولة، فنزل يوما وهو يتصيد على تلة، ونزل أصحابه حوله فأفاضوا في حديث كثير، فقال ذلك الانسان : أترى لو أن رجلا ذبح على رأس هذه التلة هل كان يسيل دمه إلى أول الغائط؟ فقال الملك : هلموا فاذبحوه لننظر، فذبحوه، فقال : الملك رب كلمة تقول : دعني. وقال أكثم بن صيفي : من إكرام الرجل نفسه ألا يتكلم بكل ما يعلم^(٢).

راي فاسد للمعتزلة بالمغفرة

قال ابن ابي الحديد : إن الذى جرأ الناس على المعصية الطمع في المغفرة، والعفو العام. وقولهم : الحلم والكرم والصفح من أخلاق ذوى النباهة والفضل من الناس، فكيف لا يكون من البارى سبحانه عفو عن الذنوب ! وما أحسن قول شيخنا أبى على : لو لا القول بالارجاء، لما عصى الله في الارض^(٣).

في بعض كتب الله القديمة

يقال إن في بعض كتب الله القديمة : الدنيا غنيمة الاكياس، وغفلة الجهال، لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا^(٤).

مثل للدنيا

ضربت الحكماء مثلا للدنيا نحن نذكره هاهنا، قالوا مثل الدنيا وأهلها كقوم ركبوا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٠١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٢٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٢٤

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٢٦

سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام، وخوفهم مرور السفينة، واستعجالها، فتفرقوا في نواحي الجزيرة، ففضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة، فصادف المكان خالياً، فأخذ أوسع المواضع وألينها وأوقفها لمراده. وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة، وغياضها الملتفة، ونغمات طيورها الطيبة، وألحانها الموزونة الغربية، ولحظ في تزيينها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان ذوات الأشكال الحسنة المنظر، العجيبة النقش، السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجها، وعجائب صورها، ثم تنبه لخطر فوات السفينة، فرجع إليها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً حرجاً، فاستقر فيه، وبعضهم أكب فيها على تلك الأصداف والأحجار، وقد أعجبه حسنهما، ولم تسمح نفسه بإهمالها وتركها، فاستصحب منها جملة، فجاء إلى السفينة فلم يجد إلا مكاناً ضيقاً، وزاده ما حمله ضيقاً، وصار ثقلاً عليه ووبالاً، فندم على أخذه، ولم تطعه نفسه على رميه، ولم يجد موضعاً له، فحمله على عنقه ورأسه، وجلس في المكان الضيق في السفينة، وهو متأسف على أخذه ونادم، وليس ينفعه ذلك، وبعضهم تولج بتلك الأنوار والغياض، ونسى السفينة وأبعد في متفرجه ومنتزعه، حتى إن نداء الملاح لم يبلغه لاشتغاله بأكل تلك الثمار، واشتغامه تلك الأنوار، والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع، والسقطات والنكبات، ونهش الحيات، وليس ينفك عن شوك يتشبث بثيابه، وغصن يجرح جسمه، ومروءة تدمى رجله، وصوت هائل يفزع منه، وعوسج يملا طريقه، ويمنعه عن الانصراف لو أراد، وكان في جماعة ممن كان معه في السفينة حالهم حاله، فلما بلغهم نداء السفينة راح بعضهم مثقلاً بما معه فلم يجد في السفينة موضعاً واسعاً ولا ضيقاً، فبقى على الشط حتى مات جوعاً. وبعضهم بلغه النداء، فلم يعرج عليه، واستغرقتة اللذة، وسارت السفينة، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه وهام على وجهه حتى هلك، ومنهم من ارتطم في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات، ففارقوا هلكى كالجيف المنتنة. فأما من وصل إلى السفينة مثقلاً بما أخذه من الأزهار والفاكهة اللذيذة، والأحجار المعجبة، فإنها استرقتة وشغله الحزن بحفظها والخوف من ذهابها عن جميع أموره، وضاق عليه بطريقها مكانه، فلم تلبث أن ذبلت تلك الأزهار، وفسدت تلك الفاكهة الغضة، وكمدت ألوان الأحجار وحالت، فظهر له نتن رائحتها، فصارت مع كونها مضيقاً عليه مؤذية له بتنتها ووحشتها، فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها وقد أثر في

مزاجه ما أكله منها، فلم يتته إلى بلده إلا بعد أن ظهرت عليه الاسقام بما أكل وما شم من تلك الروائح، فبلغ سقيما وقيذا مدبرا، وأما من كان رجوع عن قريب وما فاتته إلا سعة المحل، فإنه تأذى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح، وأما من رجوع أولا فإنه وجد المكان الاوسع، ووصل إلى الوطن سالما طيب القلب مسرورا^(١).

بهؤلاء تمنع مكة وتشرف مكة

على بن عبد الله بن العباس وولده، كان كل واحد منهم إذا قام إلى جنب أبيه كان رأسه عند شحمه أذنه، وكانوا من أطول الناس، وإنك لتجد ميراث ذلك اليوم في أولادهم. ثم الذي رواه أصحاب الاخبار وحمال الاثار في عبد المطلب من التمام والقوام والجمال والبهاء، وما كان من لقب هاشم بالقمر لجماله، ولأنهم يستضيئون برأيه، وكما رواه الناس أن عبد المطلب ولد عشرة كان الرجل منهم يأكل في المجلس الجذعة ويشرب الفرق، وترد أنفهم قبل شفاههم، وإن عامر بن مالك لما رآهم يطوفون بالبيت كأنهم جمال جون قال: بهؤلاء تمنع مكة وتشرف مكة^(٢).

أصبح الناس وجها

كان الحسن بن علي عليه السلام أصبح الناس وجها، كان يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك عبد الله بن الحسن المحض^(٣).

ثلاثة في عصر بنو عم، كلهم يصلح للخلافة

ثلاثة في عصر بنو عم، كلهم يسمى عليا، وكلهم كان يصلح للخلافة بالفقه والنسك والمركب، والرأي، والتجربة، والحال الرفيعة بين الناس: علي بن الحسين بن علي، وعلي بن عبد الله بن العباس، وعلي بن عبد الله بن جعفر، كل هؤلاء كان تاما كاملا بارعا جامعاً. وكانت لبابة بنت عبد الله بن العباس عند علي بن عبد الله بن جعفر، قالت: ما رأيته ضاحكا قط ولا قاطبا، ولا قال شيئا احتاج إلى أن يعتذر منه، ولا ضرب

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٢٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٧٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٧٧

عبدا قط، ولا ملكه أكثر من سنة. قالوا: وبعد هؤلاء ثلاثة بنو عم، وهم بنو هؤلاء الثلاثة، وكلهم يسمى محمداً، كما أن كل واحد من أولئك يسمى علياً، وكلهم يصلح للخلافة، بكرم النسب وشرف الخصال: محمد بن علي بن الحسين بن علي، ومحمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ومحمد بن علي ابن عبد الله بن جعفر^(١).

سيد فقهاء الحجاز

قالوا: كان محمد بن علي بن الحسين لا يسمع المبتلى الاستعاذة، وكان ينهى الجارية والغلام أن يقولوا للمسكين: يا سائل، وهو سيد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه، وهو الملقب بالباقر، باقر العلم، لقبه به رسول الله ﷺ ولم يخلق بعد، وبشر به، ووعد جابر بن عبد الله برؤيته، وقال: ستراه طفلاً، فإذا رأيته فأبلغه عني السلام، فعاش جابر حتى رآه، وقال له ما وصي به^(٢).

رجل ولدته أمان من أمهات المؤمنين

رجل ولدته أمان من أمهات المؤمنين، محمد بن عبد الله بن الحسن المحض، ولدته خديجة أم المؤمنين، وأم سلمة أم المؤمنين، وولدتها مع ذلك فاطمة بنت الحسين بن علي، وفاطمة سيدة نساء العالمين ابنة رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وكان يقال خير النساء الفواطم والعواتك ومن أمهاته^(٣).

اشداء بني هاشم

محمد بن الحنفية، روي أنه قبض على درع فاضلة، فجذبها فقطع ذيلها ما استدار منه كله. وسمعتهم أيضاً حديث الأيد القوي الذي أرسله ملك الروم إلى معاوية يفخر به على العرب، وأن محمداً قعد له ليقيمه فلم يستطع، فكأنما يحرك جبلاً، وأن الرومي قعد ليقيمه محمد فرفعه إلى فوق رأسه ثم جلد به الأرض، هذا مع الشجاعة المشهورة، والفقه في الدين، والحلم والصبر والفصاحة والعلم بالملاحم والأخبار عن الغيوب، حتى ادعى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٧٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٧٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٧٩

له أنه المهدي، وقد سمعتم أحاديث أبي إسحاق المعتصم، وأن أحمد بن أبي دواد عض ساعده بأسنانه أشد العض فلم يؤثر فيه، وأنه قال: ما أظن الاسنة ولا السهام تؤثر في جسده، وسمعتم ما قيل في عبد الكريم المطيع، وأنه جذب ذنب ثور فاستله من بين وركيه^(١).

مذاهب اهل الامصار في عصر الدعوة العباسية

أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده،

وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف، وقبيل عبد الله المقتول يدينون بجميع الفرق، ولا يعينون أحد،

وأما الجزيرة فحرورية مارقة، والخارجية فيهم فاشيه، وأعراب كأعلاج، ومسلمون في أخلاق النصارى،

وأما الشام فلا يعرفون إلا آل أبي سفيان، وطاعة بني مروان، عداوة راسخة، وجهلا متراكما،

وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر،

خراسان، صدورا سليمة، وقلوبا مجتمعة، لم تتقسمها الاهواء، ولم تتوزعها النحل، ولم تشغلها ديانة، ولا هدم فيها فساد، وليس لهم همم العرب، ولا فيهم تجارب كتجارب الاتباع مع السادات، ولا تحالف كتتحالف القبائل، ولا عصبية كعصبية العشائر^(٢).

امراة يكتنفها خمسة من الخلفاء

عاتكد بنت يزيد يكتنفها خمسة من الخلفاء، ونحن نقول: لنا زبيدة بنت جعفر يكتنفها ثمانية من الخلفاء، جدها المنصور خليفة، وعم أبيها السفاح خليفة وعمها المهدي خليفة، وابن عمها الهادي خليفة، وبعلمها الرشيد خليفة، وابنها الامين خليفة، وابنا بعلمها المأمون والمعتصم خليفتان^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٨٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٩٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٩٤

الطير أحسن ظنا منك بالله عزوجل

* قيل للحسن عليه السلام : إن أبا ذر كان يقول : الفقر أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل إلى حسن الاختيار من الله لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له ، لعمري يا بن آدم ، الطير لا تأكل رغداً ، ولا تخبأ لغداً ، وأنت تأكل رغداً ، وتخبأ لغداً ، فالطير أحسن ظنا منك بالله عزوجل^(١) .

في مدح القناعة وذم الطمع

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم لآخوين من الانصار : (لا تئسسا من روح الله ما تهزهزت رؤسكما ، فإن أحدكم يولد لا قشر عليه ، ثم يكسوه الله ويرزقه).

* وعنه عليه السلام وسلم ويعزى إلى أمير المؤمنين عليه السلام : (القناعة كنز لا يفقد). وما يقال إنه من كلام لقمان الحكيم : (كفى بالقناعة عزا ، وبطيب النفس نعيما).

* ومن كلام عيسى عليه السلام : اتخذوا البيوت منازل ، والمساجد مساكن ، وكلوا من بقل البرية ، واشربوا من الماء القراح ، واخرجوا من الدنيا بسلام. لعمري لقد انقطعتم إلى غير الله فما ضيعكم ، أفتحافون الضيعة إذا انقطعتم إليه !

* وفي بعض الكتب الالهية القديمة : يقول الله تعالى : يا بن آدم ، أتخاف أن أقتلك بطاعتي هزلا ، د وأنت تتفتق بمعصيتي سمنا !

* الخليل بن أحمد : كان الناس يكتسبون الرغائب بعلمه ، وهو بين أخصاص البصرة ، لا يلتفت إلى الدنيا ولا يطلبها.

* يقال من جملة ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : قل لعبادي المتسخطين لرزقي ، إياكم أن أغضب فأبسط عليكم الدنيا.

* المسيح عليه السلام : أنا الذي كبيت الدنيا على وجهها ، وقدرتها بقدرها ، ليس لى ولد يموت ، ولا بيت يخرب ، وسادى الحجر ، وفراشى المدر ، وسراجى القمر.

* أمير المؤمنين عليه السلام : أكل تمر دقل ، ثم شرب عليه ماء ، ومسح بطنه ، وقال : من

أدخلته بطنه النار، فأبعده الله، ثم أنشد : فإنك إن أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى
الذم أحصا

* في الحديث الصحيح المرفوع : (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت
نفس حتى تستكمل رزقها، فأجملوا في الطلب).

* من كلام الحكماء : من ظفر بالقناعة فقد ظفر بالكيماة الاعظم

* ابن مسعود، رفعه : (إنه ليس أحد بأكيس من أحد، قد كتب النصيب والاجل،
وقسمت المعيشة والعمل، والناس يجرون منهما إلى منتهى معلوم).

* المسيح ﷺ : انظروا إلى طير السماء تغدو وتروح، ليس معها شيء، من أرزاقها،
لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها، فإن زعمتم أنكم أوسع بطونا من الطير، فهذه
الوحوش من البقر والحمر، لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها.

* أهدى لرسول الله ﷺ طائران، فأكل أحدهما عشية، فلما أصبح

طلب غداء، فأنته بعض أزواجه بالطائر الاخر، فقال : (ألم أنك أن ترفعى شيئا
لغد، فإن من خلق الغد خلق رزقه)

* وفي الحديث : (قد أفلح من رزق كفافا وقنعه الله بما آناه).

* من حكمة سليمان ﷺ : قد جربنا لين العيش وشدته، فوجدنا أنهأه أدناه. في
قوله تعالى : (فلنحيينه حياة طيبة)، قال : القناعة.

بعض حكماء الشعراء :

فلا تجزع إذا أعسرت يوما فقد أيسرت في الدهر الطويل

ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

وإن العسر يتبعه يسار وقيل الله أصدق كل قيل

ولو أن العقول تجر رزقا لكان المال عند ذوى العقول

* يقال : إن جبرائيل ﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ بمفاتيح خزائن الدنيا، فقال : (لا

حاجة لى فيها، بل جوعتان وشبعة).

* وجد مكتوبا على صخرة عادية : يا بن آدم، لست ببالغ أملك، ولا سابق أجلك،

ولا مغلوب على رزقك، ولا مرزوق ما ليس لك، فعلا م تقتل نفسك ا

* أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : أتدرى لم رزقت الاحمق ؟ قال : لا ، قال :
ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتمال. قنط

* يوسف بن يعقوب عليه السلام في الجب لجوع اعتراه، فأوحى إليه : انظر إلى حائط
البئر، فنظر فانفرج الحائط عن ذرة على صخرة، معها طعامها، فقيل له : أتراني لا أغفل
عن هذه الذرة، وأغفل عنك، وأنت نبي ابن نبي !

* وقف بعض الملوك على سقراط وهو في المشرقة، فقال له : سل حاجتك، قال :
حاجتي أن تزيل عني ظلك، فقد منعتني الرفق بالشمس، فأحضر له ذهباً وكسوة دياج،
فقال : إنه لا حاجة بسقراط إلى حجارة الأرض ولعاب الدود، إنما حاجته إلى أمر
يصحبه حيثما توجه ^(١).

* قال الشاعر :

ولا تهلكن النفس وجدا وحسرة على الشيء أسداه لغيرك قادره
ولا تياسن من صالح أن تناله وإن كان نهبا بين أيد تبادره
فإنك لا تعطى امرأ حظ نفسه ولا تمنع الشق الذي الغيث ناصره
* وقال بعض شعراء العجم :

غلا السعر في بغداد من بعد رخصه وإني في الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع غناه، ولا الحرمان والله رازق

* قيل لعلى عليه السلام : لو سد على رجل باب بيت وترك فيه، من أين كان يأتيه رزقه ؟
قال : من حيث كان يأتيه أجله.

* قال بعض الشعراء :

صبرت النفس لا أجزع من حادثة الدهر رأيت الرزق لا يكسب بالعرف ولا النكر
ولا بالسلف الا مثل أهل الفضل والذكر ولا بالسمر اللدن ولا بالخدم البستر
ولا بالعقل والدين ولا الجاه ولا القدر ولا يدرك بالطيش ولا الجهل
ولا الهذر ولكن قسم تجرى بما ندرى ولا ندرى

* منصور الفقيه :

الموت أسهل عندي بين القنا والاسنه
والخيل تجرى سراعاً مقطعات الاعنه
من أن يكون لنذل على فضل ومنه

* أعرابي :

أتيس أن يقارنك النجاح فأين الله والقدر المتاح

* قال رجل لرسول الله ﷺ : أوصني، قال : (إياك والطمع، فإنه فقر حاضر،
وعليك باليأس مما في أيدي الناس).

* حكيم : أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك، ولا يحقرك لها من فوقك.

* أبو العلاء المعري :

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً فعند التناهي يقصر المتناول
توقى البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان، وهي كوامل^(١).

وما فعلت إلا إبقاء عليك

دخل عبيدة بن عمرو الكندي على الحسن ﷺ - وكان ضرب على وجهه ضربة وهو
مع قيس بن سعد بن عبادة - فقال : ما الذي أرى بوجهك ؟ قال : أصابني مع قيس.
فالتفت حجر بن عدي إلى الحسن، فقال : لوددت أنك كنت مت قبل هذا اليوم، ولم
يكن ما كان، إنا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا. فتغير وجه
الحسن، وغمز الحسين ﷺ حجراً، فسكت، فقال الحسن ﷺ : يا حجر ليس كل
الناس يحب ما تحب ولا رأيه كراؤيك، وما فعلت إلا إبقاء عليك، والله كل يوم في
شأن^(٢).

وظهر عنه شح عظيم

أظهر عبد الله بن الزبير الزهد في الدنيا، وملازمه العبادة، مع الحرص على الخلافة

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٥

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٣

وشبر بطنه، فقال : إنما بطني شبرا، فما عسى أن يسع ذلك الشبر ! وظهر عنه شح عظيم على سائر الناس، ففى ذلك يقول أبو حمزة مولى آل الزبير :

إن الموالى أمست وهى عاتبة على الخليفة تشكوا الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا أي الملوك على ما حولنا غلبا !
وقال فيه أيضا :

لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
ما زلت في سورة الاعراف تدرسها حتى فؤادى مثل الخبز في اللين^(١).

وجد عمرا عند بعض زوجاته

كان يزيد بن معاوية قد ولى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة، فسرح الوليد منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير، عليه عمرو بن الزبير، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه، فظفر به عبد الله، فأقامه للناس بباب المسجد مجردا، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات. وقد رأيت في غير كتاب المسعودي، إن عبد الله وجد عمرا عند بعض زوجاته، وله في ذلك خبر لا أحب أن أذكره^(٢).

القرآن قد نطق بملك بني أمية

خل عليه سفيان بن أبى ليلى النهدي، فقال له : السلام عليك يا مذل المؤمنين ! فقال الحسن : اجلس يرحمك الله، إن رسول الله ﷺ رفع له ملك بني أمية، فنظر إليهم يعلون منبره واحدا فواحدا، فشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى في ذلك قرآنا قال له : (وما جعلنا الرؤيا التى أرىناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن). وسمعت عليا أبى رحمه الله يقول : سيلي أمر هذه الامة رجل واسع البلعوم، كبير البطن، فسألته : من هو؟ فقال : معاوية. وقال لي : إن القرآن قد نطق بملك بني أمية ومدتهم، قال تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر)، قال أبى : هذه ملك بني أمية^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٤٥

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٤٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٦

فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة

لما كان عام الصلح، أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أياماً، ثم تجهز للشخص إلى المدينة، فدخل عليه المسيب بن نجبة الفزاري وظيفان بن عمارة التيمي ليودعاه، فقال الحسن : الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعاً على ألا يكون ما هو كائن ما استطاعوا. فقال أخوه الحسين عليه السلام : لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل أبي حتى عزم علي أخي، فأطعته، وكأنما يجذ أنفي بالمواسي، فقال المسيب : إنه والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلا أن تضامروا وتتقصوا، فإما نحن، فإنهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه، فقال الحسين : يا مسيب، نحن نعلم أنك تحبنا، فقال الحسن عليه السلام : سمعت أبي يقول : سمعت رسوالله صلى الله عليه وسلم يقول : من أحب قوماً كان معهم، فعرض له المسيب وظيفان بالرجوع، فقال : ليس لي إلى ذلك سبيل، فلما كان من غد خرج، فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة، وقال،

ولا عن قلى فارقت دار معاشري هم المانعون حوزتي وذماري
ثم سار إلى المدينة^(١).

فغض الطرف إنك من نمير

كان سنان بن أحمر النميري، يسائر الأمير عمر بن هبيرة الفزاري، وهو على له، فتقدمت البغلة على فرس الأمير، فقال : اغضض بغلتيك يا سنان، فقال : أيها الأمير، إنها مكتوبة، فضحك الأمير. أراد عمر بن هبيرة قول جرير :
فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا.
وأراد سنان قول ابن دارة :

لا تأمن فزاريا خلوت به على قلوصلك واكتبها بأسيار^(٢).

من المشهورين برأى الخوارج

ومن المشهورين برأى الخوارج الذين تم بهم صدق قول أمير المؤمنين عليه السلام : إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء، عكرمة مولى ابن عباس، ومالك بن أنس

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٦

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٦

الأصمعي الفقيه، يروى عنه أنه كان يذكر علياً عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير، فيقول: والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعقر.

ومنهم المنذر بن الجارود العبدي، ومنهم يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج. وروى أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرتها مولاه يزيد بن أبي مسلم، وكان يستسر برأى الخوارج، فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه، فقال لها يزيد الأمير ويلك يكلمك! فقالت: بل الويل لك أيها الفاسق الردئ! والردئ عند الخوارج هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتمه.

ومنهم صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق.

وممن ينسب إلى هذا الرأي من السلف جابر بن زيد

وعمر بن دينار

ومجاهد.

وممن ينسب إليه بعد هذه الطبقة، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، يقال إنه كان يرى رأى الصفرية.

ومنهم اليمان بن رباب، وكان على رأى اليهسية،

وعبد الله بن يزيد

ومحمد بن حرب

ويحيى بن كامل، وهؤلاء إباضية

وقد نسب إلى هذا المذهب أيضاً من قبل أبو هارون العبدي،

وأبو الشعثاء،

وإسماعيل ابن سميع،

وهبيرة بن برهم.

وزعم ابن قتيبة أن هبيرة كان من غلاة الشيعة

. ونسب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد إلى رأى الخوارج لاطنائه في كتابه .

المعروف، ، بالكامل، ، في ذكرهم وظهور الميل منه إليهم^(١).

وثبت يوم أحد ووليت

كان بين عثمان أيام خلافته وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فأرسل عبد الرحمن إلى الوليد بن عقبة فدعاه، فقال : اذهب إلى أخيك فأبلغه عنى ما أقول لك، فإنني لا أعلم أحدا يبلغه غيرك. قال الوليد : أفعل. قال : قل له يقول لك عبد الرحمن، شهدت بدرًا ولم تشهدها، وثبت يوم أحد ووليت، وشهدت بيعة الرضوان ولم تشهدها، فلما أخبره قال عثمان : صدق أخى، تخلفت عن بدر على ابنة رسول الله ﷺ هي مريضة فضرب لي رسول الله ﷺ بسهمى وأجرى، فكنت بمنزلة من حضر بدرًا، ووليت يوم أحد فعفا الله عنى في محكم كتابه، وأما بيعة الرضوان فإنني خرجت إلى أهل مكة، بعثني رسول الله ﷺ وقال : إن عثمان في طاعة الله وطاعة رسوله، وبإيعاقى بإحدى يديه على الأخرى، فكان شمال النبي خيرا من يميني^(٢).

طريق على عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية

قال نصر : لما وضع على ﷺ رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين، قال : بسم الله، فلما جلس على ظهرها، قال : (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)، اللهم إنى أعوذ بك من وعشاء السفر... إلى آخر الفصل. وزاد فيه نصر : (ومن الحيرة بعد اليقين). قال : ثم خرج أمامه الحر بن سهم بن طريف، وهو يرتجز ويقول :

يا فرسى سيرى وأمى الشاما وقطعي الحزون والاعلاما

ونابذى من خالف الاماما إنى لارجو إن لقينا العاما

جمع بنى أمية الطغاما أن نقتل العاصى والهماما

وأن نزيل من رجال هاما

قال : وقال حبيبين مالك، وهو على شرطه على ﷺ، وهو أخذ بعنان دابته : يا أمير

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٧٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٠

المؤمنين، أتخر بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد بالقتال، وتخلقني بالكوفة لحشر الرجال ! فقال ﷺ : إنهم لن يصيبوا من الاجر شيئا إلا كنت شريكهم فيه، وأنت ها هنا أعظم غناء عنهم منك لو كنت معهم. فخرج على ﷺ، حتى إذا حاذى الكوفة صلى ركعتين.

وعن أبي الحسين زيد بن علي ﷺ، عن آبائه : أن عليا ﷺ خرج وهو يريد صفين، حتى إذا قطع النهر، أمر مناديه، فنادى بالصلاة، فتقدم فصلى ركعتين، حتى إذا قضى الصلاة، أقبل على الناس بوجهه، فقال : أيها الناس، ألا من كان مشيعا أو مقيما فليتم الصلاة، فإننا قوم سفر، ألا ومن صحبنا فلا يصوم من المفروض. والصلاة المفروضة ركعتان. قال نصر : ثم خرج حتى نزل دير أبي موسى - وهو من الكوفة على فرسخين - فصلى به العصر، فلما انصرف من الصلاة، قال : سبحان الله ذي الطول والنعمة ! سبحان الله ذي القدرة والافضال، أسأل الله الرضا بقضائه، والعمل بطاعته، والانابة إلى أمره، إنه سميع الدعاء. قال نصر : ثم خرج ﷺ حتى نزل على شاطئ نرس بين موضع حمام أبي بردة وحمام عمر، فصلى بالناس المغرب، فلما انصرف، قال : الحمد لله الذي يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، والحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق. ثم أقام حتى صلى الغداة، ثم شخص حتى بلغ إلى قبه قبين، وفيها نخل طوال إلى جانب البيعة من وراء النهر، فلما رآها، قال : (والنخل باسقات لها طلع نضيد). ثم أقحم دابته النهر، فعبر إلى تلك البيعة فنزلها، ومكث قدر الغداء. قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد، عن محمد بن مخنف بن سليم قال : إني لانظر إلى أبي وهو يساير عليا ﷺ، وعلى يقول له : إن بابل أرض قد خسف بها، فحرك دابتك لعلنا نصلى العصر خارجا منها. فحرك دابته، وحرك الناس دوابهم في أثره، فلما جاز جسر الفرات، نزل فصلى بالناس العصر. قال : حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مره الثقفي، عن أبيه، عن عبد خير، قال : كنت مع علي أسير في أرض بابل، قال : وحضرت الصلاة صلاة العصر، قال : فجعلنا نأتى مكانا إلا رأيناها أفيح من الآخر، قال : حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب. قال : فنزل على ﷺ، فنزلت معه، قال : فدعا الله، فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر. قال : فصليت العصر، ثم غابت الشمس، ثم خرج حتى أتى دير كعب ثم خرج منه فبات بساباط، فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزل والطعام، فقال : لا، ليس ذلك لنا عليكم. فلما أصبح وهو بمظلم ساباط قرأ :

(أتبنون بكل ريع آية تعبثون). قال نصر : وبلغ عمرو بن العاص مسيره فقال :

لا تحسبني يا على غافلا لاوردن الكوفة القنابلا

بجمعى العام وجمعى قابلا

قال : فبلغ ذلك عليا عليه السلام، فقال :

لاوردن العاصى ابن العاصى سبعين ألفا عاقدي النواصي

مستحقبين حلق الدلاص قد جنبوا الخيل مع القلاص

أسود غيل حين لا مناص ^(١).

ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغى له

عن أبي جعفر محمد بن على رضى الله عنهما، أن عليا حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلا إلى بيوت الانصار، يسألهم النصرة وتسالهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال على : أكنت أترك رسول الله ميتا في بيته لا أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه ! وقالت فاطمة : ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغى له، وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه ^(٢).

ولا حاجة لي في الحرب

قال المسعودي : ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس مظلم، وأراد قتله، فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن، وتعسف الطريق على الجبال، حتى أتى منى، وبها أبوه محمد بن الحنفية ثم إن عبد الله جمع بنى هاشم كلهم في سجن عارم، وأراد أن يحرقهم بالنار، وجعل في فم الشعب خطبا كثيرا، فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فقال أبو عبد الله لاصحابه : ويحكم ! إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بنى هاشم فأتى عليهم، فانتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريدة، فما شعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تخفق بمكة، فقصد قصد الشعب،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٦٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٥

فأخرج الهاشميين منه، ونادى بشعار محمد بن الحنفية، وسماه المهدي، وهرب ابن الزبير، فلاذ بأستار الكعبة، فنهاهم محمد بن الحنفية عن طلبه وعن الحرب، وقال: لا أريد الخلافة إلا أن طلبني الناس كلهم، وانفقوا على كلهم، ولا حاجة لي في الحرب^(١).

لا تتخذوا الدنيا ربا

من الكلام المأثور عن عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا، فاكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الأفة، وصاحب كنز الآخرة لا يخاف عليه^(٢).

نبني كما كانت اوائلنا تبني

قال ابن الرومي

وما الحسب الموروث لا در دره بمحتسب إلا بأخر مكتسب
إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة من الثمرات اعتده الناس في الحطب
وقال عبد الله بن جعفر:

لسنا - وإن أحسابنا كرمت - يوما على الأباء نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني، ونفعل مثل ما فعلوا
وقال آخر:

وما فخري بمجد قام غيري إليه إذا رقدت الليل عنه
إلى حسب الفتى في نفسه انظر ولا تنظر هديت إلى ابن من هو
وقال آخر:

إذا فخرت بأبائي وأجدادي فقد حكمت على نفسي لا ضدادي
هل ناعى أن سعى جدي لمكرمة ونمت عن أختها في جانب الوادي
وقال آخر:

ايقنعني كوني بمن كوني ابنة أبا لي أن أرضى لفخري بمجده

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢٣٠

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٤٧

إذا المرء لم يحو العلاء بنفسه فليس يحاو للعلاء بجده
وهل يقطع السيف الحسام بأصله إذا هو لم يقطع بصارم حده !^(١)

فإنه من أطيب الطيب

وروى أنس بن مالك قال : دخل علينا رسول الله ﷺ فقال : عندنا والوقت صيف،
فعرق، فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت عرقه، فاستيقظ وقال : يا أم سليم، ما
تصنعين؟ قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا، فإنه من أطيب الطيب، ونرجو به بركه
صياننا، فقال : أصبت^(٢).

انهم يريدون أن يخلطوا

أولم المتوكل في طهر بنيه، فلما كثر اللعب قال ليحيى بن أكثم : انصرف أيها
القاضي، قال : ولم؟ قال : لانهم يريدون أن يخلطوا، قال : أحوج ما يكونون إلى قاض
إذا خلطوا، فاستظرفه وأمر أن تغلف لحيته، ففعل، فقال يحيى : إنا لله، ضاعت الغالية،
كانت هذه تكفيني دهرًا لو دفعت إلى، فأمر له بزورق لطيف من ذهب مملوء من غاليه
ودرج بخور، فأخذهما وانصرف^(٣).

هلا قلت كما قال سيدك

عرضت مدنية لكثير فقالت له : أنت القائل :
فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جنجائها وعرارها
باطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
لو كانت هذه الصفة لزنجية تجتلى الحلة لطابت، هلا قلت كما قال سيدك
ألم ترياني كلما جئت طارقًا وجدت بها طيبًا وإن لم تطيب^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٣٢

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٤٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٤٣

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٤٤

والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبى

عن موسى بن ميسرة أن أبا الأسود الدؤلى، قال : كنت أحب لقاء أبى ذر لاسأله عن سبب خروجه، فنزلت الربذة، فقلت له : ألا تخبرني ؟ أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت مكرها ؟ فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين، أغنى عنهم، فأخرجت إلى مدينة الرسول ﷺ، فقلت : أصحابي ودار هجرتي، فأخرجت منها إلى ما ترى، ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد إذ مر بى رسول الله صلى الله عليه، فضربني برجله وقال : لا أراك نائما في المسجد، فقلت : بأبى أنت وأمى ! غلبتني عيني، فتمت فيه، فقال : كيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ فقلت : إذن ألحق بالشام، فإنها أرض مقدسة، وأرض بقية الاسلام، وأرض الجهاد، فقال : فكيف تصنع إذا أخرجت منها ؟ فقلت : أرجع إلى المسجد، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : آخذ سيفى فأضرب به، فقال ﷺ : (ألا أدلك على خير من ذلك، أنسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع)، فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبى^(١).

فجعل يومئ إلي بيده على فيه أي اسكت

لما صاح الشيطان لعنه الله : إن محمدا قد قتل يحزنهم بذلك، تفرقوا في كل وجه، وجعل الناس يمرون على النبي ﷺ لا يلوى عليه أحد منهم، ورسول الله يدعوهم في أصرهم، حتى انتهت هزيمة قوم منهم إلى المهراس، فتوجه رسول الله ﷺ يريد أصحابه في الشعب فانتهى إلى الشعب وأصحابه في الجبل أوزاع، يذكرون مقتل من قتل منهم، ويذكرون ما جاءهم عن رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك : فكنت أول من عرفه وعليه المغفر فجعلت أصيح وأنا في الشعب : هذا رسول الله صلى الله عليه وآله حي، فجعل يومئ إلي بيده على فيه أي اسكت، ثم دعا بلامتى فلبسها ونزع لامته^(٢).

أجهد نفسه في العبادة حتى نحلته رياء

روى عن ابن عباس أيضاً، قال : دخلت على عمر يوماً، فقال : يا ابن العباس لقد، أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته، رياء. قلت : من هو ؟ فقال : هذا ابن

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٥

عمك - يعنى عليا - قلت : وما يقصد بالرياء أمير المؤمنين؟ قال يرشح نفسه بين الناس للخلافة، قلت : وما يصنع بالترشيح ! قد رشحها لها رسول الله ﷺ فصرفت عنه. قال : إنه كان شابا حدثا فاستصغرت العرب سنه، وقد كمل الان، ألم تعلم أن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا بعد الاربعين ! قلت يا أمير المؤمنين، أما أهل الحجى والنهى فإنهم ما زالوا يعدونه كاملا منذ رفع الله منار الاسلام، ولكنهم يعدونه محروما مجدودا، فقال : أما إنه سيليها بعد هياط ومياط، ثم تزل فيها قدمه ولا يقضى منها أربه، ولتكونن شاهدا ذلك يا عبد الله، ثم يتبين الصبح لذي عينين وتعلم العرب صحة رأى المهاجرين الاولين الذين صرفوها عنه بادئ بدء فليتنى أراكم يعدى يا عبد الله ! إن الحرص محرمة، وإن دنياء كظلك كلما هممت به ازداد عنك بعدا^(١).

من يأخذ هذا السيف بحقه

قال رسول الله ﷺ يومئذ : من يأخذ هذا السيف بحقه قالوا : وما حقه يا رسول الله قال : يضرب به العدو، فقال عمر : أنا يا رسول الله، فأعرض عنه، ثم عرضه رسول الله ﷺ بذلك الشرط، فقام الزبير، فقال : أنا، فأعرض عنه، حتى وجد عمر والزبير في أنفسهما، ثم عرضه الثالثة، فقام أبو دجانة، وقال : أنا يا رسول الله آخذه بحقه، فدفعه إليه. فصدق حين لقي به العدو، وأعطى السيف حقه، فقال أحد الرجلين - أما عمر بن الخطاب أو الزبير : : والله لا جعلن هذا الرجل الذى أعطاه السيف ومنعنيه من شأني، قال : فاتبعته، فوالله ما رأيت أحدا قاتل أفضل من قتاله، لقد رأيت يضرب به حتى إذا كل عليه وخاف ألا يحيك عمد به إلى الحجارة، فشحذه، ثم يضرب به العدو، حتى يرده كأنه منجل، وكان حين أعطاه رسول الله ﷺ السيف مشى بين الصفيين، واختال في مشيته، فقال رسول الله ﷺ حين رآه يمشى تلك المشيه إن هذه لمشية يبغضها الله تعالى إلا في مثل هذا الموطن، قال : وكان أربعة من اصحاب النبي ﷺ يعلمون في الزحوف، أحدهم أبو دجانة، كان يعصب رأسه بعصابة حمراء، وكان قومه يعلمون إنه إذا اعتصب بها أحسن القتال، وكان على ﷺ يعلم بصوفة بيضاء، وكان الزبير يعلم بعصابة صفراء، وكان حمزة يعلم بريش نعامة^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٨٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٥٧

ما قال أبرويز لكاتبه

وقال أبرويز لكاتبه : اكنم السر، واصدق الحديث، واجتهد في النصيحة، وعليك بالحذر، فإن لك على ألا أعجل عليك حتى أستأني لك، ولا أقبل فيك قولا حتى أستيقن، ولا أطمع فيك أحدا فتغتا، واعلم أنك بمنجاء رفعة فلا تحطنها، وفي ظل مملكة فلا تستزيلنه. قارب الناس مجاملة من نفسك، وباعدهم مسامحة عن عدوك، واقصد إلى الجميل ازدرعا لغدك، وتنزّه بالعفاف صونا لمروءتك، وتحسن عندي بما قدرت عليه. احذر لا تسرعن اللسنة عليك، ولا تقبحن الاحدوثة عنك، وصن نفسك صون الدرّة الصافية، وأخلصها إخلاص الفضة البيضاء، وعاتبها معاتبة الحذر المشفق، وحصنها تحصين المدينة المنيعه، لا تدعن أن ترفع إلى الصغير فإنه يدل على الكبير، ولا تكتمن عنى الكبير فإنه ليس بشاغل عن الصغير. هذب أمورك ثم القنى بها، وأحكم أمرك ثم راجعني فيه، ولا تجترئن على فامتعض، ولا تنقبضن منى فأتهم، ولا تمرضن ما تلقاني به ولا تخدجنه، وإذا أفكرت فلا تجعل، وإذا كتبت فلا تعذر، ولا تستعن بالفضول فإنها علاوة على الكفاية، ولا تقصرن عن التحقيق فإنها هجئة بالمقالة، ولا تلبس كلاما بكلام، ولا تبعدن معنى عن معنى. وأكرم لى كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه، وانتشار يهجنه، ومعان تعقد به. واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول وليكن بسطة كلامك على كلام السوقه كبسطة الملك الذى تحدثه على الملوك. لا يكن ما نلته عظيما، وما تتكلم به صغيرا، فإنما كلام الكاتب على مقدار الملك، فاجعله عاليا كعلوه، وفائقا كتفوقه، فإنما جماع الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشئ، وسؤالك عن الشئ وأمرك بالشئ وخبرك عن الشئ، فهذه الخصال دعائم المقالات، إن التمس إليها خامس لم يوجد، وإن نقص منها واحد لم يتم، فإذا أمرت فأحكم، وإذا سألت فأوضح، وإذا طلبت فأسمح، وإذا أخبرت فحقق، فإنك إذا فعلت ذلك أخذت بجرائم القول كله، فلم يشتبه عليك وارده، ولم تعجزك صادره. أثبت في دواوينك ما أخذت، وأحص فيها ما أخرجت، وتيقظ لما تعطى، وتجرد لما تأخذ ولا يغلبنك النسيان عن الاحصاء، ولا الانأة عن التقدم، ولا تخرجن وزن قيراط في غير حق، ولا تعظمن إخراج الالوف الكثيرة في الحق، وليكن ذلك كله عن مؤامرتي^(١).

أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال

عن جويرية بن أسماء، قال : لما مات الحسن عليه السلام، أخرجوا جنازته، فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين عليه السلام : تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ ؟ قال مروان : نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال^(١).

لكأني أنظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هاربيين.

إن قوما من قريش صعدوا الجبل يوم احد فعلوا على المسلمين وهم في الشعب قال : فكان رافع بن خديج يحدث فيقول : إني يومئذ إلى جنب أبي مسعود الانصاري وهو يذكر من قتل من قومه، ويسأل عنهم فيخبر برجال : منهم سعد بن الربيع، وخارجة بن زهير، وهو يسترجع ويترحم عليهم، وبعض المسلمين يسأل بعضا عن حميمه وذى رحمه فيهم، يخبر بعضهم بعضا، فبينا هم على ذلك رد الله المشركين ليذهب ذلك الحزن عنهم، فإذا عدوهم فوقهم قد علوا، وإذا كتائب المشركين بالجبل، فنسوا ما كانوا يذكرون، وندبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضنا على القتال، والله لكأني أنظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هاربيين^(٢).

فليلبس ثوبا أحمر

كان بعض الاكاسرة يجلس للمظالم بنفسه، ولا يثق إلى غيره، ويقعد بحيث يسمع الصوت، فإذا سمعه أدخل المتظلم فأصيب بصمم في سمعه فنادى مناديه، أن الملك يقول : أيها الرعية إنى إن أصبت بصمم في سمعي فلم أصب في بصرى، كل ذى ظلامه فليلبس ثوبا أحمر، ثم جلس لهم في مستشرف له^(٣).

بيت القصص

كان لامير المؤمنين عليه السلام بيت سماه بيت القصص، يلقي الناس فيه رقاعهم^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٨٧

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٨٧

كنت شاهدا معك بقلبي

عن حبه العرنى، قسم على عليه السلام بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه إنسان لم يحضر الواقعة، فقال: يا أمير المؤمنين، كنت شاهدا معك بقلبي، وإن غاب عنك جسمي، فاعطني من الفئ شيئا. فدفعت إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم، ولم يصب من الفئ شيئا^(١).

حيثما زالت زال إليها

قوله عليه السلام: حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها " نظر الشاعر، فقال: ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا يعظمون أخوا الدنيا فإن وثبت يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا^(٢).

شجرة النبوة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة

قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام غير ملتصق بالاول كل الالتصاق، وهو من النمط الذي ذكرناه مرارا، لان الرضى رحمه الله يقتضب فصولا من خطبة طويلة، فيوردها إيرادا واحدا، وبعضها منقطع عن البعض. قوله عليه الصلاة والسلام: " نحن شجرة النبوة "، كأنه جعل النبوة كثمرة أخرجتها شجرة بنى هاشم. ومحط الرسالة: منزلها. ومختلف الملائكة: موضع اختلافها في صعودها ونزولها، وإلى هذا المعنى نظر بعض الطالبين، فقال: يفتخر على بنى عم له ليسوا بفاطميين: هل كان يقتعد البراق أبوكم أم كان جبريل عليه ينزل أم هل يقول له الاله مشافها بالوحي قم يا أيها المزمّل وقال آخر يمدح قوما فاطميين: ويطرقة بالوحي وهنا وأنتم ضجيعان بين يدي جبريلا يعنى حسنا عليه السلام وحسينا عليه السلام. واعلم أنه إن أراد بقوله: " نحن مختلف الملائكة " جماعة من جملتها

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٥٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٠٨

رسول الله ﷺ، فلا ريب في صحة القضية وصدقها، وإن أراد بها نفسه وابنيه فهي أيضاً صحيحة، ولكن مدلوله مستنبط، فقد جاء في الاخبار الصحيحة، أنه قال: "يا جبريل، إنه منى وأنا منه"، فقال جبريل: وأنا منكما. وروى أبو أيوب الانصاري مرفوعاً: "لقد صلت الملائكة على وعلى على سبع سنين لم تصل على ثالث لنا"، وذلك قبل أن يظهر أمر الاسلام ويتسامع الناس به. وفي خطبة الحسن بن علي ؑ لما قبض أبوه: "لقد فارقكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون ولا يدركه الآخرون، كان يبعثه رسول الله ﷺ للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره"، وجاء في الحديث انه سمع يوم أحد صوت من الهواء من جهة السماء، يقول: "لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا على"، وإن رسول الله عليه وآله قال: "هذا صوت جبريل" (١).

فلا تكتحل عينك منها بعبرة

قوله ﷺ: واعدوذب: صار عذبا. واحلولى: صار حلوا، ومن هاهنا أخذ الشاعر قوله:

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة إذا اخضر منها جانب جف جانب
فلا تكتحل عينك منها بعبرة على ذاهب منها فإنك ذاهب (٢).

اقتباسات الشعراء من كلام امير المؤمنين تج

إلى معنى قوله ﷺ: فهم جيرة لا يجيبون داعيا، ولا يمنعون ضيما، جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون "نظر البحترى، فقال: بنا أنت من مجفوة لم تؤنب ومهجورة في هجرها لم تعتب ونازحة والدار منها قريبة وما قرب ثاو في التراب مغيب! وقد قال الشعراء والخطباء في هذا المعنى كثيرا، فمن ذلك قول الرضى أبي الحسن رحمه الله في مرثيته لابي إسحاق الصابى:

أعزز على بأن نزلت بمنزل متشابه الامجاد بالاوغاد

في عصبه جنبوا إلى آجالهم والدمر يعجلهم عن الارواد

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢١٨

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٣٠

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم من غير أطناب ولا أوتاد
ركب أناخرا لا يرجى منهم قصد لاتهم ولا إنجاز
كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة للدهر نازلة بكل مقاد
فتهافتوا عن رحل كل مذلل وتطاوخوا عن شرح كل جواد
بادون في صور الجميع وإنهم متفردون تفرد الآحاد

فقوله : " بادون في صور الجمع... البيت، هو قوله ﷺ : " جمع وهم آحاد " بعينه. وقال الرضى رحمه الله تعالى أيضا :

متوسدين على الخدود كأنما كرعوا على ظمإ من الصهباء
صور ضننت على العيون بحسنها أمسيت أوقرها من البوغاء
ونواظر كحل التراب جفونها قد كنت أحرسها من الاقضاء
قربت ضرائحهم على زوارها ونأوا عن الطلاب أي تناء

قوله : قربت ضرائحهم.. البيت هو معنى قوله ﷺ : " وجيرة وهم أبعاد " بعينه. ومن هذا المعنى قول بعض الاعراب :

لكل أناس مقبر في ديارهم فهم ينقصون، والقبور تزيد فكائن ترى من دار حتى قد
اخرجت وقبر بأكناف التراب جديد هم جيرة الاحياء، أما مزارهم فدان، وأما الملتقى
فبعيد (١).

قوله ﷺ : تبكى قلوبهم وإن ضحكوا " قول الشاعر،

وإن لم يكن هذا المقصد بعينه قصد :

كم فاقة مستوره بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل
ومن ابتسام تحته قلب شج قد خامرته لوعة ما تنجلي (٢).

* ومثل قوله ﷺ ما بالكم تفرحون بكذا، ولا تحزنون لكذا، ويقلقكم اليسير من
الدنيا يفوتكم " من هذا قول الرضى رحمه الله :

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٣٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٤٨

نقص الجديدين من عمرى يزيد . على ما ينقصان على الايام من مالى
 دهر تؤثر في جسمي نوائبه فما اهتمامي أن أودى بسرالى (١).
 * وإلى قوله عليه السلام : يجمع ما لا يأكل، ويبنى ما لا يسكن نظر الشاعر، فقال :
 أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
 وقال آخر :

ألم تر حوشبا أمسى يبني بناء نفعه لبنى بقبيله
 يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يطرق كل ليله (٢).
 * قال عليه السلام : لا جاء يرد ولا ماض يرتد " أي يسترد ويسترجع، أخذه أبو العتاهية
 فقال :

فلا أنا راجع ما قد مضى لى ولا أنا دافع ما سوف يأتي (٣).
 * وإلى قوله : ما أقرب الحى من الميت للحاقه به، وما أبعد الميت من الحى
 لانقطاعه عنه نظر الشاعر، فقال :

يا بعيدا عنى وليس بعيدا من لحاقي به سميع قريب
 صرت بين الورى غريبا كما أنك تحت الثرى وحيد غريب (٤).
 * ونظر بعض الشعراء إلى قوله عليه السلام : ليس شئ بشر من الشر إلا عقابه، وليس شئ
 بخير من الخير إلا ثوابه " فقال :

خير البضائع للانسان مكرمة تنمى وتزكو إذا بارت بضائعه
 فالخير خير، وخير منه فاعله والشر شر، وشر منه صانعه
 إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام استثنى العقاب والثواب، والشاعر جعل مكانهما فاعل
 الخير والشر (٥).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٤٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٥٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٥٦

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٥٦

(٥) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٥٨

* وإلى قوله : ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا " نظر أبو الطيب، فقال، إلا أنه أخرجه في مخرج آخر :
 بلاد ما اشتهيت رأيت فيها فليس يفوتها إلا كرام
 فهلا كان نقص الأهل فيها وكان لأهلها منها التمام^(١).
 * وقوله : " الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي "، كلام يجزى مجزى المثل، وهو تأكيد للمعنى الأول، وجعل الجائي مرجوا لأنه لا يعلم غيبه، قال الشاعر :
 ما مضى فات والمقدر غيب ولك الساعة التي أنت فيها^(٢).
 * قال عليه السلام : قد خليتكم وطريق النجاة عند الحرب، ودللتكم عليها، وهي أن تقتحموا وتلحجوا، ولا تهنوا، فإنكم متى فعلتم ذلك نجوتهم، ومتى تلومتهم وتشببتم وأحجمتم هلكتم، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
 وقال قطري بن الفجاءة :

لا يركنن أحد إلى الأحجام يوم الرغى متخوفا لحمام
 فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني تارة وأمامي
 حتى خضبت بما تحدر من دمي أكناف سرجي أو عنان لجامي
 ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جذع البصيرة قارح الاقدام
 وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد : واعلم أن عليك عيوننا من الله ترعاك وتراك، فإذا لقيت العدو، فاحرص على الموت توهب لك الحياة، ولا تغسل الشهداء من دمائهم، فإن دم الشهيد نور له يوم القيامة، وقال أبو الطيب :

يقتل العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخنق المولود
 ويوقى الفتى المخش وقد خوض في ماء لبة الصنديد^(٣)

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٦١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٧٠

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٣٠٤

رؤيا رقيقة في الجاهلية

رؤيا رقيقة في الجاهلية، وهى رقيقة بنت أبى صيفي ابن هاشم بن عبد مناف، قالت رقيقة: تابعت على قريش سنون أقحلت الضرع وأرقت العظم، فبينما أنا راقدة اللهم أو مهومة ومعى صنوى، إذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل: يا معشر قريش! إن هذا النبي المبعوث فيكم قد اظلتكم أيامه، وهذا إبان نجومه، فحيهلا بالخصب والحياء. ألا فانظروا رجلا منكم عظاما جساما، أبيض بضا، أوظف الاهداب، سهل الخدين، أشم العرين، له سنة تهدي إليه. ألا فليخلص هو وولده، وليدلف إليه من كل بطن رجل، ألا فليشئوا عليهم من الماء، وليمسوا من الطيب، وليطوفوا بالبيت سبعا، وليكن فيهم الطيب الطاهر لداته فليستق الرجل، وليؤمن القوم. ألا فغثم إذا ما شئتم. قالت: فأصبحت - علم الله - مذعورة قد قف جلدى، ووله عقلي، فافتصت رؤياي على الناس، فذهبت في شعاب مكة، فو الحرم والحرم، إن بقى أبطحي إلا وقال: هذا شبيهة الحمد. فتتامت رجال قريش، وانقض إليه من كل بطن رجل، فشنوا عليهم ماء، ومسوا طيبا، واستلموا واطوفوا، ثم ارتقوا أبا قبيس، وطفق القوم يدفون حول عبد المطلب، ما إن يدرك سعيهم مهله، حتى استقروا بذروة الجبل، واستكفوا جانيبه. فقام فاعتضد ابن ابنه محمدا ﷺ، فرفعه على عاتقه، وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب، ثم قال: اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلم، ومسئول غير مبخل، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذارات حرمك، يشكو إليك سنتهم التي أذهبت الخف والظلف، فاسمعن اللهم، وأمطرن علينا غيثا مغدقا مريعا سحا طبقا دراكا. قالت: فو رب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي ثجشجه وانصرف الناس يقولون لعبد المطلب: هنيئا لك سيد البطحاء! وفي رواية أبى عبيدة معمر بن المثنى قال: فسمعنا شيخان قريش وجلتها: عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة، يقولون لعبد المطلب: هنيئا لك، أبا البطحاء! وفي ذلك قال شاعر من قريش وقد روى هذا الشعر لرقيقة: بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر فجاد بالماء وسمى له سبل سحا، فعاشت به الانعام والشجر^(١).

اللهم حوالينا ولا علينا

في الحديث من رواية أنس بن مالك : أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ ، فقام إليه رجل وهو يخطب يوم الجمعة ، فقال : يا رسول الله ، هلك الشاء ، هلك الزرع ، ادع الله لنا أن يسقينا ، فمد ﷺ يده ودعا واستسقى ، وإن السماء كمثل الزجاج ، فهاجت ريح ثم أنشأت سحابا ، ثم اجتمع ، ثم أرسلت عزاليها ، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ، ودام القطر ، فقام إليه الرجل في اليوم الثالث : فقال : يا رسول الله ، تهدمت البيوت ، ادع الله أن يحبسه عنا . فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم رفع يده : وقال : " اللهم حوالينا ولا علينا . قال أنس : فو الذي بعث محمدا بالحق ، لقد نظرت إلى السحاب ، وإنه لقد انجاب حول المدينة كالأكليل ^(١) .

الحجاج ابو وذحة وتاويل بارد لابن ابي الحديد

أن الحجاج كان إذا رأى خنفساء تدب قريبة منه ، يأمر غلمانها بإبعادها ، ويقول : هذه وذحة من وذح الشيطان ، تشبيها لها بالبعرة ، قالوا : وكان مغرى بهذا القول ، والوذح : ما يتعلق بأذنان الشاة من أبعارها فيجف . ومنها أن الحجاج قال وقد رأى خنفساوات مجتمعات : وا عجباً لمن يقول إن الله خلق هذه ! قيل : فمن خلقها أيها الأمير ؟ قال : الشيطان ، إن ربكم لأعظم شأناً أن يخلق هذه الوذح ! قالوا : فجمعها على " فعل " كبذنة وبدن ، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره ، فأكفروه . ومنها أن الحجاج كان مثفارا ، وكان يمسك الخنفساء حية ليشفى بحركتها في الموضع حكاكه . قالوا : ولا يكون صاحب هذا الداء إلا شائنا مبغضا لأهل البيت . قالوا : ولسنا نقول كل مبغض فيه هذا الداء ، وإنما قلنا : كل من فيه هذا الداء فهو مبغض . قالوا : وقد روى أبو عمر الزاهد ولم يكن من رجال الشيعة - في أماليه وأحاديثه عن السياري عن أبي خزيمة الكاتب ، قال : ما فتشنا أحدا فيه هذا الداء إلا وجدناه ناصيبا . قال أبو عمر : وأخبرني العطافي عن رجاله ، قالوا : سئل جعفر بن محمد ﷺ عن هذا الصنف من الناس ، فقال رحم منكوسة يؤتى ولا يأتي ، وما كانت هذه الخصلة في ولي لله تعالى قط ، ولا تكون أبدا ، وإنما تكون في الكفار والفساق والناصب للطاهرين . وكان أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي من القوم ،

وكان أشد الناس عداوة لرسول الله صل عليه وآله، قالوا : ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر : يا مصفر استه. فهذا مجموع ما ذكره المفسرون، وما سمعته من أفواه الناس في هذا الموضع، ويغلب على ظني أنه أراد معنى آخر، وذلك أن عادة العرب أن تكني الانسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنة التعظيم، كقولهم : أبو الهول، وأبو المقدام، وأبو المغوار، فإذا أرادت تحقيره والغض منه كنته بما يستحقر ويستهان به، كقولهم في كنية يزيد بن معاوية : أبو زنة، يعنون القرد، وكقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاري المحدث : أبو الفار، وكقولهم للطفيلي : أبو لقمة، وكقولهم لعبد الملك : أبو الذبان لبخره، وكقول ابن بسام لبعض الرؤساء : فأنت لعمرى أبو جعفر ولكننا نحذف الفاء منه وقال أيضا : لثيم درن الثوب نظيف القعب والقدر أبو التنن، أبو الدفر أبو البعر أبو الجعر فلما كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصي والذنوب، التي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاء، كناه " أبو وذحة " . ويمكن أيضاً أن يكنيه بذلك لدمامته في نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقتة، فإنه كان قصيرا دميما نحيفا، أخفش العينين معوج الساقين، قصير الساعدين، مجدور الوجه، أصلع الرأس، فكناه بأحقر الاشياء، وهو البعرة. وقد روى قوم هذه اللفظة بصيغة أخرى، فقالوا : " إيه أبا ودجة " ، قالوا : واحدة الوداج، كناه بذلك لانه كان قتالا يقطع الوداج بالسيف، ورواه قوم " أبا وحره " ، وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر، شبهه بها. وهذا وما قبله ضعيف، وما ذكرناه نحن أقرب إلى الصواب ^(١).

شجاعة شجاعة

اعلم أن امير المؤمنين عليه السلام أقسم أن القتل أهون من الموت حتف الانف، وذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى من الشجاعة الخارقة لعادة البشر، وهو عليه السلام يحاول أن يحض أصحابه، ويحرضهم ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه، وإقدامهم على الحرب مماثلا لاقدامه، على عادة الامراء في تحريض جندهم وعسكرهم وهيئات إنما هو كما قال أبو الطيب : يكلف سيف الدولة الجيش همه وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم ليست النفوس كلها من جوهر

واحد، ولا الطباع والامزجة كلها من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده، في الاوقات المتطاولة، والدهور المتباعدة، وما اتصل بنا نحن من بعد الطوفان، فإن التواريخ من قبل الطوفان مجهولة، عندنا إن أحدا أعطى من الشجاعة والاقدام ما أعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها، من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم، والمعلوم من حاله أنه كان يؤثر الحرب على السلم، والموت على الحياة، والموت الذي كان يطلبه ويؤثره، إنما هو القتل بالسيف، لا الموت على الفراش، كما قال الشاعر :

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا لمات إذ لم يمت من شدة الحزن
وكما قال الآخر :

يستعذبون مناياهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلوا^(١).

اعور جيانا !

عن زيد بن وهب الجهني، أن عمار بن ياسر نادى في صفين يوما قبل مقتله بيوم أو يومين : أين من يبغى رضوان الله عزوجل ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟ فأنته عصابة من الناس، فقال : أيها الناس اقصدوا بنا قصد هؤلاء القوم الذين يتبعون دم عثمان، ويزعمون أنه قتل مظلوما، والله إن كان إلا ظالما لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله ودفع على ﷺ الرايه إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكان عليه ذلك اليوم درعان، فقال له على ﷺ كهيته المازح : أيا هاشم، أما تخشى على نفسك ان تكون أعور جيانا ! قال : ستعلم يا أمير المؤمنين، والله لالفتن بين جماجم العرب لف رجل ينوى الاخرة. فأخذ رمحا فهزه فانكسر، ثم أخذ آخر فوجده جاسيا فألقاه، ثم دعا برمح لين فشد به اللواء^(٢).

قد أبلغناه محبته

قيل لابي مسلم الخراساني : إن في بعض الكتب المنزلة : من قتل بالسيف فبالسيف يقتل، فقال : القتل أحب إلى من اختلاف الاطباء، والنظر في الماء، ومقاساة الدواء والداء، فذكر ذلك للمنصور بعد قتل أبي مسلم فقال : قد أبلغناه محبته !^(٣).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١٠

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٣٠١

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٣٠٣

فاقرعوا على عائشة

اتفقت الرواة كلها على أنه ﷺ قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض، فقسمه بين أصحابه، وأنهم قالوا له : اقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقا، فقال : لا، فقالوا : فكيف تحل لنا دمائهم وتحرم علينا سييهم ! فقال : كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام ! أما ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الابواب فهو لاهله، ولا نصيب لكم في شيء منه، فلما أكثروا عليه قال : فاقرعوا على عائشة، لادفعها إلى من تصيبه القرعة ! فقالوا : نستغفر الله يا أمير المؤمنين ! ثم انصرفوا^(١).

غير بعيد أن يستهوى من بعدى

أتى عبد الملك بن مروان برجل من الخوارج، فبحثه فرأى منه ما شاء فهما وعلمنا، ثم بحثه فرأى منه ما شاء أدبا وذهنا، فرغب فيه، فاستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه، فرآه مستبصرا محققا، فزاده في الاستدعاء، فقال : تغنيك الأولى عن الثانية، وقد قلت وسمعت، فاسمع أقل، قال : قل، فجعل يبسط من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق، وألفاظ بينة، ومعان قريبة. فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته وفضله : لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة إنما خلقت لهم، وإنى أولى العباد بالجهاد معهم، ثم رجعت إلى ما ثبت الله على من الحججة، وقرر في قلبي من الحق، فقلت له : الدنيا والآخرة، لله وقد سلطنا الله في الدنيا، ومكن لنا فيها، وأراك لست تجيبنا إلى ما نقول، والله لاقتلنك إن لم تطع. فأنا في ذلك، إذ دخل على بابني مروان. قال أبو العباس : وكان مروان أخا يزيد بن عبد الملك لأمه، أمهما) عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وكان أبيا عزيز النفس، فدخل به على أبيه في هذا الوقت باكيا لضرب المؤدب إياه، فشق ذلك على عبد الملك، فأقبل عليه الخارجي وقال : له دعه يبك، فإنه أرحب لشدقه، وأصح لدماغه، وأذهب لصوته، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة، واستدعى عبرتها. فأعجب ذلك من قوله عبد الملك، وقال له متعجبا : أما يشغلك ما أنت فيه ويعرضك عن هذا؟ فقال : ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء، فأمر بحبسه، وصفح عن قتله، وقال

بعد معتذرا إليه : لولا أن تفسد بالفاظك أكثر رعيتي ما حبستك، ثم قال : عبد الملك :
لقد شككني ووهمني حتى مالت بي عصمه الله، وغير بعيد أن يستهوى من بعدى^(١).

أكثر من حامى علي ﷺ وأبو دجانة وسهل بن حنيف

قال ابن ابي الحديد : سألت ابن النجار المحدث فقلت له : قصة أحد تدل على أن المسلمين كانت الدولة لهم بادئ الحال ثم صارت عليهم، وصاح الشيطان : قتل محمد، فانهزم أكثرهم، ثم ثاب أكثر المنهزمين إلى النبي ﷺ، فحاربوا دونه حربا كثيرة طالت مدتها حتى صار آخر النهار، ثم أصدعوا في الجبل معتصمين به، وأصدع رسول الله ﷺ معهم، فتحاجز الفريقان حينئذ، وهذا هو الذي يدل عليه تأمل قصة أحد، إلا أن بعض الروايات التي ذكرها الواقدي يقتضى غير ذلك، نحو روايته في هذا الباب أن رسول الله ﷺ، لما صاح الشيطان : إن محمدا قد قتل، كان ينادى المسلمين فلا يعرجون عليه، وإنما يصعدون في الجبل، وإنه وجه نحو الجبل، فانتهى إليهم وهم أوزاع يتذاكرون بقتل من قتل منهم وهذه الرواية تدل على أنه أصدع ﷺ في الجبل من أول الحرب، حيث صاح الشيطان، وصياع الشيطان كان حال كون خالد بن الوليد بالجبل من وراء المسلمين لما غشيهم وهم مشتغلون بالنهب واختلط الناس، فكيف هذا ! فقال : إن الشيطان صاح : قتل محمد دفعتين : دفعة في أول الحرب، ودفعة في آخر الحرب، لما تصرم النهار وغشيت الكتائب رسول الله ﷺ وقد قتل ناصروه وأكلتهم الحرب، فلم يبق معه إلا نفر يسير لا يبلغون عشرة، وهذه كانت أصعب وأشد من الأولى، وفيها اعتصم، وما اعتصم في صرخة الشيطان الأولى بالجبل، بل ثبت وحامى عنه أصحابه، ولقد لقي في الأولى مشقة عظيمة من ابن قميئة وعتبة بن أبي وقاص وغيرهما، ولكنه لم يفارق عرصة الحرب، وإنما فارقها وعلم أنه لم يبق له وجه مقام في صرخته الثانية. قلت له : فكان القوم مختلطين في الصرخة الثانية حتى يصرخ الشيطان : قتل محمد ! قال : نعم، المشركون قد أحاطوا بالنبي ﷺ وبمن بقي معه من أصحابه، فاختلط المسلمون بهم، وصاروا مغمورين بينهم، لقلتهم بالنسبة إليهم، وظن قوم من المشركين أنهم قد قتلوا النبي ﷺ لانهم فقدوا وجهه وصورته، فنادى الشيطان : قتل محمد، ولم يكن قتل ﷺ،

ولكن اشتبهت صورته عليهم وظنوه غيره، وأكثر من حامى عنه في تلك الحال علي عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف، وحامى هو عن نفسه، وجرح قوما بيده تاره بالسهام، وتارة بالسيف ولكن لم يعلموا بأعيانهم لاختلاط القوم وثوران النقع، وكانت قريش تظنه واحدا من المسلمين ولو عرفوه بعينه في تلك الثورة لكان الامر صعبا جدا، ولكن الله تعالى عصمه منهم بأن أزاغ أبصارهم عنه، فلم يزل هؤلاء الثلاثة يجالدون دونه وهو يقرب من الجبل حتى صار في أعلى الجبل أصعد من فم الشعب إلى تدريج هناك في الجبل ورقي في ذلك التدريج صاعدا حتى صار في أعلى الجبل، وتبعه نفر الثلاثة فلحقوا به. قلت له : فما بال القوم الذين صعدوا الجبل من المشركين، وكيف كان إصعادهم وعودهم ؟ قال : أصعدوا لحرب المسلمين لا لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لانهم ظنوا أنه قد قتل، وهذا هو كان السبب في عودهم من الجبل، لانهم قالوا : قد بلغنا الغرض الاصيلي وقتلنا محمدا، فما لنا والتصميم على الاوس والخزرج وغيرهم من أصحابه، مع ما في ذلك من عظم الخطر بالانفس ! قلت له : فإذا كان هذا قد خطر لهم فلماذا صعدوا في الجبل. قال : يخطر لك خاطر ويدعوك داع إلى بعض الحركات، فإذا شرعت فيها خطر لك خاطر آخر يصرفك عنها، فترجع ولا تتمها ! قلت : نعم فما بالهم لم يقصدوا قصد المدينة وينهبوها ؟ قال : كان فيها عبد الله بن أبي في ثلثمائة مقاتل وفيها خلق كثير من الاوس والخزرج، لم يحضروا الحرب وهم مسلمون، وطوائف آخر من المنافقين لم يخرجوا، وطوائف أخرى من اليهود، أولو بأس وقوة، ولهم بالمدينة عيال وأهل ونساء، وكل هؤلاء كانوا يحامون عن المدينة، ولم تكن قريش تأمن مع ذلك أن يأتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائها بمن يجامعه من أصحابه فيحصلوا بين الاعداء من خلفهم ومن أمامهم فكان الرأي الاصبوب لهم العدول عن المدينة وترك قصدها^(١).

وداود بحق أراقها

عن ابن عباس، قال : تبرم عمر بالخلافة في آخر أيامه، وخاف العجز، وضجر من سياسة الرعية، فكان لا يزال يدعو الله بأن يتوفاه، فقال لكعب الاحبار يوما وانا عنده : إني قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الامر وأظن وفاتي قد دنت، فما تقول في علي ؟

أشر على في رأيك وأذكرني ما تجدونه عندكم، فإنكم تزعمون أن أمرنا هذا مسطور في كتبكم، فقال: أما من طريق الرأي فانه لا يصلح، إنه رجل متين الدين، لا يغضى على عورة ولا يحلم عن زلة ولا يعمل باجتهاد رأيه وليس هذا من سياسة الرعية في شيء وأما ما نجده في كتبنا فنجده لا يلي الأمر ولا ولده، وإن وليه كان هرج شديد، قال: كيف ذلك؟ قال: لانه أراق الدماء، فحرمه الله الملك. إن داود لما أراد أن يبني حيطان بيت المقدس أوحى الله إليه إنك لا تبنيه لانك أرتت الدماء وإنما يبنيه سليمان، فقال عمر: أليس بحق اراقها؟، قال كعب: وداود بحق اراقها يا أمير المؤمنين، قال: فإلى من يفضى الأمر تجدونه عندكم؟ قال: نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه، إلى أعدائه الذين حاربهم وحاربوه، وحاربهم على الدين. فاسترجع عمر مرارا، وقال أتستمع يا بن عباس! أما والله لقد سمعت من رسول الله ما يشابه هذا، سمعته يقول: ليصعدن بنو أمية على منبري، ولقد أريتهم في منامي ينزون عليه نزو القردة^(١) وفيهم أنزل (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن)^(١).

إن وراكبها

من الكلام المشهور في بخل عبد الله بن الزبير الكلام الذي يحكى أن أعرابيا أتاه يستحمله، فقال: قد نقب خف راحلتي فاحملني إنى قطعت الهواجر إليك عليها، فقال له: ارقعها بسبت، واخصفها بهلب، وانجد بها، وسر بها البردين فقال: إنما اتيتك مستحملا، لم آتك مستوصفا، لعن الله ناقة حملتني إليك، قال: إن وراكبها^(٢).

أخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا من الفاظها

اعلم أن هذه الخطبة من اعيان خطبه عليه السلام، ومن ناصع كلامه ونادره، وفيها من صناعة البديع الرائقة المستحسنة البريئة من التكلف ما لا يخفى، وقد أخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا من الفاظها فاودعها خطبه، مثل قوله (شديد كلبها، عال لجبها، ساطع لهبها، متغيظ زفيرها، متاجج سعيرها، بعيد خمودها ذاك وقودها، مخوف وعيدها، عم قرارها، مظلمة اقطارها، حامية قدورها، فظيعة امورها) فان هذه الالفاظ كلها اختطفها، واغار عليها واغتصبها، وسمط بها خطبه، وشذر بها كلامه. ومثل قوله (هول المطلع،

وروعات الفزع، واختلاف الاضلاع، واستكاك الاسماع، وظلمة اللحد، وخيفة الوعد، وغم الضريح، وردم الصفيح) فان هذه الالفاظ أيضاً تمضى في اثناء خطبه، وفي غضون مواعظه^(١).

فيجعله امثال الجبال

قيل في الاخبار والحديث أن الله تعالى يجمع الذهب والفضة كل ماكان منه في الدنيا، فيجعله امثال الجبال، ثم يقول هذا فتنة بنى آدم، ثم يسوقه إلى جهنم فيجعله مكاوى لجباه المجرمين^(٢).

سبب تسمية الخطبة (القاصعة)

يجوز أن تسمى هذه الخطبة (القاصعة) من قولهم قصعت الناقة بجرتها، وهو أن تردّها إلى جوفها، أو تخرجها من جوفها فتملاها، فلما كانت الزواجر والمواعظ في هذه الخطبة مرددة من اولها إلى آخرها، شبهها بالناقة التي تقصع الجرة. ويجوز أن تسمى القاصعة لانها كالقاتلة لابليس واتباعه من اهل العصبية، من قولهم قصعت القملة، إذا هشتها وقتلتها. ويجوز أن تسمى القاصعة لان المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته فيكون من قولهم قصع الماء عطشه، أي اذهبه وسكنه، قال ذو الرمة بيتا في هذا المعنى : فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها وقد تشح فلا رى ولا هيم^(٣).

القول في سنى الاخرة كم هي

فاما القول في سنى الاخرة كم هي فاعلم انه قد ورد في الكتاب العزيز آيات مختلفات : احدهن قوله (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة). والاخرى قوله (يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون). والثالثة قوله (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) واولى ما قيل فيها أن المراد بالاية الاولى مدة عمر الدنيا، وسمى ذلك يوما، وقال إن الملائكة لا تزال تعرج إليه باعمال البشر طول هذه المدة حتى ينقضى التكليف، وينتقل الامر إلى دار اخرى. واما الايتان الاخيرتان فمضمونهما بيان كمية ايام الاخرة، وهو أن كل يوم منها

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٢٠

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١١٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٢٨

مثل ألف سنة من سنى الدنيا. فان قلت فعلى هذا كم تكون مدة عبادة ابليس إذا كانت ستة آلاف سنة من سنى الآخرة قلت يكون ما يرتفع من ضرب احد المضروبين في الآخرة، وهو الفا ألف الف، ثلاث لفظات، الاولى منهم مئاة، ومائة ألف الف لفظتان، وستون ألف الف سنة لفظتان أيضاً من سنى الدنيا ولما رأى امير المؤمنين عليه السلام هذا المبلغ عظيماً جداً علم أن اذهان السامعين لا تحتمله، فلذلك ابهم القول عليهم، وقال (لا يدري امن سنى الدنيا ام من سنى الآخرة). فان قلت فإذا كنتم قد رجحتم قول من يقول إن عمر الدنيا خمسون ألف سنة، فكيف يكون عمرها إن كان الله تعالى اراد خمسين ألف سنة من سنى الآخرة لانه لا يؤمن أن يكون اراد ذلك إذا كانت السنة عنده عبارة عن مدة غير هذه المدة التي قد اصطلح عليها الناس قلت يكون ما يرتفع من ضرب خمسين الفا في ثلثمائة وستين ألف من سنى الدنيا ومبلغ ذلك ثمانية عشر ألف ألف سنة من سنى الدنيا ثلاث لفظات، وهذا القول قريب من القول المحكى عن الهند^(١).

بلاغة بلاغة

واعلم انه عليه السلام لما ذكر الطعن نسبه إلى العيون،
ولما ذكر الحز، وهو الذبح نسبه إلى الحلق،
ولما ذكر الدق، وهو الصدم الشديد اضافة إلى المناخر،
وهذا من صناعة الخطابة التي علمه الله اياها بلا تعليم، وتعلمها الناس كلهم بعده
منه^(٢).

ما بال من اوله نطفة

الذين تكبروا عن حسبهم، أي جهلوا انفسهم ولم يفكروا في اصلهم من النطفة
المستقدرة من الطين الممتن، قال الشاعر :

ما بال من اوله نطفة وجيفة آخره يفسخر
يصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر^(٣)

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٤٣

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٣٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٤٩.

11

الفهرس

٧	اجمال رائع في فضائل امير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
١٦	بدء ظهور الغلاة
١٦	وقدت نارى ودعوت قنبرا
١٧	المغيرة بن شعبة
١٧	زيد بن ثابت و ميله إلى عثمان
١٧	اخلاق الرشيد
١٨	آخر يوم من شوال فلتة
١٨	إن الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم
١٨	لف عرقي بعرفة سيدا الناس جميعا محمد وعلي
١٩	ينظرون اليكم نظر الثور إلى جازره
٢٠	من ارتج عليهم أو حصروا عند الكلام
٢١	المتعاقدين على قتل رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>
٢١	حتى نخوض إليه الباطل خوضا
٢١	وأخذته الالسن من كل جانب
٢٢	تكبيراً منكراً في شوارع الكوفة
٢٢	كنايات في الجماع وقرارات النساء
٢٤	سليمان بن سرد الخزاعي
٢٥	مذهب سقراط في تفسير القيامة وجهنم
٢٥	اراد في مرضه ان يرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقا وحيطة على الاسلام
٢٦	المعروف في غير أهله
٢٦	وعد منه بالامام الغائب الذى يملك الارض
٢٧	ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا
٢٧	حامى الظعن حيا وميتا

- ٢٨ وحولك أكباد تحن إلى القد
- ٢٨ الأقوال في علم الله
- ٢٩ أنا من رسول الله ﷺ كالضوء من الضوء
- ٣٠ خلق القرآن قبل أن يخلق آدم
- ٣٠ شديد عذاب جهنم
- ٣١ إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين
- ٣١ المتخلفين عن بيعة أمير المؤمنين
- ٣٢ كيف أصبحت يا ابنه رسول الله ﷺ وسلم ؟
- ٣٣ عمر والكوفة
- ٣٤ لاجردن فيكم السيف
- ٣٤ الرأي قبل شجاعة الشجعان
- ٣٥ خصوا بتدبير الآخرة
- ٣٥ إن عيسى عليه السلام مر بقربة وإذا أهلها موتى
- ٣٥ أم عمر بن الخطاب
- ٣٦ اكفني هؤلاء
- ٣٦ ما بال القصار من الناس ادهى
- ٣٧ فهلا أجزت عليه أن يطفر !
- ٣٧ في الآباء والآنف من احتمال الضيم
- ٤٣ أثال وابنه في المعركة
- ٤٤ أتبعوا القرع بالقرع
- ٤٥ قصة القصيدة الجلجلية
- ٤٥ إن لله جنودا من غسل
- ٤٦ وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني
- ٤٦ أتهمك وأتهم كاتبى
- ٤٧ فرار هبيرة بن أبى وهب وعبد الله بن الزبير يوم الفتح
- ٤٨ أسارى بدر
- ٤٨ وآس بينهم في اللحظة
- ٤٨ قاعترم بالشدة
- ٤٩ أحر شعر عبد الملك بن مروان

- ٤٩ في حقوق الجار
- ٥١ نحن ضربنا أبا حسن
- ٥١ نكتة لطيفة
- ٥٣ اقوال المشبهة
- ٥٥ النهي عن ذكر عيوب الناس
- ٥٧ لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعانا
- ٥٧ يالهدم، قبح الله أخسنا
- ٥٨ أتدرى ما تقول هذه الشجرات ؟
- ٥٨ المتكلمين لا يتادبون بادب امير المؤمنين عليه السلام
- ٥٨ لنفسه نظر
- ٦٠ بأى شئ كفرتم عثمان ؟
- ٦٠ بين زيد وبين جده امير المؤمنين عليه السلام
- ٦١ تطاطات لهم فركبوك
- ٦١ ما صلاح الملك
- ٦١ والله لو بعدد ثقيف تمرست لاقتعرت شعيراتك
- ٦٢ فيمن استشهد من المسلمين ببدر
- ٦٢ مما يطول تعداده جدا
- ٦٣ وكان في راس على عليه السلام ثلاث ضربات
- ٦٤ إذا سئل الحاجة يشتم السائل
- ٦٦ سلمان الفارسي
- ٦٦ يا جامعا مانعا
- ٦٧ ما باله عفا عن الخارجي وأنكر على الأشعث
- ٦٧ وإنما هو شعر طفح على لساني
- ٦٨ بال العلقمي ورت زنادى
- ٦٩ كرهت لكم أن تكونوا لعانيين شتامين
- ٦٩ ادخل تحت قوائم العرش، لا تظفر بك فاطمة
- ٦٩ من قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم
- ٧٢ كيف ترى الدنيا ؟
- ٧٣ ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القوم

- ٧٣ ليس كل وقت يتهاى لك إرسال الحمام
- ٧٣ كل بيت يوازي حرب كاملة
- ٧٤ زيد بن علي
- ٧٦ نصر بن حجاج
- ٧٧ أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم
- ٧٧ غيرة عائشة
- ٧٨ يا بن الخطاب فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة
- ٧٩ وما اعلم ما اقول في هذا المقام
- ٨٠ مجرى الارواح في الاجسام
- ٨٠ لله أبوك يا بن عبد الله ا لقد كنت على الهمة
- ٨٠ فاشتره معاوية من اوليائه بعشرة آلاف درهم
- ٨١ قطع اذن عمار
- ٨١ عصبية التوحيدي
- ٨٢ مقدمتي تأتي من ورائي !
- ٨٢ اللجاج
- ٨٣ من أشرف أفعال الكريم غفلة عما يعلم
- ٨٣ تعس فلا انتعش
- ٨٣ القول في الحظ
- ٨٤ مثل من شجاعه على
- ٨٥ شبت بن الربيعي في صفين
- ٨٧ مذاهب المعتزلة في تفضيل امير المؤمنين عليه السلام
- ٨٨ نساء المشركين باحد
- ٨٩ التراويح بدعة
- ٩٠ الاصبغ من ذخائر علي عليه السلام ممن قد بايعه على الموت
- ٩٠ ولكن سعدا لم يبايع أبا بكر
- ٩١ اعرابي يسأل
- ٩١ ترتيب عسكر علي عليه السلام
- ٩٣ اطعموني ماء
- ٩٤ زوجت يوم أحد عشرة من أصحاب محمد الحور العين

- ٩٥ بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله تعالى
- ٩٥ ما اجتمعنا على شراب بعد ذلك اليوم
- ٩٦ اشهدوا
- ٩٧ خطبة الاسكندر في جنده
- ٩٧ ما قاتل عليا أحد إلا وعلى أولى بالحق منه
- ٩٧ قصر الخبال، لا تنزلوا فيه
- ٩٧ انا املك الاجساد لا النيات
- ٩٨ لم يصب الكوفة منه اكثر من ثلاث
- ٩٨ عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح
- ٩٨ حقد العرب الطويل على امير المؤمنين عليه السلام
- ٩٩ سيد أهل الالباء
- ١٠٠ كلام النقيب في المفاضلة بين علي وجعفر
- ١٠٣ يكتبون أحسن ما يسمعون
- ١٠٣ ذره في بقعة الامكان ما لم يذده قائم البرهان
- ١٠٣ والكاظمين الغيظ
- ١٠٤ بخل الاصمعي
- ١٠٤ القرين بالمقارن يقتدى
- ١٠٤ خرافات صاحب الزنج
- ١٠٤ لعبد القيس ست خصال فاقت بها علي العرب
- ١٠٥ نعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٠٥ أصبحت هزءاً لراعي الضأن أتبعه
- ١٠٦ يحشران يوم القيامة وإمامهما ضب
- ١٠٦ عند إحدى رجله خمر
- ١٠٧ حتى شهد مقتل الحسين
- ١٠٧ شاغراً برجليه، كاشفاً عورته
- ١٠٨ إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة غدورها
- ١٠٨ عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد
- ١٠٩ رأى ابن ابي الحديد في كتاب نهج البلاغة
- ١١٠ اجتماع أربعة حكماء

- ١١٠ أنتم المقربون
- ١١٠ نسب فاطمه بنت اسد
- ١١١ إننا أهل بيت لا نطلع على أحوالنا قابلة غريبة
- ١١٣ وتشر حواجبهم بعمد الحديد
- ١١٣ أذيعوه أنتم عنى أيضاً ما بدا لكم
- ١١٤ وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه
- ١١٥ الولد للقراش وللعاقر الحجر
- ١١٥ هذا رجل قد أخذت عليه العهود ألا يكلمكم
- ١١٦ وجلدة بين العين والانف سالم
- ١١٦ بنو جمح
- ١١٧ ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد
- ١١٨ فخر طويل لك يا ربعة
- ١١٩ أول من بايع أبا بكر ونقض دعوة سعد
- ١٢١ في الجوع وتقليل الطعام
- ١٢١ امثال مخترعة له لم يسبق بها
- ١٢٢ ما زال ابن الجزار عدوا لنا أهل البيت
- ١٢٢ اخذ هذا المعنى أبو العلاء المعرى
- ١٢٣ قرأت هذه الخطبة اكثر من ألف مرة
- ١٢٤ قلم اصاب من الدواة مدادها
- ١٢٥ من شعر الشريف الرضي
- ١٢٧ ما أحسن منظر رأيت في هذه الحرب؟
- ١٢٧ كذبتم وبيت الله نخلى محمداً
- ١٢٨ فما كنا فاعلين لا أم لك ا
- ١٢٨ اخفاء قبر امير المؤمنين عليه السلام
- ١٢٩ ولم نسّم نحن بعلى ولا بحسن ولا بحسين
- ١٢٩ رأى ابن ابي الحديد في أمور وقعت من عمر
- ١٣١ حكاية أبي حية النميري
- ١٣١ عمر الدنيا
- ١٣٣ كلها بقي غير عتقها

- ١٣٣ سياسة علي
- ١٣٤ قد يوافي بالمنيات السحر
- ١٣٤ إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه
- ١٣٥ لم يبغض الجاهل العالم
- ١٣٥ سكرات خمس
- ١٣٦ حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك
- ١٣٦ سيقتل نفسه بجرائمه
- ١٣٦ لو أقراته القرآن فهو خير له
- ١٣٧ يخرج من ثقيف كذاب ومبير
- ١٣٧ علمهما الفقه
- ١٣٧ اشعار في وصف القبور والموتى
- ١٣٩ مدينة قد ملكها سبعة املاك من بيت واحد وبادو
- ١٣٩ لنفسه نظر
- ١٤١ الأقوال في علم الله
- ١٤٢ لكنى لا ارجو ولا والله من المائة اثنين
- ١٤٣ إنا أهل البيت لا نفر
- ١٤٣ فما عسى أن أقول في حسبه ! وأما بأسه فهو الشجاع المطرق
- ١٤٤ أوصيك بما أوصى به البكري زيدا
- ١٤٥ سمى المرقال
- ١٤٥ ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله
- ١٤٦ بلغني أيها الملك أن الاسد يردّها فخفته
- ١٤٦ إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها
- ١٤٧ خذ إليك أبا الاملاك، قد سميته عليا
- ١٤٨ إنا لا نأخذ لقرى الاضياف ثمنا
- ١٤٩ إنه خرج وهو جنب
- ١٥٠ قصة غزوة الخندق
- ١٥١ يا أعمى القلب يا أعمى البصر
- ١٥٢ خيار خصال النساء شرار خصال الرجال
- ١٥٢ كلام تنسبه العرب إلى الضب

- ١٥٢ دعني من التأويلات الباردة
- ١٥٣ أطوع الناس في قومه
- ١٥٣ العرب تضرب بالجمل المثل في الهوان
- ١٥٤ الدهر يومان : يوم لك، ويوم عليك
- ١٥٥ احلام معاوية
- ١٥٥ شعر لأبي الاسود
- ١٥٦ قيمة ذلك أجمع ثمانية آلاف ألف دينار
- ١٥٦ بق دخن عليه فطار !
- ١٥٨ شهدت مع مروان بن محمد أربعة عساكر كلها انهزمت
- ١٥٨ الفقر يخرس الفطن
- ١٥٩ المقل غريب في بلدته
- ١٥٩ لم حفظت الفلاسفة المال مع حكمتها
- ١٥٩ طريقة
- ١٥٩ وأكل الحديد منهم من أكل
- ١٦٠ هشام بن الحكم و التشبيه
- ١٦٠ أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة
- ١٦٣ قد ترافقوا في الجنة جميعا، بعلك و ابنك، و أخوك
- ١٦٥ أما ترون إلى السواد قد اتصل بالسواد
- ١٦٦ من أي يومى من الموت أفر
- ١٦٧ عفاق الافاق
- ١٦٨ الملائكة وأقسامهم عند المعتزلة
- ١٦٩ الدواب اهم شىء عنده
- ١٧٠ سوى عمرو وقته خصيتاه
- ١٧١ فما هذه العلاوة ؟
- ١٧٢ ادخل تحت قوائم العرش، لا تظفر بك فاطمة
- ١٧٢ أول قتيل من المسلمين يوم أحد
- ١٧٤ كلام للجاحظ في سياسة علي ومعاوية
- ١٧٦ قصة صالح وثمود
- ١٧٧ مرضه النبي ﷺ كان ذات الجنب

- ١٧٧ لا ابد من أن يموت أحدنا
- ١٧٨ رأيتني واختا لي نرعى على ابويننا ناضحا لنا
- ١٧٨ ما منعك أن تنهاني عن مسيري
- ١٧٩ ألا تكنيني
- ١٧٩ يتعصب لا بليس
- ١٧٩ وكنت وليلى في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وزلت
- ١٨٠ اقوال المشبهة
- ١٨٣ إن أسير أهل القبلة لا يقتل
- ١٨٤ قسمة الفياء
- ١٨٤ الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم
- ١٨٥ أحضر لي خيوطا من ربح
- ١٨٥ هل يجوز أن يؤكل الجنى لو ظفر به
- ١٨٥ ذلك نكاح ما شهدناه
- ١٨٥ ابن أخت خالتك
- ١٨٥ إنما آكله عن جانب العين الصحيحة
- ١٨٥ إنه كان يقاتل عن ترة له وعليه
- ١٨٦ في الالباء والانف من احتمال الضيم
- ١٩٢ الحرقه بنت النعمان بن المنذر
- ١٩٢ ثمامة نابتة على قبر معاوية
- ١٩٢ انما انت لعبة نلعب بك وتفركين
- ١٩٢ إنما عنيت عتبه
- ١٩٣ اظهروا النسك
- ١٩٣ شيخ من بني نهشل بن دارم الجبان
- ١٩٤ أتكفر برب كان يؤمن به عثمان
- ١٩٥ فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائه
- ١٩٥ وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة
- ١٩٦ رواه مشايخ الشيعة قبل أن يوجد جد أبي العيناء
- ١٩٦ غريب
- ١٩٦ أديان العرب في الجاهلية

- ١٩٧ يا عمرو إلا تدع شئني ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني
- ١٩٨ من فوق عرش جالس قد حط رجليه إلى كرسيه المنصوب
- ١٩٨ الامامية و الرجعة
- ١٩٩ ما قبل في قريش وعبد مناف
- ٢٠٠ لو قتل النهدي يومئذ لقتل شهيدا
- ٢٠٢ ارجع إلى عملك
- ٢٠٢ ليت الراوى لم يكن هذه الكناية، وكان يذكرها بإسمهما
- ٢٠٢ عددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر
- ٢٠٣ المغيرة بن سعيد المغالي
- ٢٠٣ اثار صاحب الزنج في البصرة
- ٢٠٤ شبهة قبر المغيرة
- ٢٠٨ أفناكح في النار خير أم منكوح
- ٢٠٨ البصرة بلدة ما رأيت لك بها محبا
- ٢٠٨ ما ظننت أن الله ينفع أحدا بشعر عمر بن أبي ربيعة
- ٢٠٩ قبح الله من لا أدب
- ٢٠٩ أن عليا عليه السلام ما فرقى زحف قط
- ٢١٠ إنه ليس خلفي مدد
- ٢١٠ أمر المهاجرين والانصار بعد بيعة أبي بكر
- ٢١١ من شعر الحماسة
- ٢١١ كتابا حمل على جمل لعظمه وكثرته
- ٢١٢ عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص في الحبشة
- ٢١٤ عبد الله بن العباس ورجالات قريش في مجلس معاوية
- ٢١٨ جزى الله خيرا عصابة أسلمية
- ٢٢٠ فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
- ٢٢١ خذ اللواء، فغلام لغلام
- ٢٢٣ تبين لك الود في صدر أخيك
- ٢٢٣ من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه
- ٢٢٤ تزوير رسالتين من ابي بكر وعمر
- ٢٢٤ الى امير المؤمنين عليه السلام

- ٢٣٣ سنتتم علينا القتل لا تنكرونه فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر
- ٢٣٤ وهلك من هلك
- ٢٣٤ ترضن ابن خطاب على بجمه
- ٢٣٤ خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع
- ٢٣٥ تلك الدماء معا يا رب في عنقي
- ٢٣٦ وبصق في الكتاب فمجاه وخرقه
- ٢٣٦ ادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه
- ٢٣٦ ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة
- ٢٣٧ هذا عبد سقط من عين الله
- ٢٣٧ اربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض على
- ٢٣٧ كفر بالله كفره أصلح
- ٢٣٨ أنت جاهل بإجماع الناس، والناس جهال بقولك وحدك
- ٢٣٨ ما ورد في وصاية على من الشعر
- ٢٤٣ لاجائتك غدا بين يدي الله عز وجل
- ٢٤٤ بق دخن عليه فطار !
- ٢٤٦ وكانت امرأة ثقيلة
- ٢٤٦ كان المنصور يسمى عبد الله بن الحسن بن الحسن أبا قحافة
- ٢٤٦ المرأة شر كلها
- ٢٤٧ يعرفون بالتجسس
- ٢٤٧ داران مهدومتان ودارك ثالثة
- ٢٤٨ وإن الالى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا
- ٢٤٨ فعلمت أن الله تعالى لم يستحب له
- ٢٤٨ سال الدم بالمطر حتى دخل بيت عاتكة
- ٢٤٩ ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
- ٢٥٠ اختلفت دواعيه في ساعة واحدة أربع مرات
- ٢٥٠ ما أسرع، ما أديل ليحيى من ابن مصعب
- ٢٥٢ من حكمة أفلاطون
- ٢٥٢ إذا كان أمير المؤمنين الشاهد
- ٢٥٢ عينك مستور ما اسعدك جدك

- ٢٥٣ كائت في شغل بنفسها
- ٢٥٣ الفراسة في الصبيان
- ٢٥٤ فتصدق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين
- ٢٥٤ ما احسن سوار ابتكم هذه ؟
- ٢٥٥ إذا طمع في جيفة نشب في الاحبولة
- ٢٥٥ لما نطق موسى بذكر الطمع
- ٢٥٥ بعيني ما يتحمل المتحملون من اجلى
- ٢٥٥ ابن مسعود وعثمان
- ٢٥٦ لا ألفينك بعد الموت تندبنى وفي حياتي ما زودتني زادي
- ٢٥٧ عزم قوى في المراقبة
- ٢٥٧ نظر السلطان إلى شئ لا يكون الا عن قصد
- ٢٥٧ فما يصلح إلا لذلك العمل
- ٢٥٨ الان وثقت بعفوك
- ٢٥٩ لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة
- ٢٥٩ إن المنية لو تمثل مثلت مثلى
- ٢٥٩ كثير الحطب يكفية قليل النار
- ٢٦٠ أشنق بمعنى (شنق)
- ٢٦٠ فلا تفسده بجهل عامة لا خلاق لهم
- ٢٦١ جنكز خان وقتنه التتر
- ٢٧٦ نفي ابي ذر إلى الربذة
- ٢٧٨ ثم أمر بها فقطعت
- ٢٧٨ لا تمسك النار أبدا
- ٢٧٨ أخبرت الامير أنك أعمى
- ٢٧٩ من شعر الشريف الرضي
- ٢٨١ ما أحسن منظر رأيت في هذه الحرب ؟
- ٢٨١ كذبتم وبيت الله نخلى محمدا
- ٢٨٢ عبد الله بن سبا
- ٢٨٢ الهرمزان يخدع عمر
- ٢٨٣ نزول على بكر بلاء

- ٢٨٤ انها لصائره إليك بعد ايام
- ٢٨٧ عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص في مجلس معاوية
- ٢٨٨ كنايات العرب
- ٢٩٠ جعلتني منافقا !
- ٢٩٠ في الرضا
- ٢٩١ عبدا لله لا عبدا للحية
- ٢٩١ درجات حركات العارفين
- ٢٩٢ هناك قارعت أمك الهبل
- ٢٩٢ التهي عن سماع السعاية
- ٢٩٣ هل هو إلا خطيئة من خطاياك
- ٢٩٤ فلم يصل أحد إلا تكبيرا عند مواقيت الصلاة
- ٢٩٤ ولا يكونن المحسن والمسئ عندك بمنزلة سواء
- ٢٩٥ الانسان مدنى بالطبع
- ٢٩٥ السيد الحميري ودولة بني العباس
- ٢٩٦ رساله الاسكندر إى أرسطو ورد أرسطو عليه
- ٢٩٨ فما كنا فاعلين لا أم لك !
- ٢٩٨ حديث عن امرئ القيس
- ٣٠٠ ووليهم وال فأقام واستقام
- ٣٠١ التفضيل بين الصحابة
- ٣٠١ لو ثبت لاخبرتك أنك من زمعات قريش
- ٣٠٢ فألقى الناس أنفسهم في الماء
- ٣٠٣ أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى
- ٣٠٣ الشيطان أذب
- ٣٠٤ كذب ابن قمئة
- ٣٠٤ مثل كتاب محمد
- ٣٠٤ إن أباه كان المخدوع يوم دومة الجندل لا أبى
- ٣٠٥ نسب العمالقة
- ٣٠٥ من كلام المسيح ﷺ في الانجيل
- ٣٠٥ فسيرني حيث سيرت ابن عمى نصر ابن حجاج

- ٣٠٦ أن علياً ﷺ ما فرقى زحف قط
- ٣٠٦ إنه ليس خلفي مدد
- ٣٠٧ من شعر الحماسة
- ٣٠٧ لا خير في أعور لا يأتي الفزع
- ٣٠٨ كتاباً حمل على جمل لعظمه وكثرته
- ٣٠٨ حيث كانت اليهود تدفن موتاهم
- ٣١٢ وما عليك يا بن الخطاب الا تدرى ما الاب !
- ٣١٢ اثاث رسول الله ﷺ
- ٣١٢ حتى يكون العفو هو الذي يصلحك
- ٣١٢ في القضاة وما يلزمهم
- ٣١٣ وسيموت غدا فنكحهن
- ٣١٣ رسالة إلى معاوية
- ٣١٣ رجز عمار في صفيين
- ٣١٤ شبهات الغلاة
- ٣١٤ عظيم أمه أم هانئ
- ٣١٧ زيد بن علي
- ٣١٨ مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب
- ٣٢١ لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام
- ٣٢١ دق الله بينكما عطر منشم
- ٣٢٢ فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتنقل إليهما
- ٣٢٢ رمي سعد
- ٣٢٣ لا خير في لذة من بعدها سقر
- ٣٢٥ منعه من جوابي هواني عنده !
- ٣٢٥ كفتيك التقوالة
- ٣٢٥ إن المشير أشار بما تقتضيه السياسة
- ٣٢٦ وورثكم حلمه الاحوص
- ٣٢٦ حلية الرجل أوداؤه
- ٣٢٨ ما كنت اظن الناس يركبون الشيطان
- ٣٢٨ بل يثسوا وانصرفوا

- ٣٣٨ خلاصة السقيفة
- ٣٣٩ فذاك الموت نقدا غير دين
- ٣٣٩ نتف من أخبار عثمان بن عفان
- ٣٣٢ أى الزواني أفره؟ أ زواني رامهرمز، أم زواني أرجان؟
- ٣٣٢ اكتب لكم ما لا تظنون بعدي
- ٣٣٢ أم الخطاب زنجيه وتعرف بباطحلى
- ٣٣٤ حديث اللدود
- ٣٣٤ اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص
- ٣٣٥ أنا الزاد
- ٣٣٥ الحمد لله بكل ما حمده أدنى ملائكته إليه
- ٣٣٦ ما قيل في الشكر
- ٣٣٨ من الادعية المأثورة عن عيسى عليه السلام
- ٣٣٨ ام مسلم بن عقيل
- ٣٣٩ قال قولا مخلصا ليغفرن له
- ٣٣٩ حول الشقشقية
- ٣٤٠ فرفع عنهم العذاب
- ٣٤٠ لم يوجس موسى
- ٣٤٠ لعن الله يوما كنت فيه واليا لابن الخطاب
- ٣٤١ قصيدة أبي القاسم المغربي وتعصبه للانصار على قريش
- ٣٤٤ امير المؤمنين والمزاح
- ٣٤٤ حسن الخلق ومدحه
- ٣٤٦ والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبي
- ٣٤٦ اقتباسات من كلام امير المؤمنين عليه السلام
- ٣٤٨ لا يستكمل الانسان حد الانسانية إلا بالموت
- ٣٤٩ يا بن اللعين الابتر
- ٣٤٩ ثقيف الملعونة
- ٣٥٠ أحبكما إلى الطلق البسام،
- ٣٥٠ اخرج أبعد الله نواك
- ٣٥١ نسب ثقيف، وطرف من أخبارهم

- ٣٥٢ ولكن أردت أن تتشرف بي في محافل العرب
- ٣٥٣ يزعمون أنا من بقايا ثمود
- ٣٥٣ اتقنى فإنى سريع الخطفة للاحمق المتهور
- ٣٥٣ كم قد أهمل جامعا الصحاح من الاخبار الصحيحة
- ٣٥٤ أحمل رأسا قد سئمت حمله
- ٣٥٤ أ لا فتى يحمل عنى ثقله
- ٣٥٤ ما كل مفتون يعاتب
- ٣٥٥ تذلل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير
- ٣٥٦ فاخذ يده فعضها حتى صاح
- ٣٥٦ ليقطعوا بذلك ناحية على بن أبى طالب
- ٣٥٨ عندي في هذه الواقعة كلام
- ٣٥٨ إن المنية لو تمثل مثلت مثلى
- ٣٥٩ نزول علي إلى الرقة
- ٣٦٤ يا فسقة، قد والله علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن
- ٣٦٤ بطش الحجاج
- ٣٦٥ أقول لعبد الله يوم لقيته أرى الامر أمسى منصبا متشعبا
- ٣٦٥ لا رى عجاجة لا يطفئها إلا الدم
- ٣٦٦ إن الناس ليغروننا عن ديننا
- ٣٦٦ فبكى أهلك لجزعك
- ٣٦٦ قول المعتزلة في البغاة على امير المؤمنين عليه السلام
- ٣٦٧ عن عبد الرحمن بن عوف هو عاقد الامر لعثمان
- ٣٦٧ أنا إلى الامس أغسل سواتك
- ٣٦٨ أربعة تحتاج إلى أربعة
- ٣٦٩ فلتات عمر
- ٣٦٩ أطفأ لهيب المنافسة
- ٣٧٠ عبيدهم خيرا منهم
- ٣٧٠ خير بشر في الارض زمزم
- ٣٧٠ لا تنكحن واحده فتحيض إذا حاضت
- ٣٧١ إن الله أنطقه بما تورع عن ذكره

- ٣٧١ أرجعوا إلى الاسلام
- ٣٧٢ كل الناس افقه من عمر
- ٣٧٢ لا تقل له يا امير المؤمنين ولكن قل له يا أبا الحسن
- ٣٧٣ من نحر في بدر
- ٣٧٣ مما قيل من الشعر في التحريض على قتل بنى أمية
- ٣٧٥ أخبار متفرقة في انتقال الملك من بنى أمية إلى بنى العباس
- ٣٧٧ لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم جمعا ترويني
- ٣٧٩ فرار حويطب بن عبد العزى يوم الفتح
- ٣٨٠ فيزهد على في الامر ويتركه
- ٣٨٠ ما أسلموا ولكنهم استسلموا
- ٣٨٠ هدم على دارنا مرتين
- ٣٨٠ ابن هبيرة المخزومي لم يستطع الكلام
- ٣٨١ إن من البيان لسحرا
- ٣٨١ كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم
- ٣٨٢ ندم قوم كثير من الانصار على بيعته ابي بكر
- ٣٨٤ بايهما ابدا بالدور ام بالنخل
- ٣٨٥ المتنبى
- ٣٨٥ فأعلمنا كم فيه من أسطوانة ؟
- ٣٨٦ حجة على المنجمين
- ٣٨٦ عائشة وعثمان
- ٣٨٨ أنا منك أشد ضحكا
- ٣٨٨ مزاح رسول الله ﷺ
- ٣٨٩ اقتراءات ابن ابي الحديد على ام سلمة
- ٣٨٩ بني زهرة في يوم احد
- ٣٩٠ إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر
- ٣٩٠ الشجاعة واليخل
- ٣٩٠ الهمامة المضطربة
- ٣٩١ خلق الارض في التوراة
- ٣٩١ التزيير اراد اغتيال امير المؤمنين ﷺ

- ٣٩١ امام اخطا وامراة اصابت
- ٣٩١ فرار عكرمة بن أبى جهل إلى اليمن يوم الفتح
- ٣٩٣ العاقل الحازم
- ٣٩٣ ان قيس طوالا أطول الناس
- ٣٩٣ فلعلك شربته ؟
- ٣٩٤ ما قيل في التسي عند فقدان الاحبة
- ٣٩٥ لو جئتمونا بدماعه في سبعين صرة، لعلمنا أنه لم يمت
- ٣٩٥ وسعوها في قريش تسع
- ٣٩٥ مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه
- ٣٩٦ إن الشيطان يرانا ولا نراه
- ٣٩٧ ميسة بنت سخام الثقفية
- ٣٩٧ نوادر نعيمان
- ٣٩٨ الربيع بن زياد وليس العلاء بن زياد
- ٤٠٠ إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار
- ٤٠٠ من شهد بدرا من المسلمين
- ٤٠٠ اختلاف الاقوال في خلق البشر
- ٤٠٢ ثلاثة بواحدة
- ٤٠٣ كل هذا لعب
- ٤٠٣ كان عبد الله بن الزبير شديد البخل
- ٤٠٤ خمس إفريقية
- ٤٠٤ فرار صفوان بن أمية يوم الفتح
- ٤٠٦ اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون
- ٤٠٨ يشت من أن يأخذ لى بحقى منه
- ٤٠٨ لا تمضى الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم
- ٤٠٩ كان يحمى الشرف لابله وكانت ألف بعير
- ٤٠٩ ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك
- ٤١٠ ما لقينا من ظلم قريش ايانا وتظاهروهم علينا
- ٤١٠ نبش قبر أم محمد
- ٤١١ ابن مسعود وعثمان

- ٤١١ لا ألفينك بعد الموت تندبنى وفي حياتي ما زودتني زادي
- ٤١٢ من يذهب إلى تصويب إبليس
- ٤١٣ شطحات
- ٤١٣ فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه
- ٤١٥ من اللائي لم يحججن ييغين حسبة
- ٤١٥ كتاب في اللزوم
- ٤١٥ حملوها يوم السقيفة أوزارا
- ٤١٦ عمر لا يعلم ان رسول الله يموت
- ٤١٦ رافضي عن كلاله
- ٤١٦ زعموها فلتة فاجئة
- ٤١٧ اكفف من غربك، واربع على ظلمك
- ٤١٨ لا ولكنها معقبة لك خزيا
- ٤١٨ سيرة عمر مزرارة على الولاية مفسدة للرعية
- ٤١٩ وضع الاحاديث في فضائل عثمان والشيخين
- ٤٢٠ أتهمك وأتهم كاتبى
- ٤٢١ مصادر الغلاة في غلوهم
- ٤٢٢ أضر على الفجار من حريق النار
- ٤٢٤ من الشعر الذى ارتجزت به هند بنت عتبة يوم أحد
- ٤٢٥ كلا لست من قتلة الملوك
- ٤٢٦ أتكفر برب كان يؤمن به عثمان
- ٤٢٦ ما في عثمان بحمد الله أشك، لكنى أشك في قاتله
- ٤٢٧ أما إن ولى أمرهم حملهم على المحجة البيضاء
- ٤٢٧ خطبة للامام على خالية من حرف الالف
- ٤٢٩ أرفع طرفك، فقد أдал الله عمرا منك
- ٤٣٢ والله ليكونن ما قال
- ٤٣٢ انا لا اصدق ذلك، ولا يسكن قلبى إليه
- ٤٣٣ بشر الكائنين بعذاب أليم
- ٤٣٣ في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها
- ٤٣٤ أعور. يبنى أهله محلا

- ٤٣٤ وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم
- ٤٣٦ لى عليك وعلى كل المسلمين حقا برسول الله ﷺ
- ٤٣٧ أعمى البصر، أعمى القلب
- ٤٣٨ صفية بنت عبد المطلب تقف على ولدها
- ٤٣٨ هل تستطيع أن تزاحمه في غيره من خصائصه
- ٤٣٩ أول ذل دخل على العرب
- ٤٣٩ واخترت الذى هو أفضل
- ٤٣٩ وسبقني وإياك إلى الجنة
- ٤٤٠ فلو كنت بمكة لاريتك كبر أبيك
- ٤٤٠ لو كنت في فم أسد لدخلت معك
- ٤٤٠ فغطوا على صماخه
- ٤٤١ فرجعت نادمة ساقطة
- ٤٤١ علي يقتل الحويرث بن معبد
- ٤٤٢ تلقى من يحج من النساء
- ٤٤٢ جد الاصمعي يتقرب بيغض امير المؤمنين
- ٤٤٢ فعجب على ﷺ من شعره واستحسنه
- ٤٤٣ اقاموا لكل قائم مانلا
- ٤٤٣ انى رجل ضخم، فلا يهولنكم مسقطي إذا سقطت
- ٤٤٤ وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص
- ٤٤٥ نسب ال الزبير
- ٤٤٥ درة عمر أهيب من سيف الحجاج
- ٤٤٦ كم بين من شك في عقيدته
- ٤٤٧ ما الشئ الملفف في البجاد؟
- ٤٤٧ فدع له ما في يده
- ٤٤٨ ما كان يحكم إلا عن نص وتوفيق
- ٤٤٨ أفتع بعيشك
- ٤٤٩ أربعة تحتاج إلى أربعة
- ٤٤٩ العاقل الحازم
- ٤٤٩ فليعلك شربته؟

- ٤٤٩ خرج إلى الحجاج ابنه : خبيب وحمزة
- ٤٤٩ كلام الجاحظ في ان الناس لا تخلوا من العيوب
- ٤٥٠ محمد بن ابن بكر وذو كر ولده
- ٤٥١ ولم نزد نحن في سر وفي علق على مقاتنا الله يكفيننا
- ٤٥٢ حب رمان عملنا في خراجه بالعدل
- ٤٥٢ خير خلق الله بعد المصطفى
- ٤٥٢ مضر مضرها الله في النار
- ٤٥٢ واكتحلت ابصارهم بالتراب
- ٤٥٤ كان عمر يفتي كثيرا بالحكم ثم ينقضه
- ٤٥٤ كان يحمى الشرف لابله وكانت ألف بعير
- ٤٥٤ فهل فتحت الموضوع المقفلا
- ٤٥٥ حتى سمعنا صوت المساحي
- ٤٥٦ هبار بن الاسود
- ٤٥٦ إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
- ٤٥٧ لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم
- ٤٥٨ خلهم يعملون
- ٤٥٩ إذا كان الامراء بنى أمية والوزراء بنى مخزوم
- ٤٥٩ هات فلندع على من ظلمنا
- ٤٥٩ الحجاج في البصرة
- ٤٦٠ لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة تفرق منها بطن كل عريف
- ٤٦٠ ضرب الحكماء مثالا لفرط الطمع
- ٤٦١ فما انتفع بنفسه مدة
- ٤٦١ هي المقادير تجرى في أعتها
- ٤٦٢ شتان بين على وسعد
- ٤٦٣ هلكت العرب ا
- ٤٦٣ بأي شئ كفرتم عثمان ؟
- ٤٦٤ وأصبح أقوام يقولون ما اشتها
- ٤٦٤ اكفف من غربك، واربع على ظلعك
- ٤٦٥ كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه

- ٤٦٧ ثمان مسائل من مسائل التوحيد
- ٤٦٨ ذم الكذب وحقارة الكذابين
- ٤٦٩ ما وقفت موقفا قط أغيظ إلي من هذا الموقف
- ٤٦٩ ما في عثمان بحمد الله أشك، لكنى أشك في قاتله
- ٤٦٩ من الشعر الجيد في النهوض والحرب
- ٤٧١ لا ونعمى عين بل للناس عامة
- ٤٧١ بشر الكانزين بعذاب أليم
- ٤٧٢ أصبتم الخبرة وأخطأتم المعدن
- ٤٧٢ أتراشونني عن ديني
- ٤٧٢ والله ما ندرى أنت أمير أم عمر
- ٤٧٣ والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبي
- ٤٧٣ قيتان يغنيان بهجاء النبي
- ٤٧٤ كذب المغيرة
- ٤٧٥ إذا ذات دل كلمته لحاجه
- ٤٧٥ حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله
- ٤٧٦ كلا لست من قتلة الملوك
- ٤٧٦ إمام أخطأ وامرأة أصابت
- ٤٧٦ يخبرنا ابن كبشة أن سنحيا
- ٤٧٧ ودسوا في فيه التراب
- ٤٧٨ هذا الذي كنت وعدتكم به
- ٤٧٨ حتى كأنك ضربك أحد المشركين
- ٤٧٩ سبب اختلاف الخوارج
- ٤٨١ ما شممت اطيب من ريحه
- ٤٨١ شعر صوفي
- ٤٨٢ الكلاب عندنا بالمدينة هذا شأنها
- ٤٨٢ مغنية نواحه بمكة
- ٤٨٢ قد كان بعدك أنباء وهيمنة
- ٤٨٢ ولكن له أهيل سوء
- ٤٨٣ إن للزوج من المرأة مكانا ما هو لاحد

- ٤٨٣ في ذكر أمور غيبية، أخبر بها الامام ثم تحققت
- ٤٨٥ إن عامة من معى اليوم يعصيني،
- ٤٨٧ ولد مالك بن نويرة
- ٤٨٨ والله لئن ظفرت بك يوما من الدهر لاضربن عنقك
- ٤٨٨ رزية يوم الخميس
- ٤٨٩ ما بنى هذا الدير إلا بذلك الماء
- ٤٩١ الدين الذى لم يقضه داود، قضاه أبو جعفر المنصور
- ٤٩١ من اشعار ابن أبي الحديد في المناجاة
- ٤٩٤ عجائب خلق النملة
- ٤٩٥ قم وغيب عنى وجهك
- ٤٩٥ لو لا أن أهلك أخرجوني ما خرجت
- ٤٩٦ قاتله وسالبه في النار
- ٤٩٦ كويشة بن عمر
- ٤٩٦ فلم يهو رسول الله ما قاله عمر
- ٤٩٧ ما غنم يوم احد
- ٤٩٧ فإن الله قتله وأنا معه
- ٤٩٧ أصيبت يومئذ عين قتادة حتى رقت على وجنته
- ٤٩٨ وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم
- ٤٩٩ ميسة بنت سخام الثقفية
- ٤٩٩ وكان فظا يتعبنى إذا عملت، ويضربني إذا قصرت
- ٥٠٠ حصار على ذرة وقد وجدت ما تشتهي
- ٥٠٠ إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق
- ٥٠١ لتقاتلن قتالا أهونه الشديد
- ٥٠٢ على لا يرضى بالعراق دون الشام
- ٥٠٢ كل الناس أفقه من عمر ا
- ٥٠٢ قصة ابي ذر الغفاري وعثمان
- ٥٠٣ وأنتك لهند ا
- ٥٠٤ اعتراه نسيان حتى كان ينسى عدد ركعات الصلاة
- ٥٠٤ لو أن ثوبك في تنور أهلك لكان خيرا لك

- ٥٠٤ لحقا بالدرهم
- ٥٠٤ نحن أبصر بالتمر منا بالسيوف
- ٥٠٥ أن القوم مصنوع لهم
- ٥٠٥ إذا كان يصيد القطا
- ٥٠٦ فهل أكرهوك على أخذ الاجر
- ٥٠٦ وإن حفروا بثرى حفرت بثارهم
- ٥٠٧ اتبعه مباله وخلاك ذم
- ٥٠٧ أو ما هو خير من الحق ؟
- ٥٠٧ وأخرجه من الشام كي لا يفسد علينا الناس
- ٥٠٧ إنه وإن هملج إلى الباطل
- ٥٠٧ كنتني بحضرة خصمي
- ٥٠٨ كتم حب الدنيا أربعين سنة
- ٥٠٨ نوح بن دراج
- ٥٠٨ وقع السابح في البحر كم عسى أن يسبح !
- ٥٠٩ خذ أموال الاغنياء أسهل من أخذ أموال الايتام
- ٥٠٩ فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها
- ٥٠٩ ولبنى عمه الذلة
- ٥٠٩ ولا بد يا أبا عبد الله للناس من شرطى.
- ٥١٠ لو سرقت ما نمت هذا النوم
- ٥١٠ لا يكون عمران، حيث يجور السلطان
- ٥١٠ ما دام هذا الشط بحاله ما تخرب واسط والبصره
- ٥١٠ عده من جفاة الاعراب واسترح
- ٥١١ شعر عبد الله بن الزبيرى الذى اعتذر به إلى رسول الله
- ٥١٢ وأما المتعة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردى عوسجة
- ٥١٣ والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك
- ٥١٣ عهد ساهور بن أردشير لابنه
- ٥١٤ وحرهم ولم يعطهم شيئا
- ٥١٤ ناحية جلا اهلها عنها لغلبة النمل والذر عليها
- ٥١٥ إن قراته أن ينخب قلبى

- ٥١٥ دليل اخذه المتكلمون عنه
- ٥١٥ سخافات ابن ابي الحديد
- ٥١٦ تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة
- ٥١٦ ذهب بها ابن أكلة الاكباد
- ٥١٦ يابى ذلك إطعامهم الضيف
- ٥١٧ بيت سلمان
- ٥١٧ إني منيت بشرار خلق الله
- ٥١٨ دعنا منك يا بن عباس
- ٥١٨ تنصرت الاشراف من أجل لظمة
- ٥١٨ الحق حقهم، فمن أتاك منهم فاحث له
- ٥١٩ فضائل سلمان
- ٥١٩ وكذبا يا أبا خبيب !
- ٥٢٠ أنت رأس الحطم، ومفتاح الظلم
- ٥٢١ اللهم اشدد وطأتك على الانصار
- ٥٢٢ أحببت أن أطاطى منك
- ٥٢٢ لاظهر للناس مناقضة فعله لروايته
- ٥٢٢ لقد ذهبت فيها عريضة
- ٥٢٣ أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها
- ٥٢٣ أضلوا الليلة برقعا
- ٥٢٤ إذا أعتكم الامور من رؤوسها فخذوها من أذناها
- ٥٢٤ إذا أراد أن يطلق امرأة
- ٥٢٤ هذه كناية عنهما
- ٥٢٥ دعوه فإن الغناء زاد الراكب
- ٥٢٥ إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق
- ٥٢٥ فإن جبريل أخبرني بذلك
- ٥٢٦ فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتتقل إليهما
- ٥٢٦ فما عسى أن أقول في حسيه ا وأما بأسه فهو الشجاع المطرق
- ٥٢٧ اكتبوا تاريخكم منذ خرج رسول الله ﷺ
- ٥٢٧ درة عمر أهيب من سيف الحجاج

- ٥٢٨ إسلام سلمان
- ٥٢٩ إني أستعبد بالله من بيعتك
- ٥٢٩ من وثق بماء لم يظماً
- ٥٢٩ ماء الملام
- ٥٣٠ أنا أسن منه
- ٥٣٠ خروج طارق بن شهاب لاستقبال علي بن أبي طالب
- ٥٣٠ كتاب أم سلمة إلى عائشة
- ٥٣١ ولا يزداد علي ما قدر له
- ٥٣٢ لو كان لنا في ملحنا هذا سعيراً
- ٥٣٢ الطير أحسن ظناً منك بالله عزوجل
- ٥٣٢ في مدح القناعة وذم الطمع
- ٥٣٥ في الدعاء
- ٥٣٧ طريق علي عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية
- ٥٣٩ إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر
- ٥٣٩ وأرى بطرف لا يرى بسوائه
- ٥٤٠ عز سلطانك عزا لا حد له ولا منتهى لاخره
- ٥٤١ فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية
- ٥٤٢ نبلوا سهلاً فإنه سهل
- ٥٤٢ شكوت إلى وكيع سوء حفظي
- ٥٤٢ من هو هذا الاخ المشار إليه
- ٥٤٣ أكثروا لابي موسى من الطعام
- ٥٤٣ اسباب المادية الغلظة والفظاظة
- ٥٤٦ ما قاتل علياً أحد إلا وعلى أولى بالحق منه
- ٥٤٦ قصر الخبال، لا تنزلوا فيه
- ٥٤٦ سليمان بن صرد الخزاعي
- ٥٤٧ فزار الخلفاء يوم احد
- ٥٤٨ كرديد ونكرديد
- ٥٤٨ فهو عندي أحق
- ٥٤٨ الاحسان إلى الناس

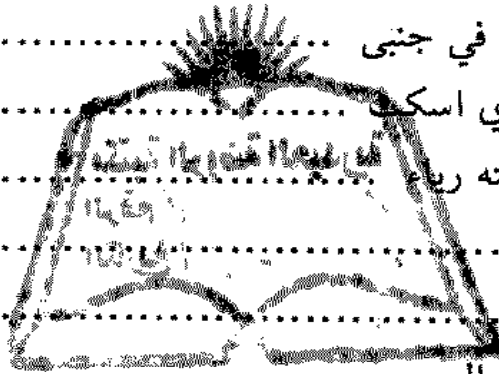
- ٥٤٩ الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة
- ٥٥٠ شعر بن ابي الحديد
- ٥٥٠ مما قيل في الشيب والخضاب
- ٥٥٢ لا ترونهما إلا في فتنة يقتلان فيها
- ٥٥٢ وكم ثمانمائة ألف درهم ؟
- ٥٥٣ يعيدنا لا لكذا ولا لكذا
- ٥٥٤ انزل عن منبر أبي
- ٥٥٤ حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطى
- ٥٥٥ قصة وقعت لاحد الوعاظ ببغداد
- ٥٥٦ عمرو بن العاص ومعاوية
- ٥٥٧ هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك !
- ٥٥٨ امهلوا حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة
- ٥٥٨ مدح العرب لكثرة الولد
- ٥٥٩ ولكن مخنف بن مسلم وقومه لم يتخلفوا
- ٥٦٠ سيان عندي قتل الزبير وضرطة عتر بذي الجحفة
- ٥٦١ بطلان قول الاصمعي
- ٥٦١ وأبي الحسين عليه السلام أن يدفنه إلا مع جده
- ٥٦٢ خرجت وفي قلبى قرحة منك
- ٥٦٢ تعداد العلويون في عصر ابن ابي الحديد
- ٥٦٣ خمس إفريقية
- ٥٦٣ غلبة خبث طينة البصرة على الجاحظ
- ٥٦٣ شجاعة بني هاشم
- ٥٦٤ أعر الله جمجمتك
- ٥٦٤ أو كلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان !
- ٥٦٥ حتى ضاعت النعل و سقط الرداء
- ٥٦٦ ولكنني قاتلتكم لاتأمر عليكم وعلى رقابكم
- ٥٦٧ أرادك الحق ولكن أبى قومك
- ٥٦٧ إذا شبعت نسيت الجائعين
- ٥٦٨ ألد من تمره تحشى بزنبور

- ٥٦٨ كان إلى أموال الرعية أشره
- ٥٦٨ جارتنا تشم رائحة الاماني
- ٥٦٨ من التعازي الجيدة
- ٥٧١ والكلاب تجرهم بأرجلهم
- ٥٧١ فكان لا يرى إلا متبرقا
- ٥٧٢ ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر
- ٥٧٣ تحامل الجاحظ على ال علي
- ٥٧٣ كان ما يدبر أمرا إلا كان فيه خلل
- ٥٧٤ الموازنة بين ملوك بني العباس وملوك بني أمية في العطاء
- ٥٧٥ مخازي عمر بن عبد العزيز
- ٥٧٥ أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله ﷺ
- ٥٧٦ مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لعلي
- ٥٧٧ لكنه لا يطلع على الكنائس
- ٥٧٨ كان عبد الله بن الزبير شديد البخل
- ٥٧٨ مد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال
- ٥٧٨ تنقص عمرو بن العاص للانصار
- ٥٨٥ أصون دراهمي وأذب عنها لعلمي إنها سيفي وترسي
- ٥٨٥ إن من العصمة الا تجد
- ٥٨٥ من حق العالم
- ٥٨٦ فليس بلاحق أخرى الليالي
- ٥٨٦ أخذ هذا اللفظ عبد الله بن الزبير
- ٥٨٦ لا تنسى الشياء أبا عندها
- ٥٨٨ أن للاديان سقما وطبا وشفاء
- ٥٨٨ قول أبي الطيب
- ٥٨٩ وضية آدم ﷺ ولده عند موته
- ٥٨٩ في العجلة
- ٥٨٩ قد أرحنا واسترحنا
- ٥٩٠ ذهبت والله دولتنا
- ٥٩٠ إلا إنما الدنيا بلاء وفتنة

- ٥٩٠ جدد الله أنف من يتفذك منها
- ٥٩١ ما كان سبب زوال ملككم ؟
- ٥٩١ أنتم الظهر والبطن والشعار دون الدثار
- ٥٩٢ ما زال عمرو بن العاص ملحداً ، وكان معاوية مثله
- ٥٩٢ فكسر حلبة السيف وضعها لك خلخلا
- ٥٩٣ خيزران
- ٥٩٣ فما تزود مما كان يجمعه إلا حنوطا
- ٥٩٣ أن بعض أعراقه ينزع إلى العجم
- ٥٩٤ من يساجلني
- ٥٩٤ لا يرى قد القميص بخصره
- ٥٩٤ أيا شجر الخابور ما لك مورقا
- ٥٩٥ سربلت فارده لنا سملا
- ٥٩٥ ولا يزداد على ما قدر له
- ٥٩٦ لو كان لنا في ملحنا هذا سعتر!
- ٥٩٦ لم يكن عند عمر بن عبد العزيز أحد من هاشم يصلح للشورى
- ٥٩٦ كعب بن سور القاضي
- ٥٩٧ وذاكرنا بأداب الفرس والهند
- ٥٩٧ تنبيه بطريق الاستدلال النظري على أن الدنيا زائلة ومنصرفه
- ٥٩٧ من آداب ابن المقفع
- ٥٩٨ في الكتاب
- ٥٩٩ ما نصحت به الاوائل الوزراء
- ٦٠٠ يسبون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم
- ٦٠٠ العالم من عرف قدره
- ٦٠١ رجال من العرب كل منهم يلد لصلبه أكثر من مائة
- ٦٠١ ومن لى بالشهادة
- ٦٠٢ عمر بن عبد العزيز أعظم الخلق قولاً بالجبر
- ٦٠٤ الامل
- ٦٠٤ مما قيل في المروءة
- ٦٠٥ إسقاط المروءة

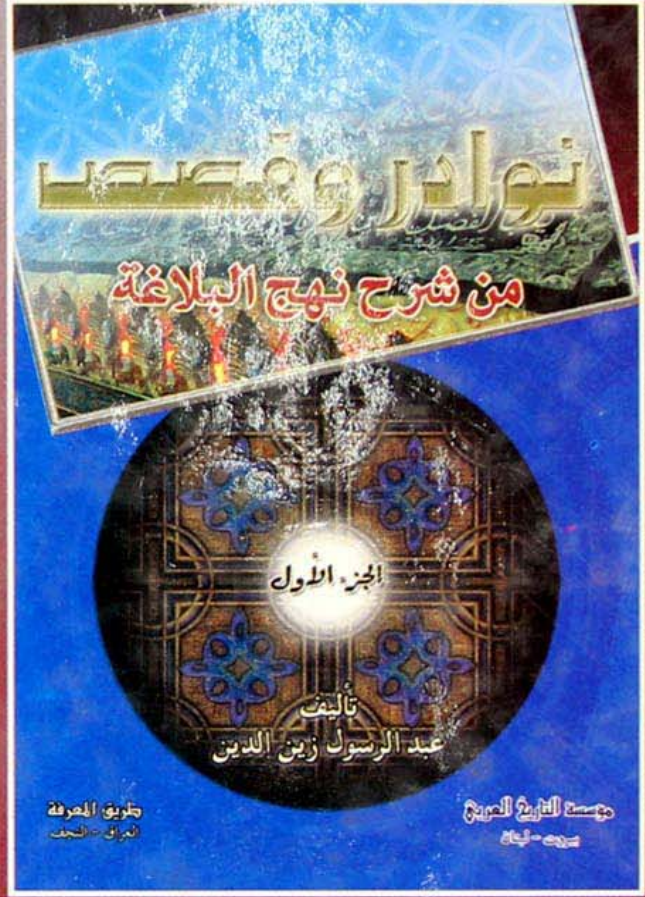
- وأرسلت إلى حفصة تسألها الخروج والمسير معها ٦٠٦
- فأرضوا بقدر الله وقضائه ٦٠٦
- لعن الله من يسب عليا وحسينا من سوقة وإمام ٦٠٦
- قتل جدي جميعا، الزبير وعثمان ٦٠٧
- فقتل وأخذ الكتاب ٦٠٧
- قم فالعن عليا ٦٠٨
- الخليفة المستضعف والخليفة المداهن، والخليفة المأفون ٦٠٨
- مرأة أبوها خليفة، وجدها خليفة، وأبناها خليفة، وأخوها خليفة، وبعلمها خليفة ٦٠٩
- الذي سن للعرب الاباء ٦٠٩
- غرى غيرى ٦١٠
- تأمر بإنزال جيفة أبي بكر فإن النساء يجزعن ٦١٠
- أنا محبوس، والمحبوس محبوس الرأي ٦١٠
- رأيتني والامر عنى مدبر ٦١١
- في العفاف ٦١١
- يؤمل أن يعمر عمر نوح ٦١١
- فرجعت وهي راضية ٦١٢
- رب كلمه تقول ٦١٢
- راي فاسد للمعتزلة بالمغفرة ٦١٢
- في بعض كتب الله القديمة ٦١٢
- مثل للدنيا ٦١٢
- بهؤلاء تمنع مكة وتشرف مكة ٦١٤
- أصبح الناس وجها ٦١٤
- ثلاثة في عصر بنو عم، كلهم يصلح للخلافة ٦١٤
- سيد فقهاء الحجاز ٦١٥
- رجل ولدت له أمان من أمهات المؤمنين ٦١٥
- اشداء بني هاشم ٦١٥
- مذاهب اهل الامصار في عصر الدعوة العباسية ٦١٦
- امراة يكتنفها خمسة من الخلفاء ٦١٦
- الطير أحسن ظنا منك بالله عزوجل ٦١٧

- ٦١٧ في مدح القناعة وذم الطمع
 ٦٢٠ وما فعلت إلا إبقاء عليك
 ٦٢٠ وظهر عنه شح عظيم
 ٦٢١ وجد عمرا عند بعض زوجاته
 ٦٢١ القرآن قد نطق بملك بني أمية
 ٦٢٢ فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة
 ٦٢٢ فغض الطرف إنك من نمير
 ٦٢٢ من المشهورين برأى الخوارج
 ٦٢٤ وثبت يوم أحد ووليت
 ٦٢٤ طريق على عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية
 ٦٢٦ ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له
 ٦٢٦ ولا حاجة لي في الحرب
 ٦٢٧ لا تتخذو الدنيا ربا
 ٦٢٧ بنى كما كانت أوائلنا تبنى
 ٦٢٨ فإنه من أطيب الطيب
 ٦٢٨ انهم يريدون أن يخلطوا
 ٦٢٨ هلا قلت كما قال سيدك
 ٦٢٩ والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبي
 ٦٢٩ فجعل يومئ إلي بيده على فيه أي اسكت
 ٦٢٩ أجهد نفسه في العبادة حتى نحلته رياء
 ٦٣٠ من يأخذ هذا السيف بحقه
 ٦٣١ ما قال أبرويز لكاتبه
 ٦٣٢ أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال
 ٦٣٢ لكأني أنظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هاربين
 ٦٣٢ فليلبس ثوبا أحمر
 ٦٣٢ بيت القصص
 ٦٣٣ كنت شاهدا معك بقلبي
 ٦٣٣ حيثما زالت زال إليها
 ٦٣٣ شجرة النبوة



- ٦٣٤ فلا تكتحل عينك منها بعبرة
- ٦٣٤ اقتباسات الشعراء من كلام امير المؤمنين عليه السلام
- ٦٣٨ رؤيا رقيقة في الجاهلية
- ٦٣٩ اللهم حوالينا ولا علينا
- ٦٣٩ الحجاج ابو وذحة وتاويل بارد لابن ابي الحديد
- ٦٤٠ شجاعة شجاعة
- ٦٤١ أعور جباناً !
- ٦٤١ قد أبلغناه محبته
- ٦٤٢ فاقرعوا على عائشة
- ٦٤٢ غير بعيد أن يستهوى من بعدى
- ٦٤٣ أكثر من حامى علي عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف
- ٦٤٤ وداود بحق أراقها
- ٦٤٥ إن وراكبها
- ٦٤٥ اخذ ابن نباة الخطيب كثيرا من الفاظها
- ٦٤٦ فيجعله امثال الجبال
- ٦٤٦ سبب تسمية الخطبة (القاصعة)
- ٦٤٦ القول في سنى الاخرة كم هي
- ٦٤٧ بلاغة بلاغة
- ٦٤٧ ما بال من اوله نطفة





طريق المعرفة
العراق - النجف
التوزيع في جميع أنحاء العالم

٠٠٩٦٤٠٧٨٠١١٨٥٨٨٦